تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa





تفسير ابن عطيّة

المحرّر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق

مجموعة من الباحثين

بإشراف

إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجزء الأوّل

مُقدّمات التّحقيق

وتفسير الفاتحة حتّى الآية ٢١٤ من البقرة

إصدارات

وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة

إدارة الشّؤون الإسلاميّة

بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة قطر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة، وذلك منذ تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي (**الفروع**) و(**تصحيح الفروع**)، سنة **١٣٤٥**هـ، وكان **المؤسس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة في السنوات الأخيرة امتداداً لتلك الجهود وسيراً على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومنذ انطلاقة هذا المشروع المبارك يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة

من أمهات كتب العلم والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة، **تُطبع لأول مرة**، نذكر منها:

• في التفسير وعلوم القرآن:

أصدرت الوزارة عدة كتب منها: (**فتح الرحمن في تفسير القرآن**) للعُليمي، و(**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) لابن عطية في طبعته الثانية.

وفي علم رسم المصحف أصدرت الوزارة: كتاب (**مرسوم المصحف**) للعُقيلي، و(**الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة**) لأبي بكر اللبيب.

وفي علم القراءات أصدرت الوزارة كتاب: (**البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**) لأبي حفص النشار، و(**معاني الأحرف السبعة**) لأبي الفضل الرازي.

• وفي السنة النبوية وشروحها:

أصدرت الوزارة عدة كتب، منها: (**التقاسيم والأنواع**) لابن حبان، و(**مطالع الأنوار**) لابن قرقول، و(**التوضيح شرح الجامع الصحيح**) لابن الملقن، و(**حاشية مسند الإمام أحمد**) للسندي، و**شرحان لموطأ الإمام مالك**؛ لكُلٍّ من (القنازعي)، و(البوني)، و(**المخلصيات**) لأبي طاهر المخلص، و(**شرح مسند الإمام الشافعي**) للرافعي، و(**نخب الأفكار شرح معاني الآثار**) للعيني، و(**مصابيح الجامع**) للدَّمَاميني.

ومما تشرفت الوزارة بإصداره في تحقيق جديد متقن: (**صحيح ابن خزيمة**)، و(**السنن الكبرى**) للإمام النَّسائي المحقَّق على عدة نسخ خطية، و(**جامع الأصول في أحاديث الرسول**)، و(**النهاية في غريب الحديث**) لابن الأثير.

• وفي الفقه وما يتصل به:

أصدرت الوزارة عدة كتب في المذاهب الأربعة، منها: كتاب: (**الأصل**) لمحمد ابن الحسن الشيباني (ت**١٨٩هـ**) كاملاً محققاً على أصول عدة، و(**التبصرة**) للَّخمي، و(**نهاية المطلب في دراية المذهب**) للإمام الجويني بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور

عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالى عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**حاشية الخلوتي**)، كما أصدرت الوزارة: (**الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**) للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**بغية المتتبع لحل ألفاظ روض المربع**) للعوفي الصالحي، و(**منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**) للعيني.

• وفي السيرة النبوية:

أصدرت الوزارة الموسوعة الإسنادية: (**جامع الآثار في السير ومولد المختار**) لابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرها.

• وفي العقيدة والتوحيد:

أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً هو: (**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**) لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى، كما أعادت نشر كتاب (**الرد على الجهمية**) للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وغيرها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

• وفي مجال الدراسات المعاصرة المتميزة:

أصدرت: (**القيمة الاقتصادية للزمن**)، و(**نوازل الإنجاب**)، و(**مجموعة القره داغي الاقتصادية**)، و(**التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**)، و(**صكوك الإجارة**)، و(**الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين**)، و(**التورق المصرفي**)، و(**حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية**)، و(**روايات الجامع الصحيح ونسخه دراسة نظرية تطبيقية**)، وغيرها.

كما قامت الوزارة بشراء وتوزيع بعض الكتب المطبوعة لما لها من أهمية منها: (**مسند الإمام أحمد**)، و(**صحيح الإمام مسلم**)، و(**الجامع لأحكام القرآن**) للقرطبي، و(**الجامع لشعب الإيمان**) للبيهقي، و(**تاريخ الخلفاء**) للسيوطي، و(**التاريخ الأندلسي**) لعبد الرحمن علي الحجي، و(**الإقناع في مسائل الإجماع**) لابن القطان الفاسي، و(**شرح

العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي، و(**قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**) للعز ابن عبد السلام، و(**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**) لأبي الحسن الندوي، وغيرها.

ويَسُرنا اليوم أن نقدم للقراء الكرام تفسير (**المحرر الوجيز**) للقاضي عبد الحق ابن عطية رحمه الله، وهو كتاب قيم أوعب فيه وحرر، وأوجز فيه وقرر، يجد فيه صاحب علوم القرآن بغيته من شاذ القراءة ومتواترها، ومنسوخ الآيات وناسخها، وطالب علوم الحديث طلبته من كل سبب نزول، وتفسير عن السلف منقول، أما الفقيه واللغوي والنحوي فهو محط رحله وربع عزته، فقد أولى رحمه الله إعراب القرآن واستنباط أحكامه عناية خاصة.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد سبق للوزارة أن أصدرت أول طبعة منه سنة (**١٩٩١م**)، ثم قامت بإعادة إخراجه في طبعة ثانية سنة (**٢٠٠٧م**)، وها هي اليوم تصدر الطبعة الثالثة التي تتميز بتصحيح النص، ومقابلته على مخطوطات نادرة، تم انتقاؤها من مختلف المكتبات العالمية، مع توثيق الأقوال والأشعار وتخريج الأحاديث والآثار، وغير ذلك من الميزات التي سيقف عليها القارئ عند مطالعته لها.

والحمد لله على توفيقه، ونسأله المزيد من فضله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدَارَةِ الشّؤُون الإِسْلَامِيَّةِ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن كتاب الله تعالى هو أجلُّ ما صرفت الأوقات في قراءته وتدبره، وأهم ما وجهت الجهود والأموال إلى خدمته، فهو كتاب كريم تنزيل من حكيم حميد، أنزله الله تعالى لهداية البشرية، نوراً مبيناً وشفاءً لما في الصدور.

وكما أمر الله تعالى بتلاوة كتابه وجعلها من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم في صلواته وخلواته بربه، فقد جعل فهم القرآن وتدبر معانيه وامتثال أوامره ونواهيه هو المقصد الأسمى والهدف الأعلى؛ ليكون القرآن دستوراً للمسلم في مختلف نواحي حياته اليومية.

لذلك اهتم علماء المسلمين ببيان معاني القرآن وتفسير ألفاظه حسب اختلاف مناهجهم وتعدد مشاربهم في ذلك، فيفسر اللغوي مفرداته، ويبين النحوي معرباته، ويغوص الفقيه في أحكامه الشرعية، وصاحب البيان في نكته البلاغية، فمنهم المُؤْثر للإيجاز في ذلك والمفصل للطول، ومنهم المقتصر على المأثور والمائل إلى المعقول.

ومن أوائل المفسرين الذين حاولوا جمع شتات أكثر ذلك الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ) رحمه الله، صاحب هذا التفسير النفيس المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، وهو من أعلى كتب التفاسير رتبةً وأغلاها، وأرفعها منزلة وأسماها؛ لجمعه بين المأثور المنقول

والمعقول المقبول، مع ذكر أسباب النزول وعنايته باللغة والنحو والإعراب، واهتمامه بالقراءات ونقائه من الإسرائيليات.

ولأجل ما يتمتع به هذا الكتاب من قيمة علمية كبيرة، وضمن جهودها المتميزة المتواصلة في خدمة كتاب الله تعالى، فقد كانت دولة قطر ممثلة برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية سبَّاقة إلى إصدار أول طبعة ترى النور من هذا الكتاب سنة (١٩٩١م)، استمر العمل فيها حوالي ١٤ سنة، بتحقيق وتعليق: الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، وتوالت بعد ذلك الطبعات والدراسات المختلفة حول هذا الكتاب النفيس، لتنكشف مع ذلك حاجته إلى المزيد من العناية.

ثم قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية بإعادة إخراج الكتاب في طبعة ثانية سنة (٢٠٠٧م)، تم فيها تدارك بعض الأخطاء، وتقليص حجم الكتاب من (١٥) إلى (٨) مجلدات، وذلك تماشياً مع خطتها الاستراتيجية في تحديث وتطوير مطبوعاتها، موازاة مع ما تصدره من مطبوعات جديدة تنشر لأول مرة.

واستمراراً لنفس النهج، وبعد أن نفدت تلك الطبعة الثانية، قررت إدارة الشؤون الإسلامية إصدار طبعة جديدة من الكتاب، هي التي نقدم لها اليوم، بعد أن استمر عملنا فيها ثلاث سنوات، والجديد في هذه الطبعة أمران، هما:

أولاً: بذل المزيد من الجهد من أجل تصحيح النص، وتحقيقاً لذلك الهدف كثفنا الجهود للبحث عن مخطوطات الكتاب المتناثرة في مختلف المكتبات في المغرب وتركيا ومصر والشام وغيرها، وتم تشكيل لجان متعددة لمقابلة المتن على النسخ المختارة منها.

ثانياً: توثيق الأقوال وتخريج الأحاديث، ولتنفيذ ذلك تم تشكيل عدة لجان أخرى عهد إليها بتتبع جميع ما ورد في الكتاب من الأحاديث والآثار والأشعار والقراءات وأقوال أهل العلم من قراء ومفسرين، ونحاة ولغويين، وفقهاء وأصوليين؛ للبحث عنها في مظانها وإحالتها إلى مصادرها، وقد وُفقنا والحمد لله تعالى في الوصول إلى

الكثير من تلك النقول، وكان لذلك أثر كبير في إقامة النص، وبقيت مواضع غير قليلة لم نتمكن من الوصول لها، إما لأنها منقولة بالمعنى، أو من مصادر لم تطبع بعد، أو أن استخراجها ما زال يتطلب المزيد من الجهد والبحث، وقد تم التنبيه عليها في أماكنها.

وقد قدمنا بين يدي الكتاب بمقدمات تشمل أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، ويشمل:

اسمه، نسبه، مولده، طلبه للعلم، شيوخه، حياته، مناصبه، مذهبه، مواقفه، مؤلفاته، تلاميذه، وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب:

اسمه، وثناء العلماء عليه، منهج المؤلف فيه ومصادره، أثره في الكتب التي بعده، وما كتب حوله، طبعاته.

المبحث الثالث: منهج توثيق الأقوال:

أقوال المفسرين، مسائل القراءات، تخريج الأحاديث والآثار، الآراء الفقهية والأصولية، المسائل اللغوية والأشعار.

المبحث الرابع: منهج المقابلة:

تصحيح المتن بالمقابلة، النسخ المتوفرة، طريقة المقابلة وإثبات الفروق، نماذج من النسخ الخطية.

كما ألحقنا بالكتاب جرداً بالمصادر، وكشافاً للفهارس العلمية الضرورية ويشمل:

الآيات القرآنية، الأحاديث والآثار، الشعر، الحكم والأمثال، الأعلام، إضافة إلى فهرس الموضوعات.

* * *

المبحث الأول
التعريف بالمؤلف

وسيتم التعرض له من خلال عدة نقاط هي:

اسمه ونسبه ومولده.

طلبه للعلم وشيوخه.

نشأته وحياته.

ثناء العلماء عليه.

جهاده وقضاؤه.

مذهبه وعقيدته.

مؤلفاته وآثاره.

تلاميذه.

وفاته.

وسنحاول اختصار ذلك نظراً لكثرة ما كتب حوله في الطبعات السابقة، والدراسات المتعددة التي حظي بها هذا الكتاب، فضلاً عما كتب عنه في كتب التاريخ والطبقات[1]، فنقول:

---

(١) للتوسع في ترجمة ابن عطية انظر الكتب التالية: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧)، رقم ٨٣٠، وبغية الملتمس للضبي (ص: ٣٧٦)، والمعجم لابن الأبار (٢٥٠-٢٦٢) رقم ٣٤٠، وصلة الصلة لابن الزبير (٢، ٣)، وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي (١٠٩)، وخريدة القصر (قسم المغرب ٣/ ٤٩٠-٤٩٧)، والمغرب(٢/ ١١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧، ٥٨٨)، و(٢٠/ ١٣٣)، =

أولاً: اسمه ونسبه ومولده:

هو الإِمام القاضي، والفقيه الحافظ، أَبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن غالب بن تمَّام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمَّام بن عطية ـ الداخل إلى الأَندلس ـ ابن خالد بن خُفاف المُحاربي.

ولقد اختلف المؤرخون في سلسلة نسبه، وأرجع بعض الباحثين السبب في هذا الاختلاف إلى ميل بعضهم إلى الاختصار، وميل آخرين إلى الإطالة والتفصيل، حسب مقتضى الحال، ولا شك أن أصح ذلك هو ما أثبته ابن عطية نفسه في ترجمته لوالده في أول ترجمة من (**فهرسة شيوخه**)، فقد ساق نسبه كاملاً فقال: «غَالب بن عبد الرَّحْمَن بن غَالب ابن عبد الرؤوف بن تمَّام بن عبد الله بن تمَّام بن عَطِيَّة بْن خَالِد بن عَطِيَّة ـ وعطية هذا هو الدَّاخِل إلى الأندلس وَقت الْفَتْح ـ وَهُوَ عَطِيَّة بن خَالِد بْن خفاف بن أسلم بن مكرم من ولد زيد بن مُحَارب بن خَصَفة بن قيس عَيْلاَن بن مُضر» اهـ[١]، ويمكن الإطلاع على نماذج من ذلك الاختلاف في مصادر ترجمته المختلفة[٢].

وجاءَ في بعض النسخ الخطية من التفسير: قال الشيخ الفقيه، الإمام الأَجلُّ، الحافظ الأَكمل، القاضي الأَعدل، أَبو محمد عبد الحق، ابن الفقيه الحافظ أَبي بكر غالب ابن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤُوف بن تمام بن خالد بن عطية ـ وهو الداخل إلى الأَندلس ـ ابن خالد بن خُفاف بن أَسلم بن مكرم المحاربي، من ولد

= والديباج المذهب (٢/ ٥٧-٥٩)، والوفيات لابن قنفذ (ص: **٢٦٣**، وص: **٢٧٩**)، بغية الوعاة (٢/ ٧٣، ٧٤)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٠)، ونفح الطيب (١/ ٦٧٩)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة (١١٨، ١١٩)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٦)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٦٦، ٦٧)، وكشف الظنون (**٤٣٩** و **١٦١٣**)، وهدية العارفين (ص: **٥٠٢**).

(١) فهرس ابن عطية (ص: **٥٩**-**٦٠**).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٢١)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢)، الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠١)، بغية الوعاة (٢/ ٧٣)، بغية الملتمس (ص: ٣٨٩)، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: **٢٦٣**).

زيد بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، من أَهل غرناطة. إلا أن النسخ الخطية تختلف أيضاً في إثبات النسب كاملاً وفي ذكر بعض الأجداد، كما سننبه عليه في مقدمة الكتاب، لكن غالب الظن أن ذلك راجع إلى النساخ، والله تعالى أعلم.

ويتحصل من هذا أَن سبب الاختلاف هو التكرار الواقع في بعض الأسماء كغالب وتمام وخالد وعطية، والتشابه بين عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرؤوف، وتحولها إلى عبد الرحيم وعبد الملك عند بعضهم.

كما يتخلص من ذلك كله أن ابن عطية عربي الأَصل، وأنه من قبيلة عدنان، ثم من بني قيس عيلان وهو ابن مضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، وأَن أُسرته كانت ذات مكانة ملحوظة في غرناطة.

يقول ابن الأَبَّـار: وبيته عريق في العلم، لجده قاسم بن تمام بن عطية رواية عن أبي عمر المُغامي وطبقته، ولغالب بن عبد الرؤوف بن تمام رحلة لقي فيها أبا القاسم ابن الجلَّاب الفقيه وحمل عنه كتابه «التفريع»، وابنه عبد الرحمن بن غالب يروي عن أبيه، وروى عنه ابنه غالب والد عبد الحق، وسمع هو من أبيه ومن أبوي علي الغساني والصَّدَفي[1].

أما مولده فقد أَجمع المؤرخون على أَنه كان سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، نص على ذاك أبو حيان والسيوطي وغير واحد[2].

ثانياً: طلبه للعلم وشيوخه:

ولد ابن عطية رحمه الله في بيت علم وقضاء، لذلك فإن أول شيوخه هو والده الإمام الحافظ، الناقد المجود، أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن

---

(١) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

عطية المحاربي الأندلسي، الغَرْناطي المالكي، روى عن أبيه، والحسن بن عبيد الله الحضرمي، ومحمد ابن حارث، ومحمد بن أبي غالب القروي، ورأى ابن عبد البَـرِّ، وحج سنة تسع وستين وأربع مئة، فسمع عيسى بن أبي ذر، والحسين بن علي الطبري، وأبا الفضل الجوهري، ومحمد بن معاذ التميمي المَهْدَوي، وروى عنه ولده صاحب التفسير الكبير، قال ابن بَشْكُوال: كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله، عارفاً بالرجال، ذاكراً لمتونه ومعانيه، قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمعه يذكر أنه كرر على «صحيح البخاري» سبع مئة مرة، قال: وكان أديباً شاعراً لغويّاً، ديِّناً فاضلاً، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، وكتب إلينا بإجازة ما رواه، مولده سنة (٤٤١هـ)، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (٥١٨هـ)، رحمه الله(١).

وذكر ابن الأَبَّـار أن ابن عطية سمع من أبيه ومن أبوي علي الغساني والصدفي لقيه بمُرْسية وقرأ عليه جامع الترمذي، وكان قد أجاز له قبل ذلك مع أبي عبد الله بن فرج وأبي الحسن العبسي وأبي المطرِّف الشعبي وأبي عبد الله بن خليفة وأبي بكر بن برال وأبي القاسم الهَوْزني وله سماع من ابن عتَّاب وأبي بحر وغيرهما واختصاص بأبي الحسن بن الباذش وإكثاره إنما هو عن أبيه غالب وأبي علي الغساني لقيه بغرناطة ناهضاً إلى حَمَّة المَرِيَّة، للتداوي بمائها من علته الفالجية، في ذي القعدة سنة (٤٥٩) هجرية، فاستجازه وسمع منه ألفاظاً من اللغة وأبياتاً من الشعر قيدها عنه وانحفز لوجهته، ثم صدر بعد شهر ونصف فأقام عندهم لتوالي المطر نحواً من شهر، وفي أثنائه اتصل أخذه عنه(٢).

ومن شيوخ ابن عطية أيضاً:

أَبو محمد عبد الجبار بن سليمان، الفقيه أَبو محمد القيرواني، أَبو جعفر بن القليعي، أبو عبد الله محمد بن فرج مولى الطلَّاع، أبو المطرِّف الشعبي، أبو العباس

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠١).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

أحمد بن عثمان بن مكحول، أبو القاسم الحسن بن عمر الهوزني، أبو بكر عبد الباقي ابن محمد الحجاري، أبو الحسين بن البيّان، أبو القاسم بن الحصّار المُقري، أبو محمد عبد الواحد بن عيسى الهمداني، وغيرهم من الجلة كثير تركناهم اختصاراً[١].

ثالثاً: نشأته وحياته:

لما كان والد المصنف بالدرجة التي أشرنا لها قبل قليل، وفي رعاية ذلك العالم الفقيه نشأَ الوليد عبد الحق، فلا غرابة أَن يشبه الفرع أَصله، وأَن يكون الابن مثل أَبيه فضلاً وعلماً.

بِـأَبِـهِ اقتدى عـديٌّ في الكرم ومَــنْ يُـشَـابِـهْ أَبَــه فما ظَلَمْ

فقد كان الناس يَفِدون إِلى رحاب والده، فيتعلمون، والوليد الصغير يرى ذلك كله فيتأَثر به، وينمو وجوُّ العلم وطلابه يحيط به، فيتعلق بهذه الحياة العلمية، ويدفعه إِليها طموح فطر عليه، ويعينه على تحقيق رغباته رعاية واسعة من الوالد الفاضل، الذي اختار له الأَساتذة، وساعده حتى في تأْليف تفسيره.

فهو فرع في شجرة مورقة، امتدت غصونها، وكثرت أَوراقها، ونضجت ثمارها، فأَوى إِلى ظلها كثيرون، ونعم بخيراتها طلاب العلم في أَماكن كثيرة.

وكان رحمه الله غاية في الذكاءِ والدهاءِ، شغوفاً بالتقييد واقتناءِ الكتب، مولعاً باكتساب العلوم والمعارف، ولهذا رحل إِلى كل عواصم الأَندلس وحواضرها، يلتقي بالعلماءِ، ويأْخذ عن الشيوخ، ويراسلهم في كل مكان إِذا عجز عن الالتقاءِ بهم، وكان يسأَلهم الإِجازة العلمية، حتى كوَّن نفسه أَحسن تكوين.

هذه النشأَة الأَصيلة، وهذه الرغبة القوية في التحصيل والتفوق، كانتا سبباً من

---

(١) انظر تسمية أكثر هؤلاء الشيوخ في الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢)، ولتراجم هؤلاء يمكن الرجوع لفهرس ابن عطية، فقد ترجم فيه لأكثر شيوخه.

أَسباب نبوغه وشهرته، واحتلاله مكانة عالية، حتى عرفه القاصي والداني، وأَثنى عليه كل من عرفه أَو اطلع على مؤلفاته وآثاره[١].

رابعاً: ثناء العلماء عليه:

كان ابن عطية رحمه الله تعالى صاحب مكانة علمية مرموقة في عصره، وبعد عصره، ولا نجد إِجماعاً بين العلماءِ والشيوخ كإِجماعهم على تقديمه، وكلهم يعترفون بفضله، ويجعلونه صاحب مدرسة في التفسير، وهذه هي بعض الآراءِ التي قيلت فيه، ننقلها كما ذكرها أَصحابها:

فيقول عنه السيوطي: هو صاحب التفسير، الإمام أبو محمد الحافظ القاضي، قال ابن الزبير: كان فقيهاً جليلاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحويّاً لغويّاً أديباً، بارعاً شاعراً مفيداً، ضابطاً سنيّاً، فاضلاً من بيت علم وجلالة، غايةً في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف، وذكره في «قلائد العقيان»، ووصفه بالبراعة في الأدب، والنظم والنثر[٢].

وقال عنه في كتاب آخر: كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور، ولي قضاء المَرِيَّة[٣].

وقال ابن الخطيب: كان فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مقيِّداً حسن التّقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المريّة في المحرم سنة تسع وعشرين وخمس مئة، وكان غاية في الدّهاء والذكاء، والتَّهمُّم بالعلم، سريَّ الهمَّة في اقتناء الكتب، توخَّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزَّ الخطَّة[٤].

---

(١) منقول من مقدمة الطبعة الثانية.

(٢) بغية الوعاة (٢/ ٧٣).

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٦١).

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢).

وترجم له ابن فرحون في «طبقات المالكية» بمثل ذلك[١].

وقال عنه الإمام الذهبي: كان إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيّاً فطناً مدركاً، من أوعية العلم[٢].

ويقول ابن شاكر: هو الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارعاً في الأدب، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيال، ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى[٣].

ويقول المالقي: هو أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها، وبيته بيت علم، وفضل، وكرم، ونبل، وكان فقيهاً، نبيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً، شاعراً، لغويّاً ضابطاً، مقيِّداً، ولي القضاء بمدينة المَرِيَّة في شهر المحرم عام (**٥٢٩هـ**)[٤].

ويقول الداودي: كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، مفيداً، حسنَ التقييد[٥].

ويقول ابن بشكوال: كان واسع المعرفة قوي الأدب، متفنناً في العلوم، أخذ الناس عنه[٦].

أما معاصره الفتح بن خاقان فقد وصفه بأنه الوزير الفقيه الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله، نبعة دوح العلاء، ومُحرز ملابس الثناء، فذُّ الجلالة،

---

(١) الديباج المذهب (ص: ١٧٥).
(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ٤٠١).
(٣) فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦).
(٤) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).
(٥) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٦).
(٦) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص: ٣٦٨).

وواحد العصر والأصالة، وقارٌ كما رسا الهضب، وأدب كما اطَّرد السلسل العذب، وشيم تتضاءل لها قطع الرياض، ويبادر به الظن إلى شريف الأغراض، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بعلائه، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهداً، حتى تناول الكواكب قاعداً، وما اتَّكل على أوائله، ولا سكن إلى راحات بكره وأصائله، آثاره في كل معرفة علم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار، وقد أثبتُّ من نظمه المستبدَع ونثره المستبرع، ما ينفح عبيراً، وينضح منيراً، ويسيح نميراً[١].

خامساً: جهاده وقضاؤه:

إن الدارس لحياة ابن عطية لا بد أن يجد فيها أَنواعاً مختلفة من الجهاد، فقد جاهد في سبيل العلم حتى وصل فيه إِلى أَعلى مكانة، وجاهد في ميدان القتال ضد أَعداءِ الإسلام، لأَن أَيام المرابطين كانت أَيام معارك وحروب دامية، وكان ابن عطية ممَّنْ حملوا السيف، واشتركوا في كثير من الغزوات.

وكان يُكْثِر الغزوات في جيوش الملثمين، ويطيل من التَّغَيُّب عن أَهله وبلده، وكان والده قد كبر في السن، وكُفَّ بصره، وقد طال غياب وَلَدِهِ «عبد الحق» عنه في إِحدى الغزوات، مما أَثار في نفس الشيخ الضرير نوازع الحنين والشوق، وحرك في قلبه عواطف الأُبوة؛ فكتب إِليه أَبياتاً كلُّها رقة وشوق وحنان، ولمَّحَ له فيها إِلى حاجته إِلى رعايته، قال:

يا نازحَ الدار لم تحفِلْ بِمَنْ نَزَحَتْ ... دموعَـه طـارقـاتُ الـهـمِّ والفِكَـرِ
غيّبْتَ شخصك عن عيني فما أَلِفَتْ ... مـن بعد مـرآكَ غيْرَ الدمع والسـهر
قـد كان أَولى جهـادٌ في مواصلتي ... لا سيَّما عند ضعف الجسم والكبر
اعتلَّ سمعي وجال الضُّرُّ في بصري ... بالله كن أَنت لي سمعي وكن بصري[٢]

---

(١) قلائد العقيان (ص: ٢٠٨).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

ومع هذه العواطف الجياشة، وأَمام هذا النداءِ الأَبوي كان ابن عطية يتحمل كل شيءٍ في سبيل أَداءِ واجبه الديني، وكان يتحمل في سبيل عقيدته، لأَن الحروب كانت ضد أَعداءِ الإِسلام والمسلمين، الذين تكالبوا على الأَندلس في فترة خطيرة من فترات العدوان على الإِسلام.

وإِلى جانب ذلك، جاهد بقلمه، وكتب رسائل إِلى بعض الأُمراءِ يحثهم فيها على نجدة البلاد التي احتلها الأَعداءُ، ويُهيب بهم أَن ينقذوا الأَبرياءَ من الناس من ظلم الغزاة، وقسوة المعتدين، وكان دائماً يحث على الجهاد المقدس، ويلهب الحماس في النفوس بما يُضَمِّنُهُ رسائلَهُ من أَشعار حماسية يترنم فيها بالبطولات[١].

بكل هذا الذي أَشرنا إِليه من بحث عن العلم وسعي إِليه، ومن حب للمعرفة واقتناءِ الكتب، ومن جهاد في سبيل دينه بقلمه وسيفه ودمه، استطاع ابن عطية أَن يصل إِلى مكانة كبيرة في مجتمعه، وانتهى به الأَمر إِلى تولي القضاءِ، وللقضاءِ آنذاك منزلة عالية، ولم يكن يتولاه إِلا من هو أَهل له علماً وفضلاً وخلقاً.

وقد ولي ابن عطية القضاء بمدينة المَرِيَّة في شهر المحرم عام (**٥٢٩هـ**)[٢]، قال ابن الخطيب وابن فَرْحون: ولما ولي القضاء بمدينة المَرِيَّة توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة[٣].

ويقول ابن الأبَّـار: إنه ولي القضاء بالمرية للملثمين في آخر دولتهم وكان في شبيبته قد نالته منهم إهانة لإفراط حدته ومنافسته الحكام وغرِّب أبوه غالب آنذاك إلى السوس ثم أعيد إلى وطنه وحَسُن رأيهم فيهما.

---

(١) انظر هذه الرسائل في قلائد العقيان (ص: ٢١٠)، وسنعرض بعضها في آثاره.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩)، الإحاطة (٣/ ٤١٢).

(٣) الديباج المذهب (ص: ١٧٥)، نفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

قال: ومما يُرْوَى عنه أَنه لما خوطب بتقلد هذه الخطة واللحاق بالمرية، دخل داره وعيناه تدمعان وجداً لمفارقة الأهل والوطن، ورأَته ابنته أُم الهناءِ على هذه الصورة فأَنشدت متمثلة:

يا عين صار الدَّمْعُ عندك عادةً　　تبكين في فرحٍ وفي أَحزانِ

وهذا يدل على أَنه أَثَّر في أَهل بيته، وحملهم على حب الشعر، والاستشهاد به(١).

ولم يُعْرَف عن ابن عطية أَنه تولى قضاءَ مدينة أُخرى غير المرية، إِلا أَنه فيما رُوي قصد مُرْسِيَةَ ليتولى قضاءَها فَصُدَّ عنها إِلى لُوْرَقة، وفي «نفح الطِّيب»: أنه قصد مَيُورْقة ليتولى قضاءها فصدّ عن دخولها وصرف منها إلى لُوْرَقة اعتداء عليه(٢).

وقد ظن بعضهم أَنه تولى قضاءَ غَرْناطة، ولعل ذلك خطأٌ، فالواضح أَن الذي تولى قضاءَها هو والده، أَما هو فقد توفي بعد أَن صدّ عن مُرْسيَة بوقت قليل، فلم تكن أَمامه فرصة لأَن يتولى قضاءً آخر.

سادساً: مذهبه وعقيدته:

كان ابن عطية رحمه الله مالكي المذهب سنِّي المشرب أندلسيّاً أشعريّاً، عاضّاً على مذهب الجادة لم يؤثَر عنه شيء يخالف ذلك.

وقد صرح ابن تيمية بتفضيله على الزمخشري، وأنه أَتبع للسنة والجماعة، وأَسلم من البدعة(٣).

ورغم ذلك فقد أَثار بعض الباحثين جدلاً حول مذهب ابن عطية، وادعوا أَنه يميل أحياناً إلى مذهب المعتزلة، وقد يختاره على مذهب أَهل السنة ولو في بعض الأُمور.

---

(١) انظر هذه القصة في معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣).

(٢) نفح الطيب (٢/ ٥٢٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١).

والحق أَن ابن عطية كان على مذهب أَهل السنة والجماعة، ولكن عن اقتناع لا عن تقليد، وعن فهم لا عن تسليم، فقد كان رحمه الله تعالى سني الاعتقاد بعيداً عن الاعتزال، ولولا ذلك لما نال كتابه كل هذه الأهمية وحظي بكل هذه العناية، إلا أننا وللأمانة والإنصاف لا بد أن نتلمس بعض الثغرات التي قد يكون ابن عطية أتي من قبلها، فنقول: إن التهمة المشار لها تتألف من شقين، أولهما: ما يوهم عزوفه عن مذهب أهل السنة، والثاني: ما يوهم ميوله للمعتزلة.

أما الثغرة الأولى فتتعلق بآيات الصفات، فمذهب أهل السنة والجماعة وجمهور السلف أن نؤمن بها كما جاءت دون تمثيل ولا تعطيل، وقد جرى المؤلف على ذلك في غير موضع، إلا أنه صرح في أكثر المواضع بترجيح مذهب أهل التأويل، ويصفهم أحياناً بالمحققين والحذاق، وقد سمى منهم ابن فُورك والباقلاني وإمام الحرمين أبا المعالي ابن الجويني، بل إنه في بعض الأحيان يقتصر على التأويل دون أن يشير إلى القول الآخر.

فهو يثبت صفة الحياة والرؤية على مذهب السلف، ويثبت صفة الكلام لكنه يصفه بأنه نفسي قديم، ويؤوِّل بعض الصفات: كالاستواء، والمجيء، واليد، والوجه.

وعذره رحمه الله تعالى في ذلك أن هذا مذهب أكثر المتأخرين من الأشاعرة، وهو السائد في عصره، ولعل مما زاده جرأة على ذلك قوة عارضته، وحرصه على إرجاع ألفاظ القرآن إلى معانيها اللغوية الأصلية كما يتضح من منهجه في التفسير.

وفي مسألة القدر وحرية الإرادة الإنسانية، يقول بما قال به أبو الحسن الأشعري، وهي نظرية الكسب، لكنه لا يقول بوجوب الأصلح على الله تعالى كما هو مذهب المعتزلة، وكذلك في مسألة التحسين والتقبيح.

وأما مسألة الوعد والوعيد ومرتكب الكبيرة، فإن ابن عطية يذهب فيها مذهب أهل السنة بأن الله يفعل ما يشاء، وأن مرتكب الكبيرة هو مؤمن عاص في مشيئة الله، إن

شاء عذبه وإن شاء غفر له، وكذلك يقر بالشفاعة للأنبياء والصالحين ـ وهو مذهب أهل السنة ـ لأن الأحاديث صريحة في هذه المسألة.

ولا يسعنا في هذه العجالة بحث تلك المسائل بالتفصيل، ولسنا بصدد عرض أدلتها لأنها مبسوطة في أماكنها.

وقد علقنا على كثير من هذه المواضع من التفسير، ونكتفي عن باقيها بالتنبيه عليها هنا.

أما الثغرة الثانية المتعلقة بمذهب المعتزلة، فابن عطية رحمه الله بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، بل إنه كان أشد عليهم من كثير من المفسرين، وقد تصدى للرد عليهم في أكثر من خمسين موضعاً من تفسيره، وبيَّن فساد أدلتهم، ومن أمثلة ذلك:

١ـ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: وثبت بنص هذه الآية أن القوة لله، بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة.

٢ـ وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]: وفي قوله تعالى: «أُعِدَّتْ» ردٌّ على من قال: إن النار لم تخلق حتى الآن، وهو القول الذي سقط فيه منذر بن سعيد. فتأمل قوله: «سقط فيه» لتعلم مقدار نفوره من مذهب منذر بن سعيد هذا، وهو واضح الاعتزال.

٣ـ وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، قال: وفي قوله: «مني» إشارة إلى أَن أَفعال العباد خلق لله تعالى.

٤ـ وعند تفسير آية الكرسي يثبت صفة الحياة لله على مذهب أَهل السنة والجماعة، ثم يقول: وذكر الطبري عن قوم أَنهم قالوا: الله حيٌّ لا بحياة وَيُعَقِّبُ على ذلك بقوله: وهذا قول المعتزلة، وهو قول مرغوب عنه.

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يذكر رأْي أَهل السنة فيقول: أَجمع أَهل السنة على أَن الله عز وجل يُرى يوم القيامة.... إلخ.

ثم يمضي في هدم رأْي المعتزلة فيقول: ثم ورد الشرع بذلك، وهو قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]: وتعدية النظر بإلى إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة، ومنه قول النبي ﷺ فيما صحَّ عنه وتواتر وكثر نقله: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر».

والذي نراه أن ابن عطية إنما أُتي من قِبَل كتب المعتزلة، فهو يهتم باللغة أكثر من غيرها، وأكثر المفسرين اللغويين الذين اعتمد عليهم كانوا معتزلة، فمنهم من كان ابن عطية يعلم ذلك عنه كأبي علي الفارسي، فيحذِّر منه بقوله: «وهذه نزعة اعتزالية» وهي عبارة تكررت فيه كثيراً[(١)].

ومنهم من لم يكن يعلم باعتزاله كالزجَّاج فقد قال في رده على قول المعتزلة «الذين يرون أن الله لا يخلق أَفعال العباد إنه قول سوءٍ لأَهل البِدَع، ووقع فيه الزجاج رحمة الله عليه من غير قصد»[(٢)]، لكن أبا حيان نبَّه على أن الاعتذار عنه في غير محله لأنه كان معتزليّاً.

فخفاء مثل هذا من الزجاج على ابن عطية واعتذاره عنه يوحي بأنه لم يكن يتحفظ منه تحفُّظَه من أبي علي، وربما كان الحال كذلك بالنسبة للأخفش وابن جني وغيرهما.

وكما رد ابن عطية رحمه الله على المعتزلة، فقد سلط سيفه على غيرهم من أهل الإلحاد وغلاة المتصوفة، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أن هذه الآية يعطي ظاهرها أَن من آمن واتقى فهو داخل في أَولياءِ الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الوليّ، قال: وإنما

---

(١) انظر ـ على سبيل المثال ـ الآية (٦٠) من سورة المائدة، وتفسير الآية (٦٧) من سورة مريم.

(٢) انظر تفسير الآية (٩) من سورة النحل.

نبّهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الوليّ.

ويقول في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]: «وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سمَّاه بـ«الاقتصاد» إِلْحادٌ عندي، وتَطرُّقٌ خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النُّـبُوَّة، فالحذَرَ الحذَرَ منه، والله الهادي برحمته».

ويقول في مسأَلة التوكل إنها متشعبة للناس فيها خوضات، «والذي أَقول: إِن التوكل الذي أُمر به هو مقترن بتسبب جميل على مقتضى الشرع، وهو الذي في قوله ﷺ: «قَيِّدها وتَوَكَّلْ»، فقد جعله متوكلاً مع التقييد، والنبي ﷺ رأْس المتوكلين، وقد تسبَّب عمره كله، وكذلك السلف كله، فإِن شذَّ متوكل فترك التسبب جملة فهي رتبة رفيعة ما لم يُسرف بها إِلى حد قتل نفسه وإِهلاكها، كمن يدخل غاراً خفيّاً يتوكل فيه، فهذا أَو نحوه مكروه عند جماعة من العلماءِ، وما رُوي من إِقدام عامر بن قيس على الأَسد ونحو ذلك كله ضعيف، وللصحيح منه قرائن تسهله، وللمسلمين أَجمعين قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقول النبي ﷺ في مدح السبعين أَلفاً من أُمته: «وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، ليس فيه أَنهم يتركون التَّسَبُّب جملة واحدة، ولا حفظ عن عكاشة أَنه ترك التَّسبب، بل كان يغزو ويأْخذ سهمه»[1].

وعلق في موضع آخر على قصة لبعض الصالحين في الخوف لا تخلو من بعض الغلو بقوله: «فهذه نهاية الخوف، وخير الأمور أوساطها، وليس علماء الأمة ـ الذين هم الحجة ـ على هذا المنهاج، وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنة رسول الله ﷺ لمن يفهم ويرجى نفعه أفضل من هذا»[2].

ومثل هذا كثير في كتابه رحمه الله، ومن تأمله علم ما كان عليه من اتباع للحق وعض على السنة.

---

(١) انظر تفسير الآية (٨٦) من سورة يونس.

(٢) انظر تفسير الآية (١٩٢) من سورة آل عمران.

سابعاً: مؤلفاته وآثاره:

أهم مؤلفات ابن عطية التي وقفنا عليها كتابان هما:

١ ـ كتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم، وهو الذي عرف بين الناس باسم: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وقد أفردنا له فصلاً خاصاً نوضح فيه منهجه وميزاته.

٢ ـ كتاب صغير اسمه (الفهرس) حققه محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، ونشرته دار الغرب الإسلامي بيروت/ لبنان، (١٩٨٣)، وتقع الطبعة الثانية منه في مجلد واحد، وهي متوفرة في الموسوعات العلمية كالشاملة وغيرها، أوله: قال الفقيه المشاور الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي رضي الله عنه: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله أجمعين وسلم، هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم وذكْرُ ما رويته عنهم ومن أجازني، منهم أبي رضي الله عنه....[1].

وينسب بعض الباحثين له مؤلفات أُخرى، منها كتاب كبير في الأَنساب انتقد فيه كتاباً لبعض المعاصرين، ذكر ذلك ابن الأَبَّـار في كتابه (المعجم)[2].

وعلى كلٍّ فمؤلفاته قليلة، ولعل بقيتها قد ضاعت بفعل الزمن، وبسبب الأَحداث التي توالت على بلاد الأَندلس.

ومن آثاره أشعار جيدة، ورسائل لا تقل عنها جودة، فشعره يدل على تمكن، وعلى قدرة لغوية، مكنته من التعبير عن المشاعر الجياشة في عبارات عذبة رقيقة سلسة، ومع هذا فحسبه أَنه برز في ميادين اللغة والأَدب، والقراءَات والفقه، وأضاف إِليها القضاءَ ومكانته.

---

(١) فهرس ابن عطية (ص: ٥٩).

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢١٨).

وعن أدبه الشعري والنثري يقول الفتح بن خاقان: وقد أثبتُّ من نظمه المستبدَع ونثره المستبرع، ما ينفح عبيراً، وينضح منيراً، ويسيح نميراً، فمن ذلك قوله من قصيدة:

وليلةٍ جُبْتُ فيها الجزع مرتدياً بالسيف أسحب أذيالاً من الظُّلَمِ

والنجمُ حيرانُ في بحر الدجا غَرِقٌ والبرق فوق رداء الليل كالعَلَمِ

كأنّما الليل زِنجيٌّ بكاهله جرحٌ فيَثْعَب أحياناً له بدمِ

وله يتخلق بأخلاق الشيب، ويندب الشباب وهو منه في ريعان قشيب، ويتوجع لحمامته التي عُوض بها من غُرابه، وصَفَتْ مسراته من شوائبه، وهو يركض للَّهو بطرف جامح، وينظر للمنى بطَرْف طامح:

سقياً لعهد شباب ظَلْتُ أمرح في ريعانه وليالي العيش أسحارُ

أيّام روض الصبا لم تذوِ أَغصنُه ورونق العمر غضٌّ والهوى جارُ

والنفس تركض في تضمير شرَّتها طرفاً له في رهان اللهو إحضارُ

عهداً كريماً لبسنا منه أردية كانت عيوناً ومحَّت فهْي آثارُ

مضى وأبقى بقلبي منه نارَ أسى كوني سلاماً وبرداً فيه يا نارُ

أبعْدَ أن نَبُهَتْ نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب إسفارُ

وقارعتني الليالي فانثنت كِسَراً عن ضيغم ما له ناب وأظفارُ

إلا سلاحُ خِلال أُخلصت فلها في منهل المجد إيرادٌ وإصدارُ

أصبو إلى خفض عيش دوحُه خضل أو ينثني بي عن العلياء إقصارُ

إذاً فعطَّلتُ كفِّي من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهارُ

همّي من العيش ودٌّ طاب مورده ولم يشُبْ صفوه للنقص إكدارُ

ومن سناكم أبا إسحاق طالعني منه هلال له في النفس إبدارُ

ألظّ بالقلب يسري منه في أفق هالاته فيه إجلال وإكبارُ

نور ألمّ به من بعدكم حَلَكٌ كالراح حفَّ بها في دنّها القارُ

لئـن تمطَّـى بجـورٍ ليـلُ فرقتنـا لقد أنـارت به للكتْب أقمارُ
وإن عدانـا بعـادٌ عـن تزاورنـا فـإنَّـني ببنـات الفكـر زَوَّارُ

وله قطعة يوجهها إلى الأمير عبد الله بن مزدلي وقد خرج في إحدى غزواته، فوثق بظفره، وكريم صَدَره، وأقر القطعة عند كاتبه الوزير أبي جعفر بن مسعدة ليرفعها إليه منصَرَفَه فوفى بما كلفه وتقدم إلى رفعها عقب الغزاة وابتدر، وجاء بها على قَدَر، والقطعة المذكورة هي:

ضـاءت بنور إيَـابـك الأيّــامُ واعتزَّ تحت لوائك الإسـلامُ
أمَّـا الجميع ففي أعـمِّ مسرَّة لمَّا انجلى بظهورك الإظلامُ
بادرْتَ أجرك في الصيام مجاهداً مـا ضـاع عنـدك للثغـور ذمامُ
وصمدْتَ معتزماً وسعدُك منهضٌ نحـو العـدا ودليـلـك الإقـدام
كم صدمة لك فيهمُ مشهورةٍ غـصَّ العـراق بذكرهـا والشـامُ
في مارق فيه الأسنة والظُّبى بـرق ونقع العاديات غمامُ
والضرب قد صبغ النصول كأنَّما يجري على ماء الـحديد ضـرامُ
والطعن يبـعثـه النجـيـم كأنَّما ينشق عن زهر الشقيق كمامُ
فـاهـنـأ مـزيّـة ظـافـر متأيِّد جفّت برفعة شـأنـه الأقــلام
وإليك ودِّي واختصاصي سابق يجلوه من دُرِّ الكــلام نظـامُ
إنّي وإن خُلِّفت عنك فلم تزل مـنّـي إلـيـك تحيَّة وسـلامُ

وله يصف فحماً:

جعلوا القرى للقَرِّ فحماً حالكاً قـدح الـزنـاد به فـأورى نارا
فبدا دبيب السقط في جنباته كالبرق في جنح الظلام أنارا
ثـمّ انـبـرى لهباً وثـار كأنَّه في الحرق ذو حَرَقٍ يطالب ثارا
وكـأنـه لـيـل تـفـجَّـر فجره نَهراً فكان على المقام نهارا

وله وقد ودع بعض إخوانه:

أستودع الله من ودَّعته ويدي ... على فؤادي خوفاً من تصدُّعه
بدر من الودِّ حازته مغاربه ... فالنفس قد أشخصتْ طرْفاً لمطلعهِ
أتبعتُه بعد توديعي له نظراً ... إنسانه غَرِقٌ في بحر أدمعهِ
ما أوجع البَين في قلب الكريم غدا ... يفارق القلبَ في ثوبَيْ مودَّعه
يذيبه البين تعذيباً ويمنعه ... من أن يطير شعاعاً أسرُ أضلعه
يسطو به البين مغلوباً فليس سوى ... تململ في فراش من توجُّعهِ

وله يصف الزمان وأهله:

داءُ الزمان وأهلِه ... داء يعزُّ له العلاجُ
أطلعتُ في ظلمائه ... ودًّا كما سطع السراجُ
لصحابة أعيا ثِقَا ... في من قناتهمُ اعوجاجُ
أخلاقهم ماء صفا ... مرأى ومطعَمُهم أُجاجُ
كالدُّرِّ ما لم تَختبِر ... فإذا اختبرتَ فهم زجاجُ

وكتب إلى الفقيه القاضي أبي سعيد خلوف بن خلف ـ أعزه الله ـ من حضرة بلنسية، وقد نهض في صحبة الأمير الأجلِّ عبد الله بن مزدلي عند منهضه إلى سرقسطة ـ أعادها الله ـ ملبياً لمناديها، ومعبِّياً لمدافعة العدو المخيم بواديها، وأقام الفقيه أبو محمد خلاف العسكر هناك لغرض اعترضه، وعاق منهضه:

أستوهب الله الفقيه الأجلَّ قاضي الجماعة سيدي وعمادي شمول نعمه وأياديه، واتصال روائح عز الطاعة وغواديه، واتصال خواتم الأعمال بمباديه، والتئام عواجز السعد بهواديه، ولا زال منهلَّ سحابِ العدل، ممتد أطناب الظل، منحضر جوانب الفضل، لا يقرع باب أمل إلا ولجه، ولا يعنُّ لما تكره النفوس من أمر إلا فرجه، بعزة الله كتبته ـ أدام الله بالطاعة عزك ـ من حضرة بلنسية حرسها الله يوم كذا، عن منبر ودك الذي لا تخبو لدي

ناره، ولا تأفل عندي شموسه وأقماره، ونظيرِ عهدك الذي لا يخلع لبسة الكرم، ولا يزداد إلا طيباً على القدم، وعطر حمدك الذي به أحاور وأحاضر، وبمحاسنه أباهي وأفاخر، والله تعالى يملأ بمحامدك أسماعاً ويطلق ألسناً، ويبقيك للفضل غيثاً كريماً وأثراً حسناً، ويديم ما بيننا في ذاته زكي الفروع ثابت الأصول، حصين الشِّكة مرهف النصول، بمنه.

بعد أن ورد كتابك الكريم روضة الحزن غِبَّ المزن، وحديقةُ الزهر تبسمت لوفد المطر، تتجارى إلى محاسنه العين والنفس، ويترقرق من خلاله الأنس، وانتهيت منه إلى ما يقتضي رضى وتسليماً، ويسر كما سمي اللديغ سليماً، وأما ما ذهبت إليه ـ دام عزك ـ من تعرُّف الأنباء، واجتلاء الأنحاء، فإن ابن رذمير قد جعل بناء سَرَقُسْطة لكلكله عطناً، واتخذ ذلك الحريم وطناً، وذلك أنه ندب لهذه السفرة من أهل ملته ما ندب، وأجلب من خيلهم ورَجِلهم ما أجلب، وهو أن بمنازلته سرقسطة ستفتح عليها أبواب حروب، وأنه قد وطئ غيلاً غير مغلوب، فلما رأى أن حمامتها ليست بضربة لازب، وأبصر حبلها على الغارب، نبهت المطامع حرصه، ففعل فعل الضعيفة أصابت فرصة، فلازم ملازمة الغريم، وصرف إليها وجوه الهم والهموم، مع أن غراب الرحيل ينعب كل يوم في عرصاته ويُفصح، وطوائف الإفرنج ـ دمرهم الله ـ كل ليلة تمسي ولا تصبح، لأن نبتهم ونواهم نزوح، من دون أفواجهم مهامِهُ فِيْح.

وأيضاً فإن الأمير الأجلَّ أبا محمد عبد الله بن مزدلي ـ أيده الله ـ قد أضاق بضبط الطرق وقطع المتصرفين ذرعهم، وعجَّز بنصب حبائل الخيل لمن شد أوفر وسعهم، فإنه ـ دام أمره ـ أطل عليهم إطلال الفجر على الظلام، وأخذ هناك بضَبْع الإسلام، وأقام مرة كالحية النضناض، وطوراً كالأسد القضقاض، يسرِّب إلى محلتهم من يضرم نار الحرب في أكنافها، ويأتي أرضهم ينقصها من أطرافها، ولولاه ما علا هنالك للإسلام اسم، ولا عاد للمدافعة رسم، ولا لاح للمكافحة وسم، ولا عنَّ لتلك العلل المُجْهِزة على تلك الأقطار جسم، ولكنه ركب صعب الأهوال، وصدْقَ الصيال، وهي ـ أعزك الله ـ أقطار إن

لم تُقِم القوةُ منها ميلاً وجنفاً، ويَسْتعمِلِ الجدُّ لها نظراً أُنفاً، وإلا فعقدها بمدرج نثار، وهي في طريق انتكاث وعثار، والله يكفي المسلمين فيها، وينعم عليهم بتلافيها، بعزته، والسلام الجزيل عليك يا عمادي ورحمة الله وبركاته[١].

ثامناً: تلاميذه:

أَما تلاميذه، فهم صفوة من العلماءِ والشيوخ، ولقد انتفع بعلمه خلق كثير، وكان مَقْصداً يَفدُ إِليه الطلاب، ومن أَشهر تلاميذه:

الإمام أَبو القاسم عبد الرحمن بن حُبيش.

الإمام أَبو بكر محمد بن أَبي حمزة المُرْسي.

الإمام أَبو جعفر أحمد بن مضاءٍ اللَّخمي.

الإمام أَبو بكر محمد بن خير الإشبيلي.

الفيلسوف أَبو بكر بن طُفيل القيسي، صاحب رسالة (حي بن يقظان) المشهورة.

أبو محمد عبيد الله[٢].

وللحقيقة وحدها نقول: إِن ابن عطية كان نابغة بمقاييس النبوغ في عصره؛ لأَنه أَحاط بأكثر العلوم المعروفة في زمانه، وكان على جانب كبير من الثقافة وتنوع المعارف، وقد أَهَّلَهُ ذلك لسُمْعَة علمية ظلت باقية على الزمن، حتى وصلت إِلينا مع آثاره وعلى يد تلاميذه.

وهكذا كان ابن عطية عَلَماً في حياته، وعَلَماً بعد وفاته.

---

(١) انظر: هذه النصوص كلها في قلائد العقيان (ص: ٢٠٨)، وما بعدها، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٤)، وما بعدها.

(٢) انظر: تسمية بعض هؤلاء في الديباج المذهب (ص: ١٧٥).

تاسعاً: وفاته:

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة ابن عطية على ثلاثة أقوال:

القول الأول وهو أقواها: أنه توفي في الخامس والعشرين من رمضان سنة إِحدى وأَربعين وخمس مئة، قال أَبو حيان: هكذا ذكره القاضي ابن أَبي حمزة، وحكاه ابن الأبار عن ابن حميد، وابن عيَّاد، وصححه، إلا أنه أرخه بمنتصف رمضان[١].

والقول الثاني: أَنه توفي سنة (٥٤٢هـ)، صدر به في بغية الملتمس ومثله للزركلي، في كتابه الأَعلام[٢]، وحكاه ابن الأَبَّار عن ابن بَشْكُوال وابن خير.

والقول الثالث: أنه توفي سنة (٥٤٦هـ) حكاه الزركلي أيضاً بصيغة تمريض.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: مقدمة البحر المحيط، معجم الصدفي، وانظر هذا القول أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).

(٢) انظر: بغية الملتمس (ص: ٣٧٦)، الأعلام (٤/ ٥٣).

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب

وسنتعرض في هذا القسم للمحاور التالية:

نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته.

منهجه فيه ومصادره.

آراء العلماء فيه.

أثره في الكتب التي بعده.

ما كتب حوله.

طبعاته.

أولاً: نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته:

درج الباحثون والمحققون على التعرُّض لاسم الكتاب والتحقق من نسبته لمؤلفه، وهو أمر خلت منه الطبعات السابقة من هذا الكتاب، لذلك أردنا أن نتوقف عنده هنا قليلاً:

أما نسبة الكتاب للمؤلف فلم أجد من تعرض لها أصلاً، لأنها أمر مسلَّم، لم نجد من شكك فيه قديماً ولا حديثاً، وقد وجدنا اسم المؤلف مثبتاً على جميع طبعات الكتاب ونسخه الخطية، كما أن الكتب التي استمدت منه أو ألفت حوله حافلة بالنقل منه، ومطابقةُ ما نَقلتْ عنه لما في هذا الكتاب تفيد العلم اليقيني أنه هو.

ويوجد مفسر آخر اسمه عبد الله بن عطية، وهو متقدم على صاحبنا بمدة طويلة، وتفسيره غير متوفر، أشار له الشوكاني وعرفه بأنه ابن عطية (المتقدّم): عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب، أبو محمد، عالم بالتفسير، مقرئ، من أهل دمشق، كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن، له «تفسير ابن عطية» مخطوط ـ توفي سنة **٣٨٣**هـ[١].

وبعض الباحثين يصف هذا بالمتقدم ويصف عبد الحق بالمتأخر للتفريق بينهما[٢].

وأما تسمية الكتاب فمما لا شك فيه أن المصنف رحمه الله لم يضع لكتابه اسماً محدداً، وكذلك أكثر التفاسير التي استقت منه كالقرطبي وأبي حيان وابن جزي والثعالبي لم يسموه إلا: تفسير ابن عطية.

وقد أطلقت على الكتاب أربع تسميات متقاربة نتعرض لها فيما يلي حسب الأقدمية:

أولاً: «**الوجيز**» وهي التسمية الأقدم، وهي الموجودة في أكثر كتب التراجم، فقد ذكر ابن الخطيب أنه «ألّف كتابه المسمى بـ«الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع»[٣].

ويقول المالَقي: «ألف كتابه المسمى بـ«الوجيز في التفسير»؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف»[٤]، وهذه التسمية هي المثبتة على نسخة أحمد**٣**، وهي من أقدم النسخ، ومقابَلَةٌ على نسخة المؤلف.

ثانياً: «**المحرر الوجيز**» وهي التسمية الأكثر شهرة وتداولاً، وهي المعتمدة في جميع طبعات الكتاب، ومثبتة على غلاف نسخة جار الله، وفي نهاية النسخة المغربية (الأصل)، وقد وردت هذه التسمية في «طبقات المفسرين» للأدنه وي، وفي «كشف الظنون»، الذي يرى الدكتور عبد الوهاب فائد أنه أول من أطلق تلك التسمية عليه،

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢).

(٢) انظر مثلاً كشف الظنون (١/ ٤٣٩)، فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢).

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢).

(٤) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩)، وانظر: أيضاً الديباج لابن فرحون.

وأشار لذلك أيضاً ابن عاشور في كتابه «التفسير ورجاله»[١].

ثالثاً: «**الجامع المحرر الوجيز**»، وهي التسمية المثبتة على الجزءين الأولين من مخطوطة فيض الله، وهما أعتق النسخ التي عندنا، وكذا السليمانية.

وهذه التسميات الثلاث مأخوذة من قول المصنف في مقدمته: «وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً»، وإن كانت لفظة محرراً سقطت من المطبوع.

رابعا: «**الجامع المحرر الصحيح الوجيز**»، وهي التسمية التي أطلق عليه رضا كحالة في «معجم المؤلفين»[٢]، وقد نقلها عنه الأستاذ محمد محمود عطية بلفظ: «المحرر الصحيح الوجيز» واستغربها، فلعله لم ينتبه لكلمة «الجامع»، ولو كان نقلها عن غيره لكانت تسمية خامسة.

والخلاصة أن هذه التسميات متقاربة جدّاً وأن الخطب فيها سهل ما دامت لم يؤْثَر منها شيء عن المؤلف، وأن التسمية الأُولى كانت هي الأَولى، لولا أن الثانية أصبحت عَلماً عليه، ولو بمجرد الشهرة والغلبة.

ثانياً: منهج المؤلف فيه ومصادره:

هذا التفسير الذي نعتز بتقديمه اليوم إِلى الباحثين والدارسين والراغبين في المعرفة من أَبناءِ الناطقين بالضاد تفسير عظيم القدر جليل المنزلة.

ولقد ظل حبيساً في مخطوطاته قرابة أَلف عام إِلا قليلاً، وظل الناس يتشوقون إِليه بعد أَن عرفوه من خلال دراساتهم لكتب التفسير المختلفة، حتى شاءَ الله أَن تجتمع الهمم وأَن تتضافر الجهود ليخرج إِلى الوجود في هذا الثوب الرائع المشرق إِن شاءَ الله.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للأَدْنه وي (ص: ١٧٦)، كشف الظنون (١/ ٤٣٩)، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٣)، التفسير ورجاله لابن عاشور (ص: ٦٣-٦٤).

(٢) معجم المؤلفين (٥/ ٩٣).

والحديث عن التفسير والمفسرين حديث طويل، يمكن فيه أَن نتتبع مناهج البحث وطرق العرض والتأْويل عند الكثيرين، لكن هذا يخرج بنا عن الغاية التي قصدنا إِليها في هذا التعريف، فنحن نريد أَن نوضح المنهج الذي وضعه ابن عطية لنفسه حين وجهها لهذا العمل الجليل، ونريد أَن نبين مدى التزامه بهذا المنهج طوال عمله الذي استغرق منه صفوة عمره كما يقول، وبعد ذلك نتحدث عن منزلة هذا التفسير وقيمته في مجال خدمة القرآن، وآراءِ العلماءِ والباحثين فيه، وما كان له من أَثر في المفسرين وأَصحاب علوم القرآن من بعده.

والحقيقة أَن ابن عطية قد وضع لنفسه منذ البداية منهجاً كاملاً، ورسم لها طريقاً واضح المعالم، وحاول دائماً أَن يكون ملتزماً، وأَن يسير في حدود هذا الطريق، ولم يخرج ـ فيما رأَينا ـ عن منهجه إِلا في مواقف نادرة، وهي ـ لندرتها ـ لا تعتبر إِخلالاً منه بمنهجه، ولكنها طبيعة البحث الذي يمتد مع صاحبه سنوات طويلة، تتغير فيها الظروف والملابسات، وربما حمل الباحث على الخروج بعض الشيءِ عن الخطوط التي رسمها لنفسه، وهذا أَمر مقبول في عصرٍ كان البحث العلمي فيه يعتمد على مجرد جهد فردي، وذاكرة واعية، وحافظة لاقطة، وكان التدوين يستند إِلى قدرة فردية ناضجة، ولكنها مهما كانت ليست كافية لتحديد المعالم، والتزام المنهج.

ونحن اليوم نعتمد على أُصول ومدونات ومخطوطات مصورة، وموسوعات إلكترونية، ومواقع علمية، ومراجع لا حصر لها، وأَشرطة وأَفلام مسجلة، نعتمد على ذلك وعلى أَكثر منه عند القيام بالبحوث العلمية، ويضاف إِليه تعاون ومشاركة بين كثير من الجهود، ومع ذلك يَنِدُّ بنا القلم أَحياناً أَو يضل، ويعزب عن الفكر ما هو في حاجة إِليه من التدقيق، فما بالنا بهؤلاءِ العلماءِ الذين اعتمدوا على أَنفسهم، وعلى بعض مخطوطات من الكتب القليلة؟ الحق أَن جهودهم تستحق كل تقدير وإِعجاب.

وميزة ابن عطية لا تقف عند وضع منهج كامل أَو تخطيط دقيق لعمله عندما أَقبل على تفسير القرآن الكريم، بل ميزته في أَنه إِلى جانب ذلك كان رائداً في هذا المجال،

رسم للمفسرين من بعده طريقة مثلى، ووضع لهم خطة منهجية دقيقة، وجعل من التفسير عِلْماً يستند إِلى قواعد ومبادئ قائمة على الدقة والاستقصاءِ والترتيب وحسن العرض[١].

أسس المنهج:

ونحن لا نتكلف حين نحاول توضيح منهج ابن عطية في تفسيره؛ لأَن الرجل حدثنا بنفسه عن منهجه هذا في مقدمة تفسيره، وهذه هي أَهم الخطوط والأُسس التي رأَينا أَن نشير إِليها في هذا المجال:

أولاً: بدأَ بالاستعداد لهذا العمل الكبير، فهو يرى أَنه يجب على كل من يريد أن يدخل ميدان التفسير أَن يأْخذ من العلوم كلها، وأَن يُعد نفسه إِعداداً علميّاً كاملاً، حتى يكون أَهلاً لهذه المهمة الجليلة، لأَنها فوق طاقة الإِنسان العادي، يقول: «إِني لما رأَيت العلوم فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإِذا هي أَودية، وفي كلٍّ للسلف مقاماتٌ حسان وأَندية، رأَيت أَن الوجه لمن تشزَّن للتحصيل وعزم على الوصول أَن يأْخذ من كل علم طرفاً خياراً»، ثم يقول: إِنه حرم نفسه النوم والراحة، حتى يرتقي هذا النجد، ويبلغ هذا المجد، ثم جرى في هذا المضمار حتى تصبب عرقاً، وحاز من العلوم ما قسم له.

فقضيته الأُولى هي كثرة المعارف، ولهذا توزع الناس فنال كل واحد نصيباً، وعلى الباحث أَن يأْخذ من كل طرف بمقدار، وقد أَنفق هو صدر عمره في ذلك حتى وصل إِلى ما يريد، وكانت هذه هي الخطوة الأُولى.

أَما خطوته الثانية فكانت اختيار علم واحد من علوم الشرع، يستنفد فيه كل طاقاته، ويُحَصِّل فيه كل ما يستطيع، حتى يضبط أُصوله، ويُحكم فصوله، ويلخص ما هو منه أَو يَؤول إِليه، ويفي بدفع الاعتراضات عليه، وحتى يكون لأَهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون فيه إِلى أَقواله، ويحتذون على مثاله.

---

(١) من مقدمة الطبعة الثانية.

وقد رأَى أَن يختار علم كتاب الله، لأَنه «هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً، وهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير».

وهكذا، استعد ابن عطية لعمله، وتزود من العلوم كلها بزاد، ثم تفرغ لعلم واحد منها هو تفسير كتاب الله، وتفرغ له طول عمره، قائلاً: «فثنيتُ إِليه عنان النظر، وأَقطعتُه جانب الفِكَر، وجعلتُه فائدة العمر».

لكنه حين مضى في الشوط طويلاً، رأَى أَن ما فيه من معارف ونكت وفوائد تغلب قوة حفظه، وأَنه عاجز عن أَن يحتفظ بها في ذهنه، ففرغ إِلى كتابة ما يصطفيه من الآراءِ ويختاره[1].

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أنه اعتمد على كثير من المصادر في أهم العلوم التي رأى أَن تكون موضع اهتمامه وعنايته في تفسيره، ومنها:

تفسير الإِمام أَبي جعفر محمد بن جرير الطبري المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن.

تفسير أَبي بكر محمد بن الحسن النقاش المسمى: شفاء الصدور.

تفسير أَبي العباس أَحمد بن عمار المهدوي المسمى: بالتحصيل.

تفسير أَبي محمد مكي بن أَبي طالب، وهو المسمى بالهداية.

ومن كتب القراءات:

السبعة لابن مجاهد.

كتاب أبي حاتم وهو ما زال مفقوداً.

كتاب أَبي عمرو الداني في الشواذ، ولعله المسمى بالمحتوى وهو ما زال مفقوداً.

كتاب الحجة لأَبي علي الفارسي.

كتاب المحتسب لأبي الفتح بن جني.

(١) من مقدمة الطبعة الثانية.

ومن كتب اللغة والنحو: مؤلفات الخليل بن أَحمد، وسيبويه، وأَبي عبيدة معمر بن المثنى، وأَبي علي الفارسي، والفراءِ، والزجاج، والمبرد، وثعلب، والنحاس، وأبي الفرج الأصفهاني، والجاحظ، وابن السكيت، وابن فارس، وابن سيده.

وإِلى جانب ذلك اعتمد على كتب كثيرة في الحديث، مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، ومصنف عبد الرزاق ومسند عبد ابن حميد وغيرهم.

وفي الفقه: اعتمد على الموطأ للإِمام مالك بن أَنس، وعلى غيره من كتب فقه المالكية، كالمدونة، والعتبية، والمختصر لابن عبد الحكم، والواضحة لابن حبيب، والتفريع لابن الجلَّاب، وبعض كتب الخلاف العالي كمؤلفات ابن المنذر وابن عبد البر، وكتاب اللطيف للطبري.

وفي التوحيد: رجع إِلى كتب القاضي أَبي بكر الباقلاني، وكتب الأَشعري والجويني.

وهكذا رجع ابن عطية في كل علم إِلى أَهم مصادره الأَصيلة، على أَن اعتماده على هذه الكتب لم يكن اعتماد الناقل فقط، وإِنما كان يذكر آراءَ المؤلفين والعلماءِ، وينسب الرأْي لصاحبه في أَكثر الأَحيان، وقد يذكر الرأْي ولا ينسبه في بعض الأَحيان، ثم يناقش الآراءَ إِذا لم يكن موافقاً عليها، ويُثْبِتُ ما يراه فيها من قوة وصحة، أَو من ضعف وشذوذ. فشخصيته واضحة في كل ما نقله أَو علق عليه.

ثانياً: الأَساس الثاني في منهج ابن عطية، أَنه جعل من تفسيره كتاباً «جامعاً لكل العلوم» وقد أَراد بهذا أَن يجعل التفسير في المقام الأَول بين علوم العربية، فهو ليس علماً مثل غيره، بل هو قمتها، وفيه كل ما فيها.

ففيه ـ إِلى جانب المعاني ـ اللغةُ والنحو، والقراءَات والفقه، والأَحاديث وعلم الكلام، وكأَنما كان يهدف إِلى «التفسير الجامع»، مع الدقة والتركيز، فإِذا كان بعض

المفسرين قد اهتموا باللغة، وبعضهم قد اهتم بالأَحكام، وبعض ثالث قد أَكثر من مسائل الفلسفة وعلوم الكلام، إِلى غير هذا من الاتجاهات؛ فإِن ابن عطية قد جمع كل ذلك في تفسيره.

ولقد تنبه لهذه الحقيقة صاحب كشف الظنون حين تحدث عن المفسرين قبل ابن عطية فقال: ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم، ومنهم من ملأَ كتابه بما غلب عليه طبعه من الفن، ويضرب الأَمثلة لذلك حين يقول:

فالنحوي تراه ليس له إلا الإعراب، وتكثير الأَوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة، وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، كالزجَّاج والواحدي في البسيط، وأَبي حيان في البحر والنهر.

والإخباري ليس له شغل إلا القصص، والإخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أَو باطلة.

والفقيه يكاد يسرد الفقه جميعاً، وربما استطرد إلى إقامة أَدلة الفروع الفقهية التي لا تَعَلُّق لها بالآية أَصلاً، والجواب عن الأَدلة للمخالفين كالقرطبي.

وصاحب العلوم العقلية ـ خصوصاً الإمام الرازي ـ قد ملأَ تفسيره بأَقوال الحكماء والفلاسفة[1].

وهو ينتقد هؤلاء جميعاً، قائلاً: كأَن القرآن أُنزل لأَجل هذا العلم لا غير، مع أَن فيه تبيان كل شيء.

ولم يكن صاحب كشف الظنون وحده هو الذي تنبه إلى ذلك في أَساليب المفسرين، لكنه كان أوضح من غيره في ذكر ما أَراد، وهذه الحقيقة يراها كل من له صلة بعلم التفسير.

وفضلاً عما ذكره من أَن في القرآن تبيان كل شيءٍ، فإن الباحث عن تأْويل آية

---

(١) كشف الظنون (١/ ٢٢٨).

يحتاج إلى أَن يرجع إلى أَكثر من تفسير حتى يستطيع أَن يعرف الحقائق كلها من قراءَات ولغة وحكم وفقه... إلخ.

من هذا تتضح لنا القيمة الكبرى لمنهج ابن عطية، الذي جمع في تفسيره كل شيءٍ، دون أَن يطغى جانب على جانب، ودون أَن يُطيل إطالة مملة، وبهذا أَجاد وأَفاد.

ثالثاً: رأى ابن عطية أَن يسقط القصص التي ملأَت كتب المفسرين قبله. وهذه نقطة جديرة بالنظر والتقدير، فلقد امتلأَت كتب التفسير بأَقاصيص لا سند لها، ولا داعي إليها؛ لأَن فهم الآيات لا يتوقف عليها. والقضية هنا قضية كبيرة، هي قضية الإسرائيليات التي تعتمد على الأَساطير المتناقضة والخرافات الزائفة، والتي تسربت إلى كتب التفسير لأَسباب شتى، ليس هنا مجال الحديث عنها.

وابن عطية صاحب فضل كبير في هذه القضية؛ لأَنه أعرض عن ذكر أكثر هذه القصص، بل لقد عاب على المفسرين قبله عنايتهم بها، وبخاصة ابن جرير الطبري، وإذا ذكر ابن عطية واحدة من هذه القصص فإنه يرويها بصيغة التضعيف، أَو يقول: ومن قصص هذه الآيات. وقد يُظهر ما فيها من زيف، وهو عادة لا يذكرها إلا عند الضرورة، إذ قد تحتاج الآية إليها في نظره، وكثيراً ما تراه يقول: «وهناك قصص أُخرى أَعرضتُ عن ذكرها لضعفها»، وقد وَضَّحَ هو مذهبه في هذا فقال: «وأذكر من القصص ما لا تَنْفَكُّ الآية إلا به»، والأَمثلة على ذلك كثيرة ستجدها في التفسير متكررة بصورة تدل على نفور الرجل من الإسرائيليات في وقت كانت فيه مسيطرة على فكر المفسرين.

وقد عرف العلماءُ لابن عطية هذا الفضل وقدروه حق قدره، وأَولهم العلامة ابن خلدون، قال في نهاية حديث له عن الإسرائيليات: «وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها ـ كما قلناه ـ عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتُلُقيت بالقبول،

فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاءَ أَبو محمد بن عطية من المتأَخرين بالمغرب، فلخَّص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أَقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب مُتَداول بين أَهل المغرب والأَندلس، حسن المنحى»[١].

فابن عطية ـ بهذا ـ باحث علمي بمعنى الكلمة، يحقق ويدقق، ويختار صحيح الروايات، ويترك ضعيف الأَسانيد البعيدة عن العقل والدين، وعمله في زمنه عمل جدير بكل الإعجاب والتقدير.

رابعاً: يتَّصل بما سبق من ميله إلى الدقة والتحقيق أَنه كان يقف من آراءِ العلماء في المعاني موقف الناقد، فهو لا يثبت من أَقوالهم هذه إلا ما نُسب إليهم على الأُصول التي تَلَقَّى بها السلف الصالح كتاب الله تعالى، وهي أَصول بريئة من إلحاد أَهل القول بالرموز، نقية من كلام أَهل القول بعلم الباطن، قال: «وأَثبتُّ أَقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تَلَقَّى السلف الصالح ـ رضوانُ الله عليهم ـ كتاب الله تعالى من مقاصده العربية، السليمة من إلحاد أَهل القول بالرموز واللغز، وأَهل القول بعلم الباطن، وغيرهم، فمتى وقع لأَحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيءٍ من أَغراض الملحدين، نَبَّهتُ عليه».

وهذا خير ما يمكن أَن يَصْنعه باحث في كتابه، بل هو من أَهم صور التحقيق والتمحيص العلمي، وكم رأَينا علماءَ أَجلاءَ يُفسرون كتاب الله، ولا يتورعون عن نقل كل كلام يعرض لهم دون تمحيص أَو تحقيق، أَما ابن عطية، فمبدؤه الأَول أَن ينقل الآراءَ ـ حين ينقل ـ منسوبة إلى العلماء على الأصول السليمة، إيماناً منه بأَن كتاب الله لا بد أَن يبقى في معانيه صافياً نقيّاً.

ويزيد من دقته وأَمانته حين يقول: إِنه إذا وقع له رأي منسوب إلى واحد من العلماء الذين يُحسن الظنَّ بهم، أَو ثبتت ثقته بهم، وليس عليهم مطعن في عقيدة،

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٥).

وكان في هذا الرأْي شيءٌ من أَغراض الملحدين، ذكره ونَبَّه عليه، فهي الأَمانة العلمية الكاملة، وضعها ابن عطية هدفاً ثابتاً له، والتزمه في تفسيره.

إننا حين نريد أَن نعرف رأْي ابن عطية في إخراج أَلفاظ القرآن عن ظاهرها، والالتجاء إلى الرموز والمعنى الباطني؛ يحسن أَن نرجع إلى عبارته، لنراه يصف هذا العمل بأَنه إلحاد، والقرآن عنده كتاب بيان واضح، فليس فيه رموز ولا باطن، الأَلفاظ فيه على المعنى الظاهر، إذ الهدى والإِرشاد لا يُبْنَيَانِ على إلغاز وإبهام، وإنما لجأ إلى هذا من يقصدون إلى أهداف بعيدة قد تضر بالدين، بل هي في الحقيقة تعمل على هدم العقيدة الإِسلامية التي امتازت بما فيها من وضوح وصدق، والتقاءٍ مع الفطرة، ويكفي أَن من أسماءِ القرآن الكريم «الفرقان» لأَنه يفرق بين الحق والباطل، وهذه التفرقة لا تأْتي مع اللبس والإلغاز والإبهام.

خامساً: ثم يأْتي الأَساس الذي يُعد صُلب المنهج وجوهره، وقد حدده في قوله: وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة أَلفاظ الآية، من: حكم، أَو نحو، أَو لغة، أَو معنى، أَو قراءة.

وفي هذا الأَساس عدة نقاط تحتاج إلى توضيح وبيان:

١ ـ إنه عندما يتعرض لتفسير آيات الكتاب الكريم، يذكر كل ما يتعلق بالألفاظ على حسب ترتيبها، ولا ينتقل من أَمر إلى غيره إلا بعد أن يستقصي ما فيه من آراءٍ، ويذكر رأْيه إِن شاءَ، فهو حريص كل الحرص على أَن يسير مع الألفاظ بالترتيب الذي وردت به في الآيات، حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين الذين لا يتتبعون الأَلفاظ، بل يتنقلون بينها بدون ترتيب، فإن هذا في نظره: «مُفَرِّق للنظر، مُشَعِّبٌ للفِكر».

٢ ـ ومن هذا يتضح أَنه كان صاحب قدرة على التنظيم والتنسيق وحسن العرض، فهو لا يخلط بين نقاط البحث، بل تراه ينشط للقول في المعنى، حتى إذا انتهى مما يريد، ووفَّى النقطة حقها من البحث، انتقل إلى الإعراب، فإذا ما فرغ منه تكلم عن

القراءَات، ولا نقول: إنه يلتزم الترتيب الذي ذكرناه، بل نقول: إنه كان يراعي الترتيب والتنسيق، فلا تجد في كلامه اضطراباً، بل هو النظام، وحسن العرض، وتوفية كل نقطة حقها قبل الانتقال إلى غيرها، مما نراه نادراً في كلام المؤلفين في عصره.

٣ ـ قلنا: إنه جمع بين مختلف الفنون والعلوم، ولكنه ميَّز بين هذه العلوم، فلم يعطها قدراً واحداً من العناية، بل نراه قد عُني بالنحو واللغة أَشد العناية، وأَصبح تفسيره بهذا حجة في هذا الميدان. والحق أَن أَهم الأَركان التي يجب أَن تنال عناية المفسرين هي اللغة العربية بما فيها من إعراب للكلمات، وبيان لمواقعها، وتوضيح للاتصال بينها، وتصريف للمشتقات منها، وكل من قصد إلى تفسير القرآن بغير هذا السلاح، فهو بعيد عن التحقيق والدقة والفهم السليم.

ولهذا ترى ابن عطية يخصص في مقدمته باباً عنوانه: «باب في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه»، وقال في هذا الباب: «إعراب القرآن أَصل في الشريعة، لأَن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع»، وهو يؤكد أَن الإعراب هو الفهم الدقيق، ويَرْوي في ذلك الأَحاديث والآثار، ومن ذلك ما رواه من قوله ﷺ: «أَعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه، فإن الله يحب أَن يُعرب»[1]، وابن عطية يرى أَن الصلة وثيقة بين الفهم للقرآن، وبين الإدراك الصحيح لأَشعار العرب، ولهذا يروي كثيراً جدّاً من الشواهد العربية ليدلل بها على فهمه للمعاني، وعلى إعرابه للمفردات، وعلى بيان ما يرى من اشتقاق وتصريف، ويَروي عن ابن عباس أَن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: أَيُّ علم القرآن أفضل؟ فقال النبي عليه السلام: «عربيته، فالتمسوها في الشعر».

وقد أجاد ابن عطية في هذا الميدان، ودلل على باع طويل في العربية، وأَمامك التفسير وستجد فيه من العناية بالنحو ووجوه الإعراب ما يؤكد كلامنا.

---

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث والحديث الذي بعده في موضعهما من الكتاب إن شاء الله مع بيان ما فيهما من ضعف واختلاف في الروايات.

غير أننا نلاحظ هنا أنه دائماً يُفَضلُ آراءَ سيبويه، فتراه بعد أَن يعرض الآراءَ يقول: «والصحيح قول سيبويه»[١].

٤ ـ والنقطة الرابعة: أَنه يهتم جدّاً بذكر القراءات، ويورد منها الصحيح والشاذ، وقد كان ابن عطية واضحاً جدّاً في هذا المجال حين قال في مقدمته: «وقصدت إيراد جميع القراءات، مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني، وجميع محتملات الأَلفاظ».

فهو يذكر القراءَات الصحيحة، ويذكر القراءَات الشاذة، لكنه دائماً ينبه على شذوذها، ولقد زاد من توضيح الأَمر حين بَيَّنَ الفرق بين القراءَة الصحيحة والقراءَة الشاذة بقوله: «ومضت الأَعصار والأَمصار على قراءَة السبعة، وبها يُصَلَّى، لأَنها ثبتت بالإجماع، وأَما شاذُّ القراءَات فلا يُصلَّى به، لأَنه لم يُجْمِع الناس عليه».

فالفرق عنده هو الإجماع وعدمه.

ثم يبين لنا السبب في روايته للقراءَة الشاذة فيقول: وإنما أَذكره في هذا الكتاب لئلا يُجْهَل.

والمهم أَنه لم يقف عند حدود الإِشارة إلى القراءَة الشاذة أَو تضعيفها، بل نراه في كثير من الأَحيان يعلل وينقد، ويستند في رده لها إلى قواعد اللغة، أَو قواعد النحو، غير مُكْتَفٍ بعدم الإجماع، والأَمثلة على ذلك كثيرة، وستراها في الكتاب، فلا حاجة إلى التمثيل هنا.

٥ ـ النقطة الخامسة هي مذهبه الفقهي، وابن عطية كان مالكي المذهب، ولكنه كان غير متعصب لمذهبه، بل كان يتحرى الحقيقة، ويخضع للدليل عند ذكر الأَحكام الفقهية، وهو يتعرض لذكر الخلاف القائم بين أَئمة المذاهب في المسأَلة، ويذكر أَحياناً آراءَ أَبي حنيفة والشافعي، ويَردُّ الرأْي الذي لا يرتضي حجته، أَو لا يقبل دليله، وبخاصة

---

(١) انظر تفسير الآية (١٠٠) من سورة البقرة.

مذهب داود الظاهري الذي ساد في الأَندلس فترة من الزمن، ومع هذا فابن عطية لا يُكثر من ذكر الأحكام الفقهية، ولا يناقشها إلا في مواقف قليلة.

٦ ـ الأساس السادس في منهج ابن عطية هو وضوح شخصيته في تفسيره، ولقد كان له أثر بارز، وله رأيه الذي يثبته بوضوح وقوة.

نعم هو ينقل آراءَ السابقين، ويعتمد على المأْثور في التفسير، وأَول الآثار التي ينقلها هي: الأَحاديث النبوية، ثم أقوال الصحابة والتابعين، وكبار العلماء المعروفين، كعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، وأَبي العالية، والسدّي، والحسن بن أَبي الحسن، ومجاهد بن جبر، وغيرهم، لكنه لا يذكر الأَسانيد، قصداً إلى عدم الإطالة، تحقيقاً لمبدئه في «محرره الوجيز»، وإذا كثرت الآراءُ اختار ورجَّح.

وكان دائماً يقف عند الأَحاديث وكلِّ ما يُنقَل عن الرسول ﷺ، فلا يأْخذ برأي مع قول رسول ﷺ، وهناك عبارة تكررت منه كثيراً لا بد من التنبيه عليها، وهي أنه «لا نظر مع الحديث»، فنجده مثلاً بعد تفسيره للبيت العتيق بأنه القديم، وأن هذا ما يعضده النظر، يورد «عن ابن الزبير أنه قال: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى أَعتقه من الجبابرة بمنعه إِياه منهم، وأنه روى في هذا حديثاً عن النبي ﷺ، «ولا نظر مع الحديث»[1]، ويقول عند ذكر القولين في أول مسجد أسس على التقوى: «ويليق القول الأول بالقصة، إلا أن القول الثاني روي عن رسول الله ﷺ، ولا نظر مع الحديث»[2].

ويظهر أنه كان ينقل هذه الأَحاديث الشريفة عن كتب التفسير السابقة، ولهذا نراه في بعض المواقف ينقل أَحاديث ضعيفة، أَو موضوعة، دون تحقيق منه أَو تعليق عليها.

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٩) من سورة الحج.

(٢) انظر تفسير الآية (١٠٨) من سورة التوبة.

لكن هذا كله لم يقلل من دوره في الكتاب، فهو واضح الشخصية كما قلنا، وهو يبدي رأْيه في كثير من المواقف معتمداً على جهده: «كل ذلك بحسب جهدي، وما انتهى إليه علمي»، وجهده وعلمه في الاختيار أَو الترجيح أَو التوفيق بين الآراءِ المختلفة، يظهران في اعتماده على اللغة، أَو المنطق والعقل، أَو الأَحاديث النبوية كما قلنا.

ثم يظهر علمه وجهده في الرأْي الجديد الذي يخرج به مخالفاً للمفسرين قبله، وأَكثر آرائه الجديدة لها وجاهتها ودقتها ووقعها في النفوس والعقول، وسترى ذلك في مواضع كثيرة من هذا التفسير العظيم.

وابن عطية يميل إلى تضييق مجال المجاز في القرآن، ويحرص على التزام الحقيقة، وكل لفظة يمكن حملها على الحقيقة لا داعي عنده إلى إخراجها عن ذلك إلى ميدان التجوُّز.

كذلك نلاحظ أَنه قليل الميل إلى سرد آراءِ الفلاسفة والحكماءِ، وإنما يأْخذ منها بطرف، وعندما ينقل عن علماء الكلام فإنه يكون واضحاً محدداً، لا ينقل الآراءَ بأسلوب يخل بجوهرها، بل يحرص على الاحتفاظ بالصورة الأَصلية للرأْي، ويقدمها في دقة.

وكان واضح الالتزام بمذهب أَهل السنة، لكنه ـ في بعض الأَحيان ـ كان يذكر رأْي غيرهم، أَو على الأَقل يضع الرأْي المخالف موضع التقدير، ولقد قيل عنه: إنه يميل إلى المعتزلة، ويأْخذ بآرائهم، وهذا قول مردود، ناقشناه في موضعه من هذا التقديم، وبينَّا رأْينا فيه.

٧ ـ لعله من الملائم هنا أَن نثبت حقيقة وضحت لنا في أَثناء عملنا بهذا التفسير، وهي أَن ابن عطية عندما يتعرض لنقطة لا يتركها حتى يوفيها حقها من البحث والاستقصاء، ومهما كان البحث الذي يتعرض له فهو دائماً عالم مطَّلع ملمٌّ بالآراءِ المختلفة.

وكان كلما ذكر نحواً من هذه الأَنحاء استشهد عليه من كتاب الله تعالى، ومن كلام الرسول ﷺ، ومن أَشعار العرب وآثارهم، وكثيراً ما ساق على المعنى الواحد أكثر من شاهد، وعلَّق على الشواهد، وأَبان عن موضع الاستشهاد، وكثيراً ما ينسب الأَشعار والآثار لأَصحابها، مع حرص على التنسيق والتتابع.

وبعد ذلك كله تراه يختار المعنى المناسب، ويدلل على اختياره، فهو يذكر احتمالات اللفظ في اللغة، ويدلل على كل احتمال، ويستشهد له في استقصاء يدل على تبحر في العلم، وعلى اطلاع واسع، حتى لربما ظن بعض القارئين لتفسيره أَنه يحاول أَن يثبت قدراته في مجالات العلوم المختلفة، فهو نوع من استعراض العضلات، إن صح هذا التعبير عن رجل يتعرض لعمل عظيم هو تفسير كتاب الله تعالى.

غير أَن الإنصاف يقتضي أَن ننفي هذا الظن، وأَن نقول: إن الرجل يعطي القارئ فوائد في العلوم المختلفة، وإن الطريق لم يضل به أبداً.

لقد كان ابن عطية دائماً مفهوماً، محدد الخطوات، واضح العبارات، جامعاً كل قول إلى رفيقه، فاصلاً بين الآراءِ بما يوضح حدود كل رأْي، وحسبك منه هذا إلى جانب علمه، لتعترف له بما هو جدير به من العلم والدقة والتنسيق والاستقصاء في البحث.

وابن عطية يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن، أَو على الأَقل يختار الرأْي الذي يؤيده القرآن، فيدلل على اختياره بكتاب الله تعالى، ويَقرن الدليل بالدليل، ويُتْبع الحجة بحجة أخرى. ولذلك أمثلة كثيرة تتضح في مواضعها.

٨ ـ ومما يذكر لابن عطية أَنه كان يفسر آيات الجهاد تفسير البطل الذي خبر الحروب وذاق قسوة المعارك، وقد عرفنا من حياته أَنه واحد من العلماء المجاهدين، جمع بين فضيلتي الجهاد بالقلم، والجهاد بالسيف في الميدان[١].

---

(١) تم تلخيص هذا الفصل من مقدمة الطبعة الثانية، مع تعديلات بسيطة وذكر المصادر.

ثالثاً: آراء العلماء فيه:

يرى كثير من العلماء أَن تفسير ابن عطية فريد بين التفاسير المختلفة، فلذلك أَقروا بفضله، واعترفوا بعلمه، مع أن هؤلاء العلماء يمثلون مذاهب مختلفة، وعقليات متباينة، والحق دائماً واضح منير.

وهذه بعض الآراء ننقلها لك عن أصحابها حتى تتأكد من صحة ما ذهبنا إليه:

فقد أَثنى عليه أبو حيان وقال: «هو أَجلُّ مَن صنف في علم التفسير، وأَفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير»، ثم قارن بينه وبين الكشاف للزمخشري فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل وأَجمع وأَخلص، وكتاب الزمخشري أَلخص وأَغوص»[١].

ومن العجيب أَنك حين ترجع إلى تفسير أبي حيان تجده دائماً يتتبع أقوال ابن عطية في الإعراب واللغة، ويعلق عليها بالنقد، لكنه ـ مع ذلك ـ لم يقل إلا الحق الذي يمليه عليه ضميره، والذي حمله على استخدام كلمتي: «أَجلُّ ـ وأَفضل».

وقال صاحب بغية الملتمس بعد أن ذكر اسمه ونسبه: «أَلَّفَ في التفسير كتاباً ضخماً، أربى فيه على كل متقدم، أخبرني به عنه شيخي القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد، قرأ عليه جميعه بالمَرِيَّة»[٢].

وقال ابن خلدون في مقدمته: «وجاء أبو محمد عبد الحق بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأَندلس، حسن المنحى»[٣].

ويعقد ابن تَيْمية رحمه الله مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري في فتاويه

---

(١) مقدمة تفسير البحر المحيط.

(٢) بغية الملتمس (ص: ٣٧٦).

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٥).

فيقول: «وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأَصح نقلاً، وبحثاً، وأَبعد عن البدع، وإِن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أَرجح هذه التفاسير»[١].

ويقول عنه السيوطي: «وألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها»[٢].

ويقول المالقي: «ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف، ذكره الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتابه، وأثنى عليه»[٣].

ويقول ابن فرحون: «ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير وأحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار»[٤].

ويقول ابن شاكر: «ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى»[٥].

ويقول ابن جزيٍّ: «أما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السنة»[٦].

ويقول الدكتور الذهبي: «والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتى طار صيته كل مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العربية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة، ومع هذه الشهرة الواسعة لهذا الكتاب فإنه لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، ويوجد منه في دار الكتب المصرية أربعة أجزاء فقط: الجزء الثالث، والخامس، والثامن، والعاشر. وقد رجعتُ إلى هذه الأجزاء

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٩٤).
(٢) بغية الوعاة (٢/ ٧٣).
(٣) تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٠٩).
(٤) الديباج المذهب (ص: ١٧٥).
(٥) فوات الوفيات (٢/ ٢٥٦).
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٠).

وقرأتُ منها ما شاء الله أن أقرأ، فوجدتُ المؤلف يذكر الآية ثم يفسِّرها بعبارة عذبة سهلة، ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً، ويناقش المنقول عنه أحياناً، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه. وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، مَعْنِيٌّ بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يُوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كما أنه يتعرض كثيراً للقراءات ويُنزل عليها المعاني المختلفة»[١].

رابعاً: أثره في الكتب التي بعده.

تأَثر بتفسير ابن عطية الكثير من العلماء، وانطلقوا منه كمصدر لهم بين مختصِر ومعتمد عليه، ومقارن بينه وبين غيره، نذكر منهم:

أ ـ أَبو عبد الله محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ). فقد ظهر تأَثره بابن عطية واضحاً في كتابه: الجامع لأَحكام القرآن، فالمتتبع لهذا التفسير الجليل يرى أَنه يكاد يسير في خط ابن عطية، بمعنى أَنه التزم نفس المنهج الذي وضع أُسسه ابن عطية، بل قد ينقل عبارة ابن عطية بلفظها.

قال الإمام ابن خلدون رحمه الله في المقدمة: وقد تتبع القرطبي في تفسيره ابن عطية، وسار على منهجه وطريقته.

والقرطبي نفسه يضع لنفسه خطوطاً في مقدمة تفسيره ترينا أَنه سلك طريق ابن عطية، ولم نجد اختلافاً بين الرجلين إلا في عناية القرطبي بتخريج الأَحاديث النبوية، وتفصيل الأحكام الفقهية، لكنه إلى جانب هذه الميزة أَكثر من الإسرائيليات على عكس ابن عطية.

ب ـ أَبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) فقد تأثر كثيراً

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٧٢).

بابن عطية في تفسيره المسمى البحر المحيط، وأَبو حيان يعترف في مقدمة تفسيره بأَنه اعتمد على إمامين كبيرين من أَئمة التفسير، هما الزمخشري وابن عطية، وقال عنهما: «إنهما أَجل من صنف في علم التفسير، وأَفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير». والمنهج الذي سلكه أبو حيان يكاد يشابه منهج ابن عطية، ولكنه عني عناية كبيرة بنقل آراءِ ابن عطية والتعقيب عليها، فلا تكاد تمر مسأَلة في اللغة والنحو أَو في القراءَات إلا وينقل رأْي ابن عطية فيها، لكنه يتتبعه في أَكثر النقاط بالتعليق وبالنقد، وله في ذلك نكات لطيفة، ونظرات صائبة، لكنه في بعض الأَحيان يكون متجنياً، ويبدو وكأَن جُل همه هو إظهار نواحي الخطأ في كلام ابن عطية، ولم نر لإثقال حواشي الكتاب بذكر ذلك فائدة.

ج ـ الشيخ العارف بالله أَبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة (٨٧٥هـ). فقد اختصر تفسير ابن عطية في كتاب له سماه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، وهذا واضح صريح في كتابه هذا، في المقدمة، وفي الخاتمة.

قال في المقدمة: فإني قد جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أَن يُقِرَّ الله به عيني وعينك، فقد ضمَّنْتُه ـ بحمد الله ـ المهمَّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأُمة.

ثم قال في الخاتمة: وقد استوعبت بحمد الله مهمات ابن عطية، وأَسقطت كثيراً من التكرار، وما كان من الشواذ في غاية الوهي، وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها.

وهذا الكلام يوضح نقطتين:

الأولى: أَن الثعالبي اعتمد كثيراً على تفسير ابن عطية.

الثانية: أَنه زاد عليه بالتعليق، ونقل آراءَ أُخرى لأئمة العلماء في مختلف العلوم والفنون. لكن الرجل كان منصفاً إذ دافع عن ابن عطية في كثير من الآراءِ.

وقد صرح بذلك كله الشيخ أَحمد بابا السوداني في «نيل الابتهاج» في ترجمة الثعالبي نقلاً عن شيخه السخاوي وغيره.

د ـ ولقد عني بعض العلماء بجمع آراءِ أبي حيان التي عقب فيها على أقوال ابن عطية والزمخشري في كتب خاصة، ومن أشهرها كتاب: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري»، ليحيى بن محمد الشاوي الجزائري (ت١٠٩٦)، وقد طبع في مجلدين.

هـ ـ وذكر شمس الدين الداودي في «طبقات المفسرين» في ترجمة عبد الكبير ابن محمد بن عيسى أَبي محمد الغافقي المرسي أَنه صنَّف تفسيراً جمع فيه تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري[1].

و ـ وممن ألف حول ابن عطية أيضاً: أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي شُهِر بابن بزيزة، ولد بتونس يوم الاثنين رابع عشر محرم عام ستة عشر وست مئة، وتوفي ليلة الأحد أربع ربيع أَول سنة اثنين وستين وست مئة فقد جمع بين تفسيري ابن عطية والزمخشري[2].

ز ـ وقد أكثر السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون وابن عادل الحنبلي في اللباب من النقل عن ابن عطية، وكذلك ابن جزي وابن عرفة ونحوهما من المفسرين المالكيين.

خامساً: ما كتب حوله:

إنه خلال بحثي عما كُتب وجُمع عن الإمام عبد الحق بن عطية رحمه الله وتفسيره المحرر الوجيز وقفت على دراسات كثيرة مختلفة حوله، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومنها ما اطلعت عليه، ومنها ما قرأت عنه فقط، وسأتعرض هنا لذكر بعض منها إتماماً للفائدة، وبياناً للأهمية التي نالها هذا الكتاب الجليل، فمن ذلك:

• **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم** للباحث عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه جامعة الأزهر.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين (١/ ٣٣٧).

(٢) التقييد الكبير للبسيلي (ص: ٢٠٤).

• **منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره،** للأستاذ فيصل بن جميل بن حسن غزاوي (١٤٢٣ هـ) رسالة دكتوراه.

• **المنهج اللغوي في تفسير ابن عطية الأندلسي** للدكتور ياسين جاسم المحيمد أستاذ النحو والصرف وعلوم القرآن المشارك بجامعة الإيمان، صنعاء.

• **الاستنباط عند الإمام ابن عطية في تفسيره تحقيق ودراسة** بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه/ جامعة الأزهر، للباحث أبو سريع محمد أبو سريع.

• **المقارنة بين ابن عطية وابن كثير في تفسيرهما** للباحث أحمد بن عبده بن الهادي، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه، بجامعة محمد الخامس.

• **التفسير الفقهي عند ابن عطية** للباحث عبد السلام محمد، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه/ جامعة محمد الخامس.

• **علوم القرآن في تفسير ابن عطية** للباحثة سناء حلواني، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى بمكة.

• **منهج ابن عطية في أصول الاعتقاد عرض ودراسة** للباحث: علي القرعاوي، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود.

• **فتح العزيز في تقريب تفسير المحرر الوجيز** للأستاذ محمد بن محمود بن إبراهيم ابن عطية، رأيت مقدمته ولا أدري أين وصل فيه، واللائحة طويلة.

سادساً: طبعاته:

حقِّقت أجزاء كثيرة من هذا الكتاب في رسائل علمية بجامعة الأزهر، وأصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منه جزأين، كما طبعت منه أجزاء بتحقيق المجلس العلمي بفاس[1].

(١) انظر: مقدمة فتح العزيز (ص: ١١)، مجلة البيان العدد (٤١، ص: ٢٩)، مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث (ص: ٥٦).

إلا أن الطبعة القطرية الأولى التي صدرت سنة (١٩٩١) تعتبر أول طبعة للكتاب، وقد أشار المحققون في مقدمتهم إلى نوع من التعاون كان بين دولة قطر والمملكة المغربية، والرغبة المشتركة في إصدار الكتاب، نجد ذلك في الفقرة التالية من المقدمة:

«التقت الرغبتان في ميدان العلم والشرف على إِخراج هذا الكتاب، وتقديمه هدية إلى أَبناءِ الأُمة الإِسلامية، هدية غالية بهيَّة الرُّواءِ، سنيَّة الإِشراق، وتَذْكِرَةً لِفِكْرٍ من تراث الأَندلس العظيم، والتقت في رعايتهما وبتأْييدهما نخبة من رجال العلم في المغرب العربي وفي المشرق العربي لتحقيق هذه الرغبة السامية، خدمة للأُمة الإِسلامية في حاضرها، ومستقبلها، وخدمةً للقرآن العزيز الذي كان ولازال مرشدَها، وهاديها، ومجدد شبابها على مَرِّ الأَيام، ونتيجة لهذه الرغبة السامية، ولهذا اللقاءِ الأَخوي بين علماءِ المغربِ والمشرق في الأُمة العربية الناهضة؛ كان هذا السِّفر الذي نقدمه بكل فخر واعتزاز، آملين من ورائه أَن يكون لنا عند الله ذخراً، وأَن يكون لأُمتنا زاداً من المعرفة والخير.

وقد اشترك في تحقيق هذا التفسير والتعليق عليه، وإخراجه في هذه الصورة المشرقة:

من المغرب العربي من المملكة المغربية:

الأستاذ: الرحالي الفاروق، رئيس المجمع العلمي بمراكش.

ومن المشرق العربي من دولة قطر:

الشيخ: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مدير الشؤون الدينية بوزارة التربية والتعليم.

الأستاذ: السيد عبد العال السيد إبراهيم، رئيس التوجيه التربوي بوزارة التربية والتعليم.

الأستاذ: محمد الشافعي صادق، مدير شؤون القرى بوزارة التربية والتعليم»[١].

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية.

وقد صدرت ثاني طبعة من هذا الكتاب سنة (**١٩٩٢**) بالمغرب، بتحقيق المجلس العلمي، وفي مقدمتها ترجمة مختصرة للمؤلف موقعة باسم عميد كلية الشريعة رئيس المجلس العلمي بفاس، إمضاء عبد الواحد العلوي.

وورد في خاتمة تلك المقدمة أن «مقدمات الكتاب (المحرر الوجيز) كانت قد طبعت مع مقدمة كتاب المباني المجهول المؤلف بتصحيح الأستاذ المستشرق الدكتور آرثر جفري، إلا أنها لا تخلو من بعض الأخطاء وقفنا عليها بالمقابلة بين النسخ المتعددة التي بين أيدينا»[(١)].

إلا أن النسخ المتعددة المذكورة لم يَرِدْ لها أي بيان في المقدمة، كما أن هوامش الكتاب تكاد تكون خالية من الإشارة إلى فوارق النسخ، إلا في مواضع قليلة جدّاً كتب فيها عبارة: «في نسخة» دون تحديد لمصدرها.

وقد كان انتشار هذه الطبعة محدوداً جداً لم تصل المكتبات العالمية، كما أنها غير مصورة إلكترونيّاً حتى الآن حسب علمنا.

والظاهر أن هذه الطبعة لا علاقة بينها وبين الطبعة القطرية السابقة، لاختلافهما في كثير من المواضع، واختلاف طريقة الهوامش فيهما، وإن كان كلام السيد محمد محمود عطية يوهم أن محققي الطبعة المغربية هم المذكورون في الطبعة القطرية.

أما الطبعة الثالثة للكتاب فهي طبعة دار الكتب العلمية، وقد صدرت سنة (**٢٠٠٧م**)، وهي بتحقيق السيد عبد السلام عبد الشافي محمد، وعلى غلاف أجزائها أنها محققة عن نسخة أياصوفياء استانبول، رقم (**١١٩**)، المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نجفي ـ قم.

وقد تم تصوير الصفحتين الأولى من الكتاب والأخيرة من سورة البقرة في أول

---

(١) مقدمة الطبعة المغربية (ص:ج).

الكتاب، مع مقدمة عن علم التفسير عموماً وتفسير ابن عطية خاصة.

وبالرجوع لمكتبة أيا صوفيا التركية تبين أن المخطوطة رقم (١١٩) لا تشمل إلا سورة البقرة خاصة، لذلك لم نتمكن من تحديد النسخ التي اعتمدوا عليها في بقية الكتاب، كما أنه خال من الهوامش تماماً، ولا يوجد به أي تعليق أو إثبات لفوارق النسخ، ولا أثر للتحقيق المشار له.

وقد زوِّدت هذه الطبعة بفهارس كاملة شغلت الجزء السادس من الكتاب، شملت القراءات القرآنية والأحاديث والشعر وبعض الأعلام.

وقد انتشرت هذه الطبعة بسرعة باعتبارها أول طبعة تجارية للكتاب، وتم تصويرها ونشرها على الموسوعة الشاملة مما سهل الاعتماد عليها لكثير من الباحثين.

وقد تبين لنا بعد المقابلة شبه كبير بين هذه الطبعة والنسخة المغربية التي اعتمدناها أصلاً، مما يوحي بأنها قد تكون طبعت عليها، إلا أن هناك بعض الأخطاء والسقط لم نلتزم التنبيه عليه لأنها ليست من ضمن النسخ المعتمدة لدينا.

الطبعة الرابعة: الطبعة القطرية الثانية، وقد صدرت كذلك سنة (٢٠٠٧).

وهي إعادة إخراج للطبعة الأولى مع تغيير في حجم الكتاب من (١٥) مجلداً إلى ثمان مجلدات، تحمل أسماء نفس المحققين السابقين، وقد حصل فيها تغيير طفيف لبعض الهوامش، وتصحيح للكثير من الأخطاء.

وقد انتشرت هذه الطبعة أكثر من الطبعة الأولى بسبب صغر حجمها ومجانية توزيعها، ولذلك اعتمد عليها كثير من الباحثين الذين كتبوا حول ابن عطية.

وقد اعتمدنا هذه الطبعة أساساً واستفدنا من مقدماتها وبعض تعليقاتها كما سنبين ذلك في المنهجية.

الطبعة الخامسة: طبعة دار ابن حزم، وهي في مجلد واحد، وليس فيها أي ذكر للنسخة المعتمدة، ولا هوامش تحقيق ولا فروق للنسخ.

وقد طبعت نسخة من الكتاب بتحقيق أحمد صادق الملاح لكن لم نقف عليها ولا على أي معلومات عنها.



المبحث الثالث

منهج التحقيق

سنبين في هذا الفصل منهجنا في تحقيق الكتاب وتوثيق الأقوال الواردة فيه.

وسنقسم الكلام في هذا الفصل إلى سبعة عناوين، حسب المجالات المتعلقة به، ونبين في كل منها منهج المؤلف أولاً ومصادره في ذلك المجال، ثم العنايةَ التي حظي بها في الطبعات أو الدراسات السابقة، ثم نبين الجديد في عملنا هذا.

وهذه المجالات هي:

أقوال المفسرين.

القراءات.

الأحاديث والآثار.

الآراء الفقهية والأصولية والعقدية.

الأشعار والمسائل اللغوية والنحوية.

تراجم الأعلام.

الفهارس.

ولإنجاز هذا العمل قامت إدارة الشؤون الإسلامية بتشكيل عدة لجان أنيطت مهمة الإشراف عليها ووضع خطوطها العريضة للشيخ الدكتور سعيد محمد البديوي (مدير الإدارة سابقاً)، ومهمة التنسيق بينها للأستاذ محمد حامد الباحث بالشعبة العلمية، وسنذكر في كل مجال أسماء أبرز الباحثين الذين قاموا بإنجازه.

أولاً: عرض أقوال المفسرين:

منهج المؤلف في هذا المجال أنه عندما يذكر الآية يبدأ بأقوال المفسرين فيها، فإن كان هنالك سبب نزول أو تفسير مأثور مرفوع أو موقوف بدأ به، وهذا سيأتي بيانه في الكلام على الأحاديث والآثار.

ثم يبدأ بعد ذلك بذكر أقوال التابعين: مجاهد وقتادة وابن زيد وعطاء وعكرمة وأمثالهم، يشير أولا إلى أن الآية أو الموضوع مختلف فيه، ثم يسرد الأقوال: فقال فلان كذا، وقال فلان كذا، وربما أبهم القائل فيكتفي بأنه قول فرقة أو قوم.

ولا يهتم ابن عطية رحمه الله غالباً بذكر مصدره في إسناد تلك الأقوال إلى أصحابها، لكنه يصرح به في بعض الأحيان، فيقول: وقال مجاهد في كتاب الثعلبي، مثلاً، ولا يخلو ذلك من نكتة قد تظهر عند التأمل.

أما المفسرون المتأخرون عن القرون الأولى، وهم المؤلفون في التفسير كالطبري والنقَّاش والثعلبي ومكي والمهدوي والنحاس والزجَّاج مثلاً فلا يلجأ إليهم غالباً مع وجود أقوالِ مَن قبلهم، لكنه يختصر كلامهم ويلخصه دون نسبة، فإذا صرح بالنقل عن أحد منهم فإنما يكون ذلك غالباً للتنبيه على خطأ، أو لإبداء ملاحظة خاصة بذلك الكتاب.

ومنهجنا في تتبع هذه الأقوال أننا حاولنا قدر الإمكان أن لا نهمل أي قول معزوٍّ لصاحبه دون تعليق، فإن كان من المؤلفين المشار إلى بعضهم أخيراً تتم الإحالة إلى المصدر إن كان متوفراً، أو إلى من نقله عنه إن كان مفقوداً.

وربما تعذر علينا الاهتداء إلى ما ينقله عن بعضهم، فننبه إلى أنه ليس في محله من الطبعة المتوفرة لدينا من ذلك الكتاب، فإما أن يكون في بعض كتبه الأخرى أو في نسخة أخرى منه، ويتجلى ذلك في تفسير الثعلبي فقد أكثر المؤلف من النقل عنه في النصف الثاني من الكتاب، ونقل عنه أشياء لم نجدها في الطبعة المتوفرة.

وهناك مسائل قليلة لم نجدها في طبعة الطبري التي اعتمدنا وهي طبعة شاكر، لكن وجدناها في بعض الطبعات الأخرى.

وأما أقوال التابعين وتابعيهم فقد اعتمدنا في توثيق أكثرها على الكتب المتقدمة على المؤلف، التي هي من مصادره أو مظان ذلك، كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، ويحيى بن سلام، والنحاس، وابن أبي زَمَنين، والماوردي، ومكي، كما رجعنا لبعض المؤلفين القريبين من عهد المؤلف كالسمعاني والزمخشري وابن الجوزي.

أما الكتب المتأخرة عن المؤلف فلم نعتبرها توثيقاً لاحتمال نقلها عنه، لكننا نستأنس بها باعتبار أن موافقتها لما في الكتاب يزيد الاطمئنان والثقة، كما استأنسنا بها أيضاً في الأقوال المنقولة عن الكتب المفقودة كالنقاش والزهراوي ومنذر بن سعيد ونحوهم.

وقد اتبعنا في كتابة الهوامش أكثر ما يمكن من الاختصار، فالهدف ليس وضعَ حاشية جديدة أو شرح للكتاب، وإنما هو إشارة تطمئن بها النفس ويستعين بها الباحث، لذلك فإننا نكتفي غالباً بذكر مصدر أو مصدرين أو ثلاثة للقول، دون الدخول في شرح القول أو التعليق عليه إلا إذا كان هناك ما يقتضي ذلك، وربما وثقنا أكثر من قول بإحالة واحدة إذا كان مصدرها واحداً، أو كانت متقاربة.

وقد لاحظنا أن ابن عطية يعتمد كثيراً على النقل بالمعنى، بل ربما كان ينقل من حفظه، فإذا كان القول المشار له موجوداً بمعناه في المصدر لم نحتج إلى إيضاح ذلك، أما إذا كان محتملاً أو فيه بعدٌ أو تصرف بيّن فإننا نشير لذلك، أو ننقل عبارة المصدر.

وهذه المنهجية تنطبق على المجالات الآتية أيضاً في عمومها.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الشيخ عماد عبد الرحمن البكش (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف القطرية).

كما شارك فيه كل من:

الشيخ الدكتور محمد محمد تامر (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف القطرية).

الأستاذ سعدنا أحمد حمينا (باحث)، وغيرهما.

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

ثانياً: القراءات:

يعتبر موضوع القراءات نقطة الضعف الوحيدة في هذا التفسير، فالمؤلف رحمه الله تعالى لم يكن من أهل هذا الفن، ولكنه أقحم نفسه فيه دون تروٍّ، ولم يعتمد في ذلك على طريقة واحدة ولا مصدر واحد، بل ينقل في كل موضع مما يتيسر له أو من حفظه دون مقارنته بالمصادر الأخرى أو حتى بما يتقدم له في كتابه.

وقد ذكر المصنف في مقدمته أنه قصد إيراد جميع القراءات مستعمَلها وشاذِّها، ثم عقد فصلاً خاصّاً للكلام على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وذكر أقوال العلماء فيه، ثم ختمه بمزيد من الإيضاح في عرض القراءات قائلاً:

«ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف المتخير، فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم، رحمهم الله، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يصلى؛ لأنها ثبتت بالإجماع، وأمَّا شاذُّ القراءات فلا يصلى به، وذلك لأنه لم يُجمِعِ الناس عليه، أمَا إن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه، وأمّا ما يُؤثر عن أبي السَّمَّال ومن قاربه فلا يوثق به، وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يُجهل».

ويستفاد من هذا أن المؤلف كغيره قسم القراءات إلى قسمين:

القراءات السبعية، ويعبر عنها تارة بالمستعملة، أو المجمع عليها، ويبدو من صنيع المصنف أنه يتمنى أن يوردها جميعاً معزوة لأصحابها، ويخصها بمزيد من

العناية، ومما يدل على ذلك أنه غالباً ما يقول: «قرأ حمزة وحده وأبو عبد الرحمن» مثلاً، فكلمة «وحده» مع عزو القراءة لغيره تدل على أنه حصر قراءات السبعة، وله عبارات أخرى تدل على ذلك أيضاً.

ويؤخذ على المصنف في عرضه للقراءات السبع عدة أمور منها:

أولاً: اعتماده في أول الكتاب على كتاب السبعة لابن مجاهد، دون الرجوع لكتب الداني ومكي والمهدوي ونظرائهم ممن حرروا ذلك بعده وأتقنوه.

ثانياً: اعتماده في أكثر الكتاب على أبي حاتم، وهو وإن كان إماماً في الفن كذلك لكنه خلط بين القراءات الشاذة والمتواترة، وعزا لبعض القراء السبعة ما ليس معروفاً عنهم، كما أن العلماء حذروا من بعض اختياراته وردِّه لبعض القراءات المتواترة.

ثالثاً: إدراجه لبعض الخلافات المتعلقة بالأصول دون إتقان، مع أن أكثر المفسرين إنما يهتمون بالفرش لأنه هو الذي يتوقف عليه معنى الآية.

رابعاً: كثرة التكرار وإعادة الكلمات التي سبق له أن ذكر الخلاف فيها، وغالباً ما يكون ذلك مع اختلاف في العزو، مع أن الطريقة المتعارفة هي الاقتصار على الحرف عند أول ورود له.

وقد ترتب على هذه الأمور مأخذان: أحدهما أسهل؛ وهو إهمال بعض القراءات السبعية، أو إسقاط بعض أصحابها، ويكون ذلك أصعب إذا عزيت السبعية لغير السبعة.

أما المأخذ الثاني وهو أشد، فهو أن تعزى القراءة لغير من هي له، فإذا كانت منقولة عنه في الشاذ كان ذلك أخفَّ.

أما القراءات الشاذة فقد أكثر المصنف منها، بل كان يتمنى أن يستوفيها لكن ذلك غير ممكن، وأهم مصدر له فيها هو كتاب المحتسب لابن جني، ثم أبو حاتم ثم

النحاس والثعلبي ونحوهما من المفسرين، وقد نقل بعض المواضع عن الداني فلعلها من كتابه «المحتوى» الذي ما يزال مفقوداً.

وعرضه لهذه القراءات الشاذة لا يخلو أيضاً من بعض المآخذ منها:

كثرة التكرار مع اختلاف العزو في بعض الأحيان.

ذكر بعض الأوجه الغريبة في الحرف، مع إهمال الأوجه المنقولة في أغلب الكتب، وهذا يدل على وقوع خطأ في ذلك.

تركيزه على بعض القراءات التي لا علاقة لها بمعنى الآية، ولا يتوقف على توجيهها فائدة.

انفراده ببعض القراءات الغريبة التي لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

والطريقة التي اتبعنا في التعامل مع هذا المجال هي:

إذا كانت القراءة سبعية بينا ذلك، فإن كان فيها للسبعة وجهان فأكثر اكتفينا بتعليق واحد نبين فيه أنها سبعية، ثم إن كان عزو المؤلف مطابقاً لما في التيسير اكتفينا بالإحالة له أو للنشر أو لسبعة ابن مجاهد ولم يحتج ذلك لتعليق، وإذا كان العزو لبعض السبعة دون بعض أو لغيرهم أكملنا ذلك غالباً، أما إذا كان موافقاً لما في السبعة أو غيرها وليس من طرق التيسير أو النشر، أو لم يكن موافقاً لشيء من مصادرنا، فإننا نبين ذلك بالتفصيل.

وأما القراءات الشاذة، فقد نبهنا على شذوذها، واعتمدنا فيها على كتاب المختصر لابن خالويه والشواذ للكرماني إضافة إلى مصادر المؤلف المتوفرة، ثم على البحر المحيط إذا لم نجد ذلك لغيره، فما كان من ذلك كله واضحاً اكتفينا فيه بمجرد الإحالة، وإذا وجدناها لبعض من ذكر دون بعض، أو لغير من ذكر، بينا ذلك بالتفصيل، أما إذا لم نجد للقراءة ذكراً عند غير المؤلف فإن اتضح لنا وجه في التماس المخرج لها ذكرناه، وإلا اكتفينا بأنا لم نجدها لغيره.

وقد حظي مجال القراءات في ابن عطية ببعض الدراسات المعاصرة، وقفنا على بعضها، لكنها عبارة عن فهرس أو جرد للقراءات الواردة في الكتاب دون تحقيق علمي يذكر، لذلك لم نستفد منها شيئاً.

أما هوامش الطبعات السابقة فقد كانت خالية من هذا المجال، باستثناء ما في الطبعة القطرية من التنبيه على بعض المواضع التي عزا فيها المؤلف لعاصم خلاف ما هو معروف عن حفص، فيتم التأول له جزافاً؛ تارة بأنها رواية شعبة عنه، وتارة بأنه عاصم الجحدري.

لذلك كانت عنايتنا بهذا المجال كبيرة لما له من الأهمية.

ولم نكتف بما أثبتناه في الحواشي بل ميَّزنا القراءات في متن التفسير في هذه الطبعة وفق المنهج الآتي:

١ـ القراءة المتواترة:

أ ـ وُضع ما وافق قراءة حفص عن عاصم بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾ برسم مصحف المدينة.

ب ـ ما كان موافقاً لقراءة متواترة من القراءات العشر وضع بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾ مكتوباً بخطّ عاديٍّ.

٢ـ الكلمات المفسَّرة:

أ ـ الكلمة الكاملة الموافقة لقراءة حفص عن عاصم تُوضع بين مزهرتين ﴿ ﴾ برسم مصحف المدينة.

ب ـ الكلمة غير الكاملة تُوضع بين قوسين هلاليتين ( ).

٣ـ القراءاتُ الشاذة تُوضَعُ بين قوسين هلاليتين ( ).

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الدكتور سيد محمد محمد محفوظ (باحث).

كما شارك فيه أيضاً:

الدكتور محمد تقي الله (باحث).

الشيخ عبد الرحمن الحسن (من قسم الفتوى بالشبكة الإسلامية).

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

ثالثاً: تخريج الأحاديث والآثار:

يتلخص منهجنا في التعليق على الأحاديث والآثار في النقاط التالية:

أولاً: تخريج الأحاديث:

١ ـ قمنا بتخريج جميع الأحاديث المرفوعة التي ذكرها المصنف بلفظها أو معناها أو أشار إليها، وذلك بحسب الإمكان والطاقة وما تيسَّر لنا الوقوفُ عليه، أما الآثار فاقتصرنا على تخريج الموقوفات على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأما أقوال التابعين ومن دونهم فاكتفينا بالعزو إلى مصادرها ما أمكن، دون الكلام على أسانيدها.

٢ ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بالعزو إليهما أو إلى أحدهما للتدليل على صحته.

٣ ـ إن لم يكن الحديث في أحد الصحيحين اكتفينا في ذكر مصادر التخريج بأمهات المراجع؛ كالموطأ ومسند أحمد والسنن الأربعة، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، ومستدرك الحاكم وغيرها، دون المصادر النازلة التي تروي أحاديث الأمهات بأسانيدها، إلا إذا لم نجد الحديث في تلك المراجع، فننزل ونشرق ونغرب للوصول إلى المراد.

٤ ـ سعينا إلى جمع طرق الحديث والنظر في وجوه الخلاف في الإسناد والمتن إن وُجد، لتهيئة الحكم عليه.

٥ ـ أوردنا كُلَّ ما وقفنا عليه من كلام أئمة هذا الشأن فيما يتعلق بقبول الحديث أو ردِّه، سواءٌ كان كلاماً صريحاً أو تلميحاً، أو مقتضى صنيع البعض، أو ما شابه ذلك مما يَعرفه الممارس، وقد شرحنا ما غمض من ذلك.

٦ ـ استقصينا البحث في كتب العلل والتواريخ والسؤالات والمراسيل وكتب شروح الحديث وغيرها مما يُعنى ببيان حال الحديث، وإيراد ما وقفنا عليه من ذلك.

٧ ـ ما لم نجد فيه كلاماً تطمئنُّ النفسُ إليه، فإننا تجشَّمنا دراسةَ إسناده ومتنه، وأَعْملنا فيه قواعدَ هذا الفنِّ بحسب ما تهيَّأَ لنا، ولخَّصْنا ما بدا لنا من ذلك بعبارة مختصرة، وراءها بحثٌ طويلٌ في أحوال رواة الإسناد وطبقاتهم وسماعهم من بعض، وإجراءات الجمع والترجيح بين ما اختلف من تلك الروايات، و كذا ما قد يوجد من تفردات الرواة ممن لا يَحتمِل حالُه ذلك.

٨ ـ لم نُعَوِّل على بعض التصحيحات والتحسينات التي يشوبها التساهلُ وإحسانُ الظَنِّ بظواهر الأسانيد أحياناً.

٩ ـ قمنا بتصدير التخريج غالباً بالحكم الذي أسفرت عنه دراسةُ الحديث.

ثانياً: تخريج الآثار:

١٠ ـ إذا لم يوجد الأثر في أمهات المراجع التي أشرنا إليها سابقاً، فإننا اكتفينا غالباً في العزو بالإحالة على تفسير الطبري، وأحياناً ابن أبي حاتم، بعد التأكد أنه ليس عند غيرهما فرقٌ في الإسناد أو المتن، وذلك لأن من الواضح اعتماد ابن عطية على الطبري بشكل كبير، و لانفراد الطبري بكثير من الآثار التي ليس لها إلا إسناد واحد فيما نعلم.

١١ ـ بالنسبة لأسانيد التفسير الخاصة بالآثار، فقد اشتهر عند أصحاب كتب التفسير إيراد كثير من الروايات التي يُطلق عليها: **النُّسَخ التفسيرية**، وهي التي يروي بها بعضُهم نسخةً بإسناده إلى صحابي ما أو عن الصحابي مباشرة.

ومن أشهر هذه النسخ:

• نسخة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وهي منقطعة.

• نسخة بِشر بن عُمارة عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس. وهي ضعيفة الإسناد.

• نسخة أسباط، عن السُّدِّي، فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس. (ارتاب الطبري نفسه في هذا الإسناد ونفى صحته[1] مع أنه أخرجه في مواضع عديدة).

• نسخة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول، وقد شك فقال: عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

• نسخة جُويبر بن سعيد عن الضحاك عن غير واحد من الصحابة.

وجويبر متروك الحديث، وقال ابن كثير: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة، وقد أكثر الطبري من هذا الإسناد في التفسير.

• نسخة أبي صفية ثابت بن أبي صفية الثمالي عن ابن عباس.

• نسخة أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب.

• نسخة عمرو بن عبيد عن الحسن البصري.

• نسخة قتادة عن الحسن عن غير واحد من الصحابة. (ولا يثبت السماع في جميعها).

• نسخة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وهذه الأسانيدُ جميعاً ضعيفةٌ عند أهل العلم بالحديث، لضعفِ رواتها، أو انقطاع واضح في بعضها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٥٤).

وتفصيلُ الكلامِ المأثور عن العلماء في كل إسنادٍ بخصوصه معروفٌ منتشرٌ، لا يُنكره أحدٌ، حتى من يختلف معنا في منهج التعامل مع تلك الأسانيد، فلا داعي للإطالة بسرد ذلك.

ونكتفي هنا بتلخيص أهمِّ القواعد التي انبنى عليها منهجُنا في الحكم على أسانيد هذه النُّسَخ:

• الإسناد الذي يُضعفه أهلُ العلم بالحديث لن يكون صحيحاً أو حسناً إذا كان فرداً، مهما كانت الروايةُ في عقيدةٍ أو حُكمٍ أو تفسيرٍ أو غيرها.

• هذا الضَّعفُ لا يقتضي بالضرورة الحُكمَ على الرواية بالبطلان أو النكارة، إلا إذا كان في متنها ما يوجب ذلك.

• تجوُّز العلماء وتساهلهم في رواية وإيراد الروايات الضعيفة في التفسير والمغازي والرقاق ونحوها لا يعني التصحيحَ أو القبولَ، ولكن يعني: الاعتبار والاستشهاد والاستئناس ونحوها من المعاني، لاسيما إذا كان المنقولُ في التفسير مثلاً مما تشهد له لغاتُ العرب أو يكون تفسيراً بالمعقول أو الاستنباط من آيات أخرى أو نصوص من السنة ونحو ذلك مما لا يخالف معلوماً ضرورياً أو ثابتاً أصحَّ منه، فهذا مما يجوز إيرادُه دون بيان ضعفه على الاحتمال والاستئناس كما سبق.

• دَعْوَى تصحيح النسخ التفسيرية مطلقاً بغض النظر عن حال أسانيدها؛ لأنها «نُسَخ» «مضمونة» لا يدخلها الخطأ؛ لأن صاحبها لا يعتمد على حفظه ولكن يعتمد على نسخةٍ أو كتابٍ يؤديه: دَعْوى عاريةٌ في مُجملها عن التحقيق والموضوعية؛ وهو قولُ مَنْ لم يطَّلِع على أخطاء الرواة الذين يحدثون من كتب بلا حفظ؛ فالأوهام كما تدخل في الروايات العامة فكذلك تدخلُ في النُّسخ، لاسيما وأكثر هذه النُّسَخ لا يكون مسموعاً لراويها أو بعض رواتها، بل تكون «وجادات» أو «مناولات»، فيقع التساهلُ في روايتها

بلا سماع، ويأتي في هذا من مداخل الخلل ما هو معلومٌ لمن مارس علم العلل، مِنْ أوهامِ التصحيف، والتحريف، وانتقال البصر، ودخول حديث في حديث، وغير ذلك.

بالإضافة إلى أن الراوي مع كونه يروي نسخةً، إلا أنه لا يمكن التأكد والاطمئنان إلى أنه يحدث بكل ما فيها قراءةً منها وليس من حفظه، و جُلُّ بل كُلُّ من أسلفنا ذِكرَهم من رواة النُّسخ فإنَّ حفظَهم لا يُعتمد عليه كما يُعلم من تراجمهم، وثقاتُ الرواةِ الذين صحَّحَ الأئمةُ كُتُبَهم إذا حدَّثوا من حفظهم ربما وهموا وثبتت مخالفتهم لما في كتبهم، فكيف بأولئك.

• أهلُ الحديث لا يُصحِّحُون إلا ما توفَّرت فيه الشروط المعتبرة المعروفة للقَبول، وما فَقد شرطاً أو أكثر من تلك الشروط فإنهم لا يقولون بصحته؛ إذ القولُ بالتصحيح يقتضي رجحانَ صحة نِسْبة الكلام إلى من نُقل عنه، وعدمُ التصحيح يقتضي انعدامَ ذلك الرجحان، ولا يعني هذا بالضرورة الحُكْمَ على المنقول بأنه كأن لم يكن، وإنما تُجرى عليه قواعدُ نقدِ المتن المعروفة، فإن خالفَ لغةً صحيحةً أو أصلاً شرعيّاً أو مقصداً من مقاصد الدين، فإنه يُحكم عليه حينئذٍ بحسبه، وإن لم يخالف شيئاً من ذلك وكان له محملٌ صحيحٌ حسنٌ، فإنه لا يمتنع ذكرُه في سياقِ شرحٍ أو بيانٍ أو توجيهِ معنًى وغير ذلك دون الجزم بنسبته إلى من نُقل عنه، بل يُذكر على سبيل الاحتمال مع بيانِ ضعفه مع ذلك أو ذِكرِه ممَرَّضاً، أو الاكتفاء بالإشارة إلى إسناده إذا كان يتكرر؛ خشيةَ الملال بإعادة الكلام عليه، وهذا ما دَرَجْنا عليه هنا.

• أهلُ التفسير الذين صنَّفوا فيه إنما أوردوا كُلَّ أو جُلَّ ما وقفوا عليه مسنداً أو غير مسند لهذه المقاصد الصحيحة السابقة، يضاف إليه بالنسبة للمسند: أن من أسند لك فقد أحالك وبرئت عهدتُه في الجملة، ودَعْوى أنهم إنما أوردوا تلك النُّسخ التفسيرية لأنهم يرون صحة الاحتجاج بها لأنها «نُسخ»: دَعْوى ليس عليها شِبْهُ دليلٍ.

وبَعْدُ، فهذا ما أردنا التنبيه عليه ليكون على ذُكرٍ أثناء مطالعة هذا السِّفر الكبير،

ولْيُتَنَبَّهْ إلى أن الكتابَ يحتوي على عدد ضخم من الأحاديث، بلغت حسب فهرس الأطراف حوالي (١٣٠٠) حديث، فضلاً عن عدد كبير من الأحاديث التي لا يذكرها المصنف بأطرافها بل بالمعنى أو الإشارة، فيقترب إجمالي عدد الأحاديث المرفوعة التي قمنا بالعمل على تحقيقها من (٢٠٠٠) حديث.

وأما الآثار فهي أكثر من ذلك بكثير.

وقد استفرغْنا الوُسْعَ في الحكم على هذه الأحاديث والآثار بما نراه موافقاً لأصول النقد والصناعة الحديثية عند أئمة هذا الشأن فيما ظهر لنا صوابُه، وما لم يترجحْ لنا فيه وجهُ الصوابِ، فإننا لم نجزم فيه بشيءٍ، واكتفينا بعرض ما تيسَّر لنا من البحث.

ومما يحسن التنبيه إليه أنه قد صادفتنا بعضُ المعوقات أثناء العمل في التخريج، من أهمها:

١ ـ سَوْق المصنِّف بعض الأحاديث بالمعنى، فيتعسَّر الوصولُ إلى الحديث إلا بعد جهد ومشقة، وربما لا نستطيع الجزم بمراده، فنذكر أقربَ ما وقفنا عليه.

٢ ـ ينقل المصنف كثيراً عن بعض كتب التفسير ـ كتفسير الثعلبي ـ التي لم تعتن بتوثيق الروايات فيذكرون أحاديثَ لم نجدها، وقد أجهدنا البحث في محاولة الوقوف على مصدر مسند أو معتبر، فلم نجده أحياناً.

وبَعْدُ، فما وافقَ الحقَّ مما سطرناه فهو بفضل الله وتوفيقه وإعانته، وما خالف الصوابَ فمِن تقصيرنا أُوتينا، ونلتمس العذرَ ممن وقف على شيءٍ من ذلك، فإن هذا الدربَ وعْرٌ والعملَ ضخمٌ، ونسأل الله القبول.

وقد قام بإنجاز العمل في هذا المجال فريقٌ من الباحثين هم:

الشيخ خليل محمد العربي (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف).

الشيخ محمد السعيد عبده الخولاني (إمام بوزارة الأوقاف وباحث بوحدة التدقيق).

الشيخ إبراهيم سعيد أبو أنس الصبيحي (باحث بوحدة التدقيق).

وقام الشيخ إبراهيم الصبيحي أيضاً بمراجعة وصياغة تخريج جميع الأحاديث والآثار، وكتابة منهجية التخريج هذه.

رابعاً: الأقوال الفقهية والأصولية والعقدية:

أشرنا فيما سبق إلى مذهب المؤلف وأنه كان مالكيّاً أشعريّاً، ونبهنا على ما قيل في معتقده، وأن الملاحظ عليه أساساً اتِّباعه لمنهج المتأخرين في مسألة تأويل الصفات خلافاً لما كان عليه جمهور السلف، وما قلناه في المقدمة حول هذا الموضوع يغني عن تتبع مسائله بالتعليق لأنها كثيرة، لكننا مع ذلك نبهنا على مواضع منها لحاجة خاصة بها.

وبالنسبة للأقوال الأصولية فالمؤلف يعتمد فيها غالباً على إمام الحرمين الجويني والباقلاني، وقد أحلنا كلامهما إلى المتوفر من مؤلفاتهما، وما لم نجده فيها اكتفينا بإحالته لمن نقله عنهم كالقرطبي ونحوه، وهناك مسائل أصولية تعرض لها المؤلف دون نقل عن معين فأحلناها إلى الكتب المعتمدة في هذا المجال.

أما المسائل الفقهية فقد أكثر منها المؤلف، لكنه لم يصل لدرجة التفاسير الخاصة بالأحكام كابن العربي، وينقل المؤلف هذه الأقوال إما من مؤلفات أصحابها كالمدوَّنة والعُتبية والتفريع مثلاً، وإما من الكتب المهتمة بالخلاف العالي كمؤلفات أبي عمر بن عبد البر وابن المنذر، وقد اتبعنا في ذلك نفس المنهجية السابقة، فحيث وجدنا القول لصاحبه في مؤلفاته أو في المصدر الذي نقله عنه اكتفينا بالإحالة، وإلا نبهنا على ذلك، وقد حرصنا على أن تكون أقوال كل مذهب محالة إلى مؤلفات علماء ذلك المذهب.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الشيخ عبد الله الشيخ محمد (باحث بوحدة التدقيق).

وشاركه في مراجعته منسق الفريق.

خامساً: المسائل اللغوية والنحوية:

يعتبر هذا المجال هو الأقرب إلى اختصاص المؤلف، فقد برع فيه غاية البراعة وأبدع، وصار كل من بعده عيالاً عليه فيه، وقد نبهنا فيما قبل إلى أن هذا التفسير جامع، لكن لو أردنا أن نصنفه كما صنفت التفاسير قبله، فهو تفسير لغوي نحوي بلا نزاع.

فقد اعتنى رحمه الله بالمفردات القرآنية، وذكر معانيها وشواهدها من الشعر والحديث، وإذا كان في الآية قراءات فإنه يعتني بإعرابها وتوجيهها، وأكثر اعتماده في ذلك على سيبويه والخليل والكسائي والمبرد والفراء والأخفش وأبي عبيدة، ثم على الزجاج والنحاس والفارسي وابن جني، ثم على مكي والمهدوي، ثم على شيوخه المباشرين.

وله مع الطبري مناقشات، ولأبي حيان وغيره مع المؤلف مناقشات أخرى، لكننا لم نر للتطويل بذلك فائدة، بل اكتفينا بإحالة كل قول إلى صاحبه إما في مؤلفاته وإما في المصادر التي نقلت عنه، وإذا كان ثمت ما يحتاج للبيان بيناه.

وقد عزا المؤلف في بعض المواضع أقوالاً لسيبويه والأخفش والفراء وغيرهم دون أن نجد لهم قولاً في تلك الآية بعينها لكن تبين أن ذلك مبني على مذهبهم في تلك المسألة، فنبهنا على ذلك في بعض مواضعه.

وقد اعتنينا بالأَبيات الشعرية فضبطناها بالشكل، ونسبناها إلى قائليها من مصادرها الأصلية، ككتب أبي عبيدة وابن قتيبة والجاحظ والأصمعي والحماسة والمفضليات والأغاني ونحو ذلك دون الرجوع إلى الدواوين المطبوعة ـ لضعف الثقة بها ـ إلا عند الضرورة.

وفي هوامش الطبعة القطرية عناية فائقة بموضوع الشواهد الشعرية، والتعريف بشعرائها، وذكر الأبيات السابقة أو اللاحقة للبيت المستشهد به، وشرح غريبها، لكن ذلك كله غير موثق، أما نحن فقد رأينا عدم إثقال الكتاب بمثل ذلك، وحاولنا أن لا يزيد التعليق في الغالب على سطرين فيهما كفاية وإحالة للمصادر الأصلية لمن أراد التوسع.

وقد عُنينا بضبط بعض الكلمات التي نراها مَظِنَّةً للتحريف أَو الخطأ عند النطق، وشرح بعض الغريب منها، وهدفنا من هذا أَن نساعد القارئ على نطق العبارة في صورتها الصحيحة من أَول الأَمر، وراعينا أَن نساعد القارئ على ذلك بالفواصل، وعلامات الترقيم، والرجوع من أَول السطر، والفصل بين العبارات والجمل المنقولة، والآراءِ المنسوبة لأَصحابها، بحيث يستقل كل كلام عن غيره، وبحيث يعرف القارئُ كلام ابن عطية من كلام العلماءِ الذين ينقل عنهم.

وفي هذا المجال كنا نضع هذه العبارة «قال القاضي أَبو محمد» دائماً في أَول السطر؛ لندل على أَن الكلام التابع لها إنما هو من كلام ابن عطية الذي يريد به التعليق أَو النقد أَو أَي شيءٍ آخر.

وقد قام بإنجاز أكثر العمل في هذا المجال:

الأستاذ عبدالله محمد (باحث).

الشيخ مختار ممو (باحث بوحدة التدقيق).

الشيخ خالد باكير (إمام بوزارة الأوقاف، وباحث بوحدة التدقيق).

وشارك في مراجعته منسق الفريق.

سادساً: تراجم الأعلام:

هناك بعض الأعلام لا يحتاجون إلى تعريف لشهرتهم، ومن ذلك مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، وأصحاب المذاهب الأربعة، والقراء السبعة وأشهر رواتهم، ومشاهير أئمة النحو واللغة، وأصحاب المعلقات ونحوهم.

وبعض الأعلام وردت في الكتاب بصيغة مبهمة يصعب معها تحديد الشخص المعني، ومثل هؤلاء لا تمكن ترجمتهم كذلك، ويدخل في ذلك أيضاً أسماء بعض اليهود والأمم السابقة وبعض أهل الجاهلية.

ولا شك أن تحديد درجة الشهرة التي تغني عن التعريف نسبي يختلف النظر فيه من باحث لآخر، لكننا بذلنا في ذلك وسعنا، مع أن الأمر سهل، والحمد لله.

أما ما عدا ذلك فقد حاولنا أن نترجم لكل علم عند أول ورود له في الكتاب، وقد بينَّا محل ذلك في الفهرس ليسهل الرجوع له، ولم نقصد بالتراجم أن تكون شاملة، وإنما قصدنا فيها إلى الإيجاز بحيث لا تزيد في الغالب على سطرين فيهما اسمه الكامل وبعض شيوخه أو تلاميذه، وشهرته الخاصة به إن كانت له شهرة، مع ذكر مصدر المعلومات المذكورة، وقد رجعنا في أكثر تراجم الصحابة لكتابي الإصابة والاستيعاب، وفي تراجم القراء لغاية ابن الجزري، وفي الفقهاء والنحاة للطبقات الخاصة بهم، وأكثر اعتمادنا في ذلك كله على كتاب تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، فهو كتاب جامع في هذا الباب.

سابعاً: الفهارس:

ألحقنا في آخر الكتاب جرداً بالمصادر التي اعتمدنا عليها في التحقيق، وكشافاً بالفهارس العلمية الضرورية للكتاب، وتشمل ما يلي:

فهرس الآيات القرآنية، وقد استثنينا منها الآيات التي هي قيد التفسير، واقتصرنا على الآيات الواردة في غير محلها استشهادًا أو نحو ذلك.

فهرس الأحاديث النبوية، وقد اقتصرنا فيها على أطراف الأحاديث القولية أو المصدَّرة بلفظ «كان» أو «نهى» أو نحو ذلك، مع ذكر الصحابيّ إن أورده ابن عطية، فإن لم يورده يُؤخذ من الحاشية ويميّز بوضعه بين قوسين، وقد راعينا فيها اللفظ الذي يورده المؤلف، فإذا أورد الحديث بلفظين مختلفين في البداية أوردناه في كل موضع منهما، أما إذا كان الاختلاف في غير الألفاظ الأولى منه فإننا نكتفي بذكره مرة واحدة، ونشير للمواضع الأخرى التي ورد فيها.

فهرس أسباب النزول، ورتبناه بحسب ترتيب السور في الآيات، بذِكر طرف الآية التي يذكر ابن عطية سبب نزولها، وموضع ورود ذلك في هذه الطبعة.

فهرس الأعلام، وقد رتبناها ترتيباً أبجديّاً، وجمعناها في فهرس واحد يجمع أعلام النساء والرجال، دون النظر إلى (أب، أم، ابن، «الـ») أو كنيةٍ، أو مشهوراً بنسبة معينة، فإننا نذكره كذلك في حرفه ونحيل إلى اسمه الأصلي، وهناك نذكر الصحيفة التي تمت ترجمته فيها، بتمييز موضع الترجمة بوضع رقمه بين قوسين.

فهرس الأشعار، وقد رتبناها على حرف الروي مقدمين المضموم، ثم المفتوح ثم المكسور، ثم الساكن مع ذكر البحر الشعري مراعين في الترتيب:

أ ـ الأبيات الشعرية الكاملة.

ب ـ الأرجاز.

جـ ـ صدور الأبيات الكاملة.

د ـ صدور الأبيات غير الكاملة وذلك على أوائل الحروف فيها.

هـ ـ أعجاز الأبيات مرتبة على الروي.

و ـ الأعجاز غير الكاملة مرتبة على أوائلها إن ذُكرت، فإن كان المذكور أواخرُ الأعجاز رُتبت على حروف الروي.

لكن إذا كان المؤلف اقتصر على الشطر الأول فإننا نذكر الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني لبيان قافيته، وإذا تكرر البيت فإننا نشير إلى المواضع التي ورد فيها، مع العلم أن التعليق إنما يكون عادة في الموضع الأول منها، مع الإحالة إليه في المواضع الأخرى بالسورة ورقم الآية.

فهرس الكتب، بذكر اسم الكتاب مع اسم صاحبه كما يذكره ابن عطية، فإن تعددت أسماء الكتاب الواحد ذُكرت في مواضعها بحسب ترتيبها في الفهرس وتُجمع الأرقام في مكان واحد مع الإحالة في المواضع الأخرى.

فهرس المواضيع، ويشمل جميع عناوين الكتاب.

المبحث الرابع
المنهجية المتبعة في تصحيح المتن بالمقابلة

سنعرض في هذا الفصل لبيان المنهجية التي اتبعناها في هذا العمل، مع التنبيه على ما يتعلق في كلِّ موضوع منها بمنهج ابن عطية نفسه، وبالطبعات السابقة والدراسات التي وقفنا عليها.

وقبل أن نبدأ بمنهجيتنا، لا بد أن نتوقف هنا عند نقطتين مهمتين، نصوغهما في شكل سؤالين؛ أحدهما: هل أَلَّف ابن عطية كتابه بإخراجة واحدة[1]، أم أن هناك احتمالاً لتعدد إخراجات الكتاب؟ والثاني: لماذا لا يكون في مقابلة الطبعات السابقة غنًى عن إعادة طباعة الكتاب وتصحيحه؟.

ولمناقشة السؤال الأول، نقول: إننا لم نقف في شيء من المصادر على ما يدل على تعدد إخراجات الكتاب، ولا شك أن ذلك لم يكن معهوداً في تلك الفترات.

لكن افتراض ذلك يبقى قائماً ـ وإن كان ضعيفاً ـ للقرائن التالية:

١ ـ وجود فروق بين النسخ في بسط العبارة واختصارها، وقد لاحظنا أن أكثر النسخ اختصاراً هي نسخة أحمد٣ مع أنها مقابلة على نسخة المؤلف، وأكثر ما يكون ذلك في عرض القراءات؛ فنجد القراءة الثانية فيها غالباً مصوغة بعبارة مختصرة، وكذلك في بعض الأقوال والاحتمالات التي يذكرها المؤلف، وهذا النوع من التصرف

---

(١) المقصود بالإخراجة هي أن يصدر المؤلف نسخة من الكتاب، ثم يعدل فيها ويصدرها مرة أخرى بعد أن تكون النسخة الأولى خرجت من يده.

غير معهود بين النساخ، خاصة عندما تكون النسخة المختصرة أكثر قرباً للمؤلف، فمن المستبعد أن يقوم الناسخ ببسطها من عنده، ولو كان العكس لكان أسهل.

ومن أمثلة ذلك في أول سورة البقرة قوله ـ في أكثر النسخ ـ: «فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وما أشبهه»، وفي أحمد٣ بدل تسمية المذكورين: «فكان ما عدى السوسي وورش يهمزون» إلخ.

وبعده بقليل: «فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: يخادعون، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: يخدعون»، وجاءت القراءة الثانية في أحمد٣ هكذا: وقرأ الباقون: يخدعون.

وبعده بقليل أيضاً في الكلام على «قيل، وغيض، وسيء، وسيئت، وحيل، وسيق، وجيء»: «وكان ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة يكسرون أوائل هذه الحروف كلها»، وفي أحمد٣: وكان الباقون يكسرون... إلخ.

٢ ـ سرعة انتشار الكتاب في عصر المؤلف، رغم طول المدة التي قضاها في تأليفه، وليس هذا أيضاً برهاناً يطمأن إليه، وإن كان طول مدة التأليف يؤخذ من عبارات المصنف في المقدمة، وانتشاره يؤخذ من ذكر معاصريه له.

ويفترض في هذه الحالة أن يكون المؤلف أملى بعض أجزاء الكتاب أو نسخت منه، ثم نقحها بعد ذلك في المسودة النهائية.

ويمكن أن يستدل أيضاً على طول مدة التأليف بالتكرار الواقع في بعض المواضع، وتارة يكون هذا التكرار حرفيّاً، أو متفقاً في المعنى مع سابقه، وهو الأكثر، مع أن المؤلف ينبه أحياناً على أن المسألة تقدمت.

ومن ذلك أنه استشهد على معنى كلمة: «ذات» بالمثل المعروف: «الذئب مغبوط بذي بطنه»، حوالي عشر مرات، واستشهد عليه أيضاً بقول أبي بكر: «ذو بطن بنت خارجة» سبع مرات.

وتارة يكون مختلفاً كما في عزو بعض الأقوال أو القراءات أو الأشعار إلى غير من عزاها له في أول الكتاب، أو صياغتها باختلاف في الأسلوب يؤثر على المعنى، وربما باختلاف في المنهجية والمصادر أيضاً.

فمن أمثلة اختلاف العزو: أنه نقل عن الأعمش في سورة آل عمران أنه قرأ: «رضوان» بكسر الراء وضم الضاد، ثم نقل عنه في التوبة أنه قرأ بضمهما.

ومن ذلك أنه عزا فتح الغين من «الغرور» في آل عمران لعبد الله بن عمير، وعزاه لسماك بن حرب وأبي حَيْوَة، مكرراً في الحديد وفاطر.

ومن ذلك أنه عزا البيت: «ولقد طعنت أبا عيينة... إلخ» في سورة هود لجرير، وفي غافر لأبي أسماء بن الضريبة وهو الصواب.

وعلى كلٍّ فإن المسألة تبقى مجرد فرضية ضعيفة إلى أن يعثر على ما يؤكدها أو ينفيها.

أما السؤال الثاني المتعلق بمقابلة الطبعات السابقة، فقد تقدم بعض الكلام عنه في طبعات الكتاب، لكن نتوقف هنا عند كل طبعة بمفردها فنقول:

بالنسبة للطبعة المغربية فإننا لم نجد فيها ذكراً للمخطوطات التي اعتمدوا عليها، وليس في هوامشها أيُّ إشارة إلى فروق النسخ، إلا في مواضع يسيرة جدّاً بعبارة: «وفي نسخة:..»، كما تقدم في التعريف بالكتاب.

وبالنسبة لطبعة دار الكتب العلمية فليس فيها كذلك إثبات للفروق، ولا في مقدمتها توصيف للنسخة المعتمدة، لكن على الغلاف الخارجي لأجزائها أنها محققة عن نسخة أيا صوفيا استانبول، ورقم (١١٩)، (وهذا الرقم خاص بملف سورة البقرة كما أسلفنا)، وفي آخر المقدمة صورة لصفحتين منها هما: الصفحة الأولى من الكتاب، والأخيرة من سورة البقرة، ولكنها خالية من الهوامش، لا يوجد فيها تعليق ولا فروق نسخ، ولا غير ذلك، وكذلك الحال بالنسبة لطبعة ابن حزم، ليس فيها ذكر المخطوطات ولا هوامش المقابلة ولا غيرها.

أما الطبعة القطرية فقد ورد في مقدمتها أنه: «حين بدأ العمل في تحقيق هذا التفسير الجليل، كان الهدف الأَول هو البحث عن النسخ الخطية التي يمكن الرجوع إليها، وقد أُتيحت لنا فرصة الاعتماد على بعض النسخ المخطوطة، لكنها كلها تعرضت لأَضرار، كثيرةٍ أَو قليلة، واحتاجت منا إلى جهود واضحة حتى نصل إلى الأصل الذي لا نشك في أَنه عمل ابن عطية».

ومن خلال توصيف «أهم النسخ التي اعتُمد عليها في تصحيحها» نجد أنها ست نسخ، منها واحدة كاملة وهي النسخة التونسية، وخمس هي: الناصرية نسختان، واليوسفية والملكية والعرائش، ولم يوصف من كل منها إلا الجزء الأول فقط، وهو ينتهي في الملكية بنهاية الأنعام، وفي الناصرية الأولى أثناء سورة آل عمران، وفي الثانية بنهاية النساء، وفي الباقيتين بنهاية سورة البقرة، وهذا يوهم أن أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب لم تكن عندهم منه إلا نسخة واحدة، لكن وجود فوارق النسخ في هوامش باقي الكتاب ينافي ذلك.

قال المحققون: «والنسخة التي جُعلت أَساساً للإخراج، وكان الاعتماد الأَول عليها، هي النسخة الناصرية التي تنتمي للأَوقاف، لأَنها مع ما أَصابها من أَضرار كانت أقرب النسخ إلى السلامة، أَما بقية النسخ فقد كانت مساعِدة ومُعِينة عند البحث».

والظاهر أن المقصود بهذه النسخة الناصريةُ الأولى التي ينتهي جزؤها الأول عند الآية (٩٦) من آل عمران ورقمه (٨٨٠)، أما الناصرية الثانية ذات الرقم (١٨٦)، فهي التي اعتمدناها نحن أصلاً، وتوجد فروق بيِّنة بينها وبين المطبوع، يَبعُد معه احتمال أن تكون مقابلة عليها، فلعل الجزء الذي تمت الاستعانة به منها لم يكن واضحاً.

ومن خلال المقابلة على النسخ التي حصلنا عليها لاحظنا تبايناً بين أجزاء المطبوع، في الاهتمام بفروق النسخ أكثر في بعضها منه في بعض، كما أن قرب بعض المخطوطات من المطبوع يختلف حسب أجزائه، كما سيتضح ذلك في هوامش فروق النسخ.

ثم قالوا في المقدمة: «وقد قصدنا في منهج عملنا أَن نحقق ما يأتي:

أولاً: الوصول بقدر الإمكان إلى الأصل الذي نطمئن إليه، والذي نثق أَنه كلام ابن عطية، والخطة الغالبة في هذا أَنه إذا اختلفت النسخ، وكانت كلها تمس الموضوع، أَن نشير إلى ما فيها من كلمات بلفظ (وفي بعض النسخ) من دون أَن تضاف، ولا أَن توصف بصفات، وأَن يعتبر ما زيد فيها من العبارات، ويتجاوز عما كان من النقص».

والخلاصة التي نخرج بها من هذا العرض، أن المطبوع صُحح على بعض النسخ، خصوصاً في الطبعة الثانية، إلا أن هذه النسخ التي «تعرضت كلها لأضرار كثيرة أو قليلة» لم تبيَّن بالقدر الكافي كما أن فروق النسخ المثبتة لم تذكر فيها أسماء النسخ.

وقد لاحظنا أنه تم التصرف في النص في بعض المواضع، فقد أثبتت كلمات وعلق عليها في الهامش بأنها أضيفت لأن السياق يقتضيها، وعدلت كلمات أو فقرات وتم التعليق على ذلك بأن مصدره هو كلام القرطبي أو أبي حيان الذي نقل نص كلام المؤلف.

والأغرب من ذلك أن يتم وضع نقاط بدل بعض الأقوال أو حتى الأحاديث، ويعلل ذلك بأنها تنافي جلال هذا الكتاب![1]

لذلك كله كان الجهد الأكثر في هذه الطبعة الجديدة منصبّاً على البحث عن النسخ المخطوطة وتصحيح الكتاب عليها، وسنبين في هذا الفصل مصادر النسخ التي حصلنا عليها، والمنهج الذي اتبعناه في المقابلة.

أولاً: توصيف النسخ المتوفرة:

يمكن تقسيم النسخ التي توفرت لدينا من تفسير ابن عطية إلى ما يلي:

أولاً: النسخ الكاملة:

هما اثنتان: نسخة مكتبة الزاوية الناصرية المغربية من مخطوطات الأوقاف بالخزانة العامة بالرباط، ونسخة نور عثمانية.

(١) انظر مثلًا تفسير سورة الفلق.

١ ـ نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بالمغرب:

وهي خمسة أجزاء، خطها مغربي واضح، عليها أمارات المقابلة والعناية، ففيها إلحاقات مصحح عليها بنفس خط الناسخ، وعليها حواشٍ يرمز إليها بالرمز: «خـ» إشارة إلى نسخة، وتعليقات يرمز إليها بالرمز «ط»، أيضاً توجد تعليقات كتب أعلاها «ففــــ» بدون نقط، جميعاً بخط مغاير.

لكنها نسخة متأخرة، ففي آخر الجزء الثاني أنه قد نجز **نسخه** بتاريخ: **(١١٠٣هـ)**، وفي آخر الجزء الخامس أنه كمل في **(١١٠٥هـ)**، وفي آخر الجزء الأول **وقف** بتاريخ: **(١١٩٣هـ)**.

٢ ـ نسخة نور عثمانية رقم (١٨٦) بتركيا:

وهي جزء واحد يتكون من **(٨١٥)** ورقة، يحتوي على التفسير كله، خطه نسخي جميل جدّاً، كُتبت بعناية، الصفحة الأولى من التفسير بها زخرفة، وجميع اللوحات محاطة بمحدِّد، وبعض العناوين والكلمات كتبت باللون الأحمر، ووضع خط فوق الآيات عند بداية تفسيرها، وهي تشبه النسخ الخزائنية، وعليها وقف للسلطان بن السلطان أبي المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان، هذا الوقف كتبه: الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين، وعليها ختمه.

والسلطان عثمان هذا توفي عام **(١١٧١هـ)**.

وعلى النسخة أمارات المقابلة والعناية، ففيها إلحاقات مصحح عليها، وعليها شرح للغريب من «النهاية» وغيرها بنفس خط الناسخ. لكنها نسخة متأخرة أيضاً.

وعلى النسخة نفس الختم الموجود على بعض أجزاء نسخة أحمد الثالث الآتي ذكرها.

تنبيه عام:

قد لا تكون كل أجزاء النسخة فيما يأتي مشتملة على الوصف المشار إليه، ولا

كل الأجزاء التي مصدرها واحد تمثل نسخة واحدة متصلة، فأبدأ بالمعني به، ثم أعرِّج على بقية الأجزاء، ليكون وصف النسخة كاملاً في مكان واحد.

ثانياً: النسخ الأقدم:

١ ـ نسخة فيض الله بتركيا:

وهي خمسة أجزاء، خطوطها مختلفة، كتب على الأول أنه نسخ سنة **٧٠٢هـ**، وعلى الثاني (**٧١٩هـ**)، ولم يكتب على الباقي تاريخ للنسخ، وعليها جميعاً خاتم فيض الله، فالأقدم هما الأول والثاني، ولكن سنكمل وصف الجميع هنا للمناسبة.

تفصيل وصف الأجزاء:

الجزء الأول: يبدأ من أول التفسير إلى آخر سورة آل عمران، عدد أوراقه: (**٢٤٨**) ورقة، والورقة لوحتان.

ناسخه: إسماعيل بن محمد بن أحمد بن يوسف بن إسماعيل التنوخي، بمدينة قوص، من الصعيد الأعلى.

تاريخ نسخه: (**٧٠٢هـ**).

خطه نسخي معتاد، وتوجد إلحاقات مصحح عليها.

وعليه تملك بتاريخ (**٩٨٩هـ**).

ووقف بتاريخ (**١١١٣هـ**) داخل ختم، لفظه: وقف شيخ الإسلام السند فيض الله أفندي غفر الله له ولوالديه، بشرط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأ بالقسطنطينية سنة **١١١٣هـ**.

وعلى لوحة العنوان: نظر في هذا التفسير المبارك عمر بن محمد الشافعي، غفر الله له ولوالديه.

الجزء الثاني: يبدأ من أول سورة النساء إلى آخر الآية رقم **٤٠** من سورة الأنفال، عدد أوراقه (**٢١٧**) ورقة.

ناسخه: إبراهيم بن سليمان بن عبد الصمد المغربي المالكي.

تاريخ نسخه: (**٧١٩هـ**).

عليه تملك بتاريخ (٨٠٨هـ).

خطه أقرب للرقعة، واضح ومشكول في معظمه.

في آخره: بلغ مقابلة على الأصل في مجالس متفرقة آخرها الثالث عشر من جمادى الآخر من شهور سنة تسع عشرة وسبع مئة بالقاهرة المحروسة بمدرسة..

بقية أجزاء نسخة فيض الله:

الجزء الرابع: يبدأ من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة ص، عدد أوراقه (**٢٢٧**)ورقة.

خطه نسخي جميل، وبه بعض الشكل، وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.وفي آخره: طالعه أحمد بن الحسين...عفا الله عنه.

الجزء الرابع من نسخة أخرى خزائنية: يبدأ من أول سورة يس إلى آخر المصحف، لكنه ينتهي عند أول سورة الناس ولم تكمل، عدد أوراقه(**٢٤٣**) ورقة.

خطه نسخي متقن، يشتمل على لونين: الأسود والأحمر، وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، فالصفحة الأخيرة غير موجودة.

كتب على لوحة العنوان: برسم الخزانة العالية المولوية الأميرية الكبيرية الأجلِّيَة السيفية طقتم الخزندار الملكي الناصري. وعليها تذهيب على لوحة العنوان.

الجزء السادس: يبدأ من الآية رقم (**٨٤**) من سورة هود، وينتهي بالآية رقم (**٧٩**) من سورة الإسراء.

عدد أوراقه (**١٩٥**) ورقة.

وليس عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

كتب الناسخ في آخر الجزء: كمل السفر السادس من التفسير، يتلوه في أول السابع: وقل رب...

لكن كُتب على لوحة العنوان وموضعين آخرين عقبها: الجزء الثالث، وما جاء بخط الناسخ هو الأصح الأوثق.

خطها مغربي واضح، لكن لا تحتوي على مقابلات أو بلاغات أو تعليقات.

٢ ـ نسخة آيا صوفيا:

وهي جزءان، الأول والرابع، ووجد معهما جزء آخر هو الجزء الخامس، لكن هذا تبين أنه من نسخة أحمد الثالث، كما سيأتي.

الجزء الأول:

رقم (**١١٩**) يبدأ من أول التفسير إلى آخر سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٢٨**) ورقة.

خطه نسخي متقن، وبه عناوين باللون الأحمر، وبه إلحاقات مصحح عليها.

تاريخ نسخه (**٧١٩هـ**) وكتب في آخره: تم الجزء الأول من التفسير للشيخ الفقيه الإمام العالم القاضي أبو [كذا] محمد عبد الحق ابن الفقيه الحافظ الإمام أبي بكر بن عطية أحد شيوخ المرية رضي الله عنهم أجمعين، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر النبيين وآل كلٍّ وسائر الصالحين. وكان الفراغ من تعليقه اليوم السابع من شعبان المكرم سنة تسع عشرة وسبع مئة للهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، يتلوه في الجزء الثاني: سورة آل عمران، وكاتبه: محمد بن أحمد بن علي، عفا الله عنه ولطف به آمين.اهـ.

وعلى لوحة العنوان: قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان القاري: محمود خان وقفاً صحيحاً شرعيّاً...

وعلى اللوحة ختم كُتب عليه: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. وكتب أسفل الختم وقف لم أتبين منه إلا لفظة: محمد، ومعه فورمة. وهذا الختم هو الموجود أيضاً على أجزاء نسخة أحمد الثالث الآتية.

الجزء الرابع:

رقم (**١٢٠**) يبدأ من أول تفسير سورة الأنفال، وينتهي بآخر سورة الرعد، **عدد** أوراقه (**٢٥٢**).

نفس خط الجزء الأول ووقفه وختمه ووصفه، وكتب في آخره: تم الجزء... (طمس) من كتاب تفسير القرآن العظيم لابن عطية بحمد الله تعالى وعونه ومنِّه وكرمه في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخر سنة... وسبع مئة.اهـ، ولم يتضح لي كسر السنين قبل السبع مئة، لكن الذي يظهر أنه قريب من سنة تسع عشرة التي كتب فيها الجزء الأول.

٣ ـ نسخة أحمد الثالث:

وهي أربعة أجزاء، وينقصها جزءان. وجميعها عليه نفس الختم الذي سبق وصفه في نسخة آيا صوفيا.

الجزء الأول:

وهو أوثقها وأعلاها لمقابلته على نسخة المصنف كما سيأتي.

يبدأ من أول التفسير وينتهي بآخر سورة آل عمران، عدد أوراقه **٢٨١** ورقة، خطه نسخي معتاد.

تاريخ نسخه: (**٧٤٢هـ**) هكذا كتب على لوحة التعريف بالنسخة، وفي آخر النسخة: وافق الفراغ منه يوم الخميس تاسع عشر المحرم سنة.. وأربعين وسبع مئة غفر الله لمالكه وكاتبه وجميع المسلمين برحمة منه إنه أرحم الراحمين.اهـ.

ورقم الآحاد في سنة النسخ ليس تام الوضوح ولكنه الأقرب إلى: اثنتين.

وكتب بجوار هذا الفراغ: **بلغ المقابلة حسب الطاقة على نسخة المصنف** ولله الحمد. اهـ.

وتوجد بلاغات عديدة للمقابلة أثناء النسخة، مع إلحاقات مصحح عليها، وأحياناً يكتب فوق الكلمة في الحاشية: أصل، كما توجد بعض الحواشي كتب بجوارها: (حـ)، إشارة إلى نسخة، وتوجد أجزاء من بعض الصفحات بها طمس.

الجزء الثالث:

يبدأ من أول تفسير سورة الأنفال، وينتهي بآخر سورة النحل، عدد أوراقه **(٢٨٧)** ورقة.

خطه نسخي كالسابق.

تاريخ نسخه: **(٧٤١ هـ)** كتب في آخره: وقع الفراغ منه يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة.اهـ وكتب بجواره: بلغ مقابلة.

توجد إلحاقات مصحح عليها، كما توجد بعض الحواشي كتب بجوارها: (حـ)، وأحياناً (نخـ) بدون نقط، إشارة إلى نسخة.

الجزء الخامس:

يبدأ من أول تفسير سورة الإسراء وينتهي في أثناء الآية **(٢٣)** من سورة الأحزاب، عدد أوراقه **(٢٦١)** ورقة. وقد كتب على لوحة العنوان: المجلد الثالث، وكتب أيضاً: الجزء الرابع، لكن ضرب عليه وكتب فوقه: الخامس، وهو الصواب الذي جاء بخط الناسخ كما سيأتي.

خطه كالخط السابق، وتاريخ نسخه: **(٧٤٣هـ)**، كتب في آخره: يتلوه في الجزء السادس قوله: «ومنهم من ينتظر» كمل الجزء الخامس ولله الحمد والمنة في يوم

الأربعاء ثالث شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة على يد الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه: **محمد ابن أحمد** غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.اهـ.

توجد بلاغات للمقابلة، وإلحاقات وحواش قليلة، وعلى الكتابة ظلٌّ لكن الكلام واضح.

كتب على هذا الجزء: آيا صوفيا، وجاءنا ضمن أجزاء نسخة آيا صوفيا، لكنه من أجزاء نسخة أحمد الثالث لاستواء الناسخ والخط وترتيب المحتوى مع الجزء السادس الآتي.

الجزء السادس:

يبدأ من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الآية رقم **(٢٣)** من سورة الأحزاب، وهو تكملة للجزء السابق، وينتهي بآخر القرآن. عدد أوراقه **(٣١٠)** ورقة.

خطه نسخي معتاد كالسابق، وتاريخ نسخه **(٧٤٤هـ)**، كتب في آخره: وقع الفراغ من نسخه بحمد الله وكرمه يوم الجمعة ثالث صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة على يد الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه: **محمد بن أحمد بن محمد** غفر الله له ولوالديه ولمالكه ولجميع المسلمين برحمته آمين.اهـ.

عليه آثار المقابلة التي سبق وصفها.

٤ ـ نسخة دار الكتب المصرية:

وهي عبارة عن تسعة أجزاء، يُكمل بعضها بعضاً بخطوط مختلفة، لكنها أيضاً غير كاملة.

الأقدم من هذه الأجزاء، هي الخامس والثامن والعاشر، ثلاثتها بنفس الخط والوصف، وعليها وقف بتاريخ **(٧٥٥هـ)**. والأول عليه تملك بتاريخ **(٨١٩هـ)**، والباقي إما متأخر عن هذا وإما لا يوجد عليه أيُّ تواريخ، ونبدأ بوصف هذه الأربع.

الجزء الخامس:

يبدأ من الآية رقم (١٩) من سورة الأنفال، وينتهي بالآية رقم (٨٣) من سورة هود، عدد أوراقه (٢٣٦) ورقة.

عليه وقف باسم أبي المحاسن الحسن بن محمد بن عبد الله على طلبة العلم وقفاً صحيحاً شرعيّاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث... وذلك في يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة.

خطه نسخي جميل وواضح، لكن لا توجد أيُّ مقابلات أو حواش أو تعليقات.

وفي آخره: تم وكمل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه...(طمس) من تفسير القرآن العظيم والآيات والذكر للفقيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم يا من حلمه جاري اغفر للكاتب والقاري.اهـ

الجزء الثامن:

يبدأ من الآية رقم (١٢) من سورة النور، وينتهي بالآية رقم (٤) من سورة الأحزاب، عدد أوراقه (١٩٠) ورقة.

نفس البيانات السابقة.

الجزء العاشر:

يبدأ من الآية رقم (١٢) من سورة الحديد، وينتهي بآخر التفسير، عدد أوراقه (٢٤٠).

نفس البيانات السابقة.

الجزء الأول:

هو ضمن النسخة الأسدية، ولكنه مصور عن نسخة دار الكتب المصرية.

ويوجد مثله ضمن نسخة الخزانة العامة بالرباط، ملف رقم (٤٠٥٣) مكرر، ولكن هذه النسخة أوضح.

يبدأ من أثناء سورة الفاتحة وينتهي بالآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة، عدد أوراقه (٢٠٧) ورقة.

خطه نسخي جميل جدّاً مشكول، وعليه كأنه تملك بتاريخ (٨١٩هـ).

بها إلحاقات مصحح عليها، ويوجد بعض الطمس على بعض الصفحات.

بقية أجزاء نسخة دار الكتب:

الجزء الثاني:

رقم (٢٢٧) يبدأ بما قبل الآية رقم (١٠) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (٤٢) من السورة نفسها، عدد أوراقه (٢٨).

خطه نسخي جميل مشكول، هو نفس خط الجزء الثالث الآتي، وهو تتمته.

في آخر النسخة: كمل السفر الثاني من الكتاب الجامع المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز تأليف الإمام الفقيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله والحمد لله على ذلك كثيراً، يتلوه في السفر الثالث تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]....اهـ.

الجزء الثاني: عن النسخة الأسدية.

رقم (٢٥٠٣٢ب) المحفوظة بدار الكتب المصرية، يبدأ من أول سورة آل عمران وينتهي بالآية رقم (١٤٧) من سورة النساء، عدد أوراقه (٢٠٤) ورقة.

خطه مغربي، به طمس في العديد من الصفحات، وهي غير واضحة ولا يمكن الاستعانة بها.

تاريخ نسخه متأخر جدّاً، سنة (١٠٨٧هـ).

ناسخه: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الرياجي ـ أو كذا قرأتها ـ وكتب في آخر النسخة: تم السفر الثاني من كتاب ابن عطية من عمل اثنا ـ كذا ـ عشر سفراً..

الجزء الثالث:

رقم **(٢٢٦)** هو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم **(٤٣)** من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (١٤٠) من سورة الأنعام.

عليه وقف للمدرسة الحنفية المجاورة بجامع طولون، لكن ليس عليه تاريخ هذا الوقف.

خطه نسخي جميل مشكول، به إلحاقات مصحح عليها.

في آخر النسخة: كمل الجزء الثالث... ويتلوه الجزء الرابع إن شاء الله...

وهذا الرابع من هذه النسخة غير موجود ضمن نسخة دار الكتب.

الجزء الخامس:

يبدأ من أول تفسير سورة يونس، وينتهي بآخر تفسير سورة النحل، عدد أوراقه **(٢٦١)** ورقة.

عليه نفس الوقف السابق للمدرسة في الجزء الثالث.

نفس الخط النسخي المشكول، وفي آخر النسخة: كمل تفسير سورة النحل وبكماله كمل السفر الخامس فضلاً من الله ونعمة...

الجزء السادس من نسخة أخرى:

يبدأ بأول تفسير سورة النحل وينتهي بآخر سورة الكهف، عدد أوراقه **(١٨٢)** ورقة.

خطوطه مختلفة، آخرها خط مغربي، وبالنسخة طمس كثير، وعليها تملك باسم محمد بن محمد بن عبد الله.. الحنفي، لكن ليس بها أيٌّ تواريخ.

٥ ـ نسخة الجار الله:

عبارة عن خمسة أجزاء.

الجزء الأول:

رقم (**٥٧**) يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم (**٩١**) من سورة آل عمران، عدد أوراقه (**٣٠٠**) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، به عناوين بالأحمر.

توجد إلحاقات مصحح عليها، وحواشي فروق نسخ بالرمز (خـ)، وللجار الله واقف النسخة تعليقات عليها توقيعه.

عليها تملكات، أقدمها تاريخاً سنة (**٨١٩ هـ**)، ثم (**٩٧٣هـ**)، ثم (**٩٨٥هـ**)، ثم (**١١٣٣هـ**) للجار الله.

في آخر النسخة: تم الجزء الأول من المحرر الوجيز...وذلك بمدينة دمشق المحروسة...يتلوه في الثاني إن شاء الله قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: **٩٢**] اهـ.

كتب الجار الله على لوحة العنوان ما نصّه: وقد أثنى أبو حيان على المحرر الوجيز لابن عطية وقال: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وقيل كتاب ابن عطية..وأجمع وأخلص وألخص وأغوص.

الجزء الأول من نسخة أخرى:

رقم (**٥٨**) يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم (**٢٥٢**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٢١**) ورقة.

خطه أقدم من السابق، وبه تظليل خفيف، وليس به لون أحمر، ولا حواشٍ وتعليقات. وعليه وقف الجار الله أيضاً بتاريخ (**١١٣٥هـ**).

كتب في الصفحة قبل الأخيرة بيتين من الشعر:ثم قال...تم بحمد الله وكتب في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وسبع مئة ٧٨٧هـ.

وكتب في آخره: تم الجزء الأول بحمد الله وحسن توفيقه يتلوه..قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

بقية أجزاء نسخة الجار الله:

الجزء الرابع:

رقم (٦٠) يبدأ من آية (١٤٦) من سورة الأعراف وينتهي أوائل يوسف آية (٢٥)، عدد أوراقه (٢٥٠) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، به عناوين بالأحمر، توجد إلحاقات مصحح عليها، وفروق نسخ، وبلاغات للمقابلة، وعليه وقف للجار الله بتاريخ (١١٣٨هـ).

وفي آخره: آخر الجزء الرابع والحمد لله وحده...يتلوه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ..﴾ [يوسف: ٢٦] الآية، أحسن الله العاقبة.اهـ.

وما جاء على لوحة العنوان أنه الجزء الثالث خطأ.

وأمام ما سبق كتب: كمل مقابلة بالمسجد الأقصى الشريف في شوال سنة ثمانين اهـ. ولم أتمكن من قراءة بقية التاريخ.

وهو نفس خط الجزء الثالث والسابع من النسخة السليمانية وستأتي.

الجزء الثاني:

رقم (٦١) يبدأ من آخر سورة آل عمران وأول النساء، وهو مبتور من أوله، وينتهي بالآية (٥٠) من سورة المائدة، عدد أوراقه (١٤٦) ورقة.

خطه نسخي جميل واضح، لكنه متأخر، به بعض الإلحاقات المصحح عليها،

في آخرها: نجز الجزء الأول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، يتلوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ...﴾ [المائدة: ٥١] في الجزء الثالث.

الجزء السادس:

رقم (٦٤) يبدأ من أول سورة الشعراء وينتهي بآخر سورة محمد، عدد أوراقه (٢٣٩).

خطه نسخي جميل واضح متأخر، به بعض الإلحاقات المصحح عليها، وبه عناوين جانبية بخط مختلف لبعض الموضوعات المهمة تبدأ بكلمة: مطلب، ووضعت خطوط حمراء فوق بداية سرد الآيات التي ستفسر.

عليه وقف للجار الله بتاريخ (١١٣٨هـ) ولا يوجد كولوفون.

٦ ـ نسخة قفوش:

هي عبارة عن ثلاثة أجزاء، كتب على لوحة التعريف بجزئين منها: أن تاريخ النسخ هو القرن الثامن، وثالثها القرن العاشر.

الجزء التاسع:

جزء من نسخة رقم (٥٨٢) يبدأ من أول تفسير سورة الحشر وينتهي بأول تفسير سورة التكاثر، عدد أوراقه (١٩٥) ناقص الآخر.

خطه نسخي واضح، ولا توجد بلاغات ولا آثار مقابلات أو تعليقات.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: القرن التاسع.

جزء آخر:

رقم (٥٨٢) يبدأ من أول سورة لقمان وينتهي بآخر سورة السجدة، عدد أوراقه (٢١٩).

نفس الخط الموصوف سابقاً، وبه أرضة في أغلب الصفحات. والظاهر أنه بنفس تاريخ النسخ.

الجزء الأول:

رقم (**٥٨١**) يبدأ من أول التفسير وينتهي أثناء تفسير الآية رقم (**٢٣**) من سورة المائدة، عدد أوراقه (**٤١٢**).

خطه مغربي غير تام الوضوح، ولا توجد بلاغات ولا آثار مقابلات أو تعليقات.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: القرن العاشر.

٧ ـ النسخة الأزهرية:

هي عبارة عن ثلاثة أجزاء، إحداها وهو الجزء **الأول** جاء على اللوحة أنه بخط جمال الدين الأميوطي، وهذا قد توفي سنة (**٧٩٠**هـ)، وكتب على لوحة التعريف بالجزء **الثاني**: تاريخ النسخ: حوالي القرن التاسع.

الجزء الأول:

يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (**٩٧**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٩٧**) ورقة.

خطه نسخي جميل، به أسود وأحمر، عليه تعليقات علمية كثيرة، الظاهر أنها بقلم الناسخ نفسه، وهو أديب من فقهاء الشافعية كما سيأتي.

في أول النسخة وآخرها أن هذا الجزء بخط الشيخ العالم جمال الدين الأميوطي. نسبة إلى بلدة من قرى القاهرة بالغربية تسمى: أميوط.

وجمال الدين الأميوطي هذا الظاهرُ أنه هو الشيخ: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد اللخمي المحدِّث المسنِد الشافعي الأميوطي

المصري ثم المكي، المولود سنة (٧١٥هـ) والمتوفى سنة (٧٩٠هـ)[١].

وعليه فتاريخ نسخ هذا الجزء قبل سنة وفاة الأميوطي، وهي سنة (٧٩٠هـ).

الجزء الثاني:

رقم (٦٨) ٨٩٩، يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة النساء، عدد أوراقه (٢٨٣) ورقة بأسطر مختلفة.

كتب على لوحة التعريف بالنسخة: تاريخ النسخ: حوالي القرن التاسع.

خطه نسخي معتاد، ولا توجد بلاغات أو تعليقات أو حواشٍ.

عليه وقف باسم الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ أبي زيد... الشافعي الأزهري، وجعل مقره برواق السادة الأكراد المجاورين بالجامع الأزهر، تحريراً في ثامن عشر من شهر شعبان سنة إحدى وعشرين ومئة وألف (١١٢١هـ).

في آخره: تم الجزء الثاني من التفسير بحمد الله تعالى وعونه على يد الفقير.. محمد.. الحنفي.

الجزء الرابع:

يبدأ من أول سورة الأنعام وينتهي بكمال سورة الأعراف، عدد أوراقه (١٧٨) ورقة.

خطه قديم كما كتب على لوحة التعريف بالنسخة، لكن اللوحة الأخيرة من الجزء ـ والتي بها الكولوفون ـ، مقلوبة، لم أتبين منها إلا قوله في أولها: كمل تفسير سورة الأعراف.

على النسخة أثر المقابلة، وفيها طمس كثير.

---

(١) انظر ترجمته في إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ للحافظ ابن حجر (٢/ ٢٩٤) والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (١/ ٢٨) وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٤٢٧) والأعلام للزركلي (١/ ٦٤) ومعجم المؤلفين (١/ ٩٨).

ثالثا: النسخ المشتملة على بلاغات ومقابلات وفروق نسخ أو تعليقات وحواش سوى ما تقدم.

١ ـ النسخة السليمانية بتركيا:

عبارة عن أربعة أجزاء: عليها **جميعاً** وقفٌ داخل ختم كُتب فيه: وقف المرحوم مصطفى أفندي المشتهر بحاجي زاده[1] (يسر) الله له الحسنى وزيادة.

ومصطفى هذا الظاهر أنه مصلح الدين مصطفى بن يوسف بن صالح خواجه زاده البروسوي الرومي الحنفي، المشتهر بـ: حاجي زاده، المتوفى سنة (**٨٩٣هـ**) وعليه يكون تاريخ نسخ هذه النسخة قبل هذا التاريخ.

له تواليف، منها كتاب (التهافت ـ ط) في المحاكمة بين تهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت الحكماء لأبي الوليد بن رشد، صنفه بأمر السلطان محمد الفاتح العثماني. وله (حاشية على شرح المواقف) ألفها بأمر السلطان بايزيد، ولم يتمها، وحواش وشروح في الحكمة وغيرها[2].

قال الشوكاني: عالم الروم المشهور بالتحقيق، وجودة التصور، والذكاء المفرط، وإفحام من يناظره.

الجزء الأول:

رقم (٦٣) يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (**٢٧٣**) من سورة البقرة، عدد أوراقه (**٢٥١**) ورقة.

خطه واضح به أسود وأحمر، وتوجد تعليقات وحواش بخط مغاير أكثرها

---

(١) تنظر ترجمة مصطفى أفندي في البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٩٩) وشذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٣٥٣).

(٢) ينظر كشف الظنون (١/ ٥٠٩) لحاجي خليفة، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٤٧).

تخريج حديث، وواضح أنه تخريج نفيس، وفي التعليقات نقولات نفيسة عن أهل العلم في تفسير الحديث، وفيها شرحُ غريبٍ منقولٌ عن الصحاح وغيره، وفيها ضبط بعض الأسماء والبلدان. الذي يظهر أنها جميعاً بقلم حاجي زادة صاحب وقف هذه النسخة.

في آخره: نجز الجزء الأول من المحرر الوجيز... يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ..﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الجزء الثاني:

رقم (٦٤) هو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم (٢٧٤) من سورة البقرة وينتهي بالآية رقم (١٤٧) من سورة النساء، عدد أوراقه (٢١٠) ورقة.

نفس النسخة السابقة، ونفس الختم، لكن لا توجد التعليقات المذكورة إلا نادراً جدّاً.

في آخره: نجز الجزء الثاني من كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، يتلوه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

الجزء الثالث:

رقم (٦٥) وهو تكملة للجزء السابق، يبدأ من الآية رقم (١٤٨) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف، عدد أوراقه (٢٤٢) ورقة.

نفس الخط السابق، ونفس الختم، وبه إلحاقات مصحح عليها، وبه حواشٍ عليها (نخـ) ـ بدون نقط ـ وبه بعض التعليقات عليها (حـ) وجميع ذلك بخطٍّ كُتب به في آخر النسخة: كمل مقابلة بحسب الطاقة بحمد الله في شوال سنة ثمانين اهـ. ولم أتبين ما كتب في هذا الموضع، وهذا الخط ونفسُ الرسم هو الذي كُتب به نحو هذه العبارة في آخر الجزء الرابع والسابع من نسخة الجار الله، وقد سبقت الإشارة إليها.

وفي آخر هذا الجزء: تم الجزء الثالث من التفسير المحرر الوجيز للكتاب العزيز،

يتلوه إن شاء الله تعالى تفسير قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] الآية.

الجزء السابع:

رقم (٦٦) يبدأ من الآية رقم (٣٦) من سورة الروم وينتهي بآخر سورة الفتح، عدد أوراقه (٢٦٦) ورقة.

نفس النسخة التي سبق وصف أجزائها الثلاثة السابقة، وعليها نفس الوقف، وتوجد المقابلات والإلحاقات والحواشي برموزها، وفي آخرها أيضاً: كمل مقابلة هذا الجزء بحمد الله القوي بتاريخ عشر ذي الحجة سنة ثماني اهـ، وسبق أني لم أتبين هذا التاريخ.

وآخره أيضاً: آخر الجزء السابع، والحمد لله حقَّ حمده، وصلواته على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، يتلوه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى تفسير سورة الحجرات.اهـ.

٢ ـ نسخة لا له لي بتركيا:

عبارة عن أربعة أجزاء، **الأول هو المراد هنا**، وعليه وعلى الثاني ختم كتب عليه: هذا وقف سلطان الزمان الغازي سليم خان ابن السلطان مصطفى خان عفا عنهما الرحمن.

وصاحب الوقف مولود في (١١٧٥هـ) ومتوفًّى في (١٢٢٣هـ) وكان من أفضل ملوك دولتِهِ، دمث الأخلاق مغرماً بالآداب[١].

الجزء الأول:

رقم (١١٩) يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة آل عمران مع بعض من آخر سورة النساء حتى الورقة رقم (٢١٠)، ثم أواخر سورة الأنفال حتى ورقة رقم (٢٢٧)، ثم أوائل سورة التوبة إلى آخر الجزء، عدد أوراقه (٢٦١) ورقة.

---

(١) ترجمته في «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» لعبد الرزاق البيطار (١/ ٣٠٥) وفي «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمد فريد بك، طبعة دار النفائس (ص: ٣٦٣)، وغيرهما.

تاريخ نسخه: في (ص: ١٢٢) يمين كتب: الحمد لله حمداً كبيراً، كمل الجزء الأول من تفسير الإمام العالم العامل محيي السنة أبي محمد بن عطية.. في غرة شهر محرم الحرام افتتاح سنة اثنتين وخمسين وألف (١٠٥٢هـ).

خطه نسخي جميل جدّاً متقن، به بدايات بعض الفقرات وعناوين ونحو ذلك باللون الأحمر، وكذلك بعض الشكل والفواصل بالأحمر.

وتوجد عناوين جانبية بعضها بالأحمر للفوائد الموجودة في النص.

وتوجد إلحاقات مصحح عليها، واختلاف نسخ عليها الحرف (خ)، كما توجد بلاغات للمقابلة بلفظ: بلغت مع الأصل.

وتوجد تعليقات نفيسة على مواضع من النص عليها توقيع كأنه: «منه رحمه الله» كتبها بطريق الفورمة، ولا أدري من المقصود بكاتب هذه التعليقات.

وتوجد تعليقات ونقولات عن بعض الكتب بدون توقيع.

الجزء الثاني:

رقم (١٢١) يبدأ من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف، عدد أوراقه (٢٦٠) ورقة. وقد كتب على لوحة العنوان: من سورة طه، وهو خطأ.

نفس الخط واللونين والإلحاقات والبلاغات وفروق النسخ، ومشكول شكلاً كاملاً، لكن ليس فيه التعليقات المشار إليها في الجزء الأول. وعليه نفس الختم.

آخره: كملت السورة والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على من عمت الأنام بركته وفضله.

الجزء السادس:

رقم(١٢٠) يبدأ من أثناء الآية رقم (٨٢) من سورة مريم، وينتهي بآخر سورة الروم، عدد أوراقه (٢٦٢).

في آخره: تم الجزء السادس من المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز مما عني بشرحه الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه، يتلوه في الجزء السابع أول سورة لقمان إن شاء الله تعالى...

عليه نفس الختم.

وخطه كالسابقَين لكن ليس فيه إلحاقات ولا بلاغات ولا فروق النسخ ولا تعليقات.

الجزء السادس أخرى:

رقم (١٢٢) مبتور الأول من سورة لقمان، وينتهي أثناء آية رقم (٢٣) من سورة الزخرف، عدد أوراقه (٢٤٨) ورقة.

خطه مختلف عن السابقِين، وهو خالٍ عن الوصف الذي سبق في الأول، لكن عليه نفس الختم.

٣ ـ نسخة الحمزاوية:

عبارة عن أحد عشر جزءاً، ينقصها الجزء السادس فقط، وهو من الآية رقم (٥) من سورة إبراهيم حتى الآية (١٧) من سورة الإسراء، وبقية الأجزاء تستوعب سائر القرآن.

جميعها خطها نسخي جميل، أغلبها مشكول شكلاً كاملاً، سوى الجزء السابع فليس به شكل.

والمقصود هنا هو **الجزء الثاني**، نبدأ به ثم نكمل الباقي.

الجزء الثاني:

يبدأ من الآية رقم (٢٦٧) من سورة البقرة وينتهي بالآية رقم (٤٠) من سورة النساء، عدد أوراقه (١٤٢) ورقة.

خطه مشرقي جميل، مشكول.

في آخره: بلغ مقابلة، وبالنسخة إلحاقات مصحح عليها.

آخره: تم الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم لابن عطية بحمد الله ويتلوه في الثالث: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]... وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الجزء الأول:

يبدأ من أول القرآن وينتهي بالآية رقم (٢٦٦) من سورة البقرة، عدد أوراقه (٢٤٤).

خطه نسخي جميل، به بعض الشكل.

الجزء الثالث:

يبدأ من الآية رقم (٤١) من سورة النساء وينتهي بالآية رقم (٥٠) من سورة الأنعام، عدد أوراقه (٢٤٧) ورقة.

مشكول، وهو أشبه بالجزء الثاني، عليه آثار المقابلة.

الجزء الرابع:

يبدأ من الآية رقم (٥١) من سورة الأنعام وينتهي بالآية رقم (٦١) من سورة الأنفال، عدد أوراقه (٢٤٧) ورقة.

الجزء الخامس:

يبدأ من قبل الآية رقم (٥٩) من سورة الأنفال وينتهي بالآية رقم (٤) من سورة إبراهيم، عدد أوراقه (٢٤٤).

النسخة مبتورة الأول، بأولها قيد تملك باسم محمد بن عبد الله المطهري.

الجزء السابع:

يبدأ من الآية رقم (١٨) من سورة الإسراء وينتهي بآخر سورة المؤمنين، عدد أوراقه (٢٠١).

ليس به شكل.

الجزء الثامن:

يبدأ من أول سورة النور وينتهي بالآية رقم (٤٩) من سورة الأحزاب، عدد أوراقه (٢٥١).

الجزء التاسع:

يبدأ من الآية رقم (٥٠) من سورة الأحزاب، وينتهي بالآية رقم (٣٩) من سورة الزخرف، عدد أوراقه (٢٤٦).

الجزء العاشر:

يبدأ من الآية رقم (٤٠) من سورة الزخرف وينتهي بآخر سورة الممتحنة، عدد أوراقه (١٩٤) ورقة.

الجزء الحادي عشر:

يبدأ من أول سورة الصف وينتهي بآخر القرآن، عدد أوراقه (٢٢٠) ورقة.

النسخة تامة مشكولة سليمة، أُبرزت فيها أسماء السور ونصوص الآيات بخط غليظ أسود.

سائر النسخ:

١ ـ نسخة الخزانة العامة بالرباط:

هي عبارة عن أربعة أجزاء:

الجزء الأول:

فيلم رقم (٣١٤٣)، يبدأ من أول الكتاب وينتهي بآخر سورة البقرة، عدد أوراقه (٣٩١) ورقة.

خطه مغربي واضح، ولا توجد تعليقات أو حواشٍ، وفي آخره وقف أو تملك بتاريخ: ثامن عشر من رمضان المعظم عام واحد وخمسين ومئة وألف (١١٥١هـ).

الجزء الثاني:

فيلم رقم (**٣١٥٤**) يبدأ من أول سورة المائدة وينتهي بآخر سورة يوسف، عدد أوراقه (**١٥٢**) ورقة.

خطه مغربي غير تام الوضوح، وتوجد حواشٍ وإلحاقاتٌ مصحح عليها.

في آخره: هنا انتهى الجزء الثاني من المحرر الوجيز تأليف الإمام المجمع على تقديمه على غيره من التفاسير أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي رحمه الله تعالى...على يد عُبيد الله وأحوجهم إلى عفو الله ومغفرته: محمد بن أحمد بن سليمان... الأندلسي الأصل...وكان الفراغ منه عشية يوم الأربعاء السادس والعشرين من ربيع الثاني عام سبعة وخمسين وألف (١٠٥٧هـ).

توجد في آخر الجزء عبارة: بلغت المقابلة.

الربع الثالث:

فيلم رقم (**٣١٥٥**) يبدأ من أول سورة مريم وينتهي بآخر سورة الصافات، عدد أوراقه (**١٦٢**) ورقة.

خطه مغربي واضح، به تعليقات وحواشٍ ومقابلات.

في آخره: نجز الربع الثالث من تفسير ابن عطية يتلوه الربع الرابع... على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله بعده من أبناء جنسه: عمر بن الحاج الناصر...ثم الورثاجي... كان الله له ولوالديه... وكان الفراغ منه يوم السبت عند الزوال ثامن شعبان المبارك من عام واحد ومائتين وألف (١٢٠١هـ).

تكملة الجزء السابق:

فيلم رقم (**٣١٥٥**) أيضاً، يبدأ من أول سورة ﴿صٓ﴾، عدد أوراقه (**١٧٩**) ورقة.

فيه طمس كثير وشديد ولا يمكن الاعتماد عليها.

٢ ـ نسخة نجيبويه:

عبارة عن أربعة أجزاء.

١ ـ الجزء الثاني:

أوله سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف، عدد أوراقه (**٣٢٦**) ورقة.

خطه مغربي واضح ويحتوي على عدة ألوان.

في آخره: قد تم بحمد الله تفسير سورة الأعراف وهو تمام السفر الثاني من تأليف الشيخ الجليل الفقيه القدوة النبيل واسطة عقد المفسرين والمقدم على غيره عند جميع المحققين القاضي أبي محمد عبد الحق بن الفقيه العالم أبي بكر غالب بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي الأندلسي رحمه الله.

ووافق الفراغ منه.. يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر الله المعظم رمضان سنة تسع وعشرين ومائتين وألف (**١٢٢٩هـ**).

٢ ـ الجزء الثالث:

أوله سورة الأنفال، ولم أتبين آخرها لأن به صفحات من آخره كثيرة لا تفتح.

نفس خط الجزء السابق.

الجزء الرابع:

يبدأ من سورة الكهف وينتهي بآخر سورة الصافات، عدد أوراقه (**٢٨٦**) ورقة.

نفس الخط السابق.

الجزء الخامس:

يبدأ من سورة ﴿صٓ﴾ وينتهي بآخر القرآن، عدد أوراقه (**٢٩٨**) ورقة.

نفس الخط السابق.

٣ ـ نسخة شيستربيتي:

عبارة عن الجزء الأول فقط، يبدأ من أول الكتاب، عدد أوراقه **(١٢٩)** خطه نسخي معتاد، وبه إلحاقات مصحح عليها، وعليه تملك باسم الفقير خليل بن الشيخ محمد... إمام الجامع الأموي في سنة (**١٠٩٨هـ**).

لكن أغلب الملف لم يفتح فلم أتمكن من الاطلاع على معظم النسخة لا سيما آخرها.

٤ ـ النسخة الأسدية:

عبارة عن خمسة أجزاء:

الجزء الأول والخامس:

مصوران عن دار الكتب المصرية، ولذا فقد وضعتهما هناك.

الجزء الثاني:

يبدأ من أول سورة آل عمران وينتهي بالآية رقم **(١٤٧)** من سورة النساء، عدد أوراقه **(٢٠٤)** ورقة.

خطه مغربي، غير تام الوضوح في عدة صفحات، وبه طمس في صفحات أخرى، وليست النسخة بالجيدة، وهي مصورة أيضاً عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم **(٢٥٠٣٢)**.

في آخره: تم السفر الثاني من كتاب ابن عطية من عمل اثنا عشر سفراً بحمد الله تعالى وحسن عونه... على يد كاتبه: الراجي رحمة ربه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الرياجي لطف به آمين، وكان الفراغ منه اليوم الأول من شعبان المبارك سبعة وثمانين وألف (**١٠٨٧هـ**).

الجزء الأخير:

مبتور من الأول، لا توجد لوحة للعنوان، يبدأ من آخر سورة الحاقة وأول سورة

المعارج، وينتهي بآخر القرآن، خطه مغربي دقيق، يوجد كولوفون بآخر ورقة به، اسم ناسخه: محمد بن عبد الرحمن.. ولم أتبين بقية اسمه، توجد إلحاقات بنفس خط الناسخ كأنه أمارة المقابلة. لا توجد أي تواريخ على النسخة.

جزء آخر جيد:

يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وينتهي بأواخر تفسير سورة الناس، (٢٨٢) ورقة، ناقص الورقة الأخيرة، لا توجد لوحة العنوان ولا صفحة الكولوفون.

خطه نسخي معتاد، به حواشي فروق نسخ، وإلحاقات مصحح عليها، وكثير من التعليقات بخط مغاير، وتوجد عناوين جانبية مصدَّرة بكلمة: مطلب، كالعناوين لبعض الفوائد والمهمات.

عليها أمارات العناية.

جاءت مع النسخة ورقة لا يدرى هل هي تبع لها أم لا، لأنه كان معها مصورات أخرى، عليها ختم دار الكتب الظاهرية الأهلية، وفي أسفل الصفحة كلمة: المشتري، وأسفل منها تاريخ، لعله (٨٧١هـ).

٥ ـ نسخ الإمارات:

عبارة عن خمس عشرة نسخة، كتب عليها جميعاً: [MSDCF١٠١] وهذا اختصار لـ: أوستن نينادا للحفاظ وترقيم التاريخ فيما أظن، وأغلبها لا يمكن الاعتماد عليها بسبب الطمس والرطوبة.

ملف رقم (٥٨١٧٦):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أثناء سورة لقمان وينتهي أثناء سورة التكوير، ولا يظهر أن النسخة متصلة، فقبل الآخر تفسير سورة الفجر والشرح، وبالنسخة تآكلٌ من

الأطراف في أولها، ولا يوجد كولوفون ولا أي معلومات عن النسخة.

ملف رقم (٨٢٢٥٨):

لا يمكن الاعتماد عليها، كثيرة الطمس والرطوبة والتآكل، عليها ختم: وزارة التهذيب الوطني، مكتبة ابن يوسف بمراكش، بالمغرب.

به تاريخ لم أتبينه، وهو يشتمل على تفسير سورة النساء.

ملف رقم (٨٨٢٦١):

مبتور الأول والآخر، به من تفسير سورة سبأ إلى أول سورة الصافات.

الخط مغربي واضح، يوجد بعض الطمس، وترقيم الصفحات غير واضح.

ملف رقم (١٤٣٤٣٧):

نفس الخط المغربي، والنسخة كأنها قطع متفرقة، فيها من أول التفسير وآخره.

في آخره: كمل السفر الخامس من تفسير القرآن العظيم.. يتلوه من أول السادس تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام.

وفيه: وقيد في سادس عشر ربيع النبوي خمسة وأربعين ومئة وألف (**١١٤٥هـ**).

ملف رقم (١٥١٤٦٨):

السفر السادس يبدأ من أثناء سورة الفرقان وينتهي بآخر سورة يس.

عليه نفس ختم وزارة التهذيب الوطني بمراكش.

به طمس كثير ولا يمكن الاعتماد عليه.

ملف رقم (١٦٢٤٧١):

السفر الأول من الكتاب، من أوله إلى آخر البقرة.

لا يمكن الاعتماد عليه، إلا استئناساً في بعض المواضع التي تُشْكِل في سائر النسخ.

عليه وقف بتاريخ ثمانية وسبعين وتسع مئة فيما يظهر (**٩٧٨هـ**).

ملف رقم (١٦٧٤٩٣):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أثناء سورة الأنفال إلى أثناء سورة الحجر.

كسابقه لا يمكن الاعتماد عليه إلا استئناساً.

ملف رقم (٢٠٣٦٣٣):

يبدأ من أول القرآن وينتهي بآخر سورة البقرة. كسابقه.

ملف رقم (٢٠٨٦٣١):

يبدأ من أول سورة الكهف وينتهي بآخر سورة القصص.

عليه نفس ختم وزارة التهذيب الوطني بمراكش المغرب.

وعليه نفس الوقف والتحبيس الذي سبق في الملف رقم (١٦٢٤٧١) لكن بتاريخ تسع وسبعين وتسع مئة (٩٧٩هـ).

ملف رقم (٢١٤٦٥٣):

مبتور الأول والآخر، يبدأ من أواخر سورة إبراهيم وينتهي بأواخر سورة الأنبياء.

عليه نفس الختم السابق.

نفس الخط وسوء النسخة.

ملف رقم (٢١٩٦٥٦):

يشتمل على تفسير سورة آل عمران، لكنها غير كاملة.

نفس الخط لكن الطمس قليل.

ملف رقم (٢٢٢٦٨٣):

يبدأ من أول سورة الأنفال وينتهي بآخر سورة يوسف.

عليه نفس الختم السابق، وهو بنفس الخط، والطمسُ كثير جدّاً.

ملف رقم (٦٤١٧):

يبدأ من أول القرآن، وهو مبتور الآخر، آخره أثناء الآية قبل الأخيرة من سورة البقرة.

نفس الخط وهو واضح، وبالنسخة بعض آثار أرضة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملف رقم (٦٤١٨):

الجزء الثاني مبتور الأول يبدأ أثناء قصة قابيل وهابيل من سورة المائدة وينتهي بآخر سورة هود.

خط مغربي بقلم محمد بن موسى البرنوجي النسب الشبشاريني الدار والمنشأ صبيحة السبت واحد وعشرين من صفر عام خمسة وأربعين وألف (**١٠٤٥هـ**).

في آخره: كملت سورة هود والحمد لله رب العالمين، هنا انتهى الجزء الثاني من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

النسخة جيدة وعليها تعليقات نفيسة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملف رقم (٨٩٢٢):

الجزء الأخير، ناقص الأول والآخر، وهو غير متصل، يبدأ من أثناء الآية **٢٣** من سورة العنكبوت، وفي آخره تفسير سورة الماعون، عدد أوراقه (**٣٨٠**) ورقة.

خطه نسخي معتاد، عليه آثار المقابلة.

عليه ختم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصورة عن دار الثقافة بالمغرب.

ملكه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، إهداء من مكتبة العسافي.

تنبيه:

سبق أن بعض النسخ لم أستطع قراءة التاريخ الموجود عليها، وأظن أن الأولين كتبا بالتركية.

وهي:

١ ـ النسخة السليمانية الجزء الثالث والسابع.

٢ ـ نسخة الجار الله الجزء الرابع.

٣ ـ نسخة الإمارات ملف رقم (**٨٢٢٥٨**).

وقد قام بكتابة هذا التوصيف الشيخ إبراهيم سعيد الصبيحي الباحث بوحدة التدقيق.

ثانياً: النسخ التي وقع الاختيار عليها للمقابلة:

وبعد الاطلاع على جميع النسخ السابقة، والتي وصل عدد ملفاتها **٨٣** ملفّاً، قمنا بتحديد عدد سبع نسخ، تم اختيارها حسب أقدمية التاريخ وجودة الخط، وآثار التصحيح والمقابلة، ومن هذه النسخ اثنتان كاملتان، وثلاث شبه كاملة لا ينقص كلّاً منها إلا ملف واحد، ونسختان ملفقتان، ونبين ذلك في العرض التالي:

أولاً النسخ الكاملة:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بالمغرب: **١٠٠**٪.

وقد تمت الإشارة إليها في الهوامش بعبارة «الأصل»، وذلك باعتبارها أول نسخة كاملة حصلنا عليها.

النسخة الثانية: نسخة نور عثمانية رقم (**١٨٦**) بتركيا: **١٠٠**٪.

النسخ شبه الكاملة:

النسخة الثالثة: نسخة الحمزوية: **٩٥**٪.

عبارة عن أحد عشر جزءاً، ينقصها الجزء السادس فقط، وهو من الآية رقم (**٥**)

من سورة إبراهيم حتى الآية (١٧) من سورة الإسراء، وبقية الأجزاء تستوعب سائر القرآن، وقد تم تعويض ذلك النقص من النسخة الإماراتية، لتصبح النسخة كاملة.

النسخة الرابعة: نسخة نجيبويه: **٨٨٪**.

عبارة عن خمسة أجزاء ينقصها الجزء الأول فقط وهو من أول الكتاب إلى نهاية آل عمران، والمتوفر منها أربعة أجزاء من أول سورة النساء إلى آخر الكتاب، وقد حصلنا عليها من طرف الشيخ الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب حفظه الله، صاحب مكتب نجيبويه لخدمة التراث.

النسخة الخامسة: نسخة أحمد الثالث: **٨٥٪**.

وتقع في ستة أجزاء (أو خمسة) ينقصها الجزء الثاني من أول النساء إلى نهاية الأعراف، وسائرها متوفر، وهي أوثق النسخ وأعلاها، لمقابلتها على نسخة المصنف كما تقدم.

وقد تم تعويض الناقص من هاتين النسختين وهو من أول القرآن إلى آخر الأعراف من الملفين الأولين المهمين من نسخة فيض الله بتركيا:

كتب على الأول أنه نسخ سنة (**٧٠٢هـ**)، وهو أقدم تاريخ في النسخ كلها، وعلى الثاني (**٧١٩هـ**)، وهو الذي يليه، وبذلك تصبح النسختان كاملتين أيضاً.

النسخة السادسة: (ملفقة).

تم اختيار قسمين منها من النسخة الأسدية يمثلان **٤٥٪**.

القسم الأول: يبدأ من أوائل الأنفال إلى بداية مريم.

القسم الثاني: يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وينتهي بأواخر تفسير سورة الناس.

ويتبقى من هذه النسخة من الكتاب قسمان:

القسم الأول: من أول القرآن إلى أواخر سورة الأعراف، وقد تم تعويضه من الأجزاء الثلاثة الأولى من النسخة السليمانية، الأول ينتهي عند الآية رقم **(٢٧٤)** من سورة البقرة، والثاني: تكملة له، وينتهي بالآية رقم **(١٤٧)** من سورة النساء، والثالث: تكملة لهما أيضاً.

القسم الثاني: من أول سورة مريم إلى أواخر سورة فصلت، وقد تم تعويض بعضها من الجزء السادس من نسخة لا له لي الذي يبدأ أثناء الآية رقم **(٨٢)** من سورة مريم، وينتهي في آخر سورة الروم، وجزء آخر منها يبدأ من سورة لقمان وينتهي أثناء الآية رقم **(٢٣)** من سورة الزخرف.

النسخة السابعة: (ملفقة أيضاً).

تم اختيار قسمين منها من المصرية والأسدية يمثلان **٢٩**٪.

القسم الأول: من الجزء الخامس من دار الكتب المصرية: من أول يونس إلى نهاية الكهف

يبدأ من أول تفسير سورة يونس، وينتهي بآخر تفسير سورة النحل، والجزء السادس من نسخة أخرى منها يبدأ بأول تفسير سورة النحل وينتهي بآخر سورة الكهف، عدد أوراقه **(١٨٢)** ورقة.

القسم الثاني: من الجزء الأخير من الأسدية (أخرى)، يبدأ من أول الذاريات، وينتهي بآخر القرآن.

ويتبقى من هذه النسخة أيضاً قسمان:

القسم الأول: من أول التفسير إلى نهاية سورة التوبة.

وقد تم تعويض جزء منه من أول الكتاب إلى أثناء آل عمران من الجزء الأول من نسخة جار الله، وهو يبدأ من أول التفسير وينتهي بالآية رقم **(٩١)** من سورة آل عمران.

وتعويض جزء آخر منه من الجزء الثاني من نسخة لا له لي يبدأ من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء وينتهي بآخر سورة الأعراف.

وتعويض باقيه من الجزء الرابع من جار الله، رقم (٦٠) يبدأ من آية (١٤٦) من سورة الأعراف وينتهي أوائل يوسف آية (٢٥).

القسم الثاني: من أول مريم إلى نهاية ق.

وتم تعويض جزء منه من النسخة الإماراتية من أول مريم إلى نهاية النور، وجزء آخر من نسخة فيض الله يبدأ من سورة الفرقان.

وهناك بعض النسخ التي تم الاستئناس بها دون أن تعتمد للمقابلة، وتمت الإشارة إلى المواضع التي استفدنا منها فيها في الهامش، منها:

نسخة أيا صوفيا التركية، النسخة الأزهرية المصرية، الخزائنية، نسخة شستربيتي، إضافة إلى الأجزاء التي لم يقابل عليها من فيض الله والإماراتية والسليمانية وجار الله ولاله ليه.

ثالثاً: منهج إثبات فروق النسخ

نظراً لتعدد المناهج والطرق المتبعة في مطابقة المطبوع لمخطوطاته الأصلية، فقد وضعنا بعض المعايير والضوابط لتوحيد عمل اللجان المختلفة العاملة في المقابلة، حتى يسير العمل بمنهجية موحدة ما أمكن، ومنها:

• كتابة أسماء النسخ مختصرة دون الرمز لها بحروف أو أرقام.

• تسمية النسخة المغربية بالأصل.

• إضافة أرقام صفحاتها عند بداياتها بين معكوفتين [/] مع ذكر رقم مجلد المخطوط أولاً ثم رقم الصفحة بعد الخط المائل.

• إثبات المسائل التالية من الأصل فقط دون الإشارة إلى اختلاف النسخ بينها إلا لسبب خاص، وهي:

١ـ ألفاظ الصلاة النبوية والترضي والترحم ونحو ذلك.

٢ ـ عبارة «قال القاضي أبو محمد» وما في معناها.

٣ـ تحديد بدايات المقاطع القرآنية.

• استبعاد الخلافات الشكلية من النسخ الثانوية، والمقصود بها ما لا يحتمل أن يكون مقصوداً للمؤلف، إذا كان خطأً واضحاً ومخالفاً للنسخ الأخرى.

• الرجوع للنسخ الاستئناسية في الحالات التالية:

١ـ عدم وضوح المعنى في النسخ المعتمدة للمقابلة.

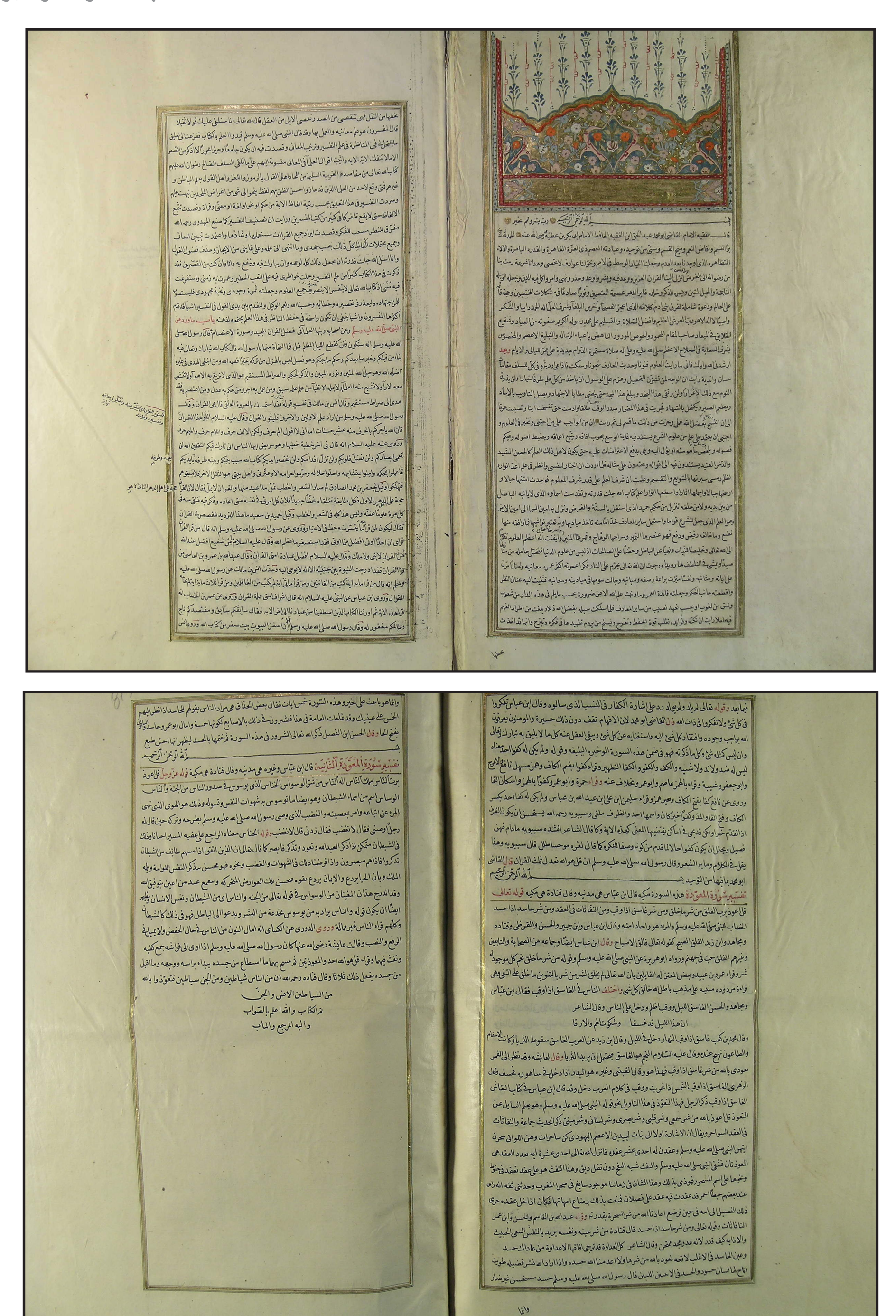
٢ـ اختلاف المثبت في النص مع ما في مصادره الأصلية.

• مراعاة المعنى عند قراءة النص في المقابلة.

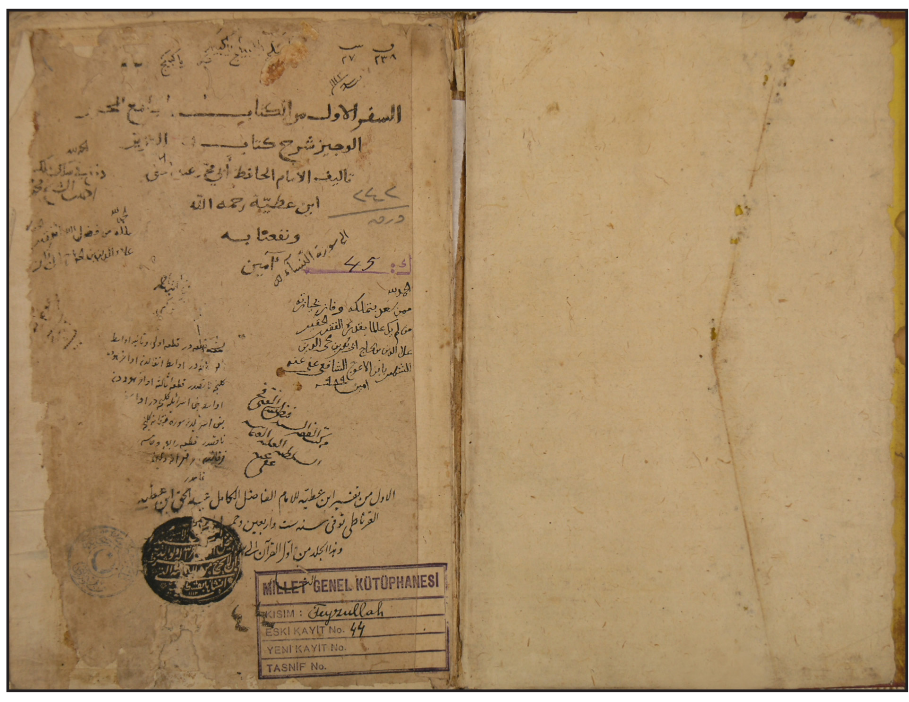
• في حالة وجود اختلاف بين النسخ في كلمة واحدة نضع الهامش بعدها دون معكوفات ونثبت الفرق، وفي حالة وجود سقط أو زيادة نميز النص محل الخلاف بالمعكوفتين ونضع الهامش بعده.

• الخلاف المتعلق بالنصوص الشعرية نضعه بعد التعليق على البيت في الهامش دون وضع رقم له بين كلمات البيت.

رابعاً: نماذج من صور بعض المخطوطات المشار إليها سابقاً:



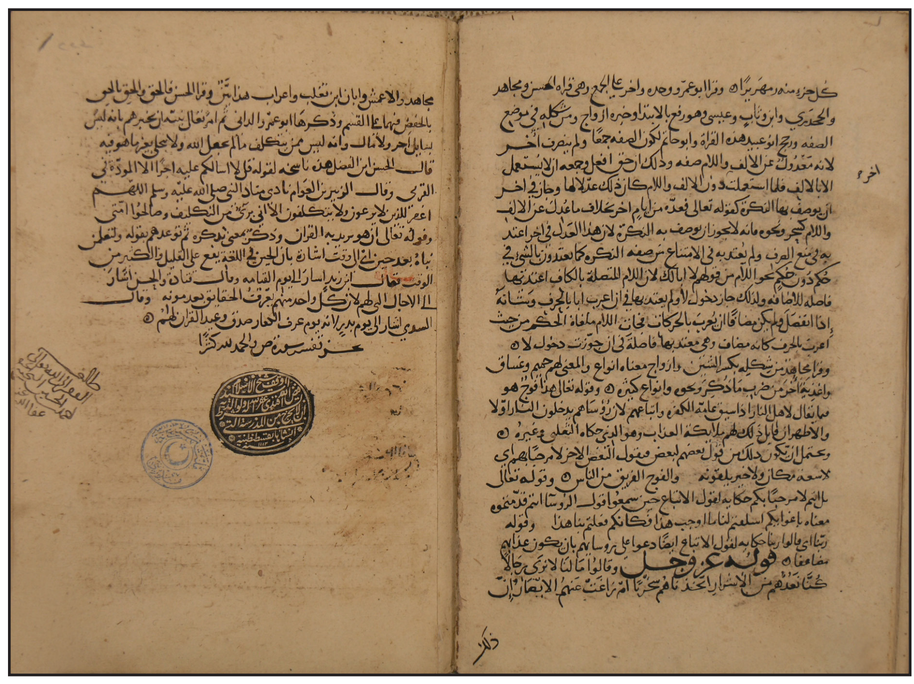
الصفحتان الأولى والأخيرة من نسخة نور العثمانية





صفحتان من نسخة فيض الله الجزء الأول والثاني



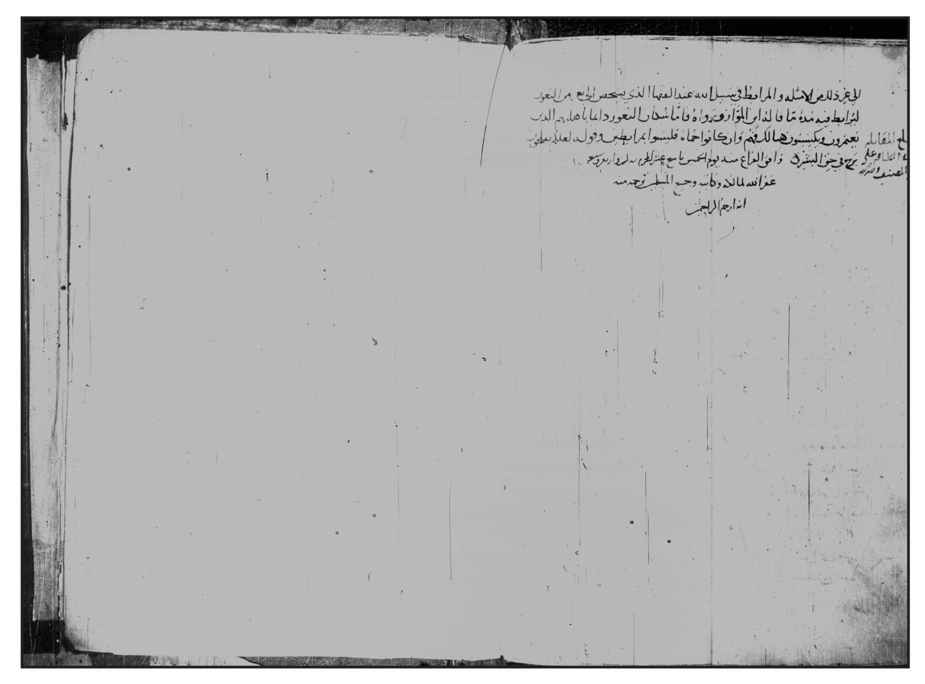


صفحتان من نسخة فيض الله الجزء الرابع

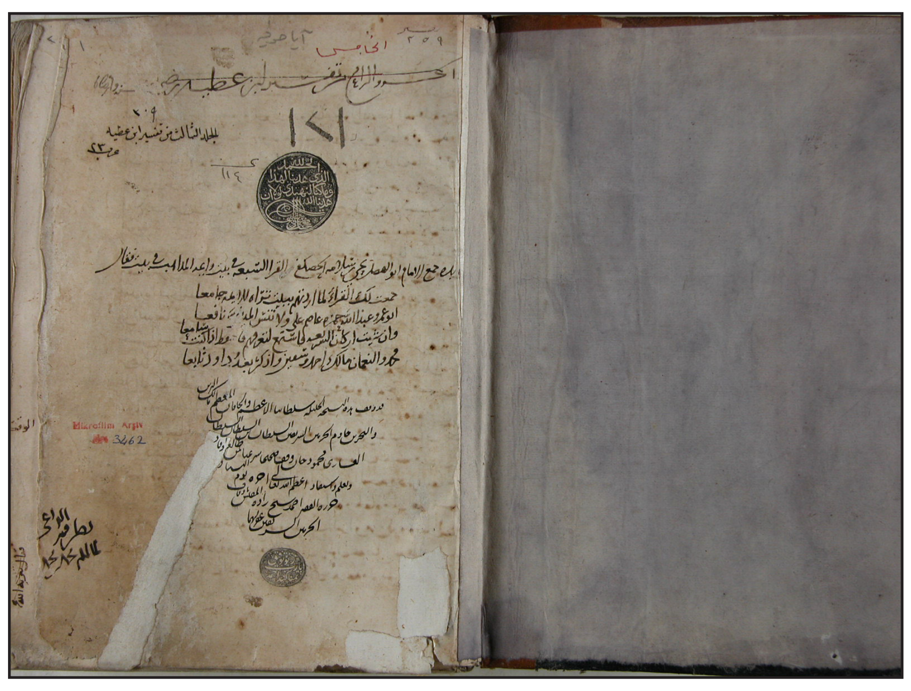


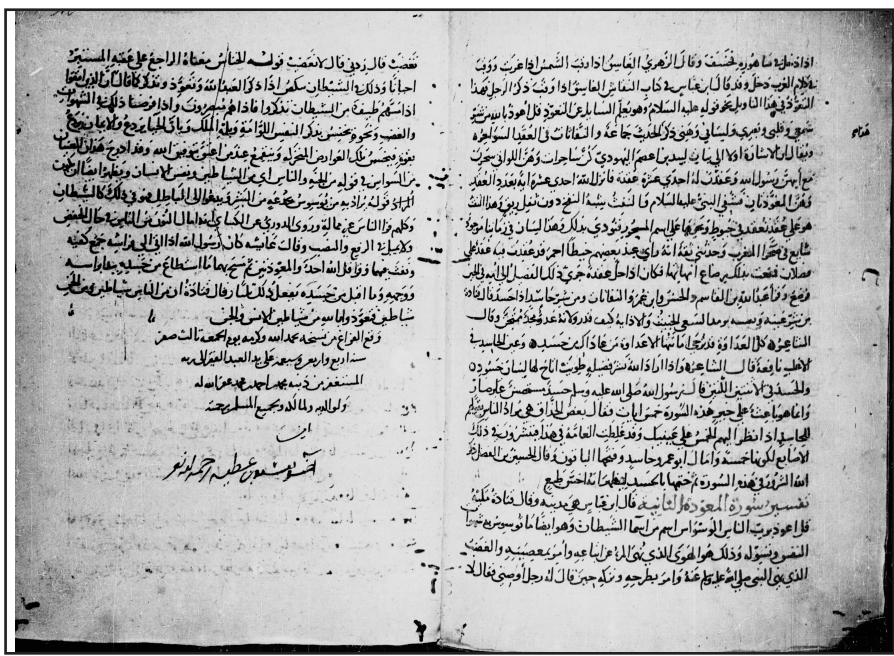


صفحتان من نسخة لاله ليه



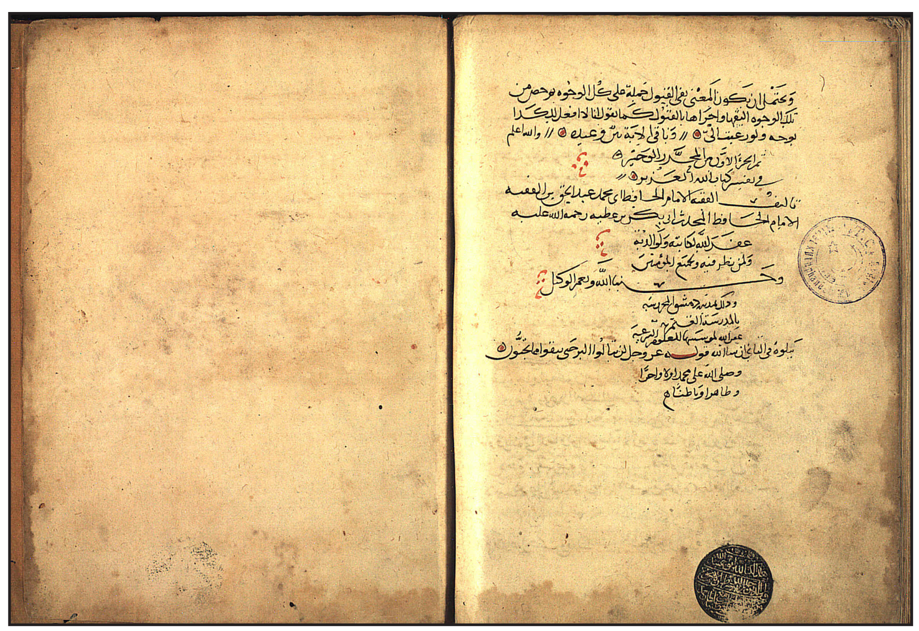
الورقة الأولى والورقة الأخيرة من نسخة أحمد٣ الجزء الأول



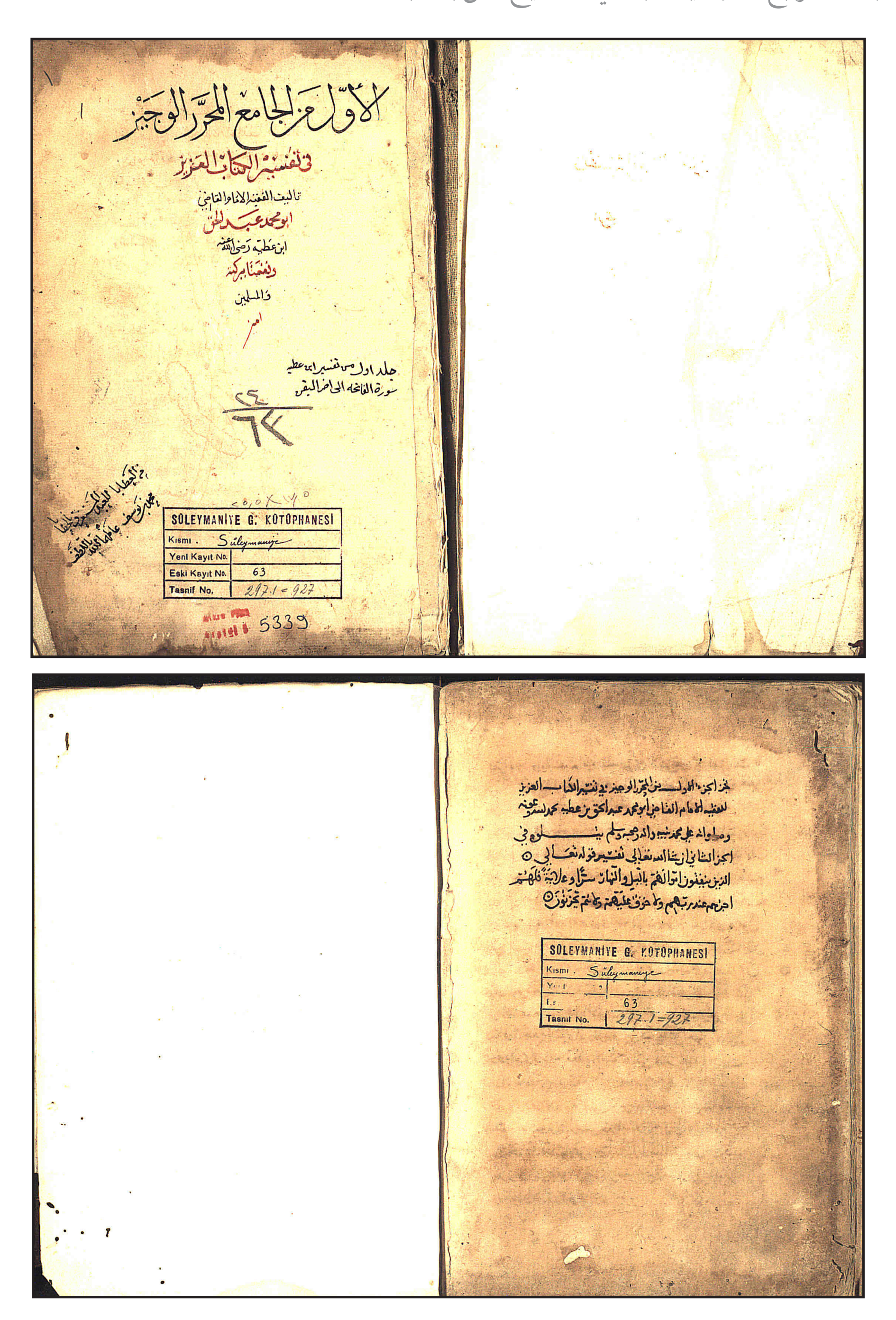


الورقة الأولى من الجزء الخامس والأخيرة من الجزء السادس من نسخة أحمد٣

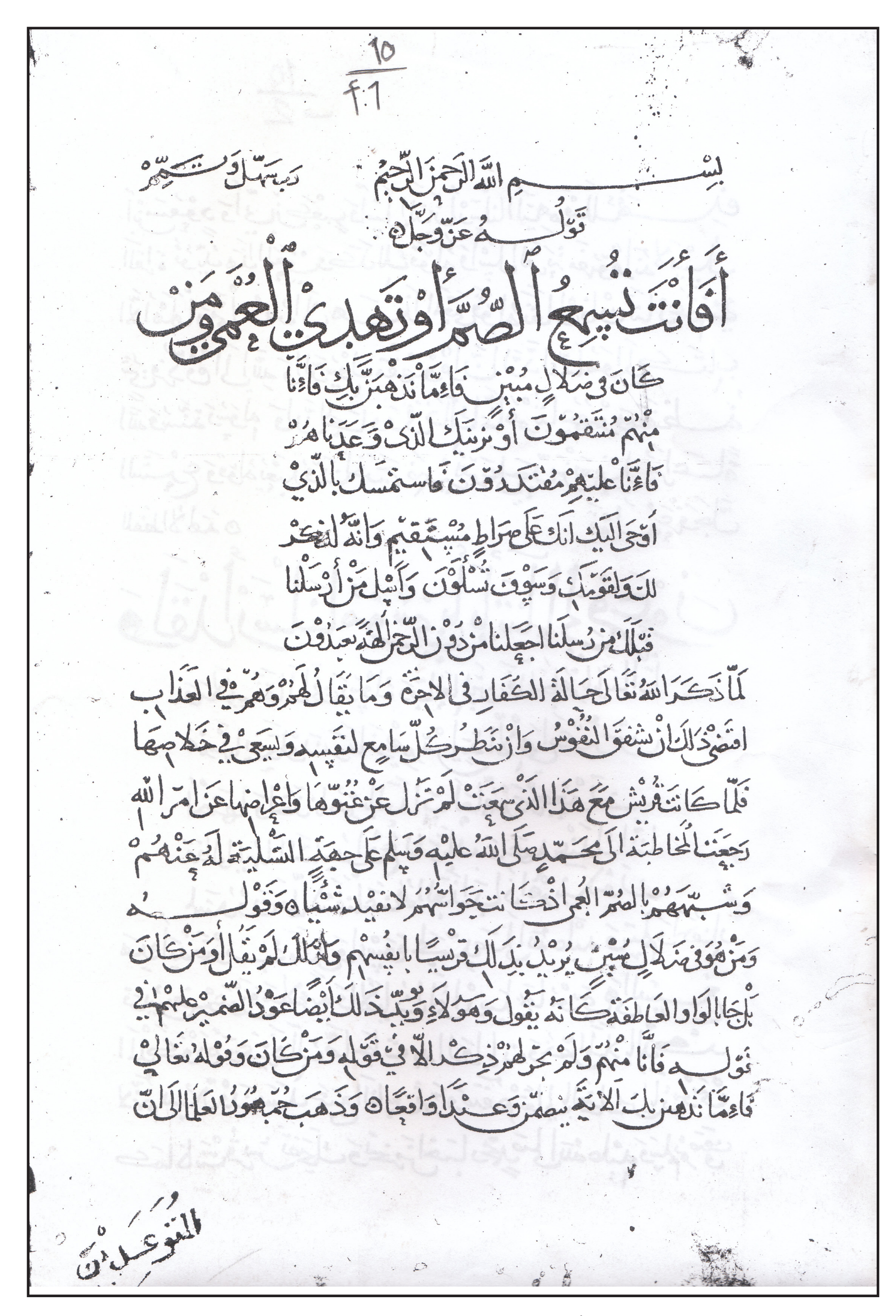




الورقة الأولى والورقة الأخيرة من الجزء الأول من جار الله



الورقة الأولى والورقة الأخيرة من الجزء الأول من السليمانية



15
٤٠١

بسم الله الرحمن الرحيم — رب سهل وتمم

قوله عز وجل

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن
كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا
منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي
أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر
لك ولقومك وسوف تسألون واسأل من أرسلنا
قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

لما ذكر الله تعالى حالة الكفار في الآخرة وما يقال لهم وهم في العذاب
اقتضى ذلك أن تشفق النفوس وأن ينظر كل سامع لنفسه ويسعى في خلاصها
فلما كانت قريش مع هذا الذي بعثت لم تزل عن عتوها وإعراضها عن أمر الله
رجعت المخاطبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم على جهة التسلية له عنهم
وشبههم بالصم العمي إذ كانت نتيجة أسماعهم لا تفيد شيئا. وقوله
ومن هو في ضلال مبين يريد بذلك قريشا بأنفسهم ولذلك لم يقل أو من كان
بل جاء بالواو العاطفة كأنه يقول وهؤلاء ويتبين ذلك أيضا عود الضمير عليهم في
قوله فإنا منهم ولم يجر لهم ذكر إلا في قوله ومن كان. وقوله تعالى
فإما نذهبن بك الآية يتضمن وعدا ووعيدا. وذهب جمهور العلماء إلى أن

المتوعدين

الورقة الأولى من الجزء العاشر من الحمزوية

11
220 ب

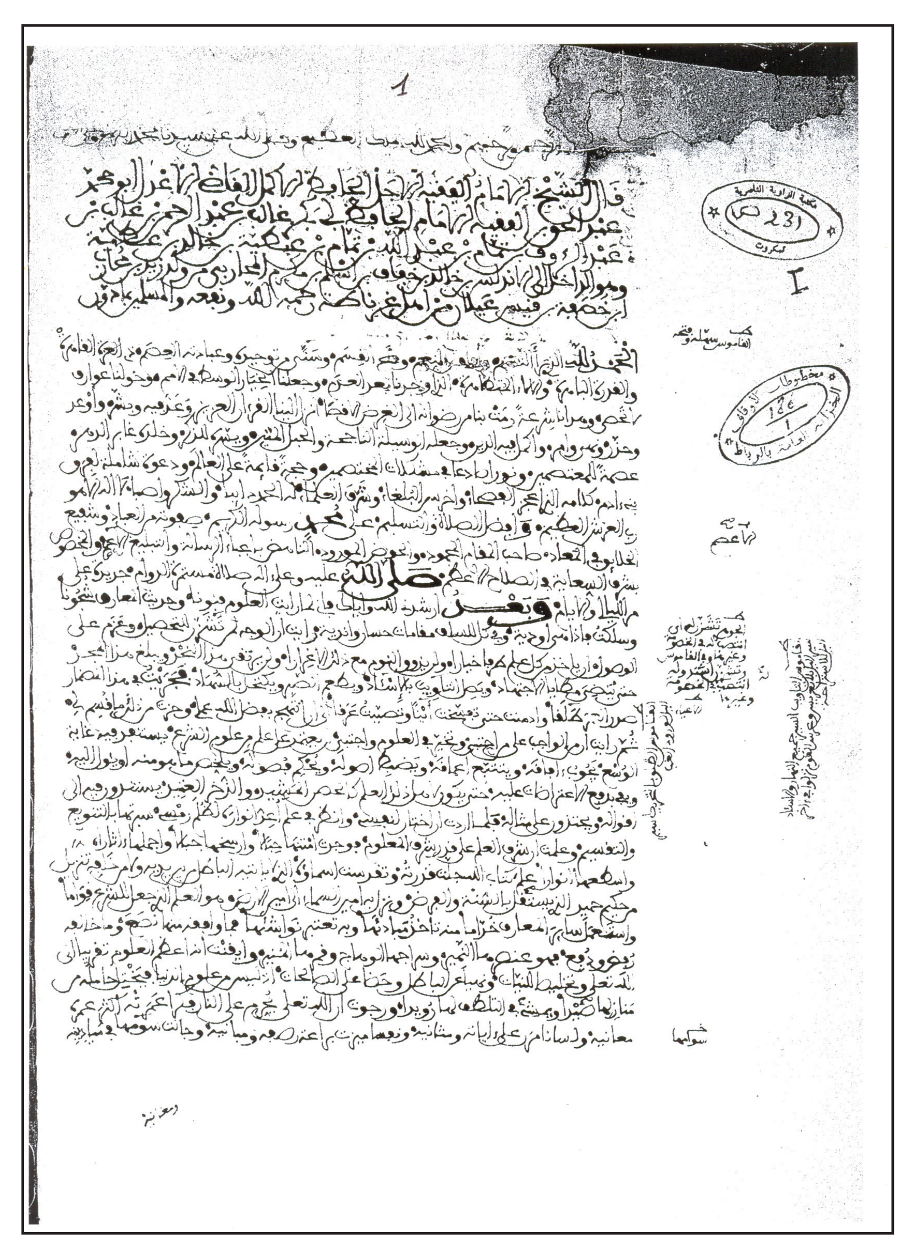
وقوله الخناس معناه الراجع على غفلة المستتر احيانا وذلك في الشيطان
ممكن اذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ كما قال الله تعالى ان
الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واذا وصفنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوها فهو يخنس بذكر النفس
اللوامة ويلمه الملك وبان الحاير دع والايمان يردع بقوة فيخنس تلك
العوارض المتحركة وتقع عند من اعين توفيق وقد اندرج هذان
المعنيان من الوسواس في قوله تعالى من الجنة والناس لعن الشياطين
ونفس الانسان ويظهر ايضا ان يكون قوله والناس اراد به
من يوسوس بخدعه من البشر ويدعوا الى الباطل فهو في ذلك كالشيطن
وكلهم والناس عز عمالة ٥ وروى الدوري عن الكسائي انه امال
النون من الناس في حال الخفض ولا يميل في الرفع والنصب ٥ وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى
الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرا قل هو الله احد والمعوذتين
ثم مسح بهما ما استطاع من جسده بدا براسه ووجهه وما اقبل من جسده
يفعل ذلك ثلثا ٥ وقال قتادة رحمه الله ان من الناس
شياطين ومن الجن شياطين فتعوذوا بالله من شياطين الجن والانس

نجز تفسير المعوذة الثانية ٥

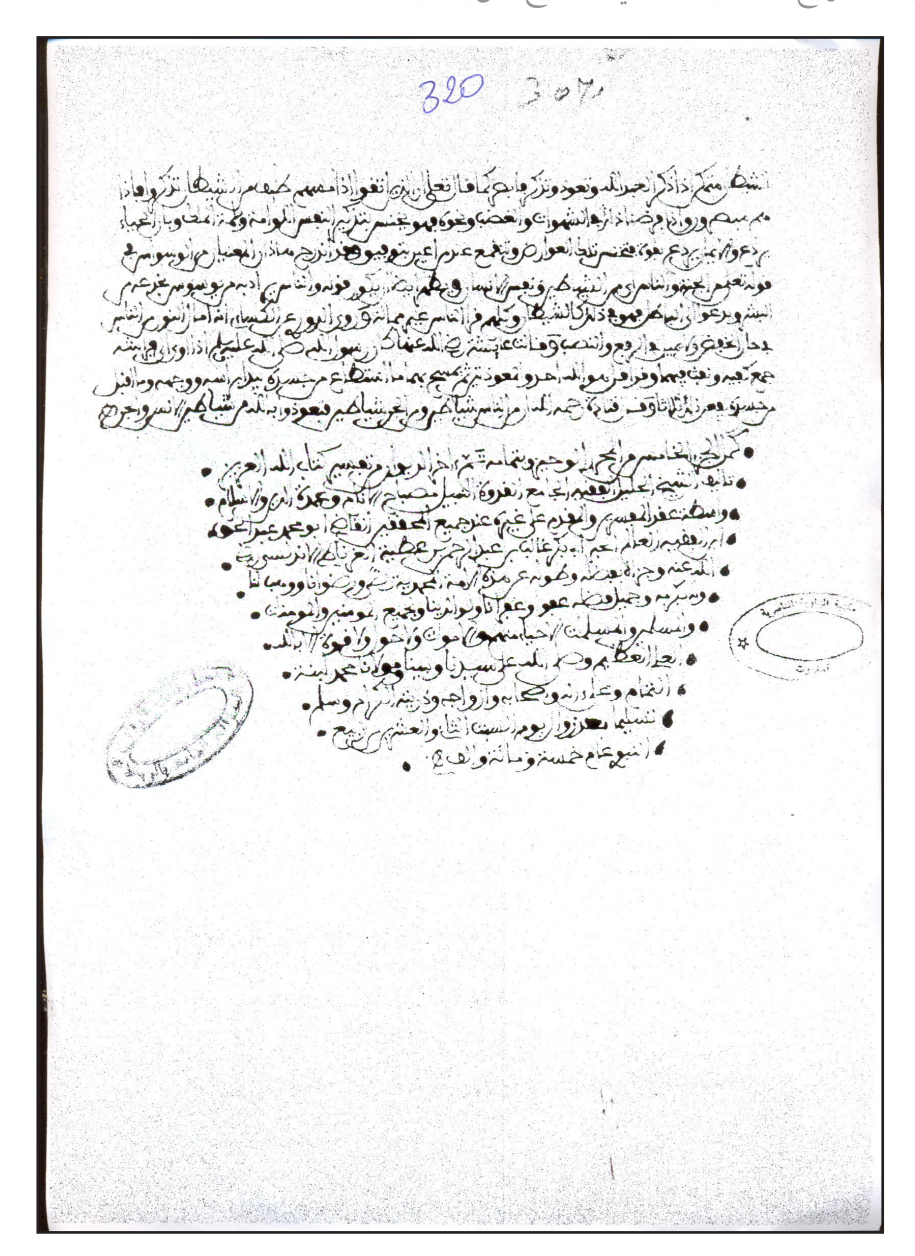
وبتمامها كمل التفسير المبارك

والحمد لله كما هو اهله ومستحقه وصلواته على محمد واله وصحبه وسلم

الورقة الأخيرة من الحمزوية



الورقة الأولى من النسخة المغربية الناصرية (الأصل)



صورة الورقة الأخيرة من النسخة المغربية (الأصل)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمدُ لله الذي برأ النَّسَم(٢)، وأفاض النعم، ومنح القِسَم(٣)، وَسَنَّى(٤) من توحيده وعبادته العِصَم(٥)، ذي العزة القاهرة، والقدرة الباهرة، والآلاء المتظاهرة، الذي أوجدنا بعد العدم، وجعلنا الخيار الوسط في الأمم، وخَوَّلَنا(٦) عَوارِفَ لا تحصى، وهدانا شرعة رمت بنا من رضوانه إلى الغرض الأقصى.

---

(١) جاء بين البسملة ومقدمة المؤلف في النسخ نسبة القول إليه، وهو من فعل النساخ كما هو معلوم، وقد اختلفت النسخ في ذكر اسمه بين التطويل والاختصار، وأطول ذلك ما جاء في نسخة الأصل، حيث ورد فيها ما يلي: «قال الشيخ الإمام الفقيه الأجل الحافظ الأكمل القاضي الأعدل، أبو محمد عبد الحق ابن الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرءوف بن تمام بن عبد الله ابن تمام بن عطية بن خالد بن عطية ـ وهو الداخل إلى الأندلس ـ بن خالد بن خفاف بن أسلم ابن مكرم المحاربي من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان من أهل غرناطة رحمه الله ونفعه والمسلمين بما دوَّن».

(٢) بَـرَأَ كجعل، أي: خلق، والنَّسَم بفتحتين، أي: نَفَسُ الروح، أو جمع نَسَمة، فالمراد: أي الذي خلق جنس النفَس ـ بفتح الفاء ـ أو الذي خلق الأنفاس، انظر: القاموس المحيط، ط/ مؤسسة الرسالة، وتاج العروس ط/ دار الهداية مادتي: (برأ، ونسم).

(٣) القِسَمُ ـ بكسر القاف وفتح السين ـ جمع قسمة بكسر القاف وسكون السين، وهي: الحظُّ والنَّصيبُ من الخير، انظر: القاموس المحيط مادة: (قسم).

(٤) سنى بتشديد النون، أي: فتح وسهل، قال في القاموس المحيط مادة: (سنى): «وسناه تسنية: سهله وفتحه».

(٥) العصم كعنب: جمع عصمة بالكسر ويضم، أي: ما يعتصم به، انظر: القاموس المحيط، وتاج العروس مادة: (عصم).

(٦) خوَّلنا، أي: أعطانا، انظر: القاموس المحيط مادة: (خول).

أنزل إلينا القرآن العزيز، وَعَدَ فيه وبشَّر، وأوْعَدَ وحذَّر، ونهى وأمر، وأكمل فيه الدين، وجعله الوسيلة النَّاجِحَة[١]، والحبل المتين، ويسره للذكر، وخلَّده غابرَ الدهر، عصمةً للمعتصمين، ونوراً صادعاً في مشكلات المختصمين، وحجةً قائمةً على العالم، ودعوةً شاملةً لفرق بني آدم، كلامه الذي أعجز الفصحاء، وأخرس البلغاء، وشرف العلماء، له الحمد دائِباً، والشكر واصِباً[٢]، لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وأفضل الصَّلاةِ والتَّسليم، على محمدٍ رسولِهِ الكريمِ، صفوته من العباد، وشفيع الخلائق في المعاد[٣]، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، الناهض بأعباء الرسالة والتبليغ الأعصم، والمخصوص بشرف السعاية في الصلاح الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً مستمرَّةَ الدَّوام، جديدةً على مرِّ الليالي والأيام، وبعد:

أرشدني اللهُ وإيَّاك، فإني لما رأيتُ العلومَ فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كلٍّ للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أنَّ الوجه لمن تَشَزَّنَ[٤] للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كلِّ علم طرفاً خياراً، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غِراراً[٥]، ولن يرتقي هذا النَّجْد[٦]، ويبلغ هذا المجد، حتى يُنْضي مطايا الاجتهاد، ويصل التَّأْوِيبَ بالإسآد[٧]، ويَطْعَم الصَّبِر[٨] ويكتحل بالسُّهاد[٩].

---

(١) في المطبوع: «الناجعة».

(٢) أي: دائماً، انظر: القاموس المحيط، مادة: (الوصب).

(٣) في نور العثمانية: الميعاد.

(٤) في أحمد٣: تشرف، وفي المطبوع: تشوق، وفي القاموس مادة (شزن): تشزَّن؛ أي: انتصب له في الخُصُومة وغيرها».

(٥) الغرار بكسر الغين: القليل من النوم، انظر: القاموس المحيط مادة (غرر).

(٦) النجد ـ كما في القاموس ـ: ما أشرف من الأرض، والمقصود به هنا: شَرَفُ العلم ورِفْعتُه.

(٧) التأويب: الرجوع، والإسْآد: سَيْرُ الليل بلا تعْرِيسٍ، والتعريس: نزول آخر الليل للاستراحة، انظر: القاموس المحيط، مادة: (أوب)، و(سأد)، و(عرس).

(٨) قال في القاموس المحيط: «والصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر: عصارة شجر مر».

(٩) السُّهاد: هو الأرق، انظر: تاج العروس مادة: (السهد).

فجريت في هذا المضمار صدر العمر طَلَقاً[١]، وأدْمَنْتُ[٢] حتى تفسَّخْتُ[٣] أيْناً[٤]، وتصببت عرقاً، إلى أن ابتهج[٥] بفضل اللهِ عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احْتَبَى[٦]، وتخيَّر في العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويُحكم فصوله، ويلخص ما هو[٧] منه، أو يؤول إليه، ويُعنى[٨] بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المَشِيد، والذخر العَتِيد[٩]، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله.

فلما أردتُ أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أُعِدُّ أنواره لظلم رَمْسِي[١٠]، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدْر شرف المعلوم فوجدت أمتنها

(١) أي: شوطاً، فقد جاء في حاشية المغربية: «القاموس: الطَّلَق ـ بالتَّحْريك ـ: سَيْر الليل لِوُرُودِ الغِبِّ»، وليس ذلك مراد المؤلف، وإنما أراد تشبيه نفسه بالمتسابق الذي سار في المضمار شوطاً، إذ الطلق بالتحريك ـ أي: بفتح الطاء واللام ـ يطلق على شوط السباق، يقال عدا الفرس طلقاً أو طلقين، ضبطه بالتحريك جماعة من أهل اللغة، انظر: لسان العرب، وتاج العروس وغيرهما من كتب اللغة، مادة: (طلق).

(٢) في الحمزوية: «وأدميت»، وفي المطبوع: «وذهبت».

(٣) أي: ضعفت، يقال: تفسخ الرُّبَعُ ـ وهو الفصيل ـ تحت الحمل الثقيل، أي: ضعف وعجز، انظر: القاموس المحيط، مادة: (فسخ).

(٤) الأيْن: هو الإعياء، انظر: القاموس المحيط، مادة، (أين).

(٥) في نور العثمانية إشارة إلى نسخة فيها: انتهج.

(٦) قال في القاموس ـ مادة (حبا) ـ: «احتبى بالثوب: اشتمل، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها»، ومراد المؤلف: احتبى في مجالس العلم، وذلك كناية عن تعبه في طلب العلم لدرجة أنه اضطر إلى الاحتباء فيها.

(٧) «هو»: سقطت من السليمانية.

(٨) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله: «يفي».

(٩) الذُّخر بالذال المضمومة: ما ادخر بالدال، انظر: القاموس المحيط مادة: (ذخر)، والعتيد: المهيأ، انظر: القاموس المحيط مادة: (عتد).

(١٠) الرَّمْس: هو القبر، انظر: القاموس المحيط، مادة: (رمس).

حبالاً، وأرْسَخَها جِبَالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علمَ كتاب اللهِ جلَّت قدرته، وتقدَّست أسماؤه، الذي[(١)] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي يستقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قِواماً، واستعمل سائر المعارف خدَّاماً، منه تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع، وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النمير وسراجها الوهاج، وقمرها المنير [وبحرها العجاج][(٢)].

وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضّاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيَخْتِلَ[(٣)] حاملُه من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً.

ورجوت أنَّ اللهَ تعالى يحرِّم على النار فكراً عمَرتْهُ ـ أكثر عمره ـ معانيه، ولساناً مرن على آياته ومثانيه، ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها[(٤)] في ميادينه/ [١/ ٢] ومغانيه، فثنيت إليه عنان النظر، وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت ـ عَلِم الله ـ إلا عن ضرورة بحسب ما يُلِمُّ في هذه الدار من شُغُوبٍ[(٥)]، ويمس من لُغُوب، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف.

---

(١) «الذي»: زيادة من نور العثمانية.

(٢) زيادة من نور العثمانية.

(٣) يقال: ختل الذئب الصيد: إذا تخفى له، انظر: القاموس المحيط، مادة: (ختل).

(٤) كذا في أكثر النسخ، والسوم بفتح فسكون يطلق على الرعي، وفي الحاشية إشارة إلى أنها في نسخة أخرى سوامها بالألف، وهي جمع سائمة، ويطلق السوام على النشاط، والله تعالى أعلم، ووقع في المطبوع: صوامها، انظر: المحيط في اللغة، مادة: (السوم).

(٥) كذا ذكره المؤلف: «شغوب»، بضم المثلثة والمعجمة على أنه مصدر شغب، أي هَيَّجَ الشر، كما في القاموس المحيط مادة: (شغب)، والقياس في مصدره: شَغْب، بفتح فسكون، لأنه ثلاثي متعدٍّ، إلا أن المؤلف بنى منه مصدراً على وزن فُعُول مراعاة للسجع، وقد قال الفراء وهو من أئمة العربية ـ كما في كتاب الأفعال لابن القطاع ط/ عالم الكتب (١/ ١٠) ـ: «كلُّ مَا كَانَ متعدِّياً مِنَ الأفعالِ الثُّلاثِية فَإِنَّ الفَعْلَ والفُعولَ جَائِزَان في مَصْدَرِهِ»، والله تعالى أعلم.

فلما سلكت سُبُلَه[1] بفضل الله ذللا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتَفْدَح[2]، وتَسْنَح[3] لمن يروم تقييدها في فكره وتَبْـرَح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تتفصى من الصدر تفصِّي الإبل من العُقُل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] قال المفسرون: أي: علم معانيه والعمل بها، وقد قال النبي ﷺ: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»[4].

ففزعت إلى تعليق ما يُتَنَخَّلُ[5] لي في المناظرة من علم التفسير، وترتيب المعاني.

---

(١) في المطبوع: «سبيله».

(٢) في نور العثمانية: «تفرح».

(٣) أي: تَعْرِض، انظر: القاموس المحيط مادة (سنح).

(٤) لا يصح مرفوعاً، وإنما يصح موقوفاً على أنس: فقد روي هذا الحديث عن النبي ﷺ من عدة طرق إلا أنه لا يصح منها شيء، وأفضلها حالاً رواية هذا الحديث عن أنس بن مالك، ولا يصح عنه مرفوعاً، والصواب كونه موقوفاً عليه، والمرفوع له عنه طريقان: الطريق الأول: ما أخرجه لوين في جزئه (ص: ٦٧) وغيره بسند فيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيفٌ، انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١١٦)، وقد خالفه جماعةٌ فوقفوا الحديث على أنس، ولذلك حكم غير واحد من الأئمة بأن الصواب الموقوف، منهم لوين كما في جزئه (ص: ٦٧) وموسى بن هارون كما في تقييد العلم للخطيب (ص: ٩٧) والدارقطني كما في العلل (١٢/ ٤٣) والحاكم كما في المستدرك (١/ ١٨٧ - ١٨٨)، والبيهقي كما في المدخل إلى السنن الكبرى ـ ط/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ (ص: ٤١٧)، وغيرهم، والطريق الثاني: ما أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٩٨) والقضاعي في مسند الشهاب ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ (١/ ٣٧٠) من طريقين عن إسماعيل بن أبي أويس بسنده عن أنس مرفوعاً، ولا يصح؛ لأن رواية أبي نعيم من طريق عبد الله بن سعد بن معاذ الأنصاري الرقي، وهو «كذاب يضع الحديث» كما في تاريخ دمشق ـ دار الفكر ـ (٢٩/ ٤٨) ورواية القضاعي من طريق عبد الله بن الحسين بن جابر، وقد كان يسرق الأخبار كما في تاريخ دمشق (٢٧/ ٤٠٤)، كما خالفهما من هو أوثق منهما وهو أحمد ابن يوسف السلمي المعروف بحمدان وهو أحد الثقات، انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٩١) فروى هذا الأثر كما في تقييد العلم للخطيب (ص: ٩٢) عن إسماعيل بن أبي أويس بسند موقوف على عبد الله ابن عباس.

(٥) ضبط في المطبوع بفتح الياء، والوجه الضم، لأنه متعدٍ، وفاعل التنخل في الحقيقة هو الإمام ابن عطية نفسه، وياء المضارعة لا يتناسب فتحها مع هذا المعنى، بخلاف الضم فإنه وإن كان مبنيّاً للمفعول إلا =

وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرَّراً[١]، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآيةُ إلا به، وأثبتُّ أقوال العلماء في المعاني منسوبةً إليهم على ما تلقى السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ كتاب الله من مقاصده العربية[٢] السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم.

فمتى وقع لأحدٍ من العلماء الذين قد حازوا حسنَ الظنِّ بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبهت عليه.

وسردت التَّفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية: من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر[٣] كما في كثير من كتب المفسرين.

ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهْدَوِيُّ[٤] رحمه اللهُ مفرِّق للنظر، مُشَغِّب[٥] للفكر، وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعمَلها وشاذِّها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي، وما انتهى [إلي عِلْمُه][٦]، وعلى غايتي من الإيجاز وحذف فضول القول.

= أن فيه ما يدل على أنَّ التنخلَ قد حصل من قبله، وإنما ألجأه إلى هذا التعبير المبالغة في التواضع فراراً من مشاهدة حظِّ النفس، والله تعالى أعلم.

(١) كلمة «محررا» ليست في المطبوع.

(٢) في نور العثمانية: «القريبة».

(٣) الطفر: الوثب، انظر: القاموس والتاج مادة: (طفر)، والمراد هنا: حتى لا يقع وثب، أي: ترك لشيء من الألفاظ لم يفسر.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، أصله من المهدية من بلاد إفريقية، وتفصيله وتفسيره يُسَمَّى ـ (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، اختصره وسَمَّاه (التحصيل) وهو مطبوع بوازرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، توفِّي نحو سنة (٤٤٠)هـ؛ انظر ترجمته في بغية الوعاة (١/ ٢٦٥)، ومعرفة القراء للذهبي (١/ ٣٩٩).

(٥) في المطبوع وجار الله: «مُشَعِّب»، وكتبت في نور العثمانية بمهملات.

(٦) في المطبوع: «إليه علمي».

وأنا أسأل الله جلت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مُنَنِي[١]، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف[٢] جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليُستصوَب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولنقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر [في هذا العلم][٣] مجتمعة لذهنه.



(١) الْمُنن، جمع مُنَّةٍ بضم الميم وهي القوة، يقال: ذهب بمنته، أي: قوته، والمعنى: استفرغت في ذلك قواي، انظر: القاموس المحيط مادة (منَّ).

(٢) في نور العثمانية ملحقا فوقها: «بتعريف»، وعليها علامة كأنها «صح».

(٣) ساقط من السليمانية.

باب ما ورد عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، ونبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ ستكون فتنٌ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم»، قِيلَ: فمَا النَّجَاةُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ الله [تبارك وتعالى][(١)] فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وهُوَ الْفَصْلُ ولَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ [مِنْ جَبَّارٍ][(٢)] قَصَمَهُ اللهُ، ومَنِ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، ونُورُهُ الْمبِينُ، والذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، ولَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الْآرَاءُ، ولَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، ولَا يَمَلُّهُ الْأَتْقِياءُ، مَن عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَنِ اعْتَصَمَ بِهِ [فَقَدْ][(٣)] هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(٤)].

وقال أنس بن مالك[(٥)] في [تفسير][(٦)] قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ قال: «هي القرآن»[(٧)].

---

(١) من أحمد**٣** والسليمانية، ونور العثمانية.

(٢) أشار في حاشية جار الله أن في نسخة أخرى: تجبرا.

(٣) ليست في المطبوع، ولا في الكتب التي نقلته عن ابن عطية.

(٤) ضعيف: هو حديث مشهور على الألسنة، أخرجه أحمد (١/ ٩١)، والترمذي ح (٢٩٠٦) وغيرهما باختلاف يسير، من حديث علي، وضعفه غير واحد من أهل العلم منهم الترمذي، وابن عدي في الكامل (٤/ ٤)، وفي سنده الحارث الأعور، وأكثر الأئمة على عدم الاحتجاج بحديث الحارث.

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري النجاري، خادم رسول الله ﷺ أمه أم سليم، لا يترجم لمثله.

(٦) ليست في الحمزوية.

(٧) حسن: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٥) من طريق مغيرة بنت حسان عن أنس =

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ فلْيُثَوِّرِ[١] الْقُرْآنَ»[٢].

وقال عليه السلام: «اتْـلُوا هَذَا الْقُـرْآنَ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُم بالْحَرْفِ منه عَشْـرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنِ الْألِفُ حَرْفٌ، وَاللَّامُ حَرْفٌ، وَالْمِيمُ حَرْفٌ»[٣].

وروي عنه عليه السلام أَنَّهُ قالَ في آخر خطبة خطبها وهو مريض: «أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، إنَّه لَنْ تَعْمَى أَبْصَارُكُمْ، ولَنْ تَضِلَّ قُلُوبُكُمْ، ولَنْ تَزِلَّ أَقْدَامُكُم، وَلَنْ تُقصِّرَ أَيْدِيكُمْ، كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ بَيْنكُمْ وَبَيْنَهُ، طَرَفُهُ بيَدِهِ، وطَرَفُهُ بأَيْدِيكُمْ، فَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بمُتَشَابِهِهِ، وَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَه، [أَلَا

= رضي الله عنه، ومغيرة هذه غير معروفة، لكن لم يتكلم فيها أحدٌ، بل ذكرها ابن حبان في كتاب الثقات (٥/ ٤٦٦)، وأخرج لها أبو داود في سننه ح (٤١٩٩) حديثاً يرويه أخوها حجاج عنها، وتبويبه على الحديث وسكوته عليه، يدل على احتجاجه به، كما أن هذا الأثر في باب الفضائل، والله تعالى أعلم.

(١) قال في القاموس مادة (ثور): «وثور القرآن: بحث عن علمه»، وقال شمر كما في تهذيب اللغة للأزهري، مادة: (ثار): «تثوير القرآن: قِراءته ومُفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه»، وانظر: النهاية في غريب الأثر (١/ ٢٢٩).

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً: إلا ما ذكره صاحب كنز العمال (١/ ٥٤٨) من أن الديلمي رواه عن أنس، والمشهور أنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود، أخرجه مسدد في مسنده كما في المطالب العالية (١٣/ ١٧) وابن المبارك في الزهد (ص: ٢٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٥) وعبد الله ابن أحمد في زوائده على الزهد (ص: ١٥٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٩٦) وغيرهم بإسناد صحيح عن ابن مسعود قوله.
وقد يقول قائل: إن هذا الحديث له حكم الرفع، لأنَّ إثبات كون تلاوة الحرف من القرآن بعشر حسنات لا يقال بالرأي، وفي القضية بحث، يُتأنى في الجزم بها هنا، فإن كون الحسنة بعشر أمثالها مما صحت به الأحاديث، وجَعْلُ الحرف بحسنة لا يُستبعدُ تصوُّرُه من مثل ابن مسعود مع عظيم فضل الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(٣) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

وَعِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي][1]، هُوَ الثَّقَلُ[2] الْآخَرُ، فلا تَسبَعُوهُمْ[3] فَتَهْلَكُوا»[4].

وقيل لجعفر بن محمد الصادق[5]: «لِمَ صَارَ الشِّعْرُ وَالْخُطَبُ يُمَلُّ مَا أُعِيدَ مِنْهَا، وَالْقُرْآنُ لا يُمَلُّ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الثَّانِي، كَمَا هُوَ[6] حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ»[7].

فكلُّ طائفةٍ تتلقاه غضّاً جديداً؛ ولأنَّ كلَّ امْرِئٍ في نفسه / متى أعاده وفكَّر فيه [١/٣] تلقى منه في كلِّ مرةٍ علوماً غضَّةً، وليس هذا كله في الشِّعر والخطب.

---

(١) في الحمزوية والسليمانية وجار الله: «ألا وَأَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي».

(٢) في الحمزوية: «ثقل».

(٣) لا تسبعوهم، أي: لا تعيبوهم، قال في تهذيب اللغة مادة: (سبع): «ويقال: سبع فلان فلاناً: إذا قصبه واقترضه، أي: عابه واغتابه»، وفي حاشية (الأصل) إشارة إلى ورود هذا المعنى في النهاية لابن الأثير، انظر: مادة: (سبع)، وفي أحمد٣: تسبوهم، وفي جار الله: تشتموهم، وفي نور العثمانية: تسبقوهم.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وبعضه صحيح، وكأنه لفظ مجموع من عدة أحاديث، فقد ورد معنى ذلك مفرقاً في عدة روايات، إلا أن أقرب الألفاظ لما ذكره المؤلف حديثان: أحدهما: ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٦٦، ٥/ ١٦٦) عن زيد بن أرقم، وذكر حديثاً طويلاً فيه بعضُ ما ذكر في حديث المصنف، مع بعض الألفاظ الغريبة، وفي سنده حكيمُ بن جبير وهو ضعيفٌ، ولكن تابعه على بعضه حبيب بن أبي ثابت، أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٥) وغيره بسند صحيح، والثاني: ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨١) وغيره بإسناد لا بأس به عن أبي شريح الخزاعي وذكر حديثاً فيه بعض ما ذكر في حديث المصنف، لكن أعله أبو حاتم الرازي بالإرسال. العلل (١٦٥٣).

(٥) هو جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن على بن أبي طالب، الإمام العلم أبو عبد الله الهاشمي العلوي الحسيني المدني، يقال: مولده في سنة ثمانين، والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة، يروي عن جده لأمه القاسم بن محمد، حدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة وغيرهم، توفي في سنة ثمان وأربعين ومئة. تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٨٨ - ٩٣).

(٦) في المطبوع: «كما أنه».

(٧) لم أقف عليه لغير ابن عطية، ولم يتبين لي أين هي نهاية كلام جعفر الصادق، إلا أني رأيت ما بعد جملة: «كما هو حجة على أهل الدهر الأول» أشبه بكلام ابن عطية منه بكلام جعفر الصادق، والله تعالى أعلم.

وقيل لحميد بن سعيد[١]: «مَا هَذَا التَّرْدِيدُ لِلْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لِيَكُونَ لِمنْ قَرَأ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ حَظٌّ فِي الِاعْتِبَارِ»[٢].

وَرُوي عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأى أنَّ أحَداً أُوتِيَ أفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»[٣].

وقال عليه السلام: «مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا نَبِيّ وَلَا مَلك»[٤].

وقال عليه السلام: «أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي الْقُرْآنُ»[٥].

---

(١) كذا في جميع المخطوطات «حميد»، وفي المطبوع: «محمد بن سعيد»، وكذا في طبعتين من تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٧٨)، لابن الحسن النباهي المالقي نقلاً عن ابن عطية، ولم أجده لغيره، ولم نجد في الرواة المشهورين أحداً باسم حميد بن سعيد.

(٢) لم أقف عليه لمن قبل ابن عطية، وقد أورده المالقي في تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٧٨) نقلًا عن ابن عطية.

(٣) روي مرفوعاً إلا أن الصواب كونه موقوفاً على عبد الله بن عمرو: فقد أخرجه ابن نصر في قيام الليل (١٥)، وغيره عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٦٧) وغيره عن إسماعيل بن رافع به موقوفاً، وإسماعيل بن رافع مختلف فيه، وأكثر الأئمة على تضعيفه، انظر تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٥)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٢) بسند صحيح إلى أبي رجاء محرز بن عبد الله الجزري الشامي عن إسماعيل بن عبيد الله به موقوفاً، وهذا إسناد جيد، وظني أن إسماعيل بن رافع قد أخذ الحديث عن أبي رجاء ثم رفعه توهماً، والذي يبين أن رواية إسماعيل بن رافع راجعة إلى رواية أبي رجاء أن ابن عساكر قد أخرج الحديث في تاريخ دمشق (٦٨/ ٢٢٥) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن رجل من أهل دمشق عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، والله تعالى أعلم.

(٤) ضعيف: فقد قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٢١): «رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً»، وللطبراني من حديث ابن مسعود: «القرآن شافع مشفع»، ولمسلم من حديث أبي أمامة: «اقرءوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه».

(٥) ضعيف: فقد أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٥٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٤٦)، كلاهما من طريق مسكين بن بكير، عن عباد بن كثير، عن محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن النعمان بن بشير مرفوعاً به، وعباد بن كثير، هو الرملي فيما يظهر وهو ضعيف، =

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ»[(١)].

وحدث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ مِئَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، ومَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ مِئَةِ آيَةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ الْقُرْآنُ»[(٢)].

= انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١٠٠)، لكن له شاهد أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٥٦) عن أسير ابن جابر مرفوعاً، وفي إسناده شعيب بن بيان الصفار وأبو ظلال وهما ضعيفان انظر ترجمتهما في تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤٩)، و(١١/ ٨٥)، وقد ذكر العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٢١) أن الحديث أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس، ثم قال: «وإسنادهما ضعيف».

(١) صحيح: وقد تقدم تخريج بعضه عند قول ابن عطية: «وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله»»، وهذا اللفظ الذي ذكره المصنف هنا هو لفظ رواية ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٥)، وهو بعض لفظ الحديث، ذكر ابن عطية فيما تقدم لفظ بعض الرواة مرفوعاً، وذكر هنا لفظ بعضهم موقوفاً، والحديث روي مرفوعاً وموقوفاً والأرجح الموقوف كما تقدَّم، ومما لم أذكره من التخريج فيما تقدم لعدم وجود اللفظ المتقدم فيه ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١١٣) والآجري في أخلاق حملة القرآن (ص: ١٦) من طريق ثعلبة بن أبي الكنود عن عبد الله بن عمرو موقوفاً وثعلبة لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٨) من هذا الطريق مرفوعاً وصححه، والذي رفعه فيه كلام، بينما وقفه ثقتان، فقولهما أرجح، وهذا الطريق يعزز الطريق المتقدم ذكره، ويصح به الأثر عن عبد الله ابن عمرو، والله تعالى أعلم.

(٢) ضعيف جدّاً، بهذا اللفظ: فقد أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٧٥-٧٦) عن أنس، في ترجمة شيخه أبي سعيد الحسن بن علي بن صالح العدوي، وهو من أكذب الكذابين، انظر ترجمته في الكامل والمغني في الضعفاء للذهبي (١/ ١٦٤)، لكن صح في هذا الباب بعض الأخبار، فقد روي في هذا المعنى أشياء مرفوعة وموقوفة، وأصح شيء روي في هذا الباب مرفوعاً ما أخرجه أبو داود ح (١٣٩٨) وابن خزيمة (٢/ ١٨١) وابن حبان (٦/ ٣١٠) وغيرهم من طرق عن ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا سوية حدثه أنه سمع ابن حجيرة يخبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال: رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»، قال ابن خزيمة في تبويبه على الحديث: «إن =

وروى ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أَشْرَفُ[١] أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»[٢].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية: «﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فقال: سَابِقكم سابقٌ، ومقتصدكم ناجٍ، وظالمكم لنفسه[٣] مغفورٌ له»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ بَيْتٌ صِفْرٌ[٥] مِنْ كِتَابِ الله»[٦].

= صحَّ الخبر فإني لا أعرف أبا سوية بعدالة ولا جرح»، لكن أثنى على أبي سوية ـ واسمه: عبيد ابن سوية ـ جماعة من أهل العلم كالدارقطني في المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٠٦)، وابن يونس وغيره كما في تهذيب التهذيب (٧/ ٦٦-٦٧)، أمَّا الموقوفات فيصح في هذا الباب منها عدة آثار، انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٠٦-٥٠٨) وسنن الدارمي (٢/ ٥٥٤-٥٥٨).

(١) في جار الله: «أشراف».

(٢) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص: ١٠٧) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٥)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٥٨، ٧/ ٥٧)، وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو عبد الله نهشل بن سعيد بن وردان القرشي، وهو مجمع على ضعفه، وقد كذبه أبو داود الطيالسي وابن راهويه، انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٧٩).

(٣) لنفسه، زيادة من أحمد٣.

(٤) هذا الأثر بلفظ: «سابقكم سابق» لم أقف عليه عند غير ابن عطية: والمروي في ذلك إنما هو بلفظ: «سابقنا سابق»، مرفوعاً وموقوفاً على عمر، وقد ذكره ابن عطية مرفوعاً بلفظ: «سابقنا سابق» عند تفسير الآية في سورة فاطر، واللفظ الموقوف على عمر أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١٥١) بسند منقطع، وفيه فرج بن فضالة، وهو ضعيفٌ، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٠)، وأخرج البيهقي في البعث والنشور المرفوع (١/ ٦٣) ثم قال: «وروي من وجهٍ آخر غير قوي عن عمر موقوفاً عليه»، ثم أخرجه من طريق سعيد بن منصور، وأمَّا الرواية المرفوعة فسيأتي تخريجها بإذن الله تعالى عند تفسير الآية.

(٥) الصفر بكسر الصاد والسكون: هو الخالي، قال الفيومي في المصباح المنير، مادة: (صفر): «يقال: بيت (صِفْرٌ) وزان حِمْل، أي: خال من المتاع»، وكذا ضبطه بالكسر والسكون في هذا الحديث غير واحد من أهل اللغة.

(٦) لا يصح مرفوعاً: فقد أخرجه بهذا اللفظ ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٣) عن الحسن مرسلًا، ويشهد له ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣٧٩) عن كلثوم بن محمد بن أبي سدرة عن =

وروى أنس[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ نَجَا، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَبَّهَ اللهُ لِوَجْهِهِ فِي النَّارِ[(٢)]، وَأَحَقُّ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ، وَأَوْلَى مَنْ مَحَلَ بِهِ مَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَضَيَّعَهُ»[(٣)].

وقال ﷺ: «إنَّ الَّذِي يَتَعَاهَد هذا القرآن ويشْتَدُّ عَلَيْهُ، لَهُ أَجْرَانِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ[(٤)] وَهُوَ خَفِيفٌ عَلَيْهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»[(٥)].

= عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ: «البيت الصفر» أي: بأل التعريف، وكلثوم قال فيه أبو حاتم الرازي كما في الجرح والتعديل (٧/ ١٦٤): «كان جنديّاً بخراسان لا يصح حديثه»، وعطاء لم يسمع من أبي هريرة كما في جامع التحصيل (ص: ٢٣٨)، كما يشهد له ما روي عن ابن مسعود بلفظ: «وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله عز وجل»، مرفوعاً وموقوفاً، مع أن الصواب الموقوف، انظر: سنن النسائي الكبرى (٦/ ٢٤٠)، ومصنف عبد الرزاق (٣/ ٣٦٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٦) ومعجم الطبراني الكبير (٩/ ١٢٩)، وفضائل القرآن للفريابي ح (٣٨).

(١) في المطبوع: أنس بن مالك.

(٢) قال أبو بكر الأنباري في الزاهر (١/ ١٠): «سمعت أبا العباس يقول: المحال مأخوذ من قول العرب: قد محل فلان بفلان، إذا سعى به إلى السلطان وعرَّضه لأمر يوبقه ويهلكه فيه،...، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن يوم القيامة نجا ومن محل به القرآن كبه الله على وجهه في النار»، فمعناه: ومن شهد عليه القرآن بالتضييع والتقصير.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٨٢) ومحمد بن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ح (١٨٧) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، دون قوله: «وأحق من شفع له القرآن أهله...» إلخ، وهو منقطعٌ، وقد روي نحو ذلك مرفوعاً من حديث ابن مسعود وجابر ومعقل بن يسار، ولا يصح منها شيء، والصحيح عن ابن مسعود موقوفاً عليه وقد ذكر بعض ذلك أبو حاتم الرازي في علل الحديث (٤/ ٦١٩-٦٢٠) والدارقطني في العلل (٥/ ١٠٢).

(٤) في المطبوع: يقرأ القرآن.

(٥) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (١٨٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أبو بكر الفريابي في فضائل القرآن (٤) واللفظ له، من طرق عن قتادة قال: سمعت زرارة ابن أوفى يحدث عن سعد ابن هشام عن عائشة فذكرت الحديث، تنبيه: وقع في رواية الفريابي سقط حيث جُعِلَ السند هكذا: عبد الله بن المبارك عن سعد بن هشام، وذلك لأن عبد الله بن المبارك لم يدرك سعد بن هشام، وإنما يروي عن أصحاب قتادة، كشعبة وهمام وغيرهما، والله تعالى أعلم.

وقال ابن مسعود: «مَلَّ أَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ مَلَّةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، ثُمَّ مَلُّوا مَلَّةً أُخْرَى، فَقَالُوا: قُصَّ عَلَيْنَا يَا رَسُولَ الله فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف: ٣]»[(١)].

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود: «إنَّ كُلَّ مؤدبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدَبُهُ، وَإِنَّ أَدَبَ الله الْقُرْآنُ»[(٣)]، وَمَرَّ أَعْرَابيٌّ عَلَى عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يَقْتَسِمُونَ مِيرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ»[(٤)].

وَمَرَّتِ امْرَأَةٌ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَقَالَتْ: «طُوبَى لِبَطْنٍ حَمَلَكَ،

---

(١) والخبر لم أجده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هكذا، وإنما يروى عن بعض التابعين مرسلاً من رواية عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٥٣) وتفسير الطبري (١٥/ ٥٥٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٠) وغيرهم، لكن روي نحو ذلك من حديث سعد بن أبي وقاص بسند ظاهره الصحة، وهو ما أخرجه ابن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٢٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٨٧)، والبزار (٣/ ٣٥٢)، والطبري (١٥/ ٥٥٣)، وغيرهم من طريق عمرو بن محمد العنقزي عن خلاد ابن مسلم الصفار عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٦٣) والدارمي في سننه (٢/ ٥٢٥) وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٥٠، ١١١) والحارث المحاسبي في فهم القران (ص: ٢٨٩)، عن ابن مسعود موقوفاً بسند فيه انقطاع.

(٤) ضعيف: فقد أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٥١)، من حديث الأعمش قال: مرَّ أعرابيٌّ بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه... فذكره، والأعمش لم يدرك ابن مسعود، كما هو معلومٌ.

وَلِلْثَدْيَيْنِ رَضَعْتَ مِنْهُمَا»، فَقَالَ عِيسَى: «طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ كِتَابَ الله وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ»[(١)].

وقال محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ[(٢)] في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] قال: «هُوَ الْقُرْآنُ، لَيْسَ كُلُّهُمْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ»[(٣)].

وقال بعضُ العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨] قال: «الْإِسْلَامُ وَالْقُرْآنُ»[(٤)].

وقيل لعبد الله بن مسعود: «إنك لتُقِلُّ الصومَ؟»فقال: «إنه يشغلني عن قراءة القرآن، وقراءةُ القرآن أحبُّ إليَّ منه»[(٥)].

وقال قومٌ من الأنصار للنبي ﷺ: أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ الله ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ لَمْ تَزَلْ دَارُهُ

---

(١) ثابت عن أربعة من التابعين من قولهم، وهم:
١- خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٥، ١١/ ٥٤٨، ١٣/ ١٩٣) بسند صحيح إليه.
٢- أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٥٨) بسند صحيح إليه.
٣- ثابت البناني، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٩١-٩٢) بسند صحيح إليه.
٤- يزيد بن نعامة الضبي، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٥٧) بسند صحيح إليه.

(٢) هو محمد بن كعب بن حيان بن سليم، ولد في حياة النبي ﷺ فيما قيل، روى عن علي، وابن مسعود، وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه: محمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، وخلق، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٤٨٠) وغيره.

(٤) هذا القول صح عن جماعة من أهل العلم: أجلهم حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه، وقد أخرج ذلك عنه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣١٧) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) من طريقين عن ابن عباس وهو صحيح عنه.

(٥) صحيح: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القران (ص: ٦٢) والطبري في تهذيب الآثار (١/ ٣٢٤) وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي وائل شقيق بن سلمة وهو ثقة عن عبد الله بن مسعود فذكره، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣١٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٥) وغيرهما بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن يزيد وهو ثقة عن ابن مسعود، لكن جعل مكان القرآن الصلاة.

البَارِحَةَ يُزْهرُ[(١)] فِيهَا، وَحَوْلَها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَقَالَ لَهُمْ: «فلَعَلَّهُ قَرَأ سُورَةَ الْبَقَرَةِ»، فَسُئِلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: نَعَمْ قَرَأْتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ[(٢)].

وفي هذا المعنى حديثٌ صحيحٌ عن أسيد بن حضير[(٣)] في تنـزُّلِ الملائكة في الظُّلَّة[(٤)] لصوته بقراءة سورة البقرة[(٥)]، [خرجه البخاري][(٦)]، وذكر أبو عمرو الداني[(٧)] عن علي الأثرم[(٨)]، قال: «كنت أتكلم في الكِسائي وأقع فيه، فرأيته[(٩)] في النوم وعليه ثـيابُ بياض[(١٠)] ووجهه كالقمر، فقلت: يا أبا الحسن ما فعل الله بك؟ فقال: غـفر لي بالقرآن»[(١١)].

وقال عقبة بن عامر[(١٢)]: «عهد إلينا رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ»[(١٣)].

---

(١) في المطبوع: «تزهر».

(٢) ضعيف مرسل: فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٦٥، ٢٢٩)، بإسناد قال عنه ابنُ كثير في تفسيره (١/ ١٥٢): «هذا إسنادٌ جيدٌ إلا أنَّ فيه إبهاماً، ثم هو مُرْسَل».

(٣) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا يحيى، من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه على يد مصعب ابن عمير قبل سعد بن معاذ، توفي سنة (٢٠هـ) الإصابة (١/ ٢٣٤).

(٤) في جار الله: «الظلمة».

(٥) أخرجه مسلم ح (١٨٩٥)، وذكره البخاري في صحيحه ح (٥٠١٨)، تعليقاً.

(٦) زيادة من نور العثمانية.

(٧) هو إمام القراءات عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى: (٤٤٤هـ)، لا يترجم لمثله.

(٨) في جار الله: «علي بن الأثرم»، وهو أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم، صاحب لغة، انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٧).

(٩) في جار الله: «حتى رأيته» مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(١٠) في نسخة الأزهرية: «بيض».

(١١) هذه القصة لم أقف عليها من رواية الداني ولا الأثرم، وقد ذكر نحوها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٤١٠، ٤١٤).

(١٢) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهنيّ، روى عن النبيّ ﷺ، وعنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، أمّره معاوية على مصر، توفي سنة (٥٨هـ). الإصابة لابن حجر (٤/ ٤٢٩).

(١٣) صَحَّ معناه: لكنه ليس من رواية عقبة بن عامر، وإنما هو من رواية مالك بن عبادة الغافقي، =

وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: «إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعةِ أنْ يُبْسَطَ الْقَوْلُ ويُخْزَنَ الْفِعْلُ، ويُرْفَعَ الأشْرَارُ ويُوضَعَ الأخْيَارُ، وأنْ تُقْرَأَ المثنَّاةُ عَلَى رُءوسِ النَّاسِ لَا تُغَيَّرُ، قِيلَ: ومَا المثنَّاةُ؟ قَالَ: مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ غَيْرِ كِتَابِ الله، قيل له: فكَيْفَ بِمَا جَاءَ مِن حَدِيثِ رسولِ الله ﷺ؟ فقَالَ: مَا أخَذْتُمُوهُ عَمَّنْ تَأْمَنُونَهُ عَلَى نَفْسِهِ ودِينِهِ فاعْقِلُوهُ، وعَلَيْكُمْ بالْقُرْآنِ فتَعَلَّمُوهُ وعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ فإنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وبِهِ تُجْزَوْنَ، وكَفَى بِهِ وَاعِظاً لِمَنْ كَانَ يَعْقِلُ»[١].

وقال رجلٌ لأبي الدرداء: إنَّ إخواناً لك من أهل الكوفة يقرئونك السَّلام، ويأمرونك أن توصيهم. فقال: «أَقْرِئهُمُ السَّلامَ، وَمُرْهُمْ فليعطوا القرآنَ بخزائِمِهِم[٢]، فإنه يحملهم على القصد/ والسهولة، ويجنبهم الجور والحُزونة»[٣]. [١/ ٤]

وقال رجلٌ لعبد الله بن مسعود: أوصني، فقال: «إذا سمعت اللهَ تعالى يقول:

= أخرجه أبو عبيد في فضائل القران (ص: ٦٧) والبخاري التاريخ الكبير (٧/ ٣٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٦٦)، والدولابي في الكنى (١/ ١٧٠)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٩٦) وابن عدي في الكامل (١/ ١٢) وغيرهم من طريق عمرو بن الحارث، عن يحيى بن ميمون: أن وداعة الحمدي (أو: الجَمَدي) حدثه أنه كان بجنب مالك بن عبادة الغافقي وعقبة بن عامر يقص، فقال مالك: «إن صاحبكم هذا غافل وهالك، إن رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع فقال: «عليكم بالقرآن...»» الحديث، وفيه وداعة الحمدي لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن يشهد له حديث جابر الطويل في حجة الوداع الذي أخرجه مسلم ح (١٢١٨) وفيه: «فخطب الناس، وقال: «... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»».

(١) صحيح، فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٧١) والدارمي في السنن (١/ ١٣٤) والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٢٧٦) بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو.

(٢) جمع خزامة، وهي حلقة من شعر تُجعل في إحدى جانبي المنخر من البعير، انظر: لسان العرب، وتاج العروس، مادة: (خزم)، وفي أحمد٣: عزائمهم، وفي نور العثمانية: عزائمه.

(٣) لا يثبت اتصاله: فقد أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٦٨)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٨)، والدارمي (٢/ ٥٢٦)، من طريق أبي قلابة: أن رجلاً قال لأبي الدرداء...فذكره، وهذا سندٌ منقطع، أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، وفي نور العثمانية: الحروبة بدل الحزونة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعِها سمعكَ، فإنه خيرٌ يأمرُ به أو شرٌّ ينهى عنه»[١].

وروى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن أحسن النَّاس قراءةً ـ أو صوتاً ـ بالقرآن[٢]، فقال: «الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ[٣] يَخْشَى اللهَ تَعَالَى»[٤].

وقال عليه السلام: «اقْرَؤوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كمَا يُقَامُ الْقِدْحُ ويُضَيِّعُونَ مَعَانِيَهُ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، ولَا يَتَأَجَّلُونَهُ»[٥].

---

(١) منقطع: فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦)، وأحمد في الزهد (٢٣١) (٨٦٤)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٧٤) وغيرهم من طرق عن مسعر عن معن قال: قال عبد الله بن مسعود، وفي بعض الطرق: قال مسعر: حدثني معن وعون، أو أحدهما، وهذا إسناد منقطع، سواء قلنا: إن الرواية عن معن أو عن عون، فمعن بن عبد الرحمن يروي عن ابن مسعود بواسطة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٣٣)، وعون بن عبد الله ذكر الترمذي، والدارقطني أن روايته عن ابن مسعود مرسلة. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٥٦).

(٢) في المطبوع: «بالقراءة».

(٣) في نور العثمانية: «أو رأيته»، بزيادة «أو»، أو لعلها: «أريته».

(٤) لا يصح مرفوعاً، والمحفوظ فيه الإرسال: لم أقف عليه من حديث أبي هريرة إلا ما عزاه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٢٥) للسجزي في الإبانة من طريق طاوس عن أبي هريرة، والمشهور عن طاوس روايته للحديث مرسلاً، وهو أصح ما في هذا الباب، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٨٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥٢٢، ١٠/ ٤٦٤) والدارمي في سننه (٢/ ٥٦٣)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٦٥) من طرق عنه مرسلاً، وقد روي معنى هذا الحديث عن عدد من الصحابة، إلا أن معظمها أغلاطٌ من الرواة مردها إلى الرواية عن طاوس لا نريد إطالة التخريج بذكرها، ولذلك حكم غير واحد من النقاد بأن الإرسال هو المحفوظ، منهم الدارقطني في العلل (١٢/ ٣٨٤)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٧٨) وغيرهما، وأمثل ما يروى في هذا الباب ثلاثة أحاديث؛ أولها: مرسل طاووس هذا، وثانيها: مرسل عن الزهري بسند صحيح عند ابن المبارك في الزهد (ص: ٣٧-٣٨) وثالثها مسند عن جابر عند ابن ماجه في سننه ح (١٣٣٩) إلا أنه ضعيفٌ، في إسناده عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وإبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وهما ضعيفان، انظر تقريب التهذيب رقم (٣٢٥٥)، ورقم (١٤٨).

(٥) الصحيح مرسل، هذا الحديث له مخرجان؛ أحدهما: ما أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧، ٣٥٧)، وأبو داود ح (٨٣٠)، وغيرهما من طريق حميد الأعرج، ومن طريق أسامة الليثي، كلاهما عن محمد بن المنكدر، =

ويروى أنَّ أهل اليمن لما قدموا أيَّام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: «هكذا كنَّا، ثم قستِ القلوبُ»[(١)].

وروي: «أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه قرأ مرةً: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ * مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨]، فأنَّ أنَّةً[(٢)] عِيدَ منها عشرين يوماً»[(٣)].

= عن جابر، بنحوه مرفوعاً، وهذا سند ظاهره الصحة إلا أنه خالفهما ابن عيينة عند سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٥٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٨٢)، والثوري عند ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨٠) فروياه عن ابن المنكدر مرسلا، وروايتهما أصح، لحفظهما وكون الرواية المسندة توافق الجادة، فقد قال أحمد كما في شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٢٦٢): «أهل المدينة إذا كان الحديث غلطاً يقولون: ابن المنكدر عن جابر»، الثاني: ما أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٨) أبو داود ح (٨٣١) وابن المبارك في الزهد (ص: ٢٨٠) وعبد بن حميد في المنتخب (ص: ١٧١) وابن حبان (٣/ ٣٦، ١٥/ ١٢٠) والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٦، ٢٠٧) وغيرهم، من طريقين ضعيفين عن سهل بن سعد بنحوه مرفوعاً، وقد جعل البيهقي أحد الطريقين شاهداً للآخر في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٦-٢٠٧)، والله أعلم.

(١) منقطع: فقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٥)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣- ٣٤) بسند صحيح عن أبي صالح، قال: لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر، فذكر نحوه، وأبو صالح السمان عن أبي بكر الصديق منقطع. انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٥٧).

(٢) كذا ذكره ابن عطية، والذي في مصادر التخريج الآتية (فربا منها ربوة).

(٣) أرسله عن عمر: الشعبي والحسن البصري: أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٣٦) من طريق الحسن البصري عنه نحوه، والحسن لم يدرك عمر رضي الله عنه، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٣١)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص: ٩٣-٩٤) من طريق الشعبي عن عمر بنحوه، وليس فيه أنهم عادوه، والشعبي عن عمر منقطع، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ١٦٠)، وله طريق آخر أخرجه ابن أبي الدنيا كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠٨) من طريق صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن عمر نحوه، وصالح ضعيف، والعبدي تابعي لا أراه أدرك عمر.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري[١]: «إنَّكم اتَّخذتم قراءةَ القرآنِ[٢] مراحلَ، وجعلتم الليلَ جملاً تركبونَه، فتقطعونَ به المراحلَ، وإنَّ من كان قبلكم رأوه رسائلَ إليهم من ربِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنَّهار»[٣].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتَّخذوا درسَه عملاً إنَّ أحدَهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العملَ به»[٤].

قال القاضي أبو محمد: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] أي: عِلْمُ معانيه والعملُ به والقيامُ بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسَّر، وتركوا الثقيل، وهو المطلوب منهم.

وقيل ليوسف بن أسباط[٥]: بأيِّ شيءٍ تدعو إذا قرأتَ القرآنَ؟ قال: «أستغفرُ اللهَ من تِلَاوتي، لأنِّي إذا ختمتُه وتَذكرتُ مَا فيه مِنَ الأعمالِ خَشِيتُ المقتَ، فَأَعْدل إلى الاستغفارِ والتَّسبيحِ»[٦].

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكان فصيحاً، رأى عليّاً وعائشة وروى عن بعض الصحابة، وعنه حميد الطويل وغيره، كان عالماً حافظاً ثقة، توفي سنة ١١٠هـ تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣).

(٢) في المطبوع: «اتخذتم القرآن»، بدون لفظة «قراءة».

(٣) لم أجده مسنداً، لكن ذكره قبله بلديُّه مكي بن أبي طالب القيسي في قوت القلوب (ص: ١٠٧)، وظني أن ابن عطية نقله عنه، بدليل أن صاحب قوت القلوب قد ذكر بعده الأثر الآتي عن ابن مسعود مباشرة كما فعل ابن عطية.

(٤) هذا الأثر كالذي قبله، انظر: المصدر السابق.

(٥) يوسف بن أسباط الزاهد أحد مشايخ القوم، له مواعظ وحكم، روى عن: محل بن خليفة، وسفيان الثوري، وزائدة، وطائفة سواهم، روى عنه: المسيب بن وضاح، وعبد الله بن خبيق الأنطاكي، وغيرهما، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، وقال البخاري : كان قد دفن كتبه، فكان لا يجيء حديثه كما ينبغي، تاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ٤٨٣).

(٦) هذا الأثر كالأثرين قبله، انظر: المصدر السابق.

وقرأ رجلٌ القُرْآنَ على بعضِ العلماء، قال: فلما ختمتُهُ أَرَدْتُ الرُّجُوعَ مِن أوَّلِهِ، فقال لي: «اتَّخذتَ القِراءةَ عليَّ عَمَلاً، اذْهَبْ فَاقْرَأه على الله تعالى في ليلِكَ، وانْظُرْ مَاذَا يُفهمُكَ مِنْه فاعْمَلْ بِهِ».

❊ ❊ ❊

باب في فضل تفسير القرآن
والكلام على لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه

وروى ابن عباس: «أنَّ رجلاً سَأَلَ النبيَّ ﷺ فقال: أيُّ علم القرآن أفضلُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «عَرَبِيَّتُهُ، فالْتَمِسُوهَا فِي الشِّعْرِ»[١].

وقال أيضاً ﷺ: «أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ[٢]، وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ»[٣].

قال القاضي أبو محمد: إعرابُ القرآنِ أصْلٌ في الشَّريعة؛ لأنَّ بذلك تقومُ معانيه التي هي الشَّرعُ.

---

(١) الأصح موقوف: ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧) قال: وقد روى أبو حاضر، عن ابن عباس، فذكره، ووقع فيه: «غريبه» بدلا من «عربيته»، واحتمال التصحيف في مثل هذا قريب جدّاً، فإن صح الإسناد إلى أبي حاضر فهو صحيح، إلا أن المشهور عن ابن عباس في هذا المعنى ما روي من طريق أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، موقوفاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٢) وصححه، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤١) ورواه سماك عن عكرمة فرفعه، أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤١) وقال عن الموقوف: «هذا هو الصحيحُ».

(٢) قال السيوطي في الإتقان (٢/ ٤٦٥): «معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث»، وفي مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٤١): «أي: بينوا معانيه وأظهروها، والإعراب الإبانة والإفصاح».

(٣) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٥٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٧٧)، من طريق عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه عن أبي هريرة، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٩)، وتعقبه الذهبي، وفيه عبد الله المقبري متروك، كما في التقريب رقم (٣٣٥٦).

وقال أبو العالية[1] في تفسير قوله عزَّ وجل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩]، قال: «الحكمة: [الفهمُ في القرآنِ»[2].

وقال قتادة[3]: «الحكمة: القرآنُ والفقهُ[4] فيه»[5]، وقال غيره: «الحكمة][6]: تفسير القرآن»[7].

وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: «إنَّه كان يعرف تفسيرَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥]»[8].

---

(١) اسمه رفيع بن مهران، وكان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، حي من تميم، أحد علماء البصرة وأئمتها،، أسلم في إمرة الصديق ودخل عليه، وقرأ القرآن على أبي بن كعب، وروى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، روى عنه القراءة شعيب بن الحبحاب، والأعمش، والربيع بن أنس، وجماعة، وحدث عنه: قتادة، وأبو خلدة، وغيرهما، توفي سنة: (٩٠هـ) أو بعدها بقليل. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٩).

(٢) صحيح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦-٥٧٧) بسند صحيح عنه.

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأعمى الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، والحفاظ، ربما دلس، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل، وغيرهم، قال عنه ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، توفي قتادة سنة: (١١٧هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٥٣).

(٤) في نور العثمانية تحتها: «والفهم»، وعليها علامة تصحيح.

(٥) صحيح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦) بسند صحيح عنه.

(٦) سقط من الأصل، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٧) هذا القول ذكره ابن عطية بالمعنى، وهو صحيح عن ابن عباس: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها: «المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله».

(٨) الأثر لم أقف عليه مسنداً، وظني أنه من مختلقات غلاة الرافضة، وأن بعض أهل السنة تلقفه عنهم، فإنهم يعتقدون رجعة علي بن أبي طالب، ويستدلون على ذلك بهذه الآية، فلا يستبعد أن يضعوا لها أسانيد من عند أنفسهم، والمعروف في مثل هذه الآية عندهم ما يذكرونه في كتبهم عن أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه ذكر عنده جابر وهو الجعفي فقال: «رحم الله جابراً، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، =

وقال الشَّعبيُّ[(١)]: «رَحَلَ مَسْرُوقٌ[(٢)] إِلَى البَصْرَةِ في تفسيرِ آيةٍ، فقِيلَ لَه: إنَّ الَّذي يفسرُها رحل إلى الشَّام، فتجهَّزَ ورحل إليه حتَّى علم تفسيرها»[(٣)].

وقال إياس بْنُ معاويةَ[(٤)]: «مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وهُمْ لا يَعْلَمُونَ[(٥)] تَفْسِيرَهُ، كمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلاً ولَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، ومَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بمِصْبَاحٍ فقَرَءُوا مَا فِي الكتَابِ»[(٦)].

وقال ابن عباس: «الَّذي يقرأُ ولا يفسّرُ كالأعرابيِّ الَّذي يهُذُّ الشِّعْرَ»[(٧)].

= يعني: الرجعة»، فلعله حدث تصحيف فيما نقله ابن عطية، وهذا النقل عن أبي جعفر لا يصح، بل قد صحَّ خلافه، انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٦/ ٢٥١) ومجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٠٢).

(١) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، علامة أهل الكوفة، ولد في وسط خلافة عمر، روى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعنه إسماعيل بن أبي خالد، وداود بن أبي هند، والأعمش، توفي سنة (١٠٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ١٢٤).

(٢) مسروق بن الأجدع واسمه عبد الرحمن بن مالك بن أمية، أبو عائشة الهمداني، ثم الوادعي الكوفي، سمع: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً، وشهد الحكمين، ثقة كبير، توفي سنة (٦٢هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٢٣٥).

(٣) صحيح: فقد أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه رقم (٤٠٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٩٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٣٩٧)، ومن طريق ابن أبي خيثمة الخليلي في الإرشاد (٢/ ٥٣٣-٥٣٤) بسند صحيح.

(٤) إياس بن معاوية بن قرة أبو واثلة المزني البصري، روى عن أبيه وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعدة، وعنه خالد الحذاء وشعبة وحماد، وغيرهم، وثقه ابن معين روى له مسلم في مقدمته وعلق له البخاري، توفي سنة (١٢١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤١).

(٥) في المطبوع: لا يعرفون.

(٦) أخرجه بنحوه الحكيم الترمذي في الأمثال ص (٤٥-٤٦)، ولم يذكر إسناده، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤).

(٧) أورده أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (١/ ٤٢) قائلًا: وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال، فذكره.

وقال مجاهد[١]: «أحبُّ الخلقِ إلى الله أعلمُهُم بما أَنْزَلَ»[٢].

وقال الحسن: «والله مَا أنزل اللهُ آيةً إلَّا أحب أن يُعْلَم فيما[٣] أنزلت وما يُعنى بها»[٤].

وقال النبي ﷺ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»[٥].

وقال الحسن: «أهلكتْهُم العُجمةُ، يقرأُ أحدُهُم الآيةَ فيَعْيَى بوجوهِها حتَّى يفتَرِي على الله فيها»[٦].

وكان ابنُ عباس يبدأُ في مجلسه بالقرآن ثمَّ بالتَّفسير ثمَّ بالحديث[٧].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «مَا مِنْ شَيْءٍ إلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ رأي الرجل[٨] يعجز عنه»[٩].

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر، أحد الأعلام، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد في خلافة عمر، وسمع سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعنه: عكرمة، وطاوس، وقتادة، وثقه ابن معين. توفي سنة (١٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢٣٥).

(٢) نقله جماعة من المفسرين بعده كالقرطبي (١/ ٢٦)، ولم أقف على أحد نقله قبله.

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية وجار الله: «فيمن».

(٤) نقله جماعة من المفسرين بعده كالقرطبي (١/ ٢٦)،ولم أقف على أحد نقله قبله.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠١) ثم قال: «وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول أبي الدرداء»، ثم أورده من طريق أبي قلابة، عن أبي الدرداء من قوله، أخرجه أحمد في الزهد (ص١٣٤) وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٥) وابن أبي شيبة كذلك (١٠/ ٥٢٧) وغيرهم، لكن أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، والله تعالى أعلم.

(٦) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٩٣)، (٦/ ٨٤)، بسند صحيح إلى عبيدة بن زيد النميري جد عمر بن شبة عن الحسن البصري قوله، وعبيدة هذا لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن جزم البخاري في خلق أفعال العباد في موضعين ص (٧٥، ١٠٦) بنسبة الأثر إلى الحسن البصري.

(٧) ذكره ابن عطية بالمعنى، وهو أثر طويل فيه أن ابن عباس اجتمع الناس عند بابه لطلب العلم، فأدخل أولاً أهل القرآن، ثم أهل التفسير، ثم أهل الفقه، والفقه والحديث واحد، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٠-٣٢١)، وفي سنده أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيفٌ كما في تقريب التهذيب رقم (٨١٨).

(٨) في أحمد٣ والسليمانية: «الرجال».

(٩) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (١/ ٦٦) نقلًا من كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر المقدسي.

بابُ مَا قيل في الكلامِ
في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين(١)

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما كان رسول اللهﷺ يُفسِّرُ من كِتابِ الله إلَّا آياً بعددٍ علَّمه إيَّاهُنّ جِبريلُ»(٢).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا الحديث في مغيَّبَات/ القرآن، وتفسير [١/ ٥] مجمله، ونحوهذا مما لا سبيلَ إليه إلا بتوقيفٍ من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يُعلِمِ الله به كوقتِ قيام الساعة ونحوها، ومنها ما يُستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض(٣).

وروي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فقَدْ أَخْطَأ»(٤).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتَسَوّر

---

(١) انظر لمراتب المفسرين النوع الثمانين من كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٢٣٣).

(٢) ضعيف: فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٣) والبزار في مسنده كما في مجمع الزوائد (٧/ ٩) وابن جرير في تفسيره (١/ ٨٤) وضعفه في (١/ ٨٩)، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤): «حديث منكر غريب»، وفي سنده جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، وهو ضعيفٌ، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤١٦)، واللسان (٢/ ١٢٤).

(٣) وبنحو ذلك فسر ابن جرير هذا الحديث على فرض صحته، انظر: تفسيره (١/ ٨٧-٨٨).

(٤) ضعيف: فقد أخرجه أبو داود ح (٣٦٥٢)، والترمذي ح (٣١٨٣)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٦) من طريق سهيل بن أبي حزم القطعي، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل»، وقال أبو حاتم كما في علل ابنه (٤/ ٦١٨): «أحسب أن ذلك خطأ»، وصحح كونه بلفظٍ ومعنًى آخر من قول عمر رضي الله عنه.

عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانينُ العلوم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحويون نحوه، والفقهاء معانيَه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علمٍ ونظرٍ، فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه[١].

وكان جلةٌ من السَّلف كسعيد بن المسيب[٢]، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسيرَ القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم[٣].

وكان جلة من السلف كثير عددُهُم يفسرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم[٤].

فأمَّا صدرُ المفسرين والمؤيَّد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن العباس رضي الله عنه، وهو تجرَّدَ للأمر وكمَّلَه وتتبَّعَهُ، وتبِعهُ العلماءُ عليه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال ابن عباس: «مَا أَخَذْتُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابنِ عباس ويحض على الأخذ عنه[٥].

---

(١) وقد ذكر نحو ذلك البيهقي رحمه الله، فقال في شعب الإيمان (٣/ ٥٤٠): «وهذا إن صح، فإنما أراد ـ والله أعلم ـ الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأمَّا الرأي الذي يشده برهان فالحكم به في النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز».

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي المدني عالم أهل المدينة بلا مدافعة، ولد في خلافة عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، قال ابن المديني: «هو عندي أجل التابعين»، توفي سنة (٩٤هـ) وقيل غير ذلك. تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٣٧١).

(٣) انظر الآثار عنهم في تفسير الطبري (١/ ٨٥-٨٧).

(٤) أي أنهم أشفقوا علينا بفعلهم ذلك ورحمونا، من قولهم: أبقيت على فلان، بمعنى: أشفقت عليه ورحمته، انظر مادة: (بقي) في المحكم.

(٥) لم أقف على هذين الأثرين.

وكان عبد الله بن مسعود يقول: «نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ»[١].

وهو الَّذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وعلمه التأويل»[٢]، وحسبك بهذه الدعوة.

وقال عنه علي بن أبي طالب: «ابْنُ عَبَّاسٍ كأنَّمَا[٣] يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرٍ رَقِيقٍ»[٤].

ويتلوه عبد الله بن مسعود، وأبيٌّ بن كعب، وزيد بن ثابت[٥]، وعبد الله بن عمرو ابن العاصي، وكل ما أخذ عن الصحابة فحسنٌ متقدمٌ.

ومن المبرِّزين في التابعين: الحسنُ بنُ أبي الحسن، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبير[٦]، وعلقمة[٧].

---

(١) صحيح: فقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٧/ ١٨٦)، وابن جرير (١/ ٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٦) وغيرهم، من طريق جعفر بن عون، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن ابن مسعود به، وصححه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٨).

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (١٤٣)، ومسلم ح (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس، ولفظ مسلم: «اللهم فقهه»، فحسب.

(٣) في أحمد٣: «كان».

(٤) موضوع: فقد أخرجه الدينوري في المجالسة (٥٩٩)، بإسناد فيه أبو جعفر عبد الله بن المسور المدائني، وهو وضاع، انظر: لسان الميزان (٣/ ٣٦٠).

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أحد أجلة الصحابة وعلمائهم، كان يكتب الوحي للنبي ﷺ، وتولّى قسم غنائم اليرموك، وهو الذي تولى جمع القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، توفي سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك. الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٩٠).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو عبد الله، الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، سمع: ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، روى عنه: جعفر بن المغيرة، وجعفر بن أبي وحشية، وأيوب السختياني، وخلق، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٦).

(٧) علقمة بن قيس ابن عبد الله بن مالك، أبو شبل النخعي الكوفي، الفقيه المشهور، خال إبراهيم النخعي، وشيخه، أدرك الجاهلية، وسمع: عمر، وعثمان، وعلياً، وكان فقيهاً إماماً مقرئاً، طيب الصوت بالقرآن، ثبتاً حجة، توفي سنة (٦١هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ١٩٠).

قرأ مجاهد على ابن عباس قراءةَ تفهُّمٍ ووقوفٍ عند كلِّ آيةٍ[١].

ويتلوهم عكرمةُ[٢]، والضَّحاكُ بْنُ مزاحم[٣]، وإن كان لم يلق ابنَ عباس، وإنما أخذ عن ابنِ جبير[٤].

وأما السُّدي[٥] رحمه الله فكان عامرٌ الشعبيُّ يطعن عليه[٦] وعلى أبي صالح[٧]؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر.

---

(١) هذا الكلام صحيح: فقد أخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٤) والدارمي (١/ ٢٧٣) وابن جرير (١/ ٩٠) وغيرهم بسند صحيح عن مجاهد من قوله، وأخرج معناه أيضاً ابن جرير بسند صحيح عن ابن أبي مُليكة قال: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه».

(٢) هو عكرمة البربري ثم المدني، أبو عبد الله مولى ابن عباس، أحد العلماء الربانيين، روى عن ابن عباس، وعائشة، وعلي وأبي هريرة، وعنه: أيوب السختياني، وثور بن يزيد، وثور بن زيد الديلي، توفي سنة (١٠٥هـ). وقيل: بعدها، تاريخ الإسلام (٧/ ١٧٤).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني أبو محمد، صاحب التفسير، حدث عن: ابن عباس، وابن عمر، وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وضعفه يحيى القطان وغيره، واحتج به النسائي وغيره، وكان مدلساً، توفي (١٠٢هـ) وقيل غيرها. تاريخ الإسلام (٧/ ١١٢).

(٤) انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٩٥)، وتفسير الطبري (١/ ٩١).

(٥) السدي الكبير، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي مليكة، الإمام أبو محمد، الحجازي ثم الكوفي، المفسر مولى قريش، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، قال النسائي: صالح، وقال يحيى القطان: لا بأس به، وضعفه ابن معين، توفي سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩١)، وأبو صالح باذام ـ ويقال: باذان ـ مولى أم هانئ، روى عن مولاته وأخيها علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وعنه: أبو قلابة، والأعمش، ومحمد بن السائب الكلبي، وغيرهم، قال ابن معين : ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشيء، وقال يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، وقال النسائي: ليس بثقة، توفي سنة (١٢٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٥).

ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدولُ كلِّ[١] خَلَفٍ، وألَّف الناسُ فيه كعبد الرزاق[٢]، والمفضَّل[٣]، وعلي بن أبي طلحة[٤]، والبخاري، وغيرهم.

ثم إنَّ محمدَ بْنَ جرير الطبريَّ[٥] رحمه الله جمع على النَّاس أشتاتَ[٦] التفسير، وقرّب البعيدَ منها، وشفى في الإسناد.

ومن المبرِّزين في المتأخرين أبو إسحاق الزجاج[٧]، وأبو علي الفارسيُّ[٨]،

---

(١) في أحمد٣: «عن».

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، الصنعاني، صاحب المصنف، أحد الأعلام، روى عن أبيه والأوزاعي والسفيانين ومالك، وغيرهم، وعنه: شيخه سفيان بن عيينة، وابن معين، وخلق، صنف: «التفسير» و«السنن»، قال الذهبي: «وهو صدوق في نفسه، وحديثه محتج به في الصحاح، ولكن ما هو ممن إذا تفرد بشيء عد صحيحاً»، توفي سنة (٢١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٢٦٠).

(٣) هو المفضل بن سلمة الضبي، لغوي له تصانيف في معاني القرآن كما في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٢)، وليس هو المفضل بن محمد المقرئ صاحب عاصم، وقد أوردهما المصنف مهملين في كتابه، إلا أن الفرق بينهما أن الأول يورد عنه المعاني، والثاني يورد عنه القراءة.

(٤) علي بن أبي طلحة سالم بن مخارق مولى العباس، نزيل حمص، روى عن مجاهد وغيره، وعنه الثوري وطائفة، قال أحمد بن حنبل: روى التفسير عن ابن عباس ولم يره، وقال الحاكم: ليس ممن يعتمد على تفسيره، توفي سنة (١٤٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٢٢٦).

(٥) الإمام الكبير محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف المفيدة، منها تفسيره وتاريخه المشهوران، وغيرهما، روى عنه: أبو شعيب الحراني، وهو أكبر منه سناً وسنداً، ومخلد الباقرحي، والطبراني، توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٧٩).

(٦) في نور العثمانية: «أسباب».

(٧) إبراهيم بن السَّرِي بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي المشهور، لزم المبرد وأخذ عنه، له كتاب: «معاني القرآن»، و«مختصر في النحو»، و: «العروض والقوافي» وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣/ ٤٠٧).

(٨) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي الفسوي النحوي، أخذ عن علماء بغداد مثل الزجاج، والسراج، وله تصانيف كثيرة منها: الحجة في القراءات وكتاب: ما أغفله الزجاج في معاني القرآن، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ٦٠٨).

فإن كلامهما منخولٌ، وأما أبو بكر النقاش[1] وأبو جعفر النحاس[2] فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سَنَنِهما مكيُّ بْنُ أبي طالب رضي الله عنه[3]، وأبو العباس المهدوي رحمه الله متقنُ التأليف.

وكلهم مجتهدٌ مأجورٌ، [رحمهم الله، ونضَّر وجوههم][4].

❋ ❋ ❋

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي أبو بكر النقاش المقرئ المفسر، كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صنف في التفسير والقراءات، وعلوم القرآن، قال الذهبي: متروك، مع جلالة قدره. توفي سنة (**٣٥١هـ**). تاريخ الإسلام (**٢٦/ ٦١**).

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر بن النحاس المصري النحوي اللغوي، أخذ عن الزجاج، وروى عن الأخفش الصغير، له كتاب: «إعراب القرآن» وكتاب: «المعاني»، وغيرهما، توفي رحمه الله سنة (**٣٣٨هـ**). تاريخ الإسلام (**٢٥/ ١٥٥**).

(٣) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد، القيسي القيرواني، ثم القرطبي المقرئ، شيخ الأندلس، برع في القراءات وعلوم القرآن، أخذ عن أحمد بن ابراهيم المروزي، وأبي الطيب بن غلبون، وابن أبي زيد القيرواني، توفي سنة (**٤٨٧هـ**). تاريخ الإسلام للذهبي (**٢٩/ ٤٥٢**).

(٤) ساقط من جار الله.

باب معنى قول النبيّ ﷺ:
«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»(١)

اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً:

فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها، كـ(تعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، واقرب، وجئ)، وكاللغات التي في (أفٍّ)، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

قال ابن شهاب في كتاب مسلم: «بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِداً لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلامٌ محتملٌ(٣).

وقال فريق من العلماء: «إن المراد بالسبعة الأحرف(٤) معاني كتاب الله تعالى،

---

(١) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٢٤١٩) وغير موضع، ومسلم ح (٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم ح (٨١٩).

(٣) يعني فيما يظهر: أن كلام ابن شهاب ليس في تحديد معنى الأحرف السبعة، بل يحتمل وجوهاً من المعاني، منها ما استشهد به عليه وهو أن المراد التعبير عن المعنى بأوجه من الألفاظ المختلفة كتعال وهلم وأقبل ونحو ذلك، ومنها ما سيأتي الحديث عنه، كالذي حكاه صاحب الدلائل، وغير ذلك، نعم كلام ابن شهاب يرد قول من قال: إن الأحرف السبعة هي أمر ونهي ووعد ووعيد ونحو ذلك من الأقوال.

(٤) في المطبوع: «أحرف».

وهي: أمرٌ، ونهيٌ، ووعدٌ، ووعيدٌ، وقصصٌ، ومجادلةٌ، وأمثالٌ»، وهذا أيضاً ضعيفٌ؛ لأنَّ هذه لا تسمَّى أحرُفاً[١].

وأيضاً؛ فالإجماع أنَّ التوسعةَ لم تقع في تحريمِ حلالٍ، ولا في تحليلِ حرامٍ، ولا في تغييرِ شيءٍ من المعاني المذكورة[٢].

وحكى صاحبُ الدلائلِ[٣] عن بعض العلماء[٤] ـ وقد حكى نحوه القاضي أبو بكر بن الطيب[٥] ـ قال: «تدبرتُ وجوهَ الاختلافِ في القراءة فوجدتُها سبعةً، منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته،/ [١/ ٦] مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾، و(أَطْهَرَ)، ومنها ما لا تتغير صورته، ويتغير معناه [بالإعراب][٦]، مثل: ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ﴾، و﴿بَاعَدَ﴾، ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل: ﴿نُنشِرُهَا﴾، و﴿نُنشِزُهَا﴾، ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه كقوله: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[القارعة: ٥]، و(كالصوف

(١) ذكر هذا القول ابن عطية ولم ينسبه لأحد تبعاً لأبي بكر الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٦٧-٣٦٨)، ولا يظهر أنه صرَّح بهذا القول أحد من أهل العلم على أنه المراد بالحروف السبعة، وإنما ذكر ابن جرير هذا القول في معرض رد على احتمال معارضة له، حيث ذكر أنه نقل عن جماعة من السلف أحاديث وأقوال في ذلك، وأن مرادهم بالأحرف السبعة تلك غير الأحرف السبعة التي يجوز بها القراءة، ثم بين مرادهم وأنها أوجه من المعاني نزل بها القرآن للعمل بها، انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٦-٤٧، ٥٥، ٦٨-٦٩)، وظني أن الباقلاني تلقف ذلك من كلام الطبري، ثم رجح بعد ذلك التفسير الذي ذكره الطبري لمعنى ما روي من الآحاديث والأقوال، والله تعالى أعلم.

(٢) نقل الإجماع الباقلاني في الانتصار في غير ما موضع. انظر (١/ ٣٦٧، ٣٨٠)، وهو قول لم يقل به أحد، إذ إن فساده أبين من أن يقال به، أو يرد عليه بادعاء إجماع على خلافه.

(٣) كتاب الدلائل في شرح غريب حديث رسول الله ﷺ مما ليس في كتاب أبي عبيد ولا ابن قتيبة، لقاسم ابن ثابت بن حزم السرقسطي ت (٣٠٢) شرع في تأليف هذا الكتاب ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بعده، ويقال: إن ثابتاً وابنه قاسماً ألفاه جميعاً، انظر: فهرس ابن عطية (ص: ١٣٩-١٤٠)، وتاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي (١/ ١٦٢).

(٤) هو ابن قتيبة، فقد نقل كلامه هذا بعينه ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر (١/ ٣٩).

(٥) هو الباقلاني.

(٦) ليست في المطبوع.

المنفوش)، ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[الواقعة: ٢٩]، و(طلع منضود)، ومنها بالتقديم والتأخير، كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[قٓ: ١٩]، و(سكرة الحق بالموت)، ومنها بالزيادة والنقصان، كقوله: (تسع وتسعون نعجة أنثى)[١].

وذكر القاضي أبو بكر بن الطيب[٢] في معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ سَبَعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: نَهْيٍ وأَمْرٍ، وحَلَالٍ وحَرَامٍ، ومُحْكَمٍ ومُتَشَابِهٍ، وأَمْثَالٍ، فأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وحَرِمُوا حَرَامَهُ، وائْتَمِرُوا بأَوَامِرِهِ، وانْتَهُوا بِنَوَاهِيهِ[٣]، واعْتَبِرُوا بمُحْكَمِهِ، وآمِنُوا بمُتَشَابِهِهِ»[٤].

فهذا تفسيرٌ منه ﷺ للأحرفِ السَّبعةِ[٥]، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على وجهٍ وطريقةٍ، هي ريبٌ وشكٌّ، فكذلك معنى هذا الحديث: على سبع طرائق، من تحليل، وتحريم، وغير ذلك.

---

(١) المطبوع من كتاب الدلائل ليس فيه ما يتعلق بالأحرف السبعة، وقد نقله بلفظ قريب من هذا ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٩٥) والاستذكار (٢/ ٤٨٣-٤٨٤)، وقد ذكر هذه الوجوه الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٨٥-٣٨٨)، وابن الجزري في النشر (١/ ٣٩).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، صاحب التصانيف في علم الكلام، روى عنه: أبو ذر الهروي، والحسين بن حاتم، من مؤلفاته: الانتصار، إعجاز القرآن، وغيرهما، توفي سنة (٤٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٨/ ٨٨).

(٣) «بنواهيه»، و«بأوامره»: سقطتا من السليمانية وأحمد٣ وجار الله.

(٤) الأشبه موقوف: نقله ابن عطية بالمعنى من كتاب الانتصار للباقلاني، وقد ذكره الباقلاني في غير ما موضع منها (١/ ٣٦٧)، والحديث أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود، رضي الله عنه مرفوعاً به، وهو إسناد منقطع، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يدرك ابن مسعود، وقال ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٧٥): «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت»، ورواه ابن جرير (١/ ٦٩)، موقوفاً على ابن مسعود، رضي الله عنه، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤١): «وهو أشبه».

(٥) كذا قال ابن عطية، وإنما تبع في ذلك الباقلاني في الانتصار (١/ ٣٦٧)، والأقرب أن ذلك تفسير للأبواب السبعة لا للأحرف السبعة، وقد ذهب إلى ذلك الطبري وبينه أحسن بيان، انظر: تفسيره (١/ ٤٧، ٦٨-٧٢).

وذكر القاضي أيضاً[1]: «أنَّ أبيّاً رضي الله عنه روى عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَا أبيُّ إنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ أوْ حَرْفَيْنِ، ثُمَّ زَادَنِي الملَكُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أحْرُفٍ لَيْسَ مِنْهَا إلَّا شَافٍ كَافٍ، إنْ قُلْتَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أوْ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وكَذلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ عَذاباً بِرَحْمَةٍ، أوْ رَحْمَةً بعَذَابٍ»[2].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وقد أسند ثابتُ بْنُ قاسم[3] نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ[4]، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه[5].

---

(١) انظر: الانتصار للقاضي الباقلاني (١/ ٣٦٩).

(٢) محفوظ في الجملة عن أُبي: فإن له طرقاً عن أبي أقربها لفظاً ما أخرجه أحمد (٥/ ١٢٤) وأبو داود ح (١٤٧٧) وغيرهما من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد الخزاعي عن أبي بن كعب نحوه، قال الضياء في المختارة (٣/ ٣٧٨ - ٣٧٩): «إسناده صحيح»، ولهذا الإسناد متابعات وشواهد، وهو في صحيح مسلم ح (٨٢٠) من طريق آخر عن أبي، قال ابن كثير في التفسير (١/ ٤٠): «فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب».

(٣) هو ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي ت (٣٥٢) سمع من أبيه، ومن جده حدث بكتاب أبيه المسمى بالدلائل، انظر: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي (١/ ١٦٢)، وجذوة المقتبس (١/ ٦٧).

(٤) لا يصح مرفوعاً إلا بذكر السبعة أحرف، فقد أخرجه أحمد (١٤/ ١٢٠)، وغيره من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف حكيماً عليماً غفوراً رحيماً»، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٣٩) وغيره من طريق أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف المراء في القرآن كفر»، قال ابن حبان (٣/ ١٨): «قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر والخبر إلى سبعة أحرف فقط»، ومحمد بن عمرو له أوهام معروفة بهذا الإسناد، وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٥-٤٦) والطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٢١٦) وغيرهما من طريق محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقرءوا ولا حرج غير أن لا تجمعوا بين ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة». وابن عجلان فيه لين، لاسيما في هذا الإسناد.

(٥) الرواية عن ابن مسعود في نزول القرآن على سبعة أحرف ثابتة، وورد عنه تفسير ذلك، إلا أن التفسير بالمعنى الذي أحال المصنف إسناده لثابت بن قاسم ـ وهو المعنى المروي عن أبي وأبي هريرة ـ لم أجده مسنداً من كلام ابن مسعود، والله تعالى أعلم.

قال القاضي ابن الطيب: وهذه أيضاً سبعةٌ غيرُ السبعة التي هي وجوه وطرائق، وغير السبعة التي هي قراءات ووسّع فيها، وإنما هي سبعةُ أوجه من أسماء الله تعالى.

وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله[١] في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه[٢].

قال القاضي أبو بكر: «وزعم قومٌ أنَّ كلَّ كلمةٍ تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجهٍ، وإلا بطل معنى الحديث، قالوا: ونعرف بعضَ الوجوه بمجيء الخبر به، ولا نعرف بعضها إذا لم يأت به خبرٌ».

قال: «وقال قوم: ظاهر الحديث يوجب أن يوجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرءان على سبعةِ أوجهٍ، فإذا حصل ذلك تمَّ معنى الحديث»[٣].

قال القاضي أبو بكر بن الطيب[٤]: وقد زعم قوم أن معنى الحديث أنه أنزل على سبع لغات مختلفات، وهذا باطلٌ[٥]، إلا أن يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة، والدليل على ذلك أنَّ لغة عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وهشام ابن حكيم[٦]، وابن مسعود، واحدةٌ وقراءتهم مختلفةٌ، وخرجوا فيها إلى المناكرة[٧]، فأمَّا الأحرف السبعة التي صوَّب رسول الله ﷺ القراءة بجميعها ـ وهي التي راجع فيها

(١) في المطبوع: «أسماء الله».

(٢) هذا القول نقله ابن عطية بالمعنى وليس هو نصّ كلامه، انظر: الانتصار (١/ ٣٦٩-٣٧٠، ٣٧١-٣٧٢).

(٣) الانتصار (١/ ٣٧٨).

(٤) ما نقله ابن عطية هنا ليس منقولًا من موضع واحد، وإنما جمعه من مواضع ولخصه، لذا سأحيل كل قول إلى موضعه دون أقواس.

(٥) وقد رده أيضاً الطحاوي ودلل على رده كما في مشكل الآثار (٨/ ١١٥).

(٦) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد، الأسدي القرشي، هو وأبوه صحابيان، استشهد بأجنادين. الإصابة (٦/ ٤٢٢).

(٧) انظر: الانتصار (١/ ٣٧٩).

فزاده وسهل عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات ـ، فإنها سبعةُ أوجهٍ، وسبع قراءات مختلفات[١]، وطرائق يقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن ومعظمه، حسبَما تقتضيه العبارة في قوله: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ» فإنما يريد به الجميع أو المعظم، فجائزٌ أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها، ويدلُّ على ذلك قول الناس: حرفُ أبيّ، وحرف ابنِ مسعود[٢]. ونقول في الجملة: إن القرآن منَـزَّلٌ على سبعة أحرف من اللغات، والإعراب، وتغيير الأسماء والصور، وإن ذلك يفترق[٣] في كتاب الله، ليس بموجود في حرف واحد، وسورة واحدة، يقطع على اجتماع ذلك فيها[٤].

قال القاضي أبو محمد: انتهى ما جمعت من كلام القاضي أبي بكر رضي الله عنه، وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه فيه نظرٌ، لأنَّ المذهبَ الصحيحَ الَّذي قرَّره آخِراً من قوله: ونقول في الجملة، إنما صحَّ وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآنُ بلسانهم، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضُهُم ما عند بعض في الأكثر، وإنما هو أنَّ قريشاً استعملت في عبارتها[٥] شيئاً، واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئاً غيره، وسعد[٦] بن بكر غيره، والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم.

[٧] واستدلال القاضي رضي الله عنه بأنَّ لغةَ عمر وَأُبيٍّ وهشام وابن مسعود / واحدةٌ فيه نظرٌ؛ لأنَّ ما استعملته قريشٌ [في عبارتها][٧] ومنهم عمر وهشام، وما استعملته الأنصار ومنهم أبيّ، وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود، قد يختلف،

---

(١) انظر: الانتصار (١/ ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٧٨).

(٣) في الأزهرية والحمزوية والمطبوع: «مفترق»، ويرجحه أنه أقرب إلى ما في الانتصار ففيه (١/ ٣٨٤): «متفرق» بتقديم التاء.

(٤) انظر: الانتصار (١/ ٣٨٤).

(٥) في المطبوع: «عباراتها».

(٦) في جار الله: «واستعملت سعد».

(٧) ليس في المطبوع.

ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله سبحانه، فليست لغتهم واحدة [في كل شيء، وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن][١] نفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة، لما كان اختلافهم حجة على من قال: إن القرآن أنزل على سبع لغات؛ لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكِر سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ، وعساه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته.

فكأن القاضي ـ رحمه الله ـ إنما أبطل أن يكون النبي ﷺ قصد في قوله: «عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» عدَّ اللغات التي تختلف بجملتها، وأن تكون سبعاً متباينة لسبع قبائل، تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ولا تدخل عليها لغة غيرها، بل قصد النبي عليه السلام عنده عدَّ الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة، ومرة من جهة إعراب، وغير ذلك، ولا مريةَ أن هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لاختلاف في العبارات بين الجملة التي نزل القرآن بلسانها، وذلك يقال فيه اختلاف لغات.

وصحيح أن يقصد عليه السلام عدَّ الأنحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات.

وصحيح أن يقصد عدَّ الجماهير والرءوس من الجملة التي نزل القرآن بلسانها، وهي قبائل مضر فجعلها سبعةً، وهذا القول أكثر توسعة للنبي عليه السلام؛ لأنَّ الأنحاء تبقى غير محصورة، فعسى أن الملك قد أقرأه بأكثر من سبع[٢] طرائق ووجوه.

قال القاضي رضي الله عنه في كلامه المتقدم: «فجائزٌ أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها».

قال القاضي أبو محمد: والشَّرط الذي يصح به هذا القول هو أن تروى عن النبي عليه السلام.

---

(١) في أحمد٣ بدلا منه: «بل».

(٢) في المطبوع: «سبعة».

ومال كثيرٌ من أهل العلم كأبي عبيد[١]، وغيره[٢]، إلى أن معنى الحديث المذكور أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل انبثَّ فيه من كل لغة منها، وهذا القول هو المتقرِّر من كلام القاضي رضي الله عنه، وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب رَوْماً منهم أن يعيِّنوا السبع التي يحسن أن تكون مراده عليه السلام، نظروا في ذلك بحسب القطر ومن جاور منشأ النبي عليه السلام، واختلفوا في التسمية وأكثروا، وأنا ألخص الغرض[٣] جهدي بحول الله: فأصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر، لأنَّ النبيَّ عليه السلام قرشي، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وعقت تمائمه[٤] وهو يخالط في اللسان كنانةَ، وهذيلاً، وثقيفاً، وخزاعةَ، وأسداً، وضبةَ وألفافها؛ لقربهم من مكة، وتكرارهم عليها، ثم بعد هذه تميماً وقيساً ومنِ انضاف إليهم وسط جزيرة العرب، فلما بعثه الله تعالى إليهم ويسر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة، وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف، وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم.

قال ثابت بن قاسم: لو قلنا: من هذه الأحرف لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة وألفافها، ومنها لقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبعة تستوعي[٥] اللغات التي نزل بها القرآن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو ما ذكرناه، وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة، وسلمت لغاتها من الدَّخَل ويسرها الله لذلك؛ ليظهر آية نبيه بعجزها عن

---

(١) انظر: غريب الحديث (٣/ ١٥٩) وفضائل القرآن (ص: ٣٣٩)، وهو القاسم بن سلام البغداديّ الفقيه الأديب، صاحب المصنَّفات الكثيرة في القراءات والفقه واللُّغات والشِّعر، قال أبو داود: ثقة مأمون، توفي سنة (٢٢٤هـ). تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٢١).

(٢) كالطبري في تفسيره (١/ ٤٦-٤٧)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٧٠) وغيرهما.

(٣) سقطت من جار الله.

(٤) أي: قطعت، وإنما تعلق التميمة في الصبي ما دام صغيراً فإذا كبر قطعت عنه، والمعنى أنه نشأ فيهم حتى شب وقوي.

(٥) أي: تجمع اللغات وتستوعبها، انظر مادة: (وعى) في لسان العرب وغيره، وفي المطبوع: «تستوفي».

معارضة ما أنزل عليه، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الأمم، فأمَّا اليمن وهو جنوبي الجزيرة فأفسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود، على أنَّ أبا عبيد القاسم بن سلَّام، وأبا العباس المبرد[١] قد ذكرا أنَّ عربَ اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها[٢].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن[٣] كالعَرِم والفتَّاح، فأمَّا ما انفردوا به كالزَّخِيخ[٤]، والقِلّوب[٥]، ونحوه، فليس في كتاب الله منه شيء.

وأمَّا ما والى العراق من جزيرة العرب، وهي بلاد ربيعة، وشرقيِّ الجزيرة، فأفسدت لغتها مخالطة الفرس، والنَّبَط، ونصارى الحيرة[٦]، وغير ذلك.

وأما الذي يلي الشام وهو شمالي الجزيرة وهي بلاد آل جَفْنَة، وابن الرافلة[٧]، وغيرهم، فأفسدها[٨] مخالطة الروم/ ، وكثيرٍ من بني إسرائيل. [٨/١]

---

(١) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي البصري،، إمام العربية ببغداد، أخذ عن المازني، وغيره، وعنه: إبراهيم الصفار، ونفطويه، كان ثقة إخبارياً علامة، تصانيفه مشهورة كثيرة منها: الكامل، والمقتضب، توفي سنة: (٢٨٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢١/ ٢٩٩).

(٢) انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس (ص: ٣٢)، وفي أحمد٣ والسليمانية: «ولغاتها».

(٣) في جار الله: «العرب».

(٤) الزخيخ: النار بلغة أهل اليمن، أو بريق الجمر، انظر مادة: (زخخ) في المحكم (٤/ ٥٠٢)، وجمهرة اللغة (١/ ١٠٥).

(٥) القلوب: قال في القاموس المحيط مادة (قلب): «والقليب كسِكِّيتٍ، وتَنُّورٍ، وسِنَّوْرٍ، وقَبُولٍ، وكِتابٍ: الذئب»، وهي لغة يمانية. انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص: ٢٠٦)، وغيره.

(٦) في جار الله: «الجزيرة».

(٧) هو مالك بن رافلة، رجل من بَلي، كان قائد القبائل العربية المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلي، التي قاتلت المسلمين يوم مؤتة مع الروم، وهو الذي قتل زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقتله قائد ميسرة المسلمين قطبة بن قتادة رضي الله عنه. تاريخ الطبري (٣/ ٣٧).

(٨) في المطبوع وجار الله: «فأفسدتها».

وأمَّا غربي الجزيرة فهي جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم، وأكثرها غير معمور.

فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم[١].

ويقوي هذا المنزع أنه لما اتّسع نطاق الإسلام وداخلت الأمم العرب وتجرد أهل المصرين: البصرة، والكوفة، لحفظ لسان العرب، وكتب لغتها، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة، ومن كان معها، وتجنبوا اليمن والعراق والشام، فلم يكتب عنهم حرف واحد.

كذلك تجنبوا حواضر الحجاز: مكة، والمدينة، والطائف؛ لأنَّ السبي والتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة. وكانت هذه الحواضر في مدة النبي ﷺ سليمة لقلة المخالطة.

فمعنى قوله ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» أي: فيه عبارات سبع قبائل، بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش مرة[٢]، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك، بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة، ألا ترى أن (فَطَرَ) معناها عند غير قريش: ابتدأ [خلق الشيء][٣] وعَمَلَه، فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئرٍ، فقال أحدُهُما: أنا فطرتُها، قال ابنُ عبَّاسٍ: «ففهمتُ حينئذٍ موقعَ قولِهِ تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]»[٤].

---

(١) في المطبوع: «أمة العجم»، وفي السليمانية: «لغة من العجم».

(٢) زيادة من أحمد٣.

(٣) في جار الله: «خلق السماوات والأرض» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٤) لا بأس به يُحتمل: ذكره ابن عطية هنا بالمعنى، وذكره في مواضع أخر بلفظه، وقد أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٤/ ٣٧٣) وفضائل القرآن (ص: ٣٤٥) والطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٣)، والدولابي في الكنى (٢/ ٢٥١) وغيرهم من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس نحوه، وإبراهيم بن مهاجر مختلف فيه، انظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٦٧)، فمثله يحسن =

وقال أيضاً: «ما كنتُ أدري معنى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعتُ بنتَ ذي يزن[١] تقول لزوجها: تعال أفاتحْك؛ أي: أحاكِمْك»[٢].

وكذلك قال عمر بن الخطاب، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[النحل: ٤٧] «فوقف به فتىً فقال: إنَّ أبي يتخوفني حقي، فقال عمر: الله أكبر، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي: على تنقص لهم»[٣].

وكذلك اتفق لقُطْبَةَ بن مالك[٤]؛ إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[ق: ١٠]، ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر[٥]، إلى غير هذا من الأمثلة.

فأباح الله تعالى لنبيه هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريلُ في عرضاته

= منه مثل هذا الأثر، لا سيما وقد أخرجه البيهقي عن ابن عباس من طريق آخر ضعيف في الأسماء والصفات (١/ ٧٨)، كما أن كثيراً من أهل العلم احتج به في معنى (فاطر).

(١) ذي يزن بالياء المثناة التحتية، وبالزاي، وفي الأصل والأزهرية والتركية وأحمد٣: «بنت ذي جدن» بالجيم والدال، والتصويب من نسخة شستربتي والسليمانية ونور العثمانية وجار الله، وهي كذلك في مصادر التخريج، وتفسير القرطبي (١/ ٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ١١٥)، والمرأة لم أجد من سماها، وقد ذكر في الصحابة رجلٌ من أهل اليمن يقال له: ذو يزن، واسمه مالك بن مرارة، فلعلها ابنته.انظر: الإصابة في معرفة الصحابة (٢/ ٣٥٠)، وقد ذكر أهل الأنساب أن يزن بطن من حمير، فالله أعلم، انظر: الأنساب للسمعاني (١٣/ ٤٩٧).

(٢) منقطع: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٢٩، ١٠/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧٩٠)، والطبري في تفسيره (١٢/ ٥٦٤، ٥٦٥) وغيرهم من طريق مسعر، عن قتادة، عن ابن عباس نحوه، وقتادة لم يسمع من غير أنس من الصحابة، انظر: جامع التحصيل (ص: ٢٥٤-٢٥٥).

(٣) لم أجده: وقد أخرج الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٤) عند تفسير هذه الآية أثراً آخر عن عمر بن الخطاب بإسناد فيه مبهم.

(٤) قطبة بن مالك الثعلبي، له صحبة، روى عن رسول الله ﷺ، وعن زيد بن أرقم، وروى عنه ثلاثة فقط، وهم: ابن أخيه زياد، والحجاج بن أيوب مولى أبي ثعلبة، وعبد الملك بن عمير، وهو ممن أخرج لهم مسلم في الصحابة. الإصابة (٥/ ٣٤٠).

(٥) أخرجه مسلم ح (٤٥٧) وغيره.

على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودةُ الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[١] بأن يكون كلُّ واحدٍ من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه.

ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرَّضاً أن يبدِّل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأبيٍّ بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً.

وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ قال: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ ويَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[٢].

وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في قراءة كلٍّ منهما وقد اختلفتا: «هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْريلُ»، هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة.

وعلى هذا[٣] يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً)، فقيل له: إنما تُقرأ[٤]: ﴿وَأَقْوَمُ﴾، فقال أنس: «أصوب وأقوم وأهيأ واحد»[٥]، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٤٩٩١، ٣٢١٩) ومسلم ح (٨١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) في أحمد٣: «أن».

(٤) في المطبوع: «نقرأ»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «يقرأ».

(٥) منقطع: فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٦٨٥)، وأبو يعلى (٧/ ٨٨) وغيرهما، من طريق الأعمش عن أنس، والأعمش لم يسمع من أنس، انظر: جامع التحصيل (ص: ١٨٨).

ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله ﷺ، وافترق الصحابة في البلدان، وجاء الخلف، وقرأ القرآن كثير من غير[١] العرب، وقع بين أهل الشام والعراق ما ذكر[٢] حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٣]، وذلك أنهم لما اجتمعوا في غزوة إرْمِينية، فقرأت كل طائفة بما روي لها، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض: أنا كافر بما تقرأ به؛ فأشفق حذيفة مما رأى منهم.

فلما قدم حذيفة المدينة ـ فيما ذكر البخاري وغيره ـ دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته، فقال: «أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك»، قال: في ما ذا؟ قال: «في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق، ومن الشام، ومن الحجاز»، فوصف له ما تقدم وقال: «إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى»، قال عثمان رضي الله عنه: «أفعلُ»[٤].

فتجرد للأمر، واستناب الكفاةَ[٥] العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله ﷺ وأفصح اللغات، وقال لهم: «إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش»[٦].

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) في المطبوع: «ذكره».

(٣) حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، ومشاهيرهم، روى عن رسول الله ﷺ الكثير، وكان صاحب سره، وعن عمر، وروى عنه: جابر، وجندب، وآخرون، استعمله عمر على المدائن، ولم يزل بها حتى مات سنة: (٣٦هـ). الإصابة (٢/ ٣٩).

(٤) أخرجه بمعناه البخاري ح (٤٩٨٧) والترمذي ح (٣١٠٤) وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) الكُفاة جمع كافٍ، وهو جمع مطرد في كل اسم فاعل معتل اللام، كرامٍ ورماة، وغازٍ وغزاة، وقاضٍ وقضاة، والكافي هو الذي إذا قام بالأمر كفى فيه بحيث لا يكون بعده مستزاد، انظر مادة (كفى): في مقاييس اللغة وتهذيب اللغة، وغيرهما من كتب اللغة، والمعنى أن هؤلاء العلماء هم الكافون لغيرهم تكلُّفَ عناء هذا الأمر.

(٦) أخرجه بمعناه البخاري ح (٣٥٠٦، ٤٩٨٤، ٤٩٨٧)، وفيه: «بلسان قريش».

فمعنى هذا: إذا اختلفتم فيما روي، وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلافٍ من قِبَلِهم، لأنه وضْعُ قرآن، فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع، / مرة من هذه، ومرة [٩/١] من هذه، وذلك مقيدٌ بأنَّ الجميعَ مما روي عن النبي ـ ﷺ ـ وقرئ عليه، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير، وترك ما خرج عنه مما كان كتب [كقراءة عمر بن الخطاب: (فامضوا إلى ذكر الله)، ونحوها](١)، سدّاً للذريعة وتغليباً لمصلحة الألفة، وهي المصاحف التي أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تحرق أو تخرق.

فأمَّا ابن مسعود فأبى أن يُزال مصحفه فتُرك، ولكن أبى العلماء قراءته سدّاً للذريعة، ولأنه روي أنه كتب فيه [أشياء](٢) على جهة التفسير، فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه، ولم يُسْقط فيما تُرك معنًى من معاني القرآن؛ لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظٌ معانيها موجودةٌ في الذي أثبت.

ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف المتخير(٣)، فقرءوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم، رحمهم الله، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يصلى؛ لأنها ثبتت بالإجماع.

وأمَّا شاذُّ القراءات فلا يصلى به، وذلك لأنه لم يُجمِعِ الناس عليه(٤)، أمَا إن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه.

---

(١) سقط من نسخة الأصل ونسخة شستربتي والمطبوع والسليمانية، والمثبت من الأزهرية والتركية والحمزوية وأحمد٣ وجار الله، وسيأتي الكلام على هذه القراءة عند تفسير سورة الجمعة.

(٢) في الأصل (أسماء)، وهو تصحيف، والله أعلم، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٣) سقطت من السليمانية.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٩٢-٢٩٣).

وأمّا ما يُؤثر عن أبي السَّمَّال[١] ومن قاربه فلا يوثق به، وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يُجهل، والله المستعان.

وكان المصحف غير مشكول ولا منقوط، وقد وقع لبعض الناس خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب، ومنازعات اختصرت ذلك كراهة التطويل، وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح[٢]، والله المرشد للصواب برحمته.

* * *

(١) بالسين المهملة والميم المشددة وآخره لام، مشهور بكنيته، واسمه قعنب بن أبي قعنب هلال العدوي، من القراء والنحاة بالبصرة، وله اختيار شاذٌّ في القراءة، لا يعتمد على نقله ولا يوثق به، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٤)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٧).

(٢) سقطت من أحمد٣ والسليمانية وجار الله.

باب ذكر جمع القرآن
وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن في مدة رسول الله ـ ﷺ ـ متـفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف[١]، وفي جريد[٢]، وفي لخاف[٣] وظرر[٤]، وفي خزف[٥] وغير ذلك[٦]، فلما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن[٧]، مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبيٍّ وزيد وابن مسعود فيذهب، فندبا إلى ذلك زيدَ بنَ ثابت، فجمعه غيرَ مرتب السور بعد تعب شديد منه، رضي الله عنه.

---

(١) جمع صحيفة، وهي قطعة من أدم أو رق يكتب فيها، انظر مادة: (صحف) في كتب اللغة كجمهرة اللغة ولسان العرب وغيرهما.

(٢) الجريد جمع جريدة، وهي السَّعْفة من النخل يكتب عليها قديماً، انظر مادة: (جرد) في كتب غريب الحديث واللغة.

(٣) بكسر اللام والخاء المعجمة، آخرها فاء، جمع، واحدتها: لخفة، وهي حجارة بيض رقاق كان يكتب عليها، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٥٦)، وغيره من كتب غريب الحديث والمعاجم مادة (لخف).

(٤) الظُّرَرُ كصرد هو الحجر أو المدور منه، انظر مادة: (ظرر) في كتب اللغة كالمحكم والمحيط الأعظم والصحاح وتهذيب اللغة وغيرها.

(٥) قال في القاموس مادة: (خزف): «الخزف محركة: الجر، وكل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً».

(٦) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص: ٤٤٠): «إنَّ الصحف في عصر رسول الله ﷺ أعلى ما كتب به القرآن لأنهم كانوا يكتبونه في الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا».

(٧) أخرجه البخاري ح (٤٦٧٩) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وروي أن في هذا الجمع سَقَطَتْهُ[١] الآية من آخر براءة، حتى وجدها عند خزيمة ابن ثابت[٢]، وحكى الطبري أنه إنما سقطت له في الجمع الأخير[٣]، والأول أصحُّ، وهو الذي حكى البخاري، إلا أنه قال فيه: مع أبي خزيمة الأنصاري[٤].

وقال: «إنَّ في الجمع الثاني فقد زيد آية من سورة الأحزاب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فوجدها مع خزيمة بن ثابت»[٥].

وبقيت الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بن الخطاب بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبيٍّ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.

فلما قدم حذيفة من غزوة إرمينية حسبما قد ذكرناه انتدب عثمان لجمع المصحف، وأمر زيد بن ثابت بجمعه، وقرن بزيد فيما ذكر البخاري ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص[٦]،

---

(١) في جار الله وفيض الله ونور العثمانية، وأحمد٣: «سقطت»، والمثبت من النسخ الأخرى، ويبدو أنَّ ابن عطية قاله توسعاً في اللغة على سبيل التضمين ونحوه، والتضمين باب قياسي عند كثير من النحاة، والمعنى: أن الآية فاتته في ذلك الجمع، أي: سقطت منه، أو نحو ذلك.

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي، من السابقين الأولين، وهو الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، قاتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين، واستشهد بها. الإصابة (٢/ ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٦١).

(٤) انظر: صحيح البخاري ح (٤٩٨٦، ٤٩٨٩، ٧٤٢٥)، وقد أخرج البخاري الحديث أيضاً في مواضع أخرى فيها تسميته خزيمة بن ثابت، كما سيرد لاحقاً، وفي ح (٧١٩١) بالشك: «مع خزيمة أو أبي خزيمة».

(٥) انظر: صحيح البخاري ح (٢٨٠٧، ٤٠٤٩، ٤٧٨٤، ٤٩٨٨).

(٦) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، صحابي جليل، أدرك من حياة النبي ﷺ تسع سنين، روى عن عثمان بن عفان وعائشة، اختاره عثمان في الذين جمعوا القرآن، واستعمله على الكوفة، وتوفي بها سنة (٨٧هـ). الإصابة (٣/ ٢٣٥).

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١]، وعبد الله بن الزبير[٢]، وكذلك ذكر الترمذي وغيرهما[٣].

وقال الطبريُّ فيما روى: إنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص[٤] وحده[٥]، وهذا ضعيف، وقال الطبري أيضاً: «إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير»[٦].

وروي أن عثمان رضي الله عنه قال لهم: «إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش»، فاختلفوا في التابوه والتابوت، قرأه زيد بن ثابت بالهاء، وقرأه القرشيون بالتاء، فأثبته بالتاء[٧].

---

(١) أبو محمد، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان صغيرا عند وفاة النبيّ ﷺ، روى عن أبيه، وعن عمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه أولاده: أبو بكر، وعكرمة، والمغيرة، وغيرهم، توفي سنة (٤٣هـ). الإصابة (٥/ ٢٣).

(٢) عبد الله بن الزّبير بن العوام القرشي الأسديّ، أحد العبادلة، حفظ عن النبيّ ﷺ وهو صغير، وحدّث عنه، وعن أبيه، وجده أبي بكر، وغيرهم، بويع بالخلافة عقب موت يزيد بن معاوية، وقتل رضي الله عنه في قتال الحجاج بن يوسف بمكة سنة (٧٣هـ). الإصابة (٤/ ٧٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٧٠٢)، وسنن الترمذي (٣١٠٤).

(٤) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، له صحبة، أسلم يوم الحديبية، والراجح أنه قتل رضي الله عنه يوم أجنادين سنة (١٣هـ)، وقد ضعف ابن حجر القول بأن عثمان رضي الله عنه أمره بجمع المصحف، وقال: المعروف أن المأمور بذلك ابن أخيه سعيد بن العاص. الإصابة (١/ ١٦٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦١) وهو حديث معروف، إلا أن الراوي عند الطبري وهو عمارة ابن خزيمة قد خولف في مواضع من روايته، فبين ذلك الدارقطني في علله (١/ ١٨٧)، والخطيب في المدرج (١/ ٣٩٩).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٦١).

(٧) مرسل، فقد أخرجه الترمذي ح (٣١٠٤) وغيره بإسناد صحيح إلى الزهري مرسلًا، والزهري يروي حديث جمع القرآن، فإذا وصل إلى الاختلاف في التابوت والتابوه أرسله ولم يسنده عن أحد، فجاء بعض الرواة وأدرجه في روايته لحديث الجمع، فبين ذلك الأئمة، انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي (١/ ٤٠٤).

وكُتب المصحفُ على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ عثمان منه نسخاً ووجه بها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق[١]، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالخاء على معنى: ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: «وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك»[٢]، وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براءة، وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول سورة براءة تُركت بلا بسملة[٣]، هذا أحد[٤] ما قيل في براءة / ، وذلك مستقصى في موضعه موفى إن شاء الله تعالى. [١/ ١٠]

وظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب ﷺ وقت الكَتْب.

وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان[٥] أمر به وعمله، فتجرد لذلك الحجاج[٦] بواسط وجدَّ فيه وزاد تحزيبه، وأمر ـ وهو والي العراق ـ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) نقل ابن عطية كلام الباقلاني ملخصاً بالمعنى، انظر: الانتصار (١/ ٣٧٩) وما بعدها.

(٣) الهداية لمكي (٤/ ٢٩٠٦)، ونقل السيوطي الإجماع على ذلك عن غير واحد من أهل العلم، انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١١).

(٤) في فيض الله: «آخر».

(٥) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد سنة (٢٦هـ)، وبويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وغيرهم، روى عنه: عروة، وخالد بن معدان، وآخرون، توفي سنة (٨٦هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ١٣٥).

(٦) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أمير العراق، أبو محمد، روى عن: ابن عباس، وسمرة بن جندب، وعنه: ثابت البناني، وقتيبة بن مسلم، وكان فصيحاً خطيباً، قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون، توفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣١٤).

الحسن ويحيى بن يعمر[(١)] بذلك، وأُلِّفَ إثر ذلك بواسط كتاب في القراءات، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألَّف ابن مجاهد[(٢)] كتابه في القراءات.

وأسند الزبيدي[(٣)] في كتاب «الطبقات» إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الأسود[(٤)] الدؤلي[(٥)]، وذكر أيضاً أن ابن سيرين[(٦)] كان له مصحف نقطه له يحيى بن يَعْمَر[(٧)]، [وذكر أبو الفرج[(٨)] أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف[(٩)].

---

(١) يحيى بن يعمر العدواني البصري أبو سليمان ويقال: قاضي مرو أيام قتيبة بن مسلم، روى عن: أبي ذر، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعنه: قتادة، وطائفة، قيل: إنه أول من نقط المصحف، وكان أحد الفصحاء، توفي سنة (٨٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٥٠٢).

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغدادي، شيخ القراء في عصره، مؤلف كتاب: «السبعة»، سمع: الرمادي، وسعدان بن نصر، وآخرين، وقرأ عليه خلق كثير، قال الذهبي: «كان ثقة مأموناً». توفي سنة (٣٢٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٢٤/ ١٤٤).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الإشبيلي النحوي، كان واحد عصره في علم النحو، وحفظ اللغة، صنف طبقات النحويين وغيره، وتوفي سنة (٣٧٧ أو ٣٧٩) هـ، انظر: بغية الوعاة (١/ ٨٤).

(٤) أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، اسمه ظالم بن عمرو على الأشهر، أول من وضع علم النحو، روى عن: عمر، وعلي، وأبي، وغيرهم، وعنه: ابنه أبو حرب، ويحيى بن يعمر، وعبد الله بن بريدة، وآخررون، توفي سنة (٦٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٦٦).

(٥) انظر: المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٦٠).

(٦) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري البصري، مولى أنس بن مالك، من أجلة التابعين، سمع: أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وغيرهم، وعنه: قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وجماعة، توفي رحمه الله سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٣٩).

(٧) انظر : المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٦٠).

(٨) علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأموي، أبو الفرج الأصبهاني، الكاتب، مصنف كتاب الأغاني، وغيره توفي سنة (٣٥٦هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ١٤٣).

(٩) انظر: الأغاني (١٢/ ٣٤٧).

وذكر الجاحظ(١) في كتاب «الأمصار» أن نصر بن عاصم (٢) أول من نقط المصاحف، وكان يقال له: نصر الحروف](٣).

وأمَّا وضع الأعشار(٤) فيه فمرَّ بي في بعض التواريخ أنَّ المأمون العباسي(٥) أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك(٦)، وذكر أبو عمرو الداني عن قتادة أنه قال: بدءوا فنقطوا ثم خمَّسوا ثم عشَّروا(٧)، وهذا كالإنكار.



---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، البصري المعتزلي، صاحب التصانيف المشهورة، أخذ عن: أبي إسحاق النظام، وغيره، وحدث عن أبي يوسف القاضي، وعنه: أبو العيناء، ويموت ابن المزرع، وغيرهما، توفي سنة (٢٥٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٨/ ٣٧٢).

(٢) نصر بن عاصم الليثي البصري، يقال: إنه أول من وضع العربية، قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، وحدث عن: مالك بن الحويرث، وأبي بكرة الثقفي، وثقه النسائي، وقال أبو داود: كان من الخوارج. توفي قبل سنة (١٠٠هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٢١٠).

(٣) انظر: نقط المصاحف للداني (ص: ٦-٧)، وما بين المعكوفتين ساقط من جار الله.

(٤) الأعشار والعشور علامة توضع في آخر كل عشر آيات، انظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٦٧)، وانظر: العين للخليل (١/ ٢٤٨)، والبيان في عد آي القرآن للداني (ص: ١٢٩)، ونقط المصاحف له (ص: ١٤).

(٥) هو الخليفة العباسي عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد، انظر أخباره في تاريخ الخلفاء (ص: ٢٢٥).

(٦) نقله القرطبي عن ابن عطية في أحكام القرآن (١/ ٦٣)، ونقل مثله دون نسبته لابن عطية الزركشي في البرهان (١/ ٢٥١).

(٧) انظر: كتاب التبيان في عدِّ آي القرآن للداني (ص: ١٣٠)، ونقط المصاحف له (ص: ٢، ١٥).

باب في ذكر الألفاظ
التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق

اختلف الناس في هذه المسألة:

فقال أبو عبيدة[(١)] وغيره: «إن في كتاب الله تعالى من كل لغة»[(٢)].

وذهب الطبريُّ وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صحيحة[(٣)] صريحة، وأنَّ الأمثلةَ والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، روى عن: هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، وعنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن المديني، وآخرون، من تصانيفه: «مجاز القرآن» و«غريب الحديث»، توفي سنة (٢١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٣٩٧).

(٢) هكذا جرى في جميع النسخ، نسبة هذا القول إلى أبي عبيدة، والمعروف عن أبي عبيدة معمر بن المثنى إنكاره لوجود لغة غير العربية في القرآن، نقل ذلك عنه غير واحد كالزركشي في البرهان (١/ ٢٨٧)، والسيوطي في الإتقان (١/ ٣٩٣)، وهو الذي ذكره في كتابه مجاز القرآن (١/ ١٧) حيث قال: «نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول... وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها»، وظني أنه تصحيف وقع في نسخ كتاب ابن عطية قديماً، وأن الصواب كونه قول التابعي الجليل أبي ميسرة الذي نقل قوله الطبري في تفسيره (١/ ١٤) بسند صحيح، ومعلوم تقارب اللفظين في المخطوطات لا سيما في العصر القديم، فالميم قريبة من العين والراء قريبة من الدال، وما بينهما متقاربان أيضاً، وإنما قلت بأن التصحيف قد وقع قديماً لتتابع النسخ عليه، ولنقل الثعالبي له كذلك كما في تفسيره (١/ ١٤٩)، وأمَّا قول ابن عطية: «وغيره» فالمقصود به فيما يظهر سعيد بن جبير، فقد نقل ذلك عنه الطبري في المصدر المشار إليه، والله تعالى أعلم.

(٣) من جار الله.

اللغتان فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد[١].

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٦]، قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة قام من الليل[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال أبو موسى الأشعري[٣]: «كفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة»[٤].

وكذلك قال ابن عباس في القسورة: إنها الأسد بلغة الحبشة[٥]، إلى غير هذا من الأمثلة.

قال القاضي أبو محمد: والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن بلسان

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١١- ١٢، ١٤-٢٠).

(٢) صحيح: فقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في باب قيام النبي ﷺ بالليل قبل ح (١١٤١)، قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ٢٣): «وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد ابن جبير عنه، قال: إن ناشئة الليل هو كلام الحبشة، نشأ: قام»، والأثر أخرجه الطبري (١/ ١٣، ٢٣/ ٦٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠) من طريقين عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جُبير عن ابن عباس بنحوه، وعزا السيوطي في الدر (١٥/ ٤٥) روايته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر وابن المنذر والبيهقي.

(٣) عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، روى عنه وعن الخلفاء الأربعة، ومعاذ، وغيرهم، وروى عنه أولاده: موسى، وإبراهيم، وأبو بردة، وأبو بكر، وغيرهم، توفي رضي الله عنه سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك. الإصابة (٤/ ١٨١).

(٤) صحيح: فقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في باب قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء: ٨٥] قبل ح (٦٠٢٨)، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٧١)، والطبري في تفسيره (١/ ١٣، ٢٣/ ٢١٠) وابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٩٢) من طرق عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبي موسى نحوه، وهذا إسناد صحيح.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٤، ٢٤/ ٤٢) والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٧٩) وغيرهما، من طريق علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس نحوه، قال ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٣٥٢): «وفي إسناده علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف الحديث»، وفي تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠) وغيره بسند صحيح إنكار عكرمة كونه الأسد بلسان الحبشة وقال: «اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة».

عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر.

فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو[١] إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاصي[٢] وعمارة بن الوليد[٣] إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى[٤] إلى الحيرة، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فَعَلِقَتِ العربُ بهذا كله ألفاظاً أعجمية، غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر إلى غير ذلك.

فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه، وما ذهب إليه الطبريُّ من أن اللغتين اتفقتا في لفظةٍ لفظةٍ فذلك بعيد، بل إحداهما أصل والأخرى فرعٌ في الأكثر، لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذّاً.

---

(١) مسافر بن أبي عمرو ابن أمية بن عبد شمس، أحد فتيان قريش وشعرائها، وهو أحد الثلاثة الذين كنوا بـ«أزواد الركب» لأنهم كانوا إذا سافروا في ركب تولوا الزاد عن أهله، مات بالشام سنة (١٠) قبل الهجرة، ورثاه أبو طالب. أنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٣٣٩).

(٢) صحابي مشهور أسلم في السنة السادسة من الهجرة، ومثله لا يترجم له.

(٣) هو عمارة بن الوليد بن المغيرة، أخو خالد، خرج إلى أرض الحبشة مع عمرو بن العاص بعد مبعث النبي ﷺ، فأمر النجاشي بسحره لما تعرض لامرأته، فصار يفر من الآدمي ويعيش مع البهائم، حتى مات كافراً، انظر: سيرة ابن إسحاق (ص: ١٦٧).

(٤) هو أبو بصير ميمون بن قيس، شاعر جاهلي وكان نصرانيّاً، وكانت العرب تسميه صناجة العرب، وأدرك أيام الرسول ﷺ، ومدحه، وهمَّ بالإسلام لكنه مات قبل أن يسلم، وقصصه وأشعاره مشهورة. انظر: الأغاني (٩/ ١٢٧)، وما بعدها.

نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

اختلف الناس في إعجاز القرآن بم هو؟:

فقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق، وفيه وقع عجزها.

وقال قوم: إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة.

وهذان القولان إنما يَرى العجزَ فيهما مَن قد تقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه، وأما من هو في ظلمة كفره فإنما يتحدى فيما يتبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه، وأن البشر لا يأتي بمثله، ويتحقق مجيئه من قبل التحدي.

وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أنَّ رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ، فإذا تُحُدِّيَتْ إلى ذلك وعجزتْ فيه عَلِمَ كل / فصيح ضرورة أن هذا نبي، يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده. [١/ ١١]

وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه: أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه(١).

ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عَلِم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورةً أن بشراً لم يكن قط محيطاً.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٩٧)، والإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣).

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كانت في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعُجِّزوا[١] عنه[٢].

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة[٣]، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام، ألا ترى ميزَ الجارية نفَس الأعشى وميز الفرزدق[٤] نفس جرير[٥] من نفَس ذي الرُّمَّة[٦]، ونظر

---

(١) في الحمزوية: «وحجزوا».

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٧٣)، والمواقف لعضد الدين الإيجي (٣/ ٣٧٨، ٣٩٢، ٦٦٣).

(٣) في أحمد٣: «جامدة».

(٤) أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، مقدم الشعراء في عصره، روى عن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، والطرماح، وغيرهم، وعنه: الكميت، ومروان الأصغر، وآخرون. توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢١١).

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة، أبو حزرة التميمي البصري الشاعر المشهور، مدح يزيد بن معاوية ومن بعده من الأمويين، وكانت له معارضات مشهورة مع الفرزدق، توفي سنة (١١٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٠).

(٦) هو غيلان بن عقبة بن بهيش صاحب مية، يكنى أبا الحارث، وهو من بنى صعب بن ملكان بن عديّ ابن عبد مناة، انظر خبره في الشعر والشعراء (١/ ٥١٥)، ويشير المؤلف إلى ما جاء في الأغاني لأبي الفرج (٨/ ٦٣، ١٨/ ٢٥) والأمالي في لغة العرب لأبي علي (٢/ ١٤٢) أن الفرزدق مر بذي الرمة ينشد قصيدة في ضمنها أبيات أعانه بها جرير، فقال الفرزدق: «تالله لقد علكهن أشد لحيين منك».

الأعرابي في قوله: «عز فحكم فقطع»[١]. إلى كثير من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً.

فصورة[٢] قيام الحجة بالقرآن على العرب: أنه لما جاء محمد ﷺ به وقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميَّز منه ما ميز الوليد بن المغيرة[٣] حين قال: والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون[٤].

وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على مثله، فصح عنده أنه من عند الله تعالى.

فمنهم من آمن وأذعن، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره، ففر إلى القتال، ورضي بسفك الدم عجزاً عن المعارضة، حتى أظهر الله دينه، ودخل جميعهم فيه، ولم يمت رسول الله ﷺ وفي الأرض قبيل من العرب يعلن كفره.

وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء، وفي معجزة موسى بالسحرة، فإن الله

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٣٥٤)، والتفسير الوسيط للواحدي (٢/ ١٨٥).

(٢) في المطبوع: «فصور».

(٣) هو الوليد بن المغيرة المخزومي والد الصحابي الجليل خالد بن الوليد، كان من أشد أعداء رسول الله ﷺ، وفيه نزل قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾، مات بمكة كافراً، في السنة الأولى للهجرة. تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٠).

(٤) له طرق ومراسيل تَشُدُّه: فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٢٤-٢٥) من طرق متعددة بعضها عن ابن عباس وبعضها عن بعض التابعين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٠) وصححه من طريق معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس نحوه، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ثم قال: «هكذا حدثناه موصولاً، وفي حديث حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة» يعني مرسلاً، ثم ذكر طرقاً أخرى مراسيل ثم قال: «وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً».

تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير [أبرع][(١)] ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطبُّ في زمن عيسى، والفصاحة في مدة محمد عليهم الصلاة والسلام.

❊ ❊ ❊

(١) في الحمزوية: «أبدع»، وفي السليمانية: «أبلغ».

باب في الألفاظ

التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالىٰ

اعلم أنَّ القصدَ إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول: خاطب الله بهذه الآية المؤمنين، وشرَّف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، ووقَفَ الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢] ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع.

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء، واستعملها أبو المعالي[١] في «الإرشاد»، وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال: حكى الله، ولا ما جرى مجراه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا[٢] على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى، وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ، فذلك استعمالٌ عربيٌّ شائعٌ، وعليه مشى الناس، وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي، ولكني قدمت هذا الباب لِمَا عسى أن أقع فيه نادراً، واعتذاراً عما وقع فيه المفسرون من ذلك.

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله، إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني، الفقيه رئيس الشافعية بنيسابور، قال أبو سعد السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق، المجتمع على إمامته شرقاً وغرباً، توفي سنة (٤٧٨هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ٢٣٠).

(٢) أي: ما حكاه بعض الأصوليين من عدم الجواز.

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى فيحمل على مجاز كلامها، فمن ذلك قول عامر[(١)] يرتجز بالنبي ﷺ:

[الرجز] فَاغْفِـرْ فِـدَاءً لَـكَ مَـا اقْتَفَيْنَـا[(٢)] ....

وقول أم سلمة: «فعزم الله لي» في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله[(٣)].

ومن ذلك قولهم: الله يدري كذا وكذا، والدراية إنما هي[(٤)] التأتِّي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك، قال أبو علي: «واحتج/ بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر: [١٢/١]

[الرجز] لاهُـمَّ لا أدْرِي وَأنْـتَ الـدَّارِي»[(٥)] ....

قال أبو علي: «وهذا لا ثبت فيه؛ لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعرابيِّ»[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وكذلك أقول: إنَّ الطريقةَ كلَّها عربيةٌ، لا يثبت للنظر المنخول شيء منها، وقد أنشد بعض البغداديين:

---

(١) في جميع النسخ الخطية المتوفرة: «أبي عامر» والتصويب من المطبوع، فالأبيات لعامر بن الأكوع كما سيأتي في التخريج.

(٢) هذا البيت من أبيات كان يرتجز بها عامر بن الأكوع، والخبر مشهور متفق عليه أخرجه البخاري (٥٧٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨) وغيره، ضمن حديث بلفظ: «عزم اللهُ لي».

(٤) في جار الله زيادة: «من»، وفي فيض الله والسليمانية وأحمد٣: «في».

(٥) البيت للعجاج كما في لسان العرب (١٢/ ٥٥٥)، وهو بلا نسبة في الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، وغرائب التفسير للكرماني (١/ ٤٧٥)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٣٧)، والفروق اللغوية للعسكري (ص: ٩٢)، والممتع لابن عصفور (ص: ٣٢).

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، وقد ذكر ابن سيده في المخصص (١/ ٢٦٠) احتجاج بعض أهل النظر بذلك ثم قال: «وهذا لا يثبت فيه؛ لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعراب»، وقال الراغب في مفردات غريب القرآن (ص: ٣١٣): «والدراية لا تستعمل في الله تعالى»، ورأى أن البيت «من تعجرف أجلاف العرب».

لاهُـمَّ إنْ كُنْتَ الَّـذِي بِعَهْدِي وَلَـمْ تُغَيِّـرْكَ الْأُمُـورُ بَعْـدِي[١] [الرجز]

وقد قال العجَّاج[٢]:

فَارْتَاحَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحمتِي[٣] [الرجز]

وقال الآخر:

قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي[٤] [الرجز]

وقال الآخر:

يَـا فَقْعَسِيُّ لِـمْ أَكَـلْـتَـهُ لِـمَهْ لَوْ خَـافَكَ اللهُ عَلَيْـهِ حَـرَّمَـه[٥] [الرجز]

وقال أوس:

أَبَـنِـي لُـبَـيْـنَـىٰ لا أُحِـبُّـكُـمُ وَجَـدَ الإلـهُ بِكُـمْ كَمَـا أَجِـدُ[٦] [الكامل]

وقال الآخر:

وَإِنَّ اللهَ ذَاقَ عُـقُـولَ تَـيْـمٍ فَـلَـمَّا رَاءَ خِـفَّـتَـهَا قَـلاهَا[٧] [الوافر]

(١) البيت غير منسوب في غرائب التفسير للكرماني (١/ ٤٧٦)، والحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٦١)، والمخصص (١/ ٢٤٤)، وذكر أنه من جفاء الأعراب.

(٢) العجاج والد رؤبة، أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة بن صخر التميمي، صاحب الرجز، سمي العجاج ببيت قاله، روى عن أبي هريرة، وعنه: ابنه رؤبة. توفي سنة (٩٠هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك. تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٤٢٣).

(٣) البيت للعجاج، كما في الحجة للفارسي (١/ ٢٦١)، ومجمل اللغة (ص: ٤٠٨)، والمخصص (١/ ٢٤٤)، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة (٥/ ١٤٢) لرؤبة، قائلاً: «قاله بأعرابيته ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ في صفته لأن الله إنما يوصف بما وصف به نفسه».

(٤) البيت في البيان والتبيين (٣/ ١٨٥)، وعيون الأخبار (١/ ٢٣١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٠٢)، والتمهيد (٦/ ٢١٤)، بلا نسبة.

(٥) البيت لسالم بن دارة الغطفاني كما في الحيوان (١/ ١٧٦) ولسان العرب (٢/ ٤٦١).

(٦) البيت لأوس بن حجر، كما في الحجة للفارسي (١/ ٢٦١)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٨٠).

(٧) البيت ليزيد بن الصقع، كما في الحيوان (٥/ ١٥)، وهو غير منسوب في تأويل مشكل القرآن =

ومن هذا الاستعمال الذي يُبنى البابُ عليه قول سعد بن معاذ[١]: «عرَّقَ اللهُ وَجْهَكَ في النَّار»، يقول هذا للرامي الذي رماه، وقال: «خُذْهَا وأنا ابنُ العَرِقَة»[٢].

وفي هذه الأمثلة كفايةٌ فيما نحوناه، إذ النظير لذلك كثيرٌ موجودٌ، وإن خُرِّجَ شيءٌ من هذه على حذفِ مضاف فذلك متوجِّهٌ في الاستعمال الذي قصدنا الاعتذار عنه، واللهُ المستعان[٣].



= (ص: ١٠٥)، وزاد المسير (١/ ٤٣٧)، والنكت في القرآن الكريم (ص: ٢٨٧)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٤)، والرواية عندهم جميعاً: حلوم قيس، بدل عقول تيم، وفي جار الله وأحمد٣: «رأى»، ولا يستقيم بها الوزن، والصواب: «راء» وهي بمعنى: رأى، قاله العسكري في جمهرة الأمثال (١/ ٢٤) عند ذكر هذا البيت.

(١) هو سعد بن معاذ سيد الأوس، بل سيد الأنصار، صحابي مشهور لا يترجم لمثله.

(٢) صحيح: أصله في الصحيحين، واللفظ المستشهد به في مستخرج أبي عوانة (٤/ ٢٦٢) بسند الصحيحين، وله طرق أخرى كما في مسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٥٤٤) وغيره.

(٣) ما ذكره ابن عطية من التساهل في الحكاية عن الله على الاتساع في المجاز موجود في كلام الصحابة وغيرهم من الأئمة، إلا أن بعض ما ذكره من الأبيات لا يصلح الاستشهاد به على ما أراده، وإنما يحمل في الحقيقة على ما عهد عن الأعراب من الجفاء وسوء الأدب، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك عنهم كما في سورة التوبة، وقد نبهنا على ذلك في تخريج بعض الأبيات أنها مما يحمل على جفاء الأعراب، وعلى ذلك سار كثير من أهل العلم، قال الشاطبي رحمة الله عليه في الاعتصام (ص: ٤٧٣-٤٧٤) في كلام له عن الدعاء: «وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول: رب العباد ما لنا وما لك ❊ أنزل علينا الغيث لا أبا لك، ونحوه، وهي ألفاظ يفتقر أصحابها إلى التعليم، وكانوا أقرب عهد بجاهلية تعامل الأصنام معاملة الرب الواحد سبحانه، ولا تنزهه كما يليق بجلاله». وانظر بدائع الفوائد (١/ ١٦١).

باب في تفسير
أسماء القرآن وذكر السورة والآية

هو القرآن، وهو الكتاب، وهو الفرقان، وهو الذكر، فالقرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل: إذا تلا، يقرأ قرآناً وقراءة، وحكى أبو زيد الأنصاري[(١)]: وقرْءاً[(٢)].

وقال قتادة: القرآن معناه: التأليف، قرأ الرجل: إذا جمع وألف قولاً، وبهذا فسَّر قتادة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٧] أي: تأليفه[(٣)]، وهذا نحو قول الشاعر:

ذِرَاعَـيْ بَـكْـرَةٍ أَدْمَـاءَ بَـكْـرٍ   هِجَـانِ اللَّـوْنِ لَـمْ تَقْـرَأْ جَنِينَـا[(٤)]   [الوافر]

أي: لم تجمع في بطنها ولداً فهو أَقْرَهُ لها، والقول الأول أقوى: أنَّ[(٥)] القرآنَ

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري النحوي الإمام، صاحب التصنيفات اللغوية والأدبية، اشتهر بكنيته، أخذ عن ابن عوف، ورؤبة بن العجاج، وآخرين، وعنه: خلفٌ البزار وقرأ عليه القرآن، توفي سنة (٢١٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ١٦٤).

(٢) لم أجد من نقله عنه، وقد جاء في الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢١٢)، والاستذكار (٦/ ١٤٧): قال أبو زيد الأنصاري: «سمعت أبا عمرو بن العلاء، يقول: العرب تسمي الطهر قرءاً، وتسمي الحيض قرءاً، وتسمي الطهر مع الحيض جميعاً قرءاً».

(٣) هذا القول صحيح عن قتادة، فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٩٦)، بإسناد صحيح عنه.

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم، من معلقته المشهورة، كما في مجاز القرآن (١/ ٢)، والجمهرة لابن دريد (١/ ٢٨٤)، وتفسير الطبري (١/ ٩٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧٧)، وتهذيب اللغة (٢/ ٩٨)، وفي بعض المصادر: «ذراعي عيطل»، وهي نسخة أشار لها في هامش جار الله.

(٥) في المطبوع: «أي».

مصدر من قرأ إذا تلا، ومنه قول حسان بن ثابت[(١)] يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

[البسيط] ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِه يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنا[(٢)]

أي: قراءة.

وأَمَّا الكتابُ فهو مصدر من كتب إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة؛ لاجتماعها، ومنه قولُ الشَّاعر:

[البسيط] .... وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ[(٣)]

أي: اجمعها، وأما الفرقان فهو أيضاً مصدر؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، فرقاً وفرقاناً.

وأَمَّا الذكر فسمي به لأنه ذكَّر به الناس آخرتهم وإلههم، وما كانوا في غفلة عنه، فهو ذكر لهم، وقيل: سمي بذلك لأن فيه ذكر الأمم الماضية والأنبياء، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه ذكر وشرف لمحمد ﷺ وقومه وسائر العلماء به.

وأَمَّا السورة فإنَّ قريشاً كلَّها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل، وسعد ابن بكر، وكنانة، يقولون: سورة، بغير همز، وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهمزون [فيقولون:سؤر وسؤرة][(٤)].

---

(١) حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، روى أحاديث عن النبي ﷺ، وعنه: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وآخرون، توفي سنة: (٥٤هـ) وقيل غيرها. الإصابة (٢/ ٥٥).

(٢) انظر عزوه له في العقد الفريد (٣/ ٢٣٨)، وتهذيب اللغة (١/ ٨٢)، وأدب الكتاب للصولي (ص: ١٤٣)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٢٧٦).

(٣) جزء من بيت لسالم بن دارة، وتمامه: لا تأمنن فزاريا مررت به على قلوصك واكتبها بأسيار، انظر عزوه له في تهذيب اللغة (١١/ ١٤٣)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٩)، والمعاني الكبير (١/ ٥٧٩)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٦٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨٨)، والإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٨٢)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٩٧)، ونسبه الصولي في أدب الكتاب (ص: ١١٣) للفرزدق، ولعله خطأ.

(٤) ساقط من جار الله، وكلمة «سؤر» لم ترد إلا في الأصل فقط.

فأمَّا من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه، التي هي سؤر وسؤرة من أسأر: إذا أبقى، ومنه سؤر الشراب، ومنه قول الأعشى وهو ميمون بن قيس:

فَبَانَـتْ وَقَـدْ أسـأرَتْ فـي الْفُـؤَا　　دِ صَدْعـاً عَلَـىٰ نَأْيِهَـا مُسْـتَطِيرَا[1]　　[المتقارب]

أي: أبقت فيه.

وأمَّا من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم، إلا أنها سهِّلت همزتها، ومنهم من يراها مشبَّهة بسورة البناء، أي: القطعة منه، لأنَّ كُلَّ بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، [وكل قطعة][2] منها سورة، وجمع سورة القرآن: سور بفتح الواو، وجمع سورة البناء: سور بسكونها، قال أبو عبيدة: إنما اختلفا في هذا، فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن[3].

ويقال أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك: سُورة، ومنه قول النابغة الذبياني[4] للنعمان بن المنذر[5]:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ أعْـطَـاكَ سُـورَةً　　تَـرَىٰ كُلَّ مَلْـكٍ دُونَهَـا يَتَذَبْـذَبُ[6]　　[الطويل]

فكأن الرتبة انبنت حتى كملت.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٠٥)، وشمس العلوم لنشوان (٥/ ٣٣١٣)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٥٨).

(٢) ساقط من جار الله.

(٣) انظر كلامه في مجاز القرآن (١/ ٥).

(٤) أحد فحول الشعراء الجاهليين، واسمه: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، كانت تضرب له خيمة في سوق عكاظ، ويأتيه الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، مات سنة (١٨) قبل الهجرة. تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٢٢٣).

(٥) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة، يكنى أبا قابوس، كان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم، قتله كسرى أبرويز سنة: ١٤ قبل الهجرة، تقريبا، واختلف في كيفية قتله. المعارف لابن قتيبة (ص: ٦٤٩).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٤)، وهو منقول بالمعنى، وانظر عزو البيت للنابغة أيضاً في تفسير الطبري =

وأمَّا الآيةُ فهي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأسير الموصي إلى قومه باللَّغز: «بآية ما أكلت معكم حيساً»[١]، فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدى بها سمّيت آية.

هذا قول بعضهم، وقيل: سميت آية لما كانت جملة، وجماعةَ كلام، كما تقول العرب: «جئنا بآيتنا» أي: بجماعتنا، وقيل: «لما كانت علامةً للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت آية».

ووزن آية عند سيبويه: فَعَلة بفتح العين، أصلها: أَيَيَة، تحركت الياء الأولى، وما قبلها مفتوح، فجاءت آية، وقال الكسائي[٢]: أصل آية: آيِيَة على وزن فاعلة، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة، وقال مكي في تعليل هذا الوجه: سكّنت الأولى وأدغمت فجاءت آيَّة على وزن دابة، ثم سهلت الياء المثقلة[٣]، وقيل: أصلها: أَيَّة على وزن فَعلة بسكون العين، أبدلت الياء الساكنة ألفاً / استثقالاً للتضعيف، قاله الفراء[٤]، وحكاه أبو علي عن سيبويه في ترجمة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ [آل عمران: ١٤٦][٥]. [١٣]

= (١/ ١٠٥)، وجمهرة اللغة (١/ ١٧٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٥)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٣٦)، والحيوان (٣/ ٤٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧)، وديوان المعاني (١/ ١٥).

(١) انظر قصة الأسير في الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٥)، والعقد الفريد (٦/ ٤٥).

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الأسدي الكوفي الكسائي، شيخ القراء والنحاة، نزل بغداد وأدب الرشيد، ثم ولده الأمين، قرأ القرآن على حمزة، وغيره، روى عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، ويحيى الفراء، توفي سنة: (١٨٩هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٢٩٩).

(٣) انظر هذه الأقوال في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩٠-٢٩١) ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٩-٣٨٠).

(٤) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي، صاحب التصانيف، حدث عن: قيس بن الربيع، وغيره، وعنه: مسلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري، وغيرهما. توفي سنة (٢٠٧هـ). تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩٣)، وانظر نقل هذا عنه في الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٣)، والهداية لمكي (١/ ٢٩١)، والبيان في عد آي القرآن للداني (ص: ١٢٥).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ٨١).

وقال بعض الكوفيين: أصلها أيية على وزن فعِلة بكسر العين أبدلت الياء الأولى ألفاً؛ لثقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها[١].

* * *

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٩١).

باب القول في الاستعاذة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

معناه: إذا أردت أن تقرأ وشرعت، فأوقَعَ الماضي موقع المستقبل لثبوته.

وأجمع العلماء على أن قول القارئ: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم» ليس بآية من كتاب الله(١).

وأجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كلِّ قراءةٍ في غير صلاة(٢)، واختلفوا في التعوذ في الصلاة:

فابنُ سيرين وإبراهيم النخعي وقوم يتعوذون في الصلاة في كلّ ركعة(٣)، ويمتثلون أمر الله بالاستعاذة على العموم في كلِّ قراءةٍ.

وأبو حنيفة والشَّافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة(٤)، ويريان أنَّ قراءة الصلاة كلَّها كقراءة واحدةٍ.

ومالك رضي الله عنه لا يرى التعوذَ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان(٥)، ولم يحفظ عن النبي ﷺ أنه تعوَّذ في صلاة(٦).

---

(١) نصَّ عليه أبو العباس المهدوي، انظر: التحصيل (١/ ٨).

(٢) انظر: المجموع (٣/ ٣٢٥).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٢٦).

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (١/ ١٣)، والمجموع شرح المهذب (٣/ ٣٢٥).

(٥) انظر: المدونة (١/ ١٦٢).

(٦) في الحمزوية: «ولم يرو» بدل «ولم يحفظ»، ومما جاء في ذلك ما أخرج الترمذي (**٢٤٣**) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري أنه ﷺ كان يقول في صلاة الليل: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان =

وحكى الزهراوي[(١)] عن الحسن أنه قال: «نزلت الآية في الصلاة، وندبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض»، وقال غيره: «كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده، ثم تأسَّينا به»[(٢)].

وأمَّا لفظُ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»[(٣)].

وروي عن ابن عباس أنه قال: «أَوَّلُ مَا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ لَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَسْتَعِيذُ بالله السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ[(٤)]: «بسم الله الرحمن الرحيم»[(٥)].

وروى سليمان بن سالم[(٦)] عن ابن القاسم رحمه الله[(٧)]: أنَّ الاستعاذَةَ: «أعوذ بالله العظيم من الشَّيطان الرَّجيم، إنَّ الله هو السميع العليم بسم الله الرّحمن الرّحيم»[(٨)].

= الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»، قال: وفي الباب عن علي وعائشة وعبد الله بن مسعود وجابر وجبير ابن مطعم وابن عمر، قال: وقد تُكُلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي ابن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث.

(١) هو الإمام العالم الحافظ المجود محدث الأندلس مع ابن عبد البر أبو حفص؛ عمر بن عبيد الله بن يوسف بن حامد الذهلي القرطبي الزهراوي، كان معتنياً بنقل الحديث وجمعه وسماعه، توفي في صفر سنة (٤٥٤هـ): سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠).

(٢) انظر قول الزهراوي وغيره في القرطبي (١/ ٨٨).

(٣) نسبه الداني في التيسير (١/ ١٦) للحذاق من أهل الأداء.

(٤) سقطت من جار الله، وسقطت «قال» من السليمانية.

(٥) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١١٣) بسند ضعيف، قال: ابن كثير في التفسير (١/ ٣٠): «وهذا الأثر غريب! وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً».

(٦) هو القاضي أبو الربيع المعروف بابن الكحالة، من أصحاب سحنون، توفي سنة (٢٨١ هـ). انظر: الديباج (١/ ٣٤٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري، راوي مالك، وصاحب مذهبه في مصر والمغرب والأندلس، مشهور.

(٨) نقله عنه القرطبي (١/ ٨٧)، ورواه الهذلي في «الكامل» (ص: ٤٧٢) عن الزينبي عن ابن كثير، وليس فيه ذكر الشيطان.

وأمَّا المقرئون فأكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضهم: «أعوذ بالله المجيد من الشيطان [الرجيم][(١)] المريد»، ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز.

ومعنى الاستعاذة: الاستجارة، [والتحيز][(٢)] إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، والكلام على المكتوبة[(٣)] يجيء في (بسم الله) فذلك الموضع أولى به.

وأمَّا (الشَّيطان) فاختلف الناس في اشتقاقه:

فقال الحذَّاقُ: هو فَيْعَال من شَطَنَ إذَا بَعُدَ؛ لأنَّه بَعُدَ عَنِ الخيرِ ورحمةِ اللهِ[(٤)]، ومن اللفظة قولهم: نوًى شَطُون، أي: بعيدة، قال الأعشى:

نَـأَتْ بِسُـعَادَ عَنْـكَ نَـوًى شَـطُونُ ... فَبَانَـتْ، والْفُـؤَادُ بِهَـا رَهِيـنُ[(٥)] [الوافر]

ومنه قيل للحبل: شَطَنٌ؛ لبعد طرفيه وامتداده.

وقال قومٌ: إنَّ شيطاناً مأخوذٌ من شَاطَ يَشِيطُ: إذَا هَاجَ وأحْرَقَ ونحوه، إذ هذه أفعاله، فهو فَعْلَانٌ[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: ويرد على هذه الفرقة أنَّ سيبويه حكى أنَّ العربَ تقول:

---

(١) من الحمزوية.

(٢) وفي الحمزوية: «والالتجاء».

(٣) يعني بالمكتوبة لفظ الجلالة، وقد تكرر منه ذلك كثيراً كما سيأتي.

(٤) ورد هذا القول في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٦٠)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٢)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٥) كذا نسبه ابن عطية للأعشى، وكأنه سبق قلم، فإن البيت مشهور للنابغة الذبياني، كما في تفسير الطبري (١/ ١١٢)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٤)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٣)، وشمس العلوم لنشوان (٤/ ٢٦٥٥)، وسمط اللآلي (١/ ٥٨)، وذكر أبياتاً من القصيدة منها: وحلّت في بني القين ابن جسر * فقد نبغت لنا منهم شؤون، قال: وبهذا البيت سمي النابغة.

(٦) ورد هذا القول في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٦٤)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢١٤).

تشيطن فلانٌ[(١)] إذا فعل أفاعيل الشيطان، فهذا بيِّن أنه تفيعل من شطن، ولو كان من شاط لقالوا تشيط، ويرد أيضاً عليهم بيت أمية بن أبي الصلت:

[الخفيف] أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالأَكْبَالِ[(٢)]

فهذا شَاطِنٌ من شطن، لا شكَّ فيه.

وأَمَّا الرَّجيمُ: فهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ، كقتيل وجريح ونحوه، ومعناه: أنه رجم باللعنة، والمقت، وعدم الرحمة.

قال المهدوي رحمه الله: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول قراءة سورة الحمد إلا حمزة[(٣)] فإنه أسرها، وروى المسيَّبي[(٤)] عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة[(٥)].

❊ ❊ ❊

---

(١) قول سيبويه إنما نقله ابن عطية بالمعنى، والذي في الكتاب له (٤/ ٣٢١) قوله وهو يتحدث عن النون في عدد من الكلمات: «فأما الدهقان والشيطان فلا تجعلهما زائدتين فيهما لأنهما ليس عليهما ثبت، ألا ترى أنك تقول: تشيطن وتدهقن، وتصرفهما».

(٢) البيت لأمية كما في تفسير الطبري (١/ ١١٢)، والحجة للقراء السبعة للفارسي (٢/ ٢٢)، والجيم (٢/ ٢٩٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٧)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٥)، ومعنى عكاه، أي: شدَّه في الحديد، والأكبال جمع كبل، وهو القيد.

(٣) هو حمزة بن حبيب الزيات، الإمام العلم أبو عمارة التيمي الكوفي الزيات، أحد السبعة القراء، قرأ على حمران بن أعين والأعمش وجماعة، وعنه سليم بن عيسى الحنفي والكسائي وآخرون. توفي سنة (١٥٦هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٣٨٣).

(٤) إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب، أبو محمد المسيبي المدني المقرئ، صاحب نافع، كان إماما في القراءة، قرأ عليه: ولده محمد بن إسحاق، وغيره، وروى له أبو داود. توفي سنة (٢٠٦هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٥٧).

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٣)، وانظر رواية المسيبي في التيسير فى القراءات السبع للداني (١/ ١٤).

القول في تفسير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

روي عن جعفر بن محمد الصَّادق رضي الله عنه أنه قال: «البسملة تيجان السور»(١).

وروي أنَّ رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، فإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ، ولَكِنْ قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقَلَّ مِنْ ذُبَابٍ»(٢).

وقال علي بن الحسين رضي الله عنه(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٦]، قال: «معناه: إذا قلت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»(٤).

---

(١) نقله تفسير القرطبي (١/ ٩٢).

(٢) في إسناده اختلاف، وجوَّد إسناده ابن كثير وقوَّاه: فقد أخرجه أبو داود (٤٩٨٤) والنسائي في الكبرى (١٠٣٨٨) من طريق خالد الحذاء عن أبي تـميمة عن أبي المليح عن رجل ردف النبي ﷺ نحوه، وقد اختلف في إسناده بإثبات أبي المليح وإسقاطه، وانظر: مسند أحمد (٥/ ٥٩، ٧١، ٣٦٥) والذي أسقطه روي الحديث عنه مرة أخرى بإثبات واسطة دون تسمية، فالراجح فيما يظهر رواية من قال عن أبي المليح، وعلى كل فقد صححه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٤-٣٢٥) وقال ابن كثير في التفسير (٨/ ٥٣٩): «إسناده جيد قوي»، وانظر: علل الدار قطني (١٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، زين العابدين، أبو الحسن، روى عن: أبيه، وعمه الحسن، وابن عباس، وغيرهم، روى عنه: بنوه محمد الباقر، وزيد، وعمر، وآخرون. توفي سنة (٩٤هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٤٣١).

(٤) لم أجد من نقله عنه.

وروي عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «كَيْفَ تَفْتَتِحُ الصَّلاةَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾، قَالَ: «قُلْ/ : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»[1]. [١٤/١]

وروى أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فعَلَّمَنِي الصَّلَاةَ فقَرَأ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يَجْهَرُ بِهَا»[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذان الحديثان يقتضيان أنها آية من الحمد، ويردُّ ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح إذ قال له النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ ألّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّورَاةِ ولا فِي الإنْجِيلِ ولا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا»، قَالَ: فجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْي رَجَاءَ ذَلِكَ، فقَالَ لِي: «كَيْفَ تَقْرَأُ إذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ؟» قَالَ: فقَرَأْتُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا»[3].

ويرده الحديث الصحيح بقوله عز وجل: «قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نصفين[4]، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾»[5].

---

(١) ضعيف: فقد أخرجه الدار قطني في السنن (١١٧٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٣٦)، من طريق فيه الجهم ابن عثمان أو يحيى بن أبي أنيسة، قال الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٢٤ - ٣٢٥): «وكلاهما ضعيفٌ».

(٢) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه الدارقطني في سننه (١١٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد فيه خالد بن إياس، ويقال: إلياس، وهو متروك الحديث، كما في تقريب التهذيب رقم (١٦١٧).

(٣) الأشبه مرسل كما رواه مالك في الموطأ، ويُغني عنه حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيحين: وحديث أبيٍّ أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) والترمذي ح (٢٨٧٥، ٣١٢٥) والنسائي (٢/ ١٣٩) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكر خبر أُبي مع النبي ﷺ في ذلك، وفي بعض الطرق عن أبي هريرة عن أبي بن كعب، وأخرجه مالك في الموطأ (ص: ٧٣) عن العلاء عن أبي سعيد مولى ابن كريز مرسلاً، قال الدارقطني في العلل (٩/ ١٦): «ويشبه أن يكون الحديث عند العلاء على الوجهين»، قلت: وحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة جادةٌ مطروقةٌ، والمرسل أشبه أن يكون هو المحفوظ، والله أعلم، وقد وقع لأبي سعيد بن المعلى مع النبي ﷺ مثل ما وقع لأبي بن كعب معه، انظر: صحيح البخاري ح (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦).

(٤) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية، وكذا في نور العثمانية، وفيها: «عبيدي» بدل «عبدي».

(٥) أخرجه مسلم ح (٣٩٥) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويرده أنه لم يحفظ عن النبي ﷺ، ولا عن أبي بكر، ولا عن عمر، ولا عن عثمان، رضوان الله عليهم أنهم قرؤوا [قط][١] في صلاتهم: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٢].

ويرده عدد آيات السورة؛ لأنَّ الإجماعَ أنها سبعُ آياتٍ[٣]، إلا ما روي عن حسين الجعفي[٤] أنها ستُّ آياتٍ، وهذا شاذٌّ لا يُعوَّل عليه، وكذلك روي عن عمرو بن عبيد[٥] أنه جعل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] آية، فهي على عَدِّه ثماني آيات، وهذا أيضاً شاذٌّ.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] هو الفصلُ في ذلك.

والشَّافعي رحمه الله يَعدُّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية من الحمد، وكثير من قراء مكة والكوفة لا يَعدُّون ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ومالك رحمه الله، وأبو حنيفة، وجمهور الفقهاء والقراء، لا يَعدُّون البسملة آية[٦].

والذي يحتمله عندي حديث جابر وأبي هريرة ـ إذا صحّا ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى قراءة جابر وحكايته أمرَ الصلاة، قراءةً في غير صلاة على جهة التعلُّم، فأمره بالبسملة لهذا، لا لأنها آيةٌ.

---

(١) سقطت من الأصل والمطبوع.

(٢) ورد في ذلك حديث متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ح (٧٤٣)، ومسلم ح (٩١٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر هذا الإجماع في الأوسط لابن المنذر (٣/ ١٢٢)، والاستذكار لابن عبد البر (١/ ٤٥٣)، والتحصيل للمهدوي (١/ ٢٠).

(٤) الحسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المقرئ الزاهد، أبو عبد الله، سمع وروى عن جماعة منهم: حمزة الزيات، وأبو عمرو بن العلاء، والثوري، وجماعة، وعنه: أحمد، وإسحاق، وابن معين، وغيرهم. توفي سنة (٢٠٣هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ١٠٩).

(٥) هو عمرو بن عبيد الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة وأولهم، أبو عثمان البصري، روى عن أبي العالية، وأبي قلابة، والحسن البصري، قال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن المبارك: دعا إلى القدر فتركوه. مات سنة (١٤٤هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).

(٦) انظر مذهب الشافعي في: شرح النووي على مسلم (٤/ ١٠٤)، ومذهب مالك في: حاشية الدسوقي على شرح الدردير (١/ ٢٥١)، ومذهب أبي حنيفة في: نخب الأفكار (٣/ ٥٧٠)، وانظر نسبة القول لجمهور الفقهاء في: المغني لابن قدامة (٢/ ٣٤٢)، والتحصيل للمهدوي (١/ ٨).

وكذلك في حديث أبي هريرة رآها قراءة تعليم، ولم يفعل ذلك مع أُبَيّ؛ لأَنَّه قصد تخصيص السورة، ووسمها من الفضل بما لها، فلم يُدخل معها ما ليس منها، وليس هذا القصد في حديث جابر وأبي هريرة، والله أعلم.

وقال ابن المبارك(١): «إنَّ البسملةَ آيةٌ [في أول](٢) كل سورة، وهذا قولٌ شاذٌّ ردَّ الناسُ عليه»(٣).

وروى الشَّعبيُّ والأعمش(٤): «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم، حتَّى أُمر أن يكتب بسم الله، فكتبها، فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب: بسم الله الرَّحمن، فلما نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] كتبها»(٥).

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، التركي ثم المروزي الحافظ، فريد الزمان وشيخ الإسلام، روى عن: سليمان التيمي، وعاصم الأحول، وآخرين، وعنه: معمر، والثوري، وأبو إسحاق الفزاري، توفي سنة: (١٨١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٢٢٠).

(٢) في أحمد٣ بدلا منه: «من»، وفي السليمانية: «في».

(٣) قول ابن المبارك نقله ابن عطية بالمعنى، وقد ذكره ابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٢٢) قال: «قال ابن المبارك: من ترك بسم الله الرحمن الرحيم من القراءة فقد ترك مئة آية وثلاثة عشر آية»، يعني بعدد سور القرآن غير الفاتحة، ومما يرد به عليه الإجماع، فقد قال ابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٢٢): «وقال آخر: لو كانت بسم الله الرحمن الرحيم آية في كل سورة لعدت في آي السور، فقد كتب الناس المصاحف، وكتبوا عدد آي كل سورة فلم يعدوها في عدد آي السور، فمن ذلك أنهم كتبوا سورة الكوثر ثلاث آيات، ولو عدوا بسم الله الرحمن الرحيم منها لكتبوا عددها أربع آيات، وكذلك جميع السور لا اختلاف بينهم في شيء منها إلا في فاتحة الكتاب».

(٤) سليمان بن مهران الأعمش الإمام أبو محمد الأسدي مولاهم الكاهلي الكوفي الحافظ المقرئ أحد الأئمة الأعلام، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى وخلق، وحدث عنه أمم لا يحصون، توفي سنة (١٤٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ١٦١).

(٥) مرسل، فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٨١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ١٠٥) وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٢١٦) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٣-٢٦٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٣٩) وغيرهم من طرق عن الشعبي به، والشعبي تابعي كما هو معلوم، فحديثه مرسل.

وروى عمرو بن شرحبيل[١]: «أنَّ جبريلَ أول ما جاء النبيَّ عليه السلام قال له: قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»[٢].

وروي عن ابن عباس: «أنَّ أَوَّل مَا نزل به جبريلُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»[٣].

وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله ﷺ إلى ورقة: أنَّ جبريلَ قال للنبيِّ عليهما السَّلام: قُلْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقالها، فقال: اقْرأ، قال: ما أنا بقارئ... الحديث[٤].

والبسملة تسعة عشر حرفاً، فقال بعضُ الناس: إنَّ روايةً بلغتهم أنَّ ملائكةَ النار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، إنمـا ترتب عددهم على حروف

---

(١) عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة الهمداني الكوفي، أحد فضلاء التابعين وصلحائهم، روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وعنه: أبو وائل، والشعبي، والقاسم بن مخيمرة، وأبو إسحاق السبيعي، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة. تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٠٠).

(٢) هذه الرواية سيأتي ذكر تخريجها بعد رواية ابن عباس، فقد كررها المؤلف، والموضع الثاني أليق بالتخريج.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١١٣، ١١٥، ١١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٥، ٢٦) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بنحوه، قال ابن كثير (١/ ١١٣): «وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً»، وقال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٢٣): «والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به»، وقال في فتح الباري (٨/ ٧١٩): «في إسناده ضعف وانقطاع».

(٤) مرسل، وذكر الفاتحة في هذا الحديث غير محفوظ: وقد ذكره ابن عطية بالمعنى، وفيه قصة ذهاب النبي ﷺ إلى ورقة، وفيه ألفاظ تخالف ما في الصحيحين منها أنه ذكر نزول الفاتحة في ذلك الوقت، والحديث أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٤٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٩) وقال: «هذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، والله أعلم»، وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٩): «هو مرسل وإن كان رجاله ثقات، والمحفوظ أن أول ما نزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك»، وقد أخرجه غيرهما لكن ليس فيه ذكر البسملة وهو محل الشاهد.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لكلِّ حرفٍ ملكٌ، وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فمن هنالك هي قوَّتُهم، وباسم الله استَضْلَعوا[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذه من مُلَحِ التَّفسير، وليست من متين العلم، وهي نظيرُ قولهم في ليلة القدر: إنها ليلة سبع وعشرين، مراعاة للفظة ﴿هِيَ﴾[القدر: ٥]، في كلمات سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فإنها بضعةٌ وثلاثون حرفاً، قالوا: فلذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ رَأيْتُ بِضْعَةً وثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»[٢].

والباء في: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ متعلقةٌ عند نحاة البصرة باسم تقديره: ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله، وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره: ابتدأت بسم الله، فـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين، كذا أطلق القول قوم[٣].

والظَّاهر من مذهب سيبويه أنَّ الباء متعلقة باسمٍ كما تقدم، و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع نصب تعلقاً بـ«ثابتٌ» أو «مستقرٌّ»، بمنزلة: «في الدار» من قولك: «زيد في الدار».

وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها، أو لكونها لا تدخل إلا على الأسماء فخصت بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء، أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً نحو الكاف في قول الأعشى:

[البسيط] أَتَنْتَهُونَ ولَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والْفُتُلُ[٤]

---

(١) هذه الرواية أخرج معناها وكيع كما في الدر المنثور (١/ ٢٦)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (١/ ٩١) بسند صحيح إلى ابن مسعود، ولفظه: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فإنها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله له بكل حرف منها جُنة من كل واحد».

(٢) أخرجه البخاري ح (٧٩٩) وغيره من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٦)، والهداية له (١/ ٩١)، والتحصيل للمهدوي (١/ ١٦).

(٤) انظر عزوه للأعشى ميمون بن قيس في سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٤)، والأصول في النحو (١/ ٤٣٩)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٠)، والحيوان (٣/ ٢٢٣)، والمعنى: لا ينهى ذوي الشطط شيء مثل الطعن الشديد الواسع الذي يغيب في جرحه الزيت والفتائل إذا ضمّد.

وحذفت الألف من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في الخطِّ اختصاراً وتخفيفاً لكثرة الاستعمال.

واختلف النحاة إذا كتب: باسم الرَّحمن، وباسم القاهر:

فقال الكسائي، وسعيد الأخفش[(١)]: تحذف الألف، وقال يحيى/ بن زياد[(٢)]: [١/ ١٥] لا تحذف إلا مع ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ [فقط، لأنَّ الاستعمال إنما كثر فيه.

قال القاضي أبو محمد: فأمَّا في غير اسم الله تعالى][(٣)] فلا خلاف في ثبوت الألف.

و(اسم): أصله سِمْوٌ بكسر السين أو سُمْوٌ بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو[(٤)]، يقال: سما يسمو، فعلى هذا تضم السين في قولك: سُمْوٌ، ويقال: سَمِي يَسْمَى، فعلى هذا تكسر السين[(٥)]، وحذفت الواو من سمو، وكسرت السين من سم، كما قال الشاعر:

بِسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ[(٦)] .... [الرجز]

وسكنت السين من ﴿بِسۡمِ﴾ اعتلالاً على غير قياس، وإنما استدلَّ على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير: سُميٌّ، وفي الجمع: أسماء، وفي جمع الجمع: أسامي.

---

(١) سعيد بن مسعدة، مولى بني مجاشع، يعرف بالأخفش النحوي، برع في علم اللغة والكلام، أخذ عن الخليل، ولزم سيبويه حتى برع، وكان أسن من سيبويه، ولقي الكسائي وأدب ولده، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢١١هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ١٧٢).

(٢) هو الفراء، انظر قوله في معاني القرآن له (١/ ٢)، وقول الأخفش في معاني القرآن له (١/ ٢).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) حكاه مكي في الهداية (١/ ٨٦)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٦).

(٥) سقطت من أحمد٣.

(٦) نسبه الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (١/ ٤٣) إلى رؤبة بن العجاج، واستشهد به بلا نسبة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩)، والكرماني في غرائب التفسير (١/ ٨٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ١٤)، والمبرد في المقتضب (١/ ٢٢٩)، وغيرهم.

وقال الكوفيون: أصل اسم: وسْمٌ من السمة[١]، وهي العلامة؛ لأنَّ الاسمَ علامةٌ لمن وُضع له، وحذفت فاؤُه اعتلالاً على غير قياس.

والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي، وأمَّا المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير: وُسَيْمٌ، وفي الجمع: أوسام؛ لأنَّ التصغير والجمعَ يردان الأشياء إلى أصولها.

وقد ذكر بعضُ المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد؟، وقال الطبري رحمه الله: إنه ليس بموضع للمسألة، وأنحى في خطبته على المتكلمين في هذه المسألة ونحوها[٢].

ولكن بحسب ما قد تُدُوول[٣] القول فيها، فلنقل إن الاسم كزيد وأسد وفرس قد يرد في الكلام ويراد به الذات، كقولك: زيد قائم، والأسد شجاع، وقد يراد به التسمية ذاتها، كقولك: أسد ثلاثة أحرف، ففي الأول يقال: الاسم هو المسمى، بمعنى: يراد به المسمى، وفي الثاني لا يراد به المسمى. [ومن الورود الأول قولك: يا رحمن اغفر لي، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢]][٤]، ومن الورود الثاني قولك: الرحمن وصف لله تعالى.

وأمَّا «اسمٌ» الذي هو ألف وسين وميم، فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات. يقال: ذات، ونفس، واسم، وعين، بمعنًى.

وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن

---

(١) حكاه مكي في الهداية (١/ ٨٦)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٨).
(٣) في أحمد٣: «تدون».
(٤) ساقط من جار الله.

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءً سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف: ٤٠]، وعضدوا ذلك بقول لبيد[(١)]:

إلىٰ الْحَوْلِ ثم اسْـمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا ومَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ[(٢)] [الطويل]

وقالوا: إنَّ لبيداً أراد التحية.

وقد يجري «اسم» في اللغة مجرى ذات العبارة، وهو الأكثر من استعمالها، فمنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، على أشهر التأويلات فيه، ومنه قول النبي عليه السلام: «إنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً، مِئَةً إلَّا وَاحِداً، مَنْ أحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّـةَ»[(٣)].

وعلى هذا النحو استعمل النحويون الاسم في تصريف أقوالهم.

فالَّذي يتنخل من هذا: أن الأسماء قد تجيء يراد بها ذوات المسميات، وفي هذا يقال: الاسم هو المسمى، وقد تجيء يراد بها ذواتها نفسُها لا مسمياتها.

[ومرَّ بي][(٤)] أن مالكاً رحمه الله سئل عن الاسم: أهو المسمى؟ فقال: ليس به ولا هو غيره، يريد: دائماً في كل موضع، وهذا موافق لما قلناه.

والمكتوبة التي لفظها «الله» هي أبهر أسماء الله تعالى وأكثرها استعمالاً، وهو المتقدم لسائرها في الأغلب، وإنما تجيء الأُخَرُ أوصافاً.

---

(١) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، الشاعر المشهور، من فحول الشعر في الجاهلية، واعتزل الشعر لما أسلم، وقيل: إنه لم يقل إلا بيتاً واحداً في الإسلام، توفي رضي الله عنه سنة (٤١ هـ). الإصابة لابن حجر (٥/ ٥٠٠).

(٢) انظر عزو البيت للبيد في مجاز القرآن (١/ ١٦)، وتفسير الطبري (١/ ١١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٤٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٨٤)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٣٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧٠)، والوحشيات لأبي تمام (ص: ١٥٤)، والأغاني (١٥/ ٣٦٨).

(٣) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري (٢٧٣٦) (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في أحمد٣: «ويروى».

واختلف الناس في اشتقاقه:

فقالت فرقةٌ من أهل العلم: هو اسم مرتجل، لا اشتقاق له من فعل، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى، والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم.

وذهب كثير من أهل العلم إلى أنَّه مشتقٌّ من أَلَه الرجل إذا عبد، وتألَّه إذا تنسك[(١)]، ومن ذلك قول رؤبة بن العجَّاج[(٢)]:

[الرجز] لِلَّـهِ دَرُّ الْغَانِـيَـاتِ الْـمُـدَّهِ سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[(٣)]

ومن ذلك قول الله تعالى: «ويذرك وإلاهتك»[(٤)] على هذه القراءة[(٥)]، فإن ابن عباس وغيره قال: «وعبادتك»[(٦)]، قالوا: فـ«الله» مشتقٌّ من هذا الفعل، لأَنَّه الَّذي يَأْلهه كل خلق[(٧)] ويعبده[(٨)]، حكاه النقاش في صدر سورة آل عمران فـ«إلاه» فعال من هذا.

---

(١) انظر هذا الخلاف في تفسير الطبري (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) رؤبة بن العجاج التميمي، من أعراب البصرة، كان علامة لغويّاً، سمع أباه والنسابة البكري، وعنه النضر بن شميل ويحيى القطان وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وغيرهم، توفي سنة (١٤٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ١٣٣).

(٣) هذا البيت لرؤبة كما في تفسير الطبري (١/ ١٢٣)، والحجة للفارسي (٥/ ٢٥)، والكامل للمبرد (٣/ ١٠٨)، وأمالي القالي (٢/ ٩٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٣)، والمدَّه: المادحات، يقال: مده كمدح وزناً ومعنى، والماده: المادح، والجمع مدَّه، وتألهي: أي تعبُّدي.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

(٥) ذكر هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه، الطبري وردها، انظر: تفسيره (١/ ١٢٣).

(٦) صحيح، وهو مبني على القراءة المنقولة عن ابن عباس، فقد أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٥١) وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٣٠٠) والطبري في تفسيره (١/ ١٢٣، ١٢٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) وغيرهم من طرق عن ابن عباس.

(٧) في المطبوع: «مخلوق».

(٨) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٢-١٢٣).

واختلف كيف تَعلَّل «إله» حتى جاء «الله»:

فقيل: حذفت الهمزة [حذفاً][1] على غير قياس، ودخلت الألف واللام للتعظيم على «لاه»، وقيل: بل دخلتا على «إله» ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء «الِّلاه» ثم أدغمت اللام في اللام، وقيل: إنَّ أصل الكلمة «لاه»، وعليه دخلت الألف واللام، والأول أقوى[2].

وروي عن الخليل[3] أن أصل «إله»: «وِلاه» وأن الهمزة مبدلة من واو كما هي في: إشاح ووشاح، وإسادة ووسادة[4].

وقيل: إنَّ أصل الكلمة «ولاه» ـ كما قال الخليل ـ إلا أنها مأخوذةٌ من: «وله الرجل إذا تحيَّر»؛ لأنَّه تعالى تتحير الألباب في حقائق صفاته، والفكر في المعرفة به، وحذفت الألف الأخيرة من «الله» لئلا يشتكل بخط «اللات».

وقيل: طرحت تخفيفاً، وقيل: هي لغة فاستعملت في الخطِّ[5]. ومنها قول الشاعر/ : [١/ ١٦]

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[6] [الرجز]

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر: اللامات لأبي القاسم الزجاجي (ص: ٤٨)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٢٢٠)، ورجح الأول.

(٣) الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي، البصري. صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام، روى عن: أيوب، وعاصم الأحول، وطائفة، أخذ عنه: سيبويه، والأصمعي، وغيرهما، صنف في العروض، واللغة. توفي سنة (١٧٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ١٧٤).

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٧) ومفردات القرآن للراغب (ص: ٨٣).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٦٦).

(٦) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٤٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، العين (٣/ ١٨١)، وجمهرة اللغة (١/ ١٦٠)، والكامل للمبرد (١/ ٤٨)، أمالي القالي (١/ ٧)، والحجة لأبي علي (٥/ ٧)، وفي المزهر للسيوطي (١/ ١٤٤): قال أبو إسحاق البطليوسي في شرحه: يقال: إن هذا الرجز لحنظلة بن مطيح، ويقال: إنه مصنوع صنعه قطرب، وفي الحمزوية: «حرد النخلة».

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ صفة مبالغة من الرحمة، ومعناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل؛ لأنَّ راحماً يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن: النهاية في الرحمة.

وقال بعض الناس: «الرحمن والرحيم بمعنىً واحد، كالندمان والنديم»، وزعم[(١)] أنهما من فعلٍ واحدٍ، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر.

وأمَّا المفسرون فعبروا عن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعبارات، فمنها أنَّ العرزمي[(٢)] قال: معناه: الرحمن بجميع خلقه في الأمطار، ونِعَم الحواس، والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم[(٣)].

ومنها أنَّ أبا سعيد الخدريَّ[(٤)] وابنَ مسعود رويا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الرَّحْمَـٰنُ رَحْمَـٰنُ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، والرَّحِيمُ رَحِيمُ الآخِرَةِ»[(٥)].

---

(١) في الحمزوية، والمطبوع وجار الله وفيض الله: «نعم».

(٢) هو الإمام، الحافظ، أبو محمد عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الكوفي، حدث عن: أنس ابن مالك، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعنه: الثوري، وزائدة، وابن المبارك، وليس بالمكثر، وكان يوصف بالحفظ، مات سنة (١٤٥هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٢).

(٣) رواه عنه الطبري مختصراً (١/ ١٢٦).

(٤) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، اشتهر بكنيته، من المكثرين في الحديث، روى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وروى عنه من الصحابة: ابن عبّاس وابن عمر، توفي سنة: (٧٤هـ). الإصابة (٣/ ٥٢).

(٥) لا يصح: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٢١)، وابن عدي في كامله (١/ ٣٠٣ – ٣٠٤)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٢٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٠٤)، من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد فيه إسماعيل بن يحيى، وهو ابن عبيد الله التيمي المدني، كذبه غير واحد من أهل العلم، ومع ذلك فقد قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١١٩): «وهذا غريب جدّاً، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، والله أعلم، وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله».

وقال أبو علي الفارسيُّ: «الرَّحمن: اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله، والرحيم: إنما هو في جهة المؤمنين كما قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾»[(١)]. وهذه كلها أقوال [تتعاضد][(٢)].

وقال عطاء الخراساني[(٣)]: «كان الرحمن فلما اختزل وسمي به مسيلمة الكذاب قال الله لنفسه: الرحمن الرحيم فهذا الاقتران بين الصفتين ليس لأحد إلا لله تعالى»[(٤)]، وهذا قولٌ ضعيفٌ، لأنَّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كان قبل أن ينجم أمر مسيلمة، وأيضاً فتسمي مسيلمة بهذا لم يكن مما تأصل وثبت.

وقال قوم: «إن العرب كانت لا تعرف لفظة الرحمن، ولا كانت في لغتها»، واستدلوا على ذلك بقول العرب: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾[(٥)]، وهذا القول ضعيف، وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له، لا على نفس اللفظة.

واختلف في وصل ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾:

فروي عن أم سلمة عن النَّبيِّ ﷺ: «الرَّحِيمْ الْحَمْدُ»[(٦)]، تسكن الميم ويوقف

---

(١) الأحزاب: ٤٣، نقله ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٥).

(٢) في الحمزوية: «متعاضدة».

(٣) عطاء بن أبي مسلم الخراساني أحد الكبار، نزل دمشق والقدس، وحديثه عن أبي الدرداء وجماعة مرسل، وروى عن سعيد بن المسيب وعروة وجماعة، وعنه شعبة ومعمر ومالك والثوري، وثقه ابن معين. توفي رحمه الله سنة: (١٣٥هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٩٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (١/ ١٣٠).

(٥) ذكر ابن كثير (١/ ١٢٦) من أدلة هذا القول أيضاً ما جاء في حديث البخاري في الحديبية، وفيه: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم.

(٦) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه أبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص: ٤١)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» حتى عدَّ سبع آيات عدد الإعراب، وفي إسناده: عمر بن هارون، وهو البلخي، متروك الحديث، وقد اتهم بالكذب.

عليها ويبتدأ بألف مقطوعة، وقرأ به قوم من الكوفيين[١].

وقرأ جمهور الناس: «﴿ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ﴾» يعرب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالخفض، وتوصل الألف من ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [ومن يشأ][٢] أن يقدر أنه أسكن الميم ثم [لما وصل حركها][٣] للالتقاء ولم يعتد بألف الوصل [فذلك سائغ][٤]، والأول أخصر.

وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ: «الرحيمَ الحمد» بفتح الميم وصلة الألف، كأنها سكنت الميم وقطعت الألف، ثم أُلقيت حركتها على الميم وحذفت، ولم ترو هذه قراءةً عن أحد فيما علمت، وهذا هو نظر يحيى بن زياد في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١- ٢][٥].

❊ ❊ ❊

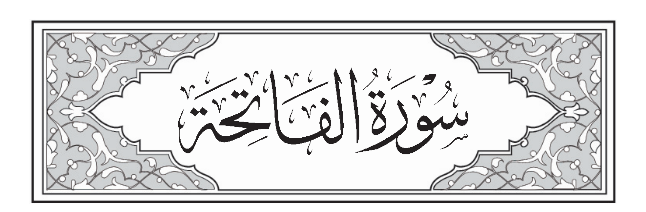
(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٢).

(٢) في الحمزوية: «ومنشأه»، وفي فيض الله وجار الله وأحمد٣ والسليمانية: «ومن شاء».

(٣) في المطبوع: لما وصل الألف حركتها.

(٤) في الحمزوية: «وذلك شائع».

(٥) وانظر: كتاب معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء (١/ ٥).



تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالىٰ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

قال ابن عباس[(١)]، وموسى بن جعفر[(٢)] عن أبيه، وعلي بن الحسين، وقتادة وأبو العالية ومحمد بن يحيى بن حبان[(٣)]: إنها مكية.

ويؤيد هذا أنَّ في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، والحجر مكية بإجماع[(٤)]، وفي حديث أبي بن كعب أنها السبع المثاني[(٥)]، والسبع الطُّوَل نزلت بعد الحجر [بمُدد][(٦)]، ولا خلاف أنَّ فرضَ الصلاة كان بمكة،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) هو الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني، والد علي الرضا، روى عن أبيه وغيره، وكان صالحاً، عالماً، عابداً، ثقة إماماً، توفي سنة (١٨٣هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤١٧).

(٣) هو محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ، أبو عبد الله الأنصاري البخاري المازني المدني الفقيه، روى عن رافع بن خديج وعبد الله بن عمر وأنس، وعنه ربيعة الرأي ومالك والليث وخلق، وهو مجمع على ثقته، توفي سنة (١٢١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٦٣).

(٤) تفسير الثعلبي (١/ ٩٠).

(٥) صحيح: وقد تقدَّم تخريجه عند ذكر القول في تفسير البسملة.

(٦) وفي المطبوعة ونور العثمانية: «بمدة».

وما حفظ أنه كانت قط في الإسلام صلاة بغير ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

وروي عن عطاء بن يسار[١]، وسوادة بن زياد[٢]، والزهري محمد بن مسلم[٣]، وعبد الله بن عبيد[٤] بن عمير أنَّ سورة الحمد مدنية[٥].

وأمَّا أسماؤها فلا خلافَ أنها يقال لها: فاتحة الكتاب؛ لأنَّ [موضعها][٦] يعطي ذلك، واختلف هل يقال لها: أم الكتاب؟:

فكره الحسن بن أبي الحسن ذلك، وقال: «أُمُّ الكتَابِ الحلَالُ وَالْحَرَامُ»[٧]، قال الله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال ابن عباس وغيره: يقال لها: أمُّ الكتاب، وقال البخاري: «سُمِّيت أم الكتاب لأنَّها يُبدأ بكتابتِها في المصحف وبقراءتها في الصلاة»[٨].

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن يسار المدني الفقيه، مولى ميمونة أم المؤمنين، كان قاصا واعظا ثقة جليل القدر، حدث عن أبي أيوب، وزيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة، وعنه: زيد بن أسلم، وغيره، وكان ثقة، توفي سنة (١٠٣هـ) تقريباً. تاريخ الإسلام (٧/ ١٧١).

(٢) هو سوادة بن زياد البرحي الحمصي، حدث عن خالد بن معدان، حدث عنه إسماعيل بن عياش توضيح المشتبه (١/ ٤٢٣).

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، الإمام القرشي الزهري المدني، أحد الأئمة الأعلام وحافظ زمانه، طلب العلم في أواخر عصر الصحابة، فروى عن بعضهم، وعنه الأوزاعي ومالك وغيرهما، توفي سنة (١٢٤هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٢٧).

(٤) في أحمد٣: «بن عبيد الله»، وهو أبو هاشم عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي، المكي، روى عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وعنه ابن جريج، والأوزاعي، كان من أفصح أهل مكة، وثقه أبو حاتم، توفي سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٠٣).

(٥) اشتهر هذا القول عن مجاهد، وخطأه فيه بعضهم، ونقله ابن كثير (١/ ١٠١) عنه وعن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري، والسيوطي في الإتقان (١/ ٤٦) عن ابن عطية عن المذكورين.

(٦) في الحمزوية: «موضوعها».

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٠).

(٨) صحيح البخاري كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب، وفيه: المصاحف بالجمع.

وفي تسميتها بأمِّ الكتاب حديثٌ رواه أبو هريرة[١]، واختلف هل يقال لها: أم القرآن؟ فكره ذلك ابن سيرين، وجوَّزه جمهور العلماء[٢].

قال يحيى بن يعمر: «أمُّ القرى مكةُ، وأمُّ خراسان مروُ، وأمُّ القرآنِ سورةُ الحمدِ»[٣].

وقال الحسن بن أبي الحسن: اسمها أمُّ القرآن[٤].

وأمَّا المثاني فقيل: سميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة.

وقيل: سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها[٥].

وأمَّا فضل هذه السورة فقد قال رسول الله ﷺ في حديث أبي بن كعب: «إِنَّهَا لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا»[٦].

ويروى أنها «تَعْدِلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ»[٧]، وهذا العدل إما أن يكون في المعاني، وإمَّا أن يكون تفضيلاً من الله تعالى لا يعلل، وكذلك يجيء عَدْلُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وعدل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١]، وغيره.

وروى أنس بن مالك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فَضْلُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ».

---

(١) صحيح: فقد أخرجه الإمام أحمد (١٥/ ٤٩١)، وأبو داود (١٤٥٩)، والترمذي (٣٣٧٤) وصححه، وغيرهم بسند صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه – مرفوعاً: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني»، وأخرجه البخاري ح (٤٧٠٤) بالسند نفسه لكن دون قوله: «أم الكتاب»، والله أعلم.

(٢) قول ابن سيرين أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن عن أيوب عنه، كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ١١).

(٣) نقله القرطبي (١/ ١١٢).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٠).

(٥) القرطبي (١/ ١١٢).

(٦) هو جزء من الحديث السابق ذكره.

(٧) ضعيف جدّاً: فقد أخرجه ابن عدي (٧/ ١٢٧)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٨٥) من حديث أبي بن كعب، وفيه سلام بن سليم المدائني، وهو متروك الحديث، انظر: تقريب التهذيب رقم (٢٧٠٢).

وورد حديث آخر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، / ومَنْ قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»(١). [١٧]

وهذا الحديث هو [في الذي يقولها](٢) من المؤمنين مؤتجراً طالبَ ثواب؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في ضمنها التوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قول: لا إله إلا الله توحيد فقط.

فأمَّا إذا [أخذا بموضعهما](٣) من شرع الملة ومحلِّهما من [دفع](٤) الكفر والإشراك فلا إله إلا الله أفضل، والحاكم بذلك قول النبيّ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(٥).

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: معناه: الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعمُّ من الشكر، لأنَّ الشكرَ إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، وشكره حمدٌ مّا، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً، فالحامد من الناس قسمان: الشاكر، والمُثْني بالصفات.

---

(١) إسناده جيد، لكن روي عن كعب الأحبار من قوله، وقيل: هو أصح: فقد أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٠) وغيرهما من طريق إسرائيل عن أبي سنان عن أبي صالح الحنفي عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً، لكن قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢١): «وقد روي هذا عن كعب من قوله، وقيل: إنه أصح من المرفوع» فالله أعلم.

(٢) ساقط من فيض الله.

(٣) في الحمزوية: «أخذنا بموضوعها». وفي المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «أخذ بموضعهما».

(٤) في الأصل: «رفع».

(٥) لا بأس به في الفضائل، فقد أخرجه بنحوه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤، ٤٢٢) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، وأخرجه الترمذي ح (٣٩٠٢) من طريق حماد بن أبي حميد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس بالقوي عند أهل الحديث»، وذكر ابن عبد البر هذين الطريقين وغيرهما وذكر أنّ فيها من لا يحتج به، ثم قال في التمهيد (٦/ ٣٩): «وأحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به».

وذهب الطبريُّ إلى أنَّ الشكرَ والحمدَ بمعنًى واحد[١]، [وإليه ذهب أيضا المبرد][٢] وذلك غير مرضي، وحكي عن بعض الناس أنَّه قال: «الشكر ثناء على الله [بأفعاله][٣] وإنعامه، والحمد ثناء بأوصافه».

قال القاضي أبو محمد: وهذا أصحُّ معنًى من أنهما بمعنى واحد.

واستدلَّ الطبريُّ على أنهما بمعنى [واحد][٤] بصحة قولك: الحمد لله شكراً[٥]، وهو في الحقيقة دليلٌ على خلاف ما ذهب إليه، لأنَّ قولك: شكراً، إنما خصصت به الحمد أنه على نعمة من [النعم][٦]؛ [لأنه أتى بالأخص بعد الأعم][٧].

وأجمع السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٨].

وروي عن سفيان بن عيينة[٩] ورؤبة بن العجَّاج: (الحمدَ لله) بفتح الدال وهذا على إضمار فعل، وروي عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن علي[١٠]: (الحمدِ لله)، بكسر الدال على إتباع الأول الثانيَ[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٨).

(٢) زيادة من أحمد٣.

(٣) وفي المطبوع والسليمانية: «بأفضاله».

(٤) من الحمزوية ونور العثمانية.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٨) وما بعدها.

(٦) وفي الحمزوية: «المنعم».

(٧) من أحمد٣.

(٨) قال الفراء في معاني القرآن (١/ ٣): «اجتمع القرّاء على رفع الحمد».

(٩) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبو محمد الكوفي ثم المكي، الإمام شيخ الإسلام، طلب الحديث وهو غلام، لقي الكبار، وسمع من الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، وخلق كثير، ورحل إليه من الآفاق، توفي سنة (١٩٨هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٩).

(١٠) هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المدني، روى عن أبيه وأخيه الباقر وعروة، وعنه ابن أخيه جعفر بن محمد وشعبة وآخرون، وكان أحد العلماء الصلحاء، بدت منه هفوة فقتل سنة (١٢٢هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٠٥).

(١١) القراءتان شاذتان. انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٣٧).

وروي عن ابن أبي عبلة[١]: (الحمدُ للهِ)، بضم الدال واللام، على إتباع الثاني الأول[٢].

قال الطبري: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال: قولوا: الحمد لله، وعلى هذا يجيء قولوا: إياك، وقال: وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه»[٣]، كما قال الشاعر:

[الوافر] وأعْلَمُ أَنَّنِي سَأكُونُ رَمْساً إذَا سَارَ النَّوَاعِجُ لا يَسِيرُ

فقَالَ السَّائِلُونَ: لِمَنْ حَفَرْتُمْ فقَالَ الْقَائِلُونَ لَهُمْ: وَزِيرُ[٤]

المعنى: المحفور له وزير، فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه، وهذا كثير.

وقرأت طائفة: (رَبَّ) بالنصب[٥]، فقال بعضهم: «هو نصب على المدح»، وقال بعضهم: «هو على النداء»، وعليه يجيء ﴿إِيَّاكَ﴾.

والرب في اللغة: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، والملك، تأتي اللفظة لهذه المعاني، فمما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر:

[الطويل] أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَد هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ[٦]

---

(١) هو إبراهيم بن أبي عبلة، واسمه شمر بن يقظان الشامي الدمشقي، ثقة كبير تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة في صحة إسنادها إليه نظر، توفي سنة إحدى ـ وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث ـ وخمسين ومئة. غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٩).

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٣٧)، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٣٨) عن كعب الأحبار.

(٤) البيتان للوزيري كما في البيان والتبيين (٣/ ١٢٧)، بلفظ: «من المسجى»، وفي معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٩٤) عن الفراء أنهما لبعض العامريين، والنواعج: الإبل السراع، وفي الحمزوية: «السائرون» بدل «السائلون»، وفي المطبوع: «المخبرون» بدل «القائلون».

(٥) قرأ بها زيد بن علي، انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٠٩)، وهي قراءة شاذة.

(٦) البيت لراشد بن عبد ربه كما في الطبقات الكبرى (١/ ٢٣٤)، وسماه في لسان العرب (١/ ٢٣٧): =

ومما جاء بمعنى السيد المالك قولهم: «رب العبيد والمماليك»، ومما جاء بمعنى القائم بالأمور الرئيس فيها قول لبيد:

وأَهْلَكْـنَ يَوْمـاً رَبَّ كِنْـدَةَ وابْنَـهُ ... ورَبَّ مَعَـدٍّ بَيْـنَ خَبـتٍ وعَرْعَـرِ[1] [الطويل]

ومما جاء بمعنى الملك قول النابغة:

تَخُـبُّ إِلَـىٰ النُّعْمَـانِ حَتَّـىٰ تَنَالَـهُ ... فِدًى لَكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفِي وتَالِدِي[2] [الطويل]

ومن معنى الإصلاح قولهم: أديم مربوب، أي: مصلح[3]، قال الشاعر:

كَانُـوا كسَـالِئَةٍ حَمْقَـاءَ إِذْ حَقَنَـتْ ... سِـلَاءَهَا فِـي أَدِيـمٍ غَيْـرِ مَرْبُوبِ[4] [البسيط]

ومن معنى الملك قول صفوان بن أمية يوم حنين لأخيه: لَأَنْ يَرُبَّني رجل من قريش خير من أن يربني [رجل من هوازن[5]][6].

ومنه قول ابن عباس في شأن عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان: «وإن كان

= غاوي بن ظالم السلمي، وهذا كان قبل إسلامه، ثم قال: وقيل: هو لأبي ذر الغفاري، وقيل هو لعباس ابن مرداس السلمي، رضي الله عنهم.

(١) تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والمخصص (٥/ ٢٢٧)، والحيوان (١/ ٢١٧)، ونسبه الثعلبي (١/ ١٠٩) للأعشى، ولعله خطأ.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٧).

(٣) بعدها في الحمزوية: «للإصلاح».

(٤) البيت للفرزدق كما في تفسير الطبري (١/ ١٤١)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٤٦٧)، والصحاح للجوهري (١/ ٥٥).

(٥) حسن: فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦/ ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٩٥) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر قال، فذكر أثراً فيه قول صفوان المستشهد به، وإسناده حسن، وقد حصل في المطبوع من صحيح ابن حبان تصحيف لهذه الكلمة ـ وهي قوله: «يربني» ـ إلى: «يليني»، وهي في المطبوع من موارد الظمآن (١/ ٤١٧) على الصواب.

(٦) في أحمد٣ والسليمانية بدلًا منه: «غيره».

لا بدَّ، لأن يربني رجلٌ من بني عمي أحبُّ إليَّ من أن يربني غيرهم»، ذكره البخاريُّ في تفسير سورة براءة[١]، ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] فكُنْتُ امْـرَأً أفْضَتْ إلَيْكَ رِبَابَتِي ... ومِـنْ قَبْلُ رَبَّتْني فضِعْتُ رُبُوبُ[٢]

وهذه الاستعمالات قد تتداخل، فالرب على الإطلاق الذي هو رب الأرباب على كل جهة هو الله تعالى.

والْعالَمون جمع عالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، يقال لجملته عالم، ولأجزائه من الجن والإنس وغير ذلك: عالَم، عالم، وبحسب ذلك يجمع على العالمين، ومن حيث عالم الزمان متبدل في زمان آخر حَسُن جمعها، ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه، وهو مأخوذ من العلم والعلامة؛ لأنه يدلُّ على مُوجده، كذا قال الزجاج[٣].

وقد تقدَّم القول في: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

فقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٤] قال الفارسي: «وكذلك قرأها قتادة والأعمش»[٥].

قال مكي: «وروى الزهري أنَّ رسول الله ﷺ قرأها كذلك بالألف، وكذلك قرأها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وطلحة والزبير»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ح (٤٣٨٩).

(٢) البيت لعلقمة الفحل كما في تفسير الطبري (١/ ١٤٢)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ١٨٦)، والجمهرة (١/ ٦٧) ومقاييس اللغة (٢/ ٣٨٣)، والصحاح للجوهري (١/ ١٣٣)، والمخصص (٥/ ٢٢٧)، والمفضليات (ص: ٣٩٤)، وفي المطبوع: «قبلك» بدل: «من قبل».

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦).

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني (ص١٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٠٤).

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٢).

(٦) الكشف لمكي ابن أبي طالب (١/ ٣٢).

وقرأ بقية السبعة ﴿مَلِك يوم الدين﴾، وأبو عمرو منهم يسكن اللام فيقرأ: (ملْك يوم الدين)، هذه رواية عبد الوارث[١] عنه[٢].

وروي عن نافع إشباع الكسرة من الكاف في ﴿مَلِك﴾ فيقرأ: (مَلِكي)[٣]، وهي لغة للعرب[٤] ذكرها المهدوي[٥].

وقرأ أبو حَيوةَ[٦]: (ملِكَ) بفتح الكاف وكسر اللام[٧].

وقرأ ابن السَّمَيْفَع[٨]، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وأبو صالح السمان، وأبو / عبد الملك الشامي[٩]: (مالكَ) بفتح الكاف[١٠]. [١٨]

---

(١) هو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التنوري البصري، إمام حافظ مقرئ ثقة، عرض القرآن على أبي عمرو، وروى عنه ابنه عبد الصمد وغيره، كان موصوفاً بالعبادة والفصاحة والبلاغة ولكنه اتهم بالقدر، توفي سنة (١٨٠هـ). غاية النهاية (١/ ٤٧٨).

(٢) كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٠٤) لكن الذي في النشر،والشاطبية،والتيسير لأبي عمرو الكسر فقط.

(٣) عزاها الغرناطي في تحفة الأقران (ص: ١٤٦) لرواية أبي أحمد بن صالح عن ورش عن نافع، وهي قراءة شاذة.

(٤) في أحمد**٣**: «العرب».

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٢٥).

(٦) هو أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة، روى عن أبي البرهسم وعن الكسائي، مات سنة (٢٠٣هـ). غاية النهاية (١/ ٣٢٥).

(٧) مختصر الشواذ (ص: ٩)، وهي قراءة شاذة.

(٨) محمد بن عبد الرحمن بن السميفع -بفتح السين- أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، وقيل: إنه قرأ على نافع، وقرأ أيضاً على طاوس بن كيسان عن ابن عباس. انظر غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٦١)، ولم أقف على تاريخ وفاته.

(٩) قال في غاية النهاية (١/ ٦١٨): هو أبو عبد الملك الشامي قاضي الجند، عرض على يحيى الذماري، وروى عنه أيوب بن تميم.

(١٠) انظر عزوها لعمر بن عبد العزيز في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٩)، ولابن السميفع والأعمش وأبي عبد الملك قاضي الجند، في تفسير الثعلبي (١/ ١١٤)، ولهم وللسمان في البحر المحيط (١/ ٣٦).

وهذان على النداء؛ ليكون ذلك توطئة لقوله: ﴿ إِيَّاكَ ﴾.

وَرَدَّ الطَّبريُّ على هذا، وقال: «إنَّ معنى السورة: قولوا: الحمد لله»، وعلى ذلك يجيء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿ ٱهْدِنَا﴾، وذكر أيضاً أنَّ مِن فصيحِ كلامِ العربِ الخروج من الغيبة إلى الخطاب[١]، وبالعكس»[٢]، كقول أبي كبير الهذلي[٣] [:

[الكامل] يَـا وَيْـحَ نَفْسِـي كَانَ جِلْـدَةُ خَالِـدٍ وبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلْتُّـرَابِ الأعْفَرِ[٤]

وكما قال لبيد:][٥]

[البسيط] بَاتَتْ تَشَـكَّىٰ إِلَـيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَـةً وقَـدْ حَمَلْتُكِ سَـبْعاً بَعْدَ سَـبْعِينَا[٦]

وكقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢].

وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ[٧]، والحسن بن أبي الحسن، وعلي بن أبي طالب: (ملَكَ يومَ الدِّين)، على أنه فعل ماض[٨].

وقرأ أبو هريرة: (مَليكِ) بالياء وكسر الكاف[٩].

---

(١) وفي الحمزوية: «الحضرة».

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٥٥).

(٣) هو عامر بن الحليس، شاعر جاهلي مشهور، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (٢/ ٦٥٩).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٥٤)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٧٧)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٦٤)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٦٧)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٥٣٣).

(٥) ساقط من جار الله.

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٥٤)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٦٠)، والعين (٣/ ٣٨٣)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٩٩)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٢٠١)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٧٩)، والأغاني (١٥/ ٣٥١)، وفي الحمزوية: «مجهدة» بدل: «مجهشة»، وفي نور العثمانية: «مجشمة».

(٧) في جار الله: معمر.

(٨) عزاها لهم إلا علياً الثعلبي (١/ ١١٤)، وزاد أبا حنيفة، وهي قراءة شاذة.

(٩) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٦)، وذكرها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٩) بلا نسبة، وهي قراءة شاذة.

قال أبو علي: «ولم يُمِل أحدٌ من القراء ألف: ﴿مَلِكِ﴾، وذلك جائزٌ، إلا أنَّه لا يقرأ بما يجوز، إلا أن يأتي بذلك أثر مستفيض»[١].

والمُلك[٢] والمِلك بضم الميم وكسرها وما تصرَّف منهما راجع كله إلى مَلَكَ بمعنى شد وضبط، ثم يختص كل تصريف من اللفظة بنوع من المعنى، يدلك على الأصل في مَلَكَ قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا[٣] .... [الطويل]

وهذا يصف طعنة فأراد: شددت، ومن ذلك قول أوس بن حُجْرٍ[٤]:

فمَلَّك باللَّيطِ الذي تَحْتَ قِشْرِهَا كغِرْقِئ بَيْضٍ كنَّه القيض مِنْ عَلُ[٥] [الطويل]

أراد: شدد، وهذا يصف صانع قوس ترك من قشرها ما يحفظ قلب القوس، و«الذي» مفعول وليس بصفة لـ«ليط»، ومن ذلك قولهم: إملاك المرأة، وإملاك فلان، إنما هو ربط النكاح، كما قالوا: عقدة النكاح، إذ النكاح موضع شد وربط، فالمالك للشيء شادٌّ عليه ضابط له، وكذلك المَلِك.

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٠).

(٢) سقطت من السليمانية.

(٣) تتمته: يَرى قائم من دونها ما وراءها، وهو لقيس بن الخطيم: كما في المعاني الكبير (٢/ ٩٧٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٤٠)، وعيار الشعر (ص: ٧٨)، والأغاني (٣/ ٤)، والموشح للمرزباني (ص: ٩٨)، وديوان المعاني (٢/ ٥١)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥٣).

(٤) هو أوس بن حجر بن عتّاب، قال ابن العلاء: كان فحل مضر، حتّى نشأ النابغة وزهير فأخملاه، وكان أوس عاقلاً في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للخمر والسلاح، ولا سيّما للقوس، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ١٩٨).

(٥) انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ١٠٦١)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥٧)، والخصائص (٣/ ١٧٥)، واللَّيط: قشر كل شيء فيه صلابة ومتانة، والغرقئ: القشرة الملتصقة ببياض البيض، والقيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة، وكنَّه: ستره.

واحتجَّ مَنْ قرأ: ﴿ملك﴾ بالقصر[١] بأنَّ لفظة: ﴿ملك﴾ أعمُّ من لفظة: ﴿مَـٰلِكِ﴾، إذ كلُّ ملكٍ مالكٌ، وليس كلُّ مالكٍ ملكاً[٢]، والمَلِك الذي يدبر المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

وتتابع المفسرون على سرد هذه الحجة، وهي عندي غير لازمة؛ لأنهم أخذوا اللفظتين مطلقتين لا بنسبة إلى ما هو المملوك وفيه الملك، فأمَّا إذا كانت نسبة الملك هي نسبة المالك فالمالك أبلغ، مثال ذلك: أن نقدر مدينةً آهلةً عظيمةً، ثم نقدر لها رجلاً يملكها أجمع، أو رجلاً هو مَلِكها فقط إنما يملك التدبير والإحكام، فلا شكَّ أنَّ المالك أبلغُ تصرفاً وأعظم، إذ إليه إجراء قوانين الشرع فيها، كما يقضي[٣] لكلِّ أحدٍ في [ماله][٤]، ثم عنده زيادة التملك، وملك الله تعالى ليوم الدين هو على هذا الحد، فهو مالكه وملكه، والقراءتان حسنتان.

وحكى أبو علي في حجة مَنْ قرأ: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ «أنَّ أوَّلَ مَنْ قَرَأ: ﴿ملك يوم الدين﴾ مروانُ بنُ الحكم[٥]، وأنه قد يدخل في المالك ما لا يدخل في الملك فيقال: مالك الدنانير والدراهم والطير والبهائم، ولا يقال: ملكها، ومالك في صفة الله تعالى يعم مِلك أعيان الأشياء ومِلك الحكم فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ [آل عمران: ٢٦].

---

(١) من أحمد٣.

(٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦).

(٣) من أحمد٣، وفي نور العثمانية: «كان».

(٤) في المطبوع وفيض الله: «ملكه».

(٥) الحجة (١/ ١٦)، وأصله في سنن أبي داود (٤/ ٣٧) مرسلًا، وهو مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية، أبو عبد الملك القرشي، ولد بعد الهجرة بسنتين، قال ابن حجر: لكن لم أر من جزم بصحبته، وأرسل عن النبيّ ﷺ، وروى عن غير واحد من الصّحابة، منهم: عمر، وعثمان، وكان يعدّ في الفقهاء، ومات سنة (٦٥هـ). الإصابة (٦/ ٢٠٣).

قال أبو بكر[١]: الأخبار الواردة تبطل أنَّ أوَّل مَنْ قرأ: ﴿ملك يوم الدين﴾ مروانُ بنُ الحكم، بل القراءة بذلك أوسع، ولعلَّ قائل ذلك أراد أنه أول من قرأ في ذلك العصر أو البلد ونحوه»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي الترمذي: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قرؤوا: ﴿ملك يوم الدين﴾ بغير ألف»[٣].

وفيه أيضاً: «أنهم قرؤوا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بألف»[٤].

قال أبو بكر: «والاختيار عندي: ﴿ملك يوم الدين﴾؛ لأنّ المُلك والمِلك يجمعهما معنًى واحد وهو الشد والرّبط، كما قالوا: مَلَكتُ العجين؛ أي: شددته، إلى غير ذلك من الأمثلة، والمُلك أفخم وأدخل في المدح، والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله سبحانه، فالمعنى: أنه مَلِك الملوك في ذلك اليوم، لا مُلك لغيره».

قال: «والوجه لمن قرأ: ﴿مَٰلِكِ﴾ أن يقول: إنَّ المعنى: أنَّ الله تعالى يملك ذلك اليوم أن يأتي به كما يملك سائر الأيام، لكن خصَّصه بالذكر لعظمه في جمعه وحوادثه»[٥].

قال أبو الحسن الأخفش: «يقال: ملك بيِّنُ الملك، بضم الميم، ومالك بيِّن

---

(١) هو أبو بكر محمد بن السري السراج النحوي.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٦).

(٣) ضعيف: فقد أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) وضعفه لانقطاع إسناده وغرابته.

(٤) حديث صحيح من مراسيل ابن المسيب، فقد أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٨) من طريق أيوب بن سويد الرملي عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس: «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ وأراه قال: وعثمان ـ كانوا يقرءون: ملك يوم الدين»، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث الزهري عن أنس بن مالك إلا من حديث هذا الشيخ أيوب بن سويد الرملي» ثم ذكر أن بعض أصحاب الزهري رواه عنه مرسلاً دون ذكر عثمان، ثم ذكر أن معمراً ويونس روياه عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلاً دون ذكر عثمان، ومراسيل سعيد بن المسيب مقبولة.

(٥) نقله عنه الفارسي في الحجة للقراء السبعة (١/ ١٣)، ومنه نقله ابن عطية.

المَلك والمِلك بفتح الميم وكسرها، وزعموا أنَّ ضمَّ الميم لغة في هذا المعنى، وروى بعض البغداديين: لي في هذا الوادي مِلك ومُلك ومَلك بمعنى واحد»[١].

قال [أبو علي][٢] : «حكى أبو بكر بن السَّراج[٣] عن بعض من اختار القراءة بـ﴿ملك﴾ أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فلا فائدة في قراءة من قرأ: ﴿مَـٰلِكِ﴾ لأنها [تكرير][٤]»[٥].

قال [أبو علي][٦] : «ولا حجة في هذا؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة، تقدُّم العامِّ ثم ذكر الخاص، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] فـ﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾ يعمُّ [الكل][٧]، وذكر ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ لما في ذلك من التنبيهِ على الصنعة ووجوه الحكمة، وكما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٤]، والغيب يعم الآخرة وغيرها، ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه/ على وجوب اعتقادها، والرد على الكفرة الجاحدين لها. [١٩]

وكما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فذكر ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ الذي هو عام، وذكر ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بعده لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾»[٨].

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٦).

(٢) في أحمد٣: «أبو بكر»، ولعلها سبق قلم.

(٣) هو أبو بكر محمد بن السريّ المعروف بابن السراج النحويّ، كان أحد العلماء المذكورين بالأدب والعربية، صحب أبا العباس المبرّد وأخذ عنه، روى عنه الزّجاجي والسّيرافي والرمانيّ، وكان ثقة، وله كتب فى النحو مفيدة، توفي سنة (٣١٦هـ). إنباه الرواة (٣/ ١٤٥).

(٤) وفي الحمزوية: «نكرة».

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٨).

(٦) في أحمد٣: «أبو محمد»، على أنه من تعقب ابن عطية، والأظهر أنه من تعقب الفارسي على ابن السراج.

(٧) من الحمزوية.

(٨) الأحزاب: ٤٣، وانظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٨).

قال القاضي أبو محمد: وأيضاً فإنَّ الرَّبَّ يتصرف في كلام العرب بمعنى الملك كقوله:

.... ومِنْ قَبْـلُ رَبَّتْنِي فضِعْـتُ رُبُوبُ[١] [الطويل]

وغير ذلك من الشواهد، فتنعكس الحجة على من قرأ: ﴿ملك يوم الدين﴾.

والجر في: ﴿مَلِك﴾، أو ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ على كلتا[٢] القراءتين هو على الصفة للاسم المجرور قبله، والصفات تجري على موصوفيها إذا لم تقطع عنهم لذم أو مدح.

والإضافة إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في كلتي القراءتين من باب:

يَـا سَـارِقَ اللَّيْلَـةِ أهْـلَ الـدَّارِ[٣] .... [الرجز]

اتُّسع في الظرف فنُصب نصبَ المفعول به، ثم وقعت الإضافة إليه على هذا الحد، وليس هذا كإضافة قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]؛ لأن ﴿ ٱلسَّاعَةِ ﴾ مفعول بها على الحقيقة، أي: إنه يعلم الساعة وحقيقتها، فليس أمرها على ما الكفار عليه من إنكارها.

وأمَّا على المعنى الذي قاله ابن السراج أن معنى ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ أنه يملك مجيئه ووقوعه، فإن الإضافة إلى اليوم كإضافة المصدر إلى الساعة؛ لأن اليوم على قوله مفعول به على الحقيقة، وليس ظرفاً اتُّسع فيه.

قال أبو علي: «ومن قرأ: ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فأضاف اسم الفاعل إلى الظرف المتسع فيه فإنه حذف المفعول من الكلام للدلالة عليه، تقديره: مالك يوم الدين

---

(١) سبق ذكره في المقطع السابق.

(٢) كتبت في جميع النسخ في الموضعين «كلتي»، مع أن كلا وكلتا لا يجران بالياء إلا إذا أضيفا لمضمر إلا لغة كنانة كما في توضيح المقاصد والمسالك للمرادي (١/ ٣٢٦)، ويحتمل أن تكون كتبت بالياء غير المنقوطة على جهة القصر، وهو أيضاً خطأ إملائي.

(٣) ورد في معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٠) مسبوقاً بلفظ: وقال آخر، على أنه شعر غير منسوب، واستشهد به سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٦).

الأحكامَ، ومثل هذه الآية في حذف المفعول به مع الظرف قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فنصب ﴿ٱلشَّهْرَ﴾ على أنه ظرف، والتقدير: فمن شهد منكم المصر في الشهر، ولو كان الشهر مفعولاً للزم الصوم للمسافر؛ لأنَّ شهادته للشهر كشهادة المقيم، و﴿شَهِدَ﴾ يتعدى إلى مفعول، يدلك على ذلك قول الشاعر:

[الطويل] ويَوْماً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وعَامِراً[١] ....

و«الدين» لفظ يجيء في كلام العرب على أنحاء، منها:

الملة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] إلى كثير من الشواهد في هذا المعنى، وسمي حظ الرجل منها في أقواله وأعماله واعتقاداته ديناً، فيقال: فلانٌ حسنُ الدين، ومنه قول النبي ﷺ في رؤياه في قميص عمر الذي رآه يجره، قيل: «فَمَا أَوّلتَه يَا رَسُولَ الله؟» قَالَ: «الدِّينُ»[٢].

وقال علي بن أبي طالب: «مَحَبّةُ الْعُلَماءِ دِينٌ يُدانُ بِهِ»[٣].

ومن أنحاء اللفظة: الدِّين بمعنى العادة، فمنه قول العرب في الريح: «عَادَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِها»[٤].

---

(١) إلى هنا انتهى كلام أبي علي السابق، وهذا صدر بيت عجزه: قَلِيلًا سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوَافِلُهْ، نسبه سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٨) لرجل من بني عامر، الرواية فيه وفي أكثر المصادر: «ويومٍ»، والبيت يعزى لابن ميادة.

(٢) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٢٣، ٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩) ومسلم ح (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: فقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧٩-٨٠) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٢٥٠) وأبو الحسين الصيرفي الحنبلي في الطيوريات (٢/ ٦٠٩) في أثناء نصيحة علي لِكُميل بن زياد، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٥): «إسناده لين».

(٤) قال ابن سلام في الأمثال (١/ ٢٨١): يعني عادتها، قال: وأصل الهيف السَّموم، وعادتها أنها تجفف كل شيء وتوبسه.

ومنه قول امرئ القيس:

كدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا[١] .... [الطويل]

البيت، ومنه قول الشاعر:

.... أهَــذَا دِيــــنُــهُ أبَــداً ودِيــنِــي[٢] [الوافر]

إلى غير ذلك من الشواهد، يقال: دين ودينة؛ أي: عادة.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: سيرة الملك وملكته، ومنه قول زهير:

لَئِـنَ حَلَلْـتَ بجَـوٍّ فِـي بَنِـي أَسَـدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ[٣] [البسيط]

أراد: في موضع طاعة عمرو وسيرته.

وهذه الأنحاء الثلاثة لا يفسر بها قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الجزاء، فمن ذلك قول الفِنْد الزِّمَّاني[٤]:

ولَــمْ يَـبْـقَ سِـــوَىٰ الــعُــدْوَا نِ دِنَّــاهُــمْ كَـمَـا دَانُـــوا[٥] [مجزوء الوافر]

(١) عزاه له بهذا اللفظ ابن الأنباري في الزاهر (١/ ٢٧٩)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٨)، والقالي في الأمالي (٢/ ٢٩٥)، وعجزه: وَجَارتها أم الرباب بِمَأسَلِ، وهو من معلقته المشهورة، ورواية الطبري (٦/ ٢٢٥) : كدأبك وعليه فلا شاهد فيه.

(٢) البيت للمثقب العبدي، وصدره: تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضينِي، وهو معزو له في تفسير الثعلبي (١/ ١١٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٧)، والأمالي للقالي (٢/ ٢٩٥) والمفضليات (١/ ٢٩٢)، وغيرها.

(٣) البيت لزهير كما في مجاز القرآن (١/ ٢٥٥)، والجيم (١/ ٢٦٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٦)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٥٩)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٩٨)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٥)، وفدك قرية.

(٤) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان من بكر بن وائل، الفند لقب غلب عليه، شبه بالفند وهو القطعة العظيمة من الجبل، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المئة السنة فأبلى بلاء حسناً في يوم التحالق. الأغاني (٢٤/ ٨٥).

(٥) انظر عزوه له في ديوان الحماسة بشرح التبريزي، (١/ ٦)، والأغاني (٢٤/ ٨٣)، والأمالي للقالي (١/ ٢٦٠).

أي: جازيناهم، ومنه قول كعب بن جُعيلٍ[١]:

[المتقارب] إذَا مَـا رَمَـوْنَـا رَمَـيْـنَـاهُـم ودِنَّاهُـمُ مِثْـلَ ما يُقْرِضُونَـا[٢]

ومنه قول الآخر:

[الكامل] واعْلَـمْ يَقِيناً أنَّ مُلْكَكَ زَائـلٌ واعْلَـمْ بَـأنَّ كَمَـا تَدِيـنُ تُـدَانُ[٣]

وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح لتفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج[٤]، وقتادة، وغيرهم[٥].

قال أبو علي: «يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [غافر: ١٧]، و﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٨]»[٦]، وحكى أهل اللغة: «دنته بفعله دَيناً ـ بفتح الدال ـ ودِيناً بكسرها: جزيته، وقيل: الدَّين المصدر، والدين بكسر الدال الاسم»[٧].

---

(١) هو كعب بن جعيل بن عجرة من تغلب، شاعر إسلامي مفلق في أول الإسلام، وهو أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام شهد معهم صفين، معجم الشعراء (ص: ٣٤٤).

(٢) عزاه له تفسير الطبري (١/ ١٥٥)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٥٨)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٢٢٨).

(٣) عزاه في مجاز القرآن (١/ ٢٣) لابن نُفيل، وسمـاه في جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ١٦٨): يزيد بن الصعق الكلابي، في قصة مشهورة، وجاء اسمه في لسان العرب (١٣/ ١٦٩) وتاج العروس (٣٥/ ٥٢): خويلد بن نوفل الكلابي.

(٤) ابن جريج: هو أبو الوليد: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الأموي مولاهم المكي، وأول مَن دوَّن العلم بمكة. روى عن عطاء، وروى عنه الأوزاعي والليث ويحيى بن سعيد الانصاري (ت ١٥٠هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩).

(٦) الحجة (١/ ٣٩).

(٧) من المحكم لابن سيده (٩/ ٣٩٩).

وقال مجاهد: «﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، أي: يوم الحساب، مدينين: محاسبين»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي يرجع إلى معنى الجزاء.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الذل، والمَدين: العبد، والمَدينة: الأمَة، ومنه قول الأخطل[(٢)]:

رَبَـتْ وَرَبَا فـي حِجْرِهَا ابـنُ مَدِينَةٍ تَـرَاهُ عَـلـىٰ مِسْـحَـاتِهِ يَتَـرَكَّلُ[(٣)] [الطويل]

أي: ابن أمة، وقيل: بل أراد ابن مدينة من المدن، الميم أصلية، ونسبه إليها كما يقال: ابن ماء، وغيره، وهذا البيت في صفة كرمة، فأراد أن أهل المدن أعلم بفلاحة الكرم من أهل بادية العرب.

ومن أنحاء اللفظة: الدين: السياسة، والديَّان: السائس، ومنه قول ذي الأصبع[(٤)]:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ يَومـاً ولا أَنْـتَ دَيّانـي فتَخْزُوني[(٥)] [البسيط]

تسوسُني[(٦)].

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الحال.

---

(١) نقله عنه مكي في الهداية (١/ ١٠٤)، والجزء الأخير منه في تفسير مجاهد (ص: ٦٤٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٥٧).

(٢) هو غياث بن غوث التغلبي ويكنى أبا مالك، وكان يشبّه (من شعراء الجاهلية) بالنابغة الذّبيانيّ. الشعر والشعراء (١/ ٤٧٣).

(٣) نسبه له الخليل في العين (٥/ ٣٥٣)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٥٢)، وابن قتيبة في المعاني الكبير (١/ ٤٧٢)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٣١)، والجوهري في الصحاح (٤/ ١٧١٣)، ويتركل على مسحاته: أي: يضربها برجله لتغيب في الأرض.

(٤) هو حرثان بن محرّث العدواني، وكان جاهليّاً، وسمِّي ذا الإصبع لأنَّ حيّة نهشته فى إصبعه فقطعها. الشعر والشعراء (٢/ ٦٩٧).

(٥) انظر عزوه له في الأزمنة لقطرب (ص: ٣٢)، وأمالي القالي (١/ ٢٥٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩٦)، والمفضليات (ص: ١٦٠)، وأدب الكاتب (ص: ٥١٢)، والأغاني (٣/ ١٠٠).

(٦) من جار الله.

[٢٠] قال النضر بن شميل[١]: / «سألتُ أعرابيّاً عن شيءٍ فقال لي: لو لقيتني على دينٍ غيرِ هذه لأخبرتُكَ»[٢].

ومن أنحاء اللفظة: الدين: الداء، عن اللحياني[٣]، وأنشد:

[البسيط] يَا دِينَ قَلبِكَ مِنْ سَـلْمَىٰ وَقَدْ دِينَا[٤] ....

قال القاضي أبو محمد: أمَّا هذا الشاهد فقد يتأول على غير هذا النحو، فلم يبق إلا قول اللحياني.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نُطقُ المؤمن به إقرار بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك، وقدَّم المفعول على الفعل اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم.

ويذكر أن أعرابيّاً سبَّ آخر، فأعرض المسبوب عنه، فقال له السابُّ: «إياك أعني» [فقال الآخر][٥] : «وعنك أُعرض»[٦]، فقدَّما الأهم.

---

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة، أبو الحسن المازني البصري النحوي اللغوي الحافظ، روى عن: حميد الطويل، وهشام بن عروة، وطائفة كبيرة، وعنه: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وخلق، وثقه غير واحد توفي سنة (٢٠٤هـ). تاريخ الإسلام (١٤/ ٤١١).

(٢) أمالي القالي (٢/ ٢٩٥).

(٣) هو علي بن حازم، وقيل: علي بن المبارك اللّحياني، لغويٌّ مذكور، وأخذ عنه العلماء، عاصر الفرّاء وتصدّر في أيامه، وللّحيانيّ كتاب في النوادر حسن جليل، وأخذ عنه القاسم بن سلّام. إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٢٥٥).

(٤) البيت في العين (٨/ ٧٣)، والمخصص لابن سيده (٣/ ٣٢٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣١٩)، كلهم بلا نسبة، ويقرب منه قول الآخر: ألا يا دين قلبك من سليمى كما قد دين قلبك من سعادا، نسبه في الأغاني (٩/ ٣٠٧)، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ٣٨) لأشهب بن رميلة، قالا: وقيل: لابن أبي رميلة الضبي.

(٥) وفي الحمزوية: «فقال له المسبوب».

(٦) انظر القصة في الكامل للمبرد (٣/ ٦١).

وقرأ الفضل الرَّقَاشي[١]: (أَيَّاكَ) بفتح الهمزة، وهي لغة مشهورة، وقرأ عمرو ابن فائد[٢]: (إِيَاكَ) بكسر الهمزة وتخفيف الياء[٣]، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها، وهذا كتخفيف «رُبَّ» و«إنَّ»، وقرأ أبو السَّوَّار الغَنَوي[٤]: (هيَّاكَ نَعْبُدُ وهِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بالهاء[٥]، وهي لغة.

واختلف النحويون في ﴿إِيَّاكَ﴾:

فقال الخليل: «إيّا: اسم مضمر أضيف إلى ما بعده للبيان لا للتعريف، وحَكَى عن العرب: إِذَا بَلَغَ الرَّجلُ السِّتِينَ فإيَّاهُ وإيَّا الشَّوابِّ»[٦].

وقال المبرد: «إيّا: اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف»[٧]، وحكى ابن كيسان[٨] عن بعض الكوفيين أنّ ﴿إِيَّاكَ﴾ بكماله اسمٌ مضمر، ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره غيره.

---

(١) هو أبو عيسى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي البصري الواعظ، روى عن أنس بن مالك وابن المنكدر، وعنه سفيان وحماد بن زيد ومعتمر بن سليمان وغيرهم، ضعفه أحمد، وقال ابن معين: رجل سوء قدري، توفي سنة (٩٥هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٥١).

(٢) هو عمرو بن فائد أبو علي الأسواري البصري، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى عنه الحروف حسان بن محمد الضرير وبكر بن نصر العطار غاية النهاية (١/ ٦٠٢).

(٣) انظر القراءتين في المحتسب لابن جني (١/ ٤٠)، وكلاهما شاذة.

(٤) هو أبو سوّار الغنويّ أعرابيٌّ فصيح، أخذ عنه أبو عبيدة فمن دونه، وله مجلس مع محمد بن حبيب وأبي عثمان المازنيّ. إنباه الرواة (٤/ ١٢٨).

(٥) انظر عزوها له في الإبانة لمكي (ص: ١٢٤)، وهي قراءة شاذة، وفي الحمزوية: «أبو السماك».

(٦) نقله سيبويه في الكتاب (١/ ٢٧٩)، ومكي في الهداية (١/ ١٠٥) عن الخليل، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٦٩٥).

(٧) عبارة ابن الأنباري في الإنصاف (٢/ ٦٩٥): وذهب المبرد إلى أنه اسم مبهم أضيف للتخصيص، ولا يعلم اسم مبهم أضيف غيره.

(٨) هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، أحد المذكورين بالعلم الموصوفين بالفهم، وكان يحفظ مذهب البصريين في النحو والكوفيين؛ لأنه أخذ عن المبرّد وثعلب. وله مصنفات مشهورة في اللغة والنحو، توفي سنة (٢٩٩هـ). إنباه الرواة (٣/ ٥٧).

وحكي عن بعضهم أنه قال: «الكاف والهاء والياء هي الاسم المضمر، لكنها لا تقوم بأنفسها ولا تكون إلا متصلات، فإذا تقدمت الأفعال جعل «إيّا» عماداً لها، فيقال: إياك وإياه وإيّاي، وإذا تأخرت اتصلت بالأفعال واستغني عن إيا».

وحكي عن بعضهم أنَّ «إيا» اسم مبهم يكنى به عن المنصوب، وزيدت الكاف والهاء [والياء][١] تفرقة بين المخاطب والغائب والمتكلم، ولا موضع لها من الإعراب، فهي كالكاف في «ذلك» وفي: أرايتك زيداً ما فعل[٢].

و﴿نَعۡبُدُ﴾ معناه: نقيم الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة، والطريق المذلل يقال له: معبد، وكذلك البعير، وقال طرفة:

[الطويل] تُبَـارِي عِتَـاقَ النَّاجيـاتِ وأَتْبَعـت وَظِيفـاً وظيفـاً فـوق مَـوْرٍ مُعَبَّدِ[٣]

وتكررت ﴿إِيَّاكَ﴾ بحسب اختلاف الفعلين، فاحتاج كل واحد منهما إلى تأكيد واهتمام.

و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ معناه: نطلب العون منك في جميع أمورنا، وهذا كله تبرؤ من الأصنام.

وقرأ الأعمش وابن وثاب والنخعي[٤]: (نِسْتَعِينُ) بكسر النون[٥]، وهي لغة

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر كلام ابن كيسان وما بعده في المحكم لابن سيده (١٠/ ٥٩٦)، وانظر أيضاً: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٣).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٦١)، وجمهرة أشعار العرب (ص٣٠٩)، والمخصص لابن سيده (٤/ ٦٢)، وهو من معلقته، وفي المطبوع: «عتاقا ناجيات» بالتنوين، وهي الرواية في أكثر المصادر، والمور: الطريق، والناجيات: السراع.

(٤) هو أبو عمران: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، من مذحج، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً له مذهب، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً توفي سنة (٩٦ هـ). تقريب التهذيب (١/ ١١٨).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لابن وثاب والأعمش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠)، ولم أجدها للنخعي.

لبعض قريش في النون والتاء والهمزة، ولا يقولونها في ياء الغائب، وإنما ذلك في كل فعل سمي فاعله فيه زوائد أو فيما يأتي من الثلاثي على فَعِلَ يَفْعَلُ بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل نحو: علم وشرب، وكذلك فيما جاء معتلَّ العين نحو: خال يخال، فإنهم يقولون: تِخال وإخال.

و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ أصله: نَسْتَعْوِنُ، نقلت حركة الواو إلى العين وقلبت ياءً لانكسار ما قبلها، والمصدر: استعانة، أصله: استعواناً، نقلت حركة الواو إلى العين، فلما انفتح ما قبلها وهي في نية الحركة انقلبت ألفاً، فوجب حذف أحد الألفين الساكنين، فقيل: حذفت الأولى؛ لأن الثانيةَ مجلوبة لمعنى، فهي أولى بالبقاء، وقيل: حذفت الثانية؛ لأنَّ الأولى أصليةٌ فهي أولى بالبقاء، ثم لزمت الهاء عوضاً من المحذوف.

وقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ رغبةٌ لأنها من المربوب إلى الرب، وهكذا صيغة الأمر كلها، فإذا كانت من الأعلى فهي أمر، والهداية في اللغة: الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد.

فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[البقرة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[القصص: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾[الأنعام: ١٢٥]، قال أبو المعالي: «فهذه آيات لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي: داع، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذا أيضاً يبين فيه الإرشاد؛ لأنه ابتداء إرشاد، أجاب المدعو أو لم يجب.

---

(١) نقله الثعالبي (١/ ٢٤).

وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، قال المفسرون: «معناه: ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها»، وهذا أيضاً يبين فيه معنى الإرشاد، وقد جاء الهدى بمعنى: البيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، قال المفسرون: معناه: بينا لهم.

قال أبو المعالي: «معناه: دعوناهم»[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، أي: إن علينا أن نبين، وفي هذا كله معنى الإرشاد.

قال أبو المعالي: «وقد تَرِدُ الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك[٢] [٢١] الجنان والطرق المفضية إليها»[٣]، من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: / ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣]، معناه: فاسلكوهم إليها.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الهداية بعينها هي التي [تقال][٤] في طرق الدنيا، وهي ضد الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ على صحيح التأويل، وذلك بيِّن من لفظ الصِّراط.

و«الهدى» لفظ مؤنث، وقال اللحياني: «هو مذكر»[٥] قال ابن سيده[٦]:

---

(١) نقله عنه الثعالبي (١/ ١٦٧)، وهو قول سفيان الثوري كما في تفسيره (ص٢٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٦٩)، وقول مجاهد ـ أيضاً ـ كما في تفسير البغوي (٤/ ١٢٩)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٨).

(٢) كتبت في السليمانية: «مسلة».

(٣) نقله عنه القرطبي (١/ ١٦٠).

(٤) وفي الحمزوية: «تنال».

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٧٠).

(٦) هو أبو الحسن المرسي اللغوي، المعروف بابن سيده، مصنف المحكم في اللغة، والمخصص، وغيرهما، وقال الحميدي: كان إماما في اللغة والعربية، حافظاً لهما، على أنه كان ضريراً، وله في الشعر حظ وتصرف، توفي سنة (٤٥٨هـ). تاريخ الإسلام (٣٠/ ٤٤٨).

«والهدى: اسم من أسماء النهار»[١]، قال ابن مُقْبل[٢]:

حتّىٰ استبَنْتُ الهُدىٰ والبِيدُ هاجمةٌ   يخشَعْن في الآل غُلْفاً أو يُصلِّينا[٣]   [البسيط]

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في اللغة: الطريق الواضح، فمن ذلك قول جرير:

أَمِيرُ الْـمُؤْمِـنِـينَ عَـلَـىٰ صِـرَاطٍ   إِذَا اعْوَجَّ الْـمَوَارِدُ مُـسْـتَـقِـيمِ[٤]   [الوافر]

ومنه قول الآخر:

....   فَصُدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّـراطِ القَاصِدِ[٥]   [الرجز]

وحكى النقاش [أن][٦] الصراط: الطريق بلغة الروم[٧]، وهذا ضعيفٌ جدّاً.

واختلف القُرَّاءُ في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾:

فقرأ ابن كثير وجماعة من العلماء: ﴿السِّرَاطَ﴾ بالسين، وهذا هو أصلُ اللفظة، قال الفارسي: «ورويت عن ابن كثير بالصاد»[٨].

---

(١) المحكم (٤/ ٣٧٢).

(٢) هو تميم بن أُبي بن مقبل، من بني العجلان ثم من بني عامر بن صعصعة، شاعر مجيد مغلب غلب عليه النجاشي الشاعر، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ٤٤٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٥٠)، والإصابة (١/ ٤٩٦).

(٣) انظر عزوه له في الحجة للفارسي (١/ ١٨٦)، وسمط اللآلي (٢/ ٩٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٨٦)، والمخصص (٣/ ٧٤)، وفي الحمزوية: «استبان» بدل «استبنت».

(٤) انظر عزوه له في الطبري (١/ ١٧٠)، وأساس البلاغة (١/ ٦٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٦٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤).

(٥) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٢٤)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٨)، وفي نور العثمانية: «نهج الطريق»، وهي كذلك في اللباب في علوم الكتاب (١/ ٢٠٥)، ولعلها خطأ، إذ لا شاهد في البيت حينئذ.

(٦) من الحمزوية.

(٧) نقله السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٣٥) عنه وعن ابن الجوزي، قال: «ثم رأيته في كتاب الزينة لأبي حاتم».

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٩)، والروايتان صحيحتان عن ابن كثير: السين لقنبل، والصاد للبزي، كما في التيسير (ص: ١٨).

وقرأ باقي السبعة غير حمزة بصاد خالصة، وهذا بَدَلُ السين بالصاد لتناسُبها مع الطاء في الإطباق فيحسنان في السمع، وحكاها سيبويه لغة[١].

قال أبو علي: «روي عن أبي عمرو السين والصاد، والمضارعة بين الصاد والزاي، رواه عنه العريان بن أبي سفيان[٢]، وروى الأصمعي[٣] عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة»[٤].

قال بعض اللغويين: «ما حكاه الأصمعي من هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة فتوهمها زاياً، ولم يكن الأصمعي نحويّاً فيؤمنَ على هذا»[٥].

قال القاضي أبو محمد: وحكى هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر بن مجاهد[٦].

وقرأ حمزة بين الصاد والزاي، وروي أيضاً عنه أنه إنما يلتزم ذلك في المعرفة دون النكرة[٧].

قال ابن مجاهد: «وهذه القراءة تكلُّفُ حرف بين حرفين، [وذلك][٨] أصعب

---

(١) انظر: المخصص لابن سيده (٣/ ٣٠٦).

(٢) العريان بن أبي سفيان بن العلاء المازني البصري، روى عن عمه أبي عمرو، وكان أبوه ثقة روى الناس عنه. إنباه الرواة (٤/ ١٣٢).

(٣) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي الأصمعي البصري، صاحب اللغة، كان إمام زمانه في علم اللسان، روى عن: أبي عمرو بن العلاء، وقرة بن خالد، وعنه خلق، وله مؤلفات مشهورة، توفي سنة (٢١٦هـ). تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٧٤).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٤٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٦).

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٥١).

(٦) وهو في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٠٥).

(٧) الروايتان في السبعة لابن مجاهد (١/ ١٠٦)، ونقل في التيسير (ص: ١٨) الإشمام عن خلف مطلقاً، وعن خلاد في «الصراط» هنا.

(٨) في أحمد٣ بدلًا منه: «وهذه القراءة».

على اللسان، وليس بحرف يبنى عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام فصحاء العرب، إلا أن الصاد أفصح وأوسع»[١].

وقرأ الحسن، والضحاك: (اهدنا صراطاً مستقيماً) دون تعريف[٢].

وقرأ جعفر بن محمد الصادق: (اهدنا صراطَ المستقيم) بالإضافة[٣].

وقرأ ثابت البناني[٤]: (بصِّرْنا الصراط)[٥].

واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في هذا الموضع، وما المراد به؟:

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصِّراط الْمُسْتَقِيم هنا: القرآن»[٦].

وقال جابر: «هو الإسلام، يعني: الحنيفية»، وقال: «سعته ما بين السماء والأرض»[٧].

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٥١).

(٢) انظر قراءة الحسن في المحتسب (١/ ٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١٦٤)، وقراءة الضحاك في الشواذ للكرماني (ص: ٤٤).

(٣) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (ص: ١٢٥).

(٤) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني أحد أئمة التابعين بالبصرة، روى عن ابن عمر وأنس بن مالك وطائفة، وعنه حميد الطويل وخلائق، وكان رأسا في العلم والعمل ثقة ثبتاً رفيعاً، ومناقبه كثيرة. مات ثابت سنة (١٢٣هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٥٤).

(٥) الإبانة عن معاني القراءات (ص: ١٢٥)، وليس هذا قرآناً، وإنما هو تفسير.

(٦) ضعيف: فقد أخرجه أحمد (١/ ٩١)، والترمذي ح (٢٩٠٦)، والطبري في تفسيره (١٧٢)، وغيرهم من حديث علي، واختلف في رفعه ووقفه، وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم الترمذي، وابن عدي في الكامل (٤/ ٥)، وفي سنده الحارث الأعور، وأكثر الأئمة على عدم الاحتجاج بحديث الحارث، انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٤٥).

(٧) إسناده يُحتمل منه مثل هذا: فقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٤) من طريق: الحسن بن صالح ابن حي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر نحوه، وابن عقيل فيه كلام، إلا أن مثل هذا الأثر يقبل من مثله، والله تعالى أعلم، انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١٣-١٤).

وقال محمد بن الحنفية[١]: «هو دينُ اللهِ الَّذي لا يقبل من العباد غيره»، وقال أبو العالية: «هو رسولُ اللهِ ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر»، وذكر ذلك للحسن بن أبي الحسن، فقال: «صدق أبو العالية ونصح»[٢].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: ويجتمع من هذه الأقوال كلها أنَّ الدعوةَ إنما هي في أن يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، في معتقداته، وفي التزامه لأحكام شرعه، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام، وهو حال رسول الله ﷺ وصاحبيه، وهذا الدعاء إنما أمر به المؤمنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الأعمال، فمعنى قولهم: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ فيما هو حاصل عندهم: طلبُ التثبيت والدوام، وفيما ليس بحاصل ـ إما من جهة الجهل به أو التقصير في المحافظة عليه ـ: طلب الإرشاد إليه.

وأقول: إن كل داع به فإنما يريد الصِّراطَ بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته، فيحسُن على هذا أن يدعو في الصراط على الكمال من عنده بعضه.

ولا يتجه أن يراد بـ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ في هذه الآية: اخلق الإيمان في قلوبنا؛ لأنها هدايةٌ مقيدةٌ إلى صراط، ولا أن يراد بها ادعنا، وسائر وجوه الهداية يتجه.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ ﴾ نصب على المفعول الثاني، و﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي لا عوج فيه ولا انحراف، والمراد أنه استقام على الحق وإلى غاية الفلاح، ودخول الجنة، وإعلال مستقيم أن أصله مُستَقْوِم نقلت الحركة إلى القاف وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من الأول.

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم الهاشمي، ابن الحنفية، واسمها خولة بنت جعفر، ولد في صدر خلافة عمر، وروى عن: أبيه، وعثمان، وعمار بن ياسر، وعنه: بنوه الحسن، وعبد الله، وعمر، وجماعة. توفي سنة (٨١هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٨١).

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١/ ١٧٥).

وقرأ عمر بن الخطاب، وابن الزبير: (صراطَ مَن أنعمتَ عليهم)[(١)].

و﴿الَّذِينَ﴾ جمع الذي، وأصله: لذٍ، حذفت منه الياء للتنوين كما تحذف من عَمٍ، وقاضٍ، فلما دخلته الألف واللام ثبتت الياء.

و«الذي»: اسم مبهم ناقص محتاج إلى صلة وعائد، وهو مبني في إفراده وجمعه معرب في تثنيته، ومن العرب من يعرب جمعه، فيقول في الرفع: اللذون، وكتب الذي بلام واحدة في الإفراد والجمع تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

واختلف الناس في المشار إليهم بأنه أنعم عليهم:

فقال ابن عباس وجمهور من المفسرين: «إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»[(٢)]، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا / * وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا [٢٢] مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٩]، فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد.

وقال ابن عباس أيضاً: «المنعم عليهم: هم المؤمنون»[(٣)].

وقال الحسن بن أبي الحسن: «المنعم عليهم: أصحاب محمد ﷺ»[(٤)].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٢)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٩)، و(ص: ٢٠٧)، وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف.

(٢) هذا الأثر عن ابن عباس ضعيف: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) من طريق: بشر بن عُمَارة عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس، وبشر ضعيف، وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس، كما تقدم.

(٣) منقطع: فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٨) من طريق حجاج عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس. وهو منقطع.

(٤) انظره في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١١٢).

وحكى مكي وغيره عن فرقة من المفسرين «أنَّ المنعم عليهم مؤمنو بني إسرائيل، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]»[١].

وقال ابن عباس: «المنعم عليهم: أصحاب موسى قبل أن يبدِّلوا»[٢]، وهذا والذي قبله سواءٌ، وقال قتادة بن دعامة: «المنعم عليهم الأنبياء خاصة»[٣].

وحكى مكي عن أبي العالية أنه قال: «المنعم عليهم محمد ﷺ وأبو بكر وعمر»[٤].

وقد تقدم ما حكاه عنه الطبري من أنه فسر الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ بذلك، وعلى ما حكى مكي ينتقض الأول ويكون ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ طريق محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا أقوم[٥] في المعنى؛ لأن تسمية أشخاصهم طريقاً تجوزٌ.

واختلف القراء في الهاء من ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

فقرأ حمزة: ﴿عليهُم﴾ بضم الهاء وإسكان الميم، وكذلك ﴿لديهُم﴾ و﴿إليهُم﴾، وقرأ الباقون في جميعها بكسر الهاء[٦]، واختلفوا في الميم:

فروي عن نافع التخيير بين ضمها وسكونها، وروي عنه أنه كان لا يعيب ضم الميم، فدل ذلك على أن قراءته كانت بالإسكان[٧].

---

(١) انظر الهداية لمكي (١/ ١١٢).

(٢) أورده الزمخشري في كشافه (١/ ٥٨).

(٣) نقله عنه مكي في الهداية (١/ ١١٣)، ونقله الطبري (١/ ١٧٦) عن ربيع.

(٤) الهداية لمكي (١/ ١١٢).

(٥) في الأصل: «أقوى»، وفي هامشه: «أقوم»، وعليها علامة تصحيح.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ١٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٨).

(٧) قاله ابن مجاهد (ص: ١٠٨)، والذي في التيسير (ص: ١٩) أن قالون يضم الميم ويصلها بواو بخلاف عنه.

وكان عبد الله بن كثير يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقرأ: ﴿عليهمو﴾، و﴿قلوبهمو﴾، و﴿سمعهمو﴾، و﴿أبصارهمو﴾[١]، وقرأ ورش[٢] الهاء مكسورة والميم موقوفة، إلا أن تلقى الميم ألفاً أصلية فيُلْحِق في اللفظ واواً[٣] مثل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ [البقرة: ٦].

وكان أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، والكسائي، يكسرون ويسكنون الميم، فإذا لقي الميم حرف ساكن اختلفوا، فكان عاصم وابن كثير ونافع يَمضون على كسر الهاء وضم الميم، مثل قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٣]، وما أشبه ذلك، وكان أبو عمرو يكسر الهاء والميم فيقول: ﴿عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ﴾، و﴿إِلَيْهِمِ اثْنَيْنِ﴾ [يسٓ: ١٤]، وما أشبه ذلك.

وكان الكسائي يضم الهاء والميم معاً، فيقرأ: ﴿عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ﴾ و﴿مِنْ دُونِهُمُ امْرَأَتَيْنِ﴾[٤].

قال أبو بكر أحمد بن موسى[٥]: وكل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها إنما هو في الهاء التي قبلها كسرةٌ أو ياء ساكنة، فإذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء إلا الضم، فإذا لم يكن قبل الميم هاء قبلها كسرة أو ياء ساكنة لم يجز في الميم إلا الضم والتسكين في مثل قوله تعالى: ﴿مِنكُمۡ﴾ و﴿أَنتُمۡ﴾[٦].

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٨).

(٢) هو ورش المقرئ، واسمه عثمان بن سعيد القبطي المصري المقرئ، إمام القراء، أصله من القيروان، وعداده في موالي آل الزبير بن العوام. ويقال له: الرآس، وشيخه نافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه، توفي سنة (١٧٧هـ). تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر قراءة ابن كثير ورواية ورش في السبعة لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، والتيسير للداني (ص: ١٩).

(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٩)، وبقي عليه ابن عامر وهو مثل الجمهور، وحمزة وهو مثل الكسائي.

(٥) هو أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد التميمي الحافظ الأستاذ شيخ الصنعة مؤلف السبعة (ت٣٢٤). غاية النهاية (١/ ٦١).

(٦) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٠٩).

وحكى صاحب «الدلائل» قال: «قرأ بعضهم: (عليهمو) بواو وضمتين، وبعضهم بضمتين وألغى [(١)] الواو، وبعضهم بكسرتين وألحق الياء، وبعضهم بكسرتين وألغى الياء، وبعضهم بكسر الهاء وضم الميم»، قال: «وذلك مروي عن الأئمة ورؤساء اللغة»[(٢)].

قال ابن جني[(٣)]: «حكى أحمد بن موسى: عليهمو وعليهمُ بضم الميم من غير إشباع إلى الواو، وعليهم بسكون الميم»، وقرأ الحسن وعمرو بن فائد: (عليهمي)، وقرئ (عليهمِ) بكسر الميم دون إشباع إلى الياء، وقرأ الأعرج[(٤)]: عليهمُ بكسر الهاء وضم الميم من غير إشباع[(٥)].

وهذه القراءاتُ كلُّها بضمِّ الهاء إلا الأخيرة، وبإزاء كل واحدة منها[(٦)] قراءة بكسر الهاء، فيجيء في الجميع عشر قراءات[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

اختلف القرّاءُ في الرَّاء من ﴿غَيۡرِ﴾:

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله في الموضعين: «وألقى».

(٢) هذا من القسم الذي لا يزال مفقودا من هذا الكتاب، وسيأتي توثيق هذه القراءات عند الثعلبي، وغيره.

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي حتى أحكم العربية، وصنف في حياته، وسكن بغداد وأقرأ بها الأدب، وخدم ملوك بني بويه، كعضد الدولة، وتوفى سنة (٣٩٢هـ). تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٧٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، سمع أبا هريرة، وأبا سعيد، وعدة، وعنه الزهري، وأبو الزناد، وخلق، وكان ثقة ثبتاً، يكتب المصاحف ويقرئ القرآن، توفي سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٤).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٤٤)، وهي قراءات شاذة.

(٦) في فيض الله: «منهما».

(٧) انظر تفصيلها في تفسير الثعلبي (١/ ١٢٢).

فقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بخفض الرَّاءِ، وقرأ ابن كثير بالنصب، وروي عنه الخفض[1].

قال أبو علي: «الخفض على ضربين: على البدل، من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو على الصفة للنكرة، كما تقول: «مررت برجل غيرك»، وإنما وقع هنا صفة لـلَّذِينَ؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هنا ليس بمقصود قصدهم، فالكلام بمنزلة قولك: «إنِّي لأمُرُّ بالرَّجلِ مثلِكَ فأُكرمه»[2].

قال: والنصب في الرَّاء على ضربين: على الحال، كأنَّك قُلتَ: أنْعَمْتَ عليهم لا مغضوباً عليهم، أو على الاستثناء، كأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، ويجوز النصب على «أعني» وحكي نحو هذا عن الخليل، ومما يحتج به لمن ينصب أن «غَيْر» نكرة، فكره أن يوصف بها المعرفة، والاختيار الذي لا خفاء به الكسر، وقد روي عن ابن كثير، فأولى [القولين][3] ما لم يخرج عن إجماع قراء الأمصار»[4].

قال أبو بكر بن السراج: «والذي عندي أن ﴿غَيْرِ﴾ في هذا الموضع مع ما أضيف إليه معرفة، وهذا شيءٌ فيه نظرٌ ولبسٌ، فليفهم عني ما أقول: اعلم أنَّ حكمَ كلِّ مضافٍ إلى معرفةٍ أن يكون معرفةً، وإنما تنكرت «غير»، و«مثل» مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما، وذلك إذا قلت: «رأيت غيرك» فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره، وكذلك إذا قلت: «رأيت مثلك» فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة، فإنما صارا نكرتين من أجل المعنى، فأمَّا إذا كان شيءٌ معرفةٌ له ضد / واحد، وأردت إثباته [٢٣] ونفيَ ضده، وعلم ذلك السامع، فوصفته بـ«غير» وأضفت «غير» إلى ضده، فهو معرفة، وذلك كقولك: «عليك بالحركة غير السكون»، وكذلك قولك: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾؛ لأنَّ

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١١٢)، والكسر هو المتواتر، والنصب ليس في شيء من طرق التيسير ولا النشر.
(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٤٢).
(٣) في المطبوع: القراءتين.
(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ١٤٢)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٥٣).

من أنعم عليه لا يعاقبه إلا من غضب عليه، ومن لم يغضب عليه فهو الذي أنعم عليه، فمتى كانت غير على هذه الصفة وقصد بها هذا المقصد فهي معرفة»[١].

قال القاضي أبو محمد: أبقى أبو بكر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على حدِّ التعريف، وجوَّز نعتها بـ﴿غَيْرِ﴾ لمَا بيَّنه من تعريف ﴿غَيْرِ﴾ في هذا الموضع، وغير أبي بكر وقف مع تنكر ﴿غَيْرِ﴾، وذهب إلى تقريب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من النكرة، إذ هو اسمٌ شائعٌ لا يختص به معيَّن، وعلى هذا جوَّز نعتها بالنكرة.

و﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: النصارى، وهكذا قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد[٢]، وروى ذلك عديُّ ابن حاتم[٣] عن رسول الله ﷺ[٤]، وذلك بين من كتاب الله تعالى؛ لأنَّ ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، فهؤلاء اليهود، بدلالة قوله

---

(١) نقله عنه الفارسي في الحجة (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، روى عن: أبيه، وصفوان بن سليم، وابن حازم، وعنه: ابن وهب، والقعنبي، وأبو مصعب، وهشام ابن عمار، وخلق، توفي سنة (١٨٢هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٥٨).

(٣) هو أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أبوه حاتم الجواد المشهور، أسلم في سنة تسع، وكان نصرانيّاً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صِفِّين مع علي، ومات بعد الستين. الإصابة (٤/ ٣٨٨).

(٤) غريبٌ يُحتمل: فقد أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨) والترمذيُّ ح (٢٩٥٣، ٢٩٥٤) وغيرهما من طرق عن سماك بن حرب عن عباد ابن حبيش عن عدي، قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب»، وفي سنده عباد بن حبيش، لم يذكر فيه جرح ولا تعديل، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ١٤٢)، لكن قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤/ ٦٦٨): «وعباد ابن حبيش لا تعرف له حال، ولا يعرف روى عنه غير سماك بن حرب». وهذا التفسير أيده الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩) بقوله: قال ابن أبي حاتم: لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً، قال السهيلي: وشاهد ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ وفي النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾. اهـ.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

والغضب عليهم هو من الله تعالى، وغضب الله تعالى عبارةٌ عن إظهاره عليهم محناً وعقوبات وذلة ونحو ذلك[١]، مما يدل على أنه قد أبعدهم عن رحمته بعداً مؤكداً مبالغاً فيه، والنصارى كان محققوهم على شرعةٍ قبل ورود شرع محمد ﷺ، فلما ورد ضلوا، وأما غير محققيهم فضلالُهم متقرِّر منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال مكي رحمه الله حكاية: «دخلت (لَا) في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لئلا يتوهم أن ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عطف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾»، قال: «وقيل: هي مؤكدة بمعنى: غير»[٢].

وحكى الطبري أن لا زائدة، وقال: «هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز:

وما أَلُومُ الْبِيضَ ألا تَسْخَرا[٣] [الرجز]

أراد: أن تسخر، وفي قول الأحوص[٤]:

ويَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أنْ لا أُحِبَّه ... ولِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ[٥] [الطويل]

وقال الطبري: «يريد: ويلحينني في اللهو أن أحبه»[٦].

---

(١) هذا تأويل لصفة الغضب تبعاً لطريقة المتأولين، والذي عليه السلف هو إثبات الصفات لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه من غير تكييف ولا تعطيل.

(٢) الهداية لمكي (١/ ١١٣).

(٣) البيت لأبي النجم كما في مجاز القرآن (١/ ٢٦)، وتفسير الطبري (١/ ١٩٠)، والخصائص (٢/ ٢٨٣)، وحجة القراءات لأبي زرعة (١/ ٥٢٧).

(٤) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعاصم جده هو حَمِيُّ الدبر، من الأنصار، شاعر مشهور، وكان الأحوص يرمى بشيء، وشكي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه إلى قرية من قرى اليمن، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (١/ ٥٠٩).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١/ ١٩٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٨).

(٦) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

قال القاضي أبو محمد: وبيت الأحوص إنما معناه: إرادةَ أن لا أحبه فـ«لا» فيه متمكنة.

قال الطبري: «ومنه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]»[١].

وإنما جاز أن تكون «لا» بمعنى الحذف، لأنها تقدمها الجحد في صدر الكلام، فسيق الكلام الآخر مناسباً للأول، كما قال الشاعر:

[البسيط] مَـا كَانَ يَرْضَـىٰ رَسُـولُ اللهِ فِعْلَهُـم ... وَالطَّيِّبَـانِ أَبُـو بَكْـرٍ وَلا عُمَـرُ[٢]

وقرأ عمر بن الخطاب وأُبَيّ بن كعب: (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)، وروي عنهما في الراء النصبُ والخفض في الحرفين[٣].

قال الطبري: «فإن قال قائل: أليس الضلال من صفة اليهود، كما أن النصارى عليهم غضب، فلمَ خص كل فريق بذكر شيء مفرد؟ قيل: هم كذلك، ولكن وسم الله لعباده كل فريق بما قد تكررت العبارة عنه، وفهم به أمره»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير شاف، والقول في ذلك: أن أفاعيل اليهود من [اعتدائهم][٥] وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات، وقتلهم الأنبياء، أمور توجب الغضب في عُرفنا، فسمى تعالى ما أحل بهم غضباً، والنصارى لم يقع لهم شيء من ذلك، إنما ضلوا من أول كفرهم دون أن يقع منهم ما يوجب غضباً خاصّاً بأفاعيلهم، بل هو الذي يعم كل كافر وإن اجتهد، فلهذا تقررت العبارة عن الطائفتين بما ذكر.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

(٢) البيت لجرير كما في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦١)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ١١٩) وفيهما: «والعمران».

(٣) وهي قراءة شاذة، مخالفة للمصحف، انظر عزوها لعمر في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٩)، والإبانة عن معاني القراءات (ص: ٥٤)، وله ولعلي في تفسير الثعلبي (١/ ١٢٣)، وانظر عزوها لأبي والكلام على الراء في البحر المحيط (١/ ٥١).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

(٥) وفي الحمزوية: «اعتراضهم».

وليس في العبارة بـ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعلق للقدرية في أنهم أضلوا أنفسهم؛ لأن هذا إنما هو كقولهم: تهدم الجدار، وتحركت الشجرة، والهادم والمحرك غيرهما، وكذلك النصارى خلق الله الضلال فيهم وضلوا هم بتكسبهم.

وقرأ أيوب السَّخْتياني[١]: (الضَّأْلِين) بهمزة غير ممدودة[٢]، كأنه فرَّ من التقاء الساكنين، وهي لغةٌ، حكى أبو زيد قال: «سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (فيومَئِذٍ لا يُسأَلُ عن ذنبِهِ إنسٌ ولاجَأْنٌ)[٣]، فظننته قد لحن حتى سمعتُ من العرب: دأبة وشأبة»[٤]، قال أبو الفتح: «وعلى هذه اللغة قول كُثيِّر[٥]:

.... إذَا مَـا العَوَالِي بالْعَبِيطِ احْمَأَرَّتِ[٦] [الطويل]

وقول الآخر:

ولَـلأرْضُ أمَّـا سُـودُهَا فتَجَلَّلَـتْ بَيَاضـاً وأمَّـا بِيضُهَافادْهَأمَّـتِ[٧]» [الطويل]

وأجمع الناس على أنَّ عدد آي سورة الحمد سبع آيات: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آية،

---

(١) أبو بكر، أيوب بن أبي تميمة كيسان البصري أحد الأعلام من نجباء الموالي، سمع أبا العالية وسعيد بن جبير والحسن البصري ومجاهدا وخلقا سواهم، وعنه الحمادان والسفيانان وخلائق، وقال شعبة: كان سيد الفقهاء، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٧٩).

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٤٦)، وهي قراءة شاذة.

(٣) سورة الرحمن (٣٩)، وسيأتي الكلام على هذه القراءة في محلها.

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٨٧)، وانظر استشهاده بالبيتين في المحتسب (١/ ٤٧).

(٥) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، يكنى أبا صخر، وهو ابن أبي جمعة، ويعرف بكثير عزة، وكان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً، وكان مزهواً متكبراً وكان يتشيع، توفي سنة (١٠٥هـ). معجم الشعراء (ص: ٣٥٠).

(٦) عزاه له ابن جني في الخصائص (٣/ ١٢٦)، هكذا غير كامل، وأنشده له في المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٢١٦)، بلفظ: وأنت ـ ابنَ ليلى ـ خيرُ قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل.

(٧) البيت لكثير أيضاً كما في المخصص (٣/ ١٠٥)، والفائق للزمخشري (٢/ ٤٠)، وسر الصناعة لابن جني (١/ ٨٨)، وانظر استشهاد ابن جني بالبيتين في المحتسب (١/ ٤٧).

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ آية، ﴿ٱلدِّينِ﴾ آية، ﴿نَسْتَعِينُ﴾ آية، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ آية، ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية.

وقد ذكرنا في تفسير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ما ورد من خلاف ضعيف في ذلك[(١)].

[١/ ٢٤] / القول في آمين

روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «إذَا قَالَ الإمَامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقُولُوا: آمِينَ. فإنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ تَقُولُ: آمِينَ، فمَنْ وَافَقَ [قَوْلُهُ][(٢)] قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٣)]، وروي أنَّ جبريل عليه السلام لما علم النبي عليه السلام فاتحة الكتاب وقت نزولها فقرأها قال له: «قُلْ آمِينَ»[(٤)]، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «آمين خاتمة[(٥)] رب العالمين، يختم [بها][(٦)] دعاء عبده المؤمن»[(٧)]، وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمع رجلًا يدعو فقال: «أَوْجَبَ إنْ خَتَمَ»، فقَالَ لَهُ رَجُلٌ: بأيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «بآمِينَ»[(٨)].

---

(١) تقدَّم قريباً، وحاصله أن الجعفي يعدها ست آيات وعمرو بن عبيد ثماني آيات.

(٢) وفي الحمزوية: «تأمينه».

(٣) متفق عليه: فقد أخرجه البخاري ح (٧٨٠، ٤٤٧٥، ٦٤٠٢) ومسلم ح (٩٤٢).

(٤) مرسل: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٨٧) عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل مرفوعاً، وهذا مرسل، فعمرو ابن شرحبيل تابعي كما تقدم.

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «خاتم».

(٦) في السليمانية: به، وفي أحمد٣: «به على».

(٧) لم أجدْه منسوباً لعلي رضي الله عنه، لكن أخرجه الطبرانيُّ في كتاب الدعاء (ص: ٨٩) وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٤٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وضعفه ابن عدي، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤).

(٨) فيه جهالة، فقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٣٢) وأبو داود (٩٣٨) وغيرهما من طريق: صُبيح بن محرز الحمصي عن أبي المصبِّح المَقْرائي قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري وكان من أصحاب النبي ﷺ، فذكره مرفوعاً، وصبيح لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٣٠٧): تفرد عنه محمد بن يوسف الفريابي.

ومعنى «آمين» عند أكثر أهل العلم: «اللهمَّ استجب، أو: أجب[١] يا رب»، ونحو هذا. قاله الحسن بن أبي الحسن وغيره، ونصَّ عليه أحمد بن يحيى ثعلب[٢] وغيره[٣].

وقال قوم: «هو اسم من أسماء الله تعالى»، روي ذلك عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف[٤]،[٥].

وقد روي أن آمين اسم خاتم يطبع به كتب أهل الجنة التي تؤخذ بالأيمان[٦].

فمقتضى هذه الآثار أن كلَّ داعٍ ينبغي له في آخر دعائه أن يقول: «آمين» وكذلك كلُّ قارئ للحمد في غير صلاة، لكن [ليس بجهر الترتيل[٧]، وأمَّا في][٨] الصَّلاة، فقال بعض العلماء: «يقولها كلُّ مصلٍّ من إمامٍ وفذٍّ ومأموم قرأها أو سمعها»[٩].

---

(١) في أحمد٣: «أوجب».

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يزيد، أبو العباس الشيباني مولاهم، النحوي، ثعلب شيخ العربية ببغداد وإمام الكوفيين في النحو، قال الخطيب وغيره: كان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالحفظ، له مؤلفات كثيرة توفي سنة (٢٩١هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٢/ ٨٢).

(٣) قول الحسن نقله الزجاج في معاني القرآن (١/ ٣١)، والماوردي في النكت (٢/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٧)، والراغب في المفردات (١/ ٢٦)، ومكي في الهداية (١/ ١١٥)، وقول ثعلب لم أجده لغير المؤلف.

(٤) هو هلال بن يساف أبو الحسن الأشجعي مولاهم الكوفي، من كبار التابعين، روى عن أبي الدرداء، وعن عائشة، وروى عنه: حصين بن عبد الرحمن، ومنصور، والأعمش، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره. تاريخ الإسلام (٦/ ٤٩٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٤٢٦)، والثعلبي (١/ ١٢٥) عنهما وعن حكيم بن جابر ورواه عبد الرزاق (٢/ ٩٩) عن أبي هريرة وهلال، والرواية عن جعفر نقلها القرطبي (١/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٧).

(٦) لم نجده بهذا اللفظ، وقد سبق حديث أبي زهير النميري بنحوه.

(٧) وفي المطبوع: «التنـزيل».

(٨) ساقط من فيض الله.

(٩) انظر: الاستذكار (١/ ٤٧٤)، والمغني لابن قدامة (٢/ ٣٥٣).

وقال مالك في «المدونة»: «لا يقول الإمام: آمين، ولكن يقولها من خلفه ويُخْفون، ويقولها الفذ»[١]، وقد روي عن مالك رضي الله عنه: «أنَّ الإمامَ يقولها أسرّ أم جهر»[٢]، وروي عنه: «الإمام لا يؤمِّن في الجهر»[٣]، وقال ابن حبيب[٤]: «يؤمن»، وقال ابن بكير[٥]: «هو مخير»[٦].

قال القاضي أبو محمد: فهذا الخلاف إنما هو في الإمام، ولم يختلف في الفذ ولا في المأموم، إلا أن[٧] ابن نافع[٨] قال في كتاب ابن حارث[٩]: «لا يقولها المأموم إلا إن سمع الإمام يقول: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وإذا كان ببُعْدٍ لا يسمعه فلا يقل»، وقال ابن

---

(١) المدونة (١/ ٧١).

(٢) الاستذكار (١/ ٤٧٥).

(٣) الذخيرة (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) هو: الفقيه المالكي؛ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الأندلسي، المتوفى سنة (٢٣٨هـ)، ومؤلف كتاب: الواضحة في مذهب الإمام مالك، وغيرها من الكتب، انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٠٠) رقم الترجمة (٨١٦)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٢٤٩)، وما بعدها.

(٥) هو: صاحب الإمام مالك، الفقيه المحدث يحيى بن يحيى بن بُكَير بن عبد الرحمان، التميمي الحنظلي مولاهم، النيسابوري؛ المتوفى سنة (٢٢٦هـ). انظر: كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٩/ ١٩٧) الترجمة رقم: ٨٢٣، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٤٧-١٤٨).

(٦) انظر: نسبة هذه الأقوال لابن حبيب وابن بكير، في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٣).

(٧) من السليمانية وأحمد٣ وفيض الله.

(٨) هو: صاحب الإمام مالك، الفقيه المحدث عبد الله بن نافع الصائغ، المخزومي مولاهم، المدني، المتوفى سنة (١٨٦هـ). انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٥/ ١٨٣)- الترجمة رقم: ٨٥٦، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٢٦-١٢٧).

(٩) هو الفقيه المالكي؛ محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني الإفريقي ثم القرطبي، المتوفى سنة (٣٦١هـ)، ومؤلف كتاب: الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتب: تاريخ علماء الأندلس، وتاريخ قضاة الأندلس، وغيرها من الكتب. ترتيب المدارك (١/ ٤٥٨).

عبدوس[١]: «يتحرى قَدْرَ القراءة ويقول: آمين»[٢].

وهي لفظة مبنية على الفتح لالتقاء الساكنين، وكأن الفتح مع الياء أخف من سائر الحركات، ومن العرب من يقول: آمين، فيمده، ومنه قول الشاعر:

آمِيـنَ آمِيـنَ لا أرْضَـىٰ بـوَاحِـدةٍ ... حَـتَّـى أُبَلِّـغَـهَا أَلْـفَيْـنِ آمِـينَا[٣] [البسيط]

ومن العرب من يقول: أمين بالقصر، ومنه قول الشاعر:

تباعـد منِّـي فُـطْـحُـلٌ إذْ رَأَيْـتـه ... أَمِيـنَ فـزادَ الله مـا بينَنَـا بُعْـداً[٤] [الطويل]

واختلف الناس في معنى قول النبي ﷺ: «فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ»:

فقيل: في الإجابة، وقيل: في خلوص النية، وقيل: في الوقت، والذي يترجّح أنَّ المعنى: فمن وافق في الوقت مع خلوص النية، والإقبالِ على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم، والإجابة تتبع حينئذ؛ لأنّ مَن هذه حالُه فهو على الصراط المستقيم.

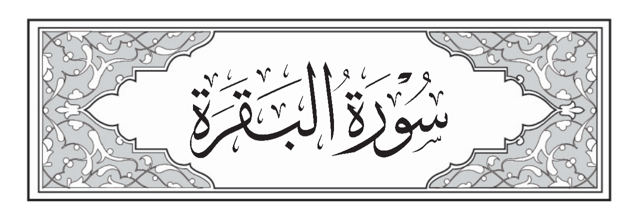
* * *

(١) هو الفقيه المالكي؛ محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير القيرواني، المتوفى سنة (٢٦٠هـ)، ومؤلف كتاب: المجموعة على مذهب الإمام مالك وأصحابه، وغيره من الكتب. انظر: ترتيب المدارك (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر القولين الأخيرين في: البيان والتحصيل (١/ ٤٥٥)، وكتاب ابن حارث لم أقف عليه.

(٣) بلا نسبة في القرطبي (١/ ١٢٨)، واللباب (١/ ٢٢٩).

(٤) البيت لجبير بن الأضبط كما في تاج العروس (٣٠/ ١٨٢)، وهو بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٣)، وإصلاح المنطق (ص: ١٣٥)، وفطحل ضبط بضمتين كهدهد، وبفتحتين كجعفر، وكتبت فطحل في أحمد٣: «فضحك»، وفي فيض الله وجار الله: «فحطل»، وفي المطبوع: «سألته»: بدل «رأيته»، وفي رواية: «تباعد مني فطحل وابن أمِّه».



تفسير سورة البقرة [بحول الله تعالى ومعونته][١]

هذه السورة مدنية، نزلت في مدد شتّى، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، وهي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١][٢].

ويقال لسورة البقرة: «فسطاط القرآن»؛ وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ، وتعلَّمها عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بفقهها وجميع ما تحتوي عليه من العلوم في ثمانية أعوام[٣]، وفيها خمس مئة حكم، وخمسة عشر مثلاً.

وروى الحسن بن أبي الحسن أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أيُّ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ؟» قالوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ثُمَّ قَالَ: «وأَيُّهَا أَفْضَلُ؟» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»[٤].

ويقال: إن معاني[٥] آيات الرحمة والرجاء والعذاب تنتهي فيها معانيها إلى ثلاث مئة وستين معنى.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) صحيح: علقه البخاري بصيغة الجزم في باب: موكل الربا، وراجع حديث (٤٥٤٤) مع التبويب، وقد رواه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٧) من حديث يزيد النحوي، عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، وإسناده صحيح.

(٣) الموطأ (١/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٧٤).

(٥) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وأُعْطِيتُ طه والطَّوَاسِينَ مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى، وأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ»(١).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قَالَ: «تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهما غَيَايَتَانِ بَيْنَهُمَا شَرَفٌ(٢)، أَوْ غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»(٣).

وفي البخاري أنه عليه السلام قال: «مَنْ قَرَأَ بالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٤).

وروى أبو هريرة عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْبَيْتُ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»(٥).

وروي عنه عليه السلام أَنَّه قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، فِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ(٦) الْقُرْآنِ هِي آيَةُ الْكُرْسِيِّ»(٧).

وعدد آي سورة البقر مئتان وخمس وثمانون آية، وقيل: وست وثمانون، وقيل وسبع وثمانون.

---

(١) ضعيف جدّاً: هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٧) وغيرهما، من حديث معقل بن يسار مرفوعاً، وفي إسناده: عبيد الله بن أبي حميد، وقد أجمعوا على ضعفه.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية وجار الله والسليمانية وأحمد٣: «شرق».

(٣) صحيح: هذا الحديث أخرجه مسلم (٨٠٥) من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٠٠٩) ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٧٧) وقال: حسن صحيح، وأخرجه مسلم (٧٨٠) بلفظ «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة».

(٦) من أحمد٣ والسليمانية.

(٧) ضعيف: هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٨٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلَّم شعبةُ في حكيم بن جبير وضعفه.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

[٢٥] قوله عزَّ وجلّ/ : ﴿الٓمٓ﴾ اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين:

قال الشَّعبي عامر بن شراحيل، وسفيان الثوري[١]، وجماعة من المحدثين: «هي سرُّ الله في القرآن»[٢]، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يُتكلم فيها، ولكن يؤمَن بها وتُمَرُّ كما جاءت.

وقال الجمهور من العلماء: «بل يجب أن يُتكلم فيها وتُلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها»، واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولاً:

فقال علي بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها»[٣].

وقال ابن عباس أيضاً: «هي أسماء الله أقسم بها»[٤].

وقال زيد بن أسلم[٥]: «هي أسماء للسور»[٦].

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من ثور مضر، الكوفي، الفقيه شيخ الإسلام، وسيد أهل زمانه علماً وعملاً، صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب، يقال: إنه أخذ عن ست مئة شيخ، وروى عنه خلق توفي سنة (١٦١هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٢٤).

(٢) نقله عنهم تفسير القرطبي (١/ ١٥٤)، وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٠) عن بعضهم.

(٣) ضعيف: قول ابن عباس أخرجه الطبري (١/ ٢٠٦) عن السدي قال: قال ابن عباس، بدون قوله: إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، والسدي ليس بعمدة ولم يصرح بالسماع.

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٠٧) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي المدني مولى عمر رضي الله عنه، روى عن ابن عمر وجابر وطائفة، وعنه بنوه: أسامة وعبد الرحمن وعبد الله، ومالك وخلق، كان ثقة من أهل الفقه عالماً بالتفسير له فيه كتاب، توفي سنة (١٣٠هـ) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٢٨).

(٦) نقله ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٢١) عن زيد بن أسلم وابنه وآخرين، والثعلبي (١/ ١٣٦) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة: «هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر»[١].

وقال مجاهد: «هي فواتح للسور»[٢].

قال القاضي أبو محمد: كما يقولون في أول الإنشاد لشهير القصائد: بل، و: لا بل، نحا هذا النحو أبو عبيدة والأخفش[٣].

وقال قوم: «هي حساب أبي جاد لتدل على مدة ملة محمد ﷺ كما ورد في حديث حيي بن أخطب»[٤]، وهو قول أبي العالية رفيع وغيره[٥].

وقال قطرب[٦] وغيره: «هي إشارة إلى حروف المعجم، كأنه يقول للعرب: إنما تحديتكم [بنظم][٧] من هذه الحروف التي عرفتم، فقوله: ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة قولك: (أ، ب، ت، ث)، لتدل بها على التسعة والعشرين حرفاً»[٨].

وقال قوم: «هي أمارة قد كان الله تعالى جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة».

---

(١) رواه الطبري (١/ ٢٠٤) عن قتادة وابن جريج.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٠٦).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٨)، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (ص: ٢١).

(٤) هو والد أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، وكان زعيم بني النضير، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وهو الذي حمل بني قريظة على نقض العهد، فقتل معهم في غزوة بني قريظة. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٠).

(٥) قال الطبري في تفسيره (١/ ٨٨): «وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجمل كرهنا ذكر الذي حكي ذلك عنه إذ كان الذي رواه ممن لا يعتمد على روايته، وقد مضت الرواية بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس»، وأورده البغوي في تفسيره (١/ ٢٧٩).

(٦) هو محمد بن المستنير أبو عليّ المعروف بقطرب، أحد العلماء المشهورين بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من البصريين، ويقال: إن سيبويه لقّبه قطربا لمباكرته له في الأسحار، وكان موثّقاً فيما يمليه. ومات فى سنة (٢٠٦هـ). إنباه الرواة (٣/ ٢١٩).

(٧) وفي الحمزوية: «بقطع».

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٦٢).

وقال ابن عباس: «هي حروف تدلُّ على: أنا الله أعلم، أنا الله أرى، أنا الله [أفصِّل][١]»[٢].

وقال ابن جبير عن ابن عباس: «هي حروف كلٌّ واحد منها إمَّا أن يكون من اسم من أسماء الله، وإمَّا من نعمة من نعمه، وإمَّا من اسم ملك من ملائكته، أو نبي من أنبيائه»[٣].

وقال قومٌ: «هي تنبيه كـ«يا» في النداء».

وقال قوم: «روي أنَّ المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة نزلت؛ ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم، فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة».

والصواب ما قاله الجمهور: أنْ تفسَّر هذه الحروف ويلتمس لها مخارج[٤] التأويل، لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظماً لها ووضعاً بدل الكلمات التي الحروف منها، كقول الشاعر:

قُلْنَا لهَا قِفي فقَالتْ قَاف[٥] .... [الرجز]

أراد: قالت: وقفتُ، وكقول القائل:

بالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإنْ شرّاً فا وَلا أُرِيدُ الشَّرَّ إلَّا أنْ تَا[٦] [الرجز]

---

(١) وفي الحمزوية: «أفعل»، وفي جار الله: «أفضل».

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٠٨) من طريق: شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس، بلفظ: «ألم» قال: أنا الله أعلم، وسماع شريك من عطاء بعد الاختلاط.

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) من جار الله.

(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «فقلت»، والبيت في معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٥)، والصاحبي (١/ ٢٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٨٨)، بلا نسبة، ونسب للوليد بن عقبة بن أبي معيط من أبيات في شرح شافية ابن الحاجب (٤/ ٢٧١) نقلاً عن الأغاني، والقصة والأبيات في الأغاني (٥/ ١٤٣) إلا البيت المستشهد به، الذي يبدو أنه يختلف معها عروضيّاً، والله أعلم.

(٦) الرجز لزهير بن أبي سلمى في تفسير القرطبي (١/ ١٥٥)، ولنعيم بن أوس في العمدة لابن رشيق (١/ ٣١٠)، وفي شرح شواهد الشافية (٤/ ٢٧١): لقيم بن أوس، وبلا نسبة في الكامل (٢/ ١٧)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٩٧)، وكتاب سيبويه (٣/ ٣٢١).

أراد: وإن شرّاً فشرٌّ، وأراد: إلا أن تشاء، والشواهد في هذا كثيرة، فليس كونها في القرآن مما تنكره العرب في لغتها، فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويُلتمس وجهه، والوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها، إلا إذا أخبرتَ عنها أو عطفتها فإنك تعربها.

وموضع ﴿الٓمٓ﴾ من الإعراب رفعٌ على أنه خبر ابتداء مضمر، أو على أنه ابتداء، أو نصب بإضمار فعل، أو خفض بالقسم، وهذا الإعراب يتجه الرفع منه في بعض الأقوال المتقدمة في الحروف، والنصب في بعض، [والخفض في][(١)] قول ابن عباس رضي الله عنه أنها أسماء لله أقسم بها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الاسم من ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذال والألف، وقيل: الذال وحدها والألف تقويةٌ، واللام لبعد المشار إليه وللتأكيد والكاف للخطاب، وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع كأنه خبر ابتداء، أو ابتداءٌ وخبرُه بعده.

واختلف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا:

فقيل: «هو بمعنى هذا»، وتكون الإشارة إلى هذه الحروف من القرآن[(٢)]، وذلك أنه قد يشار بـ«ذلك» إلى حاضر تعلق به بعض الغيبة وبـ«هذا» إلى غائب هو من الثبوت والحضور بمنزلةٍ وقُربٍ، وقيل: هو على بابه إشارة إلى غائب.

واختلف في ذلك الغائب:

فقيل: «ما قد كان نزل من القرآن»، وقيل: «التوراة والإنجيل»، وقيل: «اللوح المحفوظ؛ أي: الكتاب الذي هو القدر»، وقيل: «إن الله قد كان وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء»[(٣)]، فأشار إلى ذلك الوعد.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) حكاه مكي في الهداية (١/ ١٢٤) عن أكثر أهل التفسير، والطبري (١/ ٢٢٥) عن عامّة المفسرين.

(٣) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥) بإسناده عن عياض بن حمار المجاشعي: =

وقال الكسائي: «﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد»[١]، وقيل: «إن الله قد كان وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد كتاباً، فالإشارة إلى ذلك الوعد»، وقيل: «إن الإشارة إلى حروف المعجم في قول من قال: ﴿الٓمٓ﴾ حروف المعجم التي تحديتكم بالنظم منها».

ولفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ مأخوذ من: كتبتُ الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة.

ورفع ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يتوجه على البدل، أو على خبر الابتداء، أو على عطف البيان.

و﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ معناه: لا شكَّ فيه ولا ارتياب به، والمعنى: أنه في ذاته لا ريب فيه وإن وقع ريبٌ للكفار.

وقال [قوم][٢]: «لفظ قوله: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ لفظ الخبر ومعناه النهي».

وقال قوم: «هو عمومٌ يراد به الخصوص»؛ أي: عند المؤمنين، وهذا ضعيفٌ.

وقرأ الزهري وابن محيصن[٣] ومسلم بن جندب[٤] وعبيد بن عمير[٥]: (فيهُ)

= أنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبته «ألَا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا»... وفيه: «وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان».

(١) معاني القرآن للكسائي (١/ ٦١).

(٢) سقطت من أحمد٣.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، وكان نحويّاً، عالماً بالعربية قويّاً عليها، وله اختيار في القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده، فتركه الناس، مات سنة (١٢٣هـ). غاية النهاية (٢/ ١٦٧).

(٤) هو مسلم بن جندب الهذلي أبو عبد الله قاص أهل المدينة وقارئهم، قرأ على عبد الله بن عياش القارئ، وابن عمر، وروى عن أبي هريرة، وقرأ عليه القرآن نافع، وحدث عنه: ابنه عبد الله وزيد بن أسلم وغيرهما، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٥٦).

(٥) هو أبو عاصم عبيد بن عمير ابن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عن: عمر، وعلي، وأبي، وعنه: ابنه عبد الله، وعطاء بن أبي رباح، وطائفة، وكان ثقة إماماً، توفي سنة ٦٤هـ تاريخ الإسلام (٥/ ٤٨٠).

بضم الهاء، وكذلك: (إليهُ)، و(عليهُ)، و(بهُ)، و(نُصْلِهُ)، و(نُوَلِّهُ)، وما أشبه ذلك حيث وقع على الأصل[١]، وقرأ ابن أبي إسحاق[٢]: (فيهُو) ضم الهاء ووصلها بواو[٣].

[٢٦] و﴿هُدًى﴾ معناه: رشاد وبيان، وموضعه من/ الإعراب رفع على أنه خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو خبرُ ابتداء مضمرٍ، أو ابتداءٌ وخبره في المجرور قبله، ويصح أن يكون موضعه نصباً على الحال من ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، ويكون العامل فيه معنى الإشارة، أو من الضمير في ﴿فِيهِ﴾، والعامل فيه معنى الاستقرار[٤]، وفي هذا القول ضعفٌ.

وقوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اللفظ مأخوذ من وقى، وفعله: اتَّقى، على وزن افتعل، وأصله: للمُوْتقيين، استثقلت الكسرة على الياء فسُكِّنت وحذفت للالتقاء، وأبدلت الواو تاء على أصلهم في اجتماع الواو والتاء، وأدغمت التاء في التاء فصار: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والمعنى: الذين يتقون الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، كان ذلك وقاية بينهم وبين عذاب الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٤﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ معناه: يصدِّقون، ويتعدى بالباء، وقد يتعدى باللام كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وكما قال: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [يونس: ٨٣]،

---

(١) انظر عزوها لمسلم بن جندب في مختصر الشواذ (ص١٠)، ولعبيد والزهري وطلحة في الشواذ للكرماني (ص٤٧، ٤٨)، ولابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٦٧)، وللكل في البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٢) في المطبوع: ابن إسحاق، وكذا في الأصل، وكأن لفظ أبي ملحقة فوقه غير واضحة، وهو عبد الله ابن أبي إسحاق زيد بن الحارث الحضرمي البصري، مولى لهم، أحد الأئمة في القراءة والنحو، أخذ القرآن عن: يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وروى عنه: حفيده يعقوب الحضرمي، وغيره، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي بالبصرة، سنة (١١٧هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٩٧).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٤٧، ٤٨)، لمسلم بن جندب، وهي قراءة شاذة.

(٤) انظر: مشكل الإعراب لمكي القيسي (١/ ٧٤).

وبين التعديتين فرق، وذلك أن التعدية باللام في ضمنها تعدّ بالباء يُفهم من المعنى.

واختلف القراء في همز ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

فكان [ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة(١) والكسائي](٢) يهمزون ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وما أشبهه مثل: ﴿يَأْكُلُونَ﴾، و﴿يَأْمُرُونَ﴾، و﴿يُؤْتُونَ﴾ وكذلك(٣) [مع تحرك الهمزة مثل: ﴿يُؤَخِّرْكُمْ﴾، و﴿يُؤَدِّهِ﴾ إلا أن حمزة كان يستحب ترك](٤) الهمز إذا وقف والباقون يقفون بالهمز(٥)، وروى ورش عن نافع ترك الهمز في [جميع ذلك](٦)، وقد روي عن عاصم أنه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة، وكان أبو عمرو إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة، إلا أنه كان يهمز حروفاً من السواكن بأعيانها ستذكر في مواضعها إن شاء الله، وإذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل: ﴿ننسأها﴾، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ وما أشبهه(٧).

وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ قالت طائفة: معناه: [يصدِّقون إذا غابوا وخلوا، لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا، وقال آخرون: «معناه:](٨) يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرت به الشرائع».

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) في أحمد٣ بدلا منه: «ما عدى السوسي وورش».

(٣) في جار الله: «ذلك».

(٤) ساقط من فيض الله.

(٥) انظر: التيسير في القراءات السبع (١/ ٢٩).

(٦) ساقط من فيض الله.

(٧) انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٣٢) وحاصل المقروء به: أنَّ ورشاً عن نافع يقرأ بإبدال الهمزة الواقعة فاء إذا سكنت مدّاً، وإذا انفتحت بعد ضم متصل واواً، واستثنى من الأول مادة الإيواء، وأمَّا أبو عمرو من رواية السوسي فأبدل الهمزة الساكنة مطلقاً فاء أو عيناً أو لاماً، إلا كلمات مخصوصة، وأمَّا حمزة فإنه يغيرها في الوقف خاصة ووافقه هشام في المتطرفة، وأمَّا سائر السبعة فلم يثبت عنهم من طرق الشاطبية من ذلك شيء عام إلا أن يكون كلمات مخصوصة. انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٣٦).

(٨) ساقط من جار الله.

واختلفت عبارة المفسرين في تمثيل ذلك:

فقالت فرقة: «الغيب في هذه الآية [الله عزَّ وجلَّ»، وقال آخرون:][(١)] «القضاء والقدر»، وقال آخرون: «القرآن وما فيه من الغيوب»، وقال آخرون: «الحشر والصراط والميزان والجنة والنار»[(٢)].

وهذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها، والغيب في اللغة: ما غاب عنك من أمر، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله.

وقوله: ﴿يُقِيمُونَ﴾ معناه: يظهرونها ويثْبتونها، كما يقال: أقيمت السوق، وهذا تشبيه بالقيام من حالة خفاء، قعود أو غيره، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمُ لَمْ يَبْرَحُوا ... حَتَّى تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ[(٣)]

ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] أَقَمْنَا لأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ سُوقَ الضْـ ... ـضِرَاب فَخَامُوا وَوَلَّوْا جَمِيعَا[(٤)]

وأصل ﴿يُقِيمُونَ﴾: يُقْوِمُونَ، نقلت حركة الواو إلى القاف فانقلبت ياء لكون الكسرة قبلها.

---

(١) ساقط من جار الله.

(٢) نسب ابن أبي حاتم (١/ ٣٦) الأول لعطاء، والثاني لزيد بن أسلم، والثالث لزر، والرابع لأبي العالية والسدي، ونسب الطبري (١/ ٢٣٦) الرابع لابن أبي عروبة والربيع.

(٣) البيت لمرار الفعقسي من بني أسد كما في أمالي القالي (١/ ٦٦).

(٤) هكذا جاء البيت في الطبري (١/ ٢٤١)، بلا نسبة، وجاء في العشرات لغلام ثعلب (ص: ٩٠): أَقَامَت غزالة سوق الضراب ❊ لأهل العراقين شهراً قميطاً، منسوباً لأيمن بن خريم، ومثله في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤٤٦)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٨/ ٣٧)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (٢/ ٩٢٣)، وخاموا: جبنوا، وفي المطبوع: «الضراب» «فخاسوا»، وفي فيض الله وجار الله: «سوق الطعان»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «سوق الطعان فخافوا».

والصلاة مأخوذة من صلَّى يصلي إذا دعا، كما قال الشاعر:

عليكِ مثلُ الذي صَلّيتِ فاغْتمضي يَوْماً فإنّ لِجَنْبِ المرْءِ مُضْطَجَعَا[١] [البسيط]

ومنه قول الآخر:

لَهَا حَارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا وإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وزَمْزَمَا[٢] [الطويل]

فلما كانت الصلاة في الشرع دعاءً انضاف إليه هيئاتٌ وقراءة سمي جميع ذلك باسم الدعاء. وقال قوم: «هي مأخوذة من الصّلا، وهو عِرْقٌ في وسط الظهر ويفترق عند العَجْب فيكتنفه»[٣]، ومنه أُخذ المصلِّي في سبق الخيل؛ لأنه يأتي مع[٤] صَلَوَي السابق، فاشتقّت الصلاة منه، إما لأنها جاءت ثانية للإيمان فشبهت بالمصلّي من الخيل، وإمَّا لأن الراكع والساجد تنثني صَلَواه، والقول إنها من الدعاء أحسن.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ كتبت «مما» متصلة[٥]، و«ما» بمعنى الذي فحقُّها أن تكون منفصلة، [إلا أن][٦] الجار والمجرور كشيء واحد، وأيضاً فلما خفيت نون «مِنْ» في اللفظ حذفت في الخط.

والرزق عند أهل السنة: ما صحَّ الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، بخلاف قول المعتزلة: إن الحرام ليس برزق[٧].

---

(١) البيت للأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢١٨)، والمحبر (ص: ٣٢١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٨)، وغيرها، وفي المطبوع والسليمانية: «نوماً»، وفي رواية: «جفناً».

(٢) البيت للأعشى كما في الطبري (١/ ٢٤٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٥)، والزمزمة: الصوت البعيد.

(٣) انظر: الجمهرة لابن دريد (٢/ ١٠٧٧).

(٤) في جار الله: «موضع».

(٥) انظر: المقنع للداني: (ص: ٧٤).

(٦) في نور العثمانية: «لأن».

(٧) سيأتي رد هذا القول للمؤلف عند تفسير الآية (٨٧) من المائدة.

و﴿يُنفِقُونَ﴾ معناه هنا: يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم إليه من غير ذلك.

قال ابن عباس: «﴿يُنفِقُونَ﴾ :يؤتون الزكاة احتساباً لها»(١)، قال غيره: «الآية في النفقة في الجهاد»، قال الضحاك: «هي نفقة كانوا يتقربون بها إلى الله عزَّ وجلَّ على قدر يُسْرهم»(٢)، قال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: «هي نفقة الرجل على أهله»(٣)، والآية تعمُّ الجميع، [وهذه الأقوال](٤) تمثيل لا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

اختلف المتأولون فيمن المراد بهذه الآية وبالتي قبلها:

فقال قوم: «الآيتان جميعاً في جميع المؤمنين»، وقال آخرون: «هما في مؤمني أهل الكتاب»، [وقال آخرون: «الآية الأولى في مؤمني العرب، والثانية في / مؤمني أهل الكتاب](٥)، كعبد الله بن سلام(٦)، وفيه نزلت»(٧). [٢٧]

فمن جعل الآيتين في صنف واحد فإعراب ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ خفض على العطف، ويصح أن يكون رفعاً على الاستئناف؛ أي: وهم الذين، ومن جعل الآيتين في صنفين، فإعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع على الابتداء، وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [ويحتمل الخفض عطفاً](٨).

وقوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: الكتب السالفة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٨).
(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم (١/ ٣٧)، والطبري (١/ ٢٤٣).
(٣) رواه الطبري (١/ ١٠٤).
(٤) في أحمد٣: «وهذا».
(٥) ساقط من السليمانية.
(٦) عبد الله بن سلام صحابي مشهور كان يهوديّاً وأسلم رضي الله عنه.
(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٣٧).
(٨) من جار الله وفيض الله وأحمد٣ والسليمانية، وفي الحمزوية: «ويحتمل أن يكون عطفاً».

وقرأ أبو حيوة ويزيد بن قطيب[١]: (بِما أنزَل)... (وَما أنزَل) بفتح الهمزة فيهما خاصة[٢].

الفعل على هذا يحتمل أن يستند إلى الله تعالى، ويحتمل إلى جبريل، والأول أظهر وألزم. ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قيل: معناه بالدار الآخرة، وقيل: بالنشأة الآخرة.

و﴿يُوقِنُونَ﴾ معناه: يعلمون علماً متمكناً في نفوسهم. واليقين أعلى درجات العلم، وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه، وقول مالك رحمه الله: «فيحلف على يقينه ثم يخرج الأمر على خلاف ذلك»[٣] تجوّز منه في العبارة على عرف تجوّز العرب، ولم يقصد تحرير الكلام في اليقين.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين، وأولاء جمع ذا، وهو مبني على الكسر؛ لأنه ضعف ـ لإبهامه ـ عن قوة الأسماء، وكان أصل البناء السكون فحرك لالتقاء الساكنين، والكاف للخطاب.

و«الهدى» هنا الإرشاد.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الثاني ابتداء، و﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ خبره، و﴿هُمُ﴾ فصل؛ لأنه وقع بين معرفتين ويصح أن يكون ﴿هُمُ﴾ ابتداء، و﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والفلاح[٤]: الظفر بالبغية وإدراك الأمل، ومنه قول لبيد:

اعْـقِـلِي إنْ كُـنْـتِ لَـمَّـا تَعْقِلِي وَلَقَـدْ أَفْلَـحَ مَـنْ كَانَ عَقَـلْ[٥] [الرمل]

---

(١) هو يزيد بن قطيب السَّكوني الشامي، ثقة، له اختيار في القراءة ينسب إليه، روى القراءة عن أبي بحرية صاحب معاذ بن جبل، وروى القراءة عنه أبو البرهسم عمران بن عثمان الحمصي، وعنه صفوان بن عمرو ويحيى بن عبيد وغيرهم. غاية النهاية (٢/ ٣٨٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها ليزيد في الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨)، ولهما في البحر المحيط (١/ ٧٠).

(٣) انظر قريباً من هذه العبارة له في المدونة (١/ ٥٧٨).

(٤) في المطبوع: والفلح.

(٥) البيت للبيد بن ربيعة كما في تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، وجمهرة الأمثال (١/ ٥٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣١)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٥٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٨).

وقد وردت للعرب أشعار فيها الفلاح بمعنى البقاء، كقوله:

[الطويل] .... وَنَرْجُـو الْفَلاحَ بَعْدَ عَـادٍ وَحِمْيَرِ (١)

وقول الأضبط:

[المنسرح] لِكُـلِّ هَـمٍّ مِـنَ الْهُـمُـومِ سَـعَـهْ والمُسْـيُ وَالصُّبْحُ لا فَـلاحَ مَعَهْ(٢)

والبقاء يعمُّه إدراك الأمل والظفر بالبغية، إذ هو رأس ذلك وملاكه، وحكى الخليل الفلاح على المعنيين(٣).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

معنى الكفر: مأخوذ من قولهم: كفر، إذا غطى وستر، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... فـي لَيْلَـةٍ كَفَـرَ النُّجُـومَ غَمَامُهَـا(٤)

أي: سترها، ومنه سمي الليل كافراً لأنه يغطي كل شيء بسواده، قال الشاعر:

[الكامل] فَـتَـذَكَّـرَا ثَقَلا رَثِـيـداً بَـعْـدَ مَا أَلْقَـتْ ذُكاءُ يَمِينَهَـا فـي كافِـرِ(٥)

---

(١) هو أيضاً للبيد كما في تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، ومجاز القرآن (٢٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٠٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وصدره: نحل بلاداً كلها حل قبلنا.

(٢) البيت للأضبط بن قريع في الأغاني (١٨/ ١٣٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٨)، وتهذيب اللغة (٥/ ٤٧)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢٣)، وأمالي القالي (١/ ١٠٧).

(٣) العين (٣/ ٢٣٣).

(٤) وصدره: يعلو طريقةَ متنها متواتراً، وهو للبيد بن ربيعة كما في جمهرة اللغة (٢/ ٧٨٧)، وتفسير الطبري (١/ ٢٥٥)، والجيم (٣/ ١٦٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٥٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٧١٠).

(٥) البيت لثعلبة بن صُعَيْرٍ كما في الشعر والشعراء (١/ ٢٧٧)، والمفضليات (ص: ١٣٠)، والحيوان (٥/ ٧٢)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٩٤)، وتهذيب اللغة (٩/ ٧٨)، والثقل هنا: البيض المصون، والرَّثيد المنسَّق بعضُه إلى بعض، وذكاء اسم للشمس.

ومنه قيل للزرَّاع كفار؛ لأنهم يغطون الحب، فكَفَر في الدين معناه: غطى [على][(١)] قلبه بالرّين عن الإيمان أو غطى الحق بأقواله وأفعاله.

واختلف فيمن نزلت هذه الآية ـ بعد الاتفاق على أنها غير عامة؛ لوجود الكفار قد أسلموا بعدها ـ:

فقال قومٌ: هي فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن، أراد الله تعالى أن يعلم أن في الناس مَن هذه حالُه دون أن يُعيَّن أحد.

قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في حيي بن أخطب، وأبي ياسر[(٢)] وابن الأشرف[(٣)] ونظرائهم»[(٤)].

وقال الربيع بن أنس[(٥)]: «نزلت في قادة الأحزاب، وهم أهل القليب ببدر»[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: هكذا حكي هذا القول، وهو خطأ؛ لأن قادة الأحزاب قد أسلم كثيرٌ منهم [وليسو أهل القليب][(٧)]، وإنما [ترتيب][(٨)] الآية في أصحاب

---

(١) من المطبوع.

(٢) أبو ياسر بن أخطب، من يهود بني النضير كان هو وأخوه حيي بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً. سيرة ابن هشام (١/ ٥٤٨).

(٣) هو كعب بن الأشرف من سادة اليهود، كان يحرض على النبي ﷺ، وشبب بنساء المؤمنين، ويرثي قتلى بدر من المشركين، فانتدب محمد بن مسلمة في نفر من أصحابه رضي الله عنهم فقتلوه بعد بدر بقليل، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥١).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٥١) بإسناد قد سبق مراراً، وهو ضعيف.

(٥) هو الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية، روى عنه سليمان التيمي والأعمش وغيرهما، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، بقي إلى سنة (١٣٩هـ) وروى كثيراً من التفسير والمقاطيع. تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٤٠) عن الربيع عن أبي العالية، والطبري (١/ ٢٥٣) عن الربيع من تفسيره.

(٧) من جار الله وأحمد٣ والسليمانية.

(٨) وفي المطبوع: «ترتبت»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «نزلت».

القليب، والقولُ الأولُ مما حكيناه هو المعتمد عليه، وكلُّ مَن عيَّن أحداً فإنما مثَّل بمَن كَشَفَ الغيبُ بموته على الكفر أنه في ضمن الآية.

وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ معناه: معتدل عندهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
ولَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِه سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا[١]

قال أبو علي: «في اللفظة أربع لغات: «سِوى» بكسر السين، و«سواء» بفتحها والمد، وهاتان لغتان معروفتان، ومن العرب من يكسر السين ويمد، ومنهم من يضم أوله ويقصره، وهاتان اللغتان أقل من تينك، ويقال: «سي» بمعنى: سواء، كما قالوا: قي وقواء»[٢].

و﴿سَوَآءٌ﴾ رفع على خبر ﴿إِنَّ﴾، أو رفع على الابتداء وخبره فيما بعده، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، ويصح أن يكون خبرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع: ﴿آنذرتهم﴾ بهمزة مطولة، وكذلك ما أشبه ذلك في جميع القرآن، وكذلك كانت قراءة الكسائي إذا خفف، غير أنَّ مدَّ أبي عمرو أطولُ من مدِّ ابن كثير؛ لأنَّه يدخل بين الهمزتين ألفاً، وابن كثير لا يفعل ذلك.

وروى قالون[٣] وإسماعيل بنُ جعفر[٤] عن نافعٍ إدخال الألف بين الهمزتين مع تخفيف الثانية.

---

(١) البيت لمضرس بن ربعي الأسدي كما في ديوان المعاني (١/ ٣٤٣)، ونسبه في زهر الآداب (٣/ ٨٠٦) لابن محكان السعدي.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٢٤٨).

(٣) هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان الزرقي، ويقال: المري، مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها، يقال: إنه ربيب نافع وقد اختص به كثيراً، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، توفي سنة (٢٢٠هـ). غاية النهاية (١/ ٦١٥).

(٤) هو أبو إسحاق إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الأنصاري المدني، من كبار علماء المدينة في القرآن والحديث، قرأ على شيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع، وتصدر للإقراء والحديث، قال ابن معين: ثقة مأمون، توفي سنة (١٨٠هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٣٥).

وروى عنه ورش تخفيف الثانية بينَ بينَ دون إدخال ألف بين الهمزتين، فأمَّا عاصم وحمزة والكسائي ـ إذا حقَّق ـ وابن عامر: فبالهمزتين ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وما كان مثله في كل القرآن[١].

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما[٢]، وقرأ الزهري وابن محيصن: (أَنْذَرْتَهُم) بحذف الهمزة الأولى[٣].

وتدلّ ﴿أَمْ﴾ على الألف[٤] المحذوفة، وكثَّر مكي في هذه الآية بذكر جائزات لم يُقرأ بها[٥]، وحكاية مثل ذلك في كتب التفسير عناء.

و«الإنذار»: إعلام بتخويف، هذا حدُّه، وأنذرت فعل يتعدى إلى مفعولين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: ١٣]، / وقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[النبأ: ٤٠]، وأحد المفعولين في هذه الآية محذوف لدلالة المعنى عليه. [٢٨]

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الخبر، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام؛ لأن فيه التسوية التي هي في الاستفهام، ألا ترى أنك إذا قلت مخبراً: سواء عليَّ أقعدتَ أم ذهبت، وإذا قلت مستفهماً: أخرج زيد أم قام؟ فقد استوى الأمران عندك: هذان في الخبر، وهذان في الاستفهام، وعدم علمُ أحدهما

---

(١) نقلًا عن السبعة لابن مجاهد (١/ ١٣٦)، والمقروء به في المفتوحتين من الشاطبية والتيسير (ص: ٣٢) تحقيق الهمزتين لابن ذكوان والكوفيين، وتسهيل الثانية بلا إدخال لابن كثير، وبإدخال لقالون وأبي عمرو وهشام، ولورش إبدالها مدا، وتسهيلها كابن كثير.

(٢) التحقيق مع الفصل وجه في رواية الحلواني عن هشام كما في النشر في القراءات العشر (١/ ٣٦٤)، وانظر عزوها لابن أبي إسحاق في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨)، ولابن عباس في البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٧٩).

(٣) انظر عزوها لابن محيصن في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، وللزهري في تفسير الثعلبي (١/ ١٥٠)، ولهما في المحتسب (٢/ ٢٠٥).

(٤) في جار الله: «الهمزة».

(٥) حيث ذكر في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٤٢) فيها عشرة أوجه، انظر تفصيلها هناك.

بعينه، فلما عمَّتهما[1] التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام، وكل استفهام تسوية، وإن لم تكن كل تسوية استفهاماً.

وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ مأخوذٌ من الختم وهو الطبع، والخاتم: الطابع، وذهبت طائفةٌ من المتأولين إلى أن ذلك على الحقيقة، وأن القلب على هيئة الكف ينقبض مع زيادة الضلال والإعراض إصبعاً إصبعاً، وقال آخرون: «ذلك على المجاز»، وإن ما [اخترع][2] له في قلوبهم من الكفر والضلال والإعراض عن الإيمان سماه ختماً.

وقال آخرون ممن حمله على المجاز: «الختم هنا أسند إلى الله تعالى لما كفر الكافرون به وأعرضوا عن عبادته وتوحيده»، كما يقال: أهلك المال فلاناً وإنما أهلكه سوء تصرفه فيه.

وقرأ الجمهور: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقرأ ابن أبي عبلة: (وعلى أسماعهم)[3]، وهو في قراءة الجمهور مصدر يقع للقليل والكثير، وأيضاً فلما أضيف إلى ضمير جماعة دلَّ المضاف إليه على المراد، ويحتمل أن يريد: على مواضع سمعِهم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

و«الغشاوة»: الغطاء المغشِّي الساتر، ومنه قول النابغة:

[البسيط]
هَـلا سَـأَلْتِ بَنِي ذُبيَـان مَا حَسَـبي ... إِذَا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشمَط البَرَمَا[4]

وقال الآخر:

[الطويل]
تَبِعْتُـكَ إِذْ عَيْنِـي عَلَيْهَـا غِشَـاوَةٌ ... فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أُلُومُهَا[5]

---

(١) في أحمد٣: «علمتهما».

(٢) وفي الحمزوية وجار الله وأحمد٣ والسليمانية: «خلق».

(٣) انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٥١)، وهي قراءة شاذة.

(٤) البيت للنابغة الذبياني كما في تفسير الطبري (١/ ٢٦٥)، والشعر والشعراء (ص: ٢٣٩)، والأغاني (٤/ ٢٧٥)، وحماسة الخالديين (ص: ٦٨)، والبرم: اللئيم، وأصله: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، وفي أحمد٣: «الريحان» بدل «الدخان».

(٥) البيت للحارث بن خالد بن هشام بن المغيرة المخزومي كما في مجاز القرآن (١/ ٣١)، والأغاني (٣/ ٣١٤)، والمنتحل للثعالبي (ص: ١٨٠)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٠٨)، =

ورفع ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ على الابتداء وما قبله خبره.

وقرأ عاصم فيما روى المفضل الضبي عنه: (غشاوةً) بالنصب[١] على تقدير: وجعل على أبصارهم غشاوة، والختم على هذا التقدير في القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار[٢]، والوقف على قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾. وقرأ الباقون ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ بالرفع.

قال أبو علي: «وقراءة الرفع أولى؛ لأنَّ النصب إمَّا أن تحمله على ختم الظاهر فيعترض في ذلك أنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر، وإما أن تحمله على فعل يدل عليه ﴿خَتَمَ﴾ تقديره: وجعل على أبصارهم، فيجيء الكلام من باب:

.... مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْـحَـا[٣] [مجزوء الكامل]

وقول الآخر:

عَلَفْتُهَا تِبْناً ومَاء بارِداً[٤] .... [الرجز]

ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار، فقراءة الرفع أحسن، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة»[٥]. قال: «ولم أسمعْ من الغشاوة فعلًا مصرفاً بالواو، فإذا لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما اللام منه الياء من غَشِيَ يَغْشَى بدلالة قولهم: الغشيان، فالغِشاوة من غشي كالجِباوة من جبيت، في أن الواو كأنها بدل من

= وديوان الحماسة بشرح التبريزي (٢/ ٩١).

(١) السبعة لابن مجاهد (١/ ١٤٠)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٠)، وجامع البيان للداني (٢/ ٨٣٦)، وليست من طرق التيسير.

(٢) نقله ابن أبي حاتم (١/ ٤٢) عن ابن عباس.

(٣) عجز بيت وصدره: ياليتَ زوجكِ قدْ غدا، وهو لعبد الله بن الزبعرى، كما في إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٤٥).

(٤) صدر رجز، عجزه: حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا، قال الفراء في معاني القرآن (١/ ١٤) أنشدنيه بعض بني أسد يصف فرسه، وقال أيضاً: (٣/ ١٢٤) أنشدنيه بعض بني دبير، وفي خزانة الأدب (٣/ ١٣٣): ورأيت في حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذي الرمة ففتشت ديوانه فلم أجده فيه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٠-٣١١-٣١٢).

الياء، إذ لم يصرف منه فعل كما لم يصرف من الجباوة»[١].

وقال بعض المفسرين: «الغشاوة على الأسماع والأبصار، والوقف في قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٢]، وقال آخرون: «الختم في الجميع»، والغشاوة هي الخاتم، وقد ذكرنا اعتراض أبي عليٍّ على هذا القول.

وقرأ أبو حيوة: (غَشاوةٌ) بفتح الغين والرفع، وهي قراءة الأعمش، وقال الثوري: كان أصحاب عبد الله يقرءونها: (غَشيةٌ) بفتح الغين والياء والرفع، وقرأ الحسن: (غُشاوة) بضم الغين، وقرئت: (غَشاوة) بفتح الغين[٣]، وأصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عمامة، والأشياء التي هي أبداً مشتملة، فهكذا يجيء وزنها كالضِّمامة والعِمامة والكِنانة والعِصابة والرِّبابة وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ معناه: بمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله استوجبوا ذلك، و﴿عَظِيمٌ﴾ معناه: بالإضافة إلى عذاب دونه يتخلله فتور، وبهذا التخلل المتصوَّر يصح أن يتفاضل العَرَضان كسوادين أحدهما أشبعُ من الآخر، إذ قد تخلل الآخر ما ليس بسواد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

كان أصل النون أن تكسر للالتقاء[٤]، لكنها تفتح مع الألف واللام، ومن قال: استثقلت كسرتان تتوالى في كلمة على حرفين، فمعترَض بقولهم: مِنِ ابنك، ومِنِ اسمك، وما أشبهه.

---

(١) بقية كلام أبي علي السابق.

(٢) نقله الطبري عن ابن جريج (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر قراءة الحسن في تفسير الثعلبي (١/ ١٥١)، وذكر قراءة أصحاب ابن مسعود بالواو، وانظر قراءة أبي حيوة والأعمش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٩)، والشواذ للكرماني ص٤٩، وذكر الأخيرة في مختصر الشواذ (ص: ١٠) عن الحسن أيضاً.

(٤) في الحمزوية: «لالتقاء الساكنين».

واختلف النحويون في لفظة ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

فقال قوم: «هي من نسي، فأصل ناس: نَسَيٌ؛ قلب فجاء نَيَسٌ تحركت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً فقيل: ناسٌ، ثم دخلت الألف واللام».

وقال آخرون: «ناس اسم من أسماء الجموع دون هذا التعليل، دخلت عليه الألف واللام».

وقال آخرون: «أصل ناس: أُناسٌ / دخلت الألف واللام فجاء: الأناس، حذفت الهمزة فجاء: الناس، أدغمت اللام في النون لقرب المخارج». [٢٩]

وهذه الآية نزلت في المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ رجع من لفظ الواحد إلى لفظ الجمع بحسب لفظ: ﴿مَن﴾ ومعناها، وحَسُن ذلك لأنَّ الواحدَ قبل الجمع في الرتبة، ولا يجوز أن يرجع متكلم من لفظ جمع إلى توحيد، لو قلت: ومن الناس من [يقولون](١) ويتكلم، لم يجز.

وسمى الله تعالى يوم القيامة اليومَ الآخرَ؛ لأنه لا ليل بعده، ولا يقال يوم إلا لما تقدمه ليل، ثم نفى تعالى الإيمان عن المنافقين، وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾:

فقال الحسن بن أبي الحسن: «المعنى: يخادعون رسولَ الله» فأضاف الأمر إلى الله تجوزاً لتعلق رسوله به، ومخادعتُهم هي تحيُّلهم في أن يفشي رسول الله والمؤمنون لهم أسرارهم، فيتحفظون مما يكرهونه، ويتنبهون من ضرر المؤمنين على ما يحبونه»(٢).

وقال جماعة من المتأولين: «بل: يخادعون الله والمؤمنين»، وذلك بأن يُظهروا

---

(١) وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «يقومون».

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٤٨).

من الإيمان خلاف ما أبطنوا من الكفر ليحقنوا دماءهم ويحرزوا أموالهم ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا وفازوا، وإنما خدعوا أنفسهم لحصولهم في العذاب وما شعروا لذلك.

واختلف القراء في ﴿يُخَدِعُونَ﴾ الثاني: فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يخادعون﴾.

وقرأ [عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي][١]: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾[٢].

وقرأ أبو طالوت عبد السلام بن شداد[٣] والجارود بن أبي سبرة: (يُخْدَعون) بضم الياء[٤].

وقرأ قتادة ومُورِّقٌ العِجْلي[٥]: (يُخَدِّعون) بضم الياء وفتح الخاء، وكسر الدال وشدها[٦].

فوجه قراءة ابن كثير ومن ذكر إحراز تناسب اللفظ، وأن يسمى الفعل الثاني باسم الفعل الأول المسبِّب له، ويجيء ذلك كما قال الشاعر:

[الوافر] ألا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ عَلَيْنا فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٧]

---

(١) في أحمد٣: «الباقون».

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٢)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٤١).

(٣) هو عبد السلام بن أبي حازم شداد، أبو طالوت العبدي القيسي البصري، عن أنس وغزوان بن جرير وأبي عثمان النهدي، وعنه وكيع وأبو بدر السكوني والأنصاري ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وثقه ابن معين وأحمد. تاريخ الإسلام (٩/ ٥٠١).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥١). بضم الياء وفتح الدال، وهي قراءة شاذة.

(٥) هو مورق العجلي أبو المعتمر، بصري كبير القدر، روى عن عمر وأبي الدرداء، وأبي ذر، وابن عمر، وجندب، وعنه: توبة، وقتادة، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، كان ثقة عابداً، توفي في ولاية عمر بن هبيرة. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٦٤).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمورق في مختصر الشواذ (ص: ١٠)، ولهما في البحر المحيط (١/ ٩٣).

(٧) لعمرو بن كلثوم من معلقته، كما في شرح المعلقات التسع (ص: ٣٤٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧)، وعيون الأخبار (٢/ ٢١٠)، والعقد الفريد (٥/ ٣٤٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٥٧)، والمحكم (٨/ ٢٧).

فجعل انتصاره جهلاً، ويؤيد هذا المنزع في هذه الآية أن فاعَلَ قد تجيء من واحد كـ:عاقبتُ اللص وطارقتُ النعل.

وتتجه أيضاً هذه القراءة بأن ينزَّل ما يخطر ببالهم [ويهجس][1] في خواطرهم من الدخول في الدين والنفاق فيه والفكر في الأمر وضده في هذا المعنى بمنزلة [مجاورة][2] أجنبيين، فيكون الفعل كأنه من اثنين، وقد قال الشاعر:

تَذَكَّرَ مِنْ أَنَّى ومِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كذِي الهَجْمَةِ الأبِلْ[3] [الطويل]

وأنشد ابن الأعرابي:

لَمْ تَدْرِ مَا لَا وَلَسْتَ قَائِلَهَا عُمْرَكَ ما عِشْتَ آخِرَ الأَبَدِ [المنسرح]

وَلَمْ تُؤَامِرْ نَفْسَكَ مُمْتَرِياً فِيهَا وَفِي أُخْتِهَا ولَمْ تَلِدِ[4]

وقال الآخر:

يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ وفِي الْعَيْشِ فُسْحَةٌ أَيَسْتَوْتِغُ الذُّؤبَانَ أَمْ لَا يَطُورُهَا[5] [الطويل]

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

وكنت كذات الضِّنءِ لم تدْرِ إذ بغَتْ تؤامرُ نَفْسَيْها أتسرقُ أم تزني[6] [الطويل]

---

(١) وفي الحمزوية: «يتمحص».

(٢) وفي المطبوع: «محاورة»، وفي أحمد٣: «مخادعة».

(٣) البيت للكميت كما في تفسير الطبري (٤/ ٤١٥)، وفي الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٧): للكميت أو غيره.

(٤) البيتان لحمزة بن بيض في سليمان بن عبد الملك، كما في تاريخ دمشق (١٥/ ١٩٣)، ومعجم الأدباء (٣/ ١٢١٦)، وفي المطبوع وجار الله وفيض الله وأحمد٣ والسليمانية: «لم تكد».

(٥) البيت لرجل من فزارة كما في الحجة لأبي علي (١/ ٣١٩)، قال: والذؤبان: الأعداء، وهو بلا نسبة في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٢٢)، وفي المطبوع: «أيسترجع الذؤبان»، وفي الحمزوية: «أيسري مع الذؤبان»، وفي نور العثمانية: «أيسترتع».

(٦) البيت في الحجة لأبي علي (١/ ٣١٩) بلا نسبة، وجاء في الأغاني (١٤/ ٢٣٣): بلفظ: وكنتَ كذاتِ =

ووجه قراءة عاصم ومن ذكر: أن ذلك الفعل هو خدع لأنفسهم يمضي عليها، تقول: «خادعت الرجل» بمعنى: أعملت التحيل عليه، فخدعته بمعنى: تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد، والمصدر: خدع بكسر الخاء وخديعة، حكى ذلك أبو زيد[١]، فمعنى الآية: وما [يُنفذون][٢] السوء إلا على أنفسهم وفيها.

ووجه قراءة أبي طالوت أحد أمرين: إمَّا أن يقدر الكلام: وما يُخدعون إلا عن أنفسهم فحذف حرف الجر ووُصل الفعل كما قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: من قومه.

وإمَّا أن يكون (يخدعون) أُعمل عمل [ينتقصون][٣] لمَّا كان المعنى: وما ينتقصون ويستلبون إلا أنفسهم، ونحوه قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ولا تقول: رفثت إلى المرأة، ولكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، وإنما يقال: هل لك في كذا؟ ولكن لما كان المعنى: أَجْذبُك إلى أن تزكَّى، ساغ ذلك وحسُن، وهو باب سَنِيٌّ من فصاحة الكلام، ومنه قول الفرزدق:

[الرجز] كيف تراني قالباً مِجَنِّي ... قد قتلَ الله زياداً عنِّي[٤]

لما كانت «قتل» قد دخلها معنى: صرف، ومنه قول الآخر:

[الوافر] إذا رضِيتْ عليَّ بنو قُشَير ... لعمرُ الله أعجبني رِضَاهَا[٥]

= الفِسْقِ لم تدرِ ما حَوَتْ تَخَيَّرُ حالَيْهَا أتسرق أم تزني، منسوباً لعبد الله بن الزبير الأسدي من قصيدة يرثي فيها عمرو بن الزبير بن العوام، ويؤنب أخاه على قتله.

(١) حكاه عنه ابن سيده في المحكم (١/ ١٣٢).

(٢) وفي الحمزوية: «يفترون».

(٣) وفي المطبوع في الموضعين: ينتقضون.

(٤) البيت للفرزدق كما في المحكم (٦/ ٣٣٢)، والخصائص (٢/ ٣١٠) وزاد بينهما: أضرب أمري ظهره للبطن.

(٥) البيت للقحيف العقيلي العامري، كما مجاز القرآن (٢/ ٨٤)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٥٠٧)، والمحكم (٨/ ٢٤٣).

لما كانت «رضيت» قد تضمنت معنى: أقبلت عليَّ، وأمَّا الكسائي فقال في هذا البيت: «وصل رضي بوَصْل نقيضه وهو سخط، وقد تجري أمور في اللسان مجرى نقائضها»(١).

ووجه قراءة قتادة: المبالغة في الخدع؛ إذ هو مصيِّرٌ إلى عذاب الله.

قال الخليل: «يقال: خادع من واحدٍ؛ لأنَّ في المخادعة مهلةً،كما يقال: عالجت المريض؛ لمكان المهلة»(٢).

قال القاضي أبو محمد: وهذا من دقيقِ نظره، وكأنه يرد فاعَلَ إلى الاثنين ولا بدَّ من حيث ما فيه مهلةٌ ومدافعة ومماطلة، فكأنه يقاوم في المعنى الذي تجيء فيه فاعَلَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: وما يعلمون علم تفطُّن وتهدٍّ، وهي لفظة مأخوذة من الشعار، كأن الشيء المتفطَّن له شعار للنفس، والشعار: الثوب الذي يلي جسد/ الإنسان، وهو مأخوذٌ من الشِّعر، والشَّاعر المتفطن لغريب المعاني، وقولهم: ليت شعري، معناه: ليت فطنتي تدرك، ومن هذا المعنى قول الشَّاعر: [٣٠]

عَقَـوْا بِسَـهمٍ فَلَـمْ يَشْـعُر بِـهِ أَحَـدٌ ... ثُمَّ اسْتَفَاءُوا وَقَالُوا حَبَّذَا الوَضَحُ(٣) [البسيط]

واختلف ما الذي نفى الله عنهم أن يشعروا له؟:

فقالت طائفة: «وما يشعرون أن ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار».

وقال آخرون: «وما يشعرون أنَّ الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾»(٤).

---

(١) انظر: الإنصاف (٢/ ٦٣٠)، والخصائص (٢/ ٣١١).

(٢) لم أجده لغير ابن عطية وقد نقله عنه ابن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٢٧٦).

(٣) البيت للمتنخل الهذلي وهو مالك بن عمرو بن سويد، كما في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٥٠)، وأمالي القالي (١/ ٢٤٨)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٠٠)، ومعنى عقوا: رموا بسهم نحو الهواء إشعاراً منهم أنهم قد قبلوا الدية، ورضوا بها عوضاً عن الدم. والوضح: اللبن.

(٤) نقل الطبري (١/ ٢٧٨) الأول عن ابن زيد، واقتصر عليه مكي (١/ ١٥٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾.

المرض: عبارةٌ مستعارة للفساد الذي في [عقائد](١) هؤلاء المنافقين، وذلك إمَّا أن يكون شكّاً، وإمَّا جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون، وبنحو هذا فسر المتأولون(٢)، وقال قومٌ: «المرض: غمهم(٣) بظهور أمر رسول الله ﷺ».

وقرأ الأصمعي عن أبي عمرو: (مرْض) بسكون الرَّاء، وهي لغة في المصدر، قال أبو الفتح: «وليس بتخفيف»(٤).

واختلف المتأولون في معنى قوله: ﴿مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾:

فقيل: هو دعاء عليهم، وقيل: هو خبر أن الله قد فعل بهم ذلك(٥).

وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين، فهي على هؤلاء المنافقين عمًى، وكلما كذَّبوا زاد المرض.

وقرأ حمزة: ﴿فَزِادَهُم﴾ بكسر الزاي(٦)، وكذلك ابن عامر، وكان نافع يُشِمُّ الزاي إلى الكسر، وفتح الباقون(٧).

---

(١) وفي الحمزوية: «اعتقاد».

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٧٩).

(٣) وفي الحمزوية: «غشيهم».

(٤) المحتسب (١/ ٥٣).

(٥) التفسير الثاني ظاهر نقل الطبري (١/ ٢٨٢) عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة وابن زيد والربيع، ووصفه بأنه التأويل المجمع عليه.

(٦) أي: بإمالتها نحو الكسرة.

(٧) نقلًا عن كتاب السبعة لابن مجاهد (ص: ١٤١) وما بعدها، ونقل الإمالة الداني في التيسير (ص: ٥١) عن حمزة وابن ذكوان من رواية ابن الأحزم عن الأخفش عنه، ووردت إمالتها من طريق الداجوني عن هشام كما في النشر (٢/ ٧٠) وأمَّا نافع فالإضجاع عنه من رواية خلف عن إسحاق وابن جماز وإسماعيل بن جعفر عنه كما في السبعة (ص: ١٤٢) وليس ذلك في شيء من طرق التيسير والنشر.

و﴿أَلِيمٌ﴾ معناه: مؤلم، كما قال الشاعر ـ وهو عمرو بن معدي كرب ـ:

أَمِـنْ رَيْحانَـةَ الدَّاعِـي السَّـمِيعُ[١] .... [الوافر]

بمعنى: مسمع.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿يكذِّبون﴾ بضم الياء وتشديد الذال، وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال[٢].

فالقراءة بالتثقيل يؤيدها [قوله تعالى قبل: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا إخبارٌ بأنهم يكذبون.

والقراءة بالتخفيف يؤيدها][٣] أن سياق الآيات [قبل][٤] إنما هي إخبار بكذبهم، والتوعُّد بالعذاب الأليم متوجه على التكذيب وعلى الكذب في مثل هذه النازلة، إذ هو منطوٍ على الكفر، وقراءة التثقيل أرجح.

و(إذا) ظرف زمان، وحكي عن المبرد أنها في قولك في المفاجأة: خرجت فإذا زيد، ظرف مكان؛ لأنها تضمنت جثة[٥]، وهذا مردودٌ، لأن المعنى: خرجت فإذا حضور زيد، فإنما تضمنت المصدر كما يقتضيه سائر ظروف الزمان، ومنه قولهم: «اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ»[٦]، فمعناه: وجود خمر ووقوع أمر، والعامل في ﴿إِذَا﴾ في هذه الآية: ﴿قَالُوٓاْ﴾.

وأصل ﴿قِيلَ﴾: قُوِل نقلت حركة الواو إلى القاف فقلبت ياء لانكسار ما قبلها[٧].

---

(١) صدر بيت لعمرو بن معديكرب، وعجزه: يُؤَرِّقُنِي وأصْحَابِي هُجُوعُ، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٨٢)، والكامل (١/ ١٦٢)، والأغاني (١٥/ ١٩٩)، والأصمعيات (ص: ١٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٧٤)، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٠).

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، والتيسير للداني (ص: ٧٢).

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) من الحمزوية وأحمد٣.

(٥) انظر: المقتضب (١/ ١٧٨)، والحاكي له عنه مكي في الهداية (١/ ١٥٥).

(٦) هذه العبارة من قول امرئ القيس لَمَّا بلغه قَتْلُ أبيه، انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص: ٥٠)، والأغاني (٩/ ١٠٦).

(٧) انظر قاعدة أن كل واو انكسر ما قبلها انقلبت ياء في الجمل للخليل (١/ ٣٠٧)، والمقتضب (١/ ٦٢).

وقرأ الكسائي: ﴿قيل﴾، و﴿غيض﴾، و﴿سيء﴾، و﴿سيئت﴾، و﴿حيل﴾، و﴿سيق﴾، و﴿جيء﴾ بضم أوائل ذلك كله[(١)]، وروي مثل ذلك عن ابن عامر، وروي أيضاً عنه أنه كسر: ﴿غيض﴾، و﴿قيل﴾، و﴿جيء﴾، الغين والقاف والجيم حيث وقع من القرآن، وضم نافع من ذلك كله حرفين: ﴿سيء﴾، و﴿سيئت﴾ وكسر ما بقي، [وكان ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة][(٢)] يكسرون أوائل هذه الحروف كلها[(٣)].

والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ هو عائد إلى المنافقين المشار إليهم قبل[(٤)]، وقال بعض الناس: «الإشارة هنا هي إلى منافقي اليهود».

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «لم يجئ هؤلاء بعد»[(٥)]، ومعنى قوله: لم ينقرضوا، بل هم يجيئون في كل زمان.

و﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: بالكفر وموالاة الكفرة.

و﴿نَحْنُ﴾ اسم من ضمائر المرفوع مبني على الضم، إذ كان اسماً قويّاً يقع للواحد المعظم والاثنين والجماعة، فأعطي أسنى الحركات، وأيضاً فلما كان في الأغلب ضمير جماعة، وضمير الجماعة في الأسماء الظاهرة الواو، أعطي الضمة إذ هي أخت الواو[(٦)].

---

(١) المقصود بالضم هنا: إشمام الكسر الضم، وأما الضم الخالص فلم يقرأ به أحد لمخالفته للرسم، وقد أشار ابن مالك لهذه اللغات الثلاث بقوله في نائب الفاعل: واكْسِرْ أوِ اشْمِمْ فَا ثُلَاثِيٍّ أُعِلّ عَيْناً وضَمٌّ جَا كَبُوعَ فاحْتُمِلْ، وللتوسع انظر شروح الألفية هنا.

(٢) في أحمد٣: «الباقون».

(٣) نقلًا عن كتاب السبعة لابن مجاهد (١/ ١٤٣)، والمقروء به من طرق التيسير والنشر عن هشام إشمام الجميع، وعن ابن ذكوان إشمام (قيل، وحيل، وحيق، وسيء، وسيئت) فقط، انظر: التيسير (ص: ٧٢).

(٤) روى الطبري (١/ ٢٨٨) عن السُّدّيّ في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرّة الهَمْداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أنهم المنافقون.

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٢٨٧) بإسناد فيه: عباد بن عبد الله: هو الأسدي الكوفي، قال البخاري: «فيه نظر».

(٦) الهداية لمكي (١/ ١٥٨).

ولقول المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ثلاث تأويلات:

أحدها: جحد أنهم مفسدون، وهذا استمرار منهم على النفاق.

والثاني: أن يقرُّوا بموالاة الكفار ويدعون أنها صلاح من حيث هم قرابةٌ تُوصَل.

والثالث: أنهم مصلحون بين الكفار والمؤمنين، فلذلك يداخلون الكفار[١].

و﴿أَلَآ﴾ استفتاح كلام، و(إنَّ) بكسر الألف استئناف، و﴿هُمُ﴾ الثاني رفع بالابتداء و﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ خبره والجملة خبر (إنَّ)، ويحتمل أن يكون فصلاً ـ ويسميه الكوفيون: العماد ـ ويكون ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ خبر (إنَّ)، فعلى هذا لا موضع لـ﴿هُمُ﴾ من الإعراب، ويحتمل أن يكون تأكيداً للضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ فموضعه نصب.

ودخلت الألف واللام في قوله: ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ لمَّا تقدم ذكر اللفظة في قوله: ﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾ فكأنه ضرب من العهد، ولو جاء الخبر عنهم ولم يتقدم من اللفظة ذكر لقال: ألا إنهم مفسدون، قاله الجرجاني[٢].

وهذه الألف واللام تتضمن المبالغة، كما تقول: زيد هو الرجل؛ أي: حقُّ الرجل، فقد تستغني عن مقدمة تقتضي عهداً.

و(لكنْ) بجملته حرف استدراك، ويحتمل أن يراد هنا: / لا يشعرون أنهم مفسدون، ويحتمل أن يراد لا يشعرون أن الله يفضحهم، وهذا مع أن يكون قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ جحداً محضاً للإفساد، والاحتمال الأول هو بأن يكون قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ اعتقاداً منهم أنه صلاح في صلة القرابة، أو إصلاح بين المؤمنين والكافرين. [٣١]

---

(١) نقل النحاس في معاني القرآن (١/ ٩٢) الأول والثاني بلا عزو، ونقل الطبري (١/ ٢٩٠) الثاني عن مجاهد، والثالث عن ابن عباس.

(٢) نقله بلا عزو مكي في الهداية (١/ ١٦١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾.

المعنى: صدِّقوا بمحمد ﷺ وشرعه مثل ما صدقه المهاجرون والمحققون من أهل يثرب، قالوا: «أنكون كالذين خفت عقولهم؟»، والسفه: الخفة والرّقة الداعية إلى الخفة، يقال: «ثوب سفيه»، إذا كان رقيقاً مهلهل النسج، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[الطويل] مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيَاحٌ تَسَفَّهَتْ أعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[1]

وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء، فأطْلع الله عليه نبيَّه والمؤمنين، وقرر أنَّ السفه ورِقةَ الحلوم وفسادَ البصائر إنما هو في حيزهم وصفةٌ لهم، وأخبر أنهم لا يعلمون أنهم السفهاء للرَّين الذي على قلوبهم.

وقال قومٌ: «الآية نزلت في منافقي اليهود، والمراد بالناس: عبد الله بن سلام، ومن أسلم من بني إسرائيل»[2].

وهذا تخصيصٌ لا دليلَ عليه.

و﴿لَقُوا۟﴾ أصله: لَقِيوا، استثقلت الضمة على الياء فسكنت فاجتمع الساكنان فحذفت الياء، وقرأ ابن السميفع: (لاقوا الذين)[3].

وهذه كانت حال المنافقين إظهار الإيمان للمؤمنين، وإظهار الكفر في خلواتهم بعضهم مع بعض، وكان المؤمنون يلبسونهم على ذلك لموضع القرابة، فلم تلتمس عليهم الشهادات ولا تقرَّر تعيُّنهم في النفاق تقرراً يوجب لوضوحه الحكمَ بقتلهم وكان

(١) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، والكامل (٢/ ١٠٥)، والأصول في النحو (٢/ ٧٢)، والخصائص (٢/ ٤١٧)، وهو يصف فيه نساء فشبه مشيهن باهتزاز الرماح التي تميلها نواسم الرياح، وتسفهت الريح الأشجار: أمالتها، والرياح النواسم: الرياح الضعيفة.

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ١٤٥).

(٣) عزاها له النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣١)، وهي قراءة شاذة.

ما يظهرونه من الإيمان يحقن دماءهم، وكان رسول الله ﷺ يُعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة أن يُتحدث عنه أنه يقتل أصحابه فينفر الناس، حسبما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال له في وقت قول عبد الله بن أبي ابن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ القصة: «دَعْنِي يَا رَسُولَ الله أَضْرِب عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»، فَقَالَ: «دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[١].

فهذه طريقة أصحاب مالك رضي الله عنه في معنى كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين مع علمه بكفرهم في الجملة، نصّ على هذا محمد بن الجهم[٢] وإسماعيل القاضي[٣]، والأبهري[٤]، وابن الماجشون، واحتج بقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١][٥]، قال قتادة: «معناه: إذا هم أعلنوا النفاق»[٦].

قال مالك رحمه الله: «النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل

---

(١) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٥١٨) (٤٩٠٥) (٤٩٠٧)، ومسلم (٦٧٤٨).

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الجهم بن حبيش، ويعرف بابن الوراق المروزي، صحب إسماعيل القاضي وسمع منه وتفقه معه، وألف كتباً جلة على مذهب مالك، روى عنه أبو بكر الأبهري، وتوفي سنة (٣٢٩هـ). الديباج المذهب (ص: ٢٤٣).

(٣) هو الفقيه المالكي؛ إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الأزدي، المتوفي سنة (٢٨٢هـ)، ومؤلف الكتب العديدة في نصرة المذهب المالكي والرد على مخالفيه، انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٩)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٣٠٤)، وما بعدها.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح، أبو بكر التميمي الأبهري القاضي المالكي، شيخ المالكية العراقيين، له في شرح المذهب تصانيف ورد على المخالفين، وحدث عنه خلق كثير، وكان إمام العراقيين في زمانه، توفي سنة (٣٧٥هـ). تاريخ الإسلام (٢٦/ ٥٨٠).

(٥) انظر قول ابن الماجشون في: الاستذكار (٢/ ٣٥٧-٣٥٨)، وانظر قول الباقين في: الجامع لأحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٩٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٧)، بالمعنى.

الزنديق إذا شُهد عليه بها دون استتابة؛ لأنه لا يُظْهر ما يستتاب منه، وإنما كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين ليسنَّ لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذا لم يُشهَد على المنافقين»[١].

قال القاضي إسماعيل: «لم يشهد على عبد الله بن أبي إلا زيد بن أرقم[٢] وحده، ولا على الجُلَاس بن سُوَيد[٣] إلا عمير بن سعد[٤] ربيبه وحده، ولو شهد على أحدٍ منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل»[٥].

قال القاضي أبو محمد: أقوى من انفراد زيد وغيره أنَّ اللفظَ ليس بصريحِ كفرٍ وإنما يفهم من قوته الكفر.

[قال الشافعي رحمه الله: «السنة فيمن شُهد عليه بالزندقة فجحد وأعلن بالإيمان وتبرأ من كل دين سوى الإسلام أن ذلك يمنع من إراقة دمه»[٦]، وبه قال أصحاب الرأي والطبري وغيرهم[٧]][٨].

---

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٣٥٧-٣٧٨).

(٢) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وله حديث كثير، روى عنه أنس مكاتبة، وأبو الطّفيل، وغيرهما، وهو الّذي سمع ابن أبي يقول: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فأخبر رسول الله ﷺ، فسأل عبد الله، فأنكر، فأنزل الله تصديق زيد، مات بالكوفة سنة (٦٦هـ). الإصابة (٢/ ٤٨٧).

(٣) جلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته، انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٥٩٩).

(٤) هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري الأوسي، قال البغويّ: كان يقال له: نسيج وحده، صحب رسول الله ﷺ، وهو الّذي رفع إلى النبيّ ﷺكلام الجلاس بن سويد، وكان يتيماً في حجره، وشهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص، توفي في خلافة معاوية وكان من الزهاد. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٩٦).

(٥) انظر كلام القاضي إسماعيل في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٩٩).

(٦) انظر: الأم (١/ ٢٥٨، و٦/ ١٦٤).

(٧) انظر مذهب أهل الرأي في: حاشية الشلبي على تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ٢٨٤)، وانظر مذاهب البقية في التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٠٠).

(٨) ساقط من أحمد٣.

قال الشافعي وأصحابه: «وإنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام بألسنتهم مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجبُّ ما قبله، فمن قال: إن عقوبة الزنادقة أشد من عقوبة الكفار، فقد خالف معنى الكتاب والسنة، وجعل شهادة الشهود على الزنديق فوق شهادة الله على المنافقين»[١]، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وأهل الحديث: «فالمعنى الموجبُ لكفِّ رسول الله ﷺ عن قتل المنافقين مع العلم بهم: أنَّ الله تعالى نهاه عن قتلهم إذا أظهروا الإيمان وصلوا، فكذلك هو الزنديق»[٢].

واحتجَّ ابنُ حنبل بحديث عبيد الله بن عَدِيٍّ بن الخِيَار[٣] عن رجل من الأنصار في الذي شُهد عليه عند رسول الله ﷺ بالنفاق، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ الله؟»، قالُوا: بَلَى / ولَا شَهَادَةَ لَهُ، قال: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟»، قَالُوا: بَلَى وَلَا صَلَاةَ لَهُ، قَالَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْهُمْ»[٤]. [٣٢]

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (١٣/ ٣٢٨-٣٢٩)، والمنهاج شرح مسلم بن الحجاج للنووي (١/ ٩٤).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٣).

(٣) هو عبيد الله بن عدي بن الخيار النوفلي القرشي، قال ابن حبّان: له رؤية، وله رواية عن عمر، وعثمان، وعلي، وروى عنه عروة، وعطاء بن يزيد، وغيرهم، وكان من فقهاء قريش وعلمائهم، وكانت وفاته بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك. الإصابة (٥/ ٤٠).

(٤) اختلف فيه وصلًا وإرسالًا، والوصل أكثر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٢)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٠٩) وغيرهم من طريق معمر وابن جريج ـ مفرقين ـ وكذا رواه عقيل والليث ـ جميعاً عن الزهري بإسناده موصولاً، وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧١) عن الزهري بإسناده مرسلاً، وقد رواه روح بن عبادة عن مالك في غير الموطأ عن الزهري به موصولاً كذلك. راجع كتاب «مسند الموطأ» لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الجوهري (ص: ١٩٠).

وذكر أيضاً أهل الحديث ما روي عن رسول الله ﷺ أَنَّه قَالَ فِيهِم: «لَعَلَّ اللهَ [سَيُخْرِجُ][(١)] مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ بالله ويُصَدِّقُ المرْسَلِينَ، ويُخْلِصُ الْعِبَادَاتِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[(٢)].

قال أبو جعفر الطبري في كتاب «اللطيف»[(٣)] في باب المرتد: «إنَّ الله تعالى قد جعل الأحكام[(٤)] بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون أحد من خلقه، فليس لأحدٍ أن يحكم بخلاف ما ظهر؛ لأنه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحدٍ كان أولى الناس به رسول الله ﷺ، وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا ووكل سرائرهم إلى الله، وقد كذَّب الله ظاهرهم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]»[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: ينفصل المالكيون عما أُلزموه من هذه الآية بأنها لم تعين أشخاصهم، وإنما جاء فيها توبيخ لكل [مغموص][(٦)] عليه بالنفاق، وبقي لكل واحد منهم أن يقول: لم أُرَدْ بها، ولا أنا[(٧)] إلا مؤمن، ولو عُيِّن أحد لما جبَّ كذبه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ وصلت ﴿خَلَوْاْ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾ ـ وعُرفها أن توصل[(٨)] بالباء فتقول: خلوت بفلان ـ من حيث نزِّلت ﴿خَلَوْاْ﴾ في هذا الموضع

---

(١) في الحمزوية وجار الله وفيض الله: «يستخرج».

(٢) لم أقف عليه، لكن ورد مثل هذا في مشركي أهل الطائف، رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) بلفظ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

(٣) قال ابن النديم في الفهرست (١/ ٣٢٦): إن الطبري له مذهب في الفقه اختاره لنفسه، وله في ذلك عدة كتب منها كتاب اللطيف في الفقه يحتوي على عدة كتب: كتاب البسيط في الفقه ولم يتمه، والذي خرج منه كتاب الشروط الكبير، كتاب المحاضر والسجلات، كتاب الوصايا، كتاب أدب القاضي، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة... وآخر ما أمل منه إلى سنة (٣٠٢).

(٤) في أحمد٣: «الإسلام».

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٠).

(٦) وفي الحمزوية ونور العثمانية: «مغموض».

(٧) وفي المطبوع: «وما أنا».

(٨) في فيض الله والحمزوية والسليمانية: «تصل».

منزلة ذهبوا وانصرفوا، إذ هو فعل معادل لقوله: ﴿لَقُوا﴾، وهذا مثل ما تقدَّم من قول الفرزدق:

قَـدْ قَـتَـلَ اللهُ زيــاداً عـنِّـي[١] .... [الرجز]

لما أنزله منزلة صرف وردَّ، قال مكي: «يقال: خلوت بفلان، بمعنى: سخرت به، فجاءت ﴿إِلَىٰ﴾ في الآية زوالاً عن الاشتراك في الباء»[٢].

وقال قوم: «﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: مع»، وفي هذا ضعفٌ، ويأتي بيانه إن شاء الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال قوم: «﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى الباء»؛ إذ حروف المعاني يبدل بعضها من بعض، وهذا ضعيفٌ يأباه الخليل وسيبويه وغيرهما[٣].

واختلف المفسرون في المراد بــالشياطين:

فقال ابن عباس رضي الله عنه: «هم رؤساء الكفر»[٤]، وقال ابن الكلبي[٥] وغيره: «هم شياطين الجن»[٦]، وهذا في هذا الموضع بعيد، وقال جمع من المفسرين: «هم الكهَّان»[٧].

---

(١) البيت للفرزدق كما تقدم قريباً.

(٢) الهداية لمكي (١/ ١٦٤).

(٣) القول بأنها بمعنى «إلى» نقله ابن عبد السلام في تفسيره (١/ ١٤)، وابن منظور في لسان العرب (١٤/ ٢٣٨) عن اللحياني، والقول بأنها بمعنى الباء نقله السمعاني (١/ ٥٠)، والبغوي (١/ ٦٧)، وقول سيبويه والخليل نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣).

(٤) رواه الطبري في التفسير (١/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٥) في أحمد٣: «ابن الحلبي»، وهو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو، أبو النضر الكلبي الكوفي الأخباري العلامة صاحب التفسير. روى عن الشعبي وأبي صالح باذام وأصبغ بن نباتة وطائفة. تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ٢٦٧).

(٦) نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣).

(٧) نقله في البحر المحيط (١/ ١١٣) عن الضحاك وجماعة.

ولفظ الشيطنة الذي معناه البعدُ عن الإيمان والخير يعم جميع مَن ذُكر والمنافقين حتى يقدر كل واحد شيطان غيره، فمنهم الخالون، ومنهم الشياطين.

و﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ معناه: نتخذ هؤلاء الذين نصانعهم بإظهار الإيمان هزواً ونستخفُّ بهم، ومذهب سيبويه ـ رحمه الله ـ أن تكون الهمزة مضمومة على الواو في ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾[1]، وحكى عنه أبو علي: «أنها تخفف بين بين، ومذهب أبي الحسن الأخفش[2] أن تقلب الهمزة ياء قلباً صحيحاً فيُقرأ: (مستهزيون)»[3].

قال ابن جني: «حمَّل الياء الضمة تذكراً لحال الهمزة المضمومة، والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة»[4].

وأكثر القراء على ما ذهب إليه سيبويه، ويقال: هزئ واستهزأ بمعنًى، فهو كعجب واستعجب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ومُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَىٰ مِنْ أناتِنَا ... ولَو زَبَنَتْهُ الحربُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ[5]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء:

فقال جمهور العلماء: «هي تسمية العقوبة باسم الذَّنب»، والعرب تستعمل ذلك كثيراً، ومنه قول الشاعر:

---

(١) الكتاب (١/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥).

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١/ ٣٥٤).

(٤) انظر: المحتسب (١/ ١٦١).

(٥) البيت لأوس بن حجر في ديوانه (ص: ١٢١)، والبيان والتبيين (١/ ٤٨٠)، وشرح كتاب الأمثال للبكري (ص: ٢٠٣)، وقوله: زبنته الحرب: دفعته. وقوله: لم يترمرم، أي: لم يحرك فاه للكلام، انظر: الصحاح (١/ ٢٦٩).

ألا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ عَلَيْنا فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[١] [الوافر]

وقال قوم: «إنَّ الله تعالى يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل[٢] البشر هزؤٌ، حسبما يروى أنَّ النَّار تجمد كما تجمد الإهالة، فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم»[٣]، وما يُروى: أن أبواب النار تفتح لهم فيذهبون إلى الخروج، نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن[٤].

وقال قوم: استهزاؤه بهم هو استدراجهم من حيث لا يعلمون، وذلك أنهم بِدُرُور[٥] نعم الله الدنيوية عليهم يظنون أنه راضٍ عنهم وهو تعالى قد حَتَم[٦] عذابهم، فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ معناه: يزيدهم في الطغيان، وقال مجاهد: «معناه: يملي لهم»[٧].

قال يونس بن حبيب[٨]: «يقال: مد في الشر، وأمد في الخير»[٩].

وقال غيره: «مدَّ الشيءُ، ومدَّه[١٠] ما كان مثله ومن جنسه، وأمدَّه ما كان مغايراً له، تقول: مدَّ النهرُ ومدَّه نهر آخر، ويقال أمدَّه»[١١].

---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم كما تقدَّم قريباً.

(٢) وفي الحمزوية: «تأويل»، في الموضعين.

(٣) نقله القرطبي (١/ ٢٠٨)، وابن عرفة في تفسيره (٢/ ١٥١)، ولم أجده مسنداً.

(٤) انظر: الطبري (١/ ٣٠٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٥) في الحمزوية: «يرون».

(٦) في الحمزوية: «ختم عليهم»، وفي جار الله: «ختم عذابهم».

(٧) انظر قول مجاهد في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨)، وتفسير الطبري (١/ ٣٠٧)، ونقله أيضاً عن ابن مسعود وبعض الصحابة.

(٨) هو العلامة، أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي مولاهم البصري، إمام أهل النحو، أخذ عن: أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، وغيرهما، أخذ عنه: الكسائي، وسيبويه، والفراء، وله مصنفات في العربية، توفي سنة (١٨٣هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٨١).

(٩) تهذيب اللغة (١٤/ ٦٠).

(١٠) في أحمد٣: «وأمده».

(١١) انظر هذا الفرق في المحكم (٩/ ٢٨٨) عن ثعلب، واللغتان في النهر فيه (٢/ ٤٤٤) عن أبي حاتم و(٣/ ٢٣) عن أبي عبيد.

قال اللحياني: «يقال لكلِّ شيء دخل فيه مثله فكثَّره: مده يمده مدّاً، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]، ومادة الشيء ما يمده دخلت فيه الهاء للمبالغة»[١].

قال ابن قتيبة[٢] وغيره: «مددتُ الدواة وأمددتها بمعنى»[٣].

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن يكون مددتها: جعلت إلى مدادها آخر، وأمددتها: جعلتها ذاتَ مداد، مثل: قَبَـرَ وأقْبَـرَ، وحَصَرَ وأحْصَرَ، ومددنا القوم صرنا لهم أنصاراً، وأمددناهم بغيرنا، وحكى اللحياني أيضاً: «أمدّ الأمير جنده بالخيل»[٤]، وفي التنزيل: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦].

[٣٣] قال بعض اللغويين: «﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾؛ أي: / يمهلهم ويلجُّهم»[٥].

فتحتمل اللفظة أن تكون من المد الذي هو المطل والتطويل، كما فسَّر: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٩]، ويحتمل أن تكون من معنى الزيادة في نفس الطغيان، [والطغيان: الغلو وتعدي الحد، كما يقال: طغا الماء وطغت النار.

وروي عن الكسائي إمالة: ﴿طُغْيَـٰنِهِمْ﴾[٦]][٧].

---

(١) نقله عنه ابن سيده في المحكم (٩/ ٢٨٨).

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيّ، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، من كتبه: غريب القرآن، وأدب الكاتب، وغيرهما، توفي سنة (٢٧٦هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧).

(٣) في أدب الكاتب (١/ ٣٣٤).

(٤) انظر: المحكم (٩/ ٢٨٨)، واللسان (٣/ ٣٩٦).

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٥٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٥١).

(٦) هي من تفرد الكسائي من رواية الدوري عنه. انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٤٩).

(٧) ساقط من أحمد٣.

و﴿يَعۡمَهُونَ﴾ معناه[١]: يترددون حيرةً، والعَمَه: الحيرة من جهة النظر، والعامِهُ الذي كأنه لا يبصر من التحير في ظلام أو فلاة أو همٍّ.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المتقدم ذكرهم، وهو رفع بالابتداء و﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبره[٢]، و﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ صلة لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وأصله: اشتريوا، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، فحذفت لالتقاء الساكنين، وقيل: استثقلت الضمة على الياء فسكِّنت وحذفت للالتقاء، وحركت الواو بعد ذلك للالتقاء بالساكن بعدها، وخصت بالضم لوجوه، منها: أن الضمة أخت الواو وأخف الحركات عليها، ومنها: أنه لما كانت واوَ جماعة ضمت كما فعل بالنون في «نحن»، ومنها: أنها ضمت إتباعاً لحركة الياء المحذوفة قبلها، قال أبو علي: «صار الضم فيها أولى ليفصَل بينها وبين واو «أو» و«لو» إذ هذان يحركان بالكسر»[٣].

وقرأ أبو السَّمَّال قَعْنَبٌ العَدَوي[٤] بفتح الواو في: (اشتروَا الضلالة)[٥]، وقرأها يحيى ابن يَعْمَرَ بكسر الواو[٦].

والضلالة والضلال: التلف، نقيض الهدى الذي هو الرشاد إلى المقصد.

واختلفت عبارة المفسرين في معنى قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾:

فقال قومٌ: «أخذوا الضلالة وتركوا الهدى». وقال آخرون: «استحبوا الضلالة وتجنبوا الهدى كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]».

---

(١) من السليمانية وأحمد٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠).

(٣) الحجة للفارسي (١/ ٣٦٩).

(٤) هو أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العدوي، البصري المقرئ، له قراءة شاذة في الكامل لأبي القاسم الهذلي وفي غيره. رواها عنه أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، قال الهذلي: إمام في العربية، توفي في حدود (١٦٠ هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٥٧٦).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٢)، وهي قراءة شاذة.

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٥٤)، وهي قراءة شاذة.

وقال آخرون: «الشراء هنا استعارة وتشبيه، لمَّا تركوا الهدى وهو معرَّض لهم ووقعوا بدله في الضلالة واختاروها شُبهوا بمن اشترى فكأنهم دَفعوا في الضلالة هداهم إذ كان لهم أخذُه»[١].

وبهذا المعنى تعلق مالك رحمه الله في منع أن يشتري الرجل على أن يتخيَّر في كل ما تختلف آحاد جنسه ولا يجوز فيه التفاضل[٢].

وقال قوم: «الآية فيمن كان آمن من المنافقين ثم ارتد في باطنه وعقده، ويقرب[٣] [الشراء من الحقيقة][٤] على هذا»[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ ختم للمثل بما يشبه مبدأه في لفظة الشراء، وأسند الربح إلى التجارة كما قالوا: ليل قائمٌ ونهار صائمٌ. والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (فما رَبِحَت تجاراتهم) بالجمع[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ قيل: المعنى: في شرائهم هذا، وقيل: على الإطلاق، وقيل: في سابق علم الله، وكل هذا يحتمله اللفظ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾.

«الْمَثل، والْمِثل، والْمَثيل» واحد، معناه: الشِّبه، هكذا نصَّ أهلُ اللغة، والمتماثلان المتشابهان، وقد يكون مِثْلُ الشيء جِرماً مثله، وقد يكون ما تعقل النفس وتتوهمه من

---

(١) نقل ابن أبي حاتم (١/ ٥٠)، والطبري (١/ ٣١٢) الأول عن السدي، والثاني عن قتادة؛ ونقل الثالث الباقلاني في إعجاز القرآن (١/ ٧٧).

(٢) انظر: الذخيرة (٥/ ٣٢)، والتاج والإكليل للمواق (٧/ ١٥).

(٣) وفي الحمزوية: «ويُفسَّر».

(٤) في أحمد٣: «من الشراء إلى الحقيقة».

(٥) روى ابن أبي حاتم (١/ ٥٠) عن قتادة أنها نزلت في المنافقين.

(٦) تفسير الثعلبي (١/ ١٥٩)، وهي قراءة شاذة.

الشيء مثلاً له، فقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ معناه: أن الذي يتحصل في نفس الناظر في أمرهم كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في أمر المستوقد، وبهذا يزول الإشكال[1] الذي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأنَّ ما يتحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفي ما لا يجوز عليه ليس يماثله فيه شيء، وذلك المتحصِّل هو المثل الأعلى الذي في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقد جاء في تفسيره أنه: لا إله إلا الله، ففسِّر بجهة الوحدانية.

وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ رفع بالابتداء، والخبر في الكاف، وهي على هذا اسم[2]، كما هي في قول الأعشى:

أَتَنْتَهُونَ ولَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ   كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ[3]   [البسيط]

ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً تقديره: مثلهم مستقرٌ كمثل، فالكاف على هذا حرف، ولا يجوز ذلك في بيت الأعشى؛ لأن المحذوف فاعلٌ تقديره: شيء كالطعن، والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور البصريين، ويجوز حذف خبر الابتداء إذا كان الكلام دالّاً عليه، وجوَّز أبو الحسن الأخفش حذفَ الفاعل[4]، وأن يكون الكاف في بيت الأعشى حرفاً.

ووحّدَ ﴿ٱلَّذِى﴾ لأنَّه لم يقصد تشبيه الجماعة بالجماعة، وإنما المقصَدُ أنَّ كلَّ واحدٍ من المنافقين فعله كفعل المستوقد، و﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً ليس بإشارة إلى واحدٍ ولا بدَّ، بل إلى هذا الفعل: وقع من واحد أو من جماعة.

---

(١) الإشكال المشار إليه هو أن إضافة المثل إلى الله تعالى أو إلى الجنة يتوهم منها وجود مثل لهما وذلك غير مقصود؛ إذ لا وجود له.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٣)، والمقتضب (١/ ٢٣٧).

(٣) البيت للأعشى كما تقدَّم قريباً، والشطر الأول ساقط من الأصل، وتم التنبيه في هامشه على أنه نسخة.

(٤) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ونقل عنه ذلك الرضي في شرح الكافية (٤/ ١٢٩)، وانظر: الخزانة (٤/ ٢٦٠).

قال النحويون: «الَّذي: اسم مبهمٌ يقع للواحد والجميع».

و﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ قيل: معناه: أوقد، فذلك بمنزلة عجب واستعجب بمعنًى.

قال أبو علي: «وبمنزلة هزئ واستهزأ، وسخر واستسخر، [وقرَّ واستقر][1]، وعلا قرنه واستعلاه، وقد جاء استفعل بمعنى أفعل: أجاب واستجاب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَدَاعٍ دَعَـا يَا مَنْ يُجيـبُ إلىٰ النَّدىٰ ... فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذاك مُجِيـبُ[2]

وأخلف لأهله واستخلف: إذا جلب لهم الماء، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] ومُسْـتَخْلِفاتٍ مـن بِـلادِ تَنُوفَـةٍ ... لِمُصْفَرَّةِ الأشْـداقِ حُمرِ الحَوَاصِلِ[3]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] .... سَـقَاها فَرَوَّاها من المَاءِ مُخْلِفُ[4]

[٣٤] / ومنه: أوقد واستوقد، قاله أبو زيد»[5]، وقيل: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ يراد به طلب من غيره أن يوقد له، على المشهور من باب استفعل، وذلك يقتضي حاجته إلى النار، فانطفاؤها مع حاجته إليها أنكى له.

---

(١) ساقط من جار الله وفيض الله.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي كما في تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣)، ومجاز القرآن (١/ ٦٧)، ونوادر أبي زيد (ص: ٣٧)، والأصمعيات (ص: ٩٦) من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وبعد البيت: فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرى وارْفع الصَّوتَ جَهرَة لَعَلَّ أبَا الْمِغْوار مِنْكَ قَرِيبُ، وهو لابنه محمد في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٥٥)، والشطر الأول ساقط من الأصل وفيض الله وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٣) البيت لذي الرمَّة كما في الأمالي للقالي (١/ ١٥٨)، والمخصص (٢/ ٤٦٣)، والتنوفة: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة، جمعها: تنائف.

(٤) عجز بيت للحطيئة، وصدره: كأن دموعي سح واهية الكلى، انظر عزوه له في لسان العرب (٩/ ٨٨)، وقد استشهد به ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٢٠٠)، وأبو علي في الحجة (١/ ٣٥٣)، بلا نسبة، ومن الحجة نقل المؤلف هذا كله.

(٥) نقله عنه ابن سيده في المخصص (٣/ ١٦٧).

واختلف في ﴿أَضَآءَتۡ﴾ فقيل: يتعدى؛ لأنه نُقل بالهمزة من ضاء، ومنه قول العباس بن عبد المطلب في النبيﷺ:

وأنت لما وُلِدْتَ أشْرقتِ الـ أرضُ وضاءَتْ بنُورِك الطرق[1] [المنسرح]

وعلى هذا، فـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ مفعولة[2]، وقيل: ﴿أَضَآءَتۡ﴾ لا تتعدى، لأنه يقال: ضاء وأضاء بمعنًى، فـ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿حَوۡلَهُۥ﴾ ظرف.

واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد ناراً:

فقالت طائفة: «هي فيمن كان آمن ثمَّ كفر بالنفاق، فإيمانه بمنزلة النار إذا أضاءت، وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور».

وقال الحسن بن أبي الحسن وغيره: «إنَّ ما يُظهر المنافق في الدنيا من الإيمان فيحقن به دمه ويحرز ماله ويناكح ويخالط كالنار التي أضاءت ما حوله، فإذا مات صار إلى العذاب الأليم، فذلك بمنزلة انطفائها وبقائه في الظلمات».

وقالت فرقة: «إنَّ إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار، وانصرافهم إلى مردتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها».

وقالت فرقة: إن المنافقين كانوا عند رسول الله ﷺ والمؤمنين في منزلة بما أظهروه، فلما فضحهم الله وأعلم بنفاقهم سقطت المنزلة، فكان ذلك كله بمنزلة النار وانطفائها.

وقالت فرقة منهم قتادة: نطقهم: بـ«لا إله إلا الله»، والقرآن كإضاءة النار، واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها[3].

---

(١) البيت للعباس بن عبد المطلب في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٣٦٩)، والمعجم الكبير (٤/ ٢١٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٤١٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧٥)، وأمالي الزجاجي (ص: ٦٦)، وفي نسخة الحمزوية والمطبوع بدل «الطرق»: «الأفق».

(٢) في جار الله: «مفعول».

(٣) هذه خمسة أقوال متقاربة بل متداخلة: فالثاني نقله ابن أبي حاتم (١/ ٥١) عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن أنس وعطاء الخراساني، ونقله الطبري (١/ ٣٢٢) عن الضحاك، ونقل الطبريُّ الأول عن قتادة، والثالث عن مجاهد، والخامس عن قتادة.

قال جمهور النحاة: جواب ﴿فَلَمَّآ﴾: ﴿ذَهَبَ﴾، ويعود الضمير من «نورهم» في هذا القول على ﴿ٱلَّذِى﴾، ويصح شَبَه الآية بقول الشاعر:

[الطويل] وَإِنَّ الَّـذِي حَانَـتْ بِفَلْـجٍ دِمَاؤُهُـمْ هُـمُ الْقَـوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَـا أُمَّ خَالِدِ[1]

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد؛ لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم.

وقال قوم: جواب ﴿فَلَمَّآ﴾ مضمر وهو طفئت، والضمير في نورهم على هذا للمنافق، والإخبار بهذا هو عن حالٍ تكونُ في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ [الحديد: ١٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القولُ غير قوي.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو السَّمَّال: (في ظُلْماتٍ) بسكون اللام[2]، وقرأ قوم: (ظُلَماتٍ) بفتح اللام[3].

قال أبو الفتح: «في (ظُلُمات، وكِسِرات) ثلاث لغات: إتباع الضمِّ الضمَّ، والكسرِ الكسرَ، أو التخفيف بأن يُعدل إلى الفتح في الثاني، أو التخفيف بأن يسكَّن الثاني، وكل ذلك جائزٌ حسن، فأمَّا فَعْلَة بالفتح فلا بدَّ فيه من التثقيل إتباعاً، فتقول: ثَمَرَة وثَمَرَات»[4].

وذهب قومٌ في (ظُلَماتٍ) بفتح اللام إلى أنه جمع ظُلَم، فهو جمع جمع[5].

---

(١) البيت لأشهب بن رميلة في البيان والتبيين (٣/ ٢٨٠)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٠)، والكتاب (١/ ١٨٦)، والمقتضب (٤/ ١٤٦)، والمحكم (١٠/ ١٠٨)، والمحتسب (١/ ١٨٥)، وفلج: اسم موضع.

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ٥٦)، إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٢)، تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ١١١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) نسبها الثعلبي (١/ ١٦٣) لأشهب العقيلي، وهي قراءة شاذة.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥٦).

(٥) نقله النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٣)، عن الكسائي.

والأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا ينطق ولا يفهم، فإذا فهم فهو الأخرس، وقيل: الأبكم والأخرس واحدٌ، ووصفهم بهذه الصفات إذ أعمالهم من الخطأ وقلة الإجابة كأعمال من هذه صفته، و﴿ صُمٌّ ﴾ رفع على خبر ابتداء، فإمَّا أن يكون ذلك على تقدير تكرار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، وإمَّا على إضمارِ هم.

وقرأ عبد الله بن مسعود وحفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ: (صمّاً بكماً عمْياً) بالنصب[1]، ونصبه على الحال من الضمير في ﴿مُهْتَدِينَ ﴾، وقيل: هو نصب على الذم، وفيه ضعف، وأمَّا مَن جعل الضمير في «نورهم» للمنافقين لا للمستوقدين فنصب هذه الصفات ـ على قوله ـ على الحال من الضمير في «تَرَكَهُمْ».

قال بعضُ المفسرين: «قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ إخبارٌ منه تعالى أَنَّهم [لا يؤمنون][2] بوجهٍ».

قال القاضي أبو محمد: وإنما كان يصح هذا أن لو كانت الآية في معيَّنين.

وقال غيره: «معناه: فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ما داموا على الحال التي وصفهم بها»، وهذا هو الصحيحُ؛ لأنَّ الآيةَ لم تعين، وكلهم معرضٌ للرجوع مدعوٌّ إليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾.

﴿ أَوْ ﴾ للتخيير، معناه: مثِّلوهم بهذا أو بهذا، لا على الاقتصار على أحد الأمرين، وقوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معطوف على ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ﴾. وقال الطبري: «﴿ أَوْ ﴾ بمعنى الواو»[3]، وهذه عجمة.

---

(١) عزاها الفراء في معاني القرآن (١/ ١٦) لابن مسعود، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٣) له ولحفصة، وهي قراءة شاذة.

(٢) في الحمزوية: «لا يرجعون».

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٣٦).

والصيب: المطرُ، مِنْ صَابَ يصوب: إذا انحطَّ من علوٍ إلى سفلٍ، ومنه قول علقمة ابن عَبَدَة[(١)]:

[الطويل] كَـأَنَّهـمُ صَابَـتْ عَـلَيْهِـمْ سَحَابَةٌ صَـوَاعِقُهَـا لِطَيْرِهِـنَّ دَبِيـبُ[(٢)]

وقول الآخر:

[الطويل] فَلَسْتَ لإِنْسِـيٍّ ولَـكِـنْ لملأكٍ تَنَـزَّلَ مِـن جَوِّ السَّـمَاءِ يَصُـوبُ[(٣)]

وأصل صيِّب: صَيْوِب، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت [الياء][(٤)]، كما فعل في سيّد وميّت.

[٣٥] وقال بعض الكوفيين: «أصل صيّب: صويب/ على مثال فعيل وكان يلزمه أن لا يُعل كما لم يعل طويل، فبهذا يضعف هذا القول»[(٥)].

---

(١) هو علقمة بن عبدة من بني تميم، جاهليّ. وهو الذي يقال له: علقمة الفحل، وسمّي بذلك لأنّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أمّ جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على رويّ واحد وقافية واحدة فحكمت له. الشعر والشعراء (١/ ٢١٢).

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوان الست (١/ ١٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٣)، وتفسير الطبري (١/ ٣٣٣)، وتفسير الماوردي (١/ ٨١)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٣٢)، والحيوان للجاحظ (٣/ ٨٩)، وغيرهم من أكابر أئمة اللغة كالمرزباني في الموشح (ص: ١٢٠)، وابن قتيبة في المعاني الكبير (٢/ ٨٦٠)، والأخفش في الاختيارين (ص: ٦٥٥)، ولعلَّ من أنكره من المتأخرين لم يقف على نسخة الديوان الصحيحة أو التبس عليه بيت آخر، والمعنى: أصابتها الصواعق فلم تقدر على الطيران من الفزع فجعلت تدب طلباً للنجاة.

(٣) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل أيضاً كما في صلة ديوانه (ص: ١١٨)، ونسبه له ابن الأنباري في الزاهر (٢/ ٢٥٥)، والضبي في المفضليات (ص٣٩٤)، والأعلم في دواوين الستة (٢/ ٣٧٩)، وفي شرحه لديوان علقمة (ص: ١٨) البيت رقم (٣٢)، قال: ويروى هذا البيت لغير علقمة، والصحيح أنه له، ورجح ذلك أيضاً التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق (١/ ١٢٦)، ونسبه له أيضاً الكسائي كما في تاج العروس (٢٧/ ٣٥٤)، قال: وقال ابن السيرافي: هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير، وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٣) لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، وينسب البيت أيضا للبيد، وهو في بعض نسخ ديوان متمم بن نويرة.

(٤) من أحمد٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣)، ومشكل الإعراب للقيسي (١/ ٨١).

وقوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بالجمع، إشارة إلى ظلمة الليل وظلمة الدَّجْن، ومن حيث تتراكب وتتزايد جُمعت، وكون الدَّجْن مظلماً هول وغم للنفس، بخلاف السحاب والمطر إذا انجلى دجنه، فإنه سارٌّ جميل، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[المتقارب]

فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطا كأنَّ المصَابيحَ حُوذانُها
بأحْسنَ منْها ولا مُزْنَةٌ دَلوحٌ تَكَشَّفُ أدجانُها[١]

واختلف العلماءُ في الرعد:

فقال ابن عباس، ومجاهد، وشهر بن حوشب[٢] وغيرهم: «هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع، كلما خالفت سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طار النار من فيه، فهي الصَّواعِق»[٣]، واسم هذا الملك: الرعد، وقيل: «الرعد: ملك، وهذا الصوت تسبيحه»، وقيل: «الرَّعد: اسم الصوت المسموع»، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا هو المعلومُ في لغة العرب، وقد قال لبيد في جاهليته:

[المنسرح]

فَجَعني الرّعْدُ والصّواعِقُ بالْـ ـفَارس يَوم الكريهَة النَّجُدِ[٤]

وروي عن ابن عباس أنه قال: «الرَّعد: ريح تختنق بين السحاب [فتصوِّت][٥]

---

(١) البيتان لقيس بن الخطيم كما في الأغاني (٢/ ٤١٧)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٣)، ورياض القطا: اسم موضع فيه نبت وماء مستدير. وقوله: «كأن المصابيح إلخ..» فيه قلب، والأصل: كأن حوذانها المصابيح، والعرب تفعل ذلك، والحوذان: نبت طيب يرتفع قدر الذراع وله زهرة حمراء في أصلها صفرة. والدَّلوح: السحابة الكثيرة الماء.

(٢) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد، روى عنها، وأبي هريرة، وعائشة، وقرأ القرآن على ابن عباس، وروى عنه: قتادة، ومعاوية بن قرة، وجماعة، قال ابن معين: ثبت، وقال النسائي: ليس بالقوي، توفي في حدود المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٦).

(٣) لا بأس بمجموع طرقه: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩) من عدة طرق عن ابن عباس، بعضها مستقيم.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري كما في الأغاني (١٧/ ٦٧)، وتهذيب اللغة (١/ ١١٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٠)، والكامل في اللغة والأدب (٤/ ٢٨).

(٥) في الأصل: «فتصوب».

ذلك الصوت»(١)، وقيل: «الرعد: اصطكاكُ أجرامِ السّحاب»(٢)، وأكثر العلماء على أنَّ الرَّعدَ ملكٌ، وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب(٣).

واختلفوا في البرق:

فقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هو مخراقُ حديدٍ بيدِ الملك يسوق به السحاب(٤)، [وقال ابنُ عباس: هو سوطُ نورٍ بيد الملك يزجي(٥) به السحاب] (٦)، وروي عن ابنِ عباس رضي الله عنه: «أنَّ البرقَ ملكٌ يتراءى»(٧)، وقال قومٌ: «البرقُ ماءٌ»(٨)، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

والصاعقة: قال الخليل: «هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحياناً قطعة نار، يقال: إنها من المخراق الذي بيد الملك»(٩)، وقيل في قطعة النار: إنها ما يخرج من فم الملك عند غضبه، وحكى الخليل عن قوم من العرب: السّاعقة بالسين(١٠)، وقال النقاش: «يقال: صاعقة، وصَعِقة، وصاقعة بمعنى واحد»(١١).

---

(١) ضعيف: أثر ابن عباس في تفسير الرعد بالريح ـ وليس فيه ما بعده هنا إنما هذا من قول الطبري نفسه ـ أخرجه الطبري (١/ ٣٤١) بإسنادين؛ الأول فيه من لم أعرفهم، والثاني منقطع.

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٨٣).

(٣) تفسير الطَّبري (١/ ٣٤١).

(٤) ضعيفٌ: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسنادين فيهما مجاهيل.

(٥) في جار الله: «يزجر».

(٦) ساقط من السليمانية، وهذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسناد فيه من لم أعرفه.

(٧) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) بإسناد ضعيف.

(٨) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٣٤٣) عن ابن عباس بأحد إسنادي تفسير الرعد بالريح، وفيه من لم أعرفهم.

(٩) العين (١/ ١٢٩) بمعناه.

(١٠) نقله القرطبي (١/ ٢١٩)، وفي العين (١/ ١٢٩): قال الخليل: «كل صاد قبل القاف إن شئت جعلتها سينا لا تبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة»، وذكر بعض الأمثلة ليس منها لفظ: الصاعقة، لكن كلامه يشملها.

(١١) نقله عنه القرطبي (١/ ٢١٩)، وانظر اللغات الثلاث في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٢١).

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (من الصواقع) بتقديم القاف[١]، قال أبو عمرو: وهي لغة تميم[٢].

وقرأ الضحاك بن مزاحم: (حِذارَ الموت): بكسر الحاء وبألف[٣].

واختلف المتأولون في المقصد بهذا المثل، وكيف تترتب أحوال المنافقين الموازنة لما في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق؟:

فقال جمهور المفسرين: «مثَّل الله تعالى القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم، والعمى: هو الظلمات، وما فيه من الوعيدِ والزَّجرِ هو الرَّعدُ، وما فيه من النورِ والحججِ الباهرةِ التي تكاد أحياناً[٤] أن تبهرهم هو البرقُ، وتخوُّفُهم وروعهم [وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم، وفضحُ نفاقهم، واشتهارُ كفرهم، وتكاليفُ الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة][٥] ونحوه هي الصواعق».

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلُّه صحيحٌ بَيّنٌ.

وروي عن ابن مسعود أنه قَال: «إنَّ رجلين من المنافقين هرَبَا مِنَ النَّبي ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطرُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ وأَيْقَنَا بالهلاك، فقالا: ليتنا أصبحنا فنأتيَ محمداً ونضع أيدينا في يده، فأصبحَا وأتيَاه وحسن إسلامهما، فضرب اللهُ ما نزل بهما مثلاً للمنافقين»[٦].

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤).

(٢) كما في الكامل للمبرد (٣/ ٢٣٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، قال: وبعض ربيعة.

(٣) الشواذ للكرماني (ص: ٥٣)، وزاد أبا السمال، وعزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٩) للّؤلؤي عن أبيه، والثعلبي في تفسيره (١/ ١٦٤) لقتادة، والهذلي في الكامل في (ص: ٤٨١) لابن مقسم ورواية عن أبي السمال، وهي قراءة شاذة.

(٤) من نور العثمانية والسليمانية وأحمد٣.

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) لا يصح: أخرجه الطبري (١/ ٣٤٦) مطولًا بإسناد هكذا: أسباط، عن السُّدّيّ في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، وقد ارتاب الطبري نفسه في هذا الإسناد ونفى صحته (١/ ٣٥٤).

وقال أيضاً ابنُ مسعود: «إنَّ المنافقين في مجلس رسول الله ﷺ كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن، فضرب الله المثل [لهم][(١)]»[(٢)]، وهذا وفاقٌ لقول الجمهور الذي ذكرناه.

وقال قومٌ: «الرعد والبرق هما بمثابة زجر القرآن ووعيده».

و﴿مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: بعقابه وأخذه، يقال: أحاط السلطان بفلان إذا أخذه أخذاً حاصراً من كل جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] ففي الكلام حذف مضاف، و﴿يَكَادُ﴾ فعل ينفي المعنى مع إيجابه ويوجبه مع النفي، فهنا لم يخطف البرق الأبصار، والخطف: الانتزاع بسرعة.

واختلفت القراءة في هذه اللفظة:

فقرأ جمهورُ النَّاس: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: بفتح الياء والطاء وسكون الخاء، على قولهم في الماضي: خطِف بكسر الطاء وهي أفصح لغات العرب، وهي القرشية.

وقرأ علي بن الحسين، ويحيى بن وثاب: (يَخْطِفُ) بفتح الياء وسكون الخاء وكسر الطاء[(٣)] على قول بعض العرب في الماضي: خطف بفتح الطاء، ونسب المهدوي هذه القراءة إلى الحسن وأبي[(٤)] رجاء، وذلك وهمٌ[(٥)].

وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري[(٦)]، وقتادة: (يَخِطِّفُ) بفتح

---

(١) وفي الحمزوية: «بهم».

(٢) هو نفس الخبر السابق.

(٣) انظر عزوها لهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٨٠) وهي قراءة شاذة.

(٤) في أحمد٣: ابن أبي رجاء.

(٥) وافقه على نقله عنه وتخطئته أبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (١/ ٤٩).

(٦) هو عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس وقرأ عليه عرضاً سلام وعيسى بن عمر الثقفي، وقراءته في الكامل والاتضاح فيها مناكير ولا يثبت سندها إليه، توفي سنة (١٢٨هـ). غاية النهاية (١/ ٣٤٩).

الياء وكسر الخاء والطاء وتشديد الطاء[1]، وهذه أصلها: يختطف، أدغمت [التاء في الطاء][2] وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين.

وحكى ابنُ مجاهد قراءةً لم ينسبْها إلى أحدٍ: (يَخَطِّفُ) بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء المكسورة[3]، قال أبو الفتح: «أصلها: يختطف، نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت التاء في الطاء»[4].

وحكى أبو عمرو الدانيُّ عن الحسن أيضاً، أنه قرأ: (يَخَطَّفُ) بفتح الياء والخاء والطاء وشدها[5]، وروي/ أيضاً عن الحسن والأعمش [(يِخِطِّفُ)][6] بكسر الثلاثة وشد الطاء منها[7]، وهذه أيضاً أصلها: يختطف، أدغم وكسرت الخاء للالتقاء وكسرت الياء إتباعاً. [٣٦]

وقال عبد الوارث: «رأيتها في مصحف أبي بن كعب (يَتَخَطّفُ) بالتاء بين الياء والخاء»[8].

وقال الفراء: «قرأ بعضُ أهلِ المدينة بفتح الياء وسكون الخاء وشد الطاء مكسورة»[9].

---

(١) انظر عزوها لهم في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، وإلا أبا رجاء في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في السليمانية: «الطاء في التاء».

(٣) نقله عنه ابن جني في المحتسب (١/ ٥٨) بلفظ: «ولم يرو لنا عن أحد»، وعزاها الثعلبي (١/ ١٦٤) لابن أبي إسحاق.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٥٩).

(٥) وهي قراءةٌ شاذة، وعزاها له أيضاً الزمخشري في الكشاف (١/ ٨٦)، والنحاس في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤).

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) نقلها عن الحسن الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٨) نقله عنه في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥)، وانظر عزوها لأبي أيضاً في تفسير الثعلبي (١/ ١٦٤)، وهي قراءة شاذة.

(٩) معاني القرآن للفراء (١/ ١٨)، وأنكرها عنهم ابن مجاهد كما في المحتسب (١/ ٦١).

قال أبو الفتح: «إنما هو اختلاسٌ وإخفاء، فيَلْطُف عندهم فيرون أنه إدغام وذلك لا يجوز؛ لأنه جمع بين ساكنين دون عذر»[١].

وحكى الفراءُ قراءةً عن بعض الناس بضم الياء وفتح الخاء وشد الطاء مكسورة[٢]، كأنه تشديد مبالغة لا تشديد تعدية.

ومعنى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم، وَمَنْ جعل الْبَرْق في المثل الزجر والوعيد قال: يكاد ذلك يصيبهم.

و﴿كُلَّمَآ﴾ ظرفٌ، والعامل فيه ﴿مَّشَوْاْ﴾ وهو أيضاً جواب: ﴿كُلَّمَآ﴾، و﴿أَضَآءَ﴾ صلةُ «مَا»، ومَنْ جَعَلَ ﴿أَضَآءَ﴾ يتعدى قدَّر له مفعولاً، ومَنْ جعله بمنزلة ضَاءَ استغنى عن ذلك.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: (أضا لهم)[٣] بغير همز، وهي لغةٌ، وفي مصحف أبي بن كعب: (مرُّوا فيه)، وفي قراءة ابن مسعود: (مضوا فيه)[٤].

وقرأ الضحاك: (وإذا أُظلِم) بضم الهمزة وكسر اللام[٥].

و﴿قَامُواْ﴾ معناه: ثبتوا؛ لأنهم كانوا قياماً، ومنه قول الأعرابي: «وقد أقام الدهر صَعْري بعد أن أقمت صعره»[٦] يريد: أثبت الدهر، ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس

---

(١) المحتسب (١/ ٦١-٦٢)، وظاهر الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١) أن الاختلاس هو رواية الأصمعي عن نافع.

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٧)، دون ذكر ضم الياء.

(٣) هكذا في كلِّ الأصول: «أضا»، والمعروف عن ابن أبي عبلة أنه قرأ «ضاء» بحذف الهمزة الأولى وليس الثانية، وكذلك «ضاءت ما»، كما في تفسير الزمخشري (١/ ٨٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٤٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢)، وهي قراءة شاذة.

(٤) مختصر الشواذ (ص: ١١)، على اللف والنشر، والشواذ للكرماني (ص: ٥٢)، وكلاهما شاذة لمخالفة للرسم.

(٥) نسبها الزمخشري في الكشاف (١/ ٨٦)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٤)، ليزيد بن قطيب، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٧) لهما.

(٦) انظر: أمالي القالي (١/ ١٤).

وغيره: كلما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج [أنِسوا][(١)] ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ويضلون به أو يُكَلَّفونه قاموا؛ أي: ثبتوا على نفاقهم.

وروي عن ابن مسعود أن معنى الآية: «كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا: دين محمد دين مبارك، وإذا نزلت بهم مصيبة أو أصابتهم شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم»[(٢)]، وقال قومٌ: «معنى الآية: كلما خفي عليكم نفاقهم وظهر لكم منهم الإيمان مشوا فيه، فإذا افتضحوا عندكم قاموا».

ووحد السمع؛ لأنه مصدر يقع للواحد والجمع، وحكى النقاش أنَّ من العلماء مَنْ قرأ: (بِأَسْمَاعِهِمْ)، وقرأ إبراهيمُ بنُ أبي عبلة: (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَذْهَبَ أَسْمَاعَهَمْ وَأَبْصَارَهُمْ)[(٣)].

وخصَّ الأسماع والأبصار لتقدم ذكرها في الآية، ويشبه هذا المعنى في حال المنافقين أنَّ الله لو شاء لأوقع بهم ما يتخوفونه من الزجر والوعيد، أو لفضحهم عند المؤمنين وسلط المؤمنين عليهم، وبكل مذهب من هذين قال قوم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لفظه العموم، ومعناه عند المتكلمين: [على كلِّ شيءٍ يجوز][(٤)] وصفه تعالى بالقدرة عليه.

و﴿قَدِيرٌ﴾ بمعنى: قادر، وفيه مبالغة، وخصّ هنا صفته التي هي القدرة بالذكر؛ لأنه قد تقدَّم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك.

---

(١) في الحمزوية: «أمنوا».

(٢) هو في الخبر السابق قريباً.

(٣) المعروف عن ابن أبي عبلة هو القراءة الأولى بإثبات الباء، وجر الأسماع، كذا عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١١)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٤)، والزمخشري في الكشاف (١/ ٨٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٤٩)، ولم أجد من تابع المؤلف على هذا الخطأ.

(٤) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: فيما يجوز، وأشار في هامشه إلى النسخة الأخرى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾.

«يَا»: حرف نداء، وفيه تنبيه، و«أيُّ»: هو المنادى، قال أبو علي: «اجتلبت أيّ بعد حرف النداء فيما فيه الألف واللام؛ لأن في حرف النداء تعريفاً، فكان يجتمع تعريفان»(١)، و«هَا» تنبيه وإشارة إلى المقصود، وهي بمنزلة «ذَا» في الواحد، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ نعتٌ لازمٌ لـ«أيّ».

وقال مجاهد: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ حيث وقع في القرآن مكي، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مدنيٌّ»(٢).

قال القاضي أبو محمد: قد تقدَّم في أول السورة أنها كلها مدنية، وقد يجيء في المدني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وأمَّا قولُهُ في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فصحيح(٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ معناه: وحِّدوه وخُصوه بالعبادة، وذكر تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته إذ كانت العرب مُقرةً بأنَّ الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم.

و«لَعَلَّ» في هذه الآية قال فيها كثيرٌ من المفسرين: هي بمعنى إيجاب التقوى، وليست من الله تعالى بمعنى ترجٍّ وتوقّع، وقال سيبويه ورؤساء اللسان: «هي على بابها، والترجي والتوقع إنما هو في حيز البشر»(٤)، أي: إذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم

---

(١) لم أجده في كتبه المتوفرة، ولم أجد من نقله غير المصنف.

(٢) نقله عنه القرطبي (١/ ٣٧٧)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٣) عن عروة، وقال النيسابوري في غرائب القرآن (١/ ١٧٩):صحّ به الإسناد عن علقمة، ونقله في الإتقان (١/ ٦٨) عن ميمون بن مهران، وعقبه باعتراض ابن عطية وابن الغرس.

(٣) قال ابن عرفة في تفسيره (١/ ١٩٤): صوب ابن عطية قول مجاهد في الأولى دون الثانية؛ لأن سورة التحريم مدنية بإجماع.

(٤) لم أجد من نقله عن سيبويه بهذا اللفظ.

لأنفسكم التقوى، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ متعلقةٌ بقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ويتجه تعلقها بـ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أي: لَمَّا ولد كل مولود على الفطرة[١] فهو إن تأمله متأمل توقّع له ورجا أن يكون متقياً.

و﴿تَتَّقُونَ﴾ مأخوذٌ من الوقاية، وأصله: تَوْتَقِيُون، نقلت حركة الياء إلى القاف وحذفت للالتقاء مع الواو الساكنة، وأدغمت الواو الأولى في التاء.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ نصب على إتباع ﴿الَّذِي﴾ المتقدم، ويصح أن يكون مرفوعاً على القطع، وما ذكر مكي من إضمار أعني، أو مفعول بـ﴿تَتَّقُونَ﴾، فضعيفٌ[٢].

و﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: صيَّر، في هذه الآية لتَعدِّيها إلى مفعولين، و﴿فِرَاشًا﴾ معناه: تفترشونها وتستقرون عليها، وما في الأرض مما ليس بفراش كالجبال والبحار فهو من مصالح ما يفترش منها، لأن الجبال كالأوتاد، والبحار يركب فيها / إلى سائر منافعها. [٣٧]

و(السَّمَاءَ) قيل: هو اسمٌ مفردٌ جمعه سماوات، وقيل: هو جمعٌ واحده سماوة، وكلُّ ما ارتفع عليك في الهواء فهو سماء، والهواءُ نفسه علواً يقال له: سماء، ومنه الحديث: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ طُولُهُ فِي السَّمَاءِ ستُّونَ ذِرَاعاً»[٣]، واللفظة من السمو وتصاريفه.

وقوله تعالى: ﴿بِنَاءً﴾ تشبيه بما يفهم، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾[الذَّاريات: ٤٧]، وقال بعض الصحابة: «بناها على الأرض كالقبة»[٤].

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يريد السحاب، سمي بذلك تجوُّزاً لمَّا كان يلي

---

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يقرأ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: الآيَةَ (٣٠) من سورة الروم.

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٨٣)، وقال عنه أبو حيان (١/ ١٥٨): وهو إعرابٌ غثٌّ ينزه القرآن عنه.

(٣) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) قال الفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٣) قال ابن عباس في قوله: ﴿قَرَارًا﴾ ؛ أي: منزلًا في حال الحياة وبعد الموت، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ كالقبة المضروبة على الأرض.

السماء ويقاربها، وقد سموا المطرَ سماءً للمجاورة، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] إِذَا نَـزَلَ السَّمَاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا[١]

فتجوَّز ـ أيضاً ـ في رعيناه، فبتوسط المطر جعل السماء عشباً، وأصل «ماء»: موه، يدل على ذلك قولهم في الجمع: مياه وأمواه، وفي التصغير: مُوَيه، وانطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك، أي: هي معدة أن يصح الانتفاع بها فهي رزق، وردَّ بهذه الآية بعضُ الناس قولَ المعتزلة: «إنَّ الرزقَ ما يصحُّ تملكه وليس الحرام برزق»[٢].

وواحد «الأنداد»: ندٌّ، وهو المقاوم والمضاهي كان مِثْلاً أو خلافاً أو ضدّاً، ومن حيث قاوم وضاهى فقد حصلت [مماثلة ما][٣]، وقال أبو عبيدة معمر، والمفضَّل: [«الند: الضد»[٤]][٥]، وهذا التخصيصُ منهما تمثيلٌ لا حَصْرٌ.

واختلف المتأولون مَنِ المخاطب بهذه الآية؟:

فقالت جماعةٌ من المفسرين: «المخاطب جميع المشركين»، فقوله على هذا: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد العلم الخاص في أنه تعالى خلق وأنزل الماء وأخرج الرزق، ولم تنف الآيةُ الجهالةَ عن الكفار، وقيل: «المراد كفار بني إسرائيل»، فالمعنى: تعلمون من الكتب التي عندكم أنَّ الله لا ندَّ له.

---

(١) البيت لمالك بن معاوية معود الحكماء كما في شرح أدب الكاتب (ص: ١٣٥)، واختيارات الأصمعي (١/ ٢١٤)، والروض الأنف للسهيلي (٦/ ١٤٦)، ومعجم الشعراء (ص: ٣٩١)، والمفضليات (ص ٣٥٩)، والحماسة البصرية (١/ ٧٩)، ومعاهد التنصيص (٢/ ٢٦٠) قال: ونسبه غالب شارحي التلخيص لجرير، وكذا ابن رشيق في العمدة (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٢)، وشرح نونية ابن القيم (٢/ ٢٣٥).

(٣) في جار الله: المماثلة، مع الإشار إلى النسخة الأخرى.

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٤)، ونقله عنهما أبو حيان في البحر (١/ ١٥٢).

(٥) في المطبوع: «الضد: الند»، وفي فيض الله: «الضد: المثل».

وقال ابن فورك[١]: «يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين»[٢]، فالمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون، وتجعلوا لله أنداداً بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بأنَّ الله واحدٌ.

وهذه الآية تعطي أنَّ الله تعالى أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا، فقد أخذ [بطرفِ][٣] مَن جعل لله نِدّاً، عصمنا الله تعالى بفضله وقصر آمالنا عليه [بمنه وطَوْله، لا ربَّ غيره][٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

«الريب»: الشَّك، وهذه الآية تقضي[٥] أنَّ الخطاب المتقدم إنما هو لجماعةِ المشركين الَّذين تُحُدُّوا، وتقدَّم تفسيرُ لفظِ: «سورة» في صدر هذا التعليق.

وقرأ يزيد بن قطيب: (أنزلنا) بألف[٦].

واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؟:

فقال جمهور العلماء: «هو عائد على القرآن»، ثم اختلفوا: فقال الأكثر: «من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الفقيه المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ، له تصانيف جمة، وكان رجلاً صالحاً، روى عنه: أبو بكر البيهقي، قتل سنة (٤٠٦هـ)، لقول نسب له أنه أنكر استمرار رسالة النبي ﷺ. تاريخ الإسلام (٢٨/ ١٤٧).

(٢) عزاه له القرطبي (١/ ٣٨٧).

(٣) في الأصل: «بطرق».

(٤) زيادة من الأصل.

(٥) في نور العثمانية وفيض الله: «تقتضي».

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٦٧)، وهي قراءة شاذة، لم أجدها لغيرهما.

مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن»، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر.

وقال [بعضهم][(١)]: «﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ في غيوبه وصدقه وقدمه»، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم[(٢)]، والأوَّل أبيَنُ، و﴿مِّن﴾ على هذا القول زائدةٌ، أو لبيان الجنس، وعلى القول الأولِ هي للتبعيض، أو لبيان الجنس.

وقالت فرقة: «الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ عائد على محمد ﷺ»، ثم اختلفوا: فقالت طائفة: «من أُمِّيٍّ صادق مثله»، وقالت طائفة: «من ساحر أو كاهن أو شاعر مثله على زعمكم أيها المشركون».

وقالت طائفة: «الضمير في ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ عائدٌ على الكتب القديمة التوراة والإنجيل والزبور».

وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ معناه: دعاء استصراخ[(٣)]، و«الشهداء»: [من شهدهم وحضرهم من عون ونصير، قاله ابن عباس[(٤)].

وقيل عن مجاهد: «إن المعنى: دعاء استحضار»[(٥)].

و«الشهداء»][(٦)] جمع شاهد؛ أي: من يشهد لكم أنكم عارضتم، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

وقال الفرَّاءُ: «شهداؤهم: يراد بهم آلهتهم»[(٧)].

---

(١) سقطت من أحمد٣.

(٢) في جار الله وفيض الله: «القديم».

(٣) وفي الحمزوية: «استصحاب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٦٦).

(٥) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ١٩٨)، وتفسير الطبري (١/ ٣٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٤): يعني: ناساً يشهدون.

(٦) ساقط من أحمد٣.

(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ١٩).

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما قلتم من الريب، هذا قولُ بعضِ المفسرين.

وقال غيره: «فيما قلتم من أنكم تقدرون على المعارضة»، ويؤيد هذا القول أنه قد حكى عنهم في آية أخرى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾، دخلت «إنْ» على ﴿لَّمْ﴾؛ لأنَّ ﴿لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ معناه: تركتم الفعل، فـ«إنْ» لا تؤثر كما لا تؤثر في الماضي من الأفعال، و﴿تَفْعَلُوا۟﴾ جزم بـ﴿لَّمْ﴾، وجزمت ﴿لَّمْ﴾ لأنها أشبهت «لا» في التبرئة في أنهما ينفيان، فكما تحذف «لا» تنوين [الاسم][1] كذلك تحذف «لم» الحركة أو العلامة من الفعل.

وقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ نصبت «لن»، ومن العرب من يجزم بها، ذكره أبو عبيدة[2]، ومنه بيت النابغة على بعض الروايات:

.... فَلَنْ أُعرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ[3] [البسيط]

[وفي الحديث][4] في [منامة][5] عبد الله بن عمر: فقيل لي: لن تُرَعْ[6] هذا على تلك اللغة.

---

(١) في السليمانية: «الفعل».

(٢) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٧).

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني، وصدره: هذا الثَّناءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَناً، وهو معزو له في غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٣٢٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٥٦)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٢٥٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٠٥)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٩٨)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٥)، والاختيارين للأخفش (ص: ١٠٤)، والأغاني (١١/ ٣٩)، كلهم بلفظ «فلم»، وتابع ابن عطية على رواية «فلن»، السمين في الدر المصون (١/ ٢٠٤)، وتأولها بالضرورة، و«أبيت اللعن»: نوعٌ من التحية، و«الصفد»: العطاء.

(٤) في أحمد٣: «ومنه».

(٥) وفي الحمزوية: «منام».

(٦) بهذا اللفظ أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١/ ٤١٩)، وابن راهويه في مسنده (٤/ ١٩٢)، ورواه البخاري في صحيحه باب مناقب عبدالله بن عمر رضي الله عنه برقم (٣٧٣٩) ومسلم (٢٤٧٩) بلفظ: «لم ترع».

[٣٨] وفي قوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ إثارة لهممهم وتحريكٌ / لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهو أيضاً من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾، أمرٌ بالإيمان وطاعة الله خرج في هذه [الألفاظ][١] المحذِّرة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، ومجاهد، وطلحة بن مُصَرِّفٍ[٢]، وأبو حيوة: (وُقُودُهَا) بضم الواو في كلِّ القرآن[٣]، إلا أنَّ طلحة استثنى الحرف الذي في البروج، وبفتح الواو: هو الحطب، وبضمها: هو المصدر، وقد حكيا جميعاً في الحطب، وقد حكيا في المصدر.

قال ابنُ جني: «مَن قَرَأ بضم الواو فهو على حذف مضاف تقديره: ذو وقودها؛ لأنَّ الوقودَ بالضم مصدرٌ، وليس [بالناس][٤]، وقد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر، ومثله: ولعت به ولوعاً، بفتح الواو، وكله شاذٌّ، والباب هو الضمُّ»[٥].

وقوله: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ عمومٌ معناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء بدخولها.

وروي عن ابن مسعود في الْحِجارَة أنها حجارة الكبريت[٦] وخصت بذلك؛

---

(١) في السليمانية وأحمد٣ ونور العثمانية وجار الله: «الآية».

(٢) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب، أبو محمد، كوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القراءة عرضاً عن النخعي والأعمش ويحيى بن وثاب، وكانوا يسمونه سيد القراء، مات سنة ١١٢هـ. طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٤٣).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٦٣)، وفيه: عيسى الهمداني، بدل أبي حيوة، وجمع بينهما في تفسير البحر المحيط (١/ ١٧٥).

(٤) في السليمانية: «بالنار».

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٦٣).

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ٤٠) والطبري (١/ ١٦٩).

لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة [الاتقاد][١]، ونَتْنُ الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وفي قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾ ردٌّ على مَنْ قَال: إنَّ النارَ لم تخلقْ حتَّى الآن، وهو القولُ الذي سقط فيه منذرُ بنُ سعيد[٢].

وذهب بعضُ المتأولين إلى أنَّ هذه النارَ المخصصة بالحجارة هي نارُ الكافرين خاصة، وأن غيرها هي للعصاة.

وقال الجمهور: «بل الإشارة إلى جميع النار لا إلى نار مخصوصةٍ»، وإنما ذكر الكافرين ليحصل المخاطبون في الوعيد، إذ فعلُهم كفر، فكأنه قال: أعدت لمن فعل فعلكم، وليس يقتضي ذلك أنه لا يدخلها غيرهم.

وقرأ ابن أبي عبلة: (أعدَّها اللهُ للكافرين)[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

(بَشِّرِ): مأخوذٌ من البشرة؛ لأنَّ مَا يبشَّر به الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ يظهر [عنه][٤] أثرٌ في بشرة الوجه، والأغلب استعمال [البشارة][٥] في الخير، وقد تستعمل في الشرِّ

---

(١) وفي الحمزوية: «الإنفاذ»، وفي جار الله وفيض الله: «الإيقاد».

(٢) نقله عنه أبو حيان (١/ ١٧٦)، وقال: يعرف بالبلُّوطي، وكان قاضي القضاة بالأندلس، وكان معتزليّاً في أكثر الأصول ظاهريّاً في الفروع، وله ذكر ومناقب في التواريخ، وهو أحد رجالات الكمال بالأندلس، وسرى إليه ذلك القول من قول كثير من المعتزلة.

(٣) تفسير البحر المحيط (١/ ١٧٦)، وهي خطأ لمخالفتها للمصحف الشريف.

(٤) في الحمزوية وجار الله: «منه»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «عليه».

(٥) في الأصل: «البشير»، وفي فيض الله: «البشر»، وفي نور العثمانية: «التبشير».

مقيدةً به منصوصاً على الشرِّ المبشر به، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، ومتى أطلق لفظ البشارة فإنما يحمل على الخير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ رد على من يقول: إن لفظة الإيمان بمجردها تقتضي الطاعات؛ لأنه لو كان ذلك ما أعادها.

و﴿أَنَّ﴾ في موضع نصب بـ(بشر)، وقيل: في موضع خفض على تقدير باء الجر.

و﴿جَنَّاتٍ﴾ جمع جنة، وهي بستانُ الشَّجرِ والنَّخيلِ، وبستانُ الكَرْمِ يقال له الفردوس، وسميت جنةٌ؛ لأنها تُجِنُّ من دخلها؛ أي: تستره، ومنه: المِجَنُّ و[الجَنَن][1]، وجَنَّ الليلُ.

و﴿مِن تَحْتِهَا﴾ معناه: من تحت الأشجار التي يتضمنها ذكر الجنة، وقيل: قوله: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ معناه: بإزائها، كما تقول: داري تحت دار فلان، وهذا ضعيفٌ.

و﴿الْأَنْهَارُ﴾: المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة؛ لأنها لفظةٌ مأخوذةٌ من أنهرت؛ أي: وسعت، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[الطويل] مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[2]

ومنه قول النبي ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ»[3] معناه: ما وسع الذبح حتَّى جرى الدم كالنهر، ونُسب الجري إلى النهر ـ وإنما يجري الماء وحده ـ تجوُّزاً، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وكما قال الشاعر:

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «الجنين»، وفي فيض الله: «المجن» مكررة.

(٢) البيت قيس بن الخطيم كما في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٧٥)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٥٤)، والأغاني (٣/ ٥)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٨)، وديوان المعاني (٢/ ٥١)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٧٨)، وسمط اللآلي (١/ ٨٩٥)، وقوله : فأنهرت فتقها؛ أي: وسعت فتقها.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٨٨) (٢٥٠٧) (٣٠٧٥) وغير موضع، ومسلم (٥٢٠٤) من حديث رافع بن خديج.

نُبِّئْتُ أنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَت وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المجْلِسُ[١] [الكامل]

وروي أنَّ أنهار الجنة ليست في أخاديد، إنما تجري على سطح أرض الجنة منضبطة[٢].

قوله: ﴿كُلَّمَا﴾ ظرف يقتضي الحصر[٣]، وفي هذه الآية ردٌّ على من يقول: إنَّ الرزقَ من شروطه التملك، ذكر هذا بعض الأصوليين، وليس عندي ببيِّنٍ[٤].

وقولهم: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الجنس؛ أي: هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل، والكلام يحتمل أن يكون تعجباً، وهو قول ابن عباس.

ويحتمل أن يكون خبراً من بعضهم لبعض، قاله جماعة من المفسرين.

وقال الحسن، ومجاهد: «يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثلُ صورتها والطعمُ مختلف، فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضاً»[٥].

وقال ابن عباس: «ليس في الجنة شيءٌ مما في الدنيا سوى الأسماء، وأمَّا الذَّوات فمتباينةٌ»[٦]، وقال بعض المتأولين: «المعنى: أنهم يرون الثمر [فيَمِيزون][٧] أجناسه

---

(١) البيت للمهلهل أخي كليب كما في الأمالي لأبي علي (١/ ٩٥)، وديوان المعاني (٢/ ١٧٦)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٠)، والشطر الأول سقط من فيض الله ونور العثمانية.

(٢) حكاه أبو حيان في البحر (١/ ١٨٣) عن مسروق.

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٥٤).

(٤) يعني أنَّ الاستدلال بالآية للردِّ على قول المعتزلة أنّ مَن شرط الرزق التملك غير بين عنده، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك قريباً.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٨٧).

(٦) إسناده جيد: هذا الأثر أخرجه هناد في الزهد (١/ ٤٩)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ١٩٣) والضياء في المختارة (١٠/ ١٦) من طريق: الأعمش عن أبي ظبيان عن عبد الله بن عباس.

(٧) في الحمزوية: «فيسمون».

حين أشبهَ منظرُه ما كان في الدنيا، فيقولون: هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ في الدنيا»[١].

وقول ابن عباس الذي قبل هذا يرد على هذا القول بعض الردِّ.

وقال بعض المفسرين: «المعنى: هذا الذي وعدنا به في الدنيا، فكأنهم قد رزقوه في الدنيا إذ وعد الله منتجز»[٢]، وقال قومٌ: «إنَّ ثمر الجنة إذا قطف منه شيءٌ خرج في الحين في موضعه مثله فـ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الخارج في موضع المجني»[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَأُتُوا۟﴾ بضم الهمزة وضم التاء، وقرأ هارون الأعور[٤]: (وأتوا) بفتح الهمزة والتاء[٥]، والفاعل على هذه القراءة الولدانُ والخدَّام، ﴿وَأُتُوا۟﴾ على قراءة الجماعة أصله: أُتيوا، نقلت / حركة الياء إلى التاء ثم حذفت [الياء][٦] للالتقاء. [٣٩]

وقوله تعالى: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم: «معناه: يشبه بعضهم بعضاً في المنظر ويختلف في الطعم»[٧].

وقال عكرمة: «معناه: يشبه ثمر الدنيا في المنظر ويباينه في جل الصفات»[٨].

---

(١) نقله الطبري (١/ ٣٩٠) عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة ونحوه عن مجاهد، وبقية الأقوال في تفسير الثعالبي (١/ ٤٠) وتفسير القرطبي (١/ ٢٤٠).

(٢) الهداية لمكي (١/ ١٩٧).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨٦) عن أبي عبيدة.

(٤) هارون الأعور هو أبو عبد الله ويقال: أبو إسحاق، هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم النحوي البصري الأعور، صاحب القراءات، وكان أول من تتبع وجوه القراءات والشاذ منها، توفي قبل المائتين، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٤٨).

(٥) مختصر الشواذ (ص: ١١)، وهي قراءة شاذة.

(٦) سقطت من فيض الله.

(٧) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٠)، وتفسير الطبري (١/ ١٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٧).

(٨) نقله القرطبي (١/ ٢٤٠)، ورواه الطبري (١/ ٣٩١) عنه، ولفظه: يشبه ثمر الدنيا غير أنه أطيب.

وقال قتادة: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ معناه: خياراً [لا رَذْلَ][1] فيه، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

قال القاضي أبو محمد: كأنه يريد متناسباً في أنَّ كلَّ صنفٍ هو أعلى جنسه، فهذا تشابهٌ مّا، وقيل: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: مع ثمر الدنيا في الأسماء، لا في غير ذلك من هيئة وطعم[2].

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ جمع زوج، والمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، ويقال في المرأة: زوجة، ومنه قول الفرزدق:

وَإِنَّ الَّـذِي يَسْـعَىٰ لِيُفْسِـدَ زَوْجَتِـي ... كَسَاعٍ إِلَىٰ أُسْدِ الشَّـرَىٰ يَسْتَبِيلُهَا[3] [الطويل]

وقال عمار بن ياسر[4] في شأن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها: «والله إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم»، ذكر البخاري وغيره الحديث بطوله[5].

و﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغ من طاهرة، ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبزاق وسائر أقذار الآدميات[6]، وقيل: من الآثام.

و«الخلود»: الدّوام في الحياة أو الملك ونحوه، وخَلَد بالمكان: إذا استمرت إقامته

---

(١) وفي الحمزوية: «لا رديء».

(٢) رواه الطبري (١/ ٣٩٢) عن ابن عباس وابن زيد والأشجعي.

(٣) انظر عزوه له في الأمالي (١/ ٢٠)، الأغاني (٩/ ٣٦٩)، الصحاح (١/ ٣٢٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٣٥)، أدب الكاتب (١/ ٤٢٥).

(٤) هو أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر العنسيّ، حليف بني مخزوم، وأمّه سمية مولاة لهم، كان من السابقين الأولين، هو وأبوه وأمه، وكانوا ممن يعذَّب في الله، شهد صفِّين مع علي رضي الله عنهما واستشهد بها. الإصابة (٤/ ٤٧٣).

(٥) البخاري (٣٧٧٢) بهذا اللفظ دون زيادة.

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٣٨)، الهداية (٢/ ١٣٦٣)، وقوله: من الآثام، هو قول قتادة، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٧).

فيه، وقد يستعمل الخلود مجازاً فيما يطول، وأمَّا هذا الذي في الآية فهو أبديٌّ حقيقةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

ذكر المفسرون أنه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين في هذه السورة، قال الكفار: «مَا هَذه الأمثالُ؟ اللهُ أجلُّ من أن يضرب هذه أمثالاً»، فنزلت الآية[١].

وقال ابن قتيبة: «إنما نزلت لأن الكفار أنكروا ضربَ المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت»[٢]، وقال قوم: «هذه الآية مَثَلٌ للدنيا»، وهذا ضعيفٌ يأباه رصفُ الكلام واتساق المعنى.

و﴿يَسْتَحْيِۦٓ﴾ أصله: يستحييُ، عينه ولامه حرفا علة، أعلت اللام منه بأن استثقلت الضمة[٣] على الياء فسكِّنت.

وقرأ ابنُ كثير في بعض الطرق عنه، وابن محيصن وغيرهما: (يَسْتَحِي) بكسر الحاء[٤]، وهي لغةٌ لتميم[٥]، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت، فحذفت إحداهما للالتقاء.

واختلف المتأولون في معنى: ﴿يَسْتَحْيِۦٓ﴾ في هذه الآية:

فرجَّح الطبريُّ أن معناه: يخشى[٦].

---

(١) الهداية لمكي (١/ ٢٠٣).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٤).

(٣) في أحمد٣: «الكسرة»، وفي السليمانية: «الحركة»، وأشار في الهامش إلى النسخة الثانية.

(٤) نقلها عنهما النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٩)، وهي قراءة شاذة.

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/ ٥٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩) قال: وبكر بن وائل. والتحصيل للمهدوي (١/ ١٩٣).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٠٢).

وقال غيره: «معناه: يترك» وهذا هو الأولى[١]، ومن قال: يمتنع، أو: يمنعه الحياء، فهو يترك أو قريب منه، ولما كان الجليل القَدْر في الشاهد لا يمنعه من الخوض في نازل القول إلا الحياء من ذلك، ردَّ اللهُ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ على القائلين: كيف يضرب الله مثلاً بالذباب ونحوه؟ أي: إن هذه الأشياء ليست من نازل القول، إذ هي من الفصيح في المعنى المبلغ أغراض المتكلم إلى نفس السامع، فليست مما يُستحيَى منه.

وحكى المهدوي: «أنَّ الاستحياء في هذه الآية راجع إلى الناس»[٢]، وهذا غيرُ مرضيٍّ.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَضْرِبَ﴾، ﴿أَنْ﴾ مع الفعل في موضع نصبٍ، كأنها مصدر في موضع المفعول، ومعنى ﴿يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: يبين ضرباً من الأمثال؛ أي: نوعاً، كما تقول: هذا من ضرب هذا، والضريب: المثيل، ويحتمل أن يكون مثل ضرب البعث، وضرب الذلة، فيجيء المعنى أن يلزم الحجة بمثل، و﴿مَثَلًا﴾ مفعولٌ، فقيل هو الأول، وقيل: هو الثاني، قدِّم وهو في [نية][٣] التأخير، لأنَّ ضَرَبَ في هذا المعنى يتعدى إلى مفعولين.

واختلفوا في قوله: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾:

فقال قومٌ: «﴿مَّا﴾: صلةٌ زائدةٌ لا تفيد إلا شيئاً من تأكيد»، وقيل: «﴿مَّا﴾ نكرة في موضع نصب على البدل [من قوله: ﴿مَثَلًا﴾، و﴿بَعُوضَةً﴾ نعتٌ لـ﴿مَّا﴾»، فوصفت ﴿مَّا﴾ بالجنس المنكَّر][٤] لإبهامها، حكى المهدويُّ هذا القول عن الفراء والزجاج وثعلب[٥].

قال القاضي أبو محمد: وقيل غير هذا مما هو تخليطٌ دعا إليه الظن أنَّ «يضرب» إنما يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ.

---

(١) صفة الْحَيَاء والاسْتِحْيَاء صفةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب والسنة، وكذلك من أسمائه تعالى «الحيي» وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين.

(٢) التحصيل (١/ ١٦٣).

(٣) وفي الحمزوية وأحمد٣: «رتبة».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٠٣).

وقال بعضُ الكوفيين: «نصب ﴿بَعُوضَةً﴾ على تقدير إسقاط حرف الجر»، والمعنى: أن يضرب مثلاً ما من[1] بعوضةٍ، وحكي عن العرب: «له عشرون ما ناقة فجملاً»[2]، وأنكر أبو العباس هذا الوجه[3].

قال القاضي أبو محمد: والذي يترجح أن ﴿مَّا﴾ صلةٌ مخصصة، كما تقول: جئتك في أمرٍ ما، فتفيد النكرة تخصيصاً وتقريباً، ومنه قولُ أمية بن أبي الصلت:

[الخفيف] سَلَعٌ مَا وَفَوْقَهُ عُشَرٌ مَا عَائِلٌ مَا، وَعَالَت الْبَيْقُورَا[4]

و ﴿بَعُوضَةً﴾ على هذا مفعول ثان.

وقال قوم: ﴿مَّا﴾ نكرة[5] كأنه قال: شيئاً، والآية في هذا يشبهها قولُ حسان بن ثابت:

[الكامل] فَكَفَىٰ بِنَا فَضْلا عَلَىٰ مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا[6]

وقد تقدَّم نظير هذا القول، والشبه بالبيت غير صحيح عندي. والبعوضة فعولة من بَعَضَ: إذا قطع اللحم، يقال: بَضَعَ وبَعَضَ بمعنًى، وعلى / هذا حملوا قولَ الشاعر: [٤٠]

[الوافر] لَنِعْمَ البَيْتُ بَيْتُ أَبِي دِثَارٍ إِذَا مَا خَافَ بَعْضُ القَوْمِ بَعْضَا[7]

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «بين».

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢).

(٣) انظر إنكار المبرد في النكت في القرآن الكريم (ص: ١٢٠).

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٣)، والحيوان (٤/ ٤٩٢)، والصحاح (٦/ ٢٤٣٦)، والمحكم والمحيط (١/ ٤٩١)، والروض الأنف (٧/ ٤٥٣)، وفي أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «مثله» بدل «فوقه».

(٥) زاد في الحمزوية: «في هذا».

(٦) البيت لحسان بن ثابت كما في معاني القرآن للفراء (١/ ٢١)، والجمل في النحو (١/ ١١٦)، وتفسير الطبري (١/ ٤٠٤)، ونسبه في شرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٠) لكعب بن مالك.

(٧) البيت بلا نسبة في الفاضل للمبرد (ص: ٤٨)، ثمار القلوب للثعالبي (ص: ٢٤٦)، والمخصص (١/ ٣٨٨)، ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٤).

وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة ورؤبة بن العجاج: (بَعُوضَةٌ) بالرفع[(١)].

قال أبو الفتح: «وجه ذلك أن ﴿مَّا﴾ اسم بمنزلة الذي؛ أي: لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضةٌ مثلاً، فحذف العائد على الموصول، وهو مبتدأ، ومثله قراءة بعضهم: (تماماً على الذي أحسنُ)[(٢)]؛ أي: على الذي هو أحسن، وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، أي: هو قائل»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَافَوْقَهَا﴾ من جعل ﴿مَّا﴾ الأولى صلة زائدة، فـ(ما) الثانية عطفٌ على ﴿بَعُوضَةً﴾، ومن جعل ﴿مَّا﴾ [الأولى][(٤)] اسماً فـ(ما) الثانية عطف عليها، وقال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما: «المعنى: فما فوقها في الصغر»[(٥)]، وقال قتادة وابن جريج وغيرهما: «المعنى في الكبر»[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: والكلُّ محتملٌ، والضمير في ﴿أَنَّهُ﴾، عائدٌ على المثل.

واختلف النحويون في ﴿مَاذَآ﴾:

فقيل: هي بمنزلة اسم واحد، بمعنى: أيَّ شيء أراد الله، وقيل: (مَا) اسم و(ذَا) اسم آخر بمعنى الَّذي، فـ(مَا) في موضع رفع بالابتداء، و(ذَا) خبره، ومعنى كلامهم هذا الإنكارُ بلفظ الاستفهام.

وقوله: ﴿مَثَلًا﴾ نصب على التمييز، وقيل: على الحال من (ذَا) في: ﴿بِهَٰذَا﴾، والعامل فيه الإشارة والتنبيه.

---

(١) عزاها ابن جني في المحتسب (١/ ٦٤)، والكرماني في الشواذ (ص: ٥٦)، لرؤبة، وفي البحر المحيط (١/ ١٩٨) للكل وزاد وقطرباً، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٢) للأصمعي عن نافع وابن تغلب.

(٢) وهي قراءة شاذة، سيأتي الكلام عليها في محله.

(٣) المحتسب (١/ ٦٤)، وانظر كلام سيبويه في الكتاب له (٢/ ١٠٨).

(٤) من الحمزوية وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٥٩).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٠٥).

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾:

فقيل: «هو من قول الكافرين»؛ أي: ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى؟ وقيل: «بل هو خبرٌ من الله تعالى أنه يضل بالمثل الكفار الذين يَعْمَون به، ويهدي به المؤمنين الذين يعلمون أنه الحق».

وفي هذا ردٌّ على المعتزلة في قولهم: «إنَّ اللهَ لا يخلقُ الضَّلالَ»، ولا خلافَ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ من قول الله تعالى.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ إلى آخر الآية ردّاً مِن الله تعالى على قول الكفار: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

و«الفسق»: الخروج عن الشيء، يقال: فسقت الفأرة، إذا خرجت من جحرها، والرطبة إذا خرجت من قشرها، والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ، فقد يقع على مَن خرج بكفر وعلى مَن خرج بعصيان.

وقراءة جمهور الأمة في هذه الآية: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء فيهما، وروي عن إبراهيم ابن أبي عبلة أنه قرأ: (يَضِلُّ) بفتح الياء، (كثيرٌ) بالرفع، (ويَهدِي به كثيرٌ وَمَا يَضِلُّ به إلَّا الفاسقون) بالرفع، قال أبو عمرو الداني: «هذه قراءة القدرية، وابن أبي عبلة من ثقات الشاميين ومن أهل السنة، ولا تصح هذه القراءة عنه، مع أنها مخالفةٌ لخط المصحف»، وروي عن ابن مسعود أنه قرأ في الأولى: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وفي الثانية (وما يَضِلّ) بفتح الياء (به إلى الفاسقون)[1]، وهذه قراءةٌ متجهةٌ لولا مخالفتها خطَّ المصحفِ المجمع عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) الشواذ للكرماني (ص٥٦)، وانظر قول الداني في البحر المحيط (١/ ٢٠٣).

«النقض»: ردُّ ما أُبرم على أوله غير مبرَم، والعهد في هذه الآية: التقدم في الشيء والوصاة به، واختلف في تفسير[١] هذا العهد:

فقال بعض المتأولين: «هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهر أبيهم آدم كالذر»، وقال آخرون: «بل نصب الأدلة على وحدانية الله بالسماوات والأرض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد»، [وقال آخرون: «بل هذا العهد هو الذي أخذه الله على عباده بواسطة رسله أن يوحدوه وأن لا يعبدوا غيره»][٢]، وقال آخرون: «بل هذا العهد هو الذي أخذه الله تعالى على أتباع الرسل والكتب المنزلة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن لا يكتموا أمره».

قال القاضي أبو محمد: فالآية على هذا في أهل الكتاب، وظاهر ما قبلُ وبعدُ أنه في جميع الكفار.

وقال قتادة: «هذه الآية هي فيمن كان آمن بالنبي عليه السلام ثم كفر به فنقض العهد»[٣].

[ولم ينسب الطبريُّ شيئاً من هذه الأقوال[٤]][٥]، وكلُّ عهدٍ جائزٍ بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية.

والضمير في ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ يحتمل العود على العهد أو على اسم الله تعالى، وميثاق: مفعال من الوَثاقة، وهي الشد في العقد والربطِ ونحوه، وهو في هذه الآية اسم في موضع المصدر كما قال عمرو بن شييم[٦]:

---

(١) وفي الحمزوية وأحمد٣ والسليمانية وجار الله: «تعيين».

(٢) ساقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٣) لم أجده صريحاً، وانظر تفسير قتادة للآية في تفسير الطبري (١/ ١١٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٠) وما بعدها.

(٥) ساقط من أحمد٣ وفيض الله.

(٦) هو القطامي عمير (وقيل: عمرو) بن شييم بن عمرو بن عباد التغلبي، ولقب القطامي ببيت قاله، =

[الوافر] أَكُـفْـراً بَـعْـدَ رَدِّ الـمـوْتِ عَنِّي وَبَعْـدَ عَطَائِـكَ المئةَ الرِّتَاعَـا[1]

أراد: بعد إعطائك.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، ﴿مَآ﴾ في موضع نصب بـ﴿يَقْطَعُونَ﴾.

واختلف: ما الشيء الذي أمر بوصله؟:

فقال قتادة: «الأرحام عامة في الناس»، وقال غيره: «خاصةٌ فيمن آمن بمحمد، كان الكفار يقطعون أرحامهم»، وقال جمهور أهل العلم: «الإشارة في هذه الآية إلى دين الله وعبادته في الأرض، وإقامة شرائعه، وحفظ حدوده»[2].

وهذا هو الحق، والرحم جزء من هذا، و﴿أَن﴾ في موضع نصب بدل من ﴿مَآ﴾، أو مفعول من أجله، وقيل: ﴿أَن﴾ في موضع خفض بدل من الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، وهذا متجهٌ.

[٤١] ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ / : يعبدون غير الله ويجورون في الأفعال؛ إذْ هي بحسب شهواتهم، والخاسر الذي نقص نفسَه حظَّها من الفلاح والفوز، والخسران: النقص، كان في ميزان أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ لفظه الاستفهام وليس به، بل هو تقرير وتوبيخ، أي: كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه؟، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب على الحال، والعامل فيها ﴿تَكْفُرُونَ﴾، وتقديرها: أجاحدين تكفرون أمنكرين تكفرون؟، و﴿كَيْفَ﴾ مبنيةٌ، وخصت بالفتح لخفته، ومن قال: إنَّ ﴿كَيْفَ﴾ تقريرٌ وتعجبٌ فمعناه: أن هذا الأمر إن عنَّ فحقه أن يتعجب منه لغرابته وبعده عن المألوف من شكر[3] المنعم.

= وكان شاعراً نصرانيّاً فحلاً رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره، وكان في صدر الإسلام. معجم الشعراء (ص: ٢٤٤).

(١) البيت معزو له في تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١)، والشعر والشعراء (٢/ ٧١٣)، والأغاني (٢٤/ ٤٤).

(٢) انظر الأقوال في القرطبي (١/ ٢٤٧)، وقول قتادة لم أجد من نقله عنه صريحاً.

(٣) في جار الله: «شدة».

والواو في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ واوُ الحالِ، واختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين:

فقال ابن عباس، وابن مسعود[١]، ومجاهد: «فالمعنى: كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا دارسين»[٢]، كما يقال للشيء الدارس ميت، ثم خلقتم وأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم ثم أماتكم الموتَ المعهود، ثم يحييكم للبعث يوم القيامة.

وقال آخرون: «كنتم أمواتاً بكون آدم من طين [ميتاً][٣] قبل أن يَحْيَىَ ثم نَفَخَ فيه الروح فأحياكم [بحياة آدم][٤]، [ثم يميتكم ثم يحييكم على ما تقدَّم».

وقال قتادة: «كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم فأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم][٥] ثم كما تقدم»، وقال غيره: «كنتم أمواتاً في الأرحام قبل نفخ الروح ثم أحياكم بالإخراج إلى الدنيا ثم كما تقدم»، وقال ابن زيد: «إن الله تعالى أخرج نسم بني آدم أمثال الذر ثم أماتهم بعد ذلك فهو قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾، ثم أحياهم بالإخراج إلى الدنيا ثم كما تقدَّم»[٦].

وقال ابن عباس وأبو صالح: «كنتم أمواتاً بالموت المعهود ثم أحياكم للسؤال في القبور، ثم أماتكم فيها، ثم أحياكم للبعث»، وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «وكنتم أمواتاً بالخمول فأحياكم بأن ذُكِرتم وشَرُفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم»[٧].

والقول الأول هو أولى هذه الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه، ثم إن قولَه أولاً: ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾، وإسناده آخراً الإماتة إليه تبارك

---

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود وابن عباس قد أخرجه الطبري عنهما بأسانيد دائرة لا تصح.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٨٦) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٣).

(٣) سقطت من فيض الله وجار الله.

(٤) في جار الله: «بحياته»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٥) ساقط من فيض الله، وسقطت: «ثم يحييكم» من نور العثمانية.

(٦) انظر قولي قتادة وابن زيد في تفسير الطبري (١/ ٤٢٠).

(٧) لم أقف على قولي ابن عباس هذين، وانظر قول أبي صالح في تفسير الطبري (١/ ٤١٨).

وتعالى مما يقوي ذلك القول، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين، ثم للإحياء في الدنيا، ثم للإماتة فيها، قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدٌ على الله تعالى؛ أي: إلى ثوابه أو عقابه، وقيل: هو عائدٌ على الإحياء، والأولُ أظهرُ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم.

وقرأ ابن أبي إسحاق وابن محيصن وابن يعمر وسلام[١] والفياض بن غزوان[٢] ويعقوب الحضرمي: ﴿يَرْجِعُ﴾، و﴿يَرْجِعُونَ﴾، و﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياء والتاء حيث وقع[٣].

و﴿خَلَقَ﴾ معناه: اخترع وأوجد بعد العدم، وقد يقال في الإنسان: خلق بعد[٤] إنشائه شيئاً، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي[٥]

ومنه قول الآخر:

[مجزوء الكامل] مَنْ كانَ يَخْلُقُ ما يقو لُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَه[٦]

---

(١) هو أبو المنذر سلام بن سليمان الطويل المزني مولاهم البصري ثم الكوفي ثقة جليل ومقرئ كبير، أخذ القراءة عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء والجحدري وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة (١٧١هـ). غاية النهاية (١/ ٣٠٩).

(٢) هو فياض بن غزوان الضبي الكوفي مقرئ موثق، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف، وتروى عنه حروف شواذ من اختياره تضاف إليه، وروى عنه عبد الله بن المبارك وغيره، وقال أحمد بن حنبل فيه: شيخ ثقة. غاية النهاية (٢/ ١٣).

(٣) هذه قراءة متواترةٌ عن يعقوب، انظر: النشر (٢/ ٢٠٨)، وانظر عزوها لابن محيصن والأعرج في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٢)، وللكل في البحر المحيط (١/ ٢١٣).

(٤) في جار الله وفيض الله: «عند».

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، كما في تفسير الطبري (١٩/ ١٩)، ومعاني القرآن للفراء (مقدمة/ ٨)، والجيم (٣/ ٤٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٣٧٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٩)، والخلق: التقدير.

(٦) البيت لبشار في إعجاز القرآن للباقلاني (١/ ١٠٢)، ولبعض المحدثين في الكامل للمبرد =

و﴿لَكُم﴾: معناه: للاعتبار، ويدلُّ على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر: الإحياء، والإماتة، والخلق، والاستواء إلى السماء وتسويتها.

وقال قوم: «بل معنى ﴿لَكُم﴾: إباحة الأشياء وتمليكها»، وهذا قولُ من يقول: إنَّ الأشياءَ قبل ورود السمع على الإباحة بيَّنته هذه الآية، وخالفهم في هذا التأويل القائلون بالحظر، والقائلون بالوقف، وأكثر القائلين بالحظر استثنوا أشياء اقتضت حالها مع وجود الإنسان الإباحة كالتنفس والحركة، ويرد على القائلين بالحظر كلُّ حظر في القرآن، وعلى القائلين بالإباحة كلُّ تحليل في القرآن وإباحة، ويترجح الوقف إذا قدرنا نازلة لا يوجد فيها سمع ولا تتعلق به.

ومعنى الوقف: أنه استنفاد جهد الناظر فيما يحدث[١] من النوازل.

وحكى ابن فورك عن ابن الصائغ[٢] أنه قال: «لم يخلُ العقل قط من السمع، ولا نازلةَ إلا وفيها سمع، أوْ لها به تعلقٌ أو لها حال تُستصحب»[٣].

قال: «فينبغي أن يعتمد على هذا، ويغني عن النظر في حظر وإباحة ووقف»[٤].

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ﴾، ﴿ثُمَّ﴾ هنا هي لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر

= (٢/ ٢٣٠)، ولمنصور الفقيه المصري في بهجة المجالس (١/ ٨٨)، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٧٢٤)، ولمحمود بن مروان بن أبي الجنوب في ربيع الأبرار (٤/ ٣٤٣).

(١) في الأصل والمطبوع: «يحزب».

(٢) هو أَبُو الْحَسَن علي بن محمد بْن سهل الدِّينَوَرِيّ، أحد مشايخ القوم، سمع: محمد بن عبد العزيز الدِّيَنَوريّ، وغيره، روى عنه: عبد الملك بن حِبّان، وقال أبو الحسن الطحان: كان أبو الحسن بن الصائغ من الصديقين، توفي سنة (٣٣١هـ). تاريخ الإسلام (٢٥/ ٥٦).

(٣) نقله القرطبي (١/ ٢٥٢).

(٤) للتوسع في هذه المسألة، انظر: التبصرة للشيرازي (١/ ٥٣٣)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٥١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٣).

في نفسه، و﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾: قال قومٌ: معناه: علا دون تكييف ولا تحديد، هذا اختيارُ الطبريِّ[١]، والتقدير: علا أمره وقدرته وسلطانه.

وقال ابن كيسان: «معناه: قَصَد إلى السماء»[٢]، أي: بخلقه واختراعه.

وقيل: «معناه: كمَّل صنعه فيها كما تقول استوى الأمر»، وهذا قلقٌ.

وحكى الطبريُّ عن قومٍ: «أن المعنى: أقبلَ»، وضعفه[٣].

وحكي عن قوم: المستوي هو الدخان، وهذا أيضاً يأباه رصفُ الكلام[٤].

وقيل المعنى: استولى، كما قال الشاعر:

[الرجز] قَـدِ اسْتَوَىٰ بِشْـرٌ عَلَـىٰ الْعِـرَاقِ ... مِـنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ ودَمٍ مُهْـرَاقِ[٥]

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][٦].

والقاعدة في هذه الآية ونحوها[٧] منع النُّقلة وحلولِ الحوادث، ويبقى استواءُ القدرة والسلطان[٨].

و(سوَّاهنَّ): قيل: المعنى: جعلهنَّ سواءً، وقيل: سوَّى سطوحها بالإملاس.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٨) فما بعدها.

(٢) نقله ابن كثير (١/ ٢١٣)، والثعالبي (١/ ٢٠٤) عن ابن كيسان.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٢٨).

(٤) تابعه القرطبي (١/ ٢٥٥)، وابن عادل في اللباب (١/ ٤٨٨).

(٥) البيت للأخطل كما في تاج العروس (٣٨/ ٣٣١)، ونسبه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (١/ ٣٦) لبعيث.

(٦) في أحمد٣ بدل الآية: استوى على العرش، وكأنه إشارة إلى الآية **٥٤** من سورة الأعراف.

(٧) في فيض الله: «غيرها».

(٨) روى الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١١٦): أن سائلًا سأل مالكاً: كيف استوى، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً. ثم أمر به فأخرج.

و﴿سَبۡعَ﴾ نصب / على البدل من الضمير، أو على المفعول بـ(سوّى) بتقدير [٤٢] حذف الجارِّ من الضمير، كأنه قال: فسوّى منهن سبع، وقيل: نصب على الحال، وقال: (سواهن)، إمَّا على أنَّ السماء جمع، وإمَّا على أنه مفرد اسم جنس، فهو دالٌّ على الجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ معناه: بالموجودات، وتحقق علمه بالمعدومات من آيات أُخر، وهذه الآية تقتضي أنَّ الأرض وما فيها خُلق قبل السماء، وذلك صحيحٌ، ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء، وبهذا تتفق معاني الآيات: هذه والتي في سورة المؤمن، وفي النازعات[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾.

قال معمر بن المثنى: (إذ) زائدة، والتقدير: وقال ربك للملائكة[٢]، قال أبو إسحاق الزجاج: هذا اجترام[٣] من أبي عبيدة[٤]، وكذلك ردَّ عليه جميع المفسرين[٥].

وقال الجمهور: ليست بزائدة، وإنما هي معلقة بفعل مقدر تقديره: واذكر إذ قال، وأيضاً فقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ الآية، يقتضي أن يكون التقدير: وابتداءُ خَلْقكم إذ قال ربك للملائكة، وإضافة رب إلى محمد ﷺ ومخاطبته بالكاف تشريف منه له، وإظهار لاختصاصه به.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وأما سورة المؤمن وهي غافر، فليس فيها ذكر للترتيب، ولعل الصواب: فصلت إشارة إلى الآيات (٩- ١١) منها والله أعلم.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦-٣٧) بمعناه.

(٣) في المطبوع: اجتراء.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٨)، بعبارة: وهذا إقدام من أبي عبيدة.

(٥) ردَّ على أبي عبيدة الطبريُّ (١/ ٤٣٩) وغيره.

و«الملائكة»: واحدها ملك، أصله: ملأك على وزن مَفْعل؛ من لَأك: إذا أرسل، وجمعه ملائكة على وزن مفاعلة.

وقال قوم: أصل ملك: مألك، من ألك إذا أرسل[١]، ومنه قول عدي بن زيد[٢]:

[الرمل] أَبْـلِـغ الـنُّـعـمَـان عـنِّـي مَـأْلُـكـاً   أَنَّـه قدْ طـالَ حبْسِـي وانْتظـاري[٣]

واللغتان مسموعتان: لأك وألك، قلبت فيه الهمزة بعد اللام فجاء وزنه معفل، وجمعه ملائكة، وزنه معافلة[٤].

وقال ابن كيسان: «هو من ملك يملك، والهمزة فيه زائدة كما زيدت في شمأل من شمل، فوزنه فعأل، ووزن جمعه [فعائلة][٥]»[٦]، وقد يأتي في الشعر على أصله كما قال:

[الطويل] فلست لإنـسِـيٍّ ولكن لملْأك   تَنَـزَّلَ من جـوِّ السَّـماء يَصُـوبُ[٧]

وأمَّا في الكلام فسهلت الهمزة وألقيت حركتها على اللام، أو على العين في قول ابن كيسان، [فقيل: ملك][٨]، والهاء في (ملائكة) لتأنيث الجموع غير حقيقي، وقيل: هي للمبالغة كعلَّامة ونسَّابة، والأول أبين.

---

(١) انظر: الاشتقاق لابن دريد (١/ ٢٦)، والمخصص (٣/ ٤١٧).

(٢) عدي بن زيد بن حمار بن زيد، يكنى أبا عمير، نصراني عبادي، سكن الحيرة فلان لسانه، قال أبو عمرو: هو في الشعراء مثل سهيل في الكواكب يعارضها ولا يجري معها، وكان كاتباً لكسرى، وكان أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة. معجم الشعراء (ص: ٢٤٩).

(٣) انظر عزوه له في الاشتقاق (١/ ٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، والعقد الفريد (٦/ ١١٠)، والأغاني (٢/ ١٠٥)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٢٥٥)، والمخصص (٣/ ٤١٧)، وغيرها.

(٤) في أحمد٣ فيض الله: «مفاعلة»، وكذا نور العثمانية، وفيها أيضاً «مفعل».

(٥) في النسخة الحمزوية: «مفاعلة».

(٦) انظر: الهداية لمكي (١/ ٢١٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٨٦).

(٧) البيت لعلقمة بن عبدة نسبه له الأعلم في ديوان الست (٢/ ٣٧٩)، وهو في ملحق ديوانه (ص: ١١٨) كما تقدم.

(٨) ليست في أحمد٣.

وقال أبو عبيدة[(١)]: الهمزة في ملائكة [مجتلبة؛ لأن][(٢)] واحدها ملك[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: فهذا الذي نحا إليه ابن كيسان.

و﴿جَاعِلٌ﴾ في هذه الآية بمعنى: خالق، ذكره الطبري[(٤)] عن أبي روق[(٥)]، ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد.

وقال الحسن وقتادة: ﴿جَاعِلٌ﴾ بمعنى: فاعل[(٦)].

وقال ابن سابط[(٧)] عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الأرضَ هنا يعني بها مكة؛ لأنَّ الأرض دحيت من تحتها، ولأنها مقرُّ مَن هلك قومُه من الأنبياء، وإن قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن»[(٨)].

و﴿خَلِيفَةً﴾ معناه: من يخلف، قال ابن عباس: «كانت الجن قبل بني آدم في الأرض، فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله [إليهم قبيلاً] [(٩)] من الملائكة قتلهم

---

(١) في أحمد٣: «أبو عبيد».

(٢) في النسخة الحمزوية: «محتملة على أن».

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٤٨) برقم (٥٩٨)، وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده.

(٥) هو: أبو روق الهمداني عطية بن الحارث بن عبد الرحمن من أهل الكوفة يروي عن إبراهيم التيمي، روى عنه الثوري وعبد الواحد بن زياد، لا بأس به، وذكره بن سعد في الطبقة الخامسة. انظر: الثقات لابن حبان (٧/ ٢٧٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤).

(٦) انظر الطبري في تفسيره (١/ ٤٤٧) برقم (٥٩٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، روى عن أبيه وله صحبة، وعن عائشة، وجابر، وعنه ابن جريج، والليث بن سعد، وجماعة. وكان أحد الفقهاء، وثقوه، لكن يرى ابن معين أن أكثر رواياته مرسلة، مات سنة (١١٨هـ)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٣).

(٨) مرسل: أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في اختصار ابن منظور (٨/ ١٦٤) من حديث ابن سابط، مرفوعاً، وهذا إسناد مرسل.

(٩) في النسخة الحمزوية: «لهم قبلا».

[وألحق فلّهم][1] بجزائر البحار ورؤوس الجبال، وجعل آدم وذريته خليفة»[2]، وقال الحسن: إنما سمى الله بني آدم خليفة؛ لأنَّ كلَّ قرن منهم يخلف الذي قبله، الجيل بعد الجيل[3].

قال القاضي أبو محمد: ففي هذا القول، يحتمل أن تكون بمعنى: خالفة، وبمعنى: مخلوفة.

وقال ابن مسعود: «إنما معناه: خليفة مني في الحكم بين عبادي بالحق وبأوامري، يعني بذلك آدم عليه السلام ومن قام مقامه بعده من ذريته"[4].

وقرأ زيد بن علي: (خليقة) بالقاف[5].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ الآية، وقد علمنا قطعاً أنَّ الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول، وذلك عام في جميع الملائكة، لأن قوله: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] خرج على جهة المدح لهم.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: فهذه قرينة العموم، فلا يصح مع هذين الشرطين إلا أن يكون عندهم من إفساد الخليفة في الأرض نبأ ومقدمة[6].

---

(١) قال في القاموس المحيط (ص: ١٠٤٤) :قوم فل: منهزمون جمعه: فلول وأفلال، وفي النسخة الحمزوية: «والجن كلهم».

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٠) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف دائر.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٥١).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٢،٤٨١) بإسناد إلى ابن مسعود وابن عباس، وقد نفى الطبري صحته في غير هذا الموضع.

(٥) وهي قراءة شاذة انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٧٥)، وزاد في البحر المحيط (١/ ٢٢٧): أبا البرهسم عمران.

(٦) نقله عنه الثعالبي في تفسيره (١/ ٢٠٥) ولم أقف عليه في كتب الباقلاني المتوفرة، وفي نور العثمانية: «نبأ متقدم».

قال ابن زيد وغيره: إن اللهَ تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قومٌ يفسدون ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة[(١)].

قال القاضي أبو محمد: فهذا إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه، أو من عصيان من يستخلفه الله في أرضه وينعم عليه بذلك، وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعاً: الاستخلاف، والعصيان.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب وغيره: إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء في الأرض، فجاء قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾.. الآية، على جهة الاستفهام [المحض][(٢)]، هل هذا [الخليفة][(٣)] / على طريقة من تقدم من الجن، أم لا؟[(٤)]. [٤٣]

وقال آخرون: كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنه يخلق في الأرض خلقاً يفسدون ويسفكون الدماء، فلما قال لهم بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ الآية، على جهة الاسترشاد والاستعلام: هل هذا الخليفة هو الذي كان أعلمَهم به قبلُ أو غيره؟[(٥)].

و«السّفك»: صبُّ الدَّم، هذا عُرفه، وقد يقال: سفك كلامه في كذا إذا [سرده][(٦)].

وقراءة الجمهور بكسر الفاء، وقرأ أبو [حيوة][(٧)] وابن أبي عبلة: (ويسفُكُ) بضم

(١) نقله عنه في تفسير القرطبي (١/ ٢٧٤)، ولم أجده بهذا اللفظ لمن تقدم المؤلف.
(٢) في النسخة الحمزوية: «والحصر».
(٣) في النسخة الحمزوية: «الخليقة».
(٤) نقله عن ثعلب القرطبي (١/ ٢٧٤)، ونسبه الطبري (١/ ٤٦٩) إلى بعض أهل العربية.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٨)، وتفسير الطبري (١/ ٤٦٩) ونسبه إلى بعض أهل العربية.
(٦) في النسخة الحمزوية: «سوده».
(٧) في النسخة الحمزوية: «عبيدة»، وهو خطأ.

الفاء[١]، وقرأ ابن هرمز: (ويسفِكَ) بالنصب[٢] بواو الصرف، كأنه قال: مَن يجمع أن يفسد وأن يسفك، وقال المهدوي: هو نصب في جواب الاستفهام[٣]، والأول أحسن.

وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قال بعض المتأولين: هو على جهة الاستفهام، كأنهم أرادوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ الآية، أم نتغير عن هذه الحال؟

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ﴾.

وقال آخرون: معناه: التمدح ووصف حالهم، وذلك جائز لهم كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وهذا يَحسُن مع التعجب والاستعظام لأنْ[٤] يستخلفَ الله من يعصيه في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ﴾، وعلى هذا أدبهم بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال قوم: معنى الآية: ونحن لو جعلتنا في الأرض واستخلفتنا نسبح بحمدك[٥].

وهذا أيضاً حسنٌ مع التعجب والاستعظام في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ﴾.

ومعنى ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: ننزِّهك عما لا يليق بك وبصفاتك، وقال ابن عباس وابن مسعود: «تسبيح الملائكة: صلاتهم لله»[٦]، وقال قتادة: تسبيح الملائكة قولهم: سبحان الله على عرفه في اللغة[٧].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٢)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢٢٩)، لطلحة بن مصرف.

(٢) انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٧) وهي قراءة شاذة. وابن هرمز هو عبد الرحمن الأعرج.

(٣) التحصيل (١/ ١٩٦)، ونقله عنه القرطبي (١/ ٢٧٥).

(٤) في الحمزوية: «أن».

(٥) تفسير الطبري (١/ ٢١٢).

(٦) ضعيف: هذا الأثر عنهما أخرجه الطبري (١/ ٤٧٤) بإسناد ضعيف، وقد سبق مراراً.

(٧) أخرجه الطبري الطبري (١/ ٢١١) عنه بلفظ: «التسبيح: التسبيح».

و﴿بِحَمْدِكَ﴾ معناه: نخلط التسبيح بالحمد ونَصِلُه به، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿بِحَمْدِكَ﴾ اعتراضاً بين الكلامين، كأنهم قالوا: ونحن نسبح ونقدس، ثم اعترضوا على جهة التسليم، أي: وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال الضحاك وغيره: معناه: نطهِّر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك[١].

و«التقديس»: التطهير بلا خلاف، ومنه: الأرض المقدسة، أي: المطهرة، ومنه بيت المقدس، ومنه القَدَس[٢] الذي يُتطهر به[٣].

وقال آخرون: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناه: ونقدسك؛ أي: نعظمك ونطهر ذكرك عما لا يليق به، قاله مجاهد وأبو صالح وغيرهما[٤]، وقال قومٌ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناه: نصلي لك، وهذا ضعيفٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الأظهر أنَّ ﴿أَعۡلَمُ﴾ فعل مستقبل، و﴿مَا﴾ في موضع نصب به، وقيل: ﴿أَعۡلَمُ﴾ اسم، و﴿مَا﴾ في موضع خفض بالإضافة، ولا يصح الصرف فيه بإجماع من النحاة، وإنما الخلاف في أفعل إذا سمي به وكان نكرة، فسيبويه والخليل لا يَصْرِفانه، والأخفش يصرفه[٥].

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

فقال ابن عباس: «كان إبليس لعنه الله قد أعجب ودخله الكبر لمَّا جعله الله خازن السماء الدنيا وشرفه»[٦].

---

(١) نقله بهذا اللفظ القرطبي (١/ ٢٧٦)، ورواه الطبري (١/ ٤٩٠) عنه بلفظ: التقديس التطهير.

(٢) في نور العثمانية: «وبيت القدس».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢١١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٣٢). والقدس: السطل.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٤٧٥).

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٩٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٧٥).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به مطولاً، وبشر ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأخرجه عقبه أيضاً من طريق آخر مشهور بالضعف.

وقيل: بل لما بعثه الله إلى قتل الجن الذين كانوا أفسدوا في الأرض فهزمهم وقتلهم بجنده ـ قاله ابن عباس أيضاً[١] ـ واعتقد[٢] أن ذلك لمزية له، واستخفَّ[٣] الكفر والمعصية في جانب آدم عليه السلام، قال: فلما قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وهي لا تعلم أن في نفس إبليس خلاف ذلك، قال الله لهم: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: ما في نفس إبليس.

وقال قتادة: لما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وقد علم الله تعالى أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياءَ وفضلاء وأهل طاعة، قال لهم: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أفعال الفضلاء من بني آدم[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ﴾ معناه: عرَّف، وتعليم آدم [هنا][٥] عند قوم إلهامُ علمِه ضرورة.

وقال قوم: بل تعليمٌ بقولٍ، فإما بواسطة ملك، أو بتكليمٍ قبل هبوطه الأرض، فلا يشارك موسى ـ عليه السلام ـ في خاصته.

وقرأ اليماني[٦]: (وعُلِّمَ) بضم العين على بناء الفعل للمفعول، (آدمُ) مرفوعاً[٧].

قال أبو الفتح: وهي قراءة يزيد [البربري][٨].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥) من نفس الطريق السابق.

(٢) الفاعل ضمير يعود على إبليس فلذلك وضعنا ما قبلها بين العارضتين.

(٣) في الأصل: «واستحقب»، وفي الحمزوية: «واستصحب»، وانظر أحمد٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١ / ٤٧٩)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (١ / ١٣٢).

(٥) في الحمزوية: «لها».

(٦) هو:محمد بن عبد الرحمن بن السميفع، تقدمت ترجمته.

(٧) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٣)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٧٩)، وتفسير البحر المحيط (١/ ٢٩٤)، وهي قراءة شاذة.

(٨) في النسخة الحمزوية: «البدري»، ذكر ابن النديم في الفهرست (ص: ٤٩) في قراء أهل الشام أن له قراءة، وفي نسخة منه: «البريدي»، وانظر عزو القراءة له في المحتسب لابن جني (١/ ٦٤).

و﴿ءَادَمُ﴾: أفعل مشتق من الأُدمة وهي حمرة تميل إلى السواد، وجمعه: أُدْمٌ وأوادم، كحمر وأحامر، ولا ينصرف بوجه، وقيل: آدَم وزنه فاعل مشتق من أديم الأرض، كأن الملك أدمها، وجمعه: آدمون وأوادم، ويلزم قائلَ هذه المقالة صرفُه.

وقال الطبري: «آدم» فعل رباعي سمي به[١]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا فَخَرَجَتْ ذُرِّيَّتُهُ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزِنُ، وَ[الطَّيِّبُ والْخَبِيثُ]»[٢][٣].

واختلف المتأولون في قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾:

فقال جمهور الأمة: علَّمه التسميات، وقال قوم: عرض عليه الأشخاص، والأولُ أبينُ، ولفظة (علَّمه) تعطي ذلك.

ثم اختلف الجمهور في أيِّ الأسماء علَّمه؟:

فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد: علمه اسم كل شيء/ من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها[٤]. [٤٤]

وقال حمُيدٌ الشامي[٥]: علمه أسماء النجوم فقط[٦]، وقال الربيع بن خُثَيْمٍ[٧]:

---

(١) قال ابن جرير: فعلى التأويل الذي تأول «آدم» من تأوله، بمعنى أنه خُلق من أديم الأرض، يجب أن يكون أصْل «آدم» فعلا سُمي به أبو البشر، كما سمي «أحمد» بالفعل من الإحماد، و«أسعد» من الإسعاد، فلذلك لم يُجَرَّ. تفسير الطبري (١ / ٤٨٢).

(٢) في النسخة الحمزوية: «الغث والسمين».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٥٨٢) وأبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥) وابن حبان (٦١٦٠) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٨٣- ٤٨٥).

(٥) هو حميد بن أبي حميد الشامي الحمصي، يروي عن سليمان المنبهي، وأبي عمرو الشيباني، ومحمود بن الربيع، وعنه محمد بن جحادة، وغيلان بن جامع، وغيرهما، قال ابن عدي: أنكر عليه حديثه عن سليمان المنبهي، ولا أعلم له غيره. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٦١٧).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥).

(٧) الربيع بن خثيم أبو يزيد الثوري الكوفي، من سادة التابعين وفضلائهم، روى عن: ابن مسعود، وأبي =

علمه أسماء الملائكة فقط[١]، وقال عبدالرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته فقط[٢].

وقال الطبري: علمه أسماء ذريته والملائكة، واختار هذا ورجحه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾[٣].

وحكى النقاش عن ابن عباس: أنه تعالى علَّمه كلمة واحدة عرف منها جميع الأسماء[٤].

وقال آخرون: علَّمه أسماء الأجناس، كالجبال والخيل والأودية ونحو ذلك، دون أن يعيِّن ما سمته ذريته منها[٥].

وقال ابن قتيبة: علمه أسماء ما خلق في الأرض[٦]، وقال قومٌ: علمه الأسماء بلغة واحدة، ثم وقع الاصطلاح من ذريته فيما سواها، وقال بعضهم: بل علمه الأسماء بكل لغة تكلمت بها ذريته.

وقد غلا قومٌ في هذا المعنى حتى حكى ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه قال: علم الله تعالى آدم كل شيء، حتى إنه كان يحسن من النحو مثل ما أحسن سيبويه[٧]، ونحو هذا من القول الذي هو بيِّن الخطأ من جهات.

وقال أكثر العلماء: علمه تعالى منافع كل شيء ولمَا يصلح، وقال قوم: عرض

= أيوب الأنصاري، روى عنه: إبراهيم النخعي، والشعبي، وهلال بن يساف، وآخرون، وكان يعد من عقلاء الرجال، توفي قبل سنة (٦٥هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ١١٥).

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٥) بلفظ: أسماء ذريته أجمعين.

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٦٣) لعكرمة.

(٦) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٥).

(٧) نقله أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٢٣٥).

عليه الأشخاص عند التعليم، وقال قوم: بل وصفها له دون عرض أشخاص، وهذه كلُّها احتمالات، قال الناس بها.

وقرأ أبي بن كعب: (ثم عرضها)[١]، وقرأ ابن مسعود: (ثم عرضهن)[٢].

واختلف المتأولون: هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء، أو الأسماء دون الأشخاص؟:

فقال ابن مسعود وغيره: عرض الأشخاص، وقال ابن عباس وغيره: عرض الأسماء[٣] فمن قال في ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ بعموم كل شيء، قال: عرضهم أمة أمة ونوعاً نوعاً، ومن قال في ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ إنها التسميات استقام على قراءة أبيّ: (عَرَضَهَا).

ونقول في قراءة من قرأ: ﴿عَرَضَهُمۡ﴾: إن لفظ ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ يدل على أشخاص، فلذلك ساغ أن يقول للأسماء: ﴿عَرَضَهُمۡ﴾.

و﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ معناه: أخبروني، والنبأ: الخبر، ومنه النبيء.

وقال قوم: يخرج من هذا الأمر [بالإنباء][٤] تكليفُ ما لا يطاق، ويتقرر جوازه لأنه تعالى علم أنهم لا يعلمون.

وقال المحققون من أهل التأويل: ليس هذا على جهة التكليف، وإنما هو على جهة التقرير والتوقيف.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ظاهره حضور أشخاص، وذلك عند العرض على الملائكة.

وليس في هذه الآية ما يوجب أن الاسم أريد به المسمى كما ذهب إليه مكي[٥]

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٨٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٢٨)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦)، وهي قراءة شاذة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢١٥).

(٤) في الحمزوية: «بالأنحاء».

(٥) الهداية لمكي (١/ ٢٢٨).

والمهدوي، فمن قال: إنه تعالى عرض على الملائكة أشخاصاً، استقام له مع لفظ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ومن قال: إنه إنما عرض أسماء فقط، جعل الإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى أشخاص الأسماء وهي [غائبة][١]، إذ قد حضر ما هو منها بسبب، وذلك أسماؤها، وكأنه قال لهم في كل اسم: لأيِّ شخص هذا.

والذي يظهر أن الله تعالى علم آدم الأسماء وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصاً، ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم، ثم إن آدم قال لهم: هذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا.

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لفظ مبني على الكسر، والقصر فيه لغة تميم وبعض قيس وأسد، قال الأعشى:

[الخفيف]
هَــؤُلا ثــم هَــؤلا كُــلاًّ أعْطيــ ــت نـعَـالاً مـحـذُوةً بِـنـعَـال[٢]

و﴿كُنتُمْ﴾ في موضع الجزم بالشرط، والجواب عند سيبويه فيما قبله، وعند المبرد محذوف، والتقدير: إن كنتم صادقين فأنبئوني[٣].

وقال ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي عليه السلام، معنى الآية: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الخليفة يفسد ويسفك[٤]، وقال آخرون: ﴿صَٰدِقِينَ﴾ في أني إن استخلفتكم سبحتم بحمدي وقدستم لي[٥].

---

(١) في الحمزوية: «عامة».

(٢) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٢٨)، والأغاني (١١/ ١١٦)، والمقتضب (٤/ ٢٧٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤)، والحجة لأبي علي (٣/ ٥١)، أي: أوقعت بهم جميعاً، ويريد بذلك بني محارب حيث مشاهم الأسود بن المنذر اللخمي على الجمر، فتساقط لحم أقدامهم، وفي رواية: «بمثال» بدل: «بنعال».

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤).

(٤) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٥٨-٤٥٩) بإسناد ضعيف دائر.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٩٢).

وقال الحسن وقتادة: روي أنَّ الملائكة قالت حين خلق الله آدم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أعلم منا ولا أكرم عليه[١]، فأراد الله تعالى أن يريهم من علم آدم وكرامته خلاف ما ظنوا، فالمعنى: إن كنتم صادقين في دعواكم العلم.

وقال قوم: معنى الآية: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في جواب السؤال عالمين بالأسماء[٢].

قالوا: ولذلك لم يسغ[٣] للملائكة الاجتهاد وقالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ حكاه النقاش، قال: ولو لم يشترط عليهم الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للَّذي أماته الله مئة عام حين قال له:كم لبثت؟، ولم يشترط عليه الإصابة، فقال: ولم يصب فلم يعنَّف[٤]، وهذا كلُّه محتملٌ.

وحكى الطبري أن بعض المفسرين قال: معنى ﴿ إِن كُنتُمْ ﴾: إذْ كنتم، قال الطبري: وهذا خطأ[٥].

وإن قال قائل: ما الحكمة في قول الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾..الآية؟

قيل: هذا منه امتحانٌ لهم واختبارٌ ليقع منهم ما وقع، ويؤدبهم تعالى من تعليم آدم وتكريمه بما أدَّب.

و﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ معناه: تنزيهاً لك وتبرئة أن يعلم أحدٌ من علمك إلا ما علَّمته.

و﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ نصب على المصدر، وقال الكسائي: نصبه على أنه منادى مضاف[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٦٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨١)، عن مجاهد.

(٣) في السليمانية وأحمد٣ وجار الله وفيض الله: «يسع».

(٤) نقله عنه القرطبي (١/ ٢٨٤).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٩٣).

(٦) معاني القرآن للكسائي (ص: ٦٦).

قال الزهراوي: موضع ﴿مَا﴾ من قولهم: ﴿مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ نصب بـ﴿عَلَّمْتَنَآ﴾، وخبر التبرئة في ﴿لَنَآ﴾[١]، ويحتمل أن يكون موضع ﴿مَا﴾ رفعاً على أنه بدل من خبر التبرئة، كما تقول: لا إله إلا الله؛ أي: لا إله في الوجود إلا الله.

[٤٥] و﴿أَنتَ﴾ في موضع / نصب تأكيد للضمير في ﴿إِنَّكَ﴾، أو في موضع رفع على الابتداء، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ خبره، والجملة خبر (إِنَّ)، أو فاصلة لا موضع لها من الإعراب.

و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ معناه: العالم، ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير من المعلومات في حق الله عزَّ وجلَّ، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ معناه: الحاكم، وبينهما مزيةُ المبالغة، وقيل: معناه المُحْكِم[٢]، كما قال عمرو بن معد يكرب:

[الوافر] أَمِنْ ريحانةَ الداعِي السَّميعُ[٣] ....

أي: المُسْمِع، ويجيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ على هذا من صفات الفعل، وقال قوم: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المانع من الفساد، ومنه حَكَمةُ الفرس: مانعته[٤]، ومنه قول جرير:

[الكامل] أَبَني حنيفةَ أحكِمُوا سُفهاءَكُم إنِّي أخَافُ عَلَيْكُمُ أنْ أغْضَبَا[٥]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) نقله في اللباب لابن راشد (١/ ٥٢١)، والبحر المحيط (١/ ٢٣٨).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٢)، والنكت والعيون (١/ ١٠٠).
(٣) الأصمعيات، (ص: ١٧٢)، وقد تقدَّم.
(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١/ ١١٠).
(٥) انظر عزوه له في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ٢٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٧٩)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٤٢٧)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٩٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٦٩)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٢).

﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ معناه: أخبرهم، وهو فعل يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف جر، وقد يحذف حرف الجر أحياناً، تقول: نبِّئت زيداً، قال سيبويه: معناه: نبِّئت عن زيد[1].

والضمير في ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ عائدٌ على الملائكة بإجماع، والضمير في «أَسْمَائِهِم» مختلف فيه حسب الاختلاف في الأسماء التي عُلِّمها آدم.

قال أبو علي: «كلُّهم قرأ: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ بالهمز وضم الهاء، إلا ما روي عن ابن عامر: (أنبئهِم) بالهمز وكسر الهاء[2]، وكذلك روى بعض المكيين عن ابن كثير، وذلك[3] على إتباع كسرة الهاء لكسرة الباء، وإن حجز الساكن فحجزه لا يعتد به»[4].

قال أبو عمرو الداني: «وقرأ الحسن والأعرج: (أنبيهم) بغير همز»[5].

قال ابن جني: «وقرأ الحسن: (أنبهم)، على وزن أعطهم، وقد روي عنه: (أنبيهم) بغير همز»[6].

قال أبو عمرو: «وقد روي مثل ذلك عن ابن كثير من طريق [القواس][7]»[8].

---

(١) كتاب سيبويه (٤/ ١٠).

(٢) انظر: السبعة في القراءات (ص١٥٤)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة ليست من طرق التيسير، ولا النشر، قال في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٥)، وفي البدور الزاهرة (ص: ٢٩): أجمع القراء العشرة على تحقيق همزه وصلاً ووقفاً إلا حمزة.

(٣) في أحمد٣: «وكذلك».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٦).

(٥) لم أجدها في كتبه المتوفرة وسيأتي عزوها لمن ذكر في المحتسب.

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٦٦)، وهي قراءة شاذة، ونقلها عنه أيضاً ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٣).

(٧) في النسخة الحمزوية: «القياس»، وهو تصحيف. وهو أحمد بن محمد بن علقمة أبو الحسن النبال المكي المعروف بالقواس، إمام مكة في القراءة، قرأ على وهب بن واضح، وقرأ عليه قنبل وغيره، توفي سنة (٢٤٠هـ)، أو (٢٤٥هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٢٣).

(٨) انظر تفصيل ذلك في جامع البيان للداني (٢/ ٨٥١).

قال أبو الفتح: «أمَّا قراءة الحسن: (أنبهم) كأعطهم، فعلى إبدال الهمزة ياء، على أنك تقول: أنبيتُ، كأعطيت، وهذا ضعيفٌ في اللغة، لأنَّه بدلٌ لا تخفيف، والبدل عندنا لا يجوز إلا في ضرورة شعر»[١].

قال بعض العلماء: «إنَّ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ نبوةً[٢] لآدم عليه السلام، إذ أمره الله أن ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عزَّ وجلَّ».

ويجوز فتح الياء من ﴿إِنِّيٓ﴾ وتسكينها[٣]، قال الكسائي: «رَأيتُ العربَ إذا لقيتْ عندهم الياءُ همزةً فتحوها»[٤].

قال أبو علي: كان أبو عمرو يفتح ياء الإضافة المكسور ما قبلها عند الهمزة المفتوحة والمكسورة، إذا كانت متصلة باسم أو بفعل، ما لم يَطُل الحرف فإنه يَثقلُ فتحها، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، والذي يخفُّ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٨]، و﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[٥] ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: ما غاب عنكم، لأن الله [لا يغيب عنه شيء، الكلُّ معلوم له][٦]، و﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ﴿أَعۡلَمُ﴾.

قال المهدوي: ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَعۡلَمُ﴾ اسماً بمعنى التفضيل في العلم، فتكون ﴿مَا﴾ في موضع خفض بالإضافة[٧].

---

(١) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٦٦).
(٢) تراجع في أحمد٣.
(٣) فتح الياء هنا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وتسكينها قراءة باقي السبعة، انظر: التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٨٥).
(٤) معاني القرآن للكسائي (ص: ٦٦).
(٥) يونس: ٧٢، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (١/ ٤١١)، وهذا النصُّ من كلام ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص ١٥٢).
(٦) في الأصل وفيض الله: «لا غيب عنده من معلوماته».
(٧) التحصيل للمهدوي (١/ ٩٩).

قال القاضي أبو محمد: فإذا قدِّر الأول اسماً فلا بدَّ بعده من إضمار فعل ينصب ﴿غَيْبَ﴾، تقديره: إني أعلمُ من كلِّ أعلمُ غيب، وكونها في الموضعين فعلاً مضارعاً أخصرُ وأبلغ.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

فقالت طائفة: ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع[١].

وحكى مكي أن المراد بقول: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾... الآية[٢].

وحكى المهدوي أن ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ قولهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق أعلم منا ولا أكرم عليه، فجعل هذا مما أبدوه لمَّا قالوه[٣]، وقال الزهراوي: ما أبدوه هو بدارهم بالسجود لآدم[٤].

واختلف في المكتوم: فقال ابن عباس وابن مسعود: «المراد ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والكفر»[٥]، ويتوجه قوله: ﴿تَكْتُمُونَ﴾ للجماعة والكاتم واحدٌ في هذا القول على تجوُّز العرب واتساعها، كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم: أنتم فعلتم كذا، أي منكم فاعله، وهذا مع قصد تعنيف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وإنما ناداه منهم عيينة، وقيل الأقرع[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٠٠).

(٢) انظر: الهداية (١/ ٢٢٥).

(٣) نقله أبو حيان في البحر (١/ ٣٠٠).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٠).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٤٧٤) بإسناد ضعيف دائر.

(٦) في النسخة الحمزوية: «الأعرج»، وهو الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي، أحد المؤلفة قلوبهم وأحد الأشراف، شهد مع خالد حرب أهل العراق وكان على المقدمة، وتوفي في خلافة عثمان. تاريخ الإسلام (٣/ ٢٨٥)، وعيينة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية، =

وقال قتادة: المكتوم هو ما أسرَّه بعضهم إلى بعض من قولهم: ليخلق ربنا ما شاء[١]، فجعل هذا مما كتموه لمَّا أسرُّوه[٢].

و(إذ) من قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ معطوف على (إذ) المتقدمة.

وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرِّر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم، وهذا هو الباب كلُّه في أوامر الله سبحانه ونواهيه ومخاطباته.

و﴿قُلْنَا﴾ كناية العظيم عن نفسه بلفظ الجمع، وقوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ عمومٌ فيهم.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿لِلْمَلائِكَةُ اسْجُدُوا﴾ برفع تاء ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إتباعاً لضمة ثالث المستقبل[٣]، قال أبو علي: وهذا خطأ[٤]، وقال الزجاج: أبو جعفر من رؤساء القراءة ولكنه غلط في هذا[٥]، قال أبو الفتح: لأن الملائكة في موضع جر فالتاء مكسورة كسرة إعراب، وهذا الذي ذهب إليه أبو جعفر إنما يجوز إذا كان ما قبل الهمزة حرفاً ساكناً صحيحاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾[٦].

والسجود في كلام العرب: الخضوع والتذلل، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَىٰ الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٧]

= الفزاري وهو الأحمق المطاع، كان سيد قومه، وكان ارتد ثم تاب وأسلم، توفي في خلافة عثمان. تاريخ الإسلام (٣/ ٣٤٧).

(١) تفسير الثعلبي (١/ ١٧٩) بمعناه.

(٢) في المطبوع: «أسره».

(٣) وهي قراءة صحيحة. انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٠).

(٤) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ٧٣)، وهذا كلامٌ لا عبرة به ولا بما بعده، فهي قراءة متواترة تقاس عليها العربية وتؤول عليها.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ١١١).

(٦) يوسف: ٣١، المحتسب لابن جني (١/ ٧١).

(٧) البيت لزيد الخيل، وصدره: بجمع تضل البلق في حجراته، عزاه له في: الأغاني (١٧/ ٢٥٨)، والكامل (٢/ ١٤٩)، والمعاني الكبير لابن قتيبة (١/ ٢١٢)، وقد تكرر الاستشهاد به كثيراً.

وغايته: وضع الوجه بالأرض / ، والجمهور على أن سجود الملائكة لآدم [٤٦] [إيماء و][١] خضوع، ذكره النقاش وغيره[٢]، ولا تَدفع الآيةُ أن يكونوا بلغوا غاية السجود، وقوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] لا دليلَ فيه، لأنَّ الجاثي على ركبتيه واقع.

واختلف في حال السجود لآدم:

فقال ابن عباس: «تعبدهم الله بالسجود لآدم، والعبادة في ذلك لله»[٣]، وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «إنما كان سجود تحية كسجود أبوي يوسف عليه السلام، لا سجود عبادة»[٤]، وقال الشعبي: إنما كان آدم كالقبلة، ومعنى ﴿لِأٓدَمَ﴾: إلى آدم[٥]، وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام، وحكى النقاش عن مقاتل[٦]: أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه[٧]، قال: والقرآن يردُّ على هذا القول[٨].

وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يردُّ هذا.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «إنما هو».

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٦٦).

(٣) مرسل: هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسييره (٣٦٠) من طريق قتادة، عن ابن عباس، وهذا سند مرسل.

(٤) هو من قول قتادة، هذا الأثر جاء بنحوه من قول قتادة عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٤٧)، ولم أجده من قول هؤلاء الصحابة.

(٥) تفسير السمعاني (١/ ٦٧).

(٦) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، روى عن مجاهد والضحاك وعنه بقية وعلي ابن الجعد وغيرهم، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، أثنى عليه الشافعي، واتهمه آخرون بالوضع، توفي سنة (١٥٠هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ٦٣٩).

(٧) لفظه في تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٨): قال لهم قبل أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

(٨) هذا من كلام النقاش، ومثله في تفسير البحر المحيط (١/ ٢٤٧) بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ نصب على الاستثناء المتصل، لأنه من الملائكة على قول الجمهور، وهو ظاهر الآية، وكان خازناً ومَلِكاً على سماء الدنيا والأرض، واسمه عزازيل، قاله ابن عباس(١).

وقال ابن زيد والحسن: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن قط ملكاً(٢)، وقد روي نحوه عن ابن عباس أيضاً، قال: «واسمه: الحارث»(٣).

وقال شهر بن حوشب: كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فسَبَوه صغيراً، وتعبَّد [مع الملائكة](٤) وخوطب معها(٥)، وحكاه الطبري عن ابن مسعود(٦)، والاستثناء على هذه الأقوال منقطع.

واحتجَّ بعضُ أصحاب هذا القول بأن الله تعالى قال صفةً للملائكة(٧): ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ورجَّح الطبريُّ قولَ من قال: إنَّ إبليس كان من الملائكة، وقال: ليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع أنه كان من الملائكة(٨).

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] يتخرج على(٩) أنه عمل عملهم فكان منهم في هذا، أو على أن الملائكة قد تسمى جنّاً لاستتارها، قال

---

(١) في صحته نظر: أخرجه الطبري (١٨/ ٣٩) بأسانيد لا يخلو واحد منها من ضعف شديد أو مقال.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٠٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٥٥) بإسناد فيه الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وهذا إسناد منقطع، فالضحاك لم يلق ابن عباس، انظر: جامع التحصيل (ص: ١٩٩).

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، وهو في نور العثمانية ملحق في الهامش، وعليه تصحيح.

(٥) تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٢).

(٦) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥٠٧)، وفي إسناده من لم أعرفهم، وفيه تخليط.

(٧) في الحمزوية وأحمد٣: «في صفة الملائكة».

(٨) تفسير الطبري (١/ ٥٠٨).

(٩) في الحمزوية زيادة: «هذا».

تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا﴾ [الصافات: ١٥٨]، وقال الأعشى في ذكر سليمان عليه السلام:

وسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلائِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلا أَجْرِ[١] [الطويل]

أو على أن يكون نسبه إلى الجَنة كما ينسب إلى البصرة بصريّ، لما كان خازناً عليها.

و﴿إِبۡلِيسَ﴾ لا ينصرف لأنه اسم أعجميٌّ معرَّف، قال[٢] الزجاج، ووزنه فِعليل.

وقال ابن عباس[٣] والسُّدِّي وأبو عبيدة وغيرهم: هو مشتقٌّ من أبلس إذا أبعد عن الخير[٤]، ووزنه على هذا إفعيل، ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه، وأجروه مجرى إسحاق من أسحقه الله، وأيوب من آب يؤوب، ومثل قيوم من قام يقوم، ولما لم تصرف هذه ـ ولها وجه من الاشتقاق ـ كذلك لم يصرف هذا ـ وإن توجَّه اشتقاقه ـ لقلته وشذوذه.

ومن هذا المعنى قول العجَّاج:

يا صَاح هلْ تعْرف رسماً مُكْرَسَا قال نعم أعْرفه وَأبْلَسَا[٥] [الرجز]

(١) البيت للأعشى، عزاه له تفسير الطبري (١/ ٥٠٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢١)، والزاهر (٢/ ٣٢٢)، والمحكم (٧/ ٢١٦).

(٢) الصواب: «قاله» كما في البحر المحيط (١/ ٤١٣) طبعة الرسالة، ولفظ الزجاج في معاني القرآن (١/ ١١٤): «وإبليس لم ينصرف؛ لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجمة والمعرفة فمنع من الصرف».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٥٠٩) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف.

(٤) لفظ السدي في تفسير الطبري (١/ ٥٠٩)، ولم أقف على كلام أبي عبيدة، بل صرح في مجاز القرآن (١/ ٣٨) أنه أعجمي.

(٥) البيت للعجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (١/ ٥٠٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤١)، والجمهرة لابن دريد (٢/ ٧١٩)، الرسم: الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، والكرس بالكسر: الأبوال والأبعار يتلبَّد بعضها على بعض.

أي: تغيَّر وبَعُد عن العمارة [والأنس به][(١)]، ومثله قول الآخر:

[الرجز] وفي الوُجوهِ صُفرَة وإبْلاسْ[(٢)]

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: يائسون عن الخير مبعدون منه فيما يرون.

و ﴿أَبَىٰ﴾ معناه: امتنع من فعل ما أمر به، و(اسْتَكْبَرَ) دخل في الكبرياء، والإباية مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه، والاستكبار والأنفة مقدمة في معتقده.

وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: «بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح، حسد إبليس آدم وتكبر، وشح آدم في أكله من شجرة قد نهي عن قربها»[(٣)].

حكى المهدوي عن فرقة أن معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: «وصار من الكافرين»[(٤)].

وقال ابن فورك: «وهذا خطأٌ تردُّه الأصول»[(٥)].

وقالت فرقة: «قد كان تقدم [قبلُ][(٦)] من الجن مَن كفر فشبهه الله بهم وجعله منهم، لما فعل في الكفر فعلهم، وذكر الطبري عن أبي العالية أنه كان يقول: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناه: من العاصين»[(٧)].

قال القاضي أبو محمد: وتلك معصيةُ كفرٍ لأنها عن معتقد فاسد صدرت.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «ولا أنيس به».

(٢) هو لرؤبة، كما في مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، وتفسير الطبري (١/ ٥١٠)، وغريب الحديث للخطابي، (١/ ٤٦٦).

(٣) العتبية مع البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢)، والمقدمات لابن رشد (٣/ ٤١٠)، والهداية لمكي (١/ ٢٣٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٠٤)، وتفسير الماوردي (١/ ١٠٣)، وتفسير السمعاني (١/ ٦٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨١)، بلا نسبة.

(٥) نقله عنه القرطبي (١/ ٢٩٧)، والثعالبي (١/ ٢١٧).

(٦) في النسخة الحمزوية: «قبيل».

(٧) تفسير الطبري (١/ ٥١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٥).

وروي أنَّ الله تعالى خلق خلقاً وأمرهم بالسجود لآدم فعصوا، فأحرقهم بالنار، ثم خلق آخرين وأمرهم بذلك فعصوا فأحرقهم، ثم خلق الملائكة فأمرهم بذلك فسجدوا[(١)].

والإسناد في مثل هذا غير وثيق.

وقال جمهور المتأولين: معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: في علم الله تعالى أنه سيكفر، لأنَّ الكافر حقيقةً والمؤمن حقيقةً هو الذي قد علم الله منه الموافاة[(٢)].

وذهب الطبري: إلى أنَّ الله أراد بقصة إبليس تقريع أشباهه من بني آدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ مع علمهم بنبوته، ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم[(٣)].

واختلف: هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً؟ على قولين بين أهل السنة، ولا خلاف أنه كان عالماً بالله قبل كفره، فمن قال: إنه كفر جهلاً، قال: إنه سلب العلم عند كفره، ومن قال: كفر عناداً، قال: كفر ومعه علمه، والكفر عناداً مع بقاء العلم مستبعد، إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء، ولا خلاف أنَّ الله تعالى أخرج / إبليس [٤٧] عند كفره وأبعده عن الجنة، وبعد إخراجه قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)﴾.

﴿ٱسْكُنْ﴾ معناه: لازم الإقامة، ولفظه لفظ الأمر ومعناه الإذن، و﴿أَنتَ﴾ تأكيدٌ للضمير الَّذي في ﴿ٱسْكُنْ﴾، و(زَوْجُكَ) عطف عليه، والزوج: امرأةُ الرجل، وهذا أشهر من زوجة، وقد تقدَّم.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٥١٠).

و﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: البستان عليه حظيرةٌ، واختلف في الجنة التي أُسكنها آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة أعدت لهما؟.

وذهب من لم يجعلها جنةَ الخلد إلى أن من دخل جنة الخلد لا يخرج منها، وهذا لا يمتنع، إلا أن السمع ورد أن من دخلها مثاباً لا يخرج منها، وأمَّا من دخلها ابتلاء كآدم فغير مستحيل ولا ورد سمع بأنه لا يخرج منها.

واختلف: متى خلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام؟:

فقال ابن عباس: «حين أنبأ الملائكةَ بالأسماء وأُسجدوا له ألقيت عليه السِّنة وخلقت حواء، فاستيقظ وهي إلى جانبه، فقال فيما يزعمون: لحمي ودمي، وسكن إليها، فذهبت الملائكة لتجرب علمه، فقالوا له: يا آدم ما اسمُها؟ قال: حواء. قالوا: ولم؟ قال: لأنها خلقت من شيءٍ حيٍّ، ثم قال الله له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾»[(١)].

وقال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: «لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلمَّا نام خلقت حواء من ضلعه [القُصَيْرى][(٢)]، ليسكن إليها ويستأنس بها، فلما انتبه رآها، فقال: مَن أنتِ؟ قالت: امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي»[(٣)].

وحذفت النون من (كُلا) للأمر، والألف الأولى لحركة الكاف حين حذفت الثانية لاجتماع المثلين وهو حذف شاذ، ولفظ هذا الأمر بـ(كُلا) معناه الإباحة، بقرينة قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائدٌ على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقرأ ابن وثاب، والنخعي: (رَغْداً) بسكون الغين[(٤)]، والجمهور على فتحها،

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) بإسناد ضعيف قد سبق أن الطبري نفسه نفى صحته وارتاب فيه.

(٢) في النسخة الحمزوية: «الصغرى»، وفي أحمد٣: «القصير».

(٣) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) وهو جزء من الأثر السابق.

(٤) الشواذ للكرماني (ص: ٥٢). وهي قراءة شاذة.

والرغد: العيش الدارّ الهنيّ الذي لا عناء فيه، ومنه قول امرئ القيس:

بَيْنَمَا الْـمَـرْءُ تَـرَاهُ نَـاعِـمَـاً يَأْمَـنُ الأحْـدَاثَ فِي عَيْـشٍ رَغَدْ[١] [الرمل]

و﴿رَغَدًا﴾ منصوبٌ على الصفة لمصدر محذوف، وقيل: هو نصب على المصدر في موضع الحال، و﴿حَيْثُ﴾ مبنيّةٌ على الضمِّ، ومن العرب من يبنيها على الفتح، ومن العرب من يعربها حسب موضعها بالرفع والنصب والخفض، كقوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، ومن العرب من يقول «حوث»[٢].

و﴿شِئْتُمَا﴾ أصله: شيَأتما، حوّل إلى فعلتما تحركت ياؤه وانفتح ما قبلها جاء: شَاءْتما، حذفت الألف الساكنة الممدودة للالتقاء وكسرت الشين لتدل على الياء فجاء شئتما، هذا تعليل المبرد، فأمَّا سيبويه فالأصل عنده: شَيِئْتُما بكسر الياء، نقلت حركة الياء إلى الشين، وحذفت الياء بعد[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [معناه: لا تقرباها بأكل؛ لأنَّ الإباحةَ فيه وقعت.

قال بعض الحذاق: إنَّ الله لما أراد النهي عن أكل الشجرة][٤] نهى عنه بلفظة تقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثالٌ بيِّنٌ في سدِّ الذرائع.

وقرأ ابن محيصن: (هَذِي) على الأصل[٥]، والهاء في ﴿هَٰذِهِ﴾ بدل من الياء، وليس في الكلام هاء تأنيث مكسور ما قبلها غير هذه، وتحتمل هذه الإشارةُ أن تكون إلى شجرةٍ معينةٍ واحدةٍ، أو إلى جنس.

---

(١) نسبه له الطبري (١/ ٥١٥)، والماوردي في النكت (١/ ١٠٥)، وغيرهما.

(٢) انظر هذه اللغات في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٦)، إصلاح المنطق (ص: ١٠٦)، تهذيب اللغة (٥/ ١٣٥).

(٣) نقله ابن عادل في اللباب (١/ ٥٥٣)، والسمين في الدر المصون (١/ ٢٨٣).

(٤) ساقط من السليمانية.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، وهي قراءة شاذة.

وحكى هارونُ الأعورُ عن بعض العلماء قراءة: (الشِّجَرَة) بكسر الشين[١].

والشجر: كلُّ مَا قام من النبات على ساق.

واختلف في هذه الشجرة التي نهي عنها ما هي؟:

فقال ابن مسعود، وابن عباس: هي الكرم[٢]، ولذلك حرِّمت علينا الخمر، وقال ابن جريج عن بعض الصحابة: هي شجرة التين[٣]، وقال ابن عباس أيضاً[٤] وأبو مالك[٥] وعطية[٦] وقتادة: هي السنبلة وحَبها كَكُلَى البقر، أحلى من العسل، وألين من الزُّبد[٧]، وروي عن ابن عباس أيضاً: أنها شجرة العلم، فيها ثمر كل شيء[٨]، وهذا ضعيفٌ لا يصحّ عن ابن عباس[٩].

---

(١) نقلها عنه ابن جني في المحتسب (١/ ٧٣) عن بعض العرب، ونقل عن أبي عمرو أنها يقرأ بها برابر مكة وسودانها، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٢) لأبي السمال، وهي قراءة شاذة.

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٣) بإسناد ضعيف قد سبق التنبيه عليه قريباً.

(٣) منقطع رواه الطبري (١ / ٥٢٠)، وابن جريج لم يلق أحداً من الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) ضعيف جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥١٧) بإسناد فيه النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز، قال فيه البخاري: «منكر الحديث»، انظر: التاريخ الكبير (٨/ ٩١).

(٥) هو أبو مالك سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي الكوفي، لأبيه صحبة، روى عن أبيه وعن ابن أبي أوفى وأنس بن مالك، وعنه الثوري وآخرون، قال النسائي: ليس به بأس، وقد استشهد به البخاري. تاريخ الإسلام (٩/ ١٤٧).

(٦) عطية بن سعد بن جنادة العوفي، أبو الحسن الكوفي، عن ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما، وعنه ابنه الحسن، وأبان بن تغلب، وآخرون، قال أبو حاتم: ضعيف يكتب حديثه، وكذا ضعفه غير واحد، وكان شيعيا، توفي سنة (١١١هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٢٤).

(٧) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١/ ٥١٧).

(٨) لم أقف له على إسناد، وقد نقله مكي في الهداية (١/ ٢٣٤) من رواية أبي صالح عنه.

(٩) وقد نقله تفسير الثعلبي (١/ ١٨٢) عن قتادة.

وحكى الطبريُّ عن يعقوب بن عتبة[١]: أنها الشجرة التي كانت الملائكة [تحنَّك][٢] بها للخلد، وهذا أيضاً ضعيفٌ.

قال: «واليهود تزعم أنها الحنظلة، وتقول: كانت حلوة ومرّت من حينئذ»[٣].

وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يُعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو إليها وعصى في الأكل منها.

وفي حظره تعالى على آدم الشجرة ما يدل على أن سكناه في الجنة لا يدوم؛ لأنَّ المخلدَ لا يُحظر عليه شيءٌ، ولا يؤمر ولا ينهى.

[وقيل: إن هذه الشجرة كانت خُصَّت بأن تُحْوِجَ[٤] آكلها إلى التبرز، فلذلك نهي عنها، فلما أكلها ولم تكن الجنة موضع تبرز أهبط إلى الأرض][٥].

وقوله: ﴿فَتَكُونَا﴾ في موضع جزم على العطف على ﴿لَا تَقْرَبَا﴾، ويجوز فيه النصب على الجواب، والناصب عند الخليل وسيبويه «أنْ» المضمرة، وعند الجرمي[٦] الفاء[٧].

والظالم في اللغة: الذي يضع الشيء [في][٨] غير موضعه، ومنه قولهم: «من

---

(١) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني، عن عروة وعمر بن عبد العزيز والزهري، وعنه ابنه محمد ومحمد بن إسحاق وآخرون، وثقه ابن سعد، وكان فقيهاً ورعاً عارفاً بالسيرة، مات سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٤).

(٢) في النسخة الحمزوية: «تحيط».

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥١٨).

(٤) في نور العثمانية: «يخرج».

(٥) سقط من الأصل والسليمانية.

(٦) هو صالح بن إسحاق أبو عمر الجَرْميّ النحويّ البصريّ، ألف الكتاب المختصر فى النحو، وكان ممّن اجتمع له مع العلم صحة المذهب وصحة الاعتقاد، أخذ عن الأخفش وغيره، ولقي يونس ابن حبيب، ولم يلق سيبويه، وكان ذا دين وأخا ورع. إنباه الرواة (٢/ ٨٠).

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٦).

(٨) من النسخة الحمزوية.

أشبه أباه فما ظلم»[١]، ومنه «المظلومة الجَلَد» لأنَّ المطر لم يأتها في وقته، ومنه قول عمرو بن قميئة[٢]:

[الكامل] ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ[٣]

[٤٨] / والظلم في أحكام الشرع على مراتب، أعلاها الشرك، ثم ظلم المعاصي وهي مراتب، وهو في هذه الآية يدل على أن قوله: ﴿لَا تَقْرَبَا﴾ على جهة الوجوب، لا على الندب، لأنَّ من ترك المندوب لا يسمى ظالماً، فاقتضت لفظة الظلم قوة النهي.

وأَزَلَّهما مأخوذٌ من الزلل، وهو في الآية مجاز، لأنه في الرأي والنظر، وإنما حقيقة الزلل في القدم، قال أبو علي: (أَزَلَّهُمَا) يحتمل تأويلين، أحدهما: كسبهما الزلة، والآخر: أن يكون من زل إذا عثر[٤].

وقرأ حمزة: ﴿فأَزَالَهما﴾[٥]، مأخوذٌ من الزوال، كأنه المزيل لمَّا كان إغواؤه مؤدياً إلى الزوال، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء[٦].

---

(١) مثل مشهور، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢١٩).

(٢) عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل، ويكنى أبا كعب، وكان في عصر مهلهل ابن ربيعة ويقول الشعر، وعمِّر حتى جاوز التسعين، وتزعم بكر بن وائل أنه أول من قال الشعر وقصد القصيد. معجم الشعراء (ص: ٢٠٠).

(٣) نسبه له الثعلبي (٢/ ٤٤)، والطبري (١/ ٥٢٤)، ونسبه في المفضليات (١/ ٣)، والحيوان (١/ ٣٣١)، والاختيارين (ص: ٦٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٧٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٤٦)، وأساس البلاغة (١/ ١٨٢) للحادرة، والحريصة: هي السحابة التي تقشر وجه الأرض وتؤثر فيه بمطرها من شدة وقعه. وفي السليمانية: «المطلع».

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٨).

(٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٤)، والتيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣).

(٦) تفسير البحر المحيط (١/ ٣١٣)، وأبو رجاء هو العطاري عمران بن ملحان، مخضرم أدرك الجاهلية، أسلم بعد الفتح، ولم ير النبي ﷺ، حدث عن: عمر، وعلي، وكان تلاء لكتاب الله، وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٨٧).

ولا خلاف بين العلماء أن إبليس اللعين[١] هو متولي إغواء آدم، واختلف في الكيفية:

فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة[٢]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢١] والمقاسمة ظاهرها المشافهة.

وقال بعضهم: إنَّ إبليس لما دخل إلى آدم كلمه في حاله، فقال: يا آدم ما أحسن هذا لو أن خلداً كان! فوجد إبليس السبيل إلى إغوائه، فقال: هل أدلك على شجرة الخلد؟[٣].

وقال بعضهم: دخل الجنة في فم الحية ـ وهي ذات أربع كالبختية ـ بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم تدخله إلا الحية، فخرج إلى حواء وأخذ شيئاً من الشجرة، وقال: انظري ما أحسن هذا! فأغواها حتى أكلت، ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كُلْ فإني قد أكلت فلم يضرني، فأكل فبدت لهما سوءاتهما، وحصلا في حكم الذنب، ولعنت الحية وردَّت قوائمها في جوفها، وجعلت العداوة بينها وبين بني آدم، وقيل لحواء: «كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم في كلِّ شهر، وكذلك تحملين كرهاً، وتضعين كرهاً، تشرفين به على الموت مراراً»، زاد الطبريُّ والنقاش: «وتكونين سفيهةً، وقد كنتِ حليمة»[٤].

وقالت طائفة: إنَّ إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد أن أُخرج منها، وإنما أغوى آدم بشيطانه وسلطانه ووساوسه التي أعطاه الله تعالى، كما قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[٥].

---

(١) ليست في السليمانية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٢) أخرج الطبري (١/ ٥٢٦) هذا عنهما بأسانيد واهية في حكاية طويلة لا تصح.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٢٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٢٩- ٥٣٠)، وفيه: وأن أجعلها سفيهةً فقد كنت خلقتها حَليمة.

(٥) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٥٨٠٧) من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها.

والضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائدٌ على ﴿الشَّجَرَةَ﴾ في قراءة من قرأ: (أَزَلَّهُمَا)، ويحتمل أن يعود على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، فأمَّا من قرأ: (أزَالَهما) فإنه يعود على ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ فقط، وهنا محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: فأكلا من الشجرة. وقال قوم: أكلا من غير التي أشير إليها فلم يتأولا النهي واقعاً على جميع جنسها، وقال آخرون: تأولا النهي على الندب.

وقال ابن المسيب: إنما أكل آدم بعد أن سقته حواء الخمر، فكان في غير عقله[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يحتمل وجوهاً، فقيل: أخرجهما من الطاعة إلى المعصية، وقيل: من نعمة الجنة إلى شقاء الدنيا[(٢)]، وقيل: من رفعة المنزلة إلى سفل مكانة الذنب، وهذا كلُّه يتقارب.

وقرأ أبو حيوة: (اهبُطُوا) بضم الباء[(٣)]، ويفعُل كثير في غير المتعدِّي، وهبط غير متعدّ، والهبوط: النزول من عُلْوٍ إلى أسفل.

واختلف مَن المخاطب بالهبوط:

فقال السدي وغيره: آدم وحواء وإبليس والحية[(٤)]، وقال الحسن: آدم وحواء والوسوسة[(٥)]، قال غيره: والحية؛ لأن إبليس قد كان أهبط [قبلُ عند معصيته[(٦)].

و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جملة في موضع الحال، وإفراد لفظ: ﴿عَدُوٌّ﴾ من حيث لفظة (بعض)، وبعضٌ وكلٌّ تجري مجرى الواحد][(٧)]، ومن حيث لفظة: ﴿عَدُوٌّ﴾ تقع للواحدِ والجمع، قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٣٠).
(٢) القولان في زاد المسير (١/ ٦٧)، وتفسير الثعلبي (١/ ٦٣)، وتفسير البغوي (١/ ٨٣) بلا نسبة.
(٣) الشواذ للكرماني (ص: ٥٩)، وزاد شريحاً وكرداب، وهي قراءة شاذة.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٢) عنه، و(٥/ ١٤٥٥) عن ابن عباس، وأخرجه الطبري عن أبي صالح (١/ ٥٤٨).
(٥) تفسير الماوردي (٢/ ٢١٢).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٢).
(٧) ساقط من أحمد٣.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: موضع استقرار، قاله أبو العالية وابن زيد[١].

وقال السّدي: المراد: الاستقرار في القبور[٢].

والْمَتَاعُ: ما يستمتع به من أكلٍ ولبسٍ وحياةٍ، وحديث، وأُنس، وغير ذلك.

وأنشد سليمان بن عبد الملك[٣] حين وقف على قبر ابنه أيوب[٤] إثر دفنه:

وقفتُ على قبرٍ غريبٍ بقفْرةٍ ... متاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفَارق[٥] [الطويل]

واختلف المتأولون في الحين هاهنا: فقالت فرقة: إلى الموت[٦]، وهذا قولُ من يقول المستقر هو المقام في الدنيا[٧]، وقالت فرقة: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى يوم القيامة، وهذا قولُ من يقول: المستقر هو في القبور.

ويترتب أيضاً على أن المستقر في الدنيا[٨] أن يراد بقوله: ﴿وَلَكُمْ﴾، أي: لأنواعكم في الدنيا استقرار ومتاع قرنا بعد قرن إلى يوم القيامة[٩]، والحين: المدة

---

(١) أخرج الطبري (١/ ٥٣٨) عن أبي العالية في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وعن ابن زيد (١/ ٥٣٩) قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، قال: مقامهم فيها.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٣٩).

(٣) هو الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، وكان من خيار ملوك بني أمية، ولي الخلافة سنة ست وتسعين بعد الوليد بالعهد المذكور من أبيه، فرد الصلاة لوقتها، وقرب عمر بن العزيز وعهد له، توفي سنة (٩٩هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٧).

(٤) هو أيوب بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، ولي غزو الصائفة، ورشحه أبوه لولاية العهد، فمات قبله. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٠٠).

(٥) البيت لسليمان بن عبد الملك كما في البيان والتبيين (١/ ٥٨٦)، والكامل (٤/ ٤٥)، وقد أنشده بعد دفن ولده أيوب.

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٤٥٠) عن السدي.

(٧) أخرج الطبري (١/ ٤٥٠) عن ابن عباس ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: الحياة.

(٨) جاء في الأصل: «على» (وكأنها مكررة).

(٩) ذكره الطبري (١/ ٤٥٠) عن مجاهد.

الطويلة من الدهر، أقصرها في الأيمان والالتزامات سنة[١]، قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقد قيل: أقصرها ستة أشهر؛ لأنَّ من النخل ما يثمر في كل ستة أشهر، وقد يستعمل الحين في المحاورات في القليل من الزمن.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ فائدة لآدم عليه السلام، ليعلم أنه غير باقٍ فيها، ومنتقل إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها، وهي لغير آدم دالة على المعاد.

وروي أن آدم نزل على جبل من جبال سَرَنْديب، وأن حواء نزلت بجدة، وأن الحية نزلت بأصبهان، وقيل بميسان، وأنَّ إبليس نزل على الأُبُلَّة[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا/ جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾. [٤٩]

المعنى: فقال الكلمات فتاب اللهُ عليه عند ذلك.

و﴿ءَادَمُ﴾ رفع بــ (تلَقَّى)، و﴿كَلِمَٰتٍ﴾ نصبٌ بها، والتَّلقي من آدم: هو الإقبال عليها والقبول لها والفهم[٣]، وحكى مكي قولاً: أنه ألهمها فانتفع بها[٤].

وقرأ ابنُ كثير: (آدمَ) بالنصب، ﴿مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَاتٌ﴾ بالرفع[٥]، فالتَّلقي من الكلمات: هو نيل آدم بسببها رحمة الله وتوبته.

واختلف المتأولون في الكلمات:

فقال الحسن بن أبي الحسن: هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية[٦]، وقال

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٠٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥/ ١١٢).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٨٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤١)، وانظر: زاد المسير (١/ ٦٩).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٣).

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣).

(٦) الأعراف: ٢٣، وانظر تفسير الطبري (١/ ٥٤٣).

مجاهد: هي أنَّ آدم قال: «سبحانك اللهمَّ لا إله إلّا أنت ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّك أنت التوّاب الرَّحيم»[١].

وقال ابن عباس: «هي أنَّ آدم قال: أي رب، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأطعت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»[٢].

وقال عبيد بن عمير: إنَّ آدم قال: «أي رب، أرأيت ما عصيتك فيه أشيء كتبته علي أم شيء ابتدعته؟ قال: بل شيء كتبته عليك، قال: أي رب، كما كتبته عليَّ فاغفر لي»[٣].

وقال قتادة: الكلمات هي أن آدم قال: «أي رب، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إذاً أدخلك الجنة»[٤]، وقالت طائفة: إنَّ آدم رأى مكتوباً على ساق العرش: «محمد رسول الله» فتشفَّع بذلك، فهي الكلمات.

وقالت طائفة: «إنَّ المراد بالكلمات ندمه واستغفاره وحزنه»[٥]، وسماها كلمات مجازاً لما هي في خلقها صادرة عن كلمات، وهي: (كن) في كل واحدة منهن، وهذا قول يقتضي أنَّ آدم لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٤٥).

(٢) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٥٤٢) بإسنادين، في الأول محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ جداً، وفي الثاني: محمد بن مُصعْب ـ هو القرقساني ـ عن قيس بن الربيع، وفيهما كلام، وقد ضعفا.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٤).

(٤) أخرج الطبري (١٢/ ٣٥٧) تفسير الكلمات عنه بلفظ: عن قتادة في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾، قال: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وأما هذه اللفظة فأخرجها في توبة آدم بلفظ: عن قتادة قال: قال آدم عليه السلام: يا ربِّ، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال: إذاً أدخلك الجنة.

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٨٥).

وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب، فقال: يقول ما قال أبواه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، وما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

و(تاب عليه) معناه: رجع به، والتوبة من الله تعالى: الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد: الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف.

وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر هنا في التلقي والتوبة، وحواءُ مشارِكةٌ له في ذلك بإجماع؛ لأنه المخاطب في أول القصة بقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فلذلك كملت القصة بذكره وحده، وأيضاً فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله الستر لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

وروي أنَّ الله تعالى تاب على آدم في يوم عاشوراء.

وكنية آدم: أبو محمد، وقيل: أبو البشر(١).

وقرأ الجمهور: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الألف على القطع، وقرأ ابن أبي عقرب(٢): (أنه) بفتح الهمزة على معنى: لأنه(٣).

وبنية ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تأكيدٌ فائدتُهُ أنَّ التوبةَ على العبد إنما هي نعمة من الله لا من العبد وحده؛ لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه.

وكرّر الأمر بالهبوط لمّا علق بكل أمر منهما حكماً غير حكم الآخر، فعلَّق

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٨٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨١).

(٢) هو أبو نوفل معاوية بن أبي عقرب، روى عن: أبيه، وعائشة، وأسماء، وعبد الله بن عمر، وروى: عنه ابن جريج، والأسود بن شيبان، وشعبة، وثقه ابن معين. تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٨).

(٣) انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٥٩)، ومختصر الشواذ لابن خالويه في (ص: ١٣)، وزاد العباس بن الفضل.

بالأول العداوة، وعلق بالثاني إتيان الهدى، وقيل: كرر الأمر بالهبوط على جهة تغليظ الأمر وتأكيده، كما تقول لرجل: قم قم.

وحكى النقاش: أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء، والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض، وهو الآخِر في الوقوع، فليس في الأمر تكرارٌ على هذا[١].

و﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير في ﴿ٱهْبِطُواْ﴾، وليس بمصدر ولا اسم فاعل، ولكنه عوض منهما دال عليهما، كأنه قال: هبوطاً جميعاً، أو: هابطين جميعاً.

واختلف في المقصود بهذا الخطاب:

فقيل: آدم وحواء وإبليس وذريتهم، وقيل: ظاهره العموم، ومعناه الخصوص في آدم وحواء؛ لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخوطبا بلفظ الجمع تشريفاً لهما، والأولُ أصحُّ؛ لأنَّ إبليسَ مخاطبٌ بالإيمان بإجماع.

و(إنْ) في قوله: ﴿فَإِمَّا﴾ هي للشرط دخلت (ما) عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة، فهي بمثابة لام القسم التي [تجيء][٢] لتجيء النون، وفي قوله تعالى: ﴿مِّنِّي﴾ إشارة إلى أن أفعال العباد خلق لله تعالى.

واختلف في معنى قوله: ﴿هُدًى﴾:

فقيل: بيان وإرشاد[٣]، والصواب أن يقال: بيانٌ ودعاءٌ.

وقالت فرقة: الهدى: الرسل، وهي إلى آدم من الملائكة، وإلى بنيه من البشر[٤]، هو فمن بعده[٥].

---

(١) نقله السمين في الدر المصون (١/ ٢٩٨)، وابن عادل في اللباب (١/ ٥٧٩).

(٢) في النسخة الحمزوية: «تخفى».

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٩).

(٤) في أحمد٣: «النبيين».

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٥٤٩) عن أبي العالية.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ شرطٌ جوابُهُ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

[قال سيبويه: الشرط الثاني وجوابه هما جواب الأول في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾.

وحكي عن الكسائي أن قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾][(١)] جواب الشرطين جميعاً[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: حكي هذا وفيه نظرٌ، ولا يتوجه أن يخالف سيبويه هنا، وإنما الخلاف في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، فيقول سيبويه: جواب أحدِ الشرطين محذوفٌ / لدلالة قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ عليه، ويقول الكوفيون: ﴿فَرَوْحٌ﴾ جواب الشرطين. [٥٠]

وأمَّا في هذه الآية فالمعنى يمنع أن يكون ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواباً للشرطين.

وقرأ الجحدري وابن أبي إسحاق: (هُديَّ)[(٣)] وهي لغة هذيل، قال أبو ذؤيب[(٤)] يرثي بنيه:

[الكامل] سَبقوا هَـوَيَّ وأعْنَقُـوا لِهَوَاهُـمُ ... فَتُخِرِّمُـوا وَلِـكُلِّ جَنْـبٍ مَصْـرَعُ[(٥)]

وكذلك يقولون: عصيَّ وما أشبهه، وعلة هذه اللغة أن ياء الإضافة من شأنها أن يكسر ما قبلها، فلما لم يصح في هذا الوزن كسر الألف الساكنة أبدلت ياء وأدغمت.

---

(١) ساقط من أحمد٣.

(٢) نقله في الدر المصون (١/ ٢٩٧).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٧٦). وزاد عيسى بن أبي عمر، وهي قراءة شاذة.

(٤) اسمه خويلد بن خالد بن محرّث، كان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر، وعاش في الجاهلية دهراً، وأدرك الإسلام وأسلم، قدم المدينة يوم وفاة النبي ﷺ، ومات في مغزى له نحو المغرب مع ابن الزبير في خلافة عثمان. الإصابة (٧/ ١١٠).

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في المفضليات (ص: ٤٢١)، وجمهرة شعراء العرب (١/ ٢٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٥٤)، والعقد الفريد (٣/ ٢١٠)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٧)، يقال: أعنق الفرس: أسرع. وتخرموا: أخذوا واحداً بعد واحد.

وقرأ الزهري، ويعقوب، وعيسى[١] الثقفي: ﴿فلا خَوْفَ عَلَيهِم﴾ نصب[٢] بالتبرئة، ووجهه أنه أعم وأبلغ في رفع الخوف، ووجه الرفع أنه أعدل في اللفظ لينعطف المرفوع من قولهم: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ على مرفوع، و(لا) في قراءة الرفع عاملة عمل «ليس».

وقرأ ابن محيصن باختلاف عنه: (فلا خَوْفُ) بالرفع وترك التنوين[٣] [وهي على أن تعمل (لَا) عمل «ليس»، لكنه حذف التنوين][٤] تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [أي: فيما بين أيديهم من الدنيا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم منها، ويحتمل أن ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه، ويحتمل][٥] أن يريد أنه يدخلهم الجنة حيث لا خوفَ ولا حزن.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، عطف جملة مرفوعة على جملة[٦] مرفوعة، وقال: ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ وكان في الكفر كفاية؛ لأن لفظة: ﴿كَفَرُواْ﴾ يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي، ولا يجب بهذا خلود، فبيَّن أن الكفر هنا هو الشرك، بقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

---

(١) في النسخة الحمزوية: «عمر»، وهو عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النحوي البصري معلم النحو ومؤلف الجامع والإكمال، عرض القرآن على عبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري، وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً وله اختيار في القراءات على قياس العربية، يفارق قراءة العامة ويستنكره الناس، وكان عالماً بالنحو، توفي سنة (١٤٩هـ). غاية النهاية (١/ ٦١٣).

(٢) انظر قراءة يعقوب وهي عشرية في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١١)، والباقين في تفسير البحر المحيط (١/ ٣٢٢) وزاد الكرماني في الشواذ أبا الأزهر عن ورش (ص: ٥٩)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٣) للحسن، والْجَحْدَرِيّ، وقَتَادَة، وأبي السَّمَّال ويَعْقُوب، والزَّعْفَرَانِيّ، وابْن مِقْسَم، ومجاهد.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٠)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٣)، وزاد الأعرج، وهي قراءة شاذة.

(٤) ساقط من السليمانية.

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) ليست في الأصل والحمزوية.

والآية هنا يحتمل أن يريد المتلوة، ويحتمل أن يريد العلامة المنصوبة، وقد تقدَّم في صدر هذا الكتاب القول على لفظ آية.

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ رفع بالابتداء و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ خبره، والصحبة: الاقتران بالشيء في حالةٍ مّا، في زمنٍ مّا، فإن كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة، وهكذا هي صحبة أهل النار لها، وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم إذ مراتبهم متباينة، أقلها الاقتران في الإسلام والزمن، وأكثرها الخلطة والملازمة.

و﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ابتداء وخبر في موضع الحال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾.

(يَا): حرف نداء [مضمن][١] معنى التنبيه، قال الخليل: والعامل في المنادى فعل مضمر كأنه يقول: أريد، أو: أدعو[٢].

وقال أبو علي الفارسي: العامل حرف النداء عُصِبَ به معنى الفعل المضمر فقوي فعمل، ويدل على ذلك أنه ليس في حروف المعاني ما يلتئم بانفراده مع الأسماء غير حرف النداء[٣].

و(بني): منادى مضاف و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو اسم أعجمي يقال فيه إسرئل وإسرائيل، وتميم تقول: إسرائين[٤]، وإسرا: هو بالعبرانية عبد، وإيل: اسم الله تعالى، فمعناه: عبد الله، وحكى المهدوي أن «إسرا»

---

(١) في النسخة الحمزوية: «يتضمن».

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٩١).

(٣) في كتابه الحجة (٢/ ١٨).

(٤) النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨).

مأخوذٌ من الشدة في الأسر كأنه الذي شد الله أسره وقوَّى خلقته[1].

وروي عن نافع ترك همز: ﴿إسراييل﴾، وعن الحسن والزهري وابن أبي إسحاق[2].

و«الذكر» في كلام العرب على أنحاء، وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان.

و«النعمة» هنا اسم الجنس، فهي مفردة بمعنى الجمع، وتحركت الياء من ﴿نِعۡمَتِيَ﴾ لأنها لقيت الألف واللام، ويجوز تسكينها[3]، وإذا سكنت حذفت للالتقاء، وفتحها أحسن لزيادة حرف في كتاب الله تعالى[4].

وخصص بعض العلماء النعمة في هذه الآية، فقال الطبري: بعثةُ الرسل منهم، وإنزال المن والسلوى، وإنقاذهم من تعذيب آل فرعون، وتفجير الحجر[5]، وقال غيره: النعمة هنا أن أدركهم مدة محمد ﷺ[6]، وقال آخرون: هي أنْ مَنَحَهم علم التوراة وجعلهم أهله وحملته[7]، وهذه أقوال على جهة المثال، والعموم في اللفظة هو الحسن.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ١٨٢).

(٢) عزاها للثلاثة في المحتسب (١/ ٧٩)، وهي متواترة عن أبي جعفر بالتسهيل كما في النشر (١/ ٤٠٠)، ولم أجد عزوها لنافع، ولكن في جامع البيان (٢/ ٨٥٥): روى ابن شنبوذ عن النّحاس عن الأزرق عن ورش أنه حذف الياء بعد الهمزة، وفي البحر المحيط (١/ ٢٧٨) من رواية خارجة عن نافع: (إسرال) بألف غير ممالة.

(٣) قال ابن مجاهد (ص: ١٩٦): «لم يختلفوا كلهم في تحريكها، ولم يروها ساكنة عن عاصم غير المفضل» وليست من طرق التيسير.

(٤) يعني فيزيد الأجر؛ فإن بكل حرف عشر حسنات.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٥٥٥) بتصرف، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٧١).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٤٧).

(٧) تفسير البغوي (١/ ٨٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٧١).

وحكى مكي: أنَّ المخاطب من بني إسرائيل بهذا الخطاب هم المؤمنون بمحمد ﷺ[١]، لأنَّ الكافر لا نعمة لله عليه.

وقال ابن عباس[٢]، وجمهور العلماء: بل الخطاب لجميع بني إسرائيل في مدة النبي عليه السلام، مؤمنهم وكافرهم[٣]، والضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يراد به: على آبائكم، كما تقول العرب: ألم نهزمكم يوم كذا لوقعة كانت بين الآباء والأجداد، ومن قال: إنما خوطب المؤمنون بمحمد ﷺ استقام الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ويجيء كل ما توالى من الأوامر على جهة الاستدامة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أمرٌ، وجوابه، فقال الخليل: جزم الجوابَ ما في الأمر من معنى الشرط[٤]. والوفاء بالعهد هو [التزام][٥] ما تضمن / [٥١] من فعل.

وقرأ الزهري: (أُوَفِّ) بفتح الواو وشد الفاء[٦] للتكثير.

واختلف المتأولون في هذا العهد إليهم:

فقال الجمهور: ذلك عامٌّ في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه[٧]، فيدخل في ذلك ذكر محمد ﷺ الذي في التوراة.

وقيل: العهد قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ الآية[٨].

---

(١) حكاه في تفسير سورة الفاتحة. الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١١٢).

(٢) أخرج الطبري (١/ ٥٥٥) بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال: يا أهل الكتاب، للأحبار من يهود.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٧٣).

(٤) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٥) في النسخة الحمزوية: «لزوم».

(٦) المحتسب لابن جني (١/ ٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٧) تفسير الطبري (١/ ٥٥٧)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٥).

(٨) البقرة: ٦٣، انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٥٨)، ونسبه للحسن.

وقال ابن جريج: العهد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية[١]، وعهدهم هو أن يدخلهم الجنة، ووفاؤهم بعهد الله أمارة لوفاء الله تعالى لهم بعهدهم، لا علة له، لأنَّ العلةَ لا تتقدم المعلول.

وقوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ الاسم (إيَّا)[٢] والياء ضمير ككاف المخاطب، وقيل: (إيَّايَ) بجملته هو الاسم، وهو منصوب بإضمار فعل مؤخر، تقديره: وإيَّاي ارهبوا فارهبون، وامتنع أن يتقرر[٣] مقدماً؛ لأن الفعل إذا تقدَّم لم يحسن أن يتصل به إلا ضمير خفيف، فكان يجيء: وارهبون[٤]، والرهبة يتضمن الأمر بها معنى التهديد، وسقطت الياء بعد النون؛ لأنها رأس آية، وقرأ ابن أبي إسحاق بالياء[٥].

﴿وَءَامِنُواْ﴾ معناه: صدقوا، و﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال من الضمير في ﴿أَنزَلْتُ﴾، وقيل: من (مَا) والعامل فيه (آمِنوا)، و(ما أنزلت) كناية عن القرآن، و﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: من التوراة.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ هذا من مفهومِ الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد، فالأول والثاني وغيرهما داخلٌ[٦] في النهي، ولكن احذروا البدار إلى الكفر به، إذ على الأول كفلٌ مِن فِعل المقتدي به، ونصب ﴿أَوَّلَ﴾ على خبر (كان).

---

(١) المائدة: ١٢، تفسير الطبري (١/ ٥٥٨).

(٢) في أحمد٣: «إياي».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «يقدر»، وفي جار الله وفيض الله: «يتقدر».

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» (١/ ٩٠).

(٥) تفسير البحر المحيط (١/ ٢٨٤)، وهي قراءة يعقوب في حالتي الوصل والوقف، انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٧).

(٦) كتبت في الأصل: «وغيرهما دليل»، وفي الهامش: «وغير ذلك داخل»، وعليها علامتا «صح»، و«خ».

قال سيبويه: أول: أفعل، لا فعل له لاعتلال فائه وعينه[١]، قال غير سيبويه: هو أوْأل من وَأل إذا نجا، خففت الهمزة وأبدلت واوا وأدغمت.

وقيل: إنه من آل فهو أأول، قلب فجاء وزنه أعفل، وسهِّل وأبدل وأدغم[٢].

ووحد ﴿كَافِرٍ﴾ وهو بنيَّة الجمع؛ لأن أفعل إذا أضيف إلى اسم متصرف من فعل جاز إفراد ذلك الاسم، والمراد به الجماعة، قال الشاعر:

[الكامل] وإذَا هُـمُ طَعِمُـوا فـألأمُ طَاعِـمٍ ... وإذَا هُـمُ جَاعُـوا فشَـرُّ جِيَـاعِ[٣]

وسيبويه يرى أنها نكرة مختصرة[٤] من معرفة، كأنه قال: ولا تكونوا أول [كافرين][٥] به[٦]، وقيل: معناه: ولا تكونوا أول فريق كافر.

قال القاضي أبو محمد: وقد كان كفَر قبلهم كفار قريش، فإنما معناه من أهل الكتاب، إذ هم منظور إليهم في مثل هذا؛ لأنهم حجة مظنون بهم علمٌ.

واختلف في الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ على من يعود؟:

فقيل: على محمد عليه السلام، وقيل: على التوراة [إذ][٧] تضمنها قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

وعلى هذا القول يجيء ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ مستقيماً على ظاهره في الأولية، وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على القرآن، إذ تضمنه قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾.

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ١٩٥).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٩).

(٣) البيت في معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣)، والاشتقاق (ص: ٤١٧)، بلا نسبة، ونسبه أبو زيد في النوادر (ص ١٥٢)، في ثلاثة أبيات لرجل جاهلي، وفي جار الله: «فألأم جائع»، بدل «فشر جياع».

(٤) في السليمانية: «مختصة».

(٥) في المطبوع: «كافر»، وفي السليمانية: «كفار».

(٦) انظر كلام سيبويه على «أول» في الكتاب (٣/ ٢٨٨).

(٧) في المطبوع: «إذا».

واختلف المتأولون في الثمن الذي نهوا أن يشتروه بالآيات:

فقالت طائفة: إنَّ الأحبار كانوا يعلِّمون دينهم بالأجرة، فنُهوا عن ذلك، وفي كتبهم: «عَلِّم مجاناً كما عُلِّمت مجاناً»، أي: باطلاً بغير أجرة[١]. وقال قوم: كانت للأحبار مأكلة يأكلونها على العلم كالراتب، فنهوا عن ذلك[٢]. وقال قوم: إنَّ الأحبار أخذوا رُشاً على تغيير قصة محمد عليه السلام في التوراة، ففي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٣].

وقال قوم: معنى الآية: ولا تشتروا بأوامري ونواهيَّ وآياتي ثمناً قليلاً، يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له[٤]، وقد تقدَّم نظير قوله: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾، وبين (اتَّقون) و(ارهبون) فرقٌ: أنَّ الرهبة مقرونٌ بها وعيدٌ بالغٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

المعنى: ولا تخلطوا، يقال: لَبَستُ الأمر بفتح الباء ألبِسه: إذا خلطته ومزجت بيِّنَهُ بمشكله وحقَّهُ بباطله، وأمَّا قول الشاعر:

[الكامل]

وكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بكَتِيبَةٍ[٥] ....

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٧).

(٢) البقرة: ٤١، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٣٠).

(٤) في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٨): سئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، قال: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

(٥) صدر بيت عجزه: حتَّى إذا التبست نفضت لها يدي، وهو للفرار السلمي كما في الحيوان (٥/ ١٨٥)، وعيون الأخبار (١/ ٢٥٥)، والعقد الفريد (١/ ٢٩)، وديوان الحماسة (ص: ٥٧)، =

فالظاهر أنه من هذا المعنى، ويحتمل أن يكون المعنى من اللباس.

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله: ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾:

فقال أبو العالية: قالت اليهود: محمد نبي مبعوث، ولكن بعث[١] إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حق، وجحدهم أنه بعث إليهم باطل[٢].

وقال الطبري: كان من اليهود منافقون، فما أظهروا من الإيمان حق، وما أبطنوا من الكفر باطل، وقال مجاهد: معناه: لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقال ابن زيد: المراد بـ ﴿ٱلْحَقَّ﴾: التوراة، و(الباطل): ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه السلام[٣].

و﴿تَلْبِسُواْ﴾ جزمٌ بالنهي، و(تكتموا) عطفٌ عليه في موضعِ جزمٍ، ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار «أنْ»، وإذا قدرت «أنْ» كانت مع (تكتموا) بتأويل المصدر، وكانت الواو عاطفة على مصدر مقدر من ﴿تَلْبِسُواْ﴾، كأن الكلام: ولا يَكُنْ لبسكم الحق بالباطل وكتمانكم الحق، وقال الكوفيون / [٥٢] : (تكتموا) نصب بواو الصرف.

و﴿ٱلْحَقَّ﴾ يعني به أمر محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة في موضع الحال، ولم يشهد لهم تعالى بعلم [وإنما نهاهم عن كتمان ما علموا، ويحتمل أن تكون شهادة عليهم بعلمِ حقٍّ

= وورد في بيت آخر عجزه: شهباء باسلة يخاف رداها، وجاء صدراً لبيت آخر عجزه: فئتين منها حاسر وملأم، وهو لمالك بن عوف كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ٤٨٤)، وعزاه في ديوان المعاني (٢/ ٥٠)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٥٨) للأسعر الجعفي، وعجز بيته: حتى يقول نساؤهم هذا فتى، والبيت معزو له كذلك في الأصمعيات (ص: ١٤٢) إلا أن صدره عنده: وكتيبة وجهتها لكتيبة، وفي روايات أخرى غير ذلك.

(١) من السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٦٨) بلفظ: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدُّوا النصيحةَ لعباد الله في أمر محمد ﷺ.

(٣) انظر كلام الطبري وقول مجاهد وابن زيد في تفسير الطبري (١/ ٥٦٨).

مخصوص في أمر محمد عليه السلام، ولم يشهد لهم بالعلم على][1] الإطلاق ولا تكون الجملة على هذا في موضع الحال، وفي هذه الألفاظ دليل على تغليظ الذنب على من واقعه على علم، وأنه أعصى من الجاهل.

و(أَقِيمُوا الصَّلاةَ) معناه: أظهِروا هيئتها وأديموها بشروطها، وذلك تشبيه بإقامة القاعد[2] إلى حال ظهور، ومنه قول الشاعر:

وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمُ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّىٰ تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعَانٍ[3] [الكامل]

وقد تقدم القول في الصلاة، والزكاةُ في هذه الآية هي المفروضة بقرينة إجماع الأمة على وجوب الأمر بها، والزَّكاة مأخوذة من زكا الشيء: إذا نما وزاد، وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه، من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثيب الله به المزكي.

وقيل: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مأخوذة من التطهير، كما يقال: زُكِّي فلان؛ أي: طُهِّر من دنس الجرحة أو الإغفال، فكأن الخارج من المال يطهره[4] من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين، ألا ترى أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمى [في الموطأ][5] ما يخرج من الزكاة أوساخ الناس[6].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ قال قومٌ: جعل الركوع لمَّا كان من أركان الصلاة عبارة عن الصلاة كلها، وقال قومٌ: إنما خصّ الركوع بالذكر؛ لأن بني إسرائيل

---

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) في نور العثمانية: «الفاعل».

(٣) قائله المرار الفقعسي، كما في الأمالي لأبي علي القالي، (١/ ٦٦)، وقد تقدم أول السورة.

(٤) في السليمانية: «مطهرة».

(٥) ساقط من المطبوع والسليمانية وجار الله وأحمد٣، وفي الأصل: «ألا ترى أن أسلم سمى في الموطأ» إلخ.

(٦) الموطأ برقم (٣٦٦٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لم يكن في صلاتهم ركوع[١]، وقالت فرقة: إنما قال ﴿مَعَ﴾ لأن الأمر بالصلاة أولا لم يقتض شهود الجماعة، فأمرهم بقوله ﴿مَعَ﴾ بشهود الجماعة.

والركوع في اللغة: الانحناء بالشخص، قال لبيد:

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ   أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ[٢]   [الطويل]

ويستعار أيضاً في الانحطاط في المنزلة، قال الأضبط بن قُرَيعٍ[٣]:

وَلا تُعادِ الفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ   تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ[٤]   [المنسرح]

وقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ خرج مخرج الاستفهام، ومعناه التوبيخ، والبِرُّ يجمع وجوهَ الخير والطاعات، ويقع على كل واحد منها اسم بر، ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ بمعنى: تتركون، كما قال الله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧].

واختلف المتأولون في المقصود بهذه الآية:

فقال ابن عباس: «كان الأحبار يأمرون أتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة، وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ»[٥].

---

(١) انظر القولين في أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٩).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٥٤)، والأغاني (١٥/ ٣٦٣)، والعقد الفريد (٢/ ٣٧٠)، والعين (١/ ٢٠٠)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٤٧).

(٣) هو الأضبط بن قريع السعدي، من بني عوف بن كعب بن سعد رهط الزّبرقان بن بدر، وابن أنف الناقة، وكان قومه أساؤوا مجاورته، فانتقل عنهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته، فرجع إلى قومه وقال: بكلّ واد بنو سعد، وهو قديم. الشعر والشعراء (١/ ٣٧٠).

(٤) انظر عزوه له في الأمالي (١/ ١٠٧)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢٣)، والمعاني الكبير (١/ ٤٩٥)، والأغاني (١٨/ ٣٤).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ٧) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول، وقد شك فقال: عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقالت فرقة: كان الأحبار إذا استرشدهم أحد من العرب في اتِّباع محمد دلُّوه على ذلك، وهم لا يفعلونه[١].

وقال ابن جُريج: كان الأحبار يحضون الناس على طاعة الله، وكانوا هم يواقعون المعاصي[٢]، وقالت فرقة: كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ﴾ معناه: تدرسون وتقرءون، ويحتمل أن يكون المعنى تتبعون؛ أي: في الاقتداء بها، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، وهي تنهاهم عما هم عليه من هذه الصفة الذميمة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ معناه: أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المُرْدية لكم؟

والعقل: الإدراك المانع من الخطأ مأخوذٌ منه عقالُ البعير، أي: يمنعه من التصرف، ومنه: المَعْقِل؛ أي: موضع الامتناع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال مقاتل: معناه على طلب الآخرة[٤]، وقال غيره: المعنى: استعينوا بالصبر[٥] على الطاعات عن[٦] الشهوات على نيل رضوان الله، وبالصلاة على نيل الرضوان وحط الذنوب، وعلى مصائب الدهر أيضاً، ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا كربه[٧] أمر فزع إلى الصلاة[٨].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨) بلفظ: أن أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

(٣) انظر في هذه الأقوال تفسير الطبري (١/ ٢٥٧-٢٥٩).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠٢).

(٥) في جار الله زيادة: «قال مقاتل»، ولعله تكرار.

(٦) «وعن» من نور العثمانية وجار الله، وفي باقي النسخ: «وعلى».

(٧) في النسخة الحمزوية والسليمانية ونور العثمانية وفيض الله: «حزبه»، وفي أحمد٣ وجار الله: «حزنه». وفي هامش الأصل الإشارة إليهما.

(٨) ضعيف، وقد روي مرسلاً: هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩)، وغيرهما =

ومنه ما روي أن عبد الله بن عباس نُعي إليه أخوه قثم[١]، وهو في سفر، فاسترجع وتنحى عن الطريق، وصلى ثم انصرف إلى راحلتـه، وهو يقرأ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية الصوم[٣]، ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر، وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما في أنَّ الصيام يمنع الشهوات ويزهِّد في الدنيا، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتخشع، ويقرأ فيها القرآن الذي يذكِّر بالآخرة، وقال قوم: (الصبر) على بابه، و(الصلاة): الدعاء، وتجيء هذه الآية على هذا القول مشبِهةً لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥]؛ لأن الثبات هو الصبر، وذكر الله هو الدعاء.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ على أيِّ شيء يعود الضمير؟: فقيل: على الصَّلاةِ، وقيل: على الاستعانة التي يقتضيها قوله: ﴿ٱسْتَعِينُواْ﴾[٤]،

= من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة، قال: حذيفة : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى. والدؤلي لا يعلم روى عنه غير عكرمة بن عمار، ففيه جهالة، وشيخه اختلف في تعيينه كذلك، ثم إنه قد اضطرب في إسناده، قال المزي في تحفة الأشراف (٣/ ٥٠): «وهكذا رواه سريج بن يونس، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وخالفهما خلف بن الوليد وإسماعيل بن عمر، فروياه عن يحيى، وقالا فيه : قال عبد العزيز أخو حذيفة: كان رسول الله ﷺ...، ولم يذكرا حذيفة. ورواه كذلك الحسن بن زياد الهمدانيُّ، عن ابن جريج، عن عكرمة بن عمَّار، عن محمد بن عبد الله بن أبي قدامة، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة أنّ النبيّ ﷺ».. إلخ.

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب، أخو عبد الله، أمه أم الفضل، كان يشبه النبي، ولا يصحّ سماعه منه، وقال علي: كان قثم أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، وكان ورعاً فاضلاً، وتوفي بسمرقند. الإصابة (٥/ ٣٢٠)، والطبقات الكبرى (٧/ ٣٦٧).

(٢) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١/ ١٤) من طريق: ابن علية، قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه: أن ابن عباس نعي إليه.. وإسناده جيد إذا كان متصلاً بين عبد الرحمن بن جوشن وابن عباس.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٥٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ١١).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٥٥).

وقيل: على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة، وقالت فرقة: على إجابة محمد ﷺ[١]، وفي هذا ضعفٌ؛ لأنه لا دليلَ له من الآية عليه.

وقيل: يعود الضمير على الكعبة؛ لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها[٢]، وهذا أضعفُ من الذي قبله.

و(كَبِيرَةٌ) معناه: ثقيلة شاقة، و(الخاشعون): المتواضعون المُخْبِتون، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع.

و﴿يَظُنُّونَ﴾ في هذه الآية قال الجمهور: معناه: يوقنون[٣]، وحكى المهدوي وغيره: أن الظن هنا / يصح أن يكون على بابه، ويضمر في الكلام: بذنوبهم، فكأنهم يتوقعون لقاءه مذنبين[٤]. [٥٣]

قال القاضي أبو محمد: وهذا تعسفٌ، والظن في كلام العرب قاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقَدَيْه، وقد يُوْقَع الظن موقع اليقين في الأمور المتحقِّقة، لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس، لا تقول العرب في رجل مرئي حاضر: أظن هذا إنساناً، وإنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس بعد، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وكقول دريد بن الصِّمة:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بألْفَي مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٥] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾، (أنَّ) وجملتها تسد مسد مفعولي ظننت[٦]،

---

(١) انظر القولين الأخيرين في تفسير الطبري (١/ ١٥).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٩).

(٤) نقله عنه القرطبي (١/ ٣٧٦).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٣١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٦٧)، والأصمعيات (ص: ١٠٧)، والعقد الفريد (٦/ ٣٣)، وغيرها.

(٦) في المطبوع: «الظن».

والملاقاة هي للعقاب أو الثواب، ففي الكلام حذف مضاف، ويصح أن تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة، وورد بها متواتر الحديث[١].

وحكى المهدوي: أن الملاقاة هنا مفاعلة من واحد، مثل: عافاك الله[٢]، وهذا ضعيفٌ؛ لأن لقي يتضمن معنى لاقى، وليست كذلك الأفعال كلها، بل فعَلَ خلاف فاعل في المعنى.

و﴿مُّلَٰقُواْ﴾ أصله: ملاقون؛ لأنه بمعنى الاستقبال، فحذفت النون تخفيفاً، فلما حذفت تمكَّنت الإضافة لمناسبتها للأسماء، وهي إضافةٌ غير محضة، لأنها لا تُعرّف.

وقال الكوفيون: ما في اسم الفاعل الذي هو بمعنى المجيء من معنى الفعل يقتضي إثبات النون وإعماله، وكونه وما بعده اسمين يقتضي حذف النون والإضافة.

و﴿رَٰجِعُونَ﴾ قيل: معناه: بالموت، وقيل: بالحشر والخروج إلى الحساب والعرض، ويقوي هذا القول الآيةُ المتقدمة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدٌ على الربِّ تعالى، وقيل: على اللقاء الذي يتضمنه ﴿مُّلَٰقُواْ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾.

---

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري (٥٧٣) ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون ـ أو لا تضاهون ـ في رؤيته».

(٢) نقله عنه أبو حيان في البحر (١/ ٣٠٠).

قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك: أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح[١] أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضاً فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحض على ذكر أيادي الله، وحسُن خطابهم بقوله: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لأنَّ تفضيلَ آبائهم وأسلافهم تفضيلٌ لهم، وفي الكلام اتساعٌ.

قال قتادة، وابن زيد، وابن جريج وغيرهم: المعنى: على عالَم زمانهم الذي كانت فيه النبوءة المتكررة والملك؛ لأنَّ الله تعالى يقول لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ نصب ﴿يَوْمًا﴾ بـ: (اتّقوا) على السعة، والتقدير: عذاب يوم، أو هول يوم، ثم حذف ذلك وأقام اليوم مقامه، ويصحُّ أن يكون نصبه على الظرف لا للتقوى؛ لأن يوم القيامة ليس بيومِ عملٍ، ولكن معناه: جيئوا متقين يوماً.

و﴿لَّا تَجْزِى﴾ معناه: لا تغني، وقال السدي: معناه: لا تقضي[٢]، ويقويه قوله: ﴿شَيْـًٔا﴾، وقيل: المعنى لا تكافئ، ويقال: جزى وأجزأ بمعنًى واحد، وقد فرَّق بينهما قومٌ، فقالوا: جزى بمعنى: قضى وكافأ، وأجزأ بمعنى: أغنى وكفى[٣].

وقرأ أبو السَّمال: (تُجزِئُ) بضم التاء والهمز[٤].

وفي الكلام حذفٌ، وقال البصريون: التقدير: لا تجزي فيه، [ثم حذف فيه][٥]، وقال غيرهم: حذف ضمير متصل بـ﴿تَجْزِى﴾ تقديره: لا تجزيه، على أنه يقبح حذف هذا الضمير في الخبر، وإنما يَحسن في الصلة.

---

(١) سقطت من أحمد٣.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٧) بلفظ: أما ﴿تَجْزِى﴾ فتغني.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٨).

(٤) عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٢)، والكرماني في شواذ القراءات (ص: ٦١).

(٥) ساقط من فيض الله.

وقال بعض البصريين: التقدير: لا تجزي فيه، فحذف حرف الجر واتّصل الضمير، ثم حذف الضمير بتدريج[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُقبَلُ مِنها شَفاعَةٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء من تحت[٢] على المعنى، إذ تأنيث الشفاعة ليس بحقيقي.

والشفاعة مأخوذة من الشَّفع وهما الاثنان؛ لأن الشافع والمشفوع له شَفْع، وكذلك الشفيع فيما لم يقسم.

وسبب هذه الآية: أن بني إسرائيل قالوا: نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه، وسيشفع لنا آباؤنا، فأعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة أنه لا تقبل فيه الشفاعة: ولا تجزي نفس عن نفس[٣]، وهذا إنما هو في الكافرين، للإجماع وتواتر الحديث بالشفاعة في المؤمنين[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، قال أبو العالية: العدل: الفدية[٥].

قال القاضي أبو محمد: وعدل الشيء: هو الذي يساويه قيمةً وقَدْراً وإن لم يكن من جنسه، والعِدل بكسر العين: هو الذي يساوي الشيء من جنسه وفي جرمه، وحكى الطبريُّ أن من العرب من يكسر العين من معنى الفدية، فأمَّا واحد الأعدال فبالكسر لا غير[٦].

والضمير في قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾ عائدٌ على الكافرين الذين اقتضتهم الآيةُ، / ويحتمل أن يعود على النفسين المتقدم ذكرهما؛ لأنَّ اثنين جمعٌ، أو لأنَّ النفسَ للجنس وهو جمعٌ، وحصرت هذه الآيةُ المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا، فإنَّ الواقع في شدة مع آدمي لا يتخلص إلا بأن يشفع له أو ينصر أو يفتدى. [٥٤]

---

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢١).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٣).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٤).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: خلصناكم، و﴿ءَالِ﴾ أصله: أهل، قلبت الهاء ألفاً كما عمل في ماء، ولذلك ردّها التصغير إلى الأصل، فقيل: أهيل، ومويه، وقد قيل في ﴿ءَالِ﴾ إنه اسم غير أهل، أصله: أوْل، وتصغيره: أُويل، وإنما نسب الفعل إلى ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وهم إنما كانوا يفعلونه بأمره وسلطانه؛ لتوليهم ذلك بأنفسهم.

وقال الطبري رحمه الله: ويقتضي هذا أن من أمره ظالم بقتل أحد فقتله مأموراً، فهو المأخوذ به[١]، وآل الرجل: قرابته وشيعته وأتباعه[٢].

ومنه قولُ أراكة الثقفي:

فَـلا تَبْـكِ مَيْتاً بَعْـدَ مَيْـتٍ أَجَنَّـهُ   عَلِـيٌّ وَعَبَّـاسٌ وَآلُ أَبِـي بَكْـرِ[٣]   [الطويل]

يعني المؤمنين الذين قبروا رسول الله ﷺ.

والأشهر في «آل» أن يضاف إلى الأسماء لا إلى البقاع والبلاد، وقد يقال: آل مكة، وآل المدينة.

و﴿فِرْعَوْنَ﴾ اسم لكل من ملك من العمالقة مصر، وفرعون موسى قيل اسمه: مصعب بن الريان، وقال ابن إسحاق[٤]: اسمه: الوليد بن مصعب[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤١).

(٢) في السليمانية: «أشياعه».

(٣) الأبيات لأراكة بن عبد الله بن سفيان الثقفي يرثي بها ابنه عمراً، ويعزي نفسه كما في العقد الفريد (١/ ٣٧٣)، والحماسة البصرية (١/ ٢٧٦)، أو يعزي ابنه عبد الله كما في الكامل (٤/ ٢١) والفاضل (ص: ٦٥)، كلاهما للمبرد، وظاهر كلامه في التعازي (ص: ٢٣٩)، أن الأبيات لعبد الله ابن أراكة، في أخيه عمرو، وقال في موضع آخر (ص: ٤١)، أنه يعزي بها ابنه عبد الله بن عبد الله في ابن آخر له.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخرمي مولاهم المدني أبو بكر، أحد الأعلام وصاحب المغازي، رأى أنس بن مالك، وحدث عن أبيه وعن موسى بن يسار وعطاء وخلق، وكان بحراً في العلم حبراً في السيرة، وتوفي سنة (١٥١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٨٨).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٨).

وروي أنه كان من أهل إصطخر، ورد مصر فاتَّفق له فيها الملكُ، وكان أصل كون بني إسرائيل بمصر نزولَ إسرائيل بها زمن ابنه يوسف[١] عليهما السلام.

و﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ معناه: يأخذونكم به ويلزمونكم إياه، ومنه: المساومة بالسلعة وسامه خُطةَ خَسْفٍ، و﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [إعرابه رفع على الاستئناف][٢]، والجملة في موضع نصب على الحال، أي: سائمين لكم سوء العذاب، ويجوز أن لا تقدر فيه الحال ويكون وصفَ حالٍ ماضية.

و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشده وأصعبه.

قال السُّدي: كان يصرِّفهم في الأعمال القذرة، ويذبح الأبناء، ويستحيي النساء[٣].

وقال غيره: صرَّفهم على الأعمال: الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك، وكان قومه جنداً ملوكاً[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بشدِّ الباء المكسورة على المبالغة، وقرأ ابن محيصن: (يذْبحون) بالتخفيف[٥]، والأولُ أرجحُ إذ الذبح متكررٌ.

كان فرعون على ما روي قد رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر، فأوِّلت له رؤياه أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيخرَب ملكُ فرعون على يديه.

وقال ابن إسحاق وابن عباس وغيرهما: إنَّ الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون: قد أظلك زمنُ مولود من بني إسرائيل يخرب ملكك[٦].

---

(١) زاد في السليمانية: «وإخوته»، وكأنها ملحقة.

(٢) في السليمانية بدلا منه: «رفع بالابتداء».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤١).

(٤) ذكره الطبري من قول ابن اسحاق. تفسير الطبري (٢/ ٤٠).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٨١)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (١/ ١٧٧)، وهي قراءة شاذة.

(٦) ضعيف: أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢/ ٤٣) من طريق: سفيان بن عيينة، قال: حدثنا أبو سعيد، =

وقال ابن عباس أيضاً: «إنَّ فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لإبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فأمر عند ذلك بذبح الذكور من المولودين في بني إسرائيل، ووَكَل بكل عشر نساء رجلاً يحفظ من يحمل منهن»(١)، وقيل: وكل بذلك القوابل.

وقالت طائفة: معنى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: يذبحون الرجال، و[يسمَّون](٢) أبناء لمَّا [كانوا كذلك](٣)، واستدلّ هذا القائل بقوله تعالى: ﴿نِسَآءَكُمْ﴾(٤).

والصحيح من التأويل: أن الأبناء هم الأطفال الذكور، والنساء هم الأطفال الإناث، وعبر عنهن باسم النساء بالمآل، و[ليذكُرهن](٥) بالاسم الذي في وقته يستخدمن ويمتهنّ(٦)، ونفس الاستحياء ليس بعذاب، لكن العذاب بسببه وقع الاستحياء.

و﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدل من (يسومون).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ إشارة إلى جملة الأمر إذ هو خبر، فهو كمفرد حاضر.

و﴿بَلَآءٌ﴾ معناه: امتحان واختبار، ويكون الْبَلاءُ في الخير والشر.

وقال قوم: الإشارة بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى التنجية من بني إسرائيل، فيكون الْبَلاءُ على هذا في الخير، أي: وفي تنجيتكم نعمة من الله عليكم.

= عن عكرمة، عن ابن عباس. وأبو سعيد هذا أظنه محرف، وصوابه: أبو سعد، وهو البقال، وهو ضعيفٌ جدّاً ويدلس.

(١) إسناده لين: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٢) من طريق: الأصبغ بن زيد، قال: حدثنا القاسم بن أيوب، قال: حدثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقد روى بهذ الإسناد آثاراً استنكرها أهل العلم، منها حديث الفتو ن المشهور.

(٢) في النسخة الحمزوية: «سموا».

(٣) في أحمد٣ بدلا منه: «لذلك».

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٦).

(٥) في النسخة الحمزوية: «وذكرهن».

(٦) سقطت من جار الله.

وقال جمهور الناس: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والْبَلاءُ هنا في الشرِّ، والمعنى: وفي الذبح مكروهٌ وامتحانٌ.

وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم: أنَّ موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل، فأمرهم موسى أن يستعيروا الحليَّ والمتاع من القبط، وأحل الله ذلك لبني إسرائيل، فسرى بهم موسى من أول الليل، فأعلم فرعون فقال: لا يتبعنهم أحد حتى تصيح[1] الديكة، فلم يَصِحْ تلك الليلةَ بمصر ديكٌ حتى أصبح، وأمات الله تلك الليلة كثيراً من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن، وخرجوا في الاتباع مُشْرِقين، وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه، وكانت عدة بني إسرائيل نيفاً على ست مئة ألف، وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف[2]، وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته.

فلما لحق فرعون موسى ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين، فقال يوشع بن نون لموسى: أين أمرت؟ فقال: هكذا، وأشار إلى البحر، فركض يوشع فرسَه فيه حتى بلغ الغمر، ثم رجع فقال لموسى: أين أمرت؟ فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ، فأشار إلى البحر، وأوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وأوحى إلى البحر: أن انفرِقْ لموسى إذا ضربك، فبات البحر تلك الليلة يضطرب، فحين أصبح ضرب موسى البحر، وكناه أبا خالد فانفرق وكان ذلك في يوم عاشوراء[3]/ . [٤٥]

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿فَرَقْنَا﴾ معناه: جعلناه فرقاً، وقرأ الزهري: (فرَّقنا) بتشديد الراء[4].

---

(١) في المطبوع: «حتى تيح، وهو سبق قلم».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٢)، وتاريخه (١/ ٢٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥٣ - ٥٧).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٢)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

ومعنى ﴿بِكُمُ﴾: بسببكم، وقيل: لمَّا كانوا [بين][(١)] الفرق وقت جوازهم، فكأنه بهم فُرق، وقيل: معناه: لكم، والباء عوض اللام، وهذا ضعيفٌ.

و﴿ٱلْبَحْرَ﴾ هو بحرُ القُلْزُم، ولم يفرق البحر عرضاً جزعاً[(٢)] [من ضفة إلى ضفة][(٣)]، وإنما فُرق من موضع إلى موضع آخر في ضفة واحدة، وكان ذلك الفرق بقرب موضع النجاة، ولا يلحق في البر إلا في أيام كثيرة بسبب جبال وأوعار حائلة.

[وذكر العامري أن موضع خروجهم من البحر كان قريباً من برية فلسطين وهي كانت طريقَهم][(٤)]، وقيل: انفلق البحر عرضاً وانفرق البحر على اثني عشر طريقاً، طريق لكل سبط، فلما دخلوها قالت كل طائفة: غرق أصحابنا، وجزعوا، فقال موسى: اللهمَّ أعني على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله إليه: أن أدِرْ عصاك على البحر، فأدارها فصار في الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضاً، وجازوا، وجبريل ﷺ في ساقتهم على ماذيانة[(٥)] يحث بني إسرائيل ويقول لآل فرعون: مهلًا حتى يلحق آخرَكم أولُكم، فلما وصل فرعون إلى البحر أراد الدخول فنفر فرسه، فتعرض له جبريل بالرَّمَكة فاتبعها الفرس، ودخل آل فرعون وميكائيل يحثهم، فلما لم يبق إلا ميكائيل في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا[(٦)].

و﴿تَنظُرُونَ﴾ قيل: معناه: بأبصاركم، لقرب بعضهم من بعض، وقيل: معناه ببصائركم للاعتبار؛ لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار، وقيل: إنَّ آل فرعون طفوا على الماء فنظروا إليهم، وقيل: المعنى: وأنتم بحالِ مَن ينظر لو نظر، كما

---

(١) في النسخة الحمزوية: «من».

(٢) في هامش الأصل: «الجزع مصدر جزعت الوادي قطعته عرضاً».

(٣) ساقط من فيض الله.

(٤) سقط من الأصل والحمزوية، وقد نقله عن العامري أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٣١٩)، ولم أتمكن من الحصول على مصدره.

(٥) المقصود بها هنا الفرس الأنثى، كما جاء مفسراً في رواية أخرى في تفسير الطبري (٢/ ٥٥).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٥٤ و٥٧).

تقول: هذا الأمر منك بمرأًى ومسمع، أي: بحالٍ تراه وتسمعه إن شئت[(١)].

قال الطبري رحمه الله: وفي إخبار القرآن على لسان محمد ﷺ بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت إلا في [خفيِّ علم][(٢)] بني إسرائيل، دليل واضح عند بني إسرائيل وقائم عليهم بنبوة محمد ﷺ[(٣)].

وقرأ الجمهور: ﴿وَٰعَدۡنَا﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿وعدْنا﴾[(٤)]، ورجَّحه أبو عبيد، وقال: إنَّ المواعدة لا تكون إلا من البشر[(٥)]، وليس هذا بصحيحٍ؛ لأنَّ قبول موسى لوعد الله والتزامَه وارتقابَه يشبه المواعدة.

و﴿مُوسَىٰٓ﴾ اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف، والقبطُ على ما يروى يقولون للماء: «مو»، وللشجر: «سا»، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمّي «موسى»[(٦)].

قال ابن إسحاق: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل[(٧)].

ونصب ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ على المفعول الثاني، ولا يجوز نصبها على الظرف في هذا الموضع، وهي فيما روي: ذو القعدة وعشرُ ذي الحجة، وخص الليالي دون الأيام بالذِّكر إذ الليلة أقدم من اليوم وقبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التاريخ.

قال النقاش: وفي ذلك إشارةٌ إلى صلة الصوم؛ لأنَّه لو ذكر الأيام لأمكن أن

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٢٦٢).

(٢) في المطبوع: «خفي على»، قال في الحاشية: «وفي نسخة: في حق بني إسرائيل».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر قريباً من معناه في تفسيره (٣/ ٢٥١).

(٤) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، وافقه أبو جعفر ويعقوب كما في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٢).

(٥) انظر قول أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٢).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٦٠).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٦١)، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢١).

يُعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلة بأيامها[١].

حدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت الشيخ الزاهد الإمام الواعظ أبا الفضل الجوهري[٢] رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله والدنوِّ منه في الصلاة ونحوه، وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب، ويقول: أين حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؟.

وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد، وقال بعض البصريين: وعده رأس الأربعين ليلة[٣]، وهذا ضعيفٌ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ﴾، قرأ أكثر السبعة بالإدغام، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص[٤] عنه بإظهار الذال[٥].

و﴿ثُمَّ﴾ للمهلة، ولتدل على أن الاتخاذ بعد المواعدة.

و(اتَّخذ)وزنه افتعل من الأخذ، قال أبو علي: هو من تَخِذَ لا من أخذ[٦]، وأنشد[٧]:

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٩٦).

(٢) هوعبد الله بن الحسين، الإمام أبو الفضل ابن الجوهري المصري الواعظ، من جلة مشايخ بلده ومن بيت العلم، روى عن: أبي سعد الماليني، أخذ عنه: أبو عبد الله الحميدي، وغيره، وكان أبوه من كبار العلماء والصلحاء، توفي سنة (٤٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ٢٩١).

(٣) ذكر الطبري في تفسيره (٢ / ٦١) هذا القول ووهنه.

(٤) في جار الله: «بعض».

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني (١/ ٣٧)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٥٥).

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٦٨).

(٧) في المطبوع زيادة: الممزق، ولعلها زيادة من الطابع، إذ ليست في الحجة المنقول منها هذا الكلام، ولا في شيء من المخطوطات.

[الطويل] وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إِلَى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفاً كَأُفْحُوصِ القَطَاةِ المُطَرِّقِ[1]

ونصب ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ بـ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: اتخذتم العجل إلهاً، و «اتَّخذ» قد يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقد يتعدى إلى مفعولين أحدهما هو الآخر في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]، وكهذه الآية وغيرها.

والضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾، وقيل: على انطلاقه للتكليم، إذ المواعدة تقتضيه، وقيل: على الوعد.

وقصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر، قال لهم: إنَّ الله تعالى سينجيكم من آل فرعون و[ينفِّلكم][2] حليَّهم ومتاعهم الذي كان أمَرهم باستعارته، وروي أنهم / استعاروه برأيهم، فنفلهم الله ذلك بعد خروجهم، [٥٦] وقال لهم موسى عن الله تعالى: إنه يُنزل عليَّ كتاباً فيه التحليل والتحريم والهدى لكم، فلما جازوا البحر طالبوا موسى بما قال لهم من أمر الكتاب، فخرج لميعاد ربه وحده، وقد أعلمهم بالأربعين ليلة، فعدوا عشرين يوماً بعشرين ليلة، ثم قالوا هذه أربعون من الدهر، وقد أخلفتنا الموعد، وبدا تعنتهم وخلافهم.

وكان السَّامري رجلاً من بني إسرائيل يسمى موسى بن ظفر، وقيل: لم يكن من بني إسرائيل بل كان غريباً فيهم، وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقتَ عَبْرِهم البحر، فقالت طائفة: أنكر هيئته فعَرَف أنه ملك، وقال طائفة: كانت أمُّ السامري ولدته

---

(١) البيت للممزق العبدي، واسمه: شأس بن نهار، شاعر، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤١١)، والأصمعيات (ص: ١٦٥)، والحيوان (٥/ ٣٠٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٥٩٦)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤٣١)، والمخصص (٥/ ٩١)، النسيف: أثر الكدم وأثر ركض الرجل بجنبي البعير، والأفحوص: مجثم القطاة؛ لأنها تفحصه قبل أن تبيض فيه.

(٢) في النسخة الحمزوية: «ويملككم»، وفي المطبوع: «وينيلكم»، وكذا في الأصل، مع الإشارة في الهامش للنسخة المثبتة.

عام الذبح فجعلته في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل عليه السلام يَغْذوه بأصابع نفسه فيجد في إصبع لبناً، وفي إصبع عسلاً، وفي إصبع سمناً، فلما رآه وقت جواز البحر عرفه، فأخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب، وألقي في رُوعه أنه لن يلقيها على شيء ويقول له: كن كذا، إلا كان.

فلما خرج موسى لميعاده قال هارون لبني إسرائيل: إن ذلك الحلي والمتاع الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم، فجيئوا به حتى تأكله النار التي كانت العادة أن تنزل على القرابين[1]، وقيل: بل أوقد لهم ناراً وأمرهم بطرح جميع ذلك فيها، فجعلوا يطرحون، وقيل: بل أمرهم أن يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى، وجاء السامريُّ فطرح القبضة، وقال: كن عجلاً.

وقيل: إنَّ السامريَّ كان في أصله من قومٍ يعبدون البقرَ، وكان يعجبه ذلك[2].

وقيل: بل كانت بنو إسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر، فقالُوا: يا مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فوعاها السامريُّ وعلم أن من تلك الجهة يفتنون، [ففتنت بنو إسرائيل بالعجل][3]، وظلت منهم طائفة يعبدونه، فاعتزلهم هارون بمن تبعه، فجاء موسى من ميعاده فغضب، حسبما يأتي قَصَصه في مواضعه من القرآن إنَّ شاء الله.

ثم أوحى الله إليه أنه لن يتوب على بني إسرائيل حتى يقتلوا أنفسهم، ففعلت بنو إسرائيل ذلك، فروي أنهم لبسوا السلاح، مَن عَبَد منهم ومن لم يعبد، وألقى الله عليهم الظلام، فقتل بعضهم بعضا يقتل الأب ابنه والأخ أخاه، فلما استحرَّ فيهم القتل وبلغ سبعين ألفاً عفا الله عنهم وجعل من مات منهم شهيداً، وتاب على البقية، فذلك

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٦).

(٣) في أحمد٣ بدلا منه: «فقبلت بنو إسرائيل العجل».

قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[١]، وقال بعض المفسرين: وقف الذين عبدوا العجل صفّاً ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم[٢]، وقالت طائفة: جلس الذين عبدوا بالأفنية، وخرج يوشع بن نون ينادي: ملعونٌ مَن حلَّ حبوته، وجعل الذين لم يعبدوا يقتلونهم، وموسى في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم.

وإنما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل أنفسهم على أحد الأقوال أو بقتلهم قراباتهم على الأقوال الأُخر؛ لأنهم لم يغيروا المنكر حين عبدوا العجل، وإنما اعتزلوا وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبده.

﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال، وقد تقدَّم تفسير الظلم، والعفو تغطية الأثر وإذهابُ الحال الأولى من الذنب أو غيره، ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب، وعفا عنهم عز وجل؛ أي: عمن بقي منهم لم يقتل، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ لهم في حقهم وتوقعٌ منهم، لا في حق الله عز وجل؛ لأنه كان يعلم ما يكون منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، (إذ) عطفٌ على ما ذكر من النعم، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التوراة بإجماعٍ من المتأولين[٣].

واختلف في (الفرقان) هنا:

فقال الزجاج وغيره: هو التوراة[٤] أيضاً، كرَّر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ لا تعطي ذلك.

وقال آخرون: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، و(الفرقان): سائر الآيات التي أوتي موسى عليه السلام؛ لأنها فرقت بين الحقِّ والباطل، وقال آخرون: (الفرقان): النصر الذي فرّق بين حالهم وحال آل فرعون بالنجاة والغرق.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٨٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٤-٧٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٠).
(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٣٤)

وقال ابن زيد: (الفرقان): انفراق البحر له حتى صار فرقاً[١].

وقال الفراء وقطرب: معنى هذه الآية: آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان[٢]، وهذا ضعيفٌ، و﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترجٍّ وتوقعٌ مثل الأول.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

هذا القولُ من موسى عليه السلام كان بأمر من الله تعالى، وحذفت الياء في ﴿يَٰقَوْمِ﴾ لأن النداء موضع حذف وتخفيف.

والضمير في (اتِّخاذِكُمُ) في موضع خفض على اللفظ، وفي موضع رفع بالمعنى.

و﴿ٱلْعِجْلَ﴾ لفظةٌ عربيةٌ، اسم لولد البقرة، وقال قومٌ / : سمي عجلاً لأنه [٥٧] استعجل قبل مجيء موسى عليه السلام[٣]، وليس هذا القول بشيءٍ.

واختلف: هل بقي العجل من ذهب؟:

فقال ذلك الجمهور، وقال الحسن بن أبي الحسن: صار لحماً ودماً[٤]، والأولُ أصحُّ.

و(تُوبوا): معناه: ارجعوا عن المعصية إلى الطاعة.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧١).

(٢) انظر قول الفراء في معاني القرآن له (١/ ٣٧)، وقول قطرب في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٤)، تفسير الثعلبي (١/ ١٩٧)، وتخطئتهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٣)، والهداية لمكي (١/ ٢٧٠).

(٣) رواه الطبري (٢/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١٠٨)، عن أبي العالية.

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥١)، وذكره ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٨) عن قتادة، والسمعاني (٢/ ٢١٦) عن عكرمة.

وقرأ الجمهور: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ بإظهار الهمزة وكسرها، وقرأ أبو عمرو: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ بإسكان الهمزة[١].

وروي عن سيبويه اختلاس الحركة وهو أحسن[٢]، وهذا التسكينُ يحسن في توالي الحركات، وقال المبرد: لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب، وقراءة أبي عمرو: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ لحنٌ[٣]، وقد روي عن العرب التسكين في حرف الإعراب، قال الشاعر:

[الرجز] إِذَا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ[٤]

وقال امرؤ القيس:

[السريع] فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ[٥]

وقال آخر:

[الرجز] قَالَتْ سُلَيْمَىٰ اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا[٦]

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني (ص٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

(٢) نقله عنه ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص١٥٥)، وانظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٧٧).

(٣) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٢٦)، ثم رده بقوله: وقد أجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة.

(٤) بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٤)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦٢)، والشعر والشعراء (٢/ ٨٠٨)، وغيرهم.

(٥) انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ١٠٣)، والكتاب لسيبويه (٤/ ٢٠٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٦٤)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٢٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦١)، والأصول في النحو (٢/ ٣٦٤)، واحتقب فلانٌ الإثم: جمعه، والواغل هنا هو الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه.

(٦) البيت لعذافر الكندي، كما في النوادر لأبي زيد (ص: ٣٠٦)، وحاشية ابن بري (١/ ٨٠).

وقال الآخر:

.... وَقَدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ[١] [السريع]

وقال جرير:

.... أَوْ نَهْرُ تِيرَىٰ فَمَا تَعْرِفْكُمُ العَرَبُ[٢] [البسيط]

قال وضاح اليمن:

إِنَّمَا شِعْرِي شَهْدٌ قَدْ خُلِطْ بِجُلْجُلانِ[٣] [مجزوء الرمل]

ومن أنكر التسكين في حرف الإعراب فحجته أن ذلك لا يجوز من حيث كان عَلَماً للإعراب، قال أبو علي: وأمَّا حركة البناء فلم يختلف النحاة في جواز تسكينها مع توالي الحركات[٤].

وقرأ الزهري: (بَارِيكُم) بكسر الياء من غير همز، ورويت عن نافع[٥].

وقرأ قتادة: (فاقتالوا[٦] أنفسكم)، وقال: هي من الاستقالة[٧]، قال أبو الفتح:

---

(١) صدره: رحتِ وفي رجليكِ ما فيهما، وهو للأقيشر السعدي كما في الوساطة للجرجاني (ص: ٧)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٦٨)،، وفي الشعر والشعراء (١/ ١٠١) أنه للفرزدق، مع اختلاف بعض الألفاظ، قال في خزانة الأدب (٤/ ٤٤١): والصواب الأولُ.

(٢) انظر عزوه له في الجمهرة (٢/ ٩٦٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٦)، والمحتسب (١/ ١٠٩)، والأغاني (٣/ ٢٥٥)، ونهر تيرى بالأهواز.

(٣) البيت لوضاح اليمن، واسمه: عبد الرحمن بن إسماعيل، سمي بالوضاح؛ لجماله، وقبله: عَجِبَ النَّاسُ وقالوا شعر وضّاح اليماني، انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٦٣)، وغيره، وفي رواية: «شعري قند»، وفي أخرى: «ملح».

(٤) الحجة (٢/ ٨١).

(٥) عزاه في مختصر الشواذ (ص: ١٣) لرواية إسماعيل عن نافع، وليس من طريق التيسير، وانظر عزوها للزهري في البحر المحيط (١/ ٣٣٤).

(٦) في المطبوع: «فأقيلوا»، وهو خطأ.

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ٨٣)، وهي قراءة شاذة.

اقتال هذه افتعل، ويحتمل أن يكون عينها واواً كاقتادوا، ويحتمل أن يكون ياء كاقتاس، والتصريف يضعف أن تكون من الاستقالة، ولكن قتادة رحمه الله ينبغي أن يُحسَنَ الظنُّ به في أنه لم يورد ذلك إلا بحجة عنده[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوفٌ تقديره: ففعلتم.

وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ معناه: على الباقين، وجعل الله تعالى القتل لمن قُتل شهادةً وتاب على الباقين وعفا عنهم.

[قال بعض الناس: ﴿فَاقْتُلُوٓاْ﴾ في هذه الآية معناه: بالتوبة وإماتة عوارض النفوس من شهوة وتعنت وغضب، واحتج بقوله عليه السلام في الثوم والبصل: «فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً»[(٢)]، وبقول حسان:

[الكامل] .... قُتِلَـتْ قُتِلْتَ فهَاتِها لَـمْ تُقْتَلِ[(٣)]][(٤)]

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ٨٣).

(٢) في ثبوت الإماتة بالطبخ مرفوعاً نظر، وقد مشاه بعضهم، وهو صحيح من قول عمر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٦/ ١٨٠)، وأبو داود (٣٨٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٦)، والبزار (٨/ ٢٤٨)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٥٧)، وابن عدي في كامله (٣/ ٢٠-٢١)، كلهم من طريق خالد بن ميسرة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه رضي الله عنه، مرفوعاً، وذكر البزار والطبراني أنه لم يروه عن معاوية ابن قرة إلا خالد بن ميسرة، وقال ابن عدي في خالد: «هو عندي صدوق، فإني لم أر له حديثاً منكراً»، وسأل الترمذي البخاري عن هذا الحديث ـ لكن ليس فيه قضية الإماتة بالطبخ ـ فقال: هو حديث حسن، كما في العلل الكبير للترمذي (ص: ٣٠١)، وقال الذهبي في الميزان (١/ ٦٤٣): «ما ضعفه أحد»، وقال عن حديثه هذا: «وعنه سعيد بن سلام العطار، والعقدي، ومعن القزاز بحديث محفوظ». وقد ثبتت قضية الإماتة بالطبخ من قول عمر بن الخطاب، أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٨٦).

(٣) عزاه له في الأغاني (٩/ ٣٢٠)، وأساس البلاغة (٢/ ٥٢)، والصناعتين (ص: ٣٩٢)، وقواعد الشعر (ص: ٦١)، الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٩٨)، وعزاه صاحب الحماسة البصرية (٢/ ٣٩٠) للنعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزى القرشي، وعزاه في التحرير والتنوير (١/ ٥٠٣) لبجير بن زهير، وفي أحمد٣: «فليتها» بدل: «فهاتها».

(٤) ساقط من الأصل والسليمانية وفيض الله وجار الله، وسقط الشطر فقط من التركية.

[وبقول من قال: مُتْ بإرادتك عن النقائص تَحْيَ لآخرتك بالفضائل][1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾ يريد السبعين الذين اختارهم موسى.

واختلف في وقت اختيارهم:

فحكى أكثر المفسرين أنَّ ذلك بعد عبادة العجل، اختارهم موسى ليستغفروا لبني إسرائيل[2]، وحكى النقاش وغيره أنه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد[3]، والأوّلُ أصحُّ.

وقصة السبعين: أن موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله ووجد العجل قد عبد، قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل: نحن لم نكفر ونحن أصحابك، ولكن أسمعنا كلام ربك، فأوحى الله إليه أن اختر منهم سبعين شيخاً[4]، فلم يجد إلّا ستين، فأوحى الله إليه أن اختر من الشباب عشرة، ففعل، فأصبحوا شيوخاً، وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين، فتشاحُّوا فيمن يتأخر، فأوحى الله إليه أن من تأخر له مثل أجر من مضى، فتأخر يوشع بن نون وكالوث[5] بن يُوقَنَّا.

وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد أن أمرهم أن يتجنبوا النساء ثلاثاً ويغتسلوا في اليوم الثالث، واستخلف هارون على قومه، ومضى حتى أتى الجبل، فألقي عليهم الغمام.

قال النقاش وغيره: غَشِيتهم سحابة وحيل بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا[6].

---

(١) زيادة من أحمد٣ والتركية، والأزهرية، وساقط من الأصل وجميع النسخ الأخرى.

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ١٩٩).

(٣) نقله عنه الثعالبي (١/ ٢٤٠).

(٤) «شيخا»: زيادة من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «طالوت».

(٦) نقله عنه الثعالبي (١/ ٢٤٠).

قال السُّدي وغيره: وسمعوا كلام الله يأمر وينهى، فلم يطيقوا سماعه، واختلطت أذهانهم، ورغبوا أن يكون موسى يسمع ويعبِّر لهم، ففعل، فلما فرغ وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]، واضطرب إيمانهم وامتحنهم الله بذلك فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [ولم يطلبوا من الرؤية محالاً، أمَّا إنه عند أهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق السمع][1]، فأخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير[2].

وقال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم رُدوا لاستيفاء آجالهم، فحين حصلوا في ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول: «أي رب، كيف أرجع إلى بني إسرائيل دونهم، فيهلكون ولا يؤمنون بي أبداً، وقد خرجوا معي وهم الأخيار؟»[3]، يعني هم بحال الخير وقت الخروج.

وقال قومٌ: بل ظن موسى عليه السلام أن السبعين إنما عوقبوا بسبب عبادة العجل، فذلك قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ [يعني: السبعين][4] ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥] يعني: عبدة العجل.

وقال ابن فورك: يحتمل أن تكون معاقبة السبعين لإخراجهم طلب الرؤية عن طريقه، بقولهم لموسى: ﴿أَرِنَا﴾ وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام[5].

و﴿جَهْرَةً﴾ مصدر في موضع الحال، والأظهر أنها من الضمير في ﴿نَرَى﴾، وقيل: من الضمير في ﴿نُّؤْمِنَ﴾، وقيل: من الضمير في ﴿قُلْتُمْ﴾، والجهرة: العلانية، ومنه الجهر ضد السر، وجهر الرجل الأمر: كشفه.

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٤٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٧).

(٤) ساقط من السليمانية وفيض الله.

(٥) نقله عنه االثعالبي (١/ ٢٤٣).

وقرأ سهل بن شعيب[١] وحميد بن قيس[٢]: (جَهَرَةً) بفتح الهاء[٣]، وهي لغة مسموعة / عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكناً قد انفتح ما قبله، والكوفيون [٥٨] يجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه.

ويحتمل أن يكون (جَهَرةً) جمعَ جاهر، أي: حتى نرى الله كاشفين هذا الأمر.

وقرأ عمر وعلي رضي الله عنهما: (فأخذتكم الصعقة)[٤].

ومضى في صدر السورة معنى الصاعقة، والصَّعْقَةُ: ما يحدث بالإنسان عند الصاعقة.

و﴿تَنظُرُونَ﴾ معناه: إلى حالكم.

قال القاضي أبو محمد: حتى أحالهم العذاب وأزال نظرهم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

أجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام وأحياهم من ذلك الهمود أو الموت، ليستوفوا آجالهم، وتاب عليهم، والبعث هنا الإثارة، كما قال: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يسٓ: ٥٢].

---

(١) سهل بن شعيب النخعي الكوفي، روى عن الشعبي وبريدة بن سفيان، وعنه زريق البجلي وأبو داود الطيالسي. تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٣)، وفي غاية النهاية (١/ ٣١٩): عرض على عاصم بن أبي النجود وعلى شعبة، روى القراءة عنه عبد الله بن حرملة بن عمرو.

(٢) حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي قارئ أهل مكة، قرأ القرآن على مجاهد، وروى عنه أبو عمرو القراءة عرضاً، وسمع منه مالك والثوري، وثقه أبو داود، وكان كثير الحديث فارضاً حاسباً، توفي في سنة (١٣٠هـ). معرفة القراء الكبار (ص: ٥٥).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٨٤)، وهي قراءة شاذة.

(٤) عزاها لعمر الطبري (٢٢/ ٤٣٦)، ولعلي ابنُ خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٣)، ولهما في تفسير الثعلبي (١/ ١٩٩).

وقال قومٌ: إنهم لما أُحيوا وأُنعم عليهم بالتوبة سألوا موسى عليه السلام أن يجعلهم الله أنبياء[١]، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي: أنبياء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: على هذه النعمة، والترجِّي إنما هو في حقِّ البشر، ونزلت الألواح بالتوراة على موسى في تلك المدة، وهذا قول جماعة.

وقال آخرون: إنَّ الألواح نزلت في ذهابه الأول وحده. وذكر المفسرون في تظليل الغمام: أنَّ بني إسرائيل لما كان من أمرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي، حصلوا في فحص التيه بين مصر والشام، فأُمروا بقتال[٢] الجبارين، فعصوا وقالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤] فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص أربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ أو ستة.

روي أنهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت، فيصبحون حيث كانوا بكرة أمس، فندم موسى عليه السلام على دعائه عليهم، فقيل له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

وروي أنهم ماتوا بأجمعهم في فحص التيه، ونشأ بنوهم على خير طاعة، فهم الذين خرجوا من فحص التيه وقاتلوا الجبارين، وإذ كان جميعهم في التيه قالوا لموسى: مَن لنا بالطعام؟ [قال: الله][٣]، فأنزل الله عليهم المن والسلوى، قالوا: من لنا من حرّ الشمس؟ فظلل عليهم الغمام، قالوا: بم نستصبح بالليل؟ فضُرب لهم عمود نور في وسط محلتهم، ـ وذكر مكي: عمود نار[٤]ـ، فقالوا: من لنا بالماء؟ فأُمر موسى بضرب الحجر، قالوا: من لنا باللباس؟ فأعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يَخْلَق ولا يَدْرن، وأن تنمو صغارها حسب نمو الصبيان[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٨٨).

(٢) أشار في هامش الأصل إلى أن في نسخة: «بقتل».

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) لفظه في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٨٦)، «عموداً من نار»، وذكر رواية: «عموداً من نور» قبل ذلك بقليل (ص٣٧٣).

(٥) تفسير القرطبي (١/ ٣٧٥)، وقد ذكره ابن جرير رواية أخرى (١٠/ ١٩٠).

ومعنى (ظَلَّلْنَا): جعلناه ظُللاً، و﴿ٱلْغَمَامَ﴾ السحاب؛ لأنه يغم وجه السماء؛ أي: يستره[١]، وقال مجاهد: هو أبرد من السحاب وأرقُّ وأصفى، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة[٢].

قال القاضي أبو محمد: يأتي أمره وسلطانه وقضاؤه.

وقيل: ﴿ٱلْغَمَامَ﴾: ما ابيضَّ من السحاب.

و﴿ٱلْمَنَّ﴾: صمغة حلوة، هذا قول فرقة، وقيل: هو عسل، وقيل: شراب حلو، وقيل: الذي ينزل اليوم على الشجر، وقيل: ﴿ٱلْمَنَّ﴾: خبز الرُّقَاق مثل النَّقِي.

وقيل: هو التَّـرَنْجَبين، وقيل: الزَّنجبيل، وفي بعض هذه الأقوال بعدٌ، وقيل: ﴿ٱلْمَنَّ﴾: مصدر يُعنى به جميع ما من الله به مجملاً[٣].

وقال النبي ﷺ في كتاب مسلم: «الكمأة مما من الله به على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين»[٤]، فقيل: أراد عليه السلام أن الكمأة نفسَها مما أُنزل نوعها على بني إسرائيل، وقيل: أراد أنه لا تعب في الكمأة ولا جذاذ ولا حصاد، فهي منة دون تكلف من جنس مَنِّ[٥] بني إسرائيل في أنه كان دون تكلف.

وروي أن الْمَنَّ كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج، فيأخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه، فإن ادخر فسد عليه، إلا في يوم الجمعة فإنهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم؛ لأن يوم السبت يوم عبادة.

و﴿ٱلْمَنَّ﴾ هنا اسم جمعٍ لا واحدَ له من لفظه.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٩٠).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٩٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٩١ - ٩٥).

(٤) صحيح: أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ: مسلم (٢٠٤٩)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في غير موضع من حديث سعيد بن زيد أيضاً، منها (٤٤٧٨) بدون ذكر بني إسرائيل.

(٥) «من» ليست في نور العثمانية.

﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ طيرٌ بإجماع من المفسرين، قاله ابن عباس،[١] ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس وغيرهم[٢]. قيل: هو السُّمَانَى بعينه[٣]، وقيل: طائر يميل إلى الحمرة مثل السُّمانَى، وقيل: طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب.

قال الأخفش: السَّلوى جمعه وواحده بلفظ واحد[٤]، قال الخليل: السَّلْوى جمع واحدته سلواة [٥]، قال الكسائي: السَّلْوى واحدة جمعها سَلَاوَى[٦].

﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب؛ لأن آخره ألف، والألف حرف هوائي أشبه الحركة فاستحالت حركته، ولو حُرك لرجع حرفاً آخر.

وقد غلط[٧] الهذليُّ، فقال:

[الطويل] وقَاسَمَهَا بالله عَهْداً[٨] لأنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَىٰ إذَا مَا نَشُورُهَا[٩]

ظن السلوى العسلَ[١٠].

---

(١) أثر ابن عباس، رضي الله عنه، رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٩٦)، بإسناد فيه أسباط بن نصر، وهو ضعيفُ الحديث.

(٢) انظر أقوالهم مع من وافقهم في تفسير الطبري (٢/ ٩٦، ٩٧).

(٣) هذا القول منقول في تفسير الطبري (٢/ ٩٦) عن ابن عباس والضحاك والشعبي.

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠١).

(٥) العين (٧/ ٢٩٧).

(٦) نقله عنه ابن كثير (١/ ٢٧٣)، وأبوحيان في البحر المحيط (١/ ٣٣٢)، وغيرهما.

(٧) في المطبوع: غلظ، وهو خطأ.

(٨) في المطبوع : جهداً.

(٩) واسمه خالد بن زهير، عزاه له في الأغاني (٦/ ٢٩٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٤٩)، والمحكم (٨/ ٦١١)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٣٤)، وقوله: إذا ما نشورها؛ أي: نجتنبها ونستخرجها من خليتها؛ من شار العسل، وهذه الكلمة هي التي دلت على أن المراد بالسلوى في بيت الهذلي: العسل، والشطر الأول من المطبوع، وهو ملحق في هامش الأصل، عليه علامة خ.

(١٠) قال أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٣٣٢): وعن هذا جوابان يبينان أن هذا ليس غلطاً: أحدهما: ما نقلناه عن مؤرج من كونه العسل بلغة كنانة، والثاني: أنه تجوَّز في قوله: «نشورها» لأجل القافية، فعبر عن الأكل بالشور، على سبيل المجاز.

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ الآية، معناه: وقلنا: كُلُوا، فحذف اختصاراً لدلالة الظَّاهر عليه.

والطَّيبات هنا قد جمعت الحلال واللذيذ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يقدَّر قبله: فعصوا ولم يقابلوا / النعم بالشكر، [٥٩] والمعنى: وما وضعوا فعلهم في موضعِ مَضَرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب.

وقال بعض المفسرين: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: ما نقصونا[١]، والمعنى يرجع إلى ما لخصناه.

و﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ المدينة، تسمى بذلك لأنها تَقَرَّت؛ أي: اجتمعت، ومنه قَرَيْتُ الماء في الحوض؛ أي: جمعته، والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور.

وقيل: إلى أريحا، وهي قريب من بيت المقدس.

قال عمر بن شبة[٢]: كانت قاعدةً ومسكنَ ملوك[٣].

ولما خرج ذرية بني إسرائيل من التيه أمروا بدخول القرية المشار إليها، وأمَّا الشيوخ فماتوا فيه.

وروي أن موسى عليه السلام مات في التيه، وكذلك هارون عليه السلام.

وحكى الزَّجَّاج عن بعضهم أن موسى وهارون لم يكونا في التيه؛ لأنه عذاب[٤]، والأولُ أكثر.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٤٢)، غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٧).

(٢) عمر بن شبة بن عبيدة النميري الحافظ البصري، روى عن أبيه ويحيى القطان وخلق، وعنه ابن ماجه وغيره، وثقه الدارقطني وغيره، قال الخطيب: كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢٦٢هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٢٢٩).

(٣) نقله عنه القرطبي (١/ ٤٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٦٥).

و(كُلُوا) إباحةٌ، وقد تقدَّم معنى الرغد، وهي أرض مباركة عظيمة [الغلة][(١)]، فلذلك قال: ﴿رَغَدًا﴾.

و﴿ٱلْبَابَ﴾ قال مجاهد: هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف إلى اليوم بباب حطة[(٢)]، وقيل: هو باب القبة التي كان يصلي إليها موسى عليه السلام.

وروي عن مجاهد أيضاً: أنه باب في الجبل الذي كلِّم عليه موسى كالفرضة.

و﴿سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: معناه: ركوعا[(٣)]، وقيل: متواضعين خضوعاً لا على هيئة معيَّنة، والسجود يعم هذا كلَّه؛ لأنه التواضع، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَىٰ الأُكْمَ فِيه سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[(٤)]

وروي أن الباب خفض لهم ليقصر ويدخلوا عليه متواضعين.

و﴿حِطَّةٌ﴾ فِعْلة من حَطَّ يَحُطُّ، ورفعه على خبر ابتداء، كأنهم قالوا: سؤالنا حطةٌ لذنوبنا، هذا تقدير الحسن بن أبي الحسن.

وقال الطبري: التقدير: دخولنا الباب كما أُمرنا حطة[(٥)]، وقيل: أمروا أن يقولوها مرفوعة على هذا اللفظ.

وقال عكرمة وغيره: أمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله، لتُحط بها ذنوبهم[(٦)]، وقال

---

(١) في النسخة الحمزوية: «القدر».

(٢) تفسير الطبري (٢ / ١٠٣).

(٣) لا بأس بإسناده: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١١٣) من طريق الأعمش، عن ا لمنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به لو سلم من تدليس الأعمش.

(٤) هو لزيد الخيل، وصدره: بجمعٍ تَضِلُّ البُلق في حَجَراته، وقد تقدَّم قريباً في تفسير الآية (٣٣).

(٥) انظر قولي الحسن والطبري في تفسير الطبري (٢/ ١٠٨) بمعناه.

(٦) انظر قول عكرمة والقول الذي قبله في تفسير الطبري (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

ابن عباس: «قيل لهم: استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم»[(١)]، وقال آخرون: قيل لهم أن يقولوا: هذا الأمر حق كما [أعلمنا][(٢)] [(٣)]، وهذه الأقوال الثلاثة تقتضي النصب.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (حِطَّةً) بالنصب[(٤)].

وحكي عن ابن مسعود وغيرِهِ: «أنهم أمروا بالسجود وأن يقولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾ فدخلوا يزحفون على أَسْتاههم، ويقولون: حنطة حبة حمراء في شعرة»[(٥)]، ويروى غير هذا من الألفاظ.

وقرأ نافع: ﴿يُغْفَرْ﴾ بالياء من تحت مضمومة، [وقرأ ابن عامر: ﴿تُغْفَرْ﴾ بالتَّاء من فوق مضمومة][(٦)].

وقرأ أبو بكر[(٧)] عن عاصم: ﴿يَغفر﴾ بفتح الياء على معنى يغفر الله، وقرأ الباقون: ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون[(٨)]، وقرأت طائفة: (تَغْفِر) كأنَّ الحطةَ تكون سبب الغفران[(٩)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٠٦) من طريق: وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾: مغفرة، وإسناده لا بأس به، ونحوه من طريق: ابن جريج قال: قال ابن عباس.

(٢) في النسخة الحمزوية: «أعلمتنا».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٠٧).

(٤) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) صح مرفوعاً: هذا الأثر قد أخرجه البخاري (٣٤٠٣) (٤٤٧٩) (٤٦٤١)، ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ».

(٦) ساقط من جار الله.

(٧) هو شعبة بن عياش الراوي المشهور عن عاصم.

(٨) انظر قراءتي نافع وابن عامر وقراءة الجمهور بما فيهم شعبة في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، السبعة في القراءات (ص: ١٥٧)، وأمَّا يغفر بالياء المفتوحة فهي من رواية هارون عن حسين عن أبي بكر عن عاصم كما في جامع البيان للداني (٢/ ٨٦٤) قال: لم يرو ذلك أحد غيره، ولم يذكر التي في الأعراف، ونقلها الكرماني (ص: ٦٢)، في شواذه عن السلمي.

(٩) بفتح التاء ولا بدَّ معها من نصب الخطايا، نقلها عن المؤلف أبو حيان (١/ ٣٦١)، ولم أجدها لمن قبله، وهي قراءة شاذة.

والقراء السبعة على ﴿خَطَـٰيَـٰكُمْۚ﴾، غير أنَّ الكسائيَّ كان يميلها[(١)].

وقرأ الجحدري: (تُغْفَرْ لكم خَطيئَتُكُم) بضمِّ التَّاء من فوق، وبرفع الخطيئة[(٢)].

وقرأ الأعمش: (يَغفر) بالياء من أسفل مفتوحة (خَطِيئَتَكُمْ) نصباً، وقرأ قتادة مثل الجحدري، وروي عنه أنه قرأ بالياء من أسفل مضمومةً (خَطِيئَتُكُم) رفعاً، وقرأ الحسنُ البصريُّ: (يَغفِرْ لكم خطيئاتكم)؛ أي: يغفر الله، وقرأ أبو حيوة: (تُغْفَرْ) بالتاء من فوق مرفوعة: (خَطِيئَاتُكُمْ) بالجمع ورفع التاء[(٣)].

وحكى الأهوازي[(٤)]: أنه قرئ: (خَطأياكم) بهمز الألف الأولى وسكون الآخرة، [وحكي أيضاً أنه قرئ بسكون الأولى وهمز الآخرة[(٥)]][(٦)].

قال الفراء: خطايا جمع خطية بلا همز، كهدية وهدايا، وركية وركايا، وقال الخليل: هو جمع خطيئة بالهمز، وأصله: خطايئ، قدمت الهمزة على الياء فجاء: خطائي، أبدلت الياء ألفاً بدلاً لازماً فانفتحت الهمزة التي قبلها فجاء: خطاءا، همزة بين ألفين، وهي من قبيلهما فكأنها ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء فجاء خطايا، قال سيبويه: أصله: خطايئ، همزت الياء

---

(١) على قاعدته. انظر التيسير في القراءات السبع للداني (ص٤٨).

(٢) الكرماني في الشواذ (ص: ٦٢)، بالإفراد، ونقل الجمع عن الحسن، وكلاهما قراءة شاذة.

(٣) هذه أربع قراءات كلها شاذة، وقد نقلها عن المؤلف أبو حيان (١/ ٣٦١)، ولم أجدها لمن قبله، وقد نقل الكرماني (ص: ١٩٦)، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٥٢) بعضها لكنه في آية الأعراف، والله أعلم.

(٤) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز، الأستاذ أبو علي الأهوازي المقرئ، عني بالقراءات، ورحل فيها، ولقي الكبار، وفي بعض أسانيده جهالة، وله كتب في الحديث يروي فيها الموضوعات ولا يضعفها، توفي سنة (٤٤٦هـ). تاريخ الإسلام (٣٠/ ١٢٤).

(٥) عزا القراءة الأولى في تفسير الرازي (٣/ ٥٢٤) للكسائي، والثانية لابن كثير، ونقل أبو حيان في تفسير البحر المحيط (١/ ٣٦١) عن الأهوازي الوجهين، وكلها قراءات شاذة.

(٦) ساقط من جار الله.

كما فعل في مدائن وكتائب فاجتمعت همزتان، فقلبت الثانية ياء، ثم أعلت على ما تقدم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عِدَةٌ، المعنى: إذا غُفرت الخطايا بدخولكم وقولكم، زِيدَ بعد ذلك لمن أحسن، وكان من بني إسرائيل من دخل كما أمر، وقال: لا إله إلا الله، فقيل: هم المراد بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هنا][٢].

قولُهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

روي أنهم لما جاؤوا الباب دخلوا من قِبَل أدبارهم القهقرى، وفي الحديث: «أَنَّهُمْ دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وبَدَّلُوا فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»[٣]، وقيل: قالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعرة، وقيل: شعيرة.

وحكى الطبريُّ أنهم قالوا: هِطَّى شمقاثا أزبة[٤]، وتفسيره ما تقدَّم.

و«الرجز»: العذابُ.

وقال ابن زيد ومقاتل وغيرهما: إنَّ الله تعالى بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير ما أُمروا الطاعون فأذهب منهم سبعين ألفاً[٥]، وقال ابن عباس: «أمات الله منهم في ساعة / واحدة نيفاً على عشرين ألفاً»[٦]. [٦٠]

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٦)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٥)، والمقتضب (١/ ١٤١).

(٢) ليست في أحمد٣.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١١٤)، وهي كلمة عبرانية، تفسيرها: حنطة حمراء.

(٥) انظر قول مقاتل في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١١٠)، وقول ابن زيد في تفسير النيسابوري (١/ ٢٩٥).

(٦) لم أجده.

وقرأ ابن محيصن: (رُجزاً) بضم الراء[١]، وهي لغةٌ في العذاب، والرُّجز أيضاً اسمُ صنمٍ مشهورٌ.

والباء في قوله: ﴿بِمَا﴾ متعلقة بـ(أَنْزَلْنا)، وهي باء السبب.

و﴿يَفۡسُقُونَ﴾ معناه: يخرجون عن طاعة الله، وقرأ النخعي وابن وثاب: (يَفْسِقُونَ) بكسر السين[٢]، يقال: فسق يفسُق ويفسِق، بضم السين وكسرها.

و(إذ) متعلقةٌ بفعل مضمر تقديره: اذكروا.

و﴿ٱسۡتَسۡقَىٰ﴾ معناه: طلَبَ السُّقيا، وعُرف استفعل طلبُ الشيء، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى: ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ [التغابن: ٦] بمعنى غني، وقولهم: استعجب بمعنى عجب، ومثَّل بعض الناس في هذا بقولهم: استنسر البُغاثُ، واستنوق الجملُ، إذ هي بمعنى: انتقل من حال إلى حال.

وكان هذا الاستسقاء في فحص التيه، فأمره الله تعالى بضرب الحجر آية منه، وكان الحجر من جبل الطور، على قدر رأس الشاة يُلْقى في كِسْر جُوَالِق ويُرحل به، فإذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وضربه موسى عليه السلام.

وذكر أنهم لم يكونوا يحملون الحجر، لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الأولى، وهذا أعظم في الآية، ولا خلاف أنه كان حجراً منفصلاً مربعاً تطَّرد من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى عليه السلام، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون، وفي الكلام حذفٌ تقديره: فضربه فَانْفَجَرَتْ، والانفجار: انصداع شيء عن شيء، ومنه: الفجر، والانبجاس في الماء أقل من الانفجار.

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ١٣)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وهي قراءة شاذة.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٩).

و﴿ٱثْنَتَا﴾ معربةٌ دون أخواتها لصحة معنى التثنية، وإنما يبنى واحد مع واحد، وهذه إنما هي اثنان مع واحد، فلو بنيت لرد ثلاثة واحداً.

وجاز اجتماع علامتي التأنيث في قوله: ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ﴾ لبعد العلامة من العلامة، ولأنهما في شيئين، وإنما مُنع ذلك في شيء واحد، نحو مسلمات وغيره.

وقرأ ابن وثَّاب وابن أبي ليلى[1] وغيرهما: (عَشِرَةَ) بكسر الشين[2]، وروي ذلك عن أبي عمرو[3]، والأشهر عنه الإسكان، وهي لغة تميم، وهو نادرٌ، لأنهم يخففون كثيراً، وثقَّلوا في هذه، وقرأ الأعمش: (عَشَرَةَ) بفتح الشين[4] وهي لغةٌ ضعيفةٌ، وروي عنه كسرها وتسكينها[5]، والإسكان لغة الحجاز.

و﴿عَيْـنًا﴾ نصب على التمييز، والعين اسم مشترك، وهي هنا منبع الماء.

و﴿أُنَاسٍ﴾ اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظه، ومعناه هنا: كل سبط؛ لأنَّ الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب عليه السلام.

والمشرب المفعل: موضع الشرب، كالمشرع: موضع الشروع في الماء، وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها.

وفي الكلام محذوف تقديره: وقلنا لهم: كلوا المن والسلوى واشربوا الماء

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي، الفقيه المقرئ، ولد في خلافة عمر، روى عن علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وطائفة، وكان قد خرج على الحجاج فيمن خرج من العلماء والصلحاء، فقتل سنة (٧٣هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٧).

(٢) نقلها عن يحيى بن وثاب، الكرماني في الشواذ (ص: ٦٣)، وزاد إبراهيم وعمرو بن ميمون وأبا السمال، وعن ابن أبي ليلى في البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٧٠)، وزاد آخرين، ونقلها في مختصر الشواذ (ص: ١٣) عن الأعمش في أحد وجهيه، وهي قراءة شاذة.

(٣) من رواية نعيم السعيدي عنه كما في البحر المحيط (١/ ٣٧٠)، وهي قراءة شاذة، ليست من الطرق المتواترة عنه.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١٣).

المنفجر من الحجر المنفصل، وبهذه الأحوال حسنت إضافة الرزق إلى الله تعالى، وإلا فالجميع رزقه وإن كان فيه تكسب للعبد.

﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ معناه: ولا تُفْرِطوا في الفساد، يقال: عَثِيَ الرجل يَعْثَى، وعَثَى يَعْثَى عَثْياً: إذا أفسد أشد فساد، والأولى هي لغة القرآن، والثانية شاذة، وتقول العرب: عثا يعثو عُثُوّاً ولم يقرأ بهذه اللغة؛ لأنها توجب ضم الثاء من ﴿تَعْثَوْا﴾، وتقول العرب: عاث يعيث إذا أفسد، وعثَّ يَعُثُّ كذلك، ومنه عُثَّةُ الصوف، وهي السوسة التي تلحسه.

و﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال، وتكرر المعنى لاختلاف اللفظ، وفي هذه الكلمات إباحة النعم وتعدادها، والتقدم في المعاصي والنهي عنها.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

كان هذا القول منهم في التيه حين ملُّوا المن والسلوى، وتذكروا عيشهم الأول بمصر، وكُني عن المن والسلوى بـ﴿طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ ـ وهما طعامان ـ لأنهما كانا يؤكلان في وقت واحد؛ ولتكرارهما سواء أبداً قيل لهما: طَعام واحِد.

ولغة بني عامر: (فَادْعِ) بكسر العين[1].

و﴿يُخْرِجْ﴾: جزم بما تضمنه الأمر من معنى الجزاء، وبنفس الأمر على مذهب أبي عمر الجَرْمي[2]، والمفعول على مذهب سيبويه مضمر، تقديره: مأكولًا ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (١/ ٢٩٠).

وقال الأخفش: (مِنْ) في قوله: ﴿مِمَّا﴾ زائدة، و(مَا) مفعولة[١]، وأبى سيبويه أن تكون «مِنْ» ملغاة في غير النفي، كقولهم: ما رأيت من أحد[٢].

و﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا﴾ لبيان الجنس، و﴿بَقۡلِهَا﴾ بدل بإعادة الحرف، والبقل: كل ما تنبته الأرض من النجم، والقثاء: جمع قثأة.

وقرأ طلحة بن مصرف، ويحيى بن وثاب: (قُثَّائِهَا)، بضم القاف[٣].

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: «الفوم»: الحنطة[٤]، وقال مجاهد: «الفوم»: الخبز[٥]، وقال عطاء وقتادة: «الفوم»: جميع الحبوب التي يمكن أن تُختبز كالحنطة والفول والعدس ونحوه[٦].

وقال الضحاك: «الفوم»: الثوم[٧]، وهي قراءة عبد الله بن مسعود بالثاء[٨]، وروي ذلك عن ابن عباس، والثاء تبدل من الفاء، كما قالوا / : مغاثير ومغافير، وجَدَث وجدف، ووقعوا في عاثور شر، وعافور شر[٩]، على أن البدل لا يقاس عليه، والأولُ أصحُّ: أنها الحنطة، وأنشد ابن عباس قول أُحَيحةَ بنَ الجُلَاح[١٠]: [٦١]

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٥).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧)، ورد قول الأخفش.

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٨٧)، وهي قراءة شاذة.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢/ ١٢٧-١٢٨) من طرق عدة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٢٧).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١٢٨).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٣) عن سعيد بن جبير والربيع والضحاك.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ١٣٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ٨٨)، وهي قراءة شاذة.

(٩) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤١).

(١٠) هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى الأوسي، ويكنى أبا عمرو، شاعر جاهلي قتله عاصم ابن عمرو في حروبهم مع الخزرج، وكان سيد قومه، وكانت عنده سلمى بنت عمرو، وهي أم عبد المطلب، خلف عليها هاشم بعده، انظر خبره في الأغاني (١٥/ ٣٦).

[الكامل] قَدْ كُنْتُ أَغْنَىٰ النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَ الْمَدِينَـةَ عَـنْ زِرَاعَـةِ فُـومِ[١]

يعني: حنطة، قال ابن دريد[٢]: «الفوم»: الزرع أو الحنطة، وأَزْدُ السَّراة يسمون السنبل فوماً[٣].

«الاستبدال»: طلب وضعِ الشيء موضع الآخر.

و﴿أَدْنَىٰ﴾ مأخوذٌ عند أبي إسحاق الزجاج من الدنو؛ أي: القرب في القيمة[٤]، وقال علي بن سليمان: هو مهموز من الدنيء البيِّن الدناءة، بمعنى: الأخس، إلا أنه خففت همزته[٥]، وقال غيره: هو مأخوذٌ من الدون؛ أي: الأحط، فأصله: أدْون أفعل، قلب فجاء: أفلع، وقلبت الواو ألفاً لتطرفها.

وقرأ زهير الكسائي[٦]: (أدنأ)[٧].

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١٢٩)، والنكت والعيون (١/ ١٢٨)، وعزاه في الصحاح (٥/ ٢٨٢) لأبي محجن الثقفي، وفي رواية المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٤٨) نسب لأبي ذؤيب، لكن الرواية ضعيفة جدّاً.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، وكان رأس أهل العلم، والمقدّم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، وله شعر كثير، كان أعلم الشعراء، وأشعر العلماء، وقيل إنه كان يتسامح في الرواية عن المشائخ، توفي سنة (١٢١هـ). إنباه الرواة (٣/ ٩٢).

(٣) جمهرة اللغة (٢/ ٩٧٢)، وانظر ـ أيضاً ـ مجاز القرآن (١/ ٤١).

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٤٣و١٤٤)، ولفظه: ﴿أَدْنَىٰ﴾ غير مهموز فمعناه: الذي هو أقرب وأقل قيمة.

(٥) نقله عنه في البحر المحيط (١/ ٣٥٥)، وفي المحتسب (١/ ٨٩) عن علي بن سليمان (وهو الأخفش الأصغر) عن المبرد عن الرياشي عن أبي زيد : «تقول: دَنُؤ الرجل يَدْنُؤ دناءَة، وقد دَنأ يدنأ: إذا كان دنيئاً لا خير فيه، غير أن القراءة بترك الهمز»، وقد جاء هذا القول في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٧)، بلا نسبة، وكذلك القولان في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢).

(٦) هو زهير الفرقبي النحوي يعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة يروى عنه وكان في زمن عاصم، روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوي. غاية النهاية (١/ ٢٩٥).

(٧) المحتسب لابن جني (١/ ٨٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

ومعنى الآية: أتستبدلون البقلَ والقثاءَ والفوم والعدس والبصل التي هي أدنى بالمن والسلوى الذي هو خير؟ والوجه الذي يوجب فضل المن والسلوى على الشيء الذي طلبوه، يحتمل أن يكون تفاضلها في القيمة؛ لأن هذه البقول لا خطر لها، وهذا قول الزجاج.

ويحتمل أن يفضل المن والسلوى؛ لأنه الطعام الذي مَنَّ الله به وأمرهم بأكله، وفي استدامة أمر الله تعالى وشكر نعمته أجر وذخر في الآخرة، والذي طلبوا عارٍ من هذه الخصال، فكان أدنى في[1] هذا الوجه.

ويحتمل أن يفضل في الطيب واللذة به، فالبقول لا محالة أدنى من هذا الوجه، ويحتمل أن يفضل في حسن الغذاء ونفعه، فالمن والسلوى خير لا محالة في هذا الوجه، ويحتمل أن يفضل من جهة أنه لا كلفة فيه ولا تعب، والذي طلبوا لا يجيء إلا بالحرث والزراعة والتعب، فهو أدْنى في هذا الوجه.

ويحتمل أن يفضل في أنه لا مرية في حِلِّه وخلوصه لنزوله من عند الله، والحبوب والأرض يتخللها البيوع والغصوب وتدخلها الشُّبَه، فهي أدْنى في هذا الوجه.

ويترتب الفضل للمن والسلوى بهذه الوجوه كلها.

وفي الكلام حذفٌ، تقديره: فدعا موسى ربَّه فأجابه، فقال لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، وتقدَّم ذكر معنى الهبوط، وكأن القادم على قطر منصبٌّ عليه، فهو من نحو الهبوط.

وجمهور الناس يقرؤون: ﴿مِصۡرًا﴾ بالتنوين وهو خطُّ المصحف[2]، إلا ما حكي عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه[3].

---

(١) هكذا في أكثر النسخ في المواضع الثلاثة، وفي الحمزوية: «من»، وكذا أحمد٣ في بعضها.

(٢) في نور العثمانية: «المصاحف»، ونقل الداني في المقنع (ص: ٤٥) عن أحمد بن محمد المكي قال: رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ بالألف.

(٣) كما جاء في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣) عن زائدة، عن الأعمش:... وقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرَ﴾ ليس فيها ألف.

وقال مجاهد وغيره ممن صرفها: أراد مصراً من الأمصار [غير معيَّن][(١)][(٢)]، واستدلوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم بدخول القرية، وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه.

وقالت طائفة ممن صرفها: أراد مصر فرعون بعينها، واستدلوا بما في القرآن من أن الله تعالى أورث بني إسرائيل ديار آل فرعون وآثارهم، وأجازوا صرفها؛ قال الأخفش: لخفتها وشبهها بهند ودعد[(٣)]، وسيبويه لا يجيز هذا، وقال غير الأخفش: أراد المكان فصرف[(٤)].

وقرأ الحسن وأبان بن تغلب[(٥)] وغيرهما: (اهبِطوا مصرَ) بترك الصرف[(٦)]، وكذلك هي في مصحف أبيّ بن كعب[(٧)] وقالوا: هي مصر فرعون.

---

(١) ساقط من أحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٣٣)، وهو قول كثير من العلم غيره.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٦).

(٤) انظر هذا القول مع قول سيبويه في الكتاب (٣/ ٢٤١).

(٥) هو أبان بن تغلب الربعي الكوفي المقرئ الشيعي، وقد أخذ القراءة عرْضا عن عاصم وطلحة ابن مصرف، وتلقى من الأعمش، وروى عن الحكم بن عتيبة وعدي بن ثابت وفضيل الفقيمي وغيرهم، وعنه إدريس بن يزيد الأودي وآخرون، وهو صدوق في نفسه موثق لكنه يتشيع، مات سنة (١٤١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٥٥)، وفي فيض الله وأحمد٣ والسليمانية: «ثعلب»، وهو تحريف.

(٦) عزاها لهما في البحر المحيط (١/ ٣٩٦)، وزاد طلحة والأعمش، وعزاها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٠)، وله وللأعمش الكرماني في الشواذ (ص: ٦٤)، وللأعمش، وحده ابن خالويه (ص١٤) في مختصر الشواذ، وهي قراءة شاذة.

(٧) تقدَّم ما يتعلق بالرسم، وأمَّا القراءة فقد عزاها في معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣) لابن مسعود، والطبري (٢/ ١٣٥) له ولأبي.

قال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي[١].

وقال أشهب[٢]: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتُك مسكنُ فرعون[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ يقتضي أنه وكلهم إلى أنفسهم.

وقرأ النخعي، وابن وثاب: (سِأَلْتُمْ) بكسر السين[٤] وهي لغةٌ.

و(ضُربَت عَليهمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَـةُ) معناه: أُلزموها وقضي عليهم بها، كما يقال: ضرب الأمير البعث، وكما قالت العرب: ضربة لازب، أي: إلزام مُلْزِمٍ أو لازم، فينضاف المصدر إلى المفعول بالمعنى، وكما يقال: ضرب الحاكم على اليد، أي: حجر وألزم، ومنه: ضرب الدهر ضرباته؛ أي: ألزم إلزاماته.

و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ فعلة من الذل كأنها الهيئة والحال.

و(الْمَسْكَنَـةُ) من المسكين.

قال الزجاج: هي مأخوذة من السكون، وهي هنا: زي الفقر وخضوعه، وإن وجد يهودي غني فلا يخلو من زي الفقر ومهانته[٥]، قال الحسن وقتادة: «المسكنة»: الخراج؛ أي: الجزية، وقال أبو العالية: «المسكنة»: الفاقة والحاجة[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٠٦)، وهو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، الأمير عم المنصور، افتتح مصر، وقهر بني أمية، روى عن أبيه، وعنه ابناه إسماعيل وعبد الملك وغيرهما. توفي سنة (١٥١هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٤٣٦).

(٢) هو صاحب الإمام مالك، الفقيه؛ مسكين بن عبد العزيز بن داود، القيسي المعافري الجعدي، المصري، الملقب أشهب، المتوفى سنة (٢٠٤هـ). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٦١) وما بعدها.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٨٩).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٨٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٤).

(٦) انظرهما في تفسير الطبري (٢/ ١٣٧).

و(بآءُو بِغَضَبٍ مِنَ الله) معناه: مروا متحملين له، تقول: بؤت بكذا، إذا تحملته، ومنه قول مهلهل [(١)] لبجير بن الحارث بن عباد [(٢)]: «بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ»[(٣)].

و«الغضب» بمعنى الإرادة صفة ذات، وبمعنى إظهاره على العبد بالمعاقبة صفةُ فعلٍ.

والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ضرب الذلة وما بعده.

والباء [في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾][(٤)] باء السبب.

وقال المهدوي: إنَّ الباء بمعنى اللام[(٥)]، والمعنى: لأنهم.

والآيات هنا تحتمِل أن يراد بها التسع وغيرها مما يخرق العادة، وهو علامة لصدق الآية به، ويحتمل أن يراد آيات التوراة التي هي كآيات القرآن.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (وتقتُلون) بالتاء، على الرجوع إلى خطابهم، وروي عنه أيضاً بالياء[(٦)].

---

(١) هو المهلهل بن ربيعة التغلبي، كان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع في قتل أخيه كليب وائل وكان اسم المهلهل عدياً وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره، وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره ويتكثر في قوله بأكثر من فعله طبقات فحول الشعراء (١/ ٣٩).

(٢) كذا ذكر في الأغاني (٥/ ٥٣) عن أبي برزة أن بجيراً هو ابن الحارث، وقيل: هو ابن أخيه، قال: وكان أول فارس لقي مهلهلاً يوم «واردات» بجير بنُ الحارث بن عباد، فقال: من خالك يا غلام؟ وبوأ نحوه الرمح، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي: مهلاً يا مهلهل فإن عم هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه، انظر بقية القصة فيه.

(٣) في حرب البسوس بين بكر وتغلب. انظر تفصيلها في الأغاني (٥/ ٥٢)، والعقد الفريد (٥/ ١٩١).

(٤) زيادة من المطبوع وجار الله وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) نقله عنه السمين في الدر المصون (١/ ١٨٠)، وابن عادل في اللباب (٢/ ١٢٦).

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٩٩)، ونقل عنه الكرماني في الشواذ (ص: ٦٤) «ويقتِّلون» بالتشديد.

وقرأ نافع بهمز ﴿النبيئين﴾، وكذلك حيث وقع في القرآن، إلا في موضعين: في سورة الأحزاب: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] بلا مد ولا همز، ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وترك الهمز في جميع ذلك الباقون[١].

[٦٢] فأمَّا مَن همز فهو عنده من: أنبأ، إذا أخبر / ، واسم فاعله: منْبِئ، فقيل: نبيء، بمعنى منبئ، كما قيل: سميع بمعنى مسمع، واستدلوا بما جاء من جمعه على نُبآء، قال الشاعر:

[الكامل]

يا خَـاتَـمَ الـنُّـبَـآءِ إنَّــكَ مُـرْسَـلٌ ... بِالحَـقِّ كُلُّ هُـدَىٰ الإلَـهِ هُـدَاكَا[٢]

فهذا كما يجمع فعيل في الصحيح، كظريف وظرفاء وشبهه.

قال أبو علي: زعم سيبويه أنهم يقولون في تحقير النبوة: كان مسيلمة بنُبوَّتِهِ نُبَيِّـئَةَ سوء، وكلهم يقولون: تنبأ مسيلمة، فاتفاقهم على ذلك دليل على أن اللام همزة[٣].

واختلف القائلون بترك الهمز في نبيء: فمنهم من اشتق [النبي مِن همز][٤] ثم سهَّل الهمز، ومنهم من قال: هو مشتقٌّ من نبا ينبو: إذا ظهر، فالنبي: الطريق الظاهر، وكأنَّ النبيَّ من عند الله طريق الهدى والنجاة، وقال الشاعر[٥]:

[البسيط]

لـمَّا وَرَدْنَـا نبِـيّـاً واسْتَـتَـبَّ لَـنَــا ... مُسْحَنْفَرٌ بخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ[٦]

---

(١) التيسير للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٥٨)، والاستثناء لقالون خاصة.

(٢) هو العبَّاس بن مرداس السلمي، كما في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٠)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٦٠)، وتفسير الماوردي (١/ ١٣١)، وحجة القراءت لابن زنجلة (١/ ٩٩).

(٣) الحجة (٢/ ٨٩).

(٤) في جار الله، وفيض الله، ونور العثمانية وأحمد٣، والسليمانية: «اشتقاق مَن همز».

(٥) في جار الله: «الأعشى»، وهو خطأ.

(٦) البيت للقطامي، كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٤١)، وتفسير الطبري =

واستدلوا بأن الأغلب في جمعه أنبياء، كفعيل في المعتل، نحو: ولي وأولياء، وصفي وأصفياء، وحكى الزهراوي أنه يقال: نبؤ، إذا ظهر فهو نبيء، والطريق الظاهر نبيء بالهمز[١].

روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيءَ اللهِ، وهمز، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عليه السلام: «لَسْتُ بِنَبِيءِ اللهِ ـ وهمز ـ وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللهِ» ولم يهمز[٢]، قال أبو علي: ضعِّف سند هذا الحديث، ومما يقوي ضعفه أنه ﷺ قد أنشده المادح: يا خاتم النُّبآء، ولم يُؤْثَر في ذلك إنكار[٣]، والجمع كالواحد.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ تعظيم للشُّنْعة والذنب الذي أتوه، ومعلومٌ أنه لا يقتل نبي بحق، ولكن من حيث قد يتخيل متخيِّل لذلك وجهاً، فصرَّح قوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يَجترم[٤] قط نبي ما يوجب قتله، وإنما أباح الله تعالى من أباح منهم، وسلط عليه، كرامة لهم، وزيادة في منازلهم، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين.

قال ابن عباس وغيره: لم يقتل قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نُصر[٥].

= (٢/ ١٤١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١١٢)، المسحنفر: الطريق المستقيم، والبلد الواسع والمطر الكثير، ونبي: اسم موضع بالشام، وفي بعض النسخ: «النسج» بدلاً من «السَّيح».

(١) نقله عنه في البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٥٦).

(٢) منكر: هذا الحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٨١) من حديث ابن عباس، وفي سنده عبدالرحيم ابن حماد الثقفي، وهو شيخ واهٍ كما قال الذهبي في الميزان (٤/ ٣٣٤)، وأخرجه ـ أيضاً ـ ابنُ عديٍّ في الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٣٦) من حديث حمران بن أعين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:.... إلخ وحمران ضعيفٌ. قال فيه ابنُ معين : ليس بشيء. وقال أبو داود فيه: رافضي روى عن موسى بن عبيدة، وهو واهٍ. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) بإسناد قال فيه الذهبي: منكر لم يصح.

(٣) ضعيف معضل: هذا الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٤٢٠) من طريق ابن إسحاق، عن العباس بن مرداس به، وهذا إسناد معضل. وانظر: الحجة للفارسي (٢/ ٩٢).

(٤) في الأصل: «يجترئ».

(٥) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ رد على الأول وتأكيد للإشارة إليه، والباء في ﴿بِمَا﴾ باء السبب، و﴿يَعْتَدُونَ﴾ معناه: يتجاوزون الحدود، والاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء، وعُرفه في الظلم والمعاصي.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

اختلف المتأولون في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في هذه الآية:

فقال سفيان الثوري: هم المنافقون في أمة محمد ﷺ[1]، كأنه قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في ظاهر أمرهم، وقرنهم باليهود وَالنَّصارى والصَّابِئِينَ، ثم بيَّن حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم، فمعنى قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ في المؤمنين المذكورين: مَن حقَّق وأخلص، وفي سائر الفرق المذكورة: من دخل في الإيمان.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: هم المؤمنون حقّاً بمحمد ﷺ، وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ يكون فيهم بمعنى: من ثبت ودام، وفي سائر الفرق بمعنى: من دخل فيه.

وقال السُّدي: هم أهل الحنيفية ممن لم يلحق محمداً ﷺ، كزيد بن عمرو ابن نفيل[2]، وقس بن ساعدة[3]، وورقة بن نوفل، و(الذين هادوا) كذلك ممن لم يلحق

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩١).

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة، قال ابن حجر: ذكره البغويّ، وابن مندة، وغيرهما في الصّحابة، وفيه نظر، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين الإصابة (٢/ ٥٠٧)، وذكر ابن هشام في السيرة (١/ ٢٢٤) بعض خبره، فانظره.

(٣) قس بن ساعدة الإيادي أحد حكماء العرب في الجاهلية، وقد رآه سيد البشر ﷺ بعكاظ وسمع خطبته، وكان حكيماً خطيباً عاقلاً حليماً له نباهة وفضل. وقد ذكره جماعة من الشعراء في أشعارهم بالحلم والخطابة وضربوا الأمثال به. معجم الشعراء (ص: ٣٣٨).

محمداً ﷺ، إلا من كفر بعيسى عليه السلام، و(النصارى) كذلك ممن لم يلحق محمداً ﷺ، و(الصابئين) كذلك، قال: إنها نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، وذكر له الطبري قصة طويلة[(١)]، وحكاها ـ أيضاً ـ ابن إسحاق، مقتضاها أنَّه صحب عُبَّاداً من النصارى فقال له [آخرهم][(٢)]: إنَّ زمان نبي قد أظل، فإن لحقته فآمن به، ورأى منهم عبادة عظيمة، فلما جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وأسلم ذكر له خبرهم، وسأله عنهم، فنزلت هذه الآية[(٣)].

وروي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أول الإسلام، وقرر الله بها أن من آمن بمحمد ﷺ ومن بقي على يهوديته ونصرانيته [وصابئيته][(٤)] وهو يؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره، ثم نسخ ما قرر من ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عمران: ٨٥]، ورُدَّت الشرائع كلها إلى شريعة محمد ﷺ.

و(الذين هادوا) هم اليهود، وسموا بذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: تُبنا، فاسمهم على هذا من هاد يهود، وقال الشاعر:

[السريع] إنِّي امرؤٌ مِنْ مدْحتي هائِدُ[(٥)] ....

أي: تائب.

وقيل: نسبوا إلى يهوذا بن يعقوب، فلما عُرب الاسم لحقه التغيير كما تغير العرب في بعض ما عربت من لغة غيرها.

---

(١) من قول السدي، كما في تفسير الطبري (٢/ ١٥٠)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٧).
(٢) في النسخة الحمزوية، وجار الله: «أحدهم».
(٣) رجاله ثقات بغير إيراد نزول الآية: أخرج قصة إسلام سلمان بدون ذكر نزول هذه الآية: أحمد في المسند (٥/ ٤٤١)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢٣)، والبزار في المسند (٦/ ٤٦٢)، وابن حبان في الثقات (١/ ٢٤٩) وغيرهم من طريق: ابن إسحاق أنه سمع عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي، وهذا إسناد رجاله ثقات.
(٤) سقطت من السليمانية.
(٥) أنشده أبو عبيدة، كما في تفسير الثعلبي (١/ ٢٠٨)، وعزاه الأنباري في الزاهر (٢/ ١٧٦)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٥٥٧)، لبعض الأعراب بلفظ: «مدحه» بدل: «مدحتي»، وهي نسخة المطبوع.

وحكى الزهراوي أنَّ التهويد: النطق في سكون ووقار ولين، وأنشد:

وَخُودٌ مِنَ اللائي تَسمَّعْنَ بالضُّحىٰ قَريـضَ الرُّدَافَىٰ بالغنـاءِ المهوَّد[1] [الطويل]

قال: «ومن هذا سميت اليهود»[2].

وقرأ أبو السمال: (هَادَوا) بفتح الدال[3].

و(النصارى) لفظةٌ مشتقّةٌ من النصر، إمَّا لأن قريتهم تسمى ناصرة، ويقال: نصريا، ويقال: نصرتا، وإمَّا لأنهم / تناصروا، وإمَّا لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٥٢]. [٦٣]

قال سيبويه: واحدهم نصرانٌ ونصرانةٌ[4] كندمانٍ وندمانةٍ [وندامى][5][6]، وأنشد:

فكلْتاهمـا خـرَّت وأسْـجَدَ رأْسُـهَا كما سـجدتْ نَصْرانةٌ لمْ تَحَنَّفِ[7] [الطويل]

وأنشد الطبري:

يَظَـلُّ إذَا دَارَ العِشَـا مُتَـحَـفِّـناً وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ شَامِسُ[8] [الطويل]

---

(١) البيت للراعي النميري، كما في غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٢٨٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٥٠٤)، «وخود»: الواو فيه أصلية ـ وليست للعطف ـ من «وخد» إذا أسرع، والقريض: الشعر، والرُّدافى: الحداة والأعوان؛ لأنه إذا أعيا أحدهم خَلَفه الآخر، ويقال: هوَّد الرجل إذ سكن، وهوَّد: إذا غنَّى وأطرب، ويقال: غناء مهوّد.

(٢) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٣) مختصر الشواذ (ص: ١٤)، والمحتسب لابن جني (١/ ٩١)، وهي قراءة شاذة.

(٤) سقطت من فيض الله.

(٥) سقطت من فيض الله وجار الله والسليمانية.

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٥٥).

(٧) البيت لأبي الأخزر الحِمَّاني كما في الكتاب (٣/ ٤١١)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٤٤٥)، وهو يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها، ويقال: سجد الرجل وأسجد، كما يقال: سجد البعير وأسجد، إذا طأطأ رأسه.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ١٤٣) بلا نسبة، وكذا في الأضداد لابن الأنباري (ص: ١٥٥)، وجمهرة اللغة =

قال سيبويه[١]: إلا أنه لا يستعمل في الكلام إلّا بياء نسب، وقال الخليل: واحد النَّصارى نصريّ كمَهْريٍّ ومهارى[٢].

والصابئ في اللغة: من خرج من دين إلى دين، ولهذا كانت العرب[٣] تقول لمن أسلم: قد صبأ، وقيل: إنما سمتهم بذلك لمَّا أنكروا الآلهة تشبيهاً بالصابئين في الموصل الذين لم يكن لهم بر إلا قولهم: لا إله إلا الله.

وطائفة همزته وجعلته من صبأت النجوم: إذا طلعت، وصبأت ثَنية الغلام: إذا خرجت.

قال أبو علي: يقال: صبأت على القوم بمعنى: طرأت، فالصابئ: التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره، كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها[٤].

وبالهمز قرأ القراء غير نافع فإنه لم يهمزه[٥]، ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو: إذا مال، أو يجعله على قلب الهمزة ياء، وسيبويه لا يجيزه إلا في الشعر[٦].

وأمَّا المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: فقال السُّدي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقال مجاهد: هم قوم لا دين لهم، ليسوا بيهود ولا نصارى، وقال ابن أبي نجيح[٧]: هم قوم تركَّب دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبائحهم، وقال ابن

= لابن دريد (ص: ٨٣٣)، وهو في صفة الحرباء، و«محنفا»: قد تحنف، أو صار إلى الحنيفية، يعني أنه مستقبل القبلة، وقوله: «لديه» أي: لدى العشي، وقوله: «شامس» يريد: مستقبِل الشمس قبل المشرق.

(١) سقطت كلمة: «سيبويه» من أحمد٣.

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤١١).

(٣) وفي نسخة: «قريش»، أشار لها في هامش السليمانية، والأصل، والمطبوع.

(٤) الحجة (٢/ ٩٤).

(٥) وافقه أبو جعفر من العشرة: التيسير في القراءات السبع (ص٧٤)، والنشر (١/ ٤٥٠)، وكلاهما قراءة متواترة.

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٩٥).

(٧) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار مولى الأخنس بن شريق الثقفي، أبو يسار المكي، روى عن مجاهد وطاوس وعطاء وغيرهم، وعنه شعبة وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وكان جميلاً فصيحاً، وقال يعقوب ابن شيبة: هو ثقة قدري، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦٩).

زيد: هم قوم يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب، كانوا بجزيرة الموصل.

وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس، ويقرؤون الزبور، رآهم زياد بن أبي سفيان، فأراد وضع الجزية عنهم حتى عرف أنهم يعبدون الملائكة[١].

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ في موضع نصب بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والفاء في قوله: ﴿فَلَهُمْ﴾ داخلةٌ بسبب الإبهام الذي في ﴿مَنْ﴾.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ابتداء وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾، ويحتمل ويَحسُنُ أن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء، ومعناها الشرط، والفاء في قوله: ﴿فَلَهُمْ﴾ موطئة أن تكون الجملة جوابها، و(لهم أجرهم) خبر ﴿مَنْ﴾، والجملة كلها خبر ﴿إِنَّ﴾، والعائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ محذوف لا بدَّ من تقديره، وتقديره: من آمن منهم بالله.

وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب، ومنه [ينفهم][٢]؛ لأنَّ البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالى.

وجمع الضمير في قوله تعالى: (لهم أجرهم) بعد أن وحد في ﴿ءَامَنَ﴾؛ لأن ﴿مَنْ﴾ تقع على الواحد والتثنية والجمع، فجائز أن يخرج ما بعدها مفرداً على لفظها، أو مثنى أو مجموعاً على معناها، كما قال عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] فجمع على المعنى، وكقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٣] فجمع على المعنى.

وقال الفرزدق:

تعَشّ فإنْ عاهَدْتَني لا تخُونُني نَكُنْ مثْل مَنْ ياذيبُ يصطَحِبانِ[٣] [الطويل]

---

(١) انظر في هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (١/ ٣١٩).

(٢) في النسخة الحمزوية: «يفهم».

(٣) نُسب له في معاني القرآن (٣/ ٥٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٤١)، والأغاني (١٠/ ٣١٠)، وتفسير =

فثنى على المعنى، [وإذا جرى ما بعد ﴿مَنۡ﴾على اللفظ فجائز أن يخالف به بعدُ على المعنى، وإذا جرى ما بعدها على المعنى][١] فلم يستعمل أن يخالف به بعد على اللفظ؛ لأنَّ الإلباس يدخل في الكلام.

وقرأ الحسن: (ولا خَوْفَ)، نصب على التبرئة[٢]، وأمَّا الرفع فعلى الابتداء، وقد تقدَّم القول في مثل هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾، (إذ) معطوفة على التي قبلها، والميثاق مفعال من وثق يثق، مثل: ميزان، من وَزَن يزن، و﴿ٱلطُّورَ﴾ اسم الجبل الذي نوجي موسى عليه، قاله ابن عباس[٣].

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة وغيرهم: «الطُّورُ»: اسم لكلِّ جبل[٤].

ويستدل على ذلك بقول العجاج:

[الرجز] دَانَـىٰ جَنَاحَيْـهِ مِـنَ الطُّـورِ فَمَـرّ تَقَضِّـيَ البَـازِي إذا البَازِي كَسَـرْ[٥]

وقال ابن عباس أيضاً: «الطُّورُ»: كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور[٦].

وهذا كلُّه على أنَّ اللفظةَ عربيةٌ.

= الثعلبي (٨/ ٣٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١٥٠)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٨٩)، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية وكثير من الروايات: «تعال» بدل «تعش».

(١) ساقط من فيض الله والسليمانية.

(٢) الكامل للهذلي (ص: ٤٨٣)، وقد تقدَّم تفصيل القارئين بها في تفسير الآية (٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٥٩) من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٥٩).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٥٧)، وتفسير الطبري (٢/ ١٥٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٣٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤١٧)، وغيرها، يقال: تقضَّى البازي: انقض، وكسر الطائر يكسر كسوراً: ضم جناحيه حتى ينقض، يريد الوقوع.

(٦) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٥٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

وقال أبو العالية، ومجاهد: هي سُريانية اسم لكل جبل[١].

وقَصَص هذه الآية: أن موسى عليه السلام لما جاء إلى بني إسرائيل من عند الله تعالى بالألواح فيها التوراة، قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا إلا أن يكلّمنا الله بها كما كلمك، فصُعقوا ثم أحيوا، فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين، طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثلَ الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم ناراً بين أيديهم، فأحاط بهم غضبه، وقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، وغرَّقكم البحر، وأحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق.

وقال الطبريُّ ـ رحمه الله ـ عن بعض العلماء: لو أخذوها أولَ مرة لم يكن عليهم ميثاق، وكانت سجدتهم على شقٍّ، لأنهم كانوا يرقبون الجبلَ خوفاً، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورَحِم بها، فأمرُّوا [سجودهم][٢] على شق واحد[٣].

قال القاضي أبو محمد: والذي لا يصح سواه: أنَّ الله تعالى اخترع وقت سجودهم الإيمان في قلوبهم، لأنهم آمنوا كرهاً وقلوبهم غير مطمئنة، وقد اختصرتُ ما سرد في قصص هذه الآية، وقصدت أصحَّه الذي تقتضيه ألفاظ الآية، وخلط بعض الناس صعقة هذه القصة بصعقة السبعين.

وقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: وقلنا: خذوا / [٦٤]، و﴿ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ معناه: أعطيناكم، و﴿بِقُوَّةٖ﴾: قال ابن عباس: «معناه: بجدٍّ واجتهاد»، وقيل: بكثرةِ دَرْسٍ، وقال ابن زيد: معناه: بتصديقٍ وتحقيق[٤]، وقال الربيع: معناه: بطاعة الله[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٥٨).

(٢) في النسخة الحمزوية: «بسجودهم».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٥٦) عن ابن زيد.

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (٢/ ١٦١).

(٥) تفسير الطبري ـ ط:دار هجر ـ (٢/ ٥٢)، وقد سقط هذا الأثر من طبعة شاكر.

و(اذكروا ما فيه) أي: تدبَّروه واحفظوا أوامره ووعيده، ولا تنسوه وتضيعوه، والضمير عائدٌ على ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ ويعني التوراة، وتقدير صلة ﴿مَا﴾: واذكروا ما استقرَّ فيه، و﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ترجٍّ في حقِّ البشر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الآية؛ تولَّى تفعَّل، وأصله: الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم، ثم استعمل في الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعاً ومجازاً.

و﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ رفع بالابتداء، والخبر مضمر عند سيبويه لا يجوز إظهاره؛ للاستغناء عنه، تقديره: فلولا فضل الله عليكم تَدارَككم، و(رحمته) عطف على ﴿فَضْلُ﴾.

قال قتادة: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن[1]، وهذا على أن المخاطب بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لفظاً ومعنًى مَن كان في مدة محمد ﷺ، والجمهور على أن المراد بالمعنى من سلف.

و﴿لَكُنتُم﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾، و﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ خبر «كَانَ»، «الخسران»: النقصان.

وتوليهم من بعد ذلك: إمَّا بالمعاصي، فكان فضل الله بالتوبة والإمهال إليها، وإمَّا أن يكون توليهم بالكفر، فكان فضل الله بأن لم يعاجلهم بالإهلاك ليكون من ذريتهم من يؤمن، أو يكون المراد من لحق محمَّداً ﷺ، وقد قال ذلك قومٌ، وعليه يتجه قول قتادة: إنَّ الفضل الإسلام، والرحمة القرآن، ويتجه ـ أيضاً ـ أن يراد بالفضل والرحمة إدراكهم مدة محمد ﷺ.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٦٦)، (١٥/ ١٠٧)، عنه، وعن أبي العالية والربيع وابن عباس.

﴿عَلِمْتُمُ﴾ معناه: عرفتم، كما تقول: علمت زيداً، بمعنى: عرفته، فلا يتعدى العلم إلا إلى مفعول واحد، و﴿ٱعْتَدَوْا۟﴾ معناه: تجاوزوا الحدَّ، مصرف من الاعتداء، و﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ معناه: في يوم السبت، ويحتمل أن يريد: في حكم السبت.

و﴿ٱلسَّبْتِ﴾ مأخوذ إمَّا: من السبوت الَّذي هو الراحة والدعة، وإمَّا من السبت وهو: القطع؛ لأن الأشياء فيه سبتت وتمت خلقتها.

وقصة اعتدائهم فيه: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر موسى عليه السلام بيوم الجمعة، وعرَّفه فضله، كما أمر به سائر الأنبياء، فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل عن الله تعالى وأمرهم بالتشرع فيه، فأبوا وتعدَّوه إلى يوم السبت، فأوحى الله إلى موسى: أن دعهم وما اختاروا من ذلك، وامتحنَهم فيه بأن أمرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان، وشدد عليهم المحنة بأن كانت الحيتان تأتي يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية، قاله الحسن بن أبي الحسن(١)، وقيل: حتى تخرج خراطيمها من الماء، وذلك إمَّا بالإلهام من الله تعالى، أو بأمرٍ لا يعلَّل، وإما بأن فهَّمها معنى الأمنة التي في اليوم مع تكراره حتى فهمت ذلك، ألا ترى أنَّ الله تعالى قد ألهم الدواب معنى الخوف الذي في يوم الجمعة من أمر القيامة، يقضي بذلك قول النبي ﷺ: «ومَا مِنْ دَابَّةٍ إلَّا وهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمْعَةِ فَرَقاً مِنَ السَّاعَةِ»(٢)، وحمام مكة قد فهم الأمنة، أما إنها متصلةٌ فقرُب فهمُها.

وكان أمر بني إسرائيل بأيْلَةَ على البحر، فإذا ذهب السبت ذهبت الحيتان فلم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩٩) بقريب منه.

(٢) إسناده مستقيم، وأصله في الصحيحين من غير هذا القدر: أخرجه مالك (٢٤١)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٩٣)، وابن حبَّان (٧/ ٧)، والحاكم (١/ ٤١٣) وغيرهم من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه إنما اتفقا على أحرف من أوله في حديث الأعرج عن أبي هريرة: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، والإسناد مستقيم، إلا أنَّ محمد بن إبراهيم التيمي له أفراد ومناكير.

تظهر إلى السبت الآخر، فبقوا على ذلك زماناً حتى اشتهوا الحوت، فعمد رجل يوم السبت فربط حوتاً بخَزَمة[١]، وضرب له وتداً بالساحل، فلما ذهب السبت جاء وأخذه، فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع.

وقيل: بل حفر رجل في غير السبت حفيراً يخرج إليه البحر، فإذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل في الحفير، فإذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت، فجاء بعد السبت فأخذه، ففعل قوم مثل فعله، وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية، وباعوه في الأسواق، فكان هذا من أعظم الاعتداء، وكانت من بني إسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة، وكانت منهم فرقةٌ لم تعص ولم تنه، فقيل: نجت مع الناهين، وقيل: هلكت مع العاصين.

و﴿كُونُواْ﴾ لفظة أمر، وهو أمر التكوين، كقوله تعالى لكل شيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ولم يؤمروا في المصير إلى حال المسخ بشيء يفعلونه، ولا لهم فيه تكسُّبٌ.

و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ معناه: مبعدين أذلاء صاغرين، كما يقال للكلب وللمطرود: اخسأ، تقول: [خسأته][٢] فخسأ، وموضعه من الإعراب النصب على الحال، أو على خبرٍ بعد خبر.

وروي في قصصهم: أن الله تعالى مسخ العاصين قِرَدَةً بالليل، فأصبح الناجون إلى مساجدهم ومجتمعاتهم، فلم يروا أحداً من الهالكين، فقالوا: إن للناس لشأناً، ففتحوا عليهم الأبواب كما كانت مغلقة بالليل، فوجدوهم قِرَدَةً يعرفون الرجل والمرأة، وقيل: إن الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجدار، تبرِّياً منهم، فأصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين، فتسوروا عليهم الجدار فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض.

---

(١) شجرة يُتخذ من لحائها الحبال. النهاية (خزم).

(٢) في النسخة الحمزوية: أخسأته.

وروي عن النبيّ ﷺ وثبت عنه «أن المسوخ لا تنسُل ولا تأكل ولا تشرب ولا تعيش أكثر من ثلاثة أيام»[١].

ووقع في كتاب مسلم عنه عليه السلام «أنَّ أُمَّةً مِنَ الأمَمِ / فُقِدَتْ، وَأُرَاهَا الْفَأْرَ»[٢]. [٦٥]

وظاهر هذا أن المسوخ تَنسُل، فإن كان أراد هذا فهو ظنٌّ منه عليه السلام في أمر لا مدخل له في التبليغ، ثم أوحي إليه بعد ذلك أن المسوخ لا تنسل، ونظير ما قلناه نزوله عليه السلام على مياه بدر[٣]، وأمره باطِّراح تذكير النخل، وقد قال ﷺ: «إِذَا أَخْبَرْتُكُم بِرَأْيٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فإنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»[٤]، وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط وردّت أفهامهم كأفهام القردة[٥]، والأول أقوى.

والضمير في: (جعلناها): يحتمل العود على المسخة والعقوبة، ويحتمل على الأمة التي مسخت، ويحتمل على القردة، ويحتمل على القرية؛ إذ معنى الكلام يقتضيها، وقيل: يعود على الحيتان، وفي هذا القول بعدٌ.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق: لكن أخرج مسلم (٢٦٦٣) من حديث أم حبيبة زوج النبي ﷺ مرفوعاً: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً».

(٢) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٠٥)، ومسلم (٢٩٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «فقدت أمَّةٌ من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر».

(٣) إشارة إلى قول الحباب بن المنذر يوم بدر: يا رسول الله! هذا المنزل؛ أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، في قصة طويلة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤) وهي مرسلة، عن ابن إسحاق، وروى أبو داود في المراسيل (٢٩٦) عن محمد بن عبيد عن حماد عن يحيى بن سعيد نحواً منها.

(٤) صحيح بنحوه: هذا الحديث أخرجه مسلم (٢٣٦٢) من حديث رافع بن خديج بلفظ: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أن بشر» قال عكرمة: أو نحو هذا، وفيه ذكر تأبير النخل المشار له، ثم أخرجه من حديث أنس (٢٣٦٣) بلفظ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٧٣) وردَّ هذا التأويل بقوة.

و«النَّكال»: الزجر بالعقاب، والنِّكل والأنكال: قيود الحديد، فالنكال عقاب يُنْكَلُ بسببه غيرُ المعاقَب عن أن يفعل [مثلَ][1] ذلك الفعل.

قال السُّدي: «ما بين يدي المسخة»: ما قبلها من ذنوب القوم، و(ما خلفها): لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب[2]، وهذا قولٌ جيدٌ، وقال غيره: (مَا بَيْنَ يديها)؛ أي: من حضرها من الناجين، و(ما خلفها)؛ أي: لمن يجيء بعدها[3].

وقال ابن عباس: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾؛ أي: من بعدهم من الناس ليحذر ويتقي، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: لمن بقي منهم عبرة[4].

قال القاضي أبو محمد: وما أُراه يصح عن ابن عباس رضي الله عنه؛ لأنَّ دلالةَ ما بين اليد ليست كما في القول، وقال ابن عباس أيضاً: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ أي: من القرى[5]، فهذا ترتيبُ أجرامٍ لا ترتيبٌ في الزمان.

و(موعظة) مفعلة من الاتعاظ والازدجار، و﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ معناه: للذين نَهوا ونجوا، وقالت فرقة: معناه: لأمة محمد ﷺ، واللفظ يعم كلَّ متقٍ من كلِّ أمةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية: (إذ) عطف على ما تقدَّم، والمراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يَأْمُرْكُمْ﴾ بإسكان الراء، وروي عنه اختلاس الحركة[6]، وقد تقدّم القولُ في مثله في ﴿بَارِئِكُمْ﴾.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٧٨).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٩٦).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٧٧) من طريق الضحاك، عن ابن عباس ولم يسمع منه.

(٥) ضعيف: هذ الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٧٨) من طريق: ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال ابن عباس. ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه، وداود هذا قد ضُعف في عكرمة.

(٦) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٥٥).

وسبب هذه الآية على ما روي: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل أسنّ وكان له مالٌ، فاستبطَأ ابنُ أخيه موتَه، وقيل: أخوه، وقيل: ابنا عمِّه، وقيل: ورثة كثير غير معيَّنين، فقتله ليرثه وألقاه في سبط آخر غير سبطه ليأخذ ديته ويلطخهم بدمه، وقيل: كانت بنو إسرائيل في قريتين متجاورتين، فألقاه إلى باب إحدى المدينتين، وهي التي لم يُقتل فيها، ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلاً، فتعلق بالسبط أو بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها، فأنكروا قتله، فوقع بين بني إسرائيل في ذلك لحاء حتَّى دخلوا في السلاح.

فقال أهل النُّهى منهم: أنقتتل ورسول الله معنا؟ فذهبوا إلى موسى عليه السلام فقصُّوا عليه القصة، وسألوه البيان، فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة فيُضربَ القتيل ببعضها، فيحيى ويخبر بقاتله، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً﴾، فكان جوابهم أن قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[١].

قرأ الجحدري: (أيتخذنا) بالياء[٢]، على معنى: أيتخذنا الله، وقرأ حمزة: ﴿ هُزْؤاً﴾ بإسكان الزاي والهمز[٣]، وهي لغةٌ، وقرأ عاصم بضم الزاي والهاء والهمز، وقرأ أيضاً دون همز: ﴿هُزُوًا﴾، حكاه أبو علي[٤]، وقرأت طائفة من القراء بضم الهاء والزاي والهمزة بين بين[٥]، وروي عن أبي جعفر وشيبة[٦] ضم الهاء وتشديد الزاي: (هزّاً)[٧].

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٨٣-١٨٨) عن عبيدة وأبي العالية.

(٢) مختصر الشواذ (ص: ١٤)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢١٤) لابن محيصن، وهي قراءة شاذة.

(٣) أي: وبالهمز محققاً في حالة الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً إتباعاً للخط، كما في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٠١)، والثانية رواية حفص، انظر: التيسير (ص: ٧٤).

(٥) أي: التسهيل، ولم أقف عليه، وضعفه في غيث النفع (ص: ٣٨٧) في وقف حمزة، والمراد بالتخفيف في جامع البيان للداني (٢/ ٨٦٧) في بعض روايات نافع وعاصم سكون الزاي، وبالتثقيل ضمها، لا تسهيل الهمز أو تحقيقها، والله أعلم.

(٦) شيبة بن نصاح بن سرجس، مولى أم المؤمنين أم سلمة وأحد مشيخة نافع في القراءة، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأدرك عائشة وأم سلمة، وثقه النسائي، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٣١)، وفي فيض الله: «وأبي شيبة».

(٧) وهي قراءة شاذة عزاها لأبي جعفر ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٤)، وليست من طرق =

وهذا القول من بني إسرائيل ظاهره فسادُ اعتقادٍ ممن قاله، ولا يصح الإيمان ممن يقول لنبي قد ظهرت معجزاته، وقال: إن الله يأمر بكذا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، ولو قال ذلك اليوم أحد عن بعض أقوال النبي ﷺ لوجب تكفيره.

وذهب قومٌ إلى أن ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء والمعصية، على نحو ما قال القائل للنبي ﷺ في قسمة غنائم حنين: «إنَّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله»(١)، وكما قال له الآخر: «اعدل يا محمد»(٢)، وكلٌّ محتمل، والله أعلم.

وقول موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يحتمل معنيين:

أحدهما: الاستعاذة من الجهل في أن يخبِر عن الله تعالى مستهزئاً.

والآخر: من الجهل كما جهلوا في قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ لمن يخبرهم عن الله تعالى.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

هذا تعنتٌ منهم وقلةُ طواعية، ولو امتثلوا الأمر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما أمروا به، ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، قاله ابن عباس(٣)، وأبو العالية وغيرهما(٤).

= النشر، وعزاها له أيضاً الهذلي في الكامل (ص: ٣٧٤)، بالتشديد، وعزا لشيبة تخفيف الزاي.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٠٥) (٦١٠٠) (٦٢٩١) (٦٣٣٦)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٣٨) (٣٦١٠) (٦١٦٣) (٦٩٣٣) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٢/ ١٨٦) من طريق عمرو بن حماد بن طلحة عن أسباط عن السدي عن ابن عباس به. وفي (٢/ ٢٠٤) من طريق: الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٨٩).

ولغة بني عامر: ادْعِ بكسر العين[١]، و﴿مَا﴾ استفهام رفع بالابتداء، و﴿هِىَ﴾ خبره.

ورفع ﴿فَارِضٌ﴾ على النعت للبقرة على مذهب الأخفش، أو على خبر ابتداء مضمرٍ تقديره: لا هي فارض[٢].

و«الفارض»: المُسنَّة الهرمة التي لا تلد، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم، تقول: فرضت تفرض بفتح العين في الماضي، فروضاً، ويقال: فَرُضَتْ بضم العين، ويقال / لكلِّ ما قَدُم وطال أمده[٣]: فارض، وقال الشاعر: [٦٦]

يَا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فَارِضِ ... لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ[٤] [الرجز]

و«البكر من البقر»: التي لم تلد من الصغر[٥]، وحكى ابن قتيبة أنها التي ولدت ولداً واحداً[٦]، و«البكر من النساء»: التي لم يمسها الرجل، و«البكر من الأولاد»: الأول، ومن الحاجات: الأولى.

و«العوان» التي قد ولدت مرة بعد مرة، قاله مجاهد[٧]، وحكاه أهلُ اللغة، ومنه قول العرب: العَوَان لا [تعلَّم][٨] الخِمْرة[٩]، وحربٌ عوانٌ: قد قوتل فيها مرتين فما زاد.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٣١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٧).
(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١١٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٣٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٩٨).
(٣) سقطت من فيض الله، وفي أحمد٣، والسليمانية: «أمره».
(٤) استشهد به بلا نسبة تفسير الطبري (٢/ ١٩٠)، ومجالس ثعلب (ص: ٣٦٤)، والمعاني الكبير (ص: ٨٥٠، ١١٤٣)، والحيوان (٦/ ٦٦-٦٧)، والأضداد (ص: ٢٢)، وغيرهم، قال ابن قتيبة: «أي: له أوقات تهيج فيها عداوته»، وقال الجاحظ: «كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو ثم يستعر، ثم يخبو ثم يستعر».
(٥) تفسير الطبري (٢/ ١٩٣).
(٦) أدب الكاتب (١/ ١٣٣).
(٧) تفسير الطبري (٢/ ١٩٥).
(٨) في النسخة الحمزوية: «تعرف».
(٩) قال ابن دريد في الجمهرة (١/ ٥٩٢): واختمرت المرأة وتخمرت إذا تقنعت بالخمار، ومن أمثالهم: إن العوان لا تعلم الخمرة.

ورفعت ﴿عَوَانٌ﴾ على خبر ابتداء مضمر، تقديره: هي عوان، وجمعها: عُون بسكون الواو، وسمع: عُوُن بتحريكها[١] بالضم.

و﴿بَيْنَ﴾، بابها أن تضاف إلى اثنتين، وأضيفت هنا إلى ﴿ذَٰلِكَ﴾، إذ «ذلك» يشار به إلى المجملات، فـ«ذلك» عند سيبويه نازل منزلة ما ذكر، فهي إشارةٌ إلى مفرد على بابه، وقد ذكر اثنان فجاءت أيضاً ﴿بَيْنَ﴾ على بابها.

وقوله: ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ تجديدٌ[٢] للأمر، وتأكيدٌ وتنبيهٌ على ترك التعنتِ، فما تركوه، و﴿مَا﴾ رفع بالابتداء، ﴿لَوْنُهَا﴾ خبره.

وقال ابن زيد وجمهور الناس في قوله: ﴿صَفْرَآءُ﴾: إنها كانت كلَّها صفراء[٣].

قال مكيّ رحمه الله عن بعضهم: حتى القَرْن والظِّلْف[٤].

وقال الحسن بن أبي الحسن وسعيد بن جبير: كانت صفراءَ القرن والظلف فقط، وقال الحسن أيضاً: ﴿صَفْرَآءُ﴾ معناه: سوداء[٥]، وهذا شاذٌّ لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل، وبه فسّر قول الأعشى ميمون بن قيس:

[الخفيف]

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُهَا كَالزَّبِيبِ[٦]

و«الفقوع»: نعتٌ مختصٌّ بالصفرة، كما خص أحمر بقانئ، وأسود بحالك، وأبيض بناصع، وأخضر بناضر، و﴿لَوْنُهَا﴾ فاعلٌ بـ﴿فَاقِعٌ﴾.

---

(١) سقطت من جار الله، وفيه: «بضم الواو».

(٢) في نور العثمانية: «تشديد».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٠).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٠٧).

(٥) انظرهما تفسير الطبري (٢/ ١٩٩).

(٦) نسبه له الثعلبي في تفسيره (١/ ٢١٧)، والماوردي (٢/ ٤٢٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٤٠). والركاب: الإبل التي يسار عليها، لا واحد لها من لفظها، واحدتها راحلة. والزبيب: ذاوي العنب، وأسوده أجوده، يقول: كل ما أملك من خيل ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد الإبل، فهو من جود الممدوح، وهو أبو الأشعث الكندي.

و﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال وهب بن منبِّه[١]: كانت كأن شعاع الشمس يخرج من جلدها، فمعناه: تعجب الناظرين[٢]، ولهذا قال ابن عباس وغيره: الصفرة تَسرُّ النفس، وحضَّ ابنُ عباس على لباس النعال الصفر[٣]، حكاه عنه النقاش، وحكي نهي ابن الزبير[٤] ويحيى بن أبي كثير[٥] عن لباس النعال السود؛ لأنها تُهِم[٦].

وقال أبو العالية، والسُّدي: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ معناه: في سِمَنِها ومنظرها كلِّه[٧].

وسألوه بعد هذا كله عما هي، سؤال متحيرين قد أحسوا بمقت المعصية.

و﴿ٱلْبَقَرَ﴾ جمع بقرة، وتجمع أيضاً على باقر[٨]، وبه قرأ ابنُ يَعْمَرَ وعكرمة[٩]، وتجمع على بَقير وبَيْقور، ولم يقرأ بهما فيما علمت.

---

(١) وهب بن منبه ابن كامل بن سيج الأبناوي أبو عبد الله الصنعاني العالم الحبر، روى عن: ابن عباس، وأبي هريرة، ووثقه أبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وكان صدوقا عالما قد قرأ كتب الأولين وعرف قصص الأنبياء توفي سنة (١١٤هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩٧)

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٢).

(٣) موضوع: هذا الأثر أخرج نحوه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣)، والخطيب في الجامع (١/ ٣٩٢) من طريق: ابن العذراء، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «من لبس نعلاً صفراءَ لم يزل في سرور ما دام لابسها، وذلك قول الله: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٣٢٥)، والعلل (٦/ ٢٢٨): قال أبي: «هذا حديث كذب موضوع».

(٤) لم أجده.

(٥) يحيى بن أبي كثير الإمام أبو نصر، أحد الأعلام، اسم أبيه صالح، وقيل: يسار، مولى الطائيين وعالم أهل اليمامة، روى عن أنس بن مالك مرسلاً وعن أبي أمامة الباهلي وطائفة، روى عنه ابنه عبد الله ومعمر والأوزاعي، توفي سنة (١٢٩هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢٩٧).

(٦) رواه ابن المقرئ في معجمه (ص: ٤٠٣) عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بلفظ: كان يقال: إياكم وهذه النعال السود، فإنها تورث الهم.

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٠).

(٨) في السليمانية: «باقور».

(٩) الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥)، وزاد ابن أبي عبلة وكردابا، وهي قراءة شاذة.

وقرأ السبعة: ﴿تَشَـٰبَهَ﴾ فعل ماض، وقرأ الحسن: (تَشَّابَهُ) بشد الشين وضم الهاء، أصله: تتشابه ـ [وهي قراءة يحيى بن يَعْمَر ـ فأدغم، وقرأ أيضاً: (تَشَابَهُ) بتخفيف الشين على حذف التاء الثانية[١]][٢]، وقرأ ابن مسعود: (يَشَّابه) بالياء وإدغام التاء[٣]، وحكى المهدوي عن المعيطي[٤]: (يشَّبَّه) بتشديد الشين والباء دون ألف[٥].

وحكى أبو عمرو الداني قراءة: (متشبِّه) اسم فاعل من تَشَبَّه، وحكى أيضاً: (يتشابه)[٦].

وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابةٌ مّا وانقيادٌ، ودليلُ ندم وحرص على موافقة الأمر، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْلَا مَا اسْتَثْنَوا مَا اهْتَدَوا إِلَيْهَا أَبَداً»[٧].

والضمير في (إنّا)، هو اسم (إنَّ)، و(مهتدون) الخبر، واللام للتأكيد، والاستثناء اعتراضٌ، قدم على ذكر الاهتداء، تهمما به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٥) وكلها قراءات شاذةٌ.

(٢) ما بين المعكوفتين جاء في أحمد٣ قبل «وتجمع على بقير وبيقور.....».

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٤)، وقد كتبت فيه بالتاء، وهي قراءة شاذة.

(٤) هو محمد ذو الشامة المعيطي الشامي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى هارون بن موسى الأعور عن أبي نوح عنه أنه كان يقرأ: «إن الباقر يشَّابهُ علينا» بألف بين الباء والقاف وتشديد الشين ورفع الهاء. غاية النهاية (٢/ ٢٩٠).

(٥) في المطبوع: «تشبه» بالتاء، وكذلك هي في التحصيل (١/ ٢٦٠)، وقد نقلها عنه الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥)، بالتاء، وكذا نقلها البحر المحيط (١/ ٤١٠)، وظاهر ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٤) والزمخشري في الكشاف (١/ ١٥١)، أنه قرأ: إن الباقر يشابه، وهي قراءة شاذة.

(٦) عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥) الأولى لابن مسعود، والثانية لمجاهد.

(٧) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٤١) بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٠٠) وعزاه لابن مردويه في التفسير، ثم قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي.

﴿ذَلُولٌ﴾: مذللة بالعمل والرياضة، تقول: بقرة مذللة بيِّنة الذِّل بكسر الذال، ورجل ذلول بيِّن الذّل بضم الذال، و﴿ذَلُولٌ﴾ نعت لـ﴿بَقَرَةٌ﴾، أو على إضمار [هي][١].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي[٢]: (لا ذلولَ) بنصب اللام[٣].

و﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ معناه: بالحراثة، وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة؛ أي: لا ذلول مثيرة.

وقال قوم: ﴿تُثِيرُ﴾ فعل مستأنف، والمعنى: إيجاب الحرث، وأنها كانت تحرث ولا تسقي، ولا يجوز أن تكون هذه الجملة في موضع الحال؛ لأنها من نكرة.

و﴿تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ معناه: بالسانية أو غيرها من الآلات، و﴿ٱلۡحَرۡثَ﴾: ما حرث وزرع.

و﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ بناء مبالغة من السلامة.

قال ابن عباس[٤]، وقتادة، وأبو العالية: معناه: من العيوب[٥]، وقال مجاهد: معناه من الشِّيَات والألوان[٦]، وقال قوم: معناه: من العمل.

و﴿لَّا شِيَةَ﴾: أي لا خلاف في لونها هي صفراء كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد، قاله ابن زيد وغيره[٧].

و«الموشى»: المختلط الألوان، ومنه وشي الثوب: تزيينه بالألوان، ومنه الواشي لأنه يزين كذبه بالألوان من القول، والثور الأشيه: الذي فيه بلقة، يقال: فرس أبلق،

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي مقرئ الكوفة بلا مدافعة، قرأ القرآن على: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر، وروى عنه: إبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، قرأ عليه عاصم، توفي سنة (٧٤هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٥٥٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٠)، والكشاف (١/ ١٥١).

(٤) قاله ابن جريج عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٢/ ٢١٤).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٢١٤).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٢١٣-٢١٤).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢١٦).

وكبش أخرجُ، وتيس أبرق، وكلب أبقع، وثور [أشيهُ][(١)]، كل ذلك بمعنى البلقة.

وهذه الأوصاف في البقرة سببها أنهم شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، ودين الله يسر، والتعمق في سؤال الأنبياء عليهم السلام مذموم.

وقصة وجود هذه البقرة على ما روي: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل ولد له ابن، وكانت له عجلة، فأرسلها في غيضة، وقال: اللهم إني قد استودعتك هذه العجلة/ لهذا [٦٧] الصبي، ومات الرجل، فلما كبر الصبيُّ قالت له أمه: إن أباك قد استودع الله عجلة لك، فاذهب فخذها، فذهب فلما رأته البقرة جاءت إليه حتى أخذ بقرنيها، وكانت مستوحشة، فجعل يقودها نحو أمه، فلقيه بنو إسرائيل، ووجدوا بقرته على الصفة التي أمروا بها.

وروت طائفةٌ: أنه كان رجل من بني إسرائيل برّاً بأبيه، فنام أبوه يوماً وتحت رأسه مفاتيح مسكنهما، فمر به بائعُ جوهرٍ فسامه فيه بستين ألفاً، فقال له ابن النائم: اصبر حتى ينتبه أبي، وأنا آخذه منك بسبعين[(٢)] ألفاً، فقال له صاحب الجوهر: أنبه أباك وأنا أعطيكه بخمسين ألفاً، فداما كذلك حتى بلَّغه مئة ألف، وانحط صاحب الجوهر إلى ثلاثين ألفاً، فقال له ابن النائم: والله لا أشتريته منك بشيء، برّاً بأبيه، فعوضه الله منه أن وجدت البقرة عنده.

وقال قوم: وجدت عند عجوز تعول يتامى كانت البقرة لهم، إلى غير ذلك من اختلاف في قصتها، هذا معناه.

فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها، فاشتط عليهم، وكانت قيمتها على ما روي عن عكرمة ثلاثة دنانير، فأتوا به موسى عليه السلام، وقالوا: إن هذا اشتط علينا، فقال لهم: أرضوه في ملكه، فاشتروها منه بوزنها مرة، قاله عَبيدة السَّلْماني[(٣)]، وقيل: بوزنها

---

(١) في المطبوع: «أشيع».

(٢) في أحمد٣: «بستين».

(٣) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، كان أحد الفقهاء الكبار بالكوفة، أسلم زمن الفتح، ولم يلق النبيّ ﷺ، وأخذ عن علي، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون ويقرئون، توفي سنة (٧٢هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٤٨٣).

مرتين، وقال السدي: بوزنها عشر مرار، وقال مجاهد: كانت لرجل يبرُّ أمه، وأخذت منه بملء جلدها دنانير(١).

وحكى مكي: أن هذه البقرة نزلت من السماء، ولم تكن من بقر الأرض(٢)، وحكى الطبري عن الحسن أنها كانت وحشية(٣).

و﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾ مبني على الفتح، ولم يتعرف بهذه الألف واللام، ألا ترى أنها لا تفارقه في الاستعمال، وإنما بني لأنه ضمن معنى حرف التعريف، ولأنه واقعٌ موقع المبهم، إذ معناه: هذا الوقت، هو عبارة عما بين الماضي والمستقبل.

وقرئ: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ بسكون اللام وهمزة بعدها، و: (قالوا لَان) بمدة على الواو وفتح اللام دون همز، و: ﴿قالوا لان﴾ بحذف الواو في اللفظ دون همز، و: (قالوا ألآن)بقطع الألف الأولى وإن كانت ألف وصل، كما تقول: يا ألله(٤).

و﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ معناه عند من جعلهم عصاة: بيَّنت لنا غاية البيان، وجئت بالحق الذي طلبناه، لا أنه كان يجيء قبل ذلك بغير حق، ومعناه عند ابن زيد ـ الذي حمل محاورتهم على الكفر ـ: الآن صدقت، وأذعنوا في هذه الحال حين بين لهم أنها [سائمة](٥)، وقيل: إنهم عيّنوها مع هذه الأوصاف، وقالوا: هذه بقرة فلان(٦).

وهذه الآية تعطي أن الذبح أصل في البقر، وإن نُحرت أجزأت(٧).

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٢٢٠) إلا أن فيه عن عبيدة: بملء جلدها دنانير، وعن مجاهد: ذهباً.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣١٢) عن طلحة بن مصرف، بمعناه.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٩٩).

(٤) القراءة الثالثة رواية ورش عن نافع، على قاعدته المطردة في النقل، والتي قبلها وجه له على الاعتداد بالعارض، والأولى قراءة الجماعة غيره، وانظر الأوجه الأربعة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٠).

(٥) في النسخة الحمزوية، والمطبوع: «سليمة».

(٦) نقله عنه الطبري (٢/ ٢١٧).

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ عبارة عن تثبطهم[١] في ذبحها، وقلة مبادرتهم إلى أمر الله تعالى، وقال محمد بن كعب القرظي: كان ذلك منهم لغلاء البقرة وكثرة ثمنها.

وقال غيره: كان ذلك خوف الفضيحة في أمر القاتل، وقيل: كان ذلك للمعهود من قلة انقيادهم وتعنتهم على الأنبياء[٢].

وقد تقدَّم قَصَص القتيل الذي يراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾، والمعنى: قلنا لهم اذكروا إذ قتلتم.

و(ادَّارَأْتُم) أصله: تدارأتم، ثم أدغمت التاء في الدال فتعذر الابتداء بمدغم، فجلبت ألف الوصل، ومعناه: تدافعتم[٣]؛ أي: دفع بعضكم قتل القتيل إلى بعض، قال الشاعر:

[الرجز] صـادفَ درْءُ السـيلِ دَرءاً يَدفعُـهْ[٤] ....

وقال الآخر:

[الخفيف] مِـــدْرَأٌ يــــدْرَأُ الـخُـصُـومَ بقَوْلٍ مثْـل حدِّ الصَّمْصَامَـةِ الهُنْدُواني[٥]

---

(١) في نور العثمانية: «شطهم».

(٢) انظر قول محمد بن كعب في تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٤)، ومع الأقوال الأخرى في تفسير الطبري (٢/ ٢١٩).

(٣) في أحمد٣: ترافعتم.

(٤) ورد هذا البيت في قصة مساءلة أبي بكر ودغفل الشيباني، رواها ابن حبان في السيرة (١/ ٩٣)، والعسكري في جمهرة الأمثال (٢/ ٤١٥)، وحكى صاحب الأغاني (٢/ ٢٧٨) عن أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زبان أنه قاله في مجلس جمعه مع آخرين، وبعده: يهيضه حيناً وحيناً يصرعه، وفيه روايات أخرى، والمعنى: صادف الشرُّ شراً يغلبه، يضرب لمن يجد من هو أقوى منه.

(٥) لم أقف عليه في غير المحرر، ورأيت قريباً من الشطر الأول في بيت من قصيدة أبي طالب المشهورة التي يرثي بها مسافر بن أبي عمرو: يقول فيه: مدره يدرأ الخصوم بأيد وبوجه يزينه العِرْنين، انظر: الأغاني (٩/ ٦٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٦/ ٣١٢)، والمنمق في أخبار قريش (١/ ٣٧٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٣٤٠).

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ على النفس، وقيل: عائد[١] على القتلة.

وقرأ أبو حيوة، وأبو السَّوَّار الغَنَوي: (وإذ قتلتم نسمة فادَّارأتم)[٢]، وقرأت فرقة: (فتدارأتم) على الأصل[٣]، وموضع ﴿مَّا﴾ نصب بـ﴿مُخْرِجٌ﴾، والمكتوم هو أمر المقتول.

وقوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ آية من الله تعالى على يدي موسى عليه السلام أنْ أمَرهم أن يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيى ويخبر بقاتله، فقيل: ضربوه، وقيل: ضربوا قبره، لأن ابن عباس ذكر أن أمر القتيل وقع قبل جواز البحر، وأنهم داموا في طلب البقرة أربعين سنة، وقال القرظي: لقد أمروا بطلبها وما هي في صُلب ولا رَحِم بعدُ[٤].

وقال السدي: ضُرب باللحمة التي بين الكتفين، وقال مجاهد، وقتادة، وعَبيدة السَّلماني: ضرب بالفخذ، وقيل: ضرب باللسان، وقيل: بالذنَب، وقال أبو العالية: بعظم من عظامها[٥].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية، الإشارة بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى الإحياء الذي تضمنه قَصَص الآية؛ إذ في الكلام حذف، تقديره: فضربوه فحيي.

وفي هذه الآية حض على العبرة، ودلالة على البعث في الآخرة. وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل حينئذ، حكي لمحمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة، وذهب

---

(١) عائد: من نور العثمانية.

(٢) هكذا في جميع النسخ: «نسمة»، وليست في شيء من كتب القراءات، ولا تكاد تصح، فهو مخالف للمصحف، وليس المذكوران من الصحابة الذين لهم روايات قبل مصحف عثمان، وفي البحر المحيط (١/ ٤١٩): «قال ابن عطية: قرأ أبو حيوة، وأبو السوار الغنوي: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم،....، ونقل من جمع في التفسير أن أبا السوار قرأ: فادرأتم، بغير ألف قبل الراء».

(٣) عزاها في البحر المحيط (١/ ٤١٨)، وتفسير الألوسي (١/ ٢٩٣)، لأبي حيوة، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٦٥) لأبي بن كعب.

(٤) نقله أبو حيان في البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٢٠) بلا نسبة.

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٢٣٠).

الطبريُّ إلى أنها خطاب لمعاصري محمد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[(١)]، [وروي أن هذا القتيل لما حيي وأخبر بقاتله عاد ميتا كما كان][(٢)].

واستدل مالك ـ رحمه الله ـ بهذه النازلة على تجويز قول القتيل[(٣)]، وأن تقع معه القسامة[(٤)].

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ / عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [٦٨].

﴿قَسَتْ﴾ أي: صلُبت وجفَت، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى.

وقال ابن عباس: «المراد قلوب ورثة القتيل»[(٥)]؛ لأنهم حين حيي وقال: إنهم قتلوه، وعاد إلى حال موته، أنكروا قتله، وقالوا: كذب، بعد ما رأوا هذه الآية العظمى، لكن [نفذ حكم][(٦)] الله تعالى بقتلهم.

قال عَبيدة السَّلماني: ولم يرث قاتل من حينئذ[(٧)].

قال القاضي أبو محمد: وبمثله جاء شرعنا.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٣).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) نهاية سقط من النسخة الحمزوية، يبدأ من قوله: «بعضكم قتل القتيل».

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٢٠٨).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٣٤)، بإسناد مسلسل بالضعفاء، وقد سبق مراراً.

(٦) في الحمزوية: «بعد أمر»، وفي السليمانية: «بعد حكم».

(٧) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣١١) بمعناه.

وحكى مالك رحمه الله في «الموطأ»، أن قصة أحيحة بن الجلاح في عمه هي التي كانت سبباً أن لا يرث قاتل، ثم ثبَّت ذلك الإسلامُ، كما ثبَّت كثيراً من نوازل الجاهلية[١].

وقال أبو العالية وقتادة وغيرهما: إنما أراد الله قلوب بني إسرائيل جميعاً في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ الآية، الكاف في موضع رفع خبر لـ(هي)، تقديره: فهي مثل الحجارة.

﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ مرتفعٌ بالعطف على الكاف، أو على خبر ابتداء بتقدير تكرار (هي)، و﴿قَسْوَةً﴾ نصب على التمييز.

والعرف في «أو» أنها للشكِّ، وذلك لا يصح في هذه الآية، واختلف في معنى ﴿أَوْ﴾ هنا:

فقالت طائفة: هي بمعنى الواو، كما قال تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]؛ أي: وكفوراً، وكما قال الشاعر:

نَـالَ الْخِلافَـةَ أَوْ كَانَـتْ لَـهُ قَـدَراً   كَمَـا أَتَـى رَبَّه مُوسَـى عَلَى قَـدَرِ[٣] [البسيط]

أي: وكانت له.

وقالت طائفة: هي بمعنى: بل، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] المعنى: بل يزيدون، وقالت طائفة: معناها التخيير، أي: شبهوها بالحجارة تصيبوا، أو بأشد من الحجارة تصيبوا، وقالت فرقة: هي على بابها في الشك، معناه: عندكم أيها المخاطبون وفي نظركم، أن لو شاهدتم قسوتها لشككتم: أهي كالحجارة أو أشد من الحجارة؟[٤].

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٨٦٨) من كلام عروة.

(٢) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٧)، عن قتادة، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٦)، عن أبي العالية.

(٣) البيت لجرير في ديوانه (١/ ٢٦٧)، ونسبه له في الأغاني (٨/ ٥١)، والجمل في النحو (١/ ٣٠٧)، والعقد الفريد (١/ ٣٢٩).

(٤) انظر أقوال الطوائف الثلاث في تفسير الطبري (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٦).

وقالت فرقة: هي على جهة الإبهام على المخاطب، ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

[الوافر] أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَدِيداً وَعَبَّاساً وَحَمْزَةَ أوْ عَلِيَّا[١]

ولم يشك أبو الأسود، وإنما قصد الإبهام على السامع، وقد عورض أبو الأسود في هذا، فاحتجَّ بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهذه الآية مفارِقة لبيت أبي الأسود، ولا يتم معنى الآية إلا بـ ﴿أَوۡ﴾[٢].

وقالت فرقة: إنما أراد الله تعالى أن فيهم مَن قلبُه كالحجر، وفيهم من قلبه أشد من الحجر، فالمعنى فهي فرقتان كالحجارة أو أشد، ومثل هذا قولك: أطعمتك الحلو أو الحامض، تريد أنه لم يخرج ما أطعمته عن هذين[٣].

وقالت فرقة: إنما أراد عزَّ وجلَّ أنها كانت كالحجارة يُترجى لها الرجوع والإنابة، كما تتفجر الأنهار ويخرج الماء من الحجارة، ثم زادت قلوبهم بعد ذلك

---

(١) عزاه له الطبري (٢/ ٢٣٥)، والسمعاني (٤/ ٣٣٢)، وصاحب الأغاني (٧/ ٢٦٩)، والمبرد في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٥١)، وفي نسخة تشربتي: «والوصيا» بدل «أو عليا»، وكذلك هي رواية هؤلاء وكثيرين غيرهم.

(٢) ظاهره أن محل الشاهد في قوله: «أو عليا»، وتابعه السمينُ (١/ ٤٣٦) وابنُ عادل (٢/ ١٨٤)، والصواب أن المعارضة إنما هي في البيت الذي بعده وهو: فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا، كما صرح به الطبري وتابعه القرطبي (١/ ٤٦٣) وغيره، ويؤيده رواية: «والوصيا» التي أشرنا لها، وتفصيل المعارضة ما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٠٠) أنه لما قال الأبيات كتب معاوية إلى عبيد الله بن زياد: إن عرفت أبا الأسود، وإلا فاسأل عنه، ثم أخبره أنه قد شك في دينه، فإذا قال: بماذا؟ فأخبره بقوله: فإن يك حبهم رشداً أنله، البيت.. فقال أبو الأسود:.. إنما قلت كما قال العبد الصالح: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أفتراه شك في دينه؟! وفي الأغاني (١٢/ ٣٧٢): فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك، فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل، وذكر الآية، والله أعلم.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٦).

قسوة بأن صارت في حدِّ مَن لا ترجى إنابته، فصارت أشد من الحجارة، فلم تَخْلُ أن كانت كالحجارة طوراً أو أشد طوراً.

وقرأ أبو حيوة: (قساوة)، والمعنى واحد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآية، معذرةٌ للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم في معنى قلة القسوة.

وقال قتادة: عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقيّ بني آدم[٢].

وقرأ قتادة: (وإنْ) مخففة من الثقيلة، وكذلك في الثانية والثالثة[٣]، وفرَّق بينها وبين النافية لام التأكيد، في ﴿لَمَا﴾، و(ما) في موضع نصب اسم لـ(إنَّ)، ودخلت اللام على اسم (إنَّ) لمّا حال بينهما المجرور، ولو اتصل الاسم بـ(إنَّ) لم يصح][٤] دخول اللام لثقل اجتماع تأكيدين.

وقرأ مالك بن دينار[٥]: (ينفجر) بالنون وياء من تحتُ قبلَها وكسر الجيم[٦].

ووحِّد الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ حملاً على لفظ (ما).

وقرأ أبي بن كعب والضحاك: (منها الأنهار)، حملاً على الحجارة[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وزادا آخرين، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠).

(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٩١)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

(٤) سقط من الحمزوية.

(٥) هو مالك بن دينار الزاهد، أبو يحيى البصري أحد الأعلام. يقال: إن أباه من سبي سجستان، روى عن أنس وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وجماعة، وعنه سعيد بن أبي عروبة وابن شوذب وهمام، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٢١٤).

(٦) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وهي قراءة شاذة.

(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٩)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٦)، وهي قراءة شاذة.

و﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ جمع نهر، وهو ما كثر ماؤه [جرياً][(١)] من الأخاديد.

وقرأ طلحة بن مصرف: (لَمَّا) بتشديد الميم في الموضعين[(٢)]، وهي قراءة غير متجهة[(٣)].

و﴿يَشَّقَّقُ﴾ أصله: يتشقق، أدغمت التاء في الشين، وهذه عبارة عن العيون التي لم تعْظُم حتى تكون أنهاراً، أو عن الحجارة التي تشقق وإن لم يجرِ ماءٌ منسفح.

وقرأ ابن مصرف: (ينشقِقُ) بالنون[(٤)].

وقيل في هبوط الحجارة: تفيؤ ظلالها، وقيل: المراد: الجبل الذي جعله الله دكًّا[(٥)]، وقيل: إنَّ الله تعالى يخلق في بعض الأحجار خشية وحياة يهبط بها[(٦)] من علوٍ تواضعاً، ونظير هذه الحياة حياة الحجر المسلِّم على النبي ﷺ[(٧)]، وحياة الجذع الذي

---

(١) سقط من الحمزوية، وفي أحمد٣ ما صورته: «كبريا».

(٢) تابعه في عزوها له أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٢٦)، ونقلها الكرماني في الشواذ (ص: ٦٦) عن الضحاك، وابن خالويه في المختصر (ص: ١٤) عن الأعمش ومالك بن دينار، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٨٢) عن المطوعي في الثلاثة بخلاف في الأخيرين.

(٣) في الحمزوية: «غير صحيحة»، ووافقه في الدر المصون (١/ ٤٣٨)، وقال أبو حيان (١/ ٤٢٦) معقبا: «هذا إذا كان يقرأ: (وإنّ) بالتشديد، أما إذا قرأ بتخفيف (إن).. وهو المظنون به..فيظهر توجيهها بعض ظهور..»، مع أن التخفيف لم ينقل إلا عن قتادة.

(٤) في السليمانية وجار الله: «ينشق»، (بقاف واحدة)، قال في البحر المحيط (١/ ٤٢٨): «وقرأ الأعمش: تشقق، بالتاء والشين المخففة على الأصل، ورأيتها معزوة لابن مصرف، وفي النسخة التي وقفت عليها من تفسير ابن عطية. ما نصه: وقرأ ابن مصرف: ينشقق، بالنون وقافين، والذي يقتضيه اللسان أن يكون بقاف واحدة مشددة، وقد يجيء الفك في شعر، فإن كان المضارع مجزوماً جاز الفك فصيحاً، وهو هنا مرفوع فلا يجوز الفك، إلا أنها قراءة شاذة فيمكن أن يكون ذلك فيها»، والذي في الشواذ للكرماني (ص: ٦٧) أن طلحة قرأ: «يشقق»، بالتخفيف، وفيه وفي تفسير الثعلبي (١/ ٢٢١) عن الأعمش: «يتشقق» على الأصل، والله أعلم.

(٥) القولان في تفسير الطبري (٢/ ٢٤١).

(٦) في الحمزوية وفيض الله وجار الله: «هبط منها».

(٧) صحيح: يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن».

أنّ لفقد النبيّ ﷺ[1]، وقيل: لفظة الهبوط مجازٌ؛ [لما كانت الحجارة يعتبر بخلقها ويخشع بعض منظرها[2]، أضيف][3] تواضع الناظر إليها، كما قالت العرب: ناقة تاجرة؛ أي: تبعث من يراها على شرائها.

وقال مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج ماء منه، إلا مِنْ خَشْيَةِ الله، نزل بذلك القرآن، وقال مثله ابن جريج، وحكى الطبري عن فرقة أن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧][4]، وكما قال زيدُ الخيل:

بجَمْعٍ تضلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ ... ترىٰ الأُكْمَ فيه سُجَّداً للْحَوَافِرِ[5] [الطويل]

وكما قال جرير:

....والجبالُ الخُشَّعُ[6] [الكامل]

أي: من رأى الحجر هابطاً / تخيل فيه الخشية[7]. [٦٩]

وهذا قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّ براعة معنى الآية تختلُّ به، بل القوي أن الله تعالى يخلق للحجارة قَدْراً مّا من الإدراك تقع به الخشية والحركة.

---

(١) صحيح: يشير إلى ما أخرجه البخاري (٣٥٨٥) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت».

(٢) العبارة في «تفسير القرطبي»: «لما كانت القلوب تعتبر بخلقها وتخشع بالنظر إليها»، وهي واضحة.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع: وذلك أنّ الحجارة ـ لما كانت القلوبُ تَعتبر بخلقها وتخشع ببعض مناظرها ـ أضيف .. إلخ.

(٤) الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠).

(٥) هو لزيد الخيل، كما تقدم قريباً في تفسير الآية (٣٣).

(٦) البيت بتمامه: لما أَتَى خبرُ الزبيرِ تواضعتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ نسبه له سيبويه في الكتاب (١/ ٥٢)، والمبرد في الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٥)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٧٢٣)، وابن فارس في مقاييس اللغة (٢/ ١٤٦)، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٦٠٧).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٢).

و﴿بِغَٰفِلٍ﴾ في موضع نصب خبر (ما)؛ لأنها الحجازية، يقوي ذلك دخول الباء في الخبر، وإن كانت الباء قد تجيء شاذة مع التميمية.

وقرأ ابن كثير: ﴿يعملونَ﴾ بالياء(١)، والمخاطبة على هذا لمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ الآية: الخطاب للمؤمنين من أصحاب محمد ﷺ، وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم، ومعنى هذا الخطاب: التقرير على أمر فيه بعدٌ، إذ قد سلفت لأسلاف هؤلاء اليهود أفاعيل سوء، وهؤلاء على ذلك السنن.

و«الفريق»: اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب.

وقال مجاهد والسدي: عني بالفريق هنا الأحبار الذين حرَّفوا التوراة في صفة محمد ﷺ(٢).

وقيل: المراد كل مَن حرَّف في التوراة شيئاً، حكماً أو غيره، كفعلهم في آية الرجم ونحوها، وقال ابن إسحاق والربيع(٣): عني السبعون الذين سمعوا مع موسى عليه السلام ثم بدلوا بعد ذلك(٤)، وفي هذا القول ضعفٌ، ومن قال: إنَّ السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم.

وقرأ الأعمش: (كَلِمَ الله)(٥).

---

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، وجاء في السليمانية وأحمد٣: «تعملون» بالتاء، وهو خطأ.

(٢) نقله تفسير الطبري (٢/ ٢٤٦) عن مجاهد وابن أبي نجيح بلفظ: «هم العلماء منهم»، ونقل عن السدي (٢/ ٢٤٦): «هي التوراة، حرفوها».

(٣) سقط ذكر «الربيع» من فيض الله، وأحمد٣، مع أن القول منسوب له كما في الهامش التالي.

(٤) انظر قولهما بالمعنى في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٦)، وانظر أيضاً تفسير السمعاني (١/ ٩٧)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٤).

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ٩٣)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٤)، وهي قراءة شاذة.

و«تحريف الشيء»: إمالته[١] من حال إلى حال، وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن تحريفهم وتبديلهم إنما هو بالتأويل، ولفظ التوراة باقٍ[٢].

وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظاً من تلقائهم، وأن ذلك ممكن في التوراة؛ لأنهم استُحفظوها، وغير ممكن في القرآن؛ لأن الله تعالى ضَمِن حِفْظَه.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾.

المعنى: وهم أيضاً إذا لقوا يفعلون هذا، فكيف يُطمع في إيمانهم؟ ويحتمل أن يكون هذا الكلام مستأنفاً مقطوعاً من معنى الطمع[٣]، فيه كشف سرائرهم.

وورد في التفسير: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا قَصَبَةَ الْمَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، فقال كعب بن الأشرف ووهب بن يهوذا وأشباههما: اذهبوا وتحسسوا أخبار من آمن بمحمد وقولوا لهم: آمنا، واكفروا إذا رجعتم، فنزلت هذه الآية[٤].

وقال ابن عباس: نزلت في منافقين من اليهود[٥]، وروي عنه أيضاً أنها نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين: نحن نؤمن أنه نبي مرسل[٦]، ولكن ليس إلينا، وإنما هو إليكم خاصة، فلما خلوا قال بعضهم: لمَ تُقِرُّون بنبوته وقد كنا قبل نستفتح به؟ فهذا هو الذي فتح الله عليهم من علمه[٧].

---

(١) في الأصل: «إحالته».

(٢) لم أجده.

(٣) في الحمزوية: «الجمع».

(٤) مرسل: هذا الخبر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٣) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٥) ضعيف: أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٠) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف.

(٦) من الحمزوية.

(٧) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٠) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ولا يُعرف.

وأصل ﴿ خَلَا ﴾: خَلَوَ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً.

وقال أبو العالية، وقتادة: [إنَّ بعض اليهود تكلم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ، فقال لهم كفرة الأحبار: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفكم من صفة محمد فيحتجون عليكم إذ تقرون به ولا تؤمنون به؟.

وقال السدي][1]: إنَّ بعض اليهود حكى لبعض المسلمين ما عذِّب به أسلافهم، فقال بعض الأحبار: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب، فيحتجون عليكم ويقولون: نحن أكرم على الله حين لم يفعل بنا [مثل][2] هذا؟[3].

و﴿فَتَحَ﴾ على هذا التأويل بمعنى: حكم.

وقال مجاهد: إن رسول الله ﷺ قال لبني قريظة: «يَا إِخْوَةَ الخَنَازِيرِ والْقِرَدَةِ»، فقال الأحبار لأتباعهم: ما عَرف هذا الأمرَ[4] إلا مِن عندكم، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾؟[5].

وقال ابن زيد: كانوا إذا سئلوا عن شيء، قالوا: في التوراة كذا وكذا، فكرهت الأحبار ذلك، ونهوا في الخلوة عنه، ففيه نزلت الآية[6].

والفتح في اللغة ينقسم أقساماً تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام، وإلى هذا يرجع الحكم وغيره، والفتَّاح هو القاضي بلغة اليمن[7].

و«يحاجوكم» من الحجة، وأصله من حج: إذا قصد، لأنَّ المتحاجّينِ كل واحد منهما يقصد غلبة الآخر.

---

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) ليست في المطبوع والسليمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٣).

(٤) من أحمد٣.

(٥) مرسل: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٢).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٣).

(٧) تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩).

و﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: في الآخرة، وقيل: ﴿عِندَ﴾ بمعنى: في ربكم؛ أي: فيكونون أحق به، وقيل: المعنى: عند ذكر ربكم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قيل: هو من قول الأحبار للأتباع، وقيل: هو خطاب من الله للمؤمنين؛ أي: أفلا تعقلون أن بني إسرائيل لا يؤمنون وهم بهذه الأحوال.

والعقل [علوم ضرورية][(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء من أسفل، وقرأ ابن محيصن: (أَوَلا تعلمون) بالتاء[(٢)] خطاباً للمؤمنين.

والذي أسرُّوه كفرهم، والذي أعلنوه قولهم: آمنا، هذا في سائر اليهود، والذي أسره الأحبار صفة محمد ﷺ والمعرفة به، والذي أعلنوه الجحد به، ولفظ الآية يعم الجميع.

و﴿أُمِّيُّونَ﴾ هنا عبارة عن جَهَلَةٍ بالتوراة.

قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: المعنى: ومن هؤلاء اليهود المذكورين، فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم، أي: إنهم ممن لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال[(٣)]، وقيل: المراد هنا بالأميين: قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا أميين.

وقال عكرمة والضحاك: هم في الآية نصارى العرب[(٤)]، وقيل عن / علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه قال: هم المجوس[(٥)]. [٧٠]

والضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذه الأقوال هو للكفار أجمعين، وقول أبي العالية ومجاهد أوجه هذه الأقوال.

---

(١) في أحمد٣ وفيض الله: «علم ضروري».

(٢) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٢)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤)، وزاد قتادة، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٧).

(٤) انظر القولين في الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣١٩).

(٥) لم أجده.

وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة: (أمِيون) بتخفيف الميم[١].

والأمي في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، نُسب إلى الأم: إما لأنه بحال أمه من عدم الكتاب لا بحال أبيه، إذ النساء ليس مِن شُغلهن الكتاب، قاله الطبري[٢]، وإمَّا لأنه بحالٍ ولدته أمه فيها لم ينتقل عنها، وقيل: نُسب إلى الأُمَّة [وهي القامة والخلقة، كأنه ليس له من الآدميين إلا ذلك، وقيل: نسب إلى الأُمَّة][٣] [على سذاجتها][٤] قبل أن تعرف المعارف، فإنها لا تقرأ ولا تكتب؛ ولذلك قال النبي ﷺ في العرب: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ»[٥] الحديث.

والألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعهد، ويعني به التوراة في قول أبي العالية ومجاهد[٦].

و«الأماني»: جمع أمنيَّة.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، ونافع في بعض ما روي عنه: ﴿أماني﴾ بتخفيف الياء[٧].

وأصل أمنية أُمْنُوْيَة على وزن أفعولة، ويجمع هذا الوزن على أفاعل، وعلى هذا يجب تخفيف الياء، ويجمع على أفاعيل، فعلى هذا يجيء أمانيي أدغمت الياء في الياء فجاء: أمانيّ.

---

(١) البحر المحيط (١/ ٤٤٤)، وعزا في الدر المصون (١/ ٤٤٥) لابن أبي عبلة: تخفيف الياء، قال: كأنه استثقل توالي تضعيفين.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٩).

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) في الحمزوية: «وعلى هذا جبل».

(٥) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً بلفظ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا» وعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ «والشَّهْرُ هَكَذَا، وهَكَذَا، وهَكَذَا» يَعْنِي تَمَامَ ثَلَاثِينَ.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣٢٠).

(٧) أما قراءة أبي جعفر فمتواترة كما في النشر (٢/ ٢١٧)، وعزاها له ولشيبة والحسن والأعرج تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٣)، وزاد في البحر المحيط (١/ ٤٤٥) ابن جماز عن نافع، وهارون عن أبي عمرو.

واختلف في معنى ﴿أَمَانِيَّ﴾:

فقالت طائفة: هي هنا من تمنَّى الرجلُ: إذا ترجى، فمعناه أن منهم من لا يكتب ولا يقرأ وإنما يقول بظنه شيئاً سمعه، فيتمنى أنه من الكتاب[١]، وقال آخرون: هي من تمنَّى: إذا تلا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، ومنه قول الشاعر:

تـمـنَّـى كتــابَ الله أولَ لـيْــلِـهِ وآخـرَهُ لاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ[٢] [الطويل]

فمعنى الآية: أنهم لا يعلمون الكتاب إلا سماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته.

وقال الطبري: هي من تمنى الرجل: إذا حدث بحديث مختلق كذب، وذكر أهل اللغة أن العرب تقول: تمنى الرجل: إذا كذب واختلق الحديث[٣]، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: «ما تمنيت ولا تغنيت منذ أسلمت»[٤]، فمعنى الآية: أن منهم أميين لا يعلمون الكتاب، إلا أنهم يسمعون من الأحبار أشياء مختلقة يظنونها من الكتاب.

---

(١) أخرجه الطبري عن مجاهد، تفسير الطبري (٢/ ٢٦١).

(٢) البيت لكعب بن مالك كما في النكت والعيون (١/ ١٥٠)، تفسير القرطبي (٢/ ٦)، ونسبه الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٣٨) لحسان، وهو في العين (٨/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٥)، سيرة ابن هشام (١/ ٥٣٨)، بلا نسبة.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٢).

(٤) لا يصح، أخرجه ابن ماجه (٣١١) من طريق: الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان قال: سمعت عثمان بن عفان. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٩٢) من طريق: أبي يحيى الحماني ثنا عبد الأعلى ابن أبي المساور عن الشعبي عن زيد بن أرقم قال... فأخذ عثمان بيدي فانطلق أو ذهب بي حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما هذه البلوى التي تصيبني ؟ فوالله ما تغنيت ولا تمنيت، والإسنادان تالفان، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٥٣) من طريق: ابن لهيعة، قال: حدثني يزيد بن عمرو المعافري، قال: سمعت أبا ثور الفهمي يقول: قدم عبد الرحمن بن عديس البلوي... فقال أبو ثور: فدخلت على عثمان وهو محصور.. وابن لهيعة سيئ الحفظ، وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢٠١) عن الصقر بن عبد الرحمن أبي بهز ابن بنت مالك بن مغول عن عبد الله بن إدريس، عن المختار بن فلفل، عن أنس مطولا، وهو حديث كذب موضوع، راجع لسان الميزان (٣/ ١٩٢) ترجمة الصقر هذا.

و﴿ إِنْ ﴾ نافية بمعنى: مَا، والظن هنا على بابه في الميل إلى أحد الجائزَيْنِ[١].

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

(الذين) في هذه الآية يراد بهم الأحبار والرؤساء.

قال الخليل: «الويل»: شدة الشر[٢].

وقال الأصمعي: «الويل»: القبوح، وهو مصدر لا فعل له، ويجمع على ويلات[٣]، والأحسن فيه إذا انفصل الرفع؛ لأنه يقتضي الوقوع، ويصح النصب على معنى الدعاء؛ أي: ألزمه الله ويلاً، وويل وويح وويس وويب تتقارب في المعنى، وقد فرق بينها قوم.

وروى سفيان وعطاء بن يسار: أنَّ[٤] الويل في هذه الآية: وادٍ يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار[٥]، وروى أبو سعيد الخدري [عن النبي ﷺ][٦] أنه «واد

(١) في السليمانية: الجانبين.

(٢) عبارته في كتاب العين (٨/ ٣٦٦) : الويل حلول الشر، والويلة الفضيحة والبليّة.. ويجمع على الوَيْلات.

(٣) نقله عنه ابن عرفة في تفسيره (١/ ٣٤٧) بلفظ: الويل القبائح.

(٤) في الحمزوية: «وروي..... قالا: إن...».

(٥) انظر قول عطاء في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٣)، وقول سفيان في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٢١) مختصراً.

(٦) ساقط من السليمانية وجار الله.

في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفاً»[١]، وقال [أبو عياض][٢]: إنه صهريج في جهنم[٣]، وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «جبل من جبال النار»[٤]، وحكى الزهراوي عن آخرين أنه باب من أبواب جهنم[٥].

و(الذين يكتبون): هم الأحبار الذين بدلوا التوراة.

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ بيان لجُرمهم وإثبات لمجاهرتهم الله، وفرق بين من كتب وبين من أمر، إذ المتولي للفعل [أشدُّ مواقعة ممن لم يتوله، وإن كان رأياً له، وقال ابن السراج: هو كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم وإن لم تكن حقيقة][٦] في كتب أيديهم[٧].

والذي بدلوا هو صفة النبي ﷺ ليستديموا رياستهم ومكاسبهم.

وقال ابن إسحاق: كانت صفته في التوراة أسمر ربعة، فردوه آدم طويلاً[٨]، وذكر السدي: أنهم كانوا يكتبون كتباً يبدلون فيها صفة النبي ﷺ، ويبيعونها من

---

(١) منكر: هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، والترمذي (٢٥٧٦، ٣١٦٤)، وأبو يعلى (٢/ ٢٦٩) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢/ ٥٥١) وغيرهم من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به. قال الترمذي: «هذا حديث غريب». وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٣١٢): هو بهذا الإسناد مرفوعاً منكر.
تنبيه: لفظة: «بين جبلين»، الواردة هاهنا، لم أجدها في شيء من مصادر الحديث.

(٢) في الحمزوية: «ابن عباس».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٦٧).

(٤) ضعيف: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٢٧١) بلفظ: «الويل: جبل في النار». قال الحافظ ابن كثير لما أورده في تفسيره (١/ ٣١٢) من رواية ابن جرير: «وهذا غريب جدّاً». وقال الحافظ ابن رجب في التخويف من النار (ص: ١١٧): «إسناده فيه نظر».

(٥) نقله عنه تفسير القرطبي (٢/ ٨).

(٦) ساقط من نسخة أحمد٣، وفيه بدله: «أثر».

(٧) نقله عنه تفسير القرطبي (٢/ ٩).

(٨) نقله عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٢٣).

الأعراب ويبثونها في أتباعهم، ويقولون: هي من عند الله[١].

وتناسق هذه الآية على التي قبلها يعطي أن هذا الكَتْبَ والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم.

و«الثمن» قيل: عرض الدنيا، وقيل: الرشا والمآكل التي كانت لهم، ووصفه بالقلة إما لفنائه وإما لكونه حراماً، وكرر الويل لتكرار الحالات التي استحقوه بها.

و﴿يَكۡسِبُونَ﴾ معناه: من المعاصي والخطايا، وقيل: من المال الذي تضمنه ذكر الثمن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ الآية، روى ابن زيد وغيره أن سببها أن النبي ﷺ قال لليهود: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟» فقالوا: نحن ثم تخلفوننا أنتم، فقال لهم: «كَذَبْتُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا لَا نَخْلُفُكُمْ»، فنزلت هذه الآية[٢].

ويقال: إنَّ السبب أن اليهود قالت: إن الله تعالى أقسم أن يدخلهم النار أربعين يوماً عدد عبادتهم العجل، قاله ابن عباس[٣] / وقتادة[٤]. [٧١]

وقالت طائفة: قالت اليهود: إنَّ في التوراة أنَّ طول جهنم مسيرة أربعين سنة، وأنهم يقطعون في كل يوم سنة حتى يكملوها وتذهب جهنم.

وقال ابن عباس[٥] أيضاً، ومجاهد، وابن جريج: إنهم قالوا: إنَّ مدة الدنيا سبعة

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٧٠) بالمعنى.

(٢) مرسل، وهو صحيح بدون ذكر الآية: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٧) من حديث عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه، مرسلاً. وأخرجه البخاري (٥٧٧٧)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٣) من حديث أبي هريرة بنحوه، بدون ذكر الآية.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٤) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وهو إسناد ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢ / ٢٧٥).

(٥) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٧) بإسناد فيه من لا يعرف.

آلاف سنة، وإن الله تعالى يعذبهم بكل ألف سنة يوماً[١].

وَ(اتخذتم) أصله: «ائتخذتم»، وزنه: افتعلتم من الأخذ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع جمع همزتين فجاء: «ايتخذتم»، فاضطربت الياء في التصريف فجاءت ألفاً في «ياتخذوا»، وواواً في «موتخذ» فبدلت بحرفٍ جَلْدٍ ثابت وهو التاء وأدغمت، فلما دخلت في هذه الآية ألف التقرير استغني عن ألف الوصل، ومذهب أبي علي أن «اتخذتم» من «تخذ» لا من «أخذ» وقد تقدم ذكر ذلك[٢].

وقال أهل التفسير: «العهد» من الله تعالى في هذه الآية: الميثاق والوعد، وقال ابن عباس وغيره: معناه: هل قلتم: لا إله إلا الله وآمنتم وأطعتم فتدِلون بذلك وتعلمون أنكم خارجون من النار؟[٣]، فعلى هذا التأويل الأول يجيء المعنى: هل عاهدكم الله على هذا الذي تدعون؟ وعلى التأويل الثاني يجيء: هل أسلفتم عند الله أعمالاً توجب ما تدعون؟

وقوله: ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ اعتراضٌ أثناء الكلام.

و ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ بعد النفي بمنزلة نعم بعد الإيجاب، وقال الكوفيون: أصلها بل التي هي للإضراب عن الأول، وزيدت عليها الياء ليحسن الوقف عليها وضمنت الياء معنى الإيجاب والإنعام بما يأتي بعدها.

وقال سيبويه: هي حرف مثل بل وغيره.

وهي في هذه الآية ردٌّ لقول بني إسرائيل: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ فرد الله عليهم وبيَّنَ الخلود في النار والجنة بحسب الكفر والإيمان.

---

(١) نقله عنهما في تفسير الطبري (٢/ ٢٧٨).

(٢) في تفسير الآية ٥١ من هذه السورة.

(٣) ضعيف: هذا الأثر أورده ابن عطية هاهنا بالمعني، وقد أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٩) من طريق بشر ابن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به، وهذا إسناد ضعيف، وقد سبق مراراً.

و ﴿مَنْ﴾ شرط في موضع رفع بالابتداء، و(أولئك) ابتداء ثان، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ خبره، والجملة خبر الأول، والفاء موطئة أن تكون الجملة جواب الشرط.

وقالت طائفة: «السيئة»: الشرك، كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠][1]، و«الخطيئات»: كبائر الذنوب.

وقرأ قومٌ: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالإفراد[2].

وقال قوم: «السيئة» هنا: الكبائر، وأفردها وهي بمعنى الجمع لما كانت تدل على الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و«الخطيئة»: الكفر[3].

ولفظة «الإحاطة» تُقوِّي هذا القول، وهي مأخوذة من الحائط [المحدق][4] بالشيء.

وقال الربيع بن خُثَيم والأعمش والسدي وغيرهم: معنى الآية: [من][5] مات بذنوب لم يتب منها، وقال الربيع أيضاً: المعنى مات على كفره.

وقال الحسن بن أبي الحسن والسدي: المعنى: كلُّ ما تَوعَّد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة[6]، والخلود في هذه الآية على الإطلاق والتأبيد في المشركين، ومستعار بمعنى الطول والدوام في العصاة وإن علم انقطاعه، كما يقال: ملكٌ خالدٌ، ويدْعى للمَلِك بالخلد.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٨١).

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا نافعاً. انظر: التيسير (ص: ٦١).

(٣) روى الطبري (٢/ ٢٨٦) عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، قال: الشرك.

(٤) في الحمزوية: المحيط.

(٥) من الحمزوية.

(٦) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢/ ٢٨٥- ٢٨٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، يدل هذا التقسيم على أن قوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار لا في العصاة، ويدل على ذلك أيضاً قوله: (أحاطَتْ)؛ لأنَّ العاصي مؤمن فلم تحط به خطيئته، ويدل على ذلك أيضاً أن الرد كان على كفار ادَّعوا أن النار لا تمسهم إلا أيّاماً معدودة فهم المراد بالخلود، والله أعلم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

المعنى: واذكروا إذ أخذنا، وقال مكي رحمه الله: هذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر[1]، وهذا ضعيفٌ، وإنما هو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من أنبيائهم عليهم السلام، وأخذ الميثاق قول، فالمعنى: قلنا لهم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿لا يَعبدُونَ﴾ بالياء من أسفل[2]، وقرأ الباقون بالتاء من فوق، حكاية ما قيل لهم، وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود: (لا تعبدوا)، على النهي[3].

قال سيبويه: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ متلقٍّ[4] لقسم، والمعنى: وإذ استخلفناكم والله لا تعبدون[5].

---

(١) لم أقف على هذا القول لمكي في تفسيره، وانظر الآية ٨ من سورة المائدة (٣/ ١٦٢٩).

(٢) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

(٣) انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٢)، ولأبي في تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨).

(٤) في المطبوع: «متعلق».

(٥) انظر كلامه على هذه الآية في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٦).

وقالت طائفة: تقدير الكلام: بأن لا تعبدوا إلا الله، ثم حذفت الباء، ثم حذفت «أن» فارتفع الفعل لزوالها، فـ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ على هذا معمول لحرف النصب.

وحكي عن قطرب أن: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ في موضع الحال، أي: أخذنا ميثاقهم موحدين[1]، وهذا إنما يتجه على قراءة ابن كثير، ونظام الآية يدفعه مع كل قراءة.

وقال قوم: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ نهي في صيغة خبر[2]، ويدلُّ على ذلك أن في قراءة أبيٍّ (لا تعبدوا).

والباء في قوله ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ قيل: هي متعلقة بالميثاق عطفاً على الباء المقدرة أولاً على قول من قال: التقدير: بأن لا تعبدوا، وقيل: تتعلق بقوله: ﴿إِحۡسَانٗا﴾، والتقدير: قلنا لهم: لا تعبدون إلا الله، وأحسنوا إحساناً بالوالدين، ويُعترض هذا القول بأن المصدر قد تقدم عليه ما هو معمول له، وقيل: تتعلق الباء بـ«أحسِنوا» المقدر، والمعنى: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا قول حسن.

وقدم اللفظ ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ تهمُّماً فهو نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وفي الإحسان تدخل أنواع بر الوالدين كلها.

و(ذي القربىٰ) عطف على (الوالدين)، و﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بمعنى القرابة، وهو مصدر كالرجعى والعقبى، وهذا يتضمن الأمر بصلة الرحم.

[٧٢] / و(اليتـٰمى): جمع يتيم، كنديم وندامى، واليتم في بني آدم فَقْدُ الأب، وفي البهائم فقد الأم، وقال عليه السلام: «لَا يتمَ بَعْدَ بُلُوغٍ»[3].

---

(١) نقله عنه الراغب الأصفهاني في التفسير (١/ ٢٤٦)، والكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ١٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٣).

(٣) روي من أوجه أحسنها فيه من لا يحتج به: هذا الحديث قد ورد بلفظ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلامٍ» من حديث علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وحنظلة بن حذيم رضي الله عنهم. أما الثلاثة الأُول فأسانيدها ضعيفة، واختلف مع ذلك في حديث علي رفعاً ووقفاً، والمحفوظ =

وحكى الماوردي[١] أن اليتم يقال في بني آدم في فقد الأم[٢]، وهذا يتضمن الرأفة باليتامى وحيطة أموالهم.

و(المساكين): جمع مسكين، وهو الذي لا شيء له؛ لأنه مشتقّ من السكون، وقد قيل: إن المسكين هو الذي له بلغة من العيش، وهو على هذا مشتق من السكن، وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقُّدِ أحوال المساكين.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾، أمرٌ عطف على ما تضمنه ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعده من معنى الأمر والنهي، أو على «أحسنوا» المقدر في قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿حَسَناً﴾ بفتح الحاء والسين[٣].

= هو الموقوف على ضعفه، أمَّا حديث علي، فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥٠) وأبو داود (٢٨٧٥)، والطبراني في الأوسط (٢٩٠) وابنُ عدي في «الكامل» (٢/٥٤٥)، والبيهقيُّ (٧/٤٦١)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٢٩)، والدارقطني في العلل (٤/ ١٤١- ١٤٢)، وأمَّا حديث جابر فأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٦١)، وقال: «وهذا حديث لا يصح»، وأمَّا حديث أنس، فرواه البزار في مسنده (١٢/ ٣٥٠)، وأمَّا حديث حنظلة فأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٤) رقم (٣٥٠٢) من طريق: سلم بن قتيبة ثنا ذيال بن عبيد قال: سمعت جدي حنظلة به مرفوعاً، وهذا أحسنها إسناداً، ذيال هذا قال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين : ثقة، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال : تابعي، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: شيخ أعرابي، وذكره ابن حبان فى كتاب «الثقات»، وأغرب الأزدي فنقل عنه الحافظ ابن حجر قوله فيه: فيه نظر، أقول: لكن في الاحتجاج بذيال هذا في حديث ليس فيه شاهد يعتبر به نظرٌ، والله تعالى أعلم.

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري، وكان من فقهاء الشافعية المعروفين، ومن كتبه الإقناع في المذهب والأحكام السلطانية وتفسير مشهور. توفي (٤٥٠ هـ). وفيات الأعيان (٢ / ٤٤٤).

(٢) الذي في النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٢١) : وأما ﴿وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ﴾ فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط: أحدها: موت الأب وإن كانت الأم باقية؛ لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء، والثاني: الصغر..، وفي الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٢٠٢): واليتم: موت الأب مع الصغر، ولم أجد من نقل عنه غير هذا إلا ابن عطية ومن نقل عنه، وفي المحكم (٩/ ٥٢٩): اليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس: يتيم، ولكن منقطع.

(٣) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

قال الأخفش: هما بمعنًى واحد كالبُخْل والبَخَل.

قال الزجاج، وغيره: بل المعنى في القراءتين: وقولوا قولاً حَسَناً بفتح السين، أو: قولاً ذا حُسنٍ بضم الحاء[١].

وقرأ قوم: (حُسنَى)[٢] [مثل فعلى][٣]، ورده سيبويه[٤]؛ لأن أفعل وفعلى لا تجيء إلا معرَّفة إلا أن يزال عنها معنى التفضيل وتبقى مصدراً كالعقبى، فذلك جائزٌ، وهو وجه القراءة بها[٥].

وقرأ عيسى بن عمر[٦] وعطاء بن أبي رباح: (حُسُنا) بضم الحاء والسين[٧].

وقال ابن عباس: معنى الكلام: قولوا لهم: لا إله إلا الله، ومروهم بها[٨]، وقال ابن جريج: قولوا لهم حسناً في الإعلام بما في كتابكم من صفة محمد ﷺ.

وقال سفيان الثوري: معناه: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقال

---

(١) انظر كلامه ونقله لكلام الأخفش في كتابه معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٦٤).

(٢) ذكرها الأخفش في معاني القرآن (١/ ١٣٤)، والطبري (٢/ ٢٩٤) بلا نسبة، وعزاها تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨) لأبي وطلحة بن مصرّف، وفي الكامل للهذلي (ص: ٤٨٨) أنها رواية شريح بن يونس عن علي يعني الكسائي، وهي قراءة شاذة.

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٤).

(٥) علق أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٠) على كلام ابن عطية هنا بقوله: وفي كلامه ارتباك، انظر وجهه فيه.

(٦) عيسى بن عمر الهمداني الكوفي القارئ مولى بني أسد، وهو غير الثقفي قرأ على عاصم بن أبي النجود، وطلحة وقرأ عليه الكسائي وجماعة، وكان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة، وثقه يحيى بن معين، توفي سنة (١٥٠هـ). معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٧٢).

(٧) نسبها النحاس في إعراب القرآن (١/ ٦٤)، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨) لعيسى بن عمر، وعزاها لهما في البحر المحيط، وفي مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٥) لعطاء بن عيسى، ولعله خطأ في الطباعة، وهي قراءة شاذة.

(٨) ضعيف: هذ الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٣) بإسناد ضعيف يتكرر.

أبو العالية: معناه: قولوا لهم الطيب من القول، وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا[١] به[٢]، وهذا حضٌّ على مكارم الأخلاق.

وحكى المهدوي عن قتادة أن قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ منسوخٌ بآيةِ السيف[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا على أن هذه الأمة خوطبت بمثل هذا اللفظ في صدر الإسلام، وأمَّا الخبر عن بني إسرائيل وما أمروا به فلا نسخ فيه.

وقد تقدم القول في إقامة الصلاة، وزكاتُهم هي التي كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تقبِّل ولا تنزل على ما لم يتقبَّل، ولم تكن كزكاة أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «الزكاة التي أمروا بها طاعة الله والإخلاص»[٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ الآية خطاب [لمعاصري][٥] محمد ﷺ، أسند إليهم تولِّي أسلافهم، إذ هم كلهم بتلك السبيل، قال نحوه ابن عباس وغيره[٦].

و﴿ثُمَّ﴾ مبنية على الفتح، ولم تجر مجرى ردَّ وشدَّ لأنها لا تتصرف.

وضمت التاء الأخيرة من ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ لأن تاء المفرد أخذت الفتح وتاء المؤنث أخذت الكسر فلم يبق للتثنية والجمع إلا الضم.

و﴿قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء، قال سيبويه: المستثنى منصوب على التشبيه بالمفعول به، قال المبرد: هو مفعول حقيقة؛ لأن تقديره: استثنيت كذا[٧]، والمراد

---

(١) في نور العثمانية: «وجاوروهم.. تحاوروا».

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في الطبري (٢/ ٢٩٦)ولفظ أبي العالية عنده: قولوا للناس معروفاً.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٠٣)،والناسخ والمنسوخ للمقري (١/ ٣٣)، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي (١/ ١٥).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) في الحمزوية: «لعصاة أمة»، وكتبت في أحمد٣: «لمعاصي».

(٦) هذا القول حكاه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٩٩)، دون ذكر لسند، ومن غير عزو لقائله.

(٧) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٤).

بالقليل جميع مؤمنيهم: قديماً من أسلافهم، وحديثاً كابن سلام وغيره، والقلة على هذه هي في عدد الأشخاص، ويحتمل أن تكون القلة في الإيمان، أي: لم يبق حين عصوا وكفر آخرُهم بمحمد ﷺ إلا إيمان قليل، إذ لا ينفعهم، والأولُ أقوى.

وقرأ قوم: (إلا قليل) برفع القليل، ورويت عن أبي عمرو[١]، وهذا على بدل قليل من الضمير في ﴿ تَوَلَّيْتُمْ ﴾، وجاز ذلك مع أن الكلام لم يتقدم فيه نفي لأن ﴿ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ معناه النفي، كأنه قال: ثم لم تَفُوا بالميثاق إلا قليل.

و«السفك»: صب الدم وسرد الكلام.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ، وشعيب بن أبي حمزة[٢]: (لا تسفُكون) بضم الفاء[٣].

وقرأ أبو نَهيكٍ[٤]:

(تُسفِّكون) بضم التاء وكسر الفاء وتضعيفها[٥].

---

(١) عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٥) لابن مسعود، وانظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٦٣)، وهي قراءة شاذة.

(٢) هو شعيب بن أبي حمزة الحمصي الأموي مولاهم الكاتب، صاحب الخط المنسوب، وأحد الأئمة الثقات. أبو بشر بن دينار، روى عن: نافع، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزناد، وأبي طوالة، وعنه: ابنه بشر، توفي سنة (١٦٣هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٠)

(٣) عزاها لطلحة الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٢٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨)، وله ولشعيب في البحر المحيط (١/ ٤٦٥).

(٤) هو أبو نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب القراءات، يقال: اسمه عثمان بن نهيك، روى عن أبي زيد الأنصاري، وابن عباس، وعنه: قتادة، وحسين بن واقد، وآخرون، وحدث بمرو، تاريخ الإسلام (٧/ ٣٠١)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ١٧١)، وتهذيب الكمال (١٩/ ٥٠١)، وانظر أيضاً تهذيب التهذيب (٧/ ١٥٧)، وفي غاية النهاية (١/ ٥١٥): علباء بن أحمد أبو نهيك اليشكري الخراساني، له حروف من الشواذ تنسب إليه وقد وثقوه، وأما أبو نهيك الأسدي فهو القاسم بن محمد محدث مشهور.

(٥) عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٦٨)، وله ولأبي مجلز في البحر المحيط (١/ ٤٦٥)، وللثاني الثعلبي في تفسيره (١/ ٢٢٩).

وإعراب ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ كما تقدم في ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، و﴿دِمَآءَكُمْ﴾ جمع دم، وهو اسم منقوص أصله دَمَيٌ، وتثنيته دميان، وقيل: أصله: دَمْي بسكون الميم، وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغيير الذي في الواحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ معناه: ولا ينفي بعضكم بعضاً بالفتنة والبغي، ولما كانت ملّتهم واحدة وأمرهم واحداً وكانوا في الأمم كالشخص الواحد، جعل قتل بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونفياً لها، وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللف في القول، وقيل: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يَقتلْ أحد فيُقتلَ قصاصاً، فكأنه سفك دم نفسه لما سبّب ذلك، ولا يُفسِدْ في الأرض فينفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره، وهذا تأويل فيه تكلف.

وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقاً أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا ينفيه ولا يسترقَّه ولا يدَعه يسترقُّ إلى غير ذلك من الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي: خلفاً بعد سلف أن هذا الميثاق أخذ عليكم والتزمتموه، فيتجه في هذه اللفظة أن تكون من الإقرار الذي هو ضد الجحد وتتعدى بالباء، وأن تكون من الإقرار الذي هو إبقاء الأمر على حاله؛ أي: أقررتم هذا الميثاق ملتزَماً.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قيل: الخطاب يراد به من سلف منهم، والمعنى: وأنتم شهود؛ أي: حضور أخذَ الميثاق والإقرار، وقيل: إن المراد من كان في مدة محمد ﷺ، والمعنى: وأنتم شهداء؛ أي: بيِّنة أن هذا الميثاق أخذ على أسلافكم فمن بعدهم منكم.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ/ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ [٧٣] أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾.

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ دالة على أن المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردّاً إلى الأسلاف،

قيل: تقدير الكلام: يا هؤلاء، فحذف حرف النداء، ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات، لا تقول: هذا أقْبِلْ، وقيل: تقديره: أعني هؤلاء، وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى الذين، فالتقدير: ثم أنتم الذين تقتلون، فـ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ صلة لـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ونحوه قال يزيد بن مفرِّغٍ الحِمْيَري[1]:

[الطويل] عَـدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عَلَيْـك إمـارَةٌ نَجَـوْتِ وَهَـذَا تَحْمليـنَ طَلِيـقُ[2]

وقال الأستاذ الأجلُّ أبو الحسن بن أحمد[3] شيخنا رضي الله عنه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ رفع بالابتداء و﴿أَنتُمۡ﴾ خبرٌ مقدّمٌ، و﴿تَقۡتُلُونَ﴾ حال بها تم المعنى، وهي كانت المقصود فهي غير مستغنًى عنها، وإنما جاءت بعد أن تم الكلام في المسند والمسند إليه، كما تقول: هذا زيد منطلقاً، وأنت قد قصدت الإخبار بانطلاقه لا الإخبار بأن هذا هو زيد.

وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبني قينقاع، وذلك أن النضير وقريظة حالفت الأوس، وبني قينقاع حالفت الخزرج، فكانوا إذا وقعت الحرب بين بني قَيْلة ذهبت كل طائفة من بني إسرائيل مع أحلافها، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وكانوا مع ذلك يفدي بعضهم أسرى بعض اتِّباعاً لحكم التوراة، وهم قد خالفوها بالقتال والإخراج.

---

(١) هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري البصري الشاعر، حليف لقريش، كان أحد الشعراء الإسلاميين، وكان كثير الهجو للناس وله قصص مع عبيد الله بن زياد، مات في طاعون الجارف أيام مصعب. تاريخ الإسلام (٥/ ٢٦٨)، والشعر والشعراء (١/ ٣٤٨).

(٢) نسبه له تفسير الطبري (١٨/ ٢٩٢)، الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/٧١٧)، والأغاني (١٨/ ٢٧٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٤٥)، والصحاح (٣/ ٩٤٧)، والبغال (ص: ٥٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٥٢)، وعَدَس: اسم صوت لزجر البغل.

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، من أهل غرناطة، يعرف بابن الباذش، وهو والد مؤلف (كتاب الإقناع في القراءات)، وله اختيارات في النحو، حدث بكتاب سيبويه عن الوزير أبي بكر محمد بن هشام المُصْحَفي، وعلق عنه في النحو على كتاب «الجمل» و«الإيضاح» ومسائل من كتاب سيبويه، توفي سنة (٥٢٨هـ). البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٦٧).

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (تُقتّلون) بضم التاء الأولى وكسر الثانية وشدّها على المبالغة[١].

والديار: مباني الإقامة، وقال الخليل: محلة القوم دارُهم[٢].

وقرأ حمزة، وعاصم، والكسائي: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ بتخفيف الظاء، وهذا على حذف التاء الثانية من تتظاهرون.

وقرأ بقية السبعة: ﴿تظَّاهرون﴾، بشد الظاء[٣]، على إدغام التاء في الظاء.

وقرأ أبو حيوة: (تُظاهِرون) بضم التاء وكسر الهاء[٤]، وقرأ مجاهد وقتادة: (تظَّهَّرون) بفتح التاء وشد الظاء والهاء مفتوحة دون ألف، ورويت هذه عن أبي عمرو[٥]، ومعنى ذلك على كل قراءة: تتعاونون، وهو مأخوذ من الظهر، كأن المتظاهِرَيْنِ يُسنِد كل واحد منهما ظهره إلى صاحبه، والإثم العهد الراتبة على العبد من المعاصي، والمعنى بمكتسبات الإثم.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ تجاوز الحدود والظلم، وحَسُن لفظ الإتيان من حيث هو في مقابلة الإخراج فيظهر التضاد المقبح لفعلهم في الإخراج.

وقرأ حمزة: ﴿أسرى تَفْدوهم﴾، وقرأ نافع وعاصم والكسائي: ﴿أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير: ﴿أسارى تَفْدوهم﴾[٦]، وقرأ قوم: (أسْرى تفادوهم)[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٢٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) لفظه في كتاب العين (٨/ ٥٨): والدّار: كلّ موضع حَلّ به قوم فهو دارُهم.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٣).

(٤) عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٨) لطلحة، والكرماني في الشواذ (ص: ٦٨) لابن أبي عبلة والأعمش ويزيد بن قطيف، ولأبي حيوة أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٨)، وهي قراءة شاذة.

(٥) عزاها لهما ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٥)، وعزاها لقتادة النحاس في إعراب القرآن (١/ ٦٥)، وذكر أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٦٨) رواية أبي عمرو.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤).

(٧) عزاها للحسن البصري تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (١/ ١٨٤).

وأُسارى جمع أسير، والأسير مأخوذ من الأسر وهو الشد، سمي بذلك لأنه يؤسر، أي: يشد وثاقاً، ثم كثر استعماله حتى لزم وإن لم يكن ثَم ربطٌ ولا شد، وأسير: فعيل بمعنى مفعول، ولا يجمع بواو ونون وإنما يكسَّر على أسرى وأسارى، والأقيس فيه: أسرى؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعولُ الأصل فيه أن يجمع على فعلى، كقتلى وجرحى، والأصل في فعلان أن يجمع على فعالى بفتح الفاء وفعالى بضمها كسكران وكسلان وسكارى وكسالى.

قال سيبويه: فقالوا في جمع كسلان: كسلى، شبَّهوه بأسرى، كما قالوا: أُسارى، شبهوه بكسالى[1]، ووجه الشبه: أن الأسر يدخل على المرء مكرهاً كما يدخل الكسل، وفعالى إنما يجيء فيما كان آفةً تدخل على المرء.

و﴿تُفَـٰدُوهُمۡ﴾ معناه في اللغة: تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنهم شيئاً، قاله أبو علي[2].

وفاديت نفسي: إذا أطلقتها بعد أن دفعت شيئاً، فعلى هذا قد تجيء بمعنى: فديت؛ أي: دفعت فيه من مال نفسي، ومنه قول العباس للنبي ﷺ: «[أعطني فإني][3] فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً»[4]، وهما فعلان يتعديان إلى مفعولين الثاني منهما بحرف جر، تقول: فديت زيداً بمال [وفاديته بمال][5]، وقال قوم: هي في قراءة ﴿تُفَـٰدُوهُمۡ﴾ مفاعلة في أسرى بأسرى.

قال أبو علي: كل واحد من الفريقين فَعَل، الآسرُ دفع الأسير، والمأسور منه دفع أيضاً إما أسيراً وإما غيره، والمفعول الثاني محذوف[6].

---

(١) الكتاب (٣/ ٦٥٠).

(٢) لفظه في الحجة (٢/ ١٤٦): وقالوا: فادى الأسير، إذا أطلقه وأخذ عنه شيئاً.

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) هذا الحديث علقه البخاري في صحيحه (٤٢١) و(٣٠٤٩) ووصله البيهقي (٦/ ٣٥٦).

(٥) ساقط من أحمد٣.

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٧).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ قيل: في (هُوَ) إنه ضمير الأمر، تقديره: والأمر محرَّمٌ عليكم، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ في هذا القول بدل من (هُوَ)، وقيل (هُوَ) فاصلة، وهذا مذهب الكوفيين[(١)]، وليست هنا بالتي هي عماد، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ على هذا ابتداء، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبره، وقيل: (هُوَ) الضمير المقدر في ﴿مُحَرَّمٌ﴾ قدِّم وأظهر، وقيل: (هُوَ) ضمير الإخراج، تقديره: وإخراجهم محرم عليكم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: التوراة.

والذي آمنوا به فداء الأسارى، والذي كفروا به قتل بعضهم بعضاً وإخراجهم من ديارهم، وهذا توبيخ لهم، وبيان لقبح فعلهم، وروي أن عبد الله بن سلام مرّ على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم تقع عليه العرب، ولا يفادي من وقع عليه، فقال له ابن سلام: أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن كلهن[(٣)].

ثم توعدهم عز وجل، والخزي: الفضيحة والعقوبة، يقال: خَزِيَ الرجلُ يَخْزَى خِزْياً: إذا ذل من الفضيحة، وخَزِيَ يَخْزَى خِزايةً: إذا ذل واستحيا.

واختلف ما المراد بالخزي هاهنا؟:

[٧٤] فقيل: القصاص فيمن قتل، وقيل: / ضرب الجزية عليهم غابر الدهر، وقيل: قتل قريظة، وإجلاء النضير، [وقيل: الخزي: الذي تُوُعِّد به الأمة من الناس، وهو غلبة

---

(١) نقله أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٧١) وعقب عليه بقوله: والمنقول عن الكوفيين عكس هذا الإعراب، وهو أن يكون الفصل قد قدم مع الخبر على المبتدأ، فـ﴿مُحَرَّمٌ﴾ عندهم خبر متقدم، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ مبتدأ، وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٠٣).

(٢) قال أبو حيان: ووقع في كتاب ابن عطية في هذا المكان أقوال تنتقد، انظر تفصيل ذلك في البحر المحيط (١/ ٤٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣١٠) بإسناد لين عن أبي العالية أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت. ورأس الجالوت هو رئيس اليهود، كالأسقف عند النصارى.

العدو][1]، والدنيا مأخوذة من دنا يدنو، وأصل الياء فيها واو ولكن أبدلت فرقاً بين الأسماء والصفات.

و﴿أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: الخلود في جهنم.

وقرأ الحسن وابن هرمز: (تُردُّون) بتاء[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ الآية، قرأ نافع، وابن كثير، [وأبو بكر][3]: ﴿يَعْمَلُون﴾ بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لأمة محمد ﷺ، والآية واعظة لهم بالمعنى؛ إذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص.

وقرأ الباقون بتاء على الخطاب المحتمل أن يكون في سرد الآية وهو الأظهر، ويحتمل أن يكون لأمة محمد ﷺ، فقد روي أن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن بني إسرائيل قد مضوا، وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد»[4]، يريد: وبما يجري مجراه.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

---

(١) سقط من الأصل وفيض الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٢) نقلها الثعلبي في التفسير (١/ ٢٣١) عن أبي عبد الرحمن السّلمي وأبي رجاء والحسن، وذكر ابن هرمز أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٧٣)، قال: بخلاف عنه، وهي قراءة شاذة.

(٣) زيادة من أحمد٣، ولا بد منها لأن روايته (وهو شعبة عن عاصم) موافقة للأولين فلا يمكن دخوله في الباقين، انظر عزوها لنافع وابن كثير وشعبة في التيسير للداني (ص: ٧٥)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٠).

(٤) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣١٠)، من طريق ابن جريج أن عمر بن الخطاب قال.. فذكره، وهذا انقطاع بيّن.

جعل الله ترك الآخرة وأخذ الدنيا مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من أخذها ثم باعها بالدنيا، وهذه النزعة صرفها مالك ـ رحمه الله ـ في فقه البيوع، إذ لا يجوز الشراء على أن يختار المشتري في كل ما تختلف صفة آحاده ولا يجوز فيه التفاضل، كالحجل المذبوحة وغيرها[١].

ولا يخفف العذاب في الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

و﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة، ونصبه على المفعول الثاني لـ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ مأخوذٌ من القفا، تقول: قفَّيتُ فلاناً بفلان: إذا جئت به من قِبَل قفاه، ومنه قفا يقفو إذا اتبع.

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وكل رسول جاء بعد موسى عليه السلام فإنما جاء بإثبات التوراة والأمر بلزومها إلى عيسى عليه السلام.

وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر: (بالرسْل) ساكنة السين[٢]، ووافقهما أبو عمرو إذا انضاف ذلك إلى ضمير نحو: رسْلنا ورسْلهم[٣].

و﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الحجج التي أعطاها الله عيسى، وقيل: هي آياته من إحياء وإبراء وخلق طير، وقيل: هي الإنجيل، والآية تعم جميع ذلك.

﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ﴾ معناه: قويناه، والأيْد: القوة.

وقرأ ابن محيصن والأعرج وحميد: (آيدناه)[٤].

---

(١) سبقت الإحالة في أول الكتاب على المسألة.

(٢) انظر عزوها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، وليحيى في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) التيسير (ص: ٨٥).

(٤) انظر عزوها لابن محيصن في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٤١)، إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٤)، وللباقين في البحر المحيط (١/ ٤٨٠)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ ابن كثير ومجاهد: ﴿روح القدْس﴾ بسكون الدال[١]، وقرأ الجمهور بضم القاف والدال، وفيه لغة فتحهما، وقرأ أبو حيوة: (بروح القدُّوس) بواو[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «روح القدس هو الاسم الذي [به كان][٣] يحيي الموتى»[٤]، وقال ابن زيد: هو الإنجيل، كما سمى الله تعالى القرآن روحاً، وقال السُّدي والضحاك والربيع وقتادة: روح القدس جبريل ﷺ[٥]، [وهذا أصح الأقوال، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «اهج قريشاً وروح القدس معك»[٦]، ومرة قال له: «وجبريل معك»[٧].

وقال الربيع ومجاهد: الْقُدُس: اسم من أسماء الله تعالى كالقدوس[٨]، والإضافة على هذا إضافة الملك إلى المالك، وتوجَّهتْ لما كان جبريل عليه السلام][٩] من عباد الله تعالى، وقيل: الْقُدُس: الطهارة، وقيل: الْقُدُس: البركة[١٠].

---

(١) انظر قراءة ابن كثير في التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٤)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ١٦٤).

(٢) قال : أبو حيان: «وقرأ أبو حيوة: القدوس، بواو». تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٨١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) ساقط من أحمد٣.

(٤) ضعيف:هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٢١) بإسناد ضعيف يتكرر.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٣٢٠).

(٦) صحيح: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤/ ٢٩٨)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٣٦٦) وغيرهم من طريق: إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب به مرفوعاً. وبنحوه أيضاً أخرجه ابن حبان (٧١٤٦) والحاكم (٣/ ٤٨٧) وغيرهما من طريق: عيسى بن عبد الرحمن عن عدي بن ثابت عن البراء، وإسناده صحيح من الوجهين، وهو متفق عليه باللفظ الآتي.

(٧)) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: البخاري (٣٢١٣) (٤١٢٣) (٦١٥٣) ومسلم (٢٤٨٦) من طريق: شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم عن الربيع (١/ ١٦٩)، ومجاهد (٤/ ١٢٣٨)، والطبري (٢/ ٣٢٣)من قول جعفر وابن زيد وكعب.

(٩) ساقط من أحمد٣.

(١٠) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٣٢٢).

و(كُلَّما) ظرفٌ، والعامل فيه: ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾، وظاهر الكلام الاستفهام، ومعناه التوبيخ والتقرير، ويتضمن أيضاً الخبر عنهم، والمراد بهذه الآية بنو إسرائيل.

ويروى أن بني إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاث مئة نبي، ثم تقوم سوقهم آخر النهار، وروي: سبعين نبيّاً ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار.

وفي ﴿تَهۡوَىٰٓ﴾ ضمير حذف من صلة (مَا) لطول اللفظ، والهوى أكثر ما يستعمل فيما ليس بحق، وهذه الآية من ذلك، لأنهم إنما كانوا يهوون الشهوات، وقد يستعمل في الحق، ومنه قول عمر رضي الله عنه في قصة أسرى بدر: «فهوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت»[١].

و﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ من الكبر، ﴿وَفَرِيقًا﴾ مفعول مقدمٌ.

وقرأ جمهور القراء: ﴿غُلۡفُۢ﴾ بإسكان اللام على أنه جمع أغلف مثل حمر وصفر، والمعنى: قلوبنا عليها غلفٌ وغشاوات فهي لا تفقه، قاله ابن عباس، وقال قتادة: المعنى عليها طابع[٢]، وقالت طائفة: ﴿غُلۡفُۢ﴾ بسكون اللام جمع غلاف، أصله: غلّف بتثقيل اللام فخفف، وهذا [قلما][٣] يستعمل إلا في الشعر.

وقرأ [ابن عباس][٤] والأعرج وابن محيصن: (غلف) بتثقيل اللام جمع غلاف، ورويت عن أبي عمرو[٥]، فالمعنى: هي أوعية للعلم والمعارف بزعمهم، فهي لا تحتاج إلى علم محمد.

---

(١) رواه الإمام مسلم (٤٦٨٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، تفسير الطبري (٢/ ٣٢٦).

(٣) في النسخة الحمزوية: «لم».

(٤) في الأصل: «الأعمش»، وكذا في المطبوع مع الإشارة للمثبت في الهامش، ولعله خطأ إذ لم نجد من نقلها عنه.

(٥) انظر عزوها لابن عباس وابن محيصن في الشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، ولهما وللأعرج في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٤٣).

وقيل: المعنى: فكيف يَعزُبُ عنها علم محمد ﷺ؟، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾، و﴿بَل﴾ في هذه الآية نقض للأول، وإضراب عنه، ثم بيَّن تعالى أن السبب في نفورهم عن الإيمان إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب أعظم[1] منه، واللعن: الإبعاد والطرد.

و(قليلاً) نعت لمصدر محذوف تقديره: فإيماناً قليلاً ما يؤمنون.

والضمير في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لحاضري محمد ﷺ، ويتجه قلة هذا الإيمان: إما لأن من آمن بمحمد منهم قليل، فيقل لقلة الرجال، قال / هذا المعنى قتادة[2]، وإما لأن وقتَ إيمانهم عندما كانوا يستفتحون به قبل مبعثه قليل، إذ قد كفروا بعد ذلك، وإما لأنهم لم يبق لهم بعد كفرهم غير التوحيد على غير وجهه، إذ هم مجسِّمون فقد قللوه بجحدهم الرسل وتكذيبهم التوراة، فإنما يقل من حيث لا ينفعهم كذلك، وعلى هذا التأويل يجيء التقدير: فإيماناً قليلاً، [وعلى الذي قبله: فوقتاً قليلاً][3]، وعلى الذي قبله: فعدداً من الرجال قليلاً. [٧٥]

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ زائدةٌ مؤكدةٌ، و(قليلاً) نصب بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «بأعظم»، وفي الحمزوية: «بالذي أعظم».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤).

(٣) ساقط من السليمانية.

﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾: القرآن، و﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ يعني: التوراة، وروي أن في مصحف أبي بن كعب: (مصدِّقاً) بالنصب[١].

و﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ معناه: أن بني إسرائيل كانوا قبل مبعث النبي ﷺ قد علموا خروجه بما عندهم من صفته وذكر وقته، وظنوا أنه منهم، فكانوا إذا حاربوا الأوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم: لو قد[٢] خرج النبي الذي قد أظل وقتُه لقتلناكم[٣] معه واستنصرنا عليكم به.

و﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ معناه: يستنصرون، وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين»[٤]، وروي أن قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب، وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نُقْلتهم إلى الحجاز وسكناهم به، فإنهم كانوا علموا صُقْع المبعث[٥]، وما عرفوا أنه محمد عليه السلام وشرعه، ويظهر من هذه الآيات العناد منهم، وأن كفرهم كان مع معرفة ومعاندة.

ولعنة الله: معناه: إبعاده لهم وخزيهم لذلك.

واختلفت النحاة في جواب (لَمَّا)، و(لَمَّا) الثانية في هذه الآية:

فقال أبو العباس المبرد: جوابهما في قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾، وأعيدت (لَمَّا) الثانية لطول الكلام، ويفيد ذلك تقريراً للذنب، وتأكيداً له، وقال الزجاج: (لَمَّا) الأولى لا جواب لها؛ للاستغناء عن ذلك بدلالة الظاهر من الكلام عليه[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٨٦)، ونسبها تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤)، لإبراهيم بن أبي عبلة.

(٢) «قد»: زيادة من الحمزوية من أحمد٣، ونور العثمانية.

(٣) في الحمزوية: «لقاتلناكم».

(٤) مرسل: هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢) من حديث أمية بن خالد بن أسيد، عن النبي ﷺ، وأمية بن خالد لا تصح له صحبة، فالحديث مرسل.

(٥) أي: مكان المبعث، والصقع: الناحية.

(٦) انظر معناه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٧١).

قال القاضي أبو محمد: فكأنه محذوف.

وقال الفراء: جواب (لَمَّا) الأولى في الفاء وما بعدها، وجواب (لَمَّا) الثانية ﴿كَفَرُوا۟﴾[(١)].

و(بيس)[(٢)] أصله: بئس، سهلت الهمزة ونقلت إلى الباء حركتها، ويقال في بئس: بيس إتباعاً للكسرة، وهي مستوفية للذم كما أن نعم مستوفية للمدح.

واختلف النحويون في ﴿بِئْسَمَا﴾ في هذا الموضع:

فمذهب سيبويه أن (مَا) فاعلة بـ(بِئْسَ)، ودخلت عليها (بِئْسَ) كما تدخل على أسماء الأجناس والنكرات لما أشبهتها (ما) في الإبهام[(٣)]، فالتقدير على هذا القول: بئس الَّذي ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟﴾، كقولك: بئس الرجل زيد، و(ما) في هذا القول موصولة.

وقال الأخفش: (مَا) في موضع نصب على التمييز، كقولك: بيس رجلاً زيد[(٤)]، فالتقدير: بيس شيئاً أن يكفروا، و﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ في هذا القول صفة (مَا).

وقال الفراء: ﴿بِئْسَمَا﴾ بجملته شيء واحد ركِّب كحبذا[(٥)]، وفي هذا القول اعتراضٌ؛ لأنه فعل يبقى بلا فاعل، و(ما) إنما تكف أبداً حروفاً.

وقال الكسائي: «(مَا) و﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ بمنزلة اسم واحد قائم بنفسه[(٦)]، فالتقدير: بيس اشتراؤهم أنفسهم أن يكفروا، وهذا أيضاً معترضٌ لأن (بيس) لا تدخل على اسم معين متعرف بالإضافة إلى الضمير.

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٥٩).

(٢) أي: بإبدال الهمز الساكن مدّاً، وذلك على رواية ورش عن نافع.

(٣) انظر كلامه على هذا في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٥٥).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٢).

(٥) انظر قريباً منه في معاني القرآن له (١/ ٥٧).

(٦) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٥).

وقال الكسائي أيضاً: إن (مَا) في موضع نصب على التفسير، وثَمَّ (مَا) أخرى مضمرة[١]، فالتقدير: بيس شيئاً ما اشتروا به أنفسهم، و﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في هذا القول بدل من (ما) المضمرة.

ويصح في بعض الأقوال المتقدمة أن يكون ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في موضع خفض بدلاً من الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، وأمَّا في القولين الأولين فـ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ ابتداء وخبره فيما قبله.

و﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ بمعنى باعوا، يقال: شرى واشترى بمعنى باع، وبمعنى ابتاع.

و(ما أنزل الله) يعني به القرآن، ويحتمل أن يراد به التوراة لأنهم إذ كفروا بعيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ فقد كفروا بالتوراة، ويحتمل أن يراد به الجميع من توراة وإنجيل وقرآن، لأن الكفر بالبعض يلزم الكفر بالكل.

و﴿بَغۡيًا﴾ مفعول من أجله، وقيل: نصب على المصدر.

و﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ نصب على المفعول من أجله، أو في موضع خفض بتقدير: بأن ينزِّل.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿أن ينْزل﴾ بالتخفيف في النون والزاي[٢].

و﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني: من النبوة والرسالة.

و﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني به محمداً ﷺ؛ لأنهم حسدوه لمَّا لم يكن منهم وكان من العرب، ويدخل في المعنى عيسى عليه السلام، لأنهم قد كفروا به بغياً، والله قد تفضل عليه.

و(باؤوا) معناه: مضوا متحملين لمَا يذكر أنهم باؤوا به.

و﴿بِغَضَبٍ﴾ معناه: من الله تعالى لكفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ متقدم من الله تعالى عليهم، قيل: لعبادتهم / العجل، وقيل: لقولهم: عزير ابن الله، وقيل: [٧٦]

---

(١) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٦).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٥)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٤).

لكفرهم بعيسى عليه السلام، فالمعنى: على غضب قد باء به أسلافهم، حظ هؤلاء منه وافر بسبب رضاهم بتلك الأفعال وتصويبهم لها.

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ التأكيد وتشديد الحال عليهم، لا أنه أراد غضبين معلَّلين بقصتين.

و﴿مُّهِينٌ﴾ مأخوذ من الهوان، وهو ما اقتضى الخلود في النار؛ لأن من لا يخلد من عصاة المسلمين إنما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: اليهود أنهم إذا قيل لهم: آمنوا بالقرآن الذي أنزل الله على محمد ﷺ، قالُوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون التوراة.

و﴿مَا وَرَآءَهُۥ﴾: قال قتادة: أي: ما بعده، [وقال الفراء: أي: ما سواه، ويعني به القرآن[1]، وإذا تكلم رجل أو فعل فعلًا فأجاد يقال له: ما وراء ما أتيت به شيء، أي: ليس يأتي بعده][2]، ووصف الله تعالى القرآن بأنه الحق.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكِّدةٌ عند سيبويه[3]، وهي غير منتقلة، وقد تقدَّمَ معناها في الكلام، ولم يبق لها هي إلا معنى التأكيد، وأنشد سيبويه على الحال المؤكِّدة:

[البسيط] أَنَـا ابْـنُ دَارَةَ مَعْرُوفـاً بِهَـا حَسَـبِي ... وَهَـلْ لِـدَارَةَ يااللنَّـاسِ مِـنْ عَـارِ[4]

و﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يريد به التوراة.

---

(١) الأول رواه الطبري (٢/ ٣٤٩) عن قتادة، وهو وابن أبي حاتم (١/ ١٧٤) عن أبي العالية، والثاني نقله عن الفراء السمعاني (١/ ١٠٩)، ونقل القولين القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٩) قال: والمعنى واحد.

(٢) ساقط من السليمانية.

(٣) انظر كلامه في الكتاب لسيبويه (٢/ ٨٧).

(٤) البيت لسالم بن مسافع، ويقال له أيضاً: ابن دارة وهي أمّه، وقيل: اسم أحد أجداده، انظر عزو البيت له في الكتاب لسيبويه (٢ / ٧٩)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٩٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٣١١)، وفي أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «نسبي».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ الآية ردٌّ من الله تعالى عليهم في أنهم آمنوا بما أنزل عليهم، وتكذيب منه لهم في ذلك، واحتجاج عليهم.

ولا يجوز الوقف على ﴿فَلِمَ﴾ لنقصان الحرف الواحد إلا أن البَزِّي وقف عليه بالهاء، وسائر القراء بسكون الميم[١].

وخاطب الله من حضر محمداً ﷺ من بني إسرائيل بأنهم قتلوا الأنبياء لمَّا كان ذلك مِن فِعْلِ أسلافهم.

وجاء ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بلفظ الاستقبال وهو بمعنى المضي لما ارتفع الإشكال بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ وإذا لم يُشْكل فجائز سوق الماضي بمعنى المستقبل وسوق المستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة[٢]:

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يومَ يَلْقى ربَّهُ ... أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذْرِ[٣] [الكامل]

وفائدة سوق الماضي في موضع[٤] المستقبل: الإشارة إلى أنه في الثبوت كالماضي الذي قد وقع، وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي: الإعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد ﷺ لمّا كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء.

و﴿إِن كُنتُم﴾ شرط والجواب متقدم، وقالت فرقة: ﴿إِن﴾ نافية بمعنى ما.

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٦١-٦٢).

(٢) هو جرول بن أوس، من بني قطيعة بن عبس، يكنى أبا مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ، مشهور بالهجاء، انظر خبره في الشعر والشعراء (١/ ٣١٠).

(٣) عزي له في تفسير الطبري (٢ / ٣٥١)، ونسب قريش (ص: ١٣٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٩٥)، والعقد الفريد (٥/ ٥٨)، والأغاني (٥/ ١٣٨).

(٤) في جار الله: «معنى».

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

(البينات): التوراة والعصا وفرق البحر وغير ذلك من آيات موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ﴾ تدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم في [دينهم][1]، وقد تقدمت قصة اتخاذهم العجل.

والضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ عائدٌ على موسى عليه السلام؛ أي: من بعده حين غاب عنكم في المناجاة، ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ على المجيء.

وهذه الآية ردٌّ عليهم في أن من آمن بما نزل عليه لا يتخذ العجل، وقد تقدَّم ذكر أخذ الميثاق ورفع الطور.

وقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ يعني: التوراة والشرع.

و﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بعزم ونشاط وجد.

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ معناه هنا: وأطيعوا، وليس معناه الأمرَ بإدراك القول فقط.

وقالت طائفة من المفسرين: إنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ونطقوا بهذه الألفاظ مبالغة في التعنت والمعصية، وقالت طائفة: ذلك مَجاز ولم ينطقوا بـ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ولكن فعلهم اقتضاه، كما قال الشاعر:

[الرجز] امْتلأ الحَوْضُ وقال قطْني[2]

---

(١) في الحمزوية وجار الله: «ذمهم»، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «ذنبهم».

(٢) نسبه في الزاهر (٢/ ٣٢٣) لأبي النجم، وقد استشهد به الطبري (٢/ ٥٤٦)، والزجاج في معاني =

وهذا أيضاً احتجاج عليهم في كذب قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ التقدير: حبَّ العجل، والمعنى: جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه ومجاز، عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم، وقال قومٌ: إن معنى قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ شربهم الماء الذي ألقى فيه موسى برادة العجل، وذلك أنه بَرَده بالمِبرد ورماه في الماء، وقيل لبني إسرائيل: اشربوا من ذلك الماء، فشرب جميعهم، فمن كان يحب العجل خرجت بُرادة الذهب على شفتيه، وهذا قول يرده قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾.

وروي أن الذين تبين فيهم حب العجل أصابهم من ذلك الماء الجبن.

وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ يحتمل أن تكون باء السبب، ويحتمل أن تكون بمعنى: مع.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم بأنه بئس هذه الأشياء التي فعلتم وأمركم بها إيمانكم الذي زعمتم في قولكم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

و﴿مَا﴾ في موضع رفع، والتقدير: بئس الشيء قتلٌ واتخاذُ عجلٍ وقولُ: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب.

و﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط، وقد يأتي الشرط والشارط يعلم أن/ الأمر على أحد الجهتين، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد علم أن عيسى عليه السلام لم يقله، وكذلك ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، والقائل يعلم أنهم غير مؤمنين، لكنه إقامة حجة بقياس بيّن. [٧٧]

وقال قوم: ﴿إِن﴾ هنا نافية بمنزلة «مَا» كالتي تقدمت.

= القرآن وإعرابه (١/ ١٩٩)، والنحاس في معاني القرآن (٦/ ٢٥٠) وأبو علي في الحجة (٢/ ٢٠٤)، وغيرهم بلا نسبة.

وقرأ الحسنُ ومسلم بن جندب: (يَأْمُرُكُمْ بهُو إيمَانُكم) برفع الهاء[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم، والمعنى: إن كان لكم نعيمها وحُظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول إليها ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾.

و﴿ٱلدَّارُ﴾ اسم ﴿كَانَتْ﴾، و﴿خَالِصَةً﴾ خبرها، ويجوز أن يكون نصب ﴿خَالِصَةً﴾ على الحال، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

و﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: يحتمل أن يراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ محمد ﷺ ومن تبعه، ويحتمل أن يراد العموم التام، وهو قول اليهود فيما حفظ عنهم.

وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر الواو من: (تمنوا) للالتقاء، وحكى الأهوازي عن أبي عمرو أنه قرأ: (تمنوَا الموت) بفتح الواو، وحكي عن غيره اختلاس الحركة في الرفع[(٢)]، وقراءة الجماعة بضم الواو.

وهذه آية بيِّنة أعطاها الله رسوله محمداً ﷺ؛ لأن اليهود قالت: نحن أبناء الله وأحباؤه، وشِبْهَ ذلك من القول، فأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى تمني الموت، وأن يُعْلمهم أنه من تمناه منهم مات، ففعل النبي ﷺ ذلك، فعلم اليهود صدقه، فأحجموا عن تمنيه [فرقاً من][(٣)] الله لقبح أعمالهم ومعرفتهم بكذبهم في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾، وحرصاً منهم على الحياة، وقيل: إن الله منعهم من التمني وقصرهم على الإمساك عنه، لتظهر الآية لنبيه ﷺ.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٩٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) انظر قراءة ابن أبي إسحاق في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٩)، ونقل الهذلي في الكامل (ص: ٤٨١) الكسر عن عمران عن أبي عمرو، قال وروى أبو زيد عنه بالفتح، وروى العمري عن أبي جعفر وابن حماد عن شيبة وابنا أبي أويس والأصمعي جميعاً عن نافع: (اشتروا الضلالة) باختلاس الضمة.

(٣) في النسخة الحمزوية: «فروا عن».

والمراد بقوله: (تمنوا): أَرِيدوه بقلوبكم واسألوه، هذا قول جماعة من المفسرين، وقال ابن عباس: المراد فيه السؤال فقط وإن لم يكن بالقلب، وقال أيضاً هو وغيره: إنما أمروا بالدعاء بالموت على أردأ الحزبين من المؤمنين أو منهم[١].

وذكر المهدوي وغيره أن هذه الآية كانت مدة حياة النبيّ ﷺ، وارتفعت بموته[٢].

والصحيح أن هذه النازلة مِن موت مَن تمنى الموت إنما كانت أياماً كثيرة عند نزول الآية، وهي بمنزلة دعائه النصارى من أهل نجران إلى المباهلة.

وقالت فرقة: إن سبب هذا الدعاء إلى تمني الموت أن النبي ﷺ أراد به هلاك الفريق المكذب أو قطع حجتهم؛ لا أن علته قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ٨١].

ثم أخبر تعالى عنهم بعجزهم وأنهم لا يتمنونه، و﴿أَبَدَاۢ﴾ ظرف زمان.

وإذا كانت (ما) بمعنى الذي فتحتاج إلى عائد تقديره: قدمتْه، وإذا كانت مع ﴿قَدَّمَتْ﴾ بمثابة المصدر غَنِيَتْ عن الضمير، هذا قول سيبويه، والأخفش يرى الضمير في المصدرية[٣]. وأضاف ذنوبهم واجترامهم إلى الأيدي وأسند تقديمها إليها، إذ الأكثر من كسب العبد الخير والشر إنما هو بيديه، فحمل جميع الأشياء على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد، لأنَّ الله عليم بالظالمين وغيرهم، ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٢/ ٣٦٦) من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس. قال الطبري: ولا يعرف «التمني» بمعنى «المسألة» في كلام العرب. ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى «الأمنية» ـ إذ كانت محبة النفس وشهوتها ـ إلى معنى الرغبة والمسألة، إذ كانت المسألة هي رغبة السائل إلى الله فيما سأله. اهـ.

(٢) ولفظه في التحصيل (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٢).

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

«وَجَدَ» في هذا المعنى تتعدى [إلى مفعولين][١] لأنها من أفعال النفس، ولذلك صح تعدِّيها إلى ضمير المتكلم في قول الشاعر:

[الطويل] تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّىٰ وجَدْتُني وجِعْتُ مِنَ الإصْغَاءِ ليتاً وأخْدعا[٢]

وقال النبي ﷺ في الضبِّ: «إنَّهُ لَمْ يَكُنْ بأرْضِ قَوْمِي فأجِدُنِي أعَافُهُ»[٣]، وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم، وأنْ لا خير لهم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: قيل: المعنى: وأحْرَصُ من الذين أشركوا؛ لأنَّ مشركي العرب لا يعرفون إلا هذه الحياة الدنيا، ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

[الطويل] تمتَّع من الدُّنيا فإنَّك فانٍ[٤] ....

والضمير في ﴿أَحَدُهُمْ﴾ يعود في هذا القول على اليهود، وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿حَيَوٰةٍ﴾، ثم استؤنف الإخبار عن طائفة من المشركين أنهم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾

---

(١) سقط من الحمزوية.

(٢) البيت للصمة بن عبد الله القشيري كما في الحماسة، (٢/ ٦١)، وأمالي القالي (١/ ١٩٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٢٩٥)، وأمالي اليزيدي (ص: ١٤٨)، وفي الأزمنة والأمكنة (ص: ٤٤٩): أنه لدريد ابن عبد الله، وفي مصارع العشاق (٢/ ٢٠٢)، وعيون الأخبار (٤/ ١٣٧) أنه ليزيد ابن الطّثريّة، والليت بالكسر: صفحة العنق. والأخدع: عرق في العنق.

(٣) متفق عليه: هذا الحديث أخرجه البخاري (٥٣٩١) (٥٥٣٧)، ومسلم (١٩٤٥) من حديث خالد ابن الوليد رضي الله عنه.

(٤) صدر بيت لامرئ القيس، تتمته: من النَّشوات والنساء الحسانِ، الديوان، (ص: ١٥٩)، وعزاه له في سمط اللآلي (٢ / ٧٩) وغيره.

وهي المجوس، لأن تشميتهم للعاطس لفظ بلغتهم معناه: عِشْ ألف سنة، فكأن الكلام: ومن المشركين قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، وفي هذا القول تشبيه بني إسرائيل بهذه الفرقة من المشركين.

وقصد الألف بالذكر لأنها نهاية العقد في الحساب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ اختلف النحاة في ﴿هُوَ﴾:

فقيل: هو ضمير الأحد المتقدم الذكر، فالتقدير: وما أحدهم بمزحزحه، وخبر الابتداء في المجرور، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل بـ(مزحزح).

وقالت فرقة: هو ضمير التعمير، والتقدير: وما التعمير بمزحزحه، والخبر في المجرور، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل من التعمير في هذا القول، وقالت فرقة: ﴿هُوَ﴾ ضمير الأمر والشأن، وقد رُدَّ هذا القول بما حُفظ عن النحاة من أن الأمر والشأن إنما يفسر بجملة سالمة من حرف جر، وقد جوَّز / أبو علي ذلك في بعض مسائله الحلبيات[1]. [٧٨]

وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: هو عماد[2]، وقيل: (ما) عاملة حجازية و﴿هُوَ﴾ اسمها، والخبر في ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾، والزحزحة: الإبعاد والتنحية.

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ، والجمهور على قراءة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل، وقرأ قتادة والأعرج ويعقوب: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء من فوق[3]، وهذا على الرجوع إلى خطاب المتوعَّدين من بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية، نزل على سبب لم يتقدم له

---

(١) الحلبيات لأبي علي الفارسي (ص: ٢٣٣)، بقريب منه.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٧٤).

(٣) انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٤٩)، وهي عشرية، وللباقين في تفسير البحر المحيط (١/ ٥٠٦).

ذكر فيما مضى من الآيات، ولكن أجمع أهل التفسير أن اليهود قالت: جبريل عدوُّنا، واختلف في كيفية ذلك:

فقيل: إن يهود فدك قالوا للنبي ﷺ: نسألك عن أربعة أشياء، فإن عرفتها اتبعناك، فسألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، فقال: «لُحُومُ الإبلِ وأَلْبَانُهَا»، وسألوه عن الشَّبه في الولد، فقال: «أيُّ [مَاءٍ][1] عَلا كَانَ الشَّبَهُ لَهُ»، وسألوه عن نومه، فقال: «تَنَامُ [عَيْنِي][2] ولا يَنَامُ قَلْبِي»، وسألوه عمن يجيئه من الملائكة، فقال: «جِبريلُ»، فلما ذكره قالوا: ذاك عدوُّنا، لأنه مَلَك الحرب والشدائد والجدب، ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك الرحمة والخصب والأمطار لاتبعناك[3].

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتكرر على بيت المدراس[4]، فاستحلفهم يوماً بالذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتعلمون أن محمداً نبي؟ قالوا: نعم، قال: فلمَ تَهْلِكون في تكذيبه؟ قالوا: صاحبه جبريل وهو عدونا[5]، وذكر أنهم قالوا سبب عداوتهم له أنه حمى بختنصر حين بعثوا إليه ـ قبل أن يملك ـ من يقتله، فنزلت هذه الآية لقولهم[6].

---

(١) في الحمزوية: «الماءين».

(٢) في الحمزوية: «عيناي»، وفي نور العثمانية: «دون قلبي»، بدل: «ولا ينام قلبي»، وأشار لها في هامش الأصل، وعليها علامتا صح، وخ.

(٣) لا يصح بهذا السياق: هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤/ ٢٤٨)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٢١٨) من طريق عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً به. وبكير بن شهاب فيه جهالة، وأصل الحديث عند الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٢٩) (٣٩٣٨) (٤٤٨٠) من حديث أنس بن مالك في قصة عبد الله بن سلام، بالسؤال عن ثلاثة أمور: أول أشراط الساعة، وأول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه، وهو الشبه المذكور في الحديث الوارد هنا.

(٤) في الحمزوية: «المقدس»، وفي المطبوع: «المدارس».

(٥) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٤) من طريق السدي ـ وهو: إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة ـ، عن عمر به. والسدي الظاهر أنه لم يدرك عمر، فجل روايته عن صغار الصحابة.

(٦) تفسير الطبري (٢ / ٣٨٢).

وفي «جبريل» لغات:

(جِبرِيل) بكسر الجيم والراء من غير همز، وبها قرأ نافع [وأبو عمرو](١).

و(جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وبها قرأ ابن كثير، وروي عنه أنه قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقرأ: جبريل وميكال فلا أزال أقرؤهما أبداً كذلك».

[و(جَبرَئِل) بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام، وبها قرأ عاصم](٢).

و(جَبرَئيل) بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء وياء بين الهمزة واللام، وبها قرأ حمزة والكسائي، وحكاها الكسائي عن عاصم(٣).

و(جبرائل) بألف بعد الراء ثم همزة، وبها قرأ عكرمة.

و(جبرائيل) بزيادة ياء بعد الهمزة.

و(جَبْراييل) بياءين، وبها قرأ الأعمش.

و(جَبْرئلّ) بفتح الجيم والراء وهمزة ولام مشددة، وبها قرأ يحيى بن يَعْمَر(٤).

و(جبرال) لغة فيه، و(جبرين) بكسر الجيم والراء وياء ونون، قال الطبري: هي لغة بني أسد(٥)، ولم يقرأ بها.

---

(١) من السليمانية.

(٢) ساقط من السليمانية وجار الله ونور العثمانية.

(٣) هذه أربع قراءات متواترة سبعية، انظر عزوها لمن ذكر في التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، وقراءة عاصم الأولى هي رواية شعبة، وأما حفص فمع نافع وأبي عمرو، إلا أن رؤيا ابن كثير ورواية الكسائي عن عاصم، هما في السبعة خاصة.

(٤) هذه أربع قراءات أخرى وكلها شاذة، انظر عزو الأولى لعكرمة في تفسير القرطبي (٢/ ٣٧)، والرابعة ليحيى في مختصر الشواذ (ص: ١٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٦٩)، والمحتسب (١/ ٩٧)، ونسبا له الثانية أيضاً، والثالثةَ للأعمش.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٨٩).

وجبريل اسم أعجمي عربته العرب فلها فيه هذه اللغات، فبعضها هي موجودة في أبنية العرب، وتلك أدخلُ في التعريب، كجبريل الذي هو كقنديل، وبعضها خارجة عن أبنية العرب، فذلك كمثل ما عرَّبته العرب ولم تدخله في بناء كإبريسم وفِرِنْد وآجر ونحوه.

وذكر ابن عباس رضي الله عنه وغيره أن (جبر) و(ميك) و(إسراف) هي كلها بالأعجمية بمعنى عبد ومملوك، وإيل اسم الله تعالى[١]، ويقال فيه: إلّ، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمة: هذا كلام لم يخرج من إلّ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الضمير في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ عائدٌ على الله عز وجل، والضمير في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ عائد على جبريل ﷺ، [والمعنى: بالقرآن وسائر الوحي، وقيل:][٣] الضمير في (إنه) عائدٌ على جبريل][٤]، وفي ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ على القرآن.

وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف، وجاءت المخاطبة بالكاف في ﴿قَلْبِكَ﴾ اتساعاً في العبارة إذ ليس ثَم مَن يخاطبه النبي ﷺ بهذه الكاف، وإنما يجيء قوله: فإنه نزَّله على قلبي، لكنْ حَسُن هذا إذ يحسُن في كلام العرب أن تحرز اللفظ الذي يقوله المأمور بالقول، ويحسن أن تقصد المعنى الذي يقوله فتسرده مخاطبة له، كما تقول لرجل: قل لقومك لا يهينوك، فكذلك هي الآية، ونحو من هذا قول الفرزدق:

[الطويل] أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي يـوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ ... بَكَيْـتُ فنَادتني هُنَيْـدَةُ مَـا لِيَـا[٥]

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٨٩) من طريق جرير بن نوح الحماني، وهو ضعيف الحديث.

(٢) معضل جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٢٨٥) من طريق ابن إسحاق، عن أبي بكر الصديق، وبينهما مفاوز.

(٣) ساقط من السليمانية.

(٤) ساقط من جار الله.

(٥) عزاه له المفضل بن سلمة في الفاخر (ص: ٧٨)، ومعجم البلدان (٤/ ١٤٠)، والأغاني (١١/ ٣٤٤)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٧٥)، والعقد الفريد (٣/ ١٩٨)، و(جوّ سويقة) موضع، وفي بلاد العرب أجوية كثيرة كل منها يعرف بما نسب إليه.

فأحرز المعنى ونكب عن نداء هنيدة: ما لك؟.

و﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بعلمه وتمكينه إياه من هذه المنزلة.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ضمير القرآن في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾.

و﴿مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ما تقدمه من كتب الله تعالى، و(هُدًى): إرشاد.

و«البشرى»: أكثر استعمالها في الخير، ولا تجيء في الشر إلا مقيدة به.

ومقصد هذه الآية: تشريف جبريل ﷺ وذم معاديه.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ الآية وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلام أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم، وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداة أوليائه، وعداوة الله للعبد: تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه.

وذكر جبريل وميكائيل وقد كان ذكر الملائكة عمهما[١] تشريفاً لهما، وقيل: خُصَّا لأن اليهود ذكروهما، ونزلت الآية بسببهما، فذكرهما واجب لئلا تقول اليهود: إنا لم نعاد الله وجميع ملائكته.

وقرأ نافع: ﴿ميكائل﴾ بهمزة دون ياء، وقرأ بها ابن كثير في بعض ما روي عنه، وقرأ [ابن عامر][٢] وابن كثير أيضاً وحمزة والكسائي: ﴿ميكائيل﴾ / بياء بعد الهمزة، [٧٩] وقرأ أبو عمرو وعاصم: ﴿ميكال﴾، ورويت عن ابن كثير منذ رآها في النوم كما ذكرنا[٣].

وقرأ ابن محيصن: (ميكئل) بهمزة دون ألف، وقرأ الأعمش (ميكاييل) بياءين[٤].

وظهر الاسم في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لئلا يشكل عود الضمير.

---

(١) في نسخة: «ينبئ عنهما»، أشار لها في هامش الأصل.

(٢) في السليمانية: ابن عباس، ولعله خطأ.

(٣) هذه ثلاث قراءات سبعية، في التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، وقراءة عاصم هي من رواية حفص عنه، أما شعبة فقرأ كقراءة الجمهور، وهي المعروفة لابن كثير، وذكر الوجهين الآخرين عنه في السبعة خاصة.

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ٩٧)، وهما قراءتان شاذتان.

وجاءت العبارة بعموم الكافرين؛ لأن عود الضمير على ﴿مَن﴾ يشكل سواء أفردته أو جمعته، و[لو][١] لم نبال بالإشكال، وقلنا: المعنى يدل السامع على المقصد، للزم تعيين قوم بعداوة الله لهم، ويحتمل أن الله تعالى قد علم أن بعضهم يؤمن فلا ينبغي أن تطلق عليه عداوة الله للمآل.

وروي أن رجلاً من اليهود لقي عمر بن الخطاب فقال له: أرأيت جبريل الذي يزعم صاحبك أنه يجيئه، ذلك عدونا، فقال له عمر رضي الله عنه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ إلى آخر الآية، فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه[٢]، وهذا الخبر يضعَّف من جهة معناه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، ذكر الطبريُّ أن ابن صوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد، ما جئت بآية بينة؟ فنزلت هذه الآية[٣].

و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ هنا: الخارجون عن الإيمان، فهو فسق الكفر، والتقدير: ما يَكْفُرُ بِها أحد إلَّا الْفاسِقُونَ؛ لأن الإيجاب لا يأتي إلا بعد تمام جملة النفي.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ....﴿١٠٢﴾﴾.

---

(١) ليست في الحمزوية.

(٢) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن يهوديًّا أتى عمر...، فذكره، وابن أبي ليلى ولد لست بقين من خلافة عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٨) بإسناد ضعيف.

قال سيبويه: الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام[١]، وقال الأخفش: هي زائدة[٢]، وقال الكسائي: هي (أو)، وفتحت تسهيلًا[٣].

وقرأها قوم: (أوْ) ساكنة الواو[٤] فتجيء بمعنى بل، وكما يقول القائل: لأضربنك فيقول المجيب: أوْ يكفي الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله متكلف، و(أوْ) في هذا المثل متمكنة في التقسيم، والصحيح قول سيبويه.

وقرئ: (عَهَدُوا عَهْداً)[٥]، وقرأ الحسن، وأبو رجاء: (عوهدوا)[٦].

[وعَهْداً مصدر، وقيل: مفعول بمعنى: أعطوا عهدا] [٧].

والنبذ: الطَّرح والإلقاء، ومنه النبيذ والمنبوذ.

والفريق: اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويقع على اليسير والكثير من الجمع، ولذلك فسرت كثرة النابذين بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لمَّا احْتَمَل الفريق أن يكون الأقلَّ، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في هذا التأويل حال من الضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾، ويحتمِل الضميرُ العودَ على الفريق، ويحتمل العود على جميع بني إسرائيل، وهو أذمُّ لهم.

والعهد الذي نبذوه هو ما أخذ عليهم في التوراة من أمر محمد ﷺ.

وفي مصحف ابن مسعود «نقضه فريق»[٨].

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٨٩).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٧).

(٣) معاني القرآن للكسائي (١/ ٧٨).

(٤) وهي قراءة أبي السمال، كما في المحتسب لابن جني (١/ ٩٩)، وهي قراءة شاذة.

(٥) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٠)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٨)، وعزوها لأبي رجاء في تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٢)، وهي قراءة شاذة.

(٧) ساقط من السليمانية.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٣٦٤)، والكشاف (١/ ١٩٧)، وهي قراءة شاذة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني به محمداً ﷺ، وما مَعَهُمْ: هو التوراة، و﴿مُصَدِّقٌ﴾ نعت لـ﴿رَسُولٌ﴾.

وقرأ ابن أبي عبلة: (مصدقاً) بالنصب[1].

و(لمّا) يجب بها الشيء لوجوب غيره، وهي ظرف زمان، وجوابها في ﴿نَبَذَ﴾ الذي يجيء.

و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي أوتوه: التوراة، و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ مفعول بـ﴿نَبَذَ﴾، والمراد القرآن، لأن التكذيب به نبذٌ، وقيل: المراد التوراة؛ لأن مخالفتها والكفر [بما][2] أخذ عليهم فيها نبذ.

و﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مَثَل؛ لأن ما يجعل ظهرياً فقد زال النظر إليه جملة، والعرب تقول: جعل هذا الأمر وراء ظهره ودبر [أذنه][3]، وقال الفرزدق:

[الطويل]
تَمِيمَ بن مُرٍّ لا تكونَنَّ حَاجَتي ... بِظَهْرٍ فلا يَعْيَىٰ عَلَيَّ جَوابُهَا[4]

و﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تشبيه بمن لا يعلم، إذ فعلوا فعل الجاهل، فيجيء من اللفظ أنهم كفروا على علم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية، يعني: اليهود، قال ابن زيد [والسُّدي][5]: المراد: من كان في عهد سليمان[6].

---

(١) تفسير الثعلبي (١/ ٢٣٤)، والكشاف (١/ ١٩٠).

(٢) في النسخة الحمزوية: «بها».

(٣) في النسخة الحمزوية: «أذنيه».

(٤) البيت للفرزدق، كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٧)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٣١١)، وفتوح البلدان للبلاذري (٣/ ٥٤٢) والأغاني (١٠/ ٣٥٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٦٧)، والرواية فيهم وفي المطبوع: تميم بن زيد، وهو الصواب، وهو تميم بن زيد القضاعي ثم أحد بني القين، وفي النسخ الخطية: «تميم بن مرّ»، وكذا ورد في الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٣٢).

(٥) سقط من الأصل والحمزوية والمطبوع.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥).

وقال ابن عباس: «المراد من كان في عهد النبي ﷺ»[١]، وقيل: الجميع.

و﴿تَتۡلُواْ﴾ قال عطاء: معناه: [تقرأ، من التلاوة[٢]، وقال ابن عباس: ﴿تَتۡلُواْ﴾ تتبع، كما تقول: جاء القوم][٣] يتلو بعضهم بعضاً. و﴿تَتۡلُواْ﴾ بمعنى: تلت، فالمستقبل وضع موضع الماضي، وقال الكوفيون: المعنى ما كانت تتلو.

وقرأ الحسن والضحاك: (الشياطون) بالواو[٤].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: على عهد ملك سليمان، وقيل المعنى: في ملك سليمان بمعنى في قصصه وصفاته وأخباره.

وقال الطبري:(ٱتَّبَعُواْ) بمعنى: فضلوا، و﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: على شرعه ونبوته وحاله[٥].

والذي تلته الشياطين: قيل: إنهم كانوا يلقون إلى الكهنة الكلمة من الحق معها المئة من الباطل، حتى صار ذلك علمهم، فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه، فلما مات قالت الشياطين: إن ذلك كان علم سليمان، وقيل: بل كان الذي تلته الشياطين [سحراً وتعليمَه، فجمعه سليمان عليه السلام كما تقدم، وقيل:][٦] إنَّ سليمان، عليه السلام كان يملي على كاتبه آصف بن برخيا علمه ويختزنه، فلما مات أخرجته الجن وكتبت بين كل سطرين سطراً من سحر، ثم نسبت ذلك إلى سليمان، وقيل: إن آصف/ [٨٠]

(١) الذي روى الطبري (٢/ ٤٠٥-٤٠٧) في هذا ما حكاه عن السدي والربيع وابن زيد، ولم يذكر شيئاً عن ابن عباس.

(٢) نقله القرطبي (٢/ ٤٢)، والذي في تفسير الطبري (٢/ ٤١٠) عنه: نراه ما تحدث، وفي تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٣): يحدّث ويتكلّم به.

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٨٨)، وتفسير الطبري (١٩ / ٤٠٤)، وهي قراءة شاذة.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥)، بلفظ: «وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه».

(٦) ساقط من جار الله.

تواطأ مع الشياطين على أن يكتبوا سحراً وينسبوه إلى سليمان بعد موته.

وقيل: إنّ الجن كتبت ذلك بعد موت سليمان واختلقته ونسبته إليه، وقيل: إن الجن والإنس حين زال ملك سليمان عنه اتخذ بعضهم السحر والكهانة علماً، فلما رجع سليمان إلى ملكه تتبع كتبهم في الآفاق ودفنها، فلما مات قال شيطان لبني إسرائيل: هل أدلكم على كنز سليمان الذي به سخِّرت له الجن والريح؟ هو هذا السحر، فاستخرجته بنو إسرائيل وانبث[1] فيهم، ونسبوا سليمان إلى السحر وكفروا في ذلك، حتى برأه الله على لسان محمد ﷺ، وروي أن رسول الله ﷺ لما ذكر سليمان في الأنبياء قال بعض اليهود: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ تبرئة من الله تعالى لسليمان، ولم يتقدم في الآيات أن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكنها آية نزلت في السبب المتقدم أن اليهود نسبته إلى السحر.

والسحر والعمل به كفر، ويقتل الساحر عند مالك رضي الله عنه كفراً، ولا يستتاب كالزنديق[3]، وقال الشَّافعي: يسأل عن سحره، فإن كان كفراً استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل[4].

وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء: يعاقب ولا يقتل[5].

واختلف في ساحر أهل الذمة: فقيل: يقتل، وقال مالك: لا يقتل إلا إن قتل بسحره، ويضمن ما جنى، ويقتل إن جاء منه بما لم يعاهد عليه[6].

---

(١) في نور العثمانية: «وأثبت».

(٢) معضل: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤١٧) فقال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق،..فيما بلغه، وهو معضل جدّاً.

(٣) البيان والتحصيل (١٦/ ٤١٣).

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٥) انظر: الاستذكار (٨/ ١٦٢).

(٦) انظر: التاج والإكليل على مختصر خليل للمواق (١٢/ ٦٢).

وقرأ نافع، وعاصم، وابن كثير، وأبو عمرو بتشديد النون من (لكنّ)، ونصب ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر بتخفيف النون ورفع ﴿الشياطينُ﴾[١]، قال بعض الكوفيين: التشديد أحبُّ إليّ إذا دخلت عليها الواو؛ لأن المخففة بمنزلة «بل»، و«بل» لا تدخل عليها الواو، وقال أبو علي: ليس دخول الواو عليها معنًى يوجب التشديد، وهي مثقلة ومخففة بمعنى واحد، إلا أنها لا تعمل إذا خففت[٢].

وكُفر الشياطين إما بتعليمهم السحرَ، وإما بعلمهم به، وإما بتكفيرهم سليمان به، وكل ذلك كان، والناس المعلَّمون أتباع الشياطين من بني إسرائيل.

و﴿ٱلسِّحْرَ﴾ مفعول ثان بـ﴿يُعَلِّمُونَ﴾، وموضع ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ نصب على الحال أو رفع على خبر ثان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾، (ما) عطف على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ فهي مفعولةٌ، وهذا على القول [بأن الله تعالى أنزل السحر على الملكين فتنة للناس ليكفر به من اتبعه ويؤمن به من تركه، أو على قول مجاهد وغيره:][٣] أن الله تعالى أنزل على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر، أو على القول: إنه تعالى أنزل السحر عليهما ليعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه[٤]، والتعليم على هذا القول إنما هو تعريف يسير بمبادئه.

وقيل: إن (ما) عطف على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾، وقيل: (مَا) نافية، رد على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك.

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، والتيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٥).
(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٠).
(٣) ساقط من أحمد٣.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٢٣).

وقرأ ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن أبزى: (الملِكين) بكسر اللام[١].

وقال ابن أبزى: هما داود وسليمان[٢]، وعلى هذا القول أيضا فـ(ما) نافية، وقال الحسن: هما علجان كانا ببابل مَلِكين[٣]، فـ(ما) على هذا القول غير نافية، وقرأهما كذلك أبو الأسود الدؤلي[٤]، وقال: هما هارُوت وَمارُوت، فهذا كقول الحسن.

و(بابل) لا ينصرف للتأنيث والتعريف، وهي قطر من الأرض، واختلف أين هي؟ فقال قوم: هي بالعراق وما والاه، وقال ابن مسعود لأهل الكوفة: «أنتم بين الحيرة وبابل»[٥].

وقال قتادة: هي من نصيبين إلى رأس العين[٦]، وقال قوم: هي بالمغرب، [وهذا ضعيف][٧]، وقال قوم: هي جبل [نهاوند][٨][٩].

و﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدل من ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ على قول من قال: هما ملكان،

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٠)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١٢٩)، ونقله ابن كثير (١/ ٣٥٢) عن الضحاك.

(٤) قال في البحر المحيط (١/ ٥٢٧): وقرأ ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبزى: (الملكين)، بكسر اللام.

(٥) لا بأس بإسناده، أخرج الحاكم (٤/ ٥٠٤) من طريق: إسحاق بن الحسين الحربي، ثنا الحسن بن موسى الأشيب، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: تعلَّمُن أنكم بحيث تختلف الإنس من بين بابل والحيرة، تعلَّمُن أن تسعة أعشار من الخير وعشرا من الشر بالشام، تعلَّمُن أن تسعة أعشار من الشر وعشرا من الخير بسواها، والذي نفس ابن مسعود بيده ليوشكن أن يكون أحب شيء على ظهر الأرض إلى أحدكم أن تكون له أحمرة تنقل أهله إلى الشام..

(٦) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٩٦).

(٧) ساقط من أحمد٣، وفيه تقديم وتأخير.

(٨) في الحمزوية وأحمد٣ وجار الله وفيض الله: «دهاوند»، وفي المطبوع ونور العثمانية: «دماوند».

(٩) تفسير السمعاني (١/ ١١٧).

ومن قرأ: (ملِكين) بكسر اللام وجعلهما داود وسليمان، أو جعل الملكين جبريل وميكائيل، جعل ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدلاً من ﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ في قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، وقال: هما شيطانان، ويجيء ﴿يُعَلِّمُونَ﴾: إما على أن الاثنين جمع، وإما على تقديرِ أتباعٍ لهذين الشيطانين اللذين هما الرأس، ومن قال: كانا علجين، قال: ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدل من قوله: ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، وقيل هما بدل من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾.

وقرأ الزهري: (هارُوتُ وَمارُوتُ) بالرفع[1]، ووجهه البدل من ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ في قوله: ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾، أو من ﴿الشياطين﴾ الثاني، على قراءة من خفف (لَكن) ورفع، أو على خبر ابتداء مضمر تقديره: هما هارُوتُ وَمارُوتُ.

وروى من قال: إنهما ملكان، أن الملائكة مقتت حكام بني إسرائيل وزعمت أنها لو كانت بمثابتهم من البعد عن الله لأطاعت حق الطاعة، فقال الله لهم: اختاروا ملكين يحكمان بين الناس، فاختاروا هاروت وماروت، فكانا يحكمان، فاختصمت إليهما امرأة ففتنا بها فراوداها، فأبت حتى يشربا الخمر ويَقتلا، ففعلا، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء فعلَّماها إياه، فتكلمت به فعرجت، فمسخت كوكباً فهي الزُّهَرة[2]، وكان ابن عمر يلعنها، وهذا كلُّه ضعيفٌ، وبعيد على ابن عمر رضي الله عنه.

وروي أن الزهرةَ نزلت إليهما في صورة امرأة من فارس، فجرى لهما ما ذكر، فأطلع الله عزَّ وجلَّ الملائكة على ما كان / من هاروت وماروت، فتعجبوا، وبقيا في [٨١] الأرض لأنهما خيّرا بين عذاب الآخرة وعذاب الدنيا فاختارا عذاب الدنيا، فهما في سَرَب من الأرض معلَّقين يصفقان بأجنحتهما، وروت طائفة أنهما يعلِّمان السحر

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ١٩٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) غريب جدّاً: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٩) من كلام علي، واستغربه ابن كثير (١/ ٣٥٥) جدّاً مع جودة إسناده وثقة رجاله، وأورد له ابن كثير طرقاً أخرى عن علي وضعفها جميعاً.

في موضعهما ذلك، وأخذ عليهما أن لا يعلِّما أحداً حتى يقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وهذا القصصُ يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض، ولا يُقطع منه بشيء، فلذلك اختصرته.

قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿.... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

ذكر ابن الأعرابي في «الياقوتة» أن ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ بمعنى: يُعْلِمان ويُشْعِران كما قال كعب بن زهير[(١)]:

[الطويل] تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وأنَّ وَعِيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليَدِ[(٢)]

وحَمَل[(٣)] هذه الآية على أن الملكين إنما نزلا يُعْلِمان الناس بالسحر وينهيان عنه[(٤)]، وقال الجمهور: بل التعليم على عرفه.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: قالت فرقة: بتعلم السحر، وقالت فرقة: باستعماله، وحكى المهدوي

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الصحابي الشاعر المشهور، انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٤٣).

(٢) تابعه على عزوه له تفسير الثعالبي (١/ ٢٨٩)، وعزاه في تفسير القرطبي (٢/ ٥٤) والدر المصون (٢/ ٣٤)، واللباب (٢/ ٣٤٢)، لكعب بن مالك، وعزاه ابن هشام في السيرة (٢/ ٤٢٤)، والتلمساني في الجوهرة (١/ ١٥٧)، لأنس بن زنيم الديلي، وهو الصحيح، وفي الحماسة المغربية (١/ ٨٤) أنه لمَالك بن نمط الهمذاني رضي الله عنه.

(٣) في نسخة: «وجعل»، أشار لها في هامش الأصل.

(٤) نقله عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٧٢).

أن قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ استهزاء[١]، لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحققا ضلاله.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ زائدة بعد النفي.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: قال سيبويه: التقدير: فهم يتعلمون، [وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾، ومنعه الزجاج][٢]، وقيل: هو معطوف على موضع ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ وإن دخلت عليه ﴿مَا﴾ النافية فمضمنه الإيجاب في التعليم، وقيل: التقدير: فيأبون[٣] فيتعلمون، واختاره الزجاج[٤].

والضمير في ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ هو لهاروت وماروت الملَكين، أو الملِكين العِلْجين على ما تقدَّمَ.

والضمير في ﴿مِنْهُمَا﴾ قيل: هو عائد عليهما، وقيل: على ﴿السِّحْرَ﴾ وعلى الذي أنزل على الملكين، و﴿يُفَرِّقُونَ﴾ معناه: فرقة العصمة، وقيل: معناه: يُؤَخِّذُون[٥] الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على وطئها، فهي أيضاً فُرقة.

وقرأ الحسن، والزهري، وقتادة: (المرِ) براء مكسورة[٦] خفيفة، وروي عن الزهري تشديد الراء، وقرأ ابن أبي إسحاق: (المُـرء) بضم الميم وهمزة [وهي لغة هذيل، وقرأ الأشهب العقيلي[٧]: المِرء بكسر الميم وهمزة][٨]، ورويت عن الحسن[٩].

---

(١) نقله عنه القرطبي (٢/ ٥٤).

(٢) ساقط من جار الله.

(٣) في نور العثمانية: «فيأتون».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٥).

(٥) في نور العثمانية وأحمد٣: «يؤخرون»، وأشار لها في هامش السليمانية.

(٦) في أحمد٣ زيادة: «وهمزة».

(٧) الأشهب العقيلي لم أقف له على ترجمة رغم شهرته وكثرة النقل عنه في التفاسير، وهو غير أبي الأشهب العطاردي.

(٨) سقط من السليمانية وجار الله وأحمد٣، إلا أن فيه: لغة بعد الحسن.

(٩) انظر هذه القراءات كلها إلا الرواية الأخيرة عن الحسن في المحتسب لابن جني (١/ ١٠١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦)، وهي شاذة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلۡمَرۡءِ﴾ بفتح الميم وهمزة.

والزوج هنا: امرأة الرجل، وكل واحد منهما زوج الآخر، ويقال للمرأة: زوجة، قال الفرزدق:

[الطويل] وإنَّ الـذي يَسْـعَىٰ ليُفْسِـدَ زَوْجَتـي كساعٍ إلىٰ أُسْدِ الشَّـرىٰ يَسْتَبيلُهَا[1]

وقرأ الجمهور: ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾، وقرأ الأعمش: (بضارِّي به من أحد)[2].

فقيل: حذفت النون تخفيفاً، وقيل: حذفت للإضافة إلى ﴿أَحَدٍ﴾ وحيل بين المضاف والمضاف إليه بالمجرور.

و﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بعلمه وتمكينه، و﴿يَضُرُّهُمۡ﴾ معناه: في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ فيها أيضاً، وإن نفع في الدنيا بالمكاسب فالمراعَى إنما هو أمر الآخرة.

والضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ عائدٌ على بني إسرائيل حسب الضمائر المتقدمة، وقيل: على ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، وقيل: على ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾وهما جمع.

وقال: ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ لأنهم كانوا يعطون الأجرة على أن يعلّموا، و«الخلاق»: النصيب والحظ، وهو هنا بمعنى الجاه والقدر.

واللام في قوله: ﴿لَمَنِ﴾ المتقدمة للقسم المؤذنة بأن الكلام قَسَم لا شرط.

وتقدم القول في (بئسما).

و﴿شَرَوۡاْ﴾ معناه: باعوا، وقد تقدَّمَ مثله.

والضمير في ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ عائدٌ على بني إسرائيل باتفاق، ومن قال: إن الضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ عائدٌ عليهم خرّج هذا الثاني على المجاز، أي: لمَّا عَمِلوا عمل من لا يعلم

---

(١) البيت للفرزدق، كما تقدم قريباً.

(٢) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

كانوا كأنهم لا يعلمون، ومن قال: إن الضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ عائدٌ على ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أو على ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: إن أولئك علموا أنْ لا خلاق لمن اشتراه، وهؤلاء لم يعلموا فهو على الحقيقة، وقال مكي: الضمير في ﴿عَلِمُواْ﴾ لعلماء أهل الكتاب، وفي قوله: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ للمتعلمين منهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾: موضع (أنَّ) رفع، المعنى: لو وقع إيمانهم، ويعني الذين اشتروا السحر، و(لو) تقتضي جواباً، فقالت فرقة: جوابها ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾؛ لأنها مصدر يقع للمضي والاستقبال، وجواب (لو) لا يكون إلا ماضياً أو بمعناه، وقال الأخفش: لا جواب لـ﴿لو﴾ في هذه الآية مظهراً ولكنه مقدر، أي: لو آمنوا لأثيبوا[٢].

وقرأ قتادة، وأبو السمال، وابن بريدة: (لمثْوَبة) بسكون الثاء وفتح الواو[٣]، وهو مصدر أيضا كمشُورة ومشْوَرة.

و(مثوبة) رفع بالابتداء و﴿خَيۡرٌ﴾ خبره، والجملة خبر (أَنَّ)، والمثوبة عند جمهور الناس بمعنى الثواب والأجر، وهذا هو الصحيح، وقال قومٌ: معناه: لرجعةٌ إلى الله، من ثاب يثوب: إذا رجع، واللام فيها لام القسم؛ لأن لام الابتداء مستغنًى عنها، وهذه لا غنى عنها.

وقوله تعالى: ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ يحتمِل نفي العلم عنهم، ويحتمل أن يراد: لو كانوا يعلمون علماً ينفع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿رَٰعِنَا﴾ من المراعاة بمعنى: فاعلنا؛ أي: ارْعَنا نَرْعَكَ، وفي هذا جفاء أن يخاطب به أحد / نبيه، وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده [٨٢] وتعزيره وتوقيره، فقال من ذهب إلى هذا المعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عنه لهذه

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٨٠).
(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٠٩).
(٣) المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

العلة، ولا مدخل لليهود في الآية على هذا التأويل، بل هو نهي عن كل مخاطبة فيها استواءٌ مع النبي ﷺ.

وقالت طائفة: هي لغة كانت الأنصار تقولها، فقالها رفاعة بن زيد[(١)] بن التابوت للنبيّ ﷺ ليًّا بلسانه وطعناً كما كان يقول: (اسمع غير مسمع)، فنهى الله المؤمنين أن تقال هذه اللفظة.

قال القاضي أبو محمد: ووقفُ هذه اللغة على الأنصار تقصير، بل هي لغة لجميع العرب فاعِلٌ من المراعاة، فكانت اليهود تصرفها إلى الرعونة، يُظهرون أنهم يريدون المراعاة ويبطنون أنهم يريدون الرعونة التي هي الجهل.

وحكى المهدوي عن قوم أن هذه الآية على هذا التأويل ناسخة لفعل قد كان مباحاً، وليس في هذه الآية شروط النسخ؛ لأنَّ الأولَ لم يكن شرعاً متقرراً[(٢)].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وابن أبي ليلى، وابن مُحيصنٍ، وأبو حيوة: (رَاعِناً) بالتنوين[(٣)]، وهذه من معنى الجهل، وهذا محمولٌ على أن اليهود كانت تقوله، فنهى الله تعالى المؤمنين عن القول المباح [سدَّ ذريعة][(٤)] لئلا يتطرق منه اليهود إلى المحظور؛ إذ المؤمنون إنما كانوا يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ دون تنوين.

وفي مصحف ابن مسعود: (راعونا)[(٥)]، وهي شاذة، ووجهها أنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ كما تخاطب الجماعة، يظهرون بذلك إكباره وهم يريدون في الباطن فاعولاً من الرعون.

---

(١) «ابن زيد»: ساقط من جار الله.

(٢) التحصيل للمهدوي: (١/ ٣٠٤).

(٣) عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٤٩٠) لابن محيصن، وحميد، والحسن، والأعمش، وأبي حيوة، وعزاها لهم ولابن أبي ليلى في البحر المحيط (١/ ٥٤٢) وهي قراءة شاذة.

(٤) في الحمزوية: «سدّاً للذريعة».

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٧)، معاني القرآن للفراء (١/ ٦٩)، وعزاها تفسير الثعلبي (١/ ٢٥٢) لأبي.

و﴿ٱنظُرۡنَا﴾ مضمومة الألف والظاء، معناها: انتظرنا وأمهل علينا، ويحتمل أن يكون المعنى: تفقدنا[١]، من النظر، وهذه لفظة مُخْلَصة لتعظيم النبي ﷺ على المعنيين.

والظاهر عندي استدعاء نظر العين المقترِنِ بتدبر الحال، وهذا هو معنى ﴿رَٰعِنَا﴾، فبدلت للمؤمنين اللفظة ليزول تعلق اليهود.

وقرأ الأعمش وغيره: (أنظِرْنا) بقطع الألف وكسر الظاء[٢] بمعنى: أخِّرنا وأمهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك.

ولما نهى الله تعالى في هذه الآية وأمر، حض بعد على السمع الذي في ضمنه الطاعة، وأعلم أن لمن خالف أمره فكفر عذاباً أليماً، وهو المؤلم.

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ معطوف على (قُولُوا) لا على معمولها.

قوله عز وجل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٠٥ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾.

التقدير: ولا من المشركين، وعمَّ الذين كفروا ثم بيّن أجناسهم من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ليبيِّن في الألف واللام في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أنها ليست للعهد يراد بها معيَّن، ومعنى الآية: إن ما أمرناكم به من أن تعظموا نبيكم خير من الله منحكم إياه، وذلك لا يودّه الكفار.

ثم يتناول اللفظ كل خير غير هذا، و﴿أَن﴾ مع الفعل بتأويل المصدر، و﴿مِّنۡ﴾ زائدة في قول بعضهم، ولما كان ودُّ نزولِ الخير منتفياً[٣]، قام ذلك مقام الجحد الذي

(١) في نسخة: «ليتفرق»، أشار لها في هامش الأصل.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٨٥)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في نسخة نور العثمانية: «مبنياً».

يلزم أن يتقدم «مِنْ» الزائدة على قول سيبويه والخليل، وأما الأخفش فيجيز زيادتها في الواجب[١].

وقال قوم: «﴿ مِّنۡ ﴾ للتبعيض»؛ لأنهم يريدون أن لا ينزل على المؤمنين من الخير قليل ولا كثير، ولو زال معنى التبعيض لساغ لقائل أن يقول: «نريد أن لا ينزل خيرٌ كامل ولا نكره أن ينزل بعض»، فإذا نُفي ودُّ نزول البعض فذلك أحرى في نزول خير كامل. والرحمة في هذه الآية عامة لجميع أنواعها التي قد منحها الله عباده قديماً وحديثاً، وقال قوم: «الرحمة هي القرآن»[٢]، وقال قوم: «نبوة محمد ﷺ»[٣]، وهذه أجزاء الرحمة العامة التي في لفظ الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾ الآية، النسخُ في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: النقل؛ كنقل كتاب من آخر، والثاني: الإزالة، فأما الأول فلا مدخل له في هذه الآية، وورد في كتاب الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وأما الثاني الذي هو الإزالة فهو الذي في هذه الآية، وهو منقسم في اللغة على ضربين:

أحدهما: يثبت الناسخ بعد المنسوخ، كقولهم: «نسخت الشمس الظل»، والآخر: لا يثبت، كقولهم: «نسخت الريح الأثر»، وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين.

والناسخ حقيقةً هو الله تعالى، ويسمى الخطاب الشرعي ناسخاً إذ به يقع النسخ.

---

(١) تقدم الكلام على مثل هذا مراراً.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٩٩) عن مجاهد.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٩٩) عن مجاهد.

وحدُّ الناسخ عند حذاق أهل السنة: «الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً، مع تراخيه عنه»(١).

والنسخ جائز على الله تعالى عقلاً؛ لأنه ليس يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى، وليست الأوامر معلقةً بالإرادة فيلزمَ من النسخ أن الإرادة تغيرت، ولا النسخ لِطُرُوِّ علم، [بل الله تعالى يعلم إلى أي وقت ينتهي أمره بالحكم الأول، ويعلم نسخه له بالثاني، والبَداء لا يجوز على الله تعالى؛ لأنه لا يكون إلا لِطُرُوِّ علم](٢)، أو لتَغَيُّر إرادة، وذلك محال في جهة الله تعالى، وجعلت اليهود النسخ والبداء واحداً، ولذلك لم يُجَوِّزوه فضلُّوا (٣).

والمنسوخ عند أئمتنا: الحكم الثابت نفسه، لا ما ذهبت إليه المعتزلة من أنه مثل الحكم / الثابت فيما يستقبل، والذي قادهم إلى ذلك مذهبهم في أن الأوامر مرادة، [٨٣] وأن الحُسن صفة نفسية للحَسن، ومراد الله تعالى حسن، [وقد قامت](٤) الأدلة على أن الأوامر لا ترتبط بالإرادة، وعلى أن الحُسن والقبح في الأحكام إنما هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية(٥).

والتخصيص من العموم يوهم أنه نسخ، وليس به، لأن المخصّص لم يتناوله العموم قط، ولو ثبت قطعاً تناول العموم لشيء ما، ثم أُخرج ذلك الشيءُ عن العموم، لكان نسخاً لا تخصيصاً.

والنسخ لا يجوز في الأخبار، وإنما هو مختص بالأوامر والنواهي(٦).

---

(١) انظر التلخيص للجويني (٢/ ٤٥٢) والمحصول للرازي (٣/ ٤٢٣)، والإحكام للآمدي (٣/ ١١٥).

(٢) ما بين المعكوفتين ملحق في هامش الأصل بخط غير واضح وقد استوضحناه من النسخ الأخرى.

(٣) انظر أصول السرخسي (٢/ ٥٩) الإحكام للآمدي (٣/ ١٢٠ و ١٢١).

(٤) في نسخة نور العثمانية: «وما قامت».

(٥) نقله الزركشي في البحر المحيط (٣/ ١٥٤)، وانظر: اللمع للشيرازي (١/ ٢٩).

(٦) انظر: اللمع للشيرازي (١/ ٣٠)، البحر المحيط في الأصول للزركشي (٣/ ١٥٨).

وردَّ بعض المعترضين الأمر خبراً بأن قال: «أليس معناه: واجب عليكم أن تفعلوا كذا؟» فهذا خبر، والجواب أن يقال: «إن في ضمن المعنى: إلا أن أنسخه عنكم وأرفعه، فكما تضمَّن لفظ الأمر ذلك الإخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء».

وصور النسخ تختلف، فقد ينسخ الأثقلُ إلى الأخف، كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين[١]، وقد ينسخ الأخف إلى الأثقل، كنسخ يوم عاشوراء والأيام المعدودة[٢] برمضان، وقد ينسخ المِثْل بمِثْله ثقلًا وخفةً كالقِبلة، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل كصدقة النجوى[٣]، والنسخ التام أن تنسخ التلاوة والحكم وذلك كثير، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «كنا نقرأ: (لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بكم)»[٤].

وقد تُنسخ التلاوةُ دون الحكم كآية الرجم، وقد يُنسخ الحكمُ دون التلاوة كصدقة النجوى، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١١]، والتلاوة والحكم حكمان، فجائز نسخ أحدهما دون الآخر.

وينسخ القرآن بالقرآن والسُّنة بالسنة، وهذه العبارة يُراد بها الخبر المتواتر القطعي، وينسخ خبرُ الواحد بخبر الواحد، وهذا كله متفق عليه[٥]، وحذَّاق الأئمة على أن القرآن

---

(١) في قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] وانظر: الإحكام للآمدي (٣/ ١٥٩).

(٢) في هامش أحمد٣: «البيض»، وعليها علامتا صح وخ.

(٣) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ..﴾ المجادلة، الآية ١٢/ الإتقان (٣/ ٦٧).

(٤) صحيح من كلام عمر، أخرجه البخاري (٦٨٣٠) أما عن أبي بكر فعزاه في كنز العمال (١٥٣٦٧) إلى رسته في كتاب الإيمان عن الحسن قال: قال أبو بكر، به. وهو منقطع، ولا أظنه إلا وهماً، و«بكم» زيادة من جار الله.

(٥) الإحكام للآمدي (٣/ ١٥٩).

ينسخ بالسنة، وذلك موجود في قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[١]، وهو ظاهر مسائل مالك رحمه الله[٢]، وأبى ذلك الشافعي رحمه الله[٣]، والحجة عليه من قوله إسقاطُه الجَلْد في حد الزنا عن الثيب الذي يرجم، فإنه لا مُسقط لذلك إلا السنة؛ فعلُ النبي ﷺ.

وكذلك حذَّاق الأئمة على أن السُّنة تُنسخ بالقرآن، وذلك موجودٌ في القِبلة، فإن الصلاة إلى الشام لم تكن قط في كتاب الله، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فإن رجوعهن إنما كان بصلح النبي ﷺ لقريش.

والحذَّاق على تجويز نسخ القرآن بخبر الواحد عقلاً، واختلفوا: هل وقع شرعاً؟ فذهب أبو المعالي وغيره إلى وقوعه في نازلة مسجد قُباء في التحول إلى القبلة، وأبى ذلك قوم[٤].

ولا يصح نسخ نص بقياس، إذْ من شروط القياس أن لا يخالف نصّاً.

وهذا كله في مدة النبي ﷺ، وأما بعد موته واستقرار الشرع فأجمعت الأمة أنه لا نسخ، ولهذا كان الإجماع لا يَنْسَخُ ولا يُنْسَخُ؛ لأنه إنما ينعقد بعد النبي ﷺ، فإذا وجدنا إجماعا يخالف نصّاً فنعلم أن الإجماع استند إلى نصٍّ ناسخٍ لا نعلمه نحن.

وقال بعض المتكلمين: «النسخُ الثابت متقرِّر في جهة كل أحد عَلِمَ الناسخَ أو

---

(١) قَبِله أهل العلم وأجمعت الأمة عليه، وبوب به البخاري، وإن كانت أسانيده لا تنهض على كثرتها، وقد أخرج أصحاب السنن اثنين منها، وحسن الترمذي أحدها (٢١٢٠) مع تحفة الأشراف (٤٨٨٢)، قال الشافعي: وروى بعض الشاميين حديثاً ليس مما يثبته أهل الحديث بأن بعض رجاله مجهولون فرويناه عن النبي ﷺ منقطعاً، واعتمدنا على حديث أهل المغازي عامة: أن النبي ﷺ قال عام الفتح: لا وصية لوارث، وإجماع العامة على القول به.اهـ من السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٦٤). وبوب به البخاري (٢٧٤٧) وراجع البدر المنير (٧/ ٢٦٣ فما بعده).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢/ ٦٥).

(٣) الإحكام للآمدي (٣/ ١٦٢).

(٤) انظر الخلاف فيه في الإحكام للآمدي (٣/ ١٦١)، الفصول في الأصول (٢/ ٣٢٢).

لم يعلمه»، والذي عليه الحذاق أن من لم يبلغه الناسخ[١] فهو متعبدٌ بالحكم الأول، فإذا بلغه الناسخ طرأ عليه حكم النسخ[٢]، والحذاق على جواز نسخ الحكم قبل فعله، وهو موجود في كتاب الله تعالى في قصة الذبيح.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ بفتح النون، من نسخ، وقرأت طائفة: ﴿نُنْسِخ﴾، بضم النون من أنسخ، وبها قرأ ابن عامر وحده من السبعة[٣].

قال أبو علي الفارسي: «ليست لغة، لأنه لا يقال: نسَخَ وأنْسخ بمعنى، ولا هي للتعدية؛ لأن المعنى يجيء: ما نكتب من آية، أي: ما ننزل، فيجيء القرآن كله على هذا منسوخاً[٤]، وليس الأمر كذلك، فلم يبق إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدْتُ الرجل وأبخلته، بمعنى: وجدته محموداً أو بخيلاً»[٥].

قال أبو علي: «وليس[٦] نجده[٧] منسوخاً إلا بأنْ نَسَخه[٨]، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ»[٩].

قال القاضي أبو محمد: وقد خرَّج قَرَأة[١٠] هذه القراءة المعنى على وجهين:

---

(١) في فيض الله: «النسخ».

(٢) الإحكام لابن حزم (١ / ٦١)، كتاب الاجتهاد للجويني (١ / ٢٤).

(٣) فالقراءتان متواترتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).

(٤) سقطت من نسخة نور العثمانية.

(٥) الحجة لأبي علي (٢/ ١٨٥).

(٦) في جار الله: «لم».

(٧) في المطبوع: «يجده».

(٨) في المطبوع: «ينسخه».

(٩) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٦)، ولفظه: وهو أن قوله: ﴿نُنسخ﴾ نجده منسوخاً، وإنما نجده كذلك لنسخه إياه، فإذا كان كذلك كان قوله: ﴿نُنسخ﴾ بضم النون، كقراءة من قرأ ﴿نَنسَخْ﴾ بفتح النون، يتفقان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ.

(١٠) جمع قارئ على مثال حَفَظة وحافظ.

أحدهما: أن يكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو: ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله، أي: ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في ﴿مِّنۡهَآ﴾ و﴿مِثۡلِهَآ﴾ عائدين على الضمير في ﴿نُنسِهَا﴾.

والمعنى الآخر أن يكون ﴿نُنْسِخْ﴾ من النسخ بمعنى الإزالة، ويكون التقدير: ما نُنْسِخك، أي: نبيح لك نسخَه، كأنه لمَّا نسخها الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخاً، و﴿مَا﴾ شرطية وهي مفعولة بـ﴿نَنسَخۡ﴾، و﴿نَنسَخۡ﴾ جزم بالشرط.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿نُنسِهَا﴾، فقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وجمهور من الناس: ﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين وترك الهمزة[1] وهذه من أنسى المنقول من نسي.

وقرأت فرقة كما تقدم إلا أنها همزت بعد السين[2]، فهذه بمعنى التأخير، تقول العرب: أنسأت الدَّين وغيره أُنسئه إنساءً، إذا أخرته[3] / . [٨٤]

وقرأت طائفة: (أو نَنْسَها) بفتح النون الأولى وسكون الثانية وفتح السين، وهذه بمعنى الترك، ذكرها مكي ولم ينسبها[4]، وذكرها أبو عبيد البكري[5] في كتاب «اللآلي» عن سعد بن أبي وقاص[6]، [وأُرَاه وهمَ.

---

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٣٢٥).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١ / ٣٨٦).

(٥) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، نزل قرطبة، وحدث عن: أبي مروان بن حيان، وأبي بكر المصحفي، وكان إماماً، لغوياً، إخباريّاً، متقناً، علامة، وكان من أوعية العلم وبحور الأدب، توفي سنة (٤٨٧هـ). تاريخ الإسلام (٣٣/ ٢٠٨).

(٦) نقله أبو حيَّان في البحر المحيط (١/ ٥٥٠)، والذي في نسخة سمط اللآلي المطبوع (١/ ٥) عزوها لسعيد بالياء غير منسوب.

وقرأ سعد بن أبي وقاص][1]: (أَوْ تُنْسَهَا) على مخاطبة النبي ﷺ ونون بعدها ساكنة وفتح السين، هكذا قال أبو الفتح وأبو عمرو الداني[2]، فقيل [لسعد][3]: «إن سعيد بن المسيب يقرؤها بنون أولى مضمومة وسين مكسورة»، فقال: «إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب»، وتلا: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤][4].

وقرأ سعيد بن المسيب فيما ذكر عنه أيضاً: (أو تُنْسَهَا) بضم التاء أولاً وفتح السين وسكون النون بينهما[5]، وهذه من النسيان.

وقرأ الضحاك بن مزاحم وأبو رجاءٍ: (نُنَسِّها) بضم النون الأولى وفتح الثانية وسين مكسورة مشددة[6]، وهذه أيضاً من النسيان.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعبيد بن عمير وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نَنْسَأْها﴾ بنون مفتوحة وأخرى بعدها ساكنة، وسين مفتوحة وألف بعدها مهموزة[7]، وهذه من التأخير، تقول العرب: «نسأتُ الإبل عن الحوض أنسؤها نسأً، أي: أخرتها، وكذلك يقال: أنسأ

---

(١) ساقط من فيض الله.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٦)، ولم أقف على كتاب الداني الذي عزاها له فيه.

(٣) «لسعد»: ساقطة من الحمزوية.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٥)، والمصاحف (١/ ٢٣٢).

(٥) مختصر الشواذ (ص١٦)، وعزاها له وللضحاك في المحتسب (١ / ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها لأبي رجاء في المحتسب لابن جني (١/ ١٠٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦)، وهي قراءة شاذة، وتابعه على عزوها للضحاك أبو حيان في البحر المحيط (١ / ٥٥٠)، وتقدم أن ابن جني عزا له مثل قراءة سعيد الثانية، وكذا الكرماني في الشواذ (ص: ٧٢).

(٧) وهي متواترة، انظر عزوها لابن كثير وأبي عمرو في التيسير (ص: ٧٦)، وللباقين في الحجة لأبي علي الفارسي (٢ / ١٨٦).

الإبل: إذا زاد في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك، بمعنى: أخَّرها عن الورد»[١].

وقرأت فرقة مثل هذه القراءة إلا أنها بتاء مفتوحة أولاً على مخاطبة النبيّ ﷺ وإسناد الفعل إليه[٢].

وقرأ أبو حيوةَ مثل ذلك إلا أنه ضم التاء أولاً[٣].

وقرأ أبي بن كعب: (أو نُنْسِكَ) بضم النون الأولى وسكون الثانية وسين مكسورة وكاف مخاطبة[٤].

وفي مصحف سالم مولى أبي حذيفة[٥]: (أو نُنسِكَها) مثل قراءة أبيٍّ إلا أنه زاد ضمير الآية[٦].

وقرأ الأعمش: (ما نُنْسِك من آية أو ننسَخْها نَجِئْ بمثلها)، وهكذا ثبتت في مصحف عبد الله بن مسعود[٧].

وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النَّسْء أو الإنساء بمعنى التأخير، أو تكون من النسيان، والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر،

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٢٦).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٥٠)، بلا نسبة.

(٣) نسبها له أبو حيان (١/ ٥٥١).

(٤) وهي قراءة شاذة لمخالفة الرسم، انظر عزوها له في الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥)، ونقلها في تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، عن ابن مسعود.

(٥) أحد السّابقين الأولين، قال البخاريّ: مولاته امرأة من الأنصار، قال ابن حبّان: يقال لها: ليلى، ويقال: ثبيتة بنت يعار، كانت امرأة أبي حذيفة، كان من أفاضل الصحابة وأقرئهم، استشهد مع مولاه في اليمامة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١١).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٥٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٩٥)، وهي قراءة شاذة.

(٧) عزاها لابن مسعود تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٤)، وللأعمش الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥)، وهي شاذة.

وقد يجيء بمعنى الترك، فالمعاني الثلاثةُ [مقولة][١] في هذه القراءات، فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر، فمعنى الآية: ما ننسخ من آية أو نقدِّر نسيانك لها فتنساها حتى ترتفع جملةً وتذهب فإنَّا نأتي بما هو خيرٌ منها لكم أو مثلٌ في المنفعة.

وما كان من هذه القراءات يُحمل على معنى الترك فإن الآية معه تترتب فيها أربعة معان: أحدها: ما ننسخ على وجوه[٢] النسخ أو نترك غير منزلٍ عليك فإنا لا بد أن ننزل رفقاً بكم خيراً من ذلك أو مثله حتى لا ينقص الدين عن [حد][٣] كماله.

والمعنى الثاني: أو نترك تلاوته وإن رفعنا حكمه، فيجيء النسخ على هذا رفع التلاوة والحكم.

والمعنى الثالث: أو نترك حكمه وإن رفعنا تلاوته، فالنسخ أيضاً على هذا رفع التلاوة والحكم.

والمعنى الرابع: أو نتركها غير منسوخةِ الحكم ولا التلاوة، فالنسخ على هذا المعنى هو على جميع وجوهه، ويجيء الضميران في ﴿مِّنْهَآ﴾ أوْ ﴿مِثْلِهَآ﴾ عائدين على المنسوخة فقط، وكان الكلام: إنْ نسخنا أو أبقينا فإنَّا نأتي بخير من المنسوخة أو مثلها.

وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير فإن الآية معه تترتب فيها المعاني الأربعة التي في[٤] الترك:

أولها: ما ننسخ أو نؤخر إنزاله.

---

(١) في الحمزوية: «موجودة».

(٢) في نسخة نور العثمانية: «وجود»، والمثبت هو الصواب، ووجوه النسخ هي: نسخ التلاوة والحكم، أونسخ أحدهما وبقاء الآخر.

(٣) سقطت من أحمد٣ وجار الله.

(٤) في المطبوعة: «فيها».

والثاني: [ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته.

والثالث][١]: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه.

والرابع: ما ننسخ أو نؤخره مثبتاً [لا][٢] ننسخه، ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك، وبعض هذه المعاني أقوى من بعض، لكن ذكرنا جميعها لأنها تحتمل، وقد قال جميعها العلماء، إمَّا نصًّا، وإما إشارة فكملناها.

وقال الزجاج: «إن القراءة ﴿أَوْ نُنسِهَا ﴾ بضم النون وسكون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك؛ لأنه لا يقال أنسى: بمعنى ترك»[٣].

وقال أبو علي وغيره: «ذلك متَّجه ؛ لأنه بمعنى: نجعلك تتركها»[٤].

وكذلك ضعَّف الزجاج أن تحمل الآية على النسيان الذي هو ضد الذكر، وقال: «إن هذا لم يكن للنبي ﷺ ولا نسي قرآناً»[٥].

وقال أبو علي وغيره: «ذلك جائز، وقد وقع، ولا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ أو بتنسئة»[٦].

واحتج الزجاج بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦][٧]، أي لم نفعل.

قال أبو علي: «معناه: لم نذهب بالجميع»[٨].

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط من الحمزوية.

(٢) في الحمزوية: «لم».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٠).

(٤) الحجة لأبي علي (٢/ ١٨٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٨).

(٦) الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٥).

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٨٩)، وقد سقط من الحمزوية ذكر الزجاج.

(٨) الحجة لأبي علي (٢/ ١٩٨).

قال القاضي أبو محمد: على معنى إزالة النعمة كما توعد، وقد حكى الطبري القول عن أقدم من الزجاج، ورد عليه[١]، والصحيح في هذا: أن نسيان النبي ﷺ لمَا أراد الله تعالى أن ينساه ولم يُرِدْ أن يثْبت قرآناً جائزٌ.

فأما النسيان الذي هو آفة في البشر فالنبي ﷺ معصوم منه قبل التبليغ، وبعد التبليغ ما لم يحفظه أحد من الصحابة، وأما بعد أن يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر؛ لأنه قد بلَّغ وأدى الأمانة، ومنه الحديث حين أسقط آية، فلما فرغ من الصلاة قال: «أفي القوم أُبيٌّ؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فَلِمَ لمْ تُذكِّرني؟» قال: حسبت أنها رفعت، فقال النبيّ ﷺ: / «لم تُرفع ولكني نُسِّيتها»[٢]. [٨٥]

ولفظة (خير) في الآية صفة تفضيل، والمعنى: بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أخف، وفي آجلٍ إنْ كانت أثقل، وبمثلها إن كانت مستوية، وقال قوم «(خير) في الآية مصدر و(من) لابتداء الغاية».

ويقلق[٣] هذا القول لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ إلا أن يعطف «المثل» على الضمير في ﴿مِّنْهَآ﴾ دون إعادة حرف الجر، وذلك معترَض.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٨٩).

(٢) مرسل صحابي صحيح، هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٤/ ٨٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٤٧) وغيرهم من طريق يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، ثنا سلمة بن كهيل، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه مرفوعاً به. وهذا مرسل، عبد الرحمن بن أبزى وإن أدرك النبي ﷺ وصلى خلفه إلا أنه كان صغيراً، وروايته أكثرها عن كبار الصحابة، ورواه عنه أبو موسى محمد بن المثنى وبندار محمد بن بشار، بذكر أبي بن كعب في السند، رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٤٧). وهو بهذا موصول، لكن الأكثر على روايته بدون أبي، قال الدارقطني: غريب من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل لم يسنده عن أبي بن كعب غير يحيى بن سعيد القطان وروي عن إسحاق الأزرق عن الثوري مرسلاً ومسنداً. نقله الضياء في المختارة (٣/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٣) في نسختي نور العثمانية والحمزوية : «وتعلق».

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ﴾ ظاهرُه الاستفهام ومعناه التقرير، والتقرير محتاج إلى معادل كالاستفهام المحض، فالمعادل هنا على قول جماعة: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾.

وقال قوم: «﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة»، فالمعادل على قولهم محذوف تقديره: أم علمتم، وهذا كله على أن القصد [بمخاطبة][١] النبي ﷺ مخاطبة أمته، وأما إن كان هو المخاطَبَ وحده فالمعادل محذوف لا غير، وكلا القولين مَرْوِيٌّ[٢].

ومعنى الآية: أن الله تعالى ينسخ ما يشاء[٣]، ويثبت ما يشاءُ، ويفعل في أحكامه ما يشاء، هو قدير على ذلك وعلى كل شيءٍ، وهذا لإنكار اليهود النسخ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [لفظ][٤] عموم [معناه الخصوص، إذ[٥] لم تدخل فيه الصفات القديمة بدلالة العقل[٦]، ولا المُحالات لأنها ليست بأشياء][٧]، والشيء [في كلام العرب]: الموجود[٨].

و﴿قَدِيرٌ﴾ اسم فاعل على المبالغة من: قدَر بفتح العين، يقدِر بكسرها، ومن العرب من يقول: قدِر ـ بكسر العين ـ يقدَر بفتحها[٩].

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣: «مخاطبة».

(٢) هذه الأقوال ذكرها الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩٢).

(٣) في نور العثمانية وجار الله: «ما شاء» في الموضعين، وأشار لها في هامش الأصل.

(٤) من نور العثمانية وأحمد٣، ولعلها كتبت في هامش الأصل ولم تظهر في التصوير.

(٥) في نور العثمانية بدل لفظة إذ: «قال المتكلمون».

(٦) يعني أن صفات الله تعالى قديمة بقدمه عز وجل، أزلية بأزليته تعالى، وليست مخلوقة. فهي ليست داخلة في عموم كلمة (شيء) ومن ثَمَّ فليس عموم كلمة (شيء) مرادا، وإنما المراد به بعض العموم، وعليه فإنه يطلق على هذا العموم أنه عموم أريد به الخصوص.

(٧) ساقط من الحمزوية والسليمانية وكذا جار الله، لكنه ملحق في هامش وعليه علامة «صح».

(٨) في الحمزوية: «في العرف الموجود».

(٩) المخصص لابن سيده (٤ / ٢٧٦).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

الملك: السلطان ونفوذ الأمر والإرادة، وجمع الضمير في ﴿لَكُم﴾ دالٌّ على أن المراد بخطاب النبي ﷺ خطاب أمته.

والوليُّ: فعيل من ولي: إذا جاور ولصق، فالناصر والمعين والقائم بالأمر والحافظ كلهم مجاور بوجه ما، والنصير فعيل من النصر، وهو أشد مبالغة من ناصر.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: قالت فرقة:[«﴿أَمْ﴾ رد على الاستفهام الأول، فهي معادِلته»، وقالت فرقة][(١)]: «﴿أَمْ﴾ استفهام مقطوع من الأول، كأنه قال: أتريدون»[(٢)]، وهذا موجود في كلام العرب[(٣)].

وقالت فرقة: «﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» وألف الاستفهام»، قال مكي وغيره: «وهذا يضعف لأن «أم» لا تقع بمعنى «بل» إلا إذا اعترض المتكلم شك فيما يورده»[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وليس كما قال مكي رحمه الله، لأن «بل» قد تكون للإضراب عن اللفظ الأول [لا][(٥)] عن معناه، وإنما يلزم ما قال على أحد مَعْنَيَيْ «بل» وهو الإضراب عن اللفظ الأول[(٦)] والمعنى، ونِعْمَ ما قال سيبويه: «بل: لترك كلام وأخذ في غيره»[(٧)].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الحمزوية.

(٢) في الحمزوية: «أم تريدون».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٩٢).

(٤) انظر: الهداية لمكي (١/ ٣٩٣).

(٥) من الحمزوية سقطت: «لا».

(٦) «الأول»: زيادة من نور العثمانية، وفي الحمزوية: «الأمر» بدل «اللفظ».

(٧) الكتاب (٣/ ١٩٠)، بمعناه.

وقال أبو العالية: «إن هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني إسرائيل بتعجيل العقوبة في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «قد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل»، وتلا: «﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]»[١]، فتجيء إضافة الرسول ﷺ إلى الأمة على هذا حسب الأمر في نفسه وحسب إقرارهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إن رافع بن حريملة[٢] اليهودي سأل النبي ﷺ تفجير عيون وغير ذلك»[٣]، وقيل: «إن كفار قريش سألوا النبي ﷺ أن يأتيهم بالله[٤] جهرة»، وقيل: «سألوه أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً»، وقال مجاهد: «سألوه أن يرد الصفا ذهباً، فقال لهم: خذوا ذلك كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا ونكصوا»[٥].

قال القاضي أبو محمد: فتجيء على هذه الأقوال إضافة الرسول إليهم[٦] حسب الأمر في نفسه، لا على إقرارهم، و﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾ عليه السلام هو: أن يرى الله جهرة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وغيره: (سِيلَ) بكسر السين وياءٍ[٧] وهي لغة، يقال: سِلتُ أسالُ[٨]، ويحتمل أن يكون مَن هَمز أبدل الهمزة ياء على غير قياس، ثم كسر السين

---

(١) والحديث مرسل ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩١) بإسناد ضعيف عن أبي العالية مرسلاً.

(٢) أحد أحبار اليهود الذين تنازعوا مع أهل نجران من النصارى عند رسول الله ﷺ، انظر خبره في سيرة ابن هشام (١/ ٥٤٩)

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٠) بإسناد فيه من لا يعرف، وسقطت من الحمزوية : «وغير ذلك».

(٤) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «الله».

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٢١٢).

(٦) ساقطة من الحمزوية : «إليهم».

(٧) نقلها عنه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٧٤).

(٨) انظر: الأصول في النحو (٣/ ٤٧٠).

من أجل الياء، وقرأ بعض القراء بتسهيل الهمزة [بين الهمزة][١] والياء مع ضم السين[٢].

وكنَّى عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبديل.

وقال أبو العالية: «الكفر هنا: الشدة، والإيمان الرخاء»، وهذا ضعيف، إلا أن يريدهما مستعارتين، أي: الشدةُ على نفسه والرخاءُ لها عبارةٌ عن العذاب [أو النعيم][٣]، وأما المتعارفُ من شدة أمور الدنيا ورخائها فلا تفسر الآية به.

و﴿ضَلَّ﴾ أخطأ الطريق، والسواء من كل شيء: الوسط والمُعْظَم، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وقال عيسى بن عمر: «كتبت حتى انقطع سوائي»[٤]، وقال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ على ما ذكر ابن إسحاق وغيره[٥]:

[الكامل] يا وَيْحَ أنْصار النَّبيِّ وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغَيَّبِ في سواءِ المَلْحَدِ[٦]

وقال أبو عبيدة[٧]: «هو في[٨] عثمان بن عفان رضي الله عنه»، وهو عندي وهم منه.

والسَّبِيل عبارة عن الشريعة التي أنزلها الله لعباده، لمَّا كانت كالسبب إلى نيل رحمته كانت [كالسبيل][٩] إليها.

---

(١) ساقط من الحمزوية والسليمانية.

(٢) أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٥٥٥)، بلا نسبة.

(٣) في الأصل: «والتنعيم».

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٥٠).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٢٢)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٨٥).

(٦) البيت لحسان بن ثابت كما في الحماسة المغربية (١/ ٧٨)، والكامل (٤/ ٩)، ونهاية الأرب (١٨/ ٢٦٤)، والمصادر السابقة.

(٧) في فيض الله: «أبو عبيد»، وهو خطأ، فالمقصود أبو عبيدة معمر بن المثنى. انظر مجاز القرآن له (١/ ٥٠).

(٨) في سقطت من المطبوع.

(٩) في المطبوع: «السبيل».

وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾؛ ﴿كَثِيرٌ﴾ مرتفع بـ﴿ وَدَّ ﴾، وهو نعت لنكرة، / وحذْفُ الموصوف النكرة قلق[١]، ولكن جاز هنا لأنها صفة متمكنة ترفع الإشكال بمنزلة فريق. [٨٦]

قال الزهري: «عني بـ﴿ كَثِيرٌ ﴾ واحد، وهو كعب بن الأشرف»[٢]، وهذا تحامل، وقوله تعالى: ﴿يَرُدُّونَكُم ﴾ يرد عليه.

وقال ابن عباس: «المراد ابنا أخطب، حييٌّ وأبو ياسر»[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي الضمن[٤] الأتباع، فتجيء العبارة متمكنة.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هنا التوراة، و﴿لَوْ ﴾ هنا بمنزلة «أن» لا تحتاج إلى جواب، وقيل: يتقدر جوابها في ﴿ وَدَّ ﴾، التقدير: لو يردونكم لودوا ذلك، فـ﴿ وَدَّ ﴾ دالة على الجواب، لأن من شرطه أن يكون متأخراً عن ﴿لَوْ ﴾، و﴿كُفَّارًا ﴾ مفعول ثان، ويحتمل أن يكون حالاً، و﴿ حَسَدًا ﴾ مفعول له، وقيل: هو مصدر في موضع الحال.

واختلف في تعلق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾: فقيل: يتعلق بـ﴿ وَدَّ ﴾ لأنه بمعنى: ودوا، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿حَسَدًا ﴾، فالوقف على قوله: ﴿كُفَّارًا ﴾، والمعنى على هذين القولين: أنهم لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أُمروا به فهو من تلقائهم، ولفظة الحسد تعطي هذا، فجاء ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ تأكيداً وإلزاماً، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، و﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩]، ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿يَرُدُّونَكُم ﴾، فالمعنى: أنهم ودوا الرد بزيادة أن يكون من تلقائهم، أي: بإغوائهم وتزيينهم.

---

(١) في المطبوع: «قليل».

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤).

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٩) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٤) في الحمزوية: «الضمير».

واختلف في سبب هذه الآية، فقيل: «إن حذيفة بن اليمان و[عمار بن ياسر][(١)] أتيا بيت المدراس[(٢)]، فأراد اليهود [صرفهما عن دينهما][(٣)]، فثبتا عليه [ونزلت الآية»][(٤)].

وقيل: «إنما هذه الآية تابعة في المعنى لما تقدم من نهي الله عن متابعة أقوال اليهود في ﴿ رَٰعِنَا ﴾ وغيره، وأنهم لا يودون أن ينزل خير، ويودون أن يردوا المؤمنين كفاراً».

والْحَقُّ: المراد به في هذه الآية نبوة محمد ﷺ، وصحة ما المسلمون عليه، وهذه الآية من الظواهر في صحة الكفر عناداً، واختلف أهل السنة في جواز ذلك، والصحيح عندي جوازُهُ عقلاً وبُعْدُهُ وقوعاً، ويترتب في كل آية تقتضيه أن المعرفة تسلب في ثاني حال من العناد.

والعفو: ترك العقوبة، وهو من: عَفَت الآثار، والصفح: الإعراض عن المذنب، كأنه يولي صفحة العنق.

وقال ابن عباس: «هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]»[(٥)]، وقيل: «بقوله: (اقتُلُوْا المشركين)[(٦)]»، وقال

---

(١) في الحمزوية: «وعثمان بن» وبعده بياض.

(٢) في الحمزوية: «بيت المقدس».

(٣) التثنية من السليمانية، وهي أولى، وفي النسخ الأخرى: صرفهم عن دينهم بالجمع.

(٤) ساقط من الحمزوية والسليمانية وجار الله، ولم أجد هذا الأثر.

(٥) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.، وهذا الكلام يروى عن قتادة وأبي العالية والسدي والربيع ابن أنس وغيرهم.

(٦) جزء من قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهو قول بن عباس وقتادة أيضاً، انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٠٣ و٥٠٤) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٦) وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٧٤).

قوم: «ليس هذا حدَّ المنسوخ، لأن هذا في نفس الأمر كان التوقيف على مدته».

قال القاضي أبو محمد: وهذا على من يجعل الأمر المنتظر أوامر الشرع أو قتل قريظة وإجلاء النضير[١].

وأما من يجعله آجال بني آدم فيترتب النسخ في هذه الآية بعينها، لأنه لا يُختلف أن آيات الموادعة المطلقة قد نسخت كلها، والنسخ: هو مجيء الأمر في هذه المقيَّدة، وقيل: مجيء الأمر هو فرض القتال، وقيل: قتل قريظة وإجلاء النضير.

وقال أبو عبيدة في هذه الآية: «إنها منسوخة بالقتال، لأن كل آية فيها ترك[٢] القتال فهي مكية منسوخة»[٣]، وحكمه بأن هذه الآية مكية ضعيف، لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ مقتضاه في هذا الموضع[٤] وعد للمؤمنين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴿١١٣﴾﴾.

---

(١) وقع في الأصل هنا: «وقال أبو عبيدة في هذه الآية أنها» وعليه إشارة تصحيح تشير إلى أنه في غير محله لأنه تكرار مع ما يأتي

(٢) كتبت في جار الله: «نزلت».

(٣) بالمعنى، ولفظه في مجاز القرآن (١/ ٥٠): «وهذا قبل أن يؤمر بالهجرة والقتال، فكل أمر نهى عنه عن مجاهدة الكفار فهو قبل أن يؤمر بالقتال وهو مكي».

(٤) في الحمزوية: «الموضوع».

قالت فرقة من الفقهاء: «إن قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ عموم»، وقالت فرقة: «هو من مجمل القرآن»[١]، والمرجح أن ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه، فعموم من حيث الصلاة الدعاء، فحملُه على مقتضاه ممكن، وخصصه الشرع بهيئات وأفعال وأقوال، ومجمل من حيث الأوقات، وعدد الركعات لا يفهم[٢] من اللفظ، بل السامع فيه مفتقر إلى التفسير، وهذا كله في (أَقِيمُوا الصَّلاةَ)، وأما الزكاة فمجملة لا غير.

قال الطبري: «إنما أمر الله هنا بالصلاة والزكاة لتَحُطَّ ما تقدم من ميلهم إلى أقوال اليهود: ﴿ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، لأن ذلك نهي عن نوعه»[٣]، ثم أُمِرَ المؤمنون بما يحُطُّه[٤]، والخير المقدم مُنْقضٍ لأنه فعل، فمعنى ﴿تَجِدُوهُ ﴾ تجدوا ثوابه وجزاءه، وذلك بمنزلة وجوده.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ معناه: قال اليهود: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً»، وقال النصارى: «لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى»، فجمع قولهم، ودل تفريق[٥] نوعيهم على تفرق قوليهم، وهذا هو الإيجاز واللف[٦].

و(هود) جمع هائد، مثل: عائد وعُود، ومعناه: التائب الراجع، ومثله في الجمع: بازل وبُزل وحائل وحُول [وبائر وبور][٧]، وقيل: هو مصدر يوصف به الواحد والجمع

---

(١) الإحكام لابن حزم (١/ ١١١).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «يفقه».

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥٠٦) بمعناه، وفي نور العثمانية: «نزعه»، بدل «نوعه».

(٤) في نور العثمانية: «يحيطه»، وفي بعض النسخ: «أمر المؤمنين»، بالنصب، أي: الله.

(٥) في أحمد٣: «تفرق» ملحقة في الهامش وعليها صح.

(٦) قوله: «واللف» سقط من الحمزوية.

(٧) في السليمانية: «وبائن وبون».

كفِطْرٍ وعَدْلٍ ورِضاً[١]، وقال الفراء: «أصله يهودي حذفت ياءاه على غير قياس»[٢].

وقرأ أبي بن كعب: (إلا من كانَ يَهُوديّاً)[٣].

وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم أمنية، وقد قُطِعُوا قبل بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وأمرِ محمد ﷺ بدعائهم إلى إظهار البرهان، وقيل: «إن الهاء في ﴿هَاتُواْ﴾ أصلية من هاتى يهاتي، وأُميت تصريف هذه اللفظة كله إلا الأمر منه»، وقيل / : «هي عوض من همزة آتى»، وقيل: «ها تنبيه»، وألزمت همزة (آتى) الحذف. [٨٧]

و«البرهان»: الدليل الذي يوقع اليقين، قال الطبري: «طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويردُّ على من ينفيه»[٤].

وقول اليهود: ﴿لَن﴾ نفيٌ حسنت بعده ﴿بَلَىٰ﴾، إذ هي ردٌّ بالإيجاب في جواب النفي، حرف مرتجل لذلك، وقيل: هي «بل» زيدت عليها الياء لتزيلها على حد النسق الذي في «بل».

و﴿أَسْلَمَ﴾ معناه: استسلم وخضع ودَان، ومنه قول زيد بن عمرو بن نُفيل:

وأسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... لـه المـزْنُ تَحْمِـلُ عَذْباً زُلالا[٥] [المتقارب]

وخُص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان وموضع الحواس، وفيه

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٦٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٧٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٧٣).

(٣) .. أو نصرانيّاً، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٧٣)، وهي قراءة شاذة.

(٤) ليس هذا القول صريحاً في تفسير هذه الآية، ولفظه (٢/ ٥١٠) أنها: «دعاء إلى أمر عدل بين جميع الفرق: مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا: من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى. يقول الله لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر: ﴿هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ما تزعمون من ذلك، فنسلِّمَ لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم.... محقين»، انظر تمامه.

(٥) نسبه له في الأغاني (٣/ ١٢١)، والمزن: جمع مزنة وهي السحابة.

يظهر العز والذل، ولذلك يقال: وجه الأمر، أي: معظمه وأشرفه، قال الأعشى:

[السريع] وأوِّلِ الْحُكْم على وَجْهِهِ لَيْسَ قضائي بالْهَوَىٰ الجائِرِ[1]

ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد.

و﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جملة في موضع الحال، وعاد الضمير في (له) على لفظ ﴿مَنْ﴾، وكذلك في قوله: ﴿أَجْرُهُۥ﴾، وعاد في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المعنى، وكذلك في ﴿يَحْزَنُونَ﴾.

وقرأ ابن محيصن: (فَلا خَوْفُ) دون تنوين في الفاء المرفوعة[2]، فقيل: ذلك تخفيف، وقيل: المراد: فلا الخوف، فحذفت الألف واللام.

والخوف هو لما يُتَوَقَّع، والحزن هو لما قد وقع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية، معناه: ادَّعى كل فريق أنه أحقُّ برحمة الله من الآخر.

وسبب نزول[3] الآية: أن نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي ﷺ فتسابُّوا، وكفَر اليهود بعيسى وبملته وبالإنجيل، وكفر النصارى بموسى وبالتوراة[4].

وفي هذا من فعلهم كُفرُ كل طائفة بكتابها، لأن الإنجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة، والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وصحة نبوته، وكلاهما تضمن صدق محمد ﷺ، فعنَّفهم الله تعالى على كذبهم، وفي كتبهم خلاف ما قالوا.

---

(١) البيت للأعشى كما في ديوانه (ص: ٣٤)، ومقاييس اللغة (١/ ١٥٩)، وخزانة الأدب (٣/ ٣٦٩)، وقوله: أول، فعل أمر من التأويل كذلك فسره الطبري في تهذيب الآثار (١/ ١٨٣)، حيث قال: يعني بقوله: وأول الحكم على وجهه: وَجِّهه إلى وجهه وفي المطبوع والديوان: «أؤول» بدل «وأول»، بالمضارع بدل الأمر، وكذلك طبع في بعض المصادر الأخرى، وفي السليمانية: «الوجه» بدل «الحكم».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٢٢).

(٣) من المطبوع.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٦/ ٤٩٠) عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ تنبيه لأمة محمد ﷺ على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده، كما قال الحر بن قيس[١] في عمر بن الخطاب: «وكان وقافاً عند كتاب الله»[٢].

والْكِتاب[٣] الذي يتلونه قيل: التوراة والإنجيل، فالألف واللام للجنس، وقيل: التوراة؛ لأن النصارى تمتثلها[٤]، فالألف واللام للعهد.

قوله عز وجل: ﴿...كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

اختلف من المراد بقوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فقال الجمهور: «عنى بذلك كفار العرب، لأنهم لا كتاب لهم»، وقال عطاء: «المراد أمم كانت قبل اليهود والنصارى»، وقال قوم: «المراد اليهود»، وكأنه أعيد قولهم[٥]، وهذا ضعيف.

وأخبرهم تعالى بأنه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ، والمعنى بأن يثيب من كان على شيء، أي: شيءٍ حق، ويعاقب من كان على غير شيء.

وقال الزَّجاج: «المعنى: يريهم عياناً من يدخل الجنة ومن يدخل النار»[٦].

---

(١) هو الحرّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ابن أخي عيينة، ذكره ابن السّكن في الصّحابة. الإصابة (٢/ ٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٦)، وفيه قصة، والعبارة المذكورة تحتمل أن تكون من قول ابن عباس وتحتمل أن تكون من قول الحر بن قيس. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٩).

(٣) في الأصل: وقيل الكتاب...، وكأن «قيل» مضببة، لأن المعنى لا يساعد عليها.

(٤) في نور العثمانية: «بمثلها».

(٥) تفسير الطبري (٢ / ٥١٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٥).

و﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ سُمي بقيام الناس من القبور، إذ ذلك مبدأ لجميع ما في اليوم وفي الاستمرار بعده.

وقوله: ﴿كَانُواْ﴾ بصيغة الماضي حسنٌ على مراعاة يوم الحكم، وليس هذا من وضع الماضي موضع المستقبل؛ لأن اختلافهم ليس في ذلك اليوم، بل في الدنيا.

وقوله تعالى ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾[(١)] الآية، (مَنْ) رفع بالابتداء، و﴿أَظۡلَمُ﴾ خبره، والمعنى: لا أحد أظلم.

واختلف في المشار إليه من هذا الصنف الظالم:

فقال ابن عباس وغيره: «المراد: النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلي ببيت المقدس ويطرحون فيه الأقذار»[(٢)]، وقال قتادة والسدي: «المراد: الروم الذين أعانوا بختنصر على تخريب بيت المقدس حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكريا عليه السلام»[(٣)].

وقيل: «المعنيُّ بختنصر»، وقال ابن زيد: «المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام»[(٤)].

وهذه الآية تتناول كلَّ مَن مَنَع مِن مسجدٍ إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام، لأنها مساجد، وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة.

والمشهور: مسجِد بكسر الجيم، ومن العرب من يقول: مسجَد، بفتحها[(٥)].

---

(١) جاءت هذه الفقرة في المطبوع على أنها هي بداية المقطع، وقد آثرنا اتباع ما في الأصل.

(٢) ضعيف وليس بهذا التمام، هذا الأثر بتمامه إنما هو من قول مجاهد، كما أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٠)، وأما ما جاء عن ابن عباس فإنما أخرجه الطبري بلفظ: «هم النصارى» فقط، وإسناده مع ذلك ضعيف.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٩٨-٤٩٩).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٥٢٠ و٥٢١).

(٥) انظر: المخصص (٤/ ٦٦).

و﴿أَن يُذْكَرَ﴾ في موضع نصب: إمَّا على تقدير حذف (مِن) وتسلط الفعل، وإما على البدل من المساجد، وهو بدل الاشتمال الذي شأن البدل فيه أن يتعلق بالمُبْدَل منه ويختص به أو تقوم به صفة، ويجوز أن تكون مفعولاً من أجله، ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع خفض على إسقاط حرف الجر، ذكره سيبويه[١].

ومن قال من المفسرين: إن الآية بسبب بيت المقدس، جعل الخراب الحقيقي الموجود، ومن قال: هي بسبب المسجد الحرام، جعل منع عمارته خراباً، إذ هو داع إليه، ومن جعل الآية في النصارى روى أنه مرَّ زمان بعد ذلك لا يدخل نصراني بيت المقدس إلا أوجع ضرباً، قاله قتادة والسدي[٢].

ومن جعلها في قريش قال: كذلك نودي بأمر النبي ﷺ «أن لا يحج مشرك»[٣].

و﴿خَآئِفِينَ﴾ نصب على الحال، وهذه الآية ليست بأمرٍ بَيَّنَ منعهم من المساجد، لكنها تطرق إلى ذلك [وبدأة][٤]. فيها وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

ومن جعل الآية في النصارى قال: «الخِزْيُ قتل الحربي وجزية الذمي»[٥].

وقيل: «الفتوح الكائنة في الإسلام كعمُّورية وهرقلة وغير ذلك».

ومن جعلها في قريش جعل الخزي غلبتهم في الفتح وقتلهم، والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافرا.

و﴿خِزْيٌ﴾ رفع بالابتداء وخبره في المجرور.

و﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾ موضع الشروق / ، ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾ موضع الغروب، أي: هما له مِلْكٌ [٨٨]

(١) الكتاب (٣/ ١٥٤).
(٢) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٣)، والكشاف للزمخشري (١ / ٢٠٦).
(٣) يشير إلى ما رواه البخاري (١٦٢٢) ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : ألا لا يحج بعد العام مشرك.
(٤) في المطبوع والحمزوية: «براءة».
(٥) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٠و٥٢١).

وما بينهما من الجهات والمخلوقات، وخصهما بالذكر وإن كانت جملة المخلوقات كذلك لأن سبب الآية اقتضى ذلك.

و(أينما) شرط، و﴿تُوَلُّواْ﴾ جزم به، والجواب في قوله: ﴿فَثَمَّ﴾، والمعنى: فأينما تولوا نحوه وإليه، لأن ولّى وإن كان غالب استعمالها أدبر فإنها تقتضي أنه يقبل إلى ناحية، تقول: ولَّيْتُ عن كذا، وإلى كذا.

وقرأ الحسن: (تَولَّوْا) بفتح التاء واللام[(١)].

و(ثَمّ) مبنية على الفتح، وهي في موضع نصب على الظرف.

و﴿وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾معناه: الذي وجهنا إليه، كما تقول: سافرت في وجه كذا، أي: في جهة كذا.

واختلف الناس في تأويل الوجه الذي جاء مضافاً إلى الله تعالى في مواضع من القرآن:

فقال الحذاق: «ذلك راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه من مجاز كلام العرب، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلَّها قدراً»[(٢)].

وقال بعض الأئمة: «تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه[(٣)] العقول من صفات القديم تعالى»، وضعف أبو المعالي هذا القول[(٤)].

ويتجه في بعض المواضع كهذه الآية أن يراد بالوجه: الجهة التي فيها رضاه وعليها ثوابه، كما تقول: تصدقت لوجه الله تعالى، ويتجه في هذه الآية خاصة أن يراد

---

(١) مختصر الشواذ (ص: ١٦)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ١٤٦)، وهي قراءة شاذة.

(٢) هذا مذهب المتأولين وقد انتصر له الرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٢٠).

(٣) في المطبوع: «توحيه».

(٤) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٨٤)، وقد تقدم أن مذهب السلف إثبات الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه دون تكييف ولا تعطيل.

بالوجه الجهة التي وجِّهنا إليها في القبلة حسبما يأتي في أحد الأقوال.

وقال أبو منصور في «المقنع»: «يحتمل أن يراد بالوجه هنا الجاه، كما تقول: فلان وجه القوم، أي: موضع شرفهم، فالتقدير: فثم جلال الله وعظمته»(١).

واختلف المفسرون في سبب هذه الآية:

فقال قتادة: «أباح الله لنبيه ﷺ بهذه الآية أن يصلي المسلمون حيث شاؤوا، فاختار النبي ﷺ بيت المقدس حينئذ، ثم نسخ ذلك كله بالتحول إلى الكعبة».

وقال مجاهدٌ، والضَّحَّاك: «معناها إشارة إلى الكعبة، أي: حيث كنتم من المشرق والمغرب فأنتم قادرون على التوجه إلى الكعبة التي هي وجه الله الذي وجهكم إليه»(٢).

وعلى هذا فهي ناسخة لبيت المقدس.

وقال ابن زيد: «كانت اليهود قد استحسنت صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس، وقالوا: ما اهتدى إلا بنا، فلما حول إلى الكعبة قالت اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم؟ فنزلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية»(٣).

وقال ابن عمر: «نزلت هذه الآية في صلاة النافلة في السفر حيث توجهت بالإنسان دابته»(٤).

وقال النخعي: «الآية عامة أينما تولوا في متصرفاتكم ومساعيكم فَثَمَّ وَجْهُ الله،

---

(١) لم أقف على هذا الكتاب.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٥٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٥٢٩).

(٤) صحيح، هذا الحديث بذكر نزول الآية أخرجه مسلم (٧٠٠/ ٣٣-٣٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو متفق عليه بدون ذكر الآية، أخرجه البخاري (١٠٠٠) ومسلم (٧٠٠/ ٣١-٣٢) من حديث نافع عن ابن عمر، والبخاري (٤٠٠) من حديث جابر، و(١٠٩٣) (١٠١٤) من حديث عامر بن ربيعة.

أي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التي يوصل إليها بالطاعة»، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة[١]: «نزلت فيمن اجتهد في القبلة فأخطأ»[٢].

وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة[٣] قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة، فتحرى قوم القبلة وأعلموا[٤] علامات، فلما أصبحوا رأوا أنهم قد أخطؤوها، فعرَّفوا رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت هذه الآية[٥].

وذكر قوم هذا الحديث على أن النبي ﷺ لم يكن مع القوم في السفر[٦].

وذلك خطأ.

وقال قتادة أيضاً: «نزلت هذه الآية في النجاشي، وذلك أنه لما مات دعا النبي ﷺ المسلمين إلى الصلاة عليه، فقال قوم[٧]: كيف يصلَّى على من لم يصلِّ إلى القبلة قط؟، فنزلت هذه الآية، أي: أن النجاشي كان يقصد وجه الله وإن لم يبلغه التوجه إلى القبلة.

---

(١) عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي، استشهد أخوه وسميه عبد الله يوم الطائف، وكان أبوه عامر من كبار الصحابة، روى عن: أبيه، وعمر، وعثمان، وعنه: عاصم بن عبيد الله، والزهري، وغيرهما، توفي سنة (٨٥هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ١١٤).

(٢) انظرهما في تفسير الطبري (٢ / ٥٣٣).

(٣) عامر بن ربيعة بن كعب العنزي، حليف بني عديّ، ثم الخطاب والد عمر، كان أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة، وكان صاحب عمر لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان على المدينة لما حجّ، توفي سنة (٣٢هـ) أو قريباً منها. انظر الإصابة (٣/ ٤٦٩).

(٤) في المطبوع: «وأعملوا»، قال في الهامش: «أي خطوا خطوطاً في الجهات التي صلُّوا إليها».

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠)، والدارقطني (١٠٦٥) وغيرهم من طريق أشعث بن سعيد السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه به، قال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذاك، ولا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يضعف في الحديث».

(٦) وهو ظاهر رواية البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢ / ٣١١).

(٧) سقطت من أحمد٣.

وقال ابن جبير: «نزلت الآية في الدعاء، لما نزلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] قال المسلمون: إلى أين ندعو، فنزلت [﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾(١)]».

وقال المهدوي: «وقيل: هذه الآية منتظمة في معنى التي قبلها، أي: لا يمنعكم تخريب مسجد من أداء العبادات، فإن المسجد المخصوص للصلاة إن خرب فَثَمَّ وَجْهُ الله موجود حيث توليتم»(٢)، وقال أيضاً: «وقيل: نزلت الآية حين صُدر رسول الله ﷺ عن البيت»(٣).

و﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه: متسع الرحمة ﴿عَلِيمٌ﴾ أين يضعها، وقيل: ﴿وَٰسِعٌ﴾ معناه هنا: أنه يوسع على عباده في الحكم دينه يُسر، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيات(٤) التي هي مِلاك(٥) العمل، وإن اختلفت ظواهره في قبلة وما أشبهها.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾.

قرأ هذه الآية عامة القراء: ﴿وَقَالُواْ﴾ بواو تربط الجملة بالجملة، أو تعطف على (سَعى)(٦)، وقرأ ابن عامر وغيره: ﴿قالوا﴾ بغير واو(٧)، وقال أبو علي: «وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وحذف هذه الواو يتجه من وجهين، أحدهما: أن هذه

(١) في أحمد٣: «الآية»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٨٣).
(٣) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٣٠٦)، ولباب النقول للسيوطي (١/ ٢٦) وتفسير القرطبي (٢/ ٨٣).
(٤) في نور العثمانية: «بالبينات».
(٥) كتبت في فيض الله: «ملاذ».
(٦) يعني قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾، من الآية التي قبلها.
(٧) التيسير (ص: ٧٦).

الجملة مرتبطة في المعنى بالتي قبلها، فذلك يغني عن الواو، والآخر: أن تستأنف هذه الجملة ولا يراعى ارتباطها بما تقدم»[١].

واختلف على من يعود الضمير في (قالُوا):

فقيل: على النصارى، لأنهم قالوا: المسيح ابن الله، وذكرهم أشبه بسياق الآية، وقيل: على اليهود، لأنهم قالوا: عزير ابن الله، وقيل: على كفرة العرب لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله[٢].

و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مصدر معناه: تنزيهاً له [وتبرئة][٣] مما قالوا.

و﴿مَا﴾ رفع بالابتداء، والخبر في المجرور، أو بالاستقرار المقدر، أي: كل ذلك له ملك، والذي قالُوا: إنّ اللهَ اتَّخَذَه وَلَداً، داخلٌ في جملة ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، ولا يكون الولد إلا من جنس الوالد لا من المخلوقات المملوكات.

[٨٩] و«القنوت» في اللغة: الطاعة، / والقنوت: طول القيام في عبادة، ومنه القنوت في الصلاة، فمعنى الآية: أن المخلوقات كلها تَقْنُت لله، أي: تخشع وتطيع، والكفار[٤] والجمادات قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم، وقيل: الكافر يسجد ظلُّه وهو كاره.

و﴿بَدِيعُ﴾ [مصروف][٥] من مبدع، كبصير من مبصر، ومثله قول عمرو بن معديكرب:

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٠٢).

(٢) ثلاثة أقوال، انظرها في تفسير الثعلبي (١/ ٢٦٤) وجعلها الواحدي قولًا واحداً فقال: قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في اليهود حيث قالوا: عزير بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. أسباب النزول للواحدي (١/ ٢٤)، وكذا ذكر مكي عن أبي إسحاق. الهداية لمكي (١/ ٤١٢) والكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٧).

(٣) ساقط من أحمد**٣**.

(٤) غير واضحة في الأصل بسبب التصوير، وتم استيضاحها من النسخ الأخرى.

(٥) في أحمد**٣** والسليمانية ونور العثمانية: «مصرّف».

أَمِـنْ رَيْحانَـةَ الدَّاعِـي السَّـمِيعُ[١] .... [الوافر]

يريد: المسمع، والمبدع: المخترع المنشئ، ومنه أصحاب البدع، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة رمضان: نعمت البِدْعَة هذه[٢].

وخصّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بالذكر لأنها أعظم ما نرى من مخلوقاته جلّ وعلا.

و﴿قَضَىٰٓ﴾ معناه: قدَّر، وقد يجيء بمعنى: أمضى، ويتجه في هذه الآية المعنيان، فعلى مذهب أهل السنة: قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد.

و«الأمر» واحد الأمور، وليس هنا بمصدر أمر يأمر.

و(يكون) رفع على الاستئناف قال سيبويه: «معناه فهو يكون»[٣]، قال غيره: «(يكون) عطف على ﴿يَقُولُ﴾»، واختاره الطبري وقرره[٤]، وهو خطأ من جهة المعنى[٥]، لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود، وتكلم أبو علي الفارسي في هذه المسألة بما هو فاسد من جهة الاعتزال لا من جهة العربية[٦].

وقرأ ابن عامر: ﴿فيكونَ﴾ بالنصب[٧]،وضعَّفه أبو علي، وَوَجَّههُ ـ مع ضعفه ـ على أن يشفع له شبه اللفظ[٨]، وقال أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر: «هذا لحن»[٩].

---

(١) وعجزه: يُؤَرِّقُنِي وأَصْحَابِي هُجُوعُ، كما تقدم في تفسير الآية (١٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٠) في تفسير آية آل عمران.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٤٩).

(٥) اعترضه أبو حيَّان بقوله (١/ ٥٢٤): ما رده ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثَمَّ قولًا وأمراً قديماً.

(٦) انظر كلامه في الحجة (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٧) والباقون بالرفع. التيسير (ص: ٧٦).

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٠٥).

(٩) أحمد بن موسى هو: ابن مجاهد، ولفظه في السبعة في القراءات (ص: ١٦٩): «وهو غلط»، وهي هفوة منه.

قال القاضي أبو محمد: لأن الفاء لا تعمل في جواب الأمر إلا إذا كانا فعلين يطرد فيهما معنى الشرط، تقول: أكرم زيداً فيكرمَك، والمعنى: إن تُكْرِمْ زيداً يكرِمْك، وفي هذه الآية لا يتجه هذا، لأنه يجيء تقديره: إن تكن تكن، ولا معنى لهذا، والذي يطرد فيه معنى الشرط هو أن يختلف الفاعلان أو الفعلان، فالأول: أكرم زيداً فيكرمَك، والثاني: أكرم زيداً فتسودَ.

وتلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل آمراً[١] للمعدومات بشرط وجودها، قادراً [مع][٢] تأخر المقدورات، عالماً مع تأخر وقوع المعلومات، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال، فهو[٣] بحسب المأمورات، إذ المُحْدَثات تجيء بعد أن لم تكن، وكل ما يستند إلى الله تعالى من قدرة وعلم وأمر فهو قديم لم يزل، ومن جعل من المفسرين ﴿قَضَىٰٓ﴾ بمعنى أمضى عند الخلق والإيجاد، فكأن إظهار المخترعات في أوقاتها المؤجلة قولٌ لها: ﴿كُن﴾، إذ التأمل يقتضي ذلك، على نحو قول الشاعر:

وقالت الأقْرَاب للْبَطْنِ الْحَقِ[٤] [الرجز]

وهذا كله يجري مع قول المعتزلة، والمعنى الذي تقتضيه عبارة ﴿كُن﴾ هو قديم قائم بالذات، والوضوح التام في هذه المسألة يحتاج أكثر من هذا البسط.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية، قال الربيع والسدي: «هم كفار العرب»[٥].

---

(١) زاد بعدها في الحمزوية: «مفعولاً»، ولعله خطأ من الناسخ، لأن في هذه الفقرة فيه أخطاء أخرى واضحة.

(٢) في المطبوع: «على».

(٣) في الأصل: «فهي»، وفي هامشها «فهو»، عليها إشارتا «خ»، و«صح».

(٤) البيت لأبي النجم كما في تفسير الماوردي (١/ ١٧٩)، أساس البلاغة (١/ ٢١٨)، ولكن بلفظ «الأنساع» بدل «الأقراب»، وبعده: قِدْماً فآضَتْ كالفَنيقِ المُحنِقِ، والأقراب: جمع قرب بضم الراء وبسكونها، والقرب: الخاصرة، انظر: اللسان (١/ ٦٦٦).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٥٥١).

وقد طلب عبد الله بن أبي أمية[١] وغيره من النبي ﷺ نحو هذا[٢]، فنفى عنهم العلم لأنهم لا كتاب عندهم ولا اتِّباع نبوة، وقال مجاهد: «هم النصارى لأنهم المذكورون في الآية أولاً» ورجحه الطبري[٣].

وقال ابن عباس: «المراد من كان على عهد رسول الله ﷺ من اليهود، لأن رافع ابن حريملة قال للنبي ﷺ: أسمِعْنا كلام الله»[٤].

وقيل: «الإشارة بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى جميع هذه الوظائف»، لأن كلهم قال هذه المقالة أو نحوها، ويكون ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

و﴿لَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلّا، كما قال الأشهب بن رُميلة[٥]:

تَعـدُّون عَقْر النِّيـب أفضل مجدِكم ... بني ضَوْطَرىٰ لولا الكَمِيَّ المقَنَّعَا[٦] [الطويل]

---

(١) عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميّ، صهر النبي ﷺ وابن عمته عاتكة، أخو أم سلمة، له صحبة: وله ذكر في الصحيحين، أسلم قبيل الفتح، وشهد الفتح وحنيناً، واستشهد بالطائف. الإصابة (٤/ ١٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٥) من طريق: محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس بقصة طويلة، وفيها كلام عبد الله بن أبي أمية، والإسناد لا تقوم به الحجة للجهالة بشيخ ابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٥٥٢).

(٤) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٥١) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٥) الأشهب بن رميلة أحد بني نهشل بن دارم، ورميلة أمه وأبوه ثور، وكان شاعراً يهاجي الفرزدق طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٨٥)، وكان هو وإخوته من أشد العرب لساناً ويداً ومنعة، ثم أدركوا الإسلام فأسلموا، وكثرت أموالهم. الإصابة (١/ ٣٤٤).

(٦) نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ١٨٠)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٣٠)، ونسبه في المحكم (٨/ ١٧٣) لجرير وهو الذي عليه الأكثر، انظر النقائض (ص: ٨٣٣)، والخصائص (٢/ ٧٤)، والمفصل (ص: ٤٣١)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٢١)، ونسبه في الدر المصون (٦/ ٢٦٨)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ٤١٣) للفرزدق ولعله خطأ، والأشهب: هو أبو ثور، ورميلة بالراء المهملة اسم =

وليست هذه «لَوْلا» التي تعطي منع الشيء لوجوب غيره، وفرِّق بينهما أنها في التحضيض لا يليها إلا الفعل مظهراً أو مقدراً، وعلى بابها في المنع للوجوب يليها[١] الابتداء، وجرت العادة بحذف الخبر، والآية هنا: العلامة الدالة، وقد تقدم القول في لفظها.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: اليهود والنصارى في قولِ مَن جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [كفار العرب، وهم الأمم السالفة في قول من جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ][٢] [العرب واليهود والنصارى، وهم اليهود في قول من جعل الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ][٣] النصارى.

والكاف الأولى من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نعت لمصدر مقدر[٤].

و﴿مِّثۡلَ﴾ نعت لمصدر محذوف، ويصح أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾[٥].

وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح، أو في الكفر وإن اختلفت ظواهرهم.

وقرأ [ابن أبي إسحاق][٦] [وأبو حيوة][٧]: (تشّابهت) بشد الشين[٨]، قال أبو عمرو الداني: وذلك غير جائز لأنه فعل ماض.

= أمّه، والنّيب: جمع نابة وهي الناقة المسنَّة، وبنو ضوطرى تقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء، وهم أيضاً حيٌّ معروف، وقيل: الضوطرى: الحمقى، وفي الحمزوية بدل «المقنعا»: «المهندا».

(١) في الحمزوية: «قبلها».

(٢) ساقط من الأصل والتركية وفيض الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى مع اختلاف بينها في التقديم والتأخير.

(٣) ساقط من فيض الله، والحمزوية.

(٤) في السليمانية: «محذوف».

(٥) في الحمزوية: «قبل».

(٦) في فيض الله: «ابن إسحاق».

(٧) في أحمد٣: «ابن أبي حيوة».

(٨) عزاها لابن أبي إسحاق الكرماني في الشواذ (ص: ٧٢)،ولهما أبو حيان (١/ ٥٨٧)، ونقل تضعيف الداني لها، وهي قراءة شاذة.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ لـمَّا تقدم ذكر الذين أضلهم الله حتى كفروا بالأنبياء [وطلبوا ما][١] لا يجوز لهم، أتبع ذلك بذكر الذين بيَّن لهم ما ينفع وتقوم به الحجة، لكن البيان وقع وتحصل للموقنين، فلذلك خصهم بالذكر، ويحتمل أن يكون المعنى: قد بينا البيان الذي هو خلق الهدى، فكأن الكلام قد هدينا من هدينا، واليقين إذا اتصف به العلم خصصه وبلغ به نهاية الوثاقة.

وقوله تعالى: ﴿بَيَّنَّا﴾ قرينةٌ تقتضي أن اليقين صفة لعلمهم، وقرينة أخرى، وهي أن الكلام مدح لهم، وأما اليقين في استعمال الفقهاء إذا لم يتصف به العلم فإنه أخص[٢] من العلم[٣]، لأن العلم عندهم معرفة المعلوم على ما هو به[٤]، واليقين معتقد يقع للموقن في حقه والشيءُ على خلاف معتقده، ومثال ذلك تيقُّن المقلِّد ثبوت الصانع.

ومنه قول مالك رحمه الله في «الموطأ» في مسألة الحالف على الشيء يتيقنه والشيء / في نفسه على غير ذلك[٥]. [٩٠]

وأما حقيقة الأمر فاليقين هو الأخص، وهو ما علم على الوجه الذي لا يمكن أن يكون إلا عليه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

---

(١) في الحمزوية: «وظلموا بما».

(٢) في المطبوع، وفيض الله: «أحط»، وأشار لها في هامش الأصل.

(٣) لأنه يستعمل عندهم في الشك والظن، وكذلك العلم، انظر: المجموع شرح المهذب (١/ ١٧٧).

(٤) انظر: الإرشاد والتقريب للباقلاني (١/ ١٧٤)، والعدة لأبي يعلى (١/ ٧٦)، وشرح اللمع للشيرازي (١/ ١٤).

(٥) الموطأ (٢/ ٤٧٧).

المعنى بَشِيراً لمن آمن، وَنَذِيراً لمن كفر.

وقرأ نافع وحده: ﴿ولا تَسألْ﴾ بالجزم[١] على النهي، وفي ذلك معنيان: أحدهما: لا تسألْ، على جهة التعظيم لحالهم من العذاب، كما تقول: فلان لا تسأل عنه، تعني أنه في نهاية [تشهُّره][٢] من خير أو شر، والمعنى الثاني روي فيه أن النبي ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت: ﴿ولا تسألْ﴾[٣]، وحكى المهدوي رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «ليت شعري أيُّ أبويَّ أحدث موتاً؟»، فنزلت[٤].

وهذا خطأٌ ممّن رواه أو ظنه؛ لأن أباه مات وهو في بطن أمه، وقيل: وهو ابن شهر، وقيل: ابن شهرين، وماتت أمه بعد ذلك بخمس سنين منصرفة به من المدينة من زيارة أخواله، فهذا مما لا يُتوهم أنه خفي عليه ﷺ.

وقرأ باقي السبعة: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ بضم التاء واللام[٥]، وقرأ قوم: (ولا تَسأل) بفتح التاء وضم اللام[٦]، ويتجه في هاتين القراءتين معنيان:

أحدهما: الخبر أنه لا يَسْأَلُ عنهم، أو لا يُسْأَلُ هو عنهم.

والآخر: أن يراد معنى الحال، كأنه قال: وغير مسؤول، أو[٧] غير سائل عنهم، عطفاً على قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.

---

(١) انظر قراءته وقراءة الباقين في التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦).

(٢) في فيض الله: «شهره»، نور العثمانية: «بشهرة»، وفي الحمزوية: «الشهرة من الخير والشر».

(٣) مرسل منكر، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢/ ٥٨٨)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٦٠)، وغيرهم من حديث موسى بن عُبيدة الرَّبَذِي عن محمد بن كعب القُرَظي مرسلاً. وموسى منكر الحديث.

(٤) التحصيل (١/ ٣٢٣)، وقد أورده مكي في الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦٢).

(٥) فهما متواترتان، انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٩).

(٦) لعلها هي الثانية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٠)، ولم ينسبها.

(٧) في المطبوع: «و» بدل «أو» في الموضعين.

[وقرأ أبي بن كعب: (وما تسأل)، وقرأ ابن مسعود: (وَلَنْ تُسأل)[١]][٢]، وهاتان القراءتان تؤيدان معنى القطع والاستئناف في غيرهما.

و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ إحدى طبقات النار.

ويقال: رَضِي يَرْضَى رِضاً ورُضاً ورِضْواناً، وحكي رضاءً ممدوداً.

وقال: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ـ وهما ملَّتان مختلفتان ـ بمعنى: لن ترضى اليهود حتى تتبع ملتهم، ولن ترضى النصارى حتى تتبع ملتهم، فجمعهم إيجازاً، لأن ذلك مفهوم. والملة الطريقة، وقد اختصت اللفظة بالشرائع والدين، وطريق مُمَلٌّ، أي: قد أثر المشي فيه.

وروي أن سبب هذه الآية: أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله ﷺ الهدنة، ووعدوه أن يتَّبعوه بعد مدة خداعاً منهم، فأعلمه الله تعالى أن إعطاء الهدنة لا ينفع عندهم، وأطلعه على سر خداعهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: ما أنت عليه يا محمد من هدى الله الذي يضعه في قلب من يشاء هو الهدى الحقيقيُّ، لا ما يدعيه هؤلاء.

ثم قال تعالى لنبيه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ الآية، فهذا شرط خوطب به النبي ﷺ وأمته معه داخلة فيه، و(أهواء) جمع هوى، ولما كانت مختلفة جمعت، ولو حمل على إفراد الملة لقيل: هواهم، والولي: الذي يتولى الإصلاح والحياطة والنصر والمعونة، و﴿نَصِيرٍ﴾ بناء مبالغة في اسم الفاعل من نصر.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء، و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ

---

(١) انظرهما في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٥)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٦٦)، وهما شاذتان، لمخالفة الرسم.

(٢) ساقط من نور العثمانية.

(٣) لم أجد هذا الخبر.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ صلة، وقال قتادة: «المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾[(١)] في هذا الموضع: من أسلم من أمة محمد ﷺ»، والْكِتاب على هذا التأويل [القرآن.

وقال ابن زيد: «المراد من آمن بمحمد ﷺ[(٢)] من بني إسرائيل»[(٣)]، والْكِتاب على هذا التأويل][(٤)] التوراة.

و﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾ آتَيْناهُمُ معناه: أعطيناهم، وقال قوم: «هذا مخصوص في الأربعين الذين وردوا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السفينة، [فأثنى عليهم][(٥)] فأثنى الله عليهم»[(٦)]، ويحتمل أن يراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ العموم في مؤمني بني إسرائيل والمؤمنين من العرب، ويكون الْكِتاب اسم الجنس.

و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ معناه: يتَّبعون حقَّ اتِّباعه بامتثال الأمر والنهي، وقيل: [﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾: يقرؤونه][(٧)] حق قراءته، وهذا أيضاً يتضمن الاتباع والامتثال.

و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾؛ إذا أريد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الخصوص فيمن اهتدى يصح أن يكون خبرَ الابتداء ويصح أن يكون ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ في موضع الحال والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وإذا أريد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ العموم لم يكن الخبر إلا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، و﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ حال لا يستغنى عنها وفيها الفائدة، لأنه لو كان الخبر في ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ لوجب أن يكون كل مؤمن يتلو الكتاب حَقَّ تِلاوَتِهِ.

و﴿حَقَّ﴾ مصدر، والعامل فيه فعل مضمر، وهو بمعنى أفعل، ولا يجوز إضافته

---

(١) بـ«الذين»: سقطت من السليمانية.

(٢) بمحمد ﷺ: سقطت من جار الله وفيض الله وأحمد٣ وكذا السليمانية، وفيها: «من أسلم من بني».

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٥٦٥).

(٤) ما بين القوسين ساقط من المطبوع، وهو في السليمانية ملحق في الهامش وعليه علامة «صح».

(٥) ساقط من الحمزوية والمطبوعة وجار الله، وأثبتناه من النسخ الأخرى بناء على أنه ليس تكراراً مع ما بعده.

(٦) أسباب النزول للواحدي (١ / ٢٥) عن ابن عباس.

(٧) في الحمزوية: «يتبعونه بقراءته».

إلى واحد معرف، وإنما جازت هنا لأن تعرُّف التلاوة بإضافتها إلى الضمير ليس بتعرف محض، وإنما هو بمنزلة قولهم رجل واحد أمِّه، ونسيج وحدِه، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وقيل: يعود على محمد ﷺ، لأن متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون به، ويحتمل عندي أن يعود الضمير على الْهُدى الذي تقدم، وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى في أول الآية وحذر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه بأن هُدَى الله هُوَ الْهُدى الذي أعطاه وبعثه به، ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره.

والضمير في ﴿يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ يحتمل من العود ما ذكر في الأول.

و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ابتداء وعماد وخبر، أو ابتداء وابتداء وخبر، والثاني وخبره خبر الأول، والخسران: نقصان الحظ.

قوله عز وجل: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[٩١] / قرأ الحسن وغيره: (نعمتي) بتسكين الياء تخفيفاً[(١)]، لأن أصلها التحريك كتحريك الضمائر لك وبك، ثم حذفها الحسن للالتقاء، وفي السبعة من يحرك الياء، ومنهم من يسكنها[(٢)].

وإن قدرنا فضيلة بني إسرائيل مخصوصةً في كثرة الأنبياء وغير ذلك فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٧).

(٢) التحريك هوالذي في طرق التيسير للكل، وقال في النشر (٢/ ١٦٢): «أجمعوا عليه»، والتسكين هو رواية المفضل عن عاصم كما في السبعة لابن مجاهد (١/ ١٩٧)، وجامع البيان للداني (٢/ ٩٤٩) وظاهره عزوها لحمزة أيضاً، فلعلها رواية ضعيفة عنه.

محمد ﷺ أفضل منهم بالنص، وقد تقدم القول على مثل هذه الآية إلى قوله: ﴿يُنصَرُونَ﴾.

ومعنى ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾: أي: ليست ثَم، وليس المعنى أنه يشفع فيهم أحد فيرد، وإنما نفى أن تكون ثم شفاعة على حد ما هي في الدنيا، وأما الشفاعة التي هي في تعجيل الحساب فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة في خاصتهم، وأما الأخيرة التي هي بإذن من الله تعالى في أهل المعاصي من المؤمنين، فهي بعد أن أخذ العقاب حقه، وليس لهؤلاء المتوعدين من الكفار منها شيء.

والعامل في (إذ) فعل، تقديره: واذكر إذ.

و﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ معناه: اختبر، و﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يقال: إن تفسيره بالعربية: أب رحيم.

وقرأ ابن عامر في جميع سورة البقرة: ﴿إبراهام﴾[1].

وقُدِّم على الفاعل للاهتمام، إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يتهمَّمُ[2] السامع بمن ابْتَلى، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل موجب تقديمَ المفعول، فإنما بني الكلام على هذا الاهتمام.

واختلف أهل التأويل في الكلمات، فقال ابن عباس: هي ثلاثون سهماً، هي الإسلام كله، لم يتمه أحد كاملاً إلا إبراهيم صلوات الله عليه، عشرة منها في براءة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرة في [سَأَلَ سائِلٌ][3].

---

(١) كما في السبعة في القراءات (ص: ١٦٩)، وحجة القراءات (ص: ١١٣)، وجزم به الداني في التيسير (ص: ٧٧)، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٢٢) من رواية هشام عنه، وذكرا لابن ذكوان في البقرة خاصة الوجهين.

(٢) في المطبوع: «يهتم».

(٣) في جار الله وأحمد٣: «المعارج»، وهي من الآية (٢٣) إلى (٣٤)، والحديث إسناده صحيح فرد، هذا الأثر أخرجه الطبري (١/ ١٦٨) وابن أبي حاتم (١/ ٢٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ١٣٤) من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح.

وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: «الكلمات عشر خصال، خمس منها في الرأس: المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وفرق الرأس»، وقيل بدل فرق الرأس: إعفاء اللحية، «وخمس في الجسد: تقليم الظفر، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستنجاء بالماء، والاختتان»(١).

وقال ابن عباس أيضاً: «هي عشر خصال، ستٌّ في البدن وأربع في الحج: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والغسل يوم الجمعة، والطواف بالبيت، والسعي، ورمي الجمار، والإفاضة»(٢).

وقال الحسن بن أبي الحسن: «هي الخلال الستُّ التي امتحن(٣) بها: الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان»، وقيل بدل الهجرة: الذبح، وقالت طائفة: «هي مناسك الحج خاصة»(٤).

وروي أن الله عز وجل أوحى إليه أن تطهرْ فتمضمض، ثم [أن تطهر](٥) فاستنشق، ثم أن تطهر فاستاك، ثم أن تطهر فأخذ من شاربه، ثم أن تطهر ففرق شعره، ثم أن تطهر فاستنجى، ثم أن تطهر فحلق عانته، ثم أن تطهر فنتف إبطه، ثم أن تطهر فقلم أظفاره، ثم أن تطهر فأقبل على جسده ينظر ما يصنع فاختتن بعد عشرين ومئة سنة(٦).

---

(١) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٩) من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ١٠)، بإسناد فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٣) في نور العثمانية هنا زيادة: «الله».

(٤) تفسير الطبري (٢ / ١٢).

(٥) في جار الله بدله: «أوحى الله إليه أن يتمضمض».

(٦) الأصح موقوف والمحفوظ في سن اختتانه غير ذلك، قوله: اختتن بعد عشرين ومئة سنة، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠٤) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٨٣) وغيرهم من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو الأشبه، وروي كذلك =

وفي «البخـاري» أنه اختـتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[(١)]، وقال الراوي[(٢)]: «فأوحى الله إليه: إنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً يأتمُّون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون»[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أقوى الأقوال في تفسير هذه الآية، وعلى هذه الأقوال كلها فإبراهيم عليه السلام هو الذي أتمَّ.

وقال مجاهد وغيره: «إن الكلمات هي أن الله عز وجل قال لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال إبراهيم: تجعلني للناس إماماً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: تجعل البيت مثابة، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وأمناً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وترينا مناسكنا وتتوب علينا، قال الله: نعم، قال إبراهيم: تجعل هذا البلد آمناً، قال الله: نعم، قال إبراهيم: وترزق أهله من الثمرات، قال الله: نعم»[(٤)].

فعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي أتم، وقد طول المفسرون في هذا، وذكروا أشياء فيها بعدٌ فاختصرتها.

= من قول سعيد، ذكر ذلك الدارقطني في العلل (٧/ ٢٨١-٢٨٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٣٩) وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٧٥)، وقال: هكذا روي موقوفاً، وهو أشبه بالمرفوع خلافاً لابن حبان اهـ، هكذا في المطبوع، والمراد: وهو أشبه من المرفوع، وقد دافع ابن حبان عن الرفع ودفع قول من وهمه، والمحفوظ في سن إبراهيم عليه السلام لما اختتن هو ثمانون سنة، كما سيأتي مخرجاً في الصحيحين من حديث أبي هريرة نفسه، وقال بذلك غير واحد من الحفاظ، وأورد خبر أبي هريرة السابق: الحافظ في الفتح (٦/ ٣٩١) ثم قال: والظاهر أنه سقط من المتن شيء، فإن هذا القدر ـ يعني المئة وعشرين سنة ـ هو مقدار عمره عليه السلام. أما قول المصنف: وروي أن الله عز وجل أوحى إليه أن تطهر فتمضمض... إلى آخره، فلم أقف عليها بهذا السياق.

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٥٦) ومسلم (٢٣٧٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: قال الرازي، ويمكن أن يكون إشارة إلى أبي جعفر الرازي ابن عيسى بن ماهان..».

(٣) هذه العبارة يتناقلها أهل التفسير ولا ينسبونها لأحد إنما هي تفسير للآية.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٢١٣)، وتفسير الطبري (٢/ ١١).

وإنما سميت هذه الخصال كلمات، لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات، وروي أن إبراهيم ﷺ لما أتم هذه الكلمات أو أتمها الله عليه كتب الله له البراءة من النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

والإمام القدوة، ومنه قيل لخيط البناء: إمام، وهو هنا اسم مفرد، وقيل في غير هذا الموضع: هو جمع آمٍّ، وزنه: فاعِل، أصله: آمم، فيجيء مثل قائم وقيام وجائع وجياع ونائم ونيام، وجعل الله تعالى إبراهيم إماماً لأهل طاعته، فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه، وأعلم الله تعالى أنه كان حنيفاً.

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، هو على جهة الدعاء والرغبى إلى الله، أي: ومن ذريتي يا رب فاجعل، وقيل: هذا منه على جهة الاستفهام عنهم، أي ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟.

والذرية مأخوذة من ذرا يذْرو، أو من ذَرَى يذْري، [أو من ذرَّ يذُرُّ][١]، أو من ذَرأ يذْرأُ، وهي أفعال تتقارب معانيها، وقد طوَّل في تعليلها أبو الفتح وشفى[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾[٣]، أي: قال الله، و«العهد» فيما قال مجاهد: الإمامة، وقال السدي: [النبوءة، وقال قتادة:][٤] «الأمان من عذاب الله»، وقال الربيع والضحاك: «العهد: الدين؛ دين الله تعالى»[٥]، وقال ابن عباس: «معنى الآية: لا عهد عليك لظالم أن تطيعه»[٦].

ونصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن العهد ينال كما ينال.

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وفي المطبوع بدل «أو» هنا: «أم».

(٢) انظر المحتسب (١/ ١٥٦).

(٣) في الحمزوية زيادة: «الظالمين».

(٤) ساقط من جار الله، وهي في نسخة أحمد٣ ملحقة في الهامش وعليها علامة «صح».

(٥) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٢/ ٢٠ و٢١و٢٢).

(٦) لا بأس به بمجموع طرقه، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٢٢) من ثلاثة طرق عن ابن عباس، لا تخلو جميعاً من مقال، ومجموعها يشد بعضه بعضاً.

وقرأ قتادة وأبو رجاء والأعمش: (الظالمون) بالرفع[١].

[٩٢] وإذا أوَّلنا العهد الدينَ / أو الأمان، أو أن لا طاعة لظالم؛ فالظلم في الآية ظلم الكفر، لأن العاصي المؤمن ينال الدين والأمان من عذاب الله، وتلزم طاعته إذا كان ذا أمر، وإذا أولنا العهد النبوءة أو الإمامة في الدين فالظلم ظلم المعاصي فما زاد.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾ عطف على (إذْ) المتقدمة، و﴿ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة.

و﴿مَثَابَةً﴾: يحتمل أن تكون من ثاب إذا رجع؛ لأن الناس يثوبون إليها، أي: ينصرفون، ويحتمل أن تكون من الثواب، أي: يثابون هناك، قال الأخفش: «دخلت الهاء فيها للمبالغة لكثرة من يثوب، أي: يرجع»[٢]، لأنه قلَّ ما يفارق أحد البيت إلا وهو يرى أنه لم يقض منه وطراً، فهي كنسَّابة وعلامة، وقال غيره: «هي هاء تأنيث المصدر»، فهي مَفْعلة أصلها: مَثْوبة، نقلت حركة الواو إلى الثاء فانقلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها، وقيل: «هو على تأنيث البقعة»، كما يقال: مقام ومقامة.

وقرأ الأعمش: (مثابات) على الجمع[٣]، وقال ورقة بن نوفل في الكعبة:

[الطويل] مثَـابٌ لأفنـاء القبـائل كلِّـها ... تخـبُّ إليْها اليَعْمَـلاتُ الطَّلائح[٤]

---

(١) عزاها لأبي رجاء والأعمش النحاس في إعراب القرآن (١/ ٧٦)، وللثلاثة أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦٠٤)، ونسبها الطبري (٢/ ٢٤) والفراء في معاني القرآن (١/ ٢٨)، والفارسي في الحجة (٢/ ٤٢)، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص١٦) لابن مسعود، وزاد الكرماني في الشواذ (ص ٧٤) أبيّاً، ونسبها الثعلبي (١/ ٢٦٩) لطلحة.

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٥٤).

(٣) انظر عزوها له في الكامل (ص: ٤٩١)، وعزاها الثعلبي (١/ ٢٧٠) لطلحة بن مصرف.

(٤) البيت لورقة بن نوفل في تفسير الطبري (٢/ ٢٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٥٩)، =

و(أمْناً) معناه أن الناس يُغِيرون [ويقتتلون][(١)] حول مكة وهي آمنة من ذلك، يلقى الرجل بها قاتل أبيه فلا يَهيجه، لأن الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها أمناً للناس والطير والوحوش، وخصَّص الشرع من ذلك الخمس الفواسق [على لسان النبي ﷺ][(٢)].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي][(٣)] [وجمهور الناس][(٤)]: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بكسر الخاء على جهة الأمر، فقال أنس بن مالك وغيره: «معنى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، وقلت يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾»[(٥)]، فهذا أمر لأمة محمد ﷺ.

وقال المهدوي: «وقيل: ذلك عطف على قوله:﴿ٱذْكُرُواْ﴾ فهذا أمر لبني إسرائيل»[(٦)].

وقال الربيع بن أنس: «ذلك أمر لإبراهيم ومتبعيه، فهي من الكلمات، كأنه قال: إنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً، واتَّخِذُوا»[(٧)]، وذكر المهدوي رحمه الله أن ذلك عطف على

= وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/ ١٥)، ويقال: «هو من أفناء الناس» أي: لا يدري من أي قبيلة هو، والأفناء: الأخلاط، واليعملات بفتح الميم جمع يعملة وهي: النجيبة من الإبل، والطلائح: الإبل التي أضمرها الإعياء، وفي المطبوع : «مثاباً» بالنصب، وفي أحمد٣: «مثابات أفناء».

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ويقتلون».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (١١٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة، بلفظ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع والفارة والكلب العقور والحديا».

(٣) ساقط من فيض الله، وما بعده ساقط من الحمزوية إلى «عن عمر».

(٤) من جار الله والسليمانية وأحمد٣، ونور العثمانية.

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩) مختصراً من حديث أنس عن عمر.

(٦) نقله القرطبي في تفسيره (٢ / ١١١)، وانظر الطبري (٢ / ٣١).

(٧) تفسير الطبري (٢ / ١٢).

الأمر الذي يتضمنه قوله: ﴿جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾، لأن المعنى: ثوبوا[١].

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿واتخَذوا﴾ بفتح الخاء[٢] على جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي إبراهيم، وذلك معطوف على قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾، كأنه قال: وإذ اتخَذوا، وقيل: هو معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾ دون تقدير (إذ)، فهي جملة واحدة، وعلى تقدير (إذ) فهي جملتان.

واختلف في ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾:

فقال ابن عباس وقتادة وغيرهما ـ وخرجه البخاري ـ: «إنه الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه»[٣].

وقال الربيع بن أنس: «هو حجر ناولته إياه امرأته فاغتسل عليه وهو راكب، جاءته به من شق ثم من شق، فغرقت رجلاه فيه حين اعتمد عليه»[٤].

وقال فريق من العلماء: «المقام المسجد الحرام»، وقال عطاء بن أبي رباح: «المقام عرفة والمزدلفة والجمار»[٥]، وقال ابن عباس: «مقامه مواقف الحج كلها»[٦]، وقال مجاهد: «مقامه الحرم كله»[٧].

---

(١) التحصيل للمهدوي (١ / ٣٥٦)، وتفسير القرطبي (٢ / ١١١).

(٢) فالقراءتان متواترتان، انظر التيسير (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري عن السدي (٢ / ٣٥).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢ / ٣٣).

(٦) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٣٣) من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، والظاهر هنا أن عطاء هو ابن أبي رباح فيكون الإسناد صحيحاً.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٣٣).

و﴿مُصَلًّى﴾: موضع صلاة، هذا قول من قال: المقام الحجر، ومن قال بغيره قال: ﴿مُصَلًّى﴾ مَدْعًى، على أصل الصلاة.

وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾؛ العهد في اللغة على أقسام، [هذا](١) منها: الوصية بمعنى الأمر.

و﴿أَن﴾ في موضع نصب على تقدير: بأن، وحذف الخافض، قال سيبويه: «إنها بمعنى «أي» مفسرة، فلا موضع لها من الإعراب»(٢).

و﴿طَهِّرَا﴾ قيل: «معناه: ابنياه وأسساه(٣) على معنى(٤) طهارة ونية طهارة»(٥)، فيجيء مثل قوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال مجاهد: «هو أمر بالتطهير من عبادة الأوثان»(٦)، وقيل: «من الفرث والدم»(٧)، وهذا ضعيف لا تعضده الأخبار، وقيل: من الشرك.

وأضاف الله البيت إلى نفسه تشريفاً للبيت، وهي إضافة مخلوقٍ إلى خالق، ومملوك إلى مالك.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ظاهره: أهل الطواف، وقاله عطاء وغيره، وقال ابن جبير: «معناه للغرباء الطارئين على مكة»(٨).

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال ابن جبير: «هم أهل البلد المقيمون»، وقال عطاء: «هم

---

(١) ليست في نور العثمانية وأحمد٣ وجار الله.
(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٣٤).
(٣) في نور العثمانية: «واستبنياه».
(٤) من نور العثمانية.
(٥) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٩٣).
(٦) تفسير الطبري (٢/ ٤٠).
(٧) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٩٣).
(٨) انظر القولين في تفسير الطبري (٢/ ٤١).

المجاورون بمكة»[١]، وقال ابن عباس: «المصلون»[٢]، وقال غيره: «المعتكفون».

والعكوف في اللغة: اللزوم[٣] للشيء والإقامة عليه، كما قال الشاعر:

[الرجز] عَكْـفَ النَّبيـط يلعَبُـون الفَنزجَا[٤] ....

معناه: لملازمي البيت إرادةَ وجه الله العظيم.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلُّون، وخص الركوع والسجود بالذكر لأنهما أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى، وكل مقيم عند بيت الله إرادةَ ذات الله فلا يخلو من إحدى هذه الرتب الثلاث: إما أن يكون في صلاة أو في طواف [أو عكوف][٥]، فإن كان في شغل من دنياه فحال العكوف على مجاورة البيت لا تفارقه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ الآية، دعا إبراهيم عليه السلام لذريته وغيرهم بمكة بالأمن ورغد العيش، و﴿ٱجْعَلْ﴾ لفظه الأمر وهو في حق الله تعالى رغبة ودعاء، و﴿ءَامِنًا﴾ معناه: من الجبابرة والمسلطين[٦]، والعدو / المستأصل والمَثُلات التي تحل بالبلاد. [٩٣]

وكانت مكة وما يليها حين ذلك قفراً لا ماء فيه ولا نبات، فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيره، ونبتت فيها أنواع الثمرات.

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢/ ٤٣).
(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٣) عنه بإسناد منقطع.
(٣) في نور العثمانية: «الملازمة».
(٤) البيت للعجاج عزاه له: الخليل في كتاب العين (١/ ٢٠٥)، وابن سيده في المحكم (١/ ٢٨٢)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٦٤)، والجوهري في الصحاح (٢/ ٣٥٩)، وابن قتيبة في أدب الكاتب (ص٤٩٨)، وعكف: أقام حول الشيء، والنبيط: جمع نبطي، وهم قوم من العجم. والفنزج والفنزجة، : لعبة للعجم يأخذ كلُّ واحدٍ منهم بيد صاحبه ويستديرون. انظر: اللسان (٢/ ٣٤٩).
(٥) من السليمانية ملحقة في هامشها عليها علامة «صح».
(٦) في الحمزوية: «التسلطين».

وروي أن الله تعالى لما دعاه إبراهيم أمر جبريل صلوات الله عليه فاقتلع فلسطين، وقيل: قطعة[١] من الأردن، فطاف بها حول البيت سبعاً، وأنزلها [بوجّ][٢]، فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف[٣].

واختلف في تحريم مكة متى كان؟ فقالت فرقة: جعلها الله حراماً يوم خلق السماوات والأرض، وقالت فرقة: حرمها إبراهيم.

قال القاضي أبو محمد: والأول قاله النبي ﷺ في خطبته ثاني يوم الفتح[٤]، والثاني قاله أيضاً النبي ﷺ، ففي الصحيح عنه: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة، ما بين لابتيها حرام»[٥].

ولا تعارض بين الحديثين، لأن الأول إخبار بسابق علم الله فيها وقضائه، وكون الحرمة مدة آدم وأوقاتِ عمارة القطر بإيمان، والثاني إخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعد الدثور، وكل مقال من هذين الإخبارين حسن في مقامه، عظَّم[٦] الحرمة ثاني يوم الفتح على المؤمنين بإسناد التحريم إلى الله تعالى، وذكر إبراهيمَ عند تحريمه المدينة مثالاً لنفسه، ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضاً من قِبَل الله تعالى، ومن نافذ قضائه وسابق علمه.

و﴿ مَنْ ﴾ بدل من قوله: ﴿أَهْلَهُۥ﴾، وخص إبراهيم المؤمنين بدعائه.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ الآية؛ قال أبي بن كعب وابن إسحاق وغيرهما: «هذا

---

(١) في السليمانية وأحمد٣: «بقعة».

(٢) في الحمزوية: «ثَم»، وفي فيض الله: «نوح»، وهما خطأ، ووج موضع وقعت حوله غزوة حنين.

(٣) انظر القصة في تفسير السمعاني (١/ ١٣٨) والبغوي (١/ ١١٤).

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٣٦٧) ومسلم (١٣٦٠) بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) كتبت في المطبوع: «عطم»، بالطاء المهملة، ولعله سبق قلم.

القول من الله عز وجل لإبراهيم»، وقرؤوا: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بضم الهمزة [وفتح الميم][١] وشد التاء، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ بقطع الألف وضم الراء[٢].

وكذلك قرأ السبعة حاشا ابن عامر، فإنه قرأ: ﴿فأُمْتِعه﴾ بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء[٣]، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ [بقطع الألف.

وقرأ يحيى بن وثاب: (فأُمْتِعه) كما قرأ ابن عامر، (ثم إضْطره)][٤] بكسر الهمزة[٥] على لغة قريش في قولهم: لا إخال، وقرأ أبي بن كعب: (فنمتعه ثم نضطره)[٦].

و(مَن) شرط والجواب في ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾، وموضع (مَن) رفع على الابتداء والخبر، ويصح أن يكون موضعها نصباً على تقدير وأرْزُقُ من كفر، فلا تكون شرطاً.

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «هذا القول هو من إبراهيم ﷺ»[٧]، وقرؤوا: (فأمْتعه) بفتح الهمزة وسكون الميم، (ثم اضطرَّه) بوصل الألف وفتح الراء[٨]، وقرئت بالكسر[٩]، ويجوز فيها الضم، وقرأ ابن محيصن: ثم (أطَّرُّهُ) بإدغام الضاد في الطاء[١٠].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر هذا القول والقراءة بمقتضاه في تفسير الطبري (١/ ٥٤)، إلا أن قراءة أبي هي بضمير الجمع كما سيأتي.

(٣) فهما قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٠).

(٤) ساقط من جار الله، وسقط «يحيى بن وثاب» من فيض الله.

(٥) انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٧)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٦)، وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٧٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٧٧).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٤) بإسناد فيه أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف الحديث.

(٨) تفسير الطبري (٢/ ٥٤)، وعزاها في المحتسب (١/ ١٠٤) لابن عباس.

(٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٦٥).

(١٠) المحتسب (١/ ١٠٦).

وقرأ يزيد بن أبي حبيب[١]: (ثم أضطُرُّه) بضم الطاء[٢].

قال القاضي أبو محمد: فكأن إبراهيم عليه السلام دعا للمؤمنين وعلى الكافرين.

و﴿قَلِيلًا﴾ معناه: مدة العمر، لأن متاع الدنيا قليل، وهو نعت إمَّا لمصدر [كأنه قال: متاعاً قليلاً، وإما لزمان][٣]، كأنه قال: وقتاً قليلاً، أو زمناً قليلاً.

و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ مَفْعل كموضع من صار يصير، و(بيس) أصلها: بئس، وقد تقدمت في: ﴿بِئْسَمَا﴾ [البقرة: ٩٠]، و(أمتعه) معناه: أخوله الدنيا وأبقيه[٤] فيها بقاء قليلًا، لأنه فانٍ منقض، وأصل المتاع: الزاد، ثم استعمل فيما يكون آخر أمر الإنسان أو عطائه أو أفعاله، قال الشاعر:

وقفتُ علىٰ قبْرٍ غَريبٍ بقفْرةٍ ... متاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفارِق[٥] [الطويل]

[ومنه تمتيع الزوجات، ويَضطَرُّ الله الكافر إلى النار جزاء على كفره][٦].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

---

(١) يزيد بن أبي حبيب الفقيه أبو رجاء الأزدي مولاهم المصري أحد الأعلام، وكان أسود حبشيّاً، روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء وخلق، وعنه ابن إسحاق والليث وطائفة، وكان مفتي أهل مصر حليماً عاقلاً، توفي سنة (١٢٨هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٠٤).

(٢) لم أجدها لغيره وقد نقلها أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦١٤).

(٣) ساقط من جار الله.

(٤) في الحمزوية: «وأنعمه».

(٥) البيت لسليمان بن عبد الملك كما في البيان والتبيين (١/ ٥٨٦)، وقد أنشده بعد دفن ولده أيوب، كما تقدم في الآية (٣٦).

(٦) ساقط من فيض الله.

المعنى: واذكر إذ، و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة وهي الأساس، وقال الفراءُ: «هي الجدر»[١]، وفي هذا تجوز.

والقواعد من النساء جمع قاعد، وهي التي قعدت عن الولد، وحذفت تاء التأنيث لأنه لا دخول للمذكر فيه، هذا قول بعض النحاة، وقد شذ حذفها مع اشتراك المذكر بقولهم ناقة ضامر، ومذهب الخليل أنه متى حذفت تاء التأنيث زال الجري على الفعل وكان ذلك على النسب[٢].

و﴿ٱلْبَيْتِ﴾ هنا: الكعبة بإجماع، واختلف بعدُ[٣] رواةُ القصص: فقيل: إن آدم أمر ببنائه، فبناه، ثم دثر ودرس حتى دُل عليه إبراهيم فرفع قواعده، وقيل: إن آدم هبط به من الجنة، وقيل: إنه لما استوحش في الأرض حين نقص طوله وفقد أصوات الملائكة أهبط إليه وهو كالدرة، وقيل: كالياقوتة، وقيل: إن البيت كان ربوة حمراء، وقيل: بيضاء، ومن تحته دحيت الأرض، وإن إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر الله ورفَع قواعده.

والذي يصح من هذا كله أن الله أمر إبراهيم برفع قواعد البيت[٤]، وجائز قِدَمه وجائز أن يكون ذلك ابتداء، ولا يرجح شيء من ذلك إلا بسند يقطع العذر.

وقال عبيد بن عمير: «رفعها إبراهيم وإسماعيل معاً»[٥]، وقال ابن عباس: «رفعها إبراهيم، وإسماعيل يناوله الحجارة»[٦]، وقال علي بن أبي طالب: «رفعها إبراهيم،

---

(١) الذي في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨) : هي أساس البيت، ومثله لأبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٩)، وفسرها بالجدر الكسائي في معاني القرآن له: (ص: ٧٨)، وكذا نقل عنهم القرطبي (٢/ ١٢٠)، وعزا القول الثاني في البحر المحيط (١/ ٥٩٨) للفراء والكسائي معاً.

(٢) انظر: شرح الرضي على الكافية (٣/ ٣٣١)، والمخصص (٥/ ٦٦).

(٣) في نور العثمانية: «بعض».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و(٣٣٦٥) من قول ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٦٦).

(٦) سبق هذا في المتفق عليه قريباً.

وإسماعيل طفل صغير»، ولا يصح هذا عن علي رضي الله عنه، لأن الآية والآثار ترده.

﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، وقيل: هو مقطوع على الابتداء، وخبره / فيما بعد، قال الماوردي: «إسْماعِيلُ أصله: اسمع يا [إيل][١]»[٢]. وهذا ضعيف. [٩٤]

وتقدير الكلام: يقولان ربنا تقبل، وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود كذلك بثبوت: (يقولان)[٣]، وقالت فرقة: «التقدير: وإسماعيل يقول: ربنا، وحذف لدلالة الظاهر عليه»، وكل هذا يدل على أن إسماعيل لم يكن طفلاً في [ذلك الوقت][٤]، وخَصّا هاتين الصفتين لتناسبهما مع حالهما، أي: السَّمِيعُ لدعائنا والْعَلِيمُ بنياتنا.

وقولهما ﴿اجْعَلْنا﴾ بمعنى: صيِّرنا، تتعدى إلى مفعولين، و﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ هو المفعول الثاني، وكذلك كانا، فإنما أرادا التثبيت والدوام، والإسلام في هذا الموضع الإيمان والأعمال جميعاً.

وقرأ ابن عباس وعوف[٥]: (مسلِمِين) على الجمع[٦].

---

(١) في المطبوعة رسمت «ءايل».

(٢) النكت والعيون للماوردي (١ / ١٩٠).

(٣) انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (١/ ٧٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٣٩)، والمحتسب لابن جني (١/١٠٨)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣)، وعزوها لأبيٍّ في تفسير الماوردي (١/ ١٩٠).

(٤) في أحمد٣ وجار الله: «ذينك الوقتين».

(٥) هكذا في جميع النسخ: «عوف» بالفاء في آخره، وكذا في تاريخ الإسلام (٩/ ٢٤٦) قال: وهو عوف الأعرابي ابن أبي حميلة، أبو سهل البصري الأعرابي، ولم يكن بأعرابي، بل كان فارسيّاً، ضعفه ابن معين، ووثقه غير واحد، واحتج به أصحاب الصحاح، وقيل: كان قدرياً رافضياً، مات (١٤٧هـ)، وفي غاية النهاية (١/ ٦٠٦)، وأكثر كتب القراءات: «عون» بالنون، قال: وكان له اختيار في القراءة.

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لعون الأعرابي في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٦)، وزادا الحسن، وسماه الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٧٥) عون بن أبي جميلة، وانظر عزوها لابن عباس في البحر المحيط (١/ ٦٢٠).

و(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ للتبعيض، وخص من الذرية بعضاً لأن الله تعالى قد كان أعلمه أن منهم ظالمين، والأمة: الجماعة، وحكى الطبري أنه أراد بذلك العرب خاصة[١]، وهو ضعيف، لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمَن مِن غيرهم.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿وَأَرِنَا﴾ بكسر الراء، وقرأ ابن كثير: ﴿أرْنا﴾ بإسكان الراء، وقرأ أبو عمرو بين الإسكان والكسر اختلاساً[٢]، والأصل: أرئينا؛ حذفت الياء للجزم ونقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت تخفيفاً، واستثقل بعدُ مَن سكَّن الراء الكسرة كما استثقلت في «فخذ»، وهنا من الإجحاف ما ليس في «فخذ».

وقالت طائفة: «(أرِنا) من رؤية البصر»، وقالت طائفة: «من رؤية القلب»[٣]، وهو الأصح، ويلزم قائله أن يتعدى الفعل منه إلى ثلاثة [مفعولِين][٤]، وينفصل عنه بأنه يوجد معدًّى بالهمزة من رؤية القلب كغير المعدى. قال حُطائط بن يَعفر أخو الأسود ابن يعفر[٥]:

أريني جواداً مات هَزْلا لأنَّني أرىٰ ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخَلَّدا[٦] [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧٤).

(٢) ووافق عاصم وابن عامر نافعاً ومن معه، انظر ذلك كله في التيسير (ص: ٧٦)، والسبعة في القراءات (ص: ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٧٨ و٧٩) وقال الطبري: ولا معنى لفرق من فرق بين رؤية العين في ذلك ورؤية القلب.

(٤) في المطبوع: «مفاعيل».

(٥) شاعران جاهليان من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، ويكنّى الأسود أبا الجرّاح، وكان أعمى، ولا عقب للأسود ولا لأخيه حطائط. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢٤٨).

(٦) وهو شاعر جاهلي مقلٌّ، نسبه له في مجاز القرآن (١/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٣/ ٧٨)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٥)، والكنز اللغوي لابن السكيت (ص: ٢٣)، والأغاني (١٣/ ٣٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٤١)، وقوله: «لأنني»، بفتح اللام بمعنى: لعلني، وجاء في الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٧٤): «وأنشد أبو زيد لحاتم»، فذكره، وفي تاج العروس (٣٤/ ٢٠٤): «قال ابن بري: وهو الصحيح، وقيل: هو لدريد، قال: وقد وجدته في شعر معن بن أوس المزني»، وجاء في تفسير القرطبي (٧/ ٦٤)، معزوّاً لدريد بن الصمة.

وقال قتادة: «المناسك معالم الحج»[١]، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ودعا بهذه الدعوة، بعث الله إليه جبريل فحج به»[٢]، وقال ابن جريج: «المناسك المذابح، أي: مواضع الذبح»[٣]، وقال فريق من العلماء: «المناسك: العبادات كلها»[٤]، ومنه الناسك، أي: العابد.

وفي قراءة ابن مسعود: (وأرهم مناسكهم)[٥]،كأنه يريد الذرية.

والتوبة: الرجوع، وعُرفه شرعاً: من الشر إلى الخير، وتوبة الله على العبد: رجوعه به وهدايته له، واختلف في معنى طلبهم التوبة وهم أنبياء معصومون: فقالت طائفة: «طلبا التثبيت والدوام»، وقيل: «أرادا من بعدهما من الذرية» كما تقول: برني فلان وأكرمني، وأنت تريد في ولدك وذريتك[٦].

وقيل وهو الأحسن عندي: «إنهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت وأطاعا، أرادا أن يسنا للناس أن ذلك الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة».

وقال الطبري: «إنه ليس أحد من خلق الله تعالى إلا وبينه وبين الله تعالى [معان][٧] يحب أن تكون أحسن مما هي»[٨].

وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر، ومن

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧٦).

(٢) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٧٩) من طريق: ابن جريج قال: قال ابن المسيب، قال علي ابن أبي طالب. وبين وفاة ابن جريج وابن المسيب أكثر من ستين سنة، ويروي عنه بواسطة.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٧٧ و٧٨).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٨٠).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٣١)، وتفسير الطبري (١/ ٥٥٠)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٧٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٨١).

(٧) في الحمزوية: «معارف».

(٨) تفسير الطبري (٣/ ٨١).

الصغائر التي فيها رذيلة، واختلف في غير ذلك من الصغائر[١]، والذي أقول به أنهم معصومون من الجميع، وأن قول النبي ﷺ: «إني لأتوب إلى الله في اليوم وأستغفره سبعين مرة»[٢]، إنما هو رجوعه من حالة إلى أرفع منها لتزيُّدِ علومِه واطلاعه على أمر الله، فهو [يتوب][٣] من المنزلة الأولى إلى الأخرى، والتوبة هنا لغوية.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية، هذا هو الذي أراد النبي ﷺ بقوله: «أنا دعوة أبي[٤] إبراهيم، وبشرى عيسى»[٥]، ومعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾ أن يعرفوه ويتحققوا فضله، ويشفق عليهم ويحرص.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٤٤).

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «يترتب».

(٤) سقطت من فيض الله.

(٥) روي من طرق أحسنها جيد لو ثبت اتصاله، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٦٨)، وابن حبان (١٤/ ٣١٢)، والحاكم (٢/ ٤٥٣)، والطبراني (١٨/ ٢٥٢) من طريق سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال عن عرباض بن سارية به مرفوعاً. وسعيد قال البخاري: لا يتابع في حديثه. كما في الكامل لابن عدي (٣/ ٤٠٨) وذكر الحافظ في تعجيل المنفعة (١/ ٥٨٣) أن البخاري قال فيه: لم يصح حديثه. قال الحافظ: يعني الذي رواه معاوية عنه مرفوعاً: إني عبد الله وخاتم النبيين... وهو هذا الحديث. وقد اضطرب فيه سويد فتارة يرويه عن العرباض مباشرة وتارة يدخل بينهما عبد الأعلى بن هلال، وأخرج الحاكم (٢/ ٥٩٩) وغيره من طريق: ابن إسحاق قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ به. قال الحاكم عقبه: خالد بن معدان من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة، فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح اهـ، أقول: لكنه يرسل عن أكثر الصحابة، وقد سمع البعض وروى عن أكثرهم بواسطة، فروايته هاهنا تحتمل الأمرين، وقال ابن كثير في التفسير: (٨/ ١١٠): «هذا إسناد جيد، ورُوي له شواهد من وجوه أخر».اهـ ثم ذكر حديث العرباض الذي سبق، وحديث أبي أمامة الآتي، وأخرج أحمد (٥/ ٢٦٢) وأبو داود الطيالسي (٢/ ٤٥٨) والطبراني في الكبير (٢/ ٤٠٢) من طريق: فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة به مرفوعاً، وفرج ضعيف لاسيما عن الشاميين، وأحاديثه عن لقمان عن أبي أمامة غير محفوظة، قاله ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٩).

و(يَتْلُوا) في موضع نصب نعت لـ(رسول)، أي: تالياً عليهم، ويصح أن يكون في موضع الحال، والآيات آيات القرآن.

و﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾: القرآن، [ونسب التعليم إلى النبي ﷺ][(١)] من حيث هو يعطي الأمور التي ينظر فيها ويعلم طرق النظر بما يلقيه الله إليه ويوحيه[(٢)]، وقال قتادة: «الْحِكْمَةَ السنة وبيان النبي ﷺ الشرائع»، وروى ابن وهب[(٣)] عن مالك: «أن الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو [سجية][(٤)] ونور من الله تعالى»[(٥)].

و﴿وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ معناه: يطهرهم وينميهم بالخير، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير أو التنمية.

و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يغلب ويتمُّ مراده ولا يرد، و﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ المصيب مواقعَ الفعل المُحْكِم لها.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

﴿ وَمَن﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء، و﴿يَرْغَبُ﴾ خبره، والمعنى: يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها، والملة: الشريعة والطريقة.

و﴿سَفِهَ﴾ من السَّفه الذي معناه الرِّقَّة والخفَّة.

---

(١) في الحمزوية: «وسبب التعليم إلى الشيء».

(٢) في نور العثمانية: «ويوجبه».

(٣) هو عبد الله بن وهب الإمام أبو محمد الفهري، مولاهم المصري. أحد الأعلام، وعالم الديار المصرية، ثقة صدوق، روى عن مالك وغيره، توفي سنة (١٧٩هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (١٣/ ٢٦٥).

(٤) في الحمزوية: «منحة».

(٥) ذكرهما الطبري (٣/ ٨٧).

واختلف في نصب ﴿نَفۡسَهُۥ﴾، فقال الزجاج: «سَفِهَ بمعنى جهل، وعدَّاه بالمعنى»[١]، وقال غيره: «سَفِهَ بمعنى أهلك»[٢]، وحكى ثعلب والمبرد أن «سفِه بكسر الفاء يتعدى كسفَّه بفتح الفاء وشدها»[٣]، وحكي عن أبي الخطاب[٤] أنها لغة[٥]، وقال الفراء: نصبها على التمييز[٦].

قال القاضي أبو محمد: لأن السفه يتعلق بالنفس والرأي والخُلُق، فكأنه ميزها بين هذه [ورأى][٧] أن هذا التعريف ليس [بمحض][٨]؛ لأن الضمير فيه الإبهام / [٩٥] الذي في «مَنْ»، فكأن الكلام: إلا مَن سفه نفساً.

وقال البصريون: «لا يجوز التمييز مع هذا التعريف، وإنما النصب على تقدير حذف «في»، فلما انحذف حرف الجر قوي الفعل»[٩]، وهذا يجري على مذهب سيبويه فيما حكاه من قولهم: «ضُرب فلانٌ الظَّهرَ والبطن» أي: في الظهر والبطن[١٠].

وحكى مكي: «أن التقدير: إلَّا مَنْ سَفِهَ قولَه نَفْسَهُ، على أن ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ تأكيد، حذف

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢١٠).

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٥٦) ونقله عنه السمعاني (١/ ١٤١)، والزجاج في معاني القرآن (١/ ٢١٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ١٩٣)، والبحر المحيط (١/ ٦٢٢).

(٤) اشتهر بهذه الكنية الأخفش الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد كما في ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ١٥٧)، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٢) عنه وعن يونس.

(٦) معاني القرآن له (١/ ٧٩).

(٧) في المطبوع: «ورأيي»، وفي جار الله وأحمد٣: «روي».

(٨) في الحمزوية: «بمنحصر».

(٩) انظر هذا المبحث في إعراب القرآن النحاس (١/ ٧٩).

(١٠) الكتاب له (١/ ١٥٨).

المؤكَّد وأقيم التوكيد مقامه [قياساً][١] على[٢] النعت والمنعوت»[٣]، وهذا قول متحامل.

و«اصطفى»: افتعل من الصفوة[٤] معناه: تخيَّر الأصفى، وأبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق، ومعنى هذا الاصطفاء: أنه نبَّأه واتخذه خليلاً، و﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فِي الْآخِرَةِ متعلق باسم فاعل مقدر من الصلاح، ولا يصلح[٥] تعلقه بـ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لأن الصلة لا تتقدم الموصول، هذا على أن تكون الألف واللام بمعنى الذي، وقال بعضهم: «الألف واللام هنا للتعريف، ويستقيم الكلام»، وقيل: «المعنى: إنه في عمل الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ»، فالكلام على حذف مضاف.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ﴾[٦]، العامل في ﴿إِذۡ﴾: ﴿ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ﴾، وكان هذا القول من الله حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس، [والإسلام][٧] هنا على أتم وجوهه.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿وأَوْصَى﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّىٰ﴾[٨].

والمعنى واحد، إلا أن (وصَّى) يقتضي التكثير.

والضمير في «بِها» عائد على كلمته التي هي: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: على الملة المتقدمة، والأول أصوب لأنه أقرب مذكور.

وقرأ عمرو بن فائد الأسواري: (ويعقوبَ) بالنصب[٩] على أن (يعقوب) داخل فيمن أُوصي.

---

(١) في الحمزوية: «فيما بني».

(٢) في فيض الله: «في».

(٣) الهداية لمكي (١/ ٤٥٤).

(٤) في جار الله وأحمد٣: «الصفو»، مع الإشارة في هامشهما إلى النسخة الأخرى.

(٥) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: ولا يصح».

(٦) زاد في الحمزوية: «قال أسلمت».

(٧) في الحمزوية: «الابتلاء».

(٨) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٧٧)، والسبعة في القراءات (ص: ١٧١).

(٩) مختصر الشواذ (ص: ١٧)، وزاد طلحة، وهي قراءة شاذة.

واختلف في إعراب رفعه، فقال قوم من النحاة: «التقدير: ويعقوبُ أوصى بنيه أيضاً»، فهو عطف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾، وقال بعضهم: «هو مقطوع منفرد بقوله: ﴿يَا بَنِيَّ﴾»[١]، فتقدير الكلام: ويعقوب قال يا بني.

واصْطَفى هنا معناه: تخيَّر صفوة الأديان، والألف واللام في ﴿الدِّينَ﴾ للعهد، لأنهم قد كانوا عرفوه.

وكسرت ﴿إِنَّ﴾ بعد (وَصَّى) لأنها بمعنى القول، ولذلك سقطت «أن» التي تقتضيها (أوصى) في قوله: «أن يا بني».

وقرأ ابن مسعود والضحاك: (أن يا بنيَّ)[٢]، بثبوت (أن).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ إيجازٌ بليغ، وذلك أنَّ المقصود منه أمرهم بالإسلام والدوام عليه، فأتى [ذلك][٣] بلفظ موجز [يقتضي المقصود][٤] ويتضمن وعظاً وتذكيراً بالموت، وذلك أن المرء يتحقق أنه يموت ولا يدري متى؟ فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه، فقد توجه من وقت الأمر دائباً لازماً.

وحكى سيبويه فيما يشبه هذا المعنى قولهم: «لا أرينك هاهنا»[٥]، وليس إلى المأمور أن يحجب إدراك الآمر [عنه][٦]، فإنما المقصود: اذهب وزل عن هاهنا، فجاء بالمقصود بلفظ يزيد معنى الغضب والكراهية.

و﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ابتداء وخبر في موضع الحال.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٥٦).

(٢) انظر عزوها لابن مسعود في الكشاف للزمخشري (١/ ٢١٧)، وزاد أبيّاً، وهي في معاني القرآن للفراء (١/ ٨٠) على الشك بينهما، وعزاها لهما وللضحاك في البحر المحيط (١/ ٦٣٧)، وهي قراءة شاذة، مخالفة للرسم.

(٣) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية وفيض الله: «بذلك».

(٤) ساقط من جار الله.

(٥) الكتاب له (٣/ ١٠١).

(٦) في الحمزوية : «غيره».

قوله عز وجل: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾.

هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم، ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية، فرَدَّ الله تعالى عليهم كذِبهم[١]، وكذَّبهم، وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية الإسلام، وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ: أشهِدْتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدَّعون عن علم؟ أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون.

و﴿أَمۡ﴾ تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية[٢].

وحكى الطبري أن «أمْ» يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره[٣]، وهذا منه[٤]، ومنه ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ [يونس: ٣٨، هود: ١٣، ٣٥، السجدة: ٣، الأحقاف: ٨]، وقال قوم: «أمْ بمعنى بل»، والتقدير: بل شهد أسلافُكم يعقوبَ وعلمتم منهم ما أوصى به، ولكنكم كفرتم جحداً ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عناداً.

والأظهر أنها التي بمعنى «بل» وألفِ الاستفهام معاً.

و﴿شُهَدَآءَ﴾ جمع شاهد، أي: حاضر، ومعنى الآية: حضر يعقوبَ مقدماتُ الموت، وإلا فلو حضر الموتُ لمَا أمكن أن يقول شيئاً، وقدم يعقوب على جهة تقديم الأهم.

---

(١) من أحمد٣ ونور العثمانية، والسليمانية.

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٨).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٩٧).

(٤) في نور العثمانية: «وهذا منه وهمٌ»، وكذا في الحمزوية، إلا أنها سقطت منها: «ومنه»، التي بعده.

والعامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿شُهَدَآءَ﴾، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى، وعبر عن المعبود بـ﴿مَا﴾ تجربة لهم، ولم يقل: «من» لئلّا يطرق لهم الاهتداء، وإنما أراد أن يختبرهم، وأيضاً فالمعبودات المتعارفة من دون الله جمادات كالأوثان والنار والشمس والحجارة، فاستفهمهم عما يعبدون من هذه، و﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ أي: من بعد موتي، وحكي أن يعقوب حين خيِّر كما يخير الأنبياء اختار الموت، وقال: «أمهلوني[1] حتى أوصي بنيّ وأهلي»، فجمعهم وقال لهم هذا، فاهتدوا وقالوا: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآية، فأرَوه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى[2].

ودخل إسماعيل في الآباء لأنه عمّ، وقد قال النبي ﷺ في العباس: «ردوا عليَّ أبي، إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»[3]، / [٩٦] وقال عنه في موطن آخر: «هذا بقية آبائي»[4]، ومنه قوله عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين»[5] على القول الشهير في أن إسحاق هو الذبيح[6].

وقرأ الحسن، وابن يَعْمَر، والجحدري، وأبو رجاءٍ: (وإله أبِيك)[7]، واختلف

---

(١) في الحمزوية: «المهدوي».

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١/ ٤٥٨ و٤٥٩).

(٣) مرسل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٠٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٣١٤) من حديث عكرمة مرسلاً.

(٤) مرسل، هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٨٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٣٠) من حديث مجاهد مرسلاً.

(٥) لا أصل له بهذا اللفظ وقد روي بإقرار النبي ﷺ لقائله وإسناده واه، هذا الحديث بهذا اللفظ لا أصل له، وإنما أخرج الحاكم (٢/ ٦٠٤) بإسناد واه ـ كما قال الذهبي ـ عن معاوية رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين. فتبسَّم النبي ﷺ ولم يُنْكِرْ عليه، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩): هذا حديث غريب جدّاً، وفي إسناده من لا يُعْرَف حاله.

(٦) والصحيح أنه إسماعيل كما للمصنف في سورة الأنبياء، والكلام عليه في محله في سورة الصافات.

(٧) انظر عزوها لهم في المحتسب (١/ ١١٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٦٠)، وعزوها لابن =

بعدُ فقيل: هو اسم مفرد أرادوا به إبراهيم وحده، وقال بعضهم: هو جمع سلامة، وحكى سيبويه أب وأبون وأبين[١]، قال الشاعر:

فلمَّا تبيَّنَّ أصواتَنا بكَيْنَ وفدَّيننا بالأبينا[٢] [المتقارب]

وقال ابن زيد: «يقال: قدِّم إسماعيل لأنه أسن من إسحاق»[٣]، و﴿إِلَٰهًا﴾ بدل من إلهَكَ، وكرره لفائدة الصفة بالوحدانية، وقيل: ﴿إِلَٰهًا﴾ حال، وهذا قول حسن، لأن الغرض إثبات حال الوحدانية.

و﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ابتداءٌ وخبر، أي كذلك كنا نحن ونكون، ويحتمل أن يكون في موضع الحال والعامل ﴿نَعْبُدُ﴾، والتأويل الأول أمدح.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ في موضع رفع نعت لـ﴿أُمَّةٌ﴾، ومعناه: ماتت وصارت إلى الخلاء من الأرض، ويعني بالأمة الأنبياء المذكورين، والمخاطب في هذه الآية اليهود والنصارى، أي: أنتم أيها الناحلوهم اليهودية والنصرانية، ذلك لا ينفعكم، لأن كل نفس لَها ما كَسَبَتْ من خير وشر، فخيرُهم لا ينفعكم إن كسبتم شرّاً، وفي هذه الآية رد على الجبرية القائلين لا اكتساب للعبد، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فتنحلوهم دينا.

وقولهم: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ نظير قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١٢]، ونصب ﴿مِلَّةَ﴾ بإضمار فعل، أي: بل نتبع ملَّة، وقيل: نصبت على الإغراء.

= يعمر في مختصر الشواذ (ص١٧)، وللحسن والجحدري في تفسير الثعلبي (١/ ٢٨١)، وعزاها الطبري (٣/ ٩٩) لبعض المتقدمين، وهي قراءة شاذة.

(١) الكتاب (٣/ ٤٠٥).

(٢) البيت لزياد بن واصل السلمي، وهو جاهلي من شعراء بني سليم، من أبيات يفتخر فيها بآبائه وقومه وأمهاتهم كما في خزانة الأدب (٤ / ٤٣٤)، وهو بلا نسبة في الخصائص (١/ ٣٤٦)، والمقتضب (١/ ٩٦)، والمخصص (٤/ ١٠٩).

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٩٩).

وقرأ الأعرج وابن أبي عبلة: (بل ملةُ) بالرفع[١] والتقدير: بل الهدى ملة.

و﴿حَنِيفًا﴾ حال، وقيل: نصب بإضمار فعل، لأن الحال [تقلق][٢] من المضاف إليه، والحنف: الميل، ومنه الأحنف لمن[٣] مالت إحدى قدميه إلى الأخرى، والحنيف في الدين: الذي مال عن الأديان المكروهة إلى الحق، وقال قوم: «الحنف: الاستقامة، وسمي المعوج القدمين أحنف تفاؤلاً، كما قيل: سليم ومفازة»، ويجيءُ الحنيف في الدين: المستقيم على جميع طاعات الله عز وجل، وقد خصص بعض المفسرين، فقال قوم: «الحنيف: الحاج»، وقال آخرون: المختتن[٤]، وهذه أجزاء[٥] الحنف[٦].

ونفى عنه الإشراك فانتفت عبادة الأوثان، واليهودية لقولهم: عزير ابن الله، والنصرانية لقولهم: المسيح ابن الله.

قوله عز وجل: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾.

هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ، علمهم الله الإيمان.

و﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، (ما أُنْزِلَ إلَيْنا) يعني به القرآن[٧]، وصحت إضافة الإنزال

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٠٣)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في المطبوع: «تقل»، وفي نور العثمانية: «تعلق»، وهي محتملة في فيض الله.

(٣) في أحمد٣ والسليمانية وجار الله وفيض الله: «لما».

(٤) في نور العثمانية: «المختبتين».

(٥) في نور العثمانية: «آخر».

(٦) الأقوال في تفسير الطبري (٣/ ١٠٤- ١٠٧)

(٧) في السليمانية: «التوراة».

إليهم من حيث هم المأمورون المنهيون فيه، وإبْراهِيمُ وَإسْماعِيلُ يجمعان: بَراهيم وسَمَاعيل، هذا هو اختيار سيبويه والخليل، وقال قوم: براهم، وقال الكوفيون: براهمة وسماعلة، وقال المبرد: أباره وأسامع، وأجاز ثعلب: براه،كما يقال في التصغير: بُرَيْه[١].

والْأَسْباط هم ولد يعقوب، وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشحر، ودنية بنته، وأمهم ليا، ثم خلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وولد له من سريتين: ذان وتفثالي[٢] وجاد وأشرو، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل، فسموا الأسباط لأنه كان من كل واحد منهم سبط.

و﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ هو التوراة وآياته، وما أوتي عيسى هو الإنجيل وآياته، فالمعنى: أنا نؤمن بجميع الأنبياء؛ لأن جميعهم جاء بالإيمان بالله، فدين الله واحد وإن اختلفت أحكام الشرائع.

و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون، وفي الكلام حذف تقديره: بين أحد منهم وبين نظيره، فاختصر لفهم السامع، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على اسم الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ الآية، خطاب لمحمد ﷺ وأمته، والمعنى إن صدقوا تصديقاً مثل تصديقكم، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين، هذا قول بعض المتأولين، وقيل: الباء زائدة مؤكدة، والتقدير: آمنوا مثل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد كالضمير في ﴿لَهُۥ﴾، فكأن الكلام: فإن آمنوا بالله مثلَ ما آمنتم به، ويظهر عود الضمير على ﴿مَآ﴾، وقيل: (مثل) زائدة كما هي في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقالت فرقة: «هذا من مجاز الكلام، تقول: هذا أمر لا يفعله مثلك، أي: لا تفعله أنت»، فالمعنى: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، هذا قول ابن عباس، وقد حكاه عنه

(١) انظر هذه الأقوال في إعراب القرآن للنحاس (١ / ٨١).

(٢) في أحمد٣: «سال».

الطبري قراءة، ثم أسند إليه أنه قال: «لا تقولوا: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، فإنه لا مثل لله تعالى، ولكن قولوا: فإن آمنوا بالذي آمنتم، أو بما آمنتم به»[١].

[٩٧] قال القاضي أبو محمد: وهذا على جهة / التفسير، أي: هكذا فليتأول، وحكاهما أبو عمرو الداني قراءتين[٢] عن ابن عباس[٣] فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أعرضوا، يعني به اليهود والنصارى، والشقاق: المشاقَّة والمحادَّة والمخالفة، أي: في شقاق لك، هم في شق وأنت في شق، وقيل: شاق[٤] معناه: شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه، ثم وعده تعالى أنه سيكفيه إياهم ويغلبه عليهم، فكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء النضير، وهذا الوعد وانتجازه من أعلام نبوة محمد ﷺ.

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول كل قائل، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يجب أن ينفذ في عباده.

و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ شريعته وسنَّته وفطرته، وبه[٥] [قال كثير من المفسرين][٦]: «وذلك[٧] أن النصارى لهم ماء يصبغون فيه أولادهم»[٨]، فهذا ينظر إلى ذلك.

وقيل: «سمي الدين صِبْغَة استعارة من حيث تظهر أعماله وسَمْتُه على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره».

ونصب «الصبغة» على الإغراء، وقيل: بدل من ﴿مِلَّةَ﴾، وقيل: نصب على المصدر

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٤).
(٢) في نور العثمانية: «حكاها قراءة»، على الإفراد.
(٣) انظر نسبة هذه القراءة لابن عباس في تفسير الطبري (٣/ ١١٤)، وكتاب المصاحف (١/ ١٩٥).
(٤) في المطبوعة: «الشقاق»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «شقاق».
(٥) من السليمانية ملحقة في هامشها وعليها علامة «صح».
(٦) من أحمد٣ والسليمانية وجار الله.
(٧) سقطت من أحمد٣ وجار الله.
(٨) تفسير الطبري (٣/ ١١٧).

المؤكِّد لأن ما قبله من قوله: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ هو في معنى: يلبسون، أو يتجللون صبغة الله، وقيل: التقدير: ونحن له مسلمون صبغة الله، فهي متصلة بالآية المتقدمة.

وقال الطبري من قرأ برفع (ملةُ)، قرأ برفع: (صبغةُ)[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد ذكرتها عن الأعرج وابن أبي عبلة[٢].

و﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ ابتداء وخبر.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

معنى الآية: قُلْ يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وادَّعوا أنهم أولى بالله منكم لقدم أديانهم وكتبهم: أَتُحَاجُّونَنا فِي الله؟ أي: أتجاذبوننا الحجة على دعواكم، [والرب][٣] تعالى واحد، وكلٌّ مجازًى بعمله، فأيُّ تأثير لقدم الدين؟، ثم وبخوا بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي: ولم تخلصوا أنتم، فكيف تدَّعون ما نحن أولى به منكم؟.

وقرأ ابن محيصن: (أتحاجُّنَّا) بإدغام النون في النون[٤]، وخف الجمع بين ساكنين لأن الأول حرف مدٍّ ولين، فالمدُّ كالحركة، ومن هذا الباب: دابَّة وشابَّة.

و﴿فِى ٱللَّهِ﴾ معناه: في دينه والقرب منه والحظوة لديه.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٧)، وهي قراءة شاذة.

(٢) كما تقدم قريباً.

(٣) في الحمزوية: «دين الله».

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٢)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (١/ ١٩٧) عن زيد بن ثابت.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ﴾ عطف على ألف الاستفهام المتقدمة، وهذه القراءة بالتاء من فوق قرأها ابن عامر، وحمزة، والكسائي[١]، وحفص عن عاصم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿أم يَقولون﴾ بالياء من أسفل[٢]، و﴿أمْ﴾ على هذه القراءة مقطوعة، ذكره الطبري، وحَكَى عن بعض النحاة أنها ليست بمقطوعة؛ لأنك إذا قلت: أتقوم أم يقوم عمرو؟ فالمعنى: أيكون هذا أم هذا؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المثال غير جيد، لأن القائل فيه واحد والمخاطب واحد، والقول في الآية من اثنين والمخاطب اثنان غَيْرانِ، وإنما تتجه معادلة ﴿أَمۡ﴾ للألف على الحكم المعنوي كأن معنى ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ أي: أيحاجون يا محمد أم يقولون؟

وقيل: إن ﴿أَمۡ﴾ في هذا الموضع غير معادلة على القراءتين، وحجة ذلك اختلاف معنى الآيتين، وأنهما ليسا قسمين، بل المحاجة موجودة في دعواهم الأنبياء عليهم السلام، ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة[٤]، لأنهم إن قالوا: إن الأنبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية، كَذَبوا، لأنه قد علم أن هذين الدينين حدثا بعدهم، وإن قالوا: لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم: فهلموا إلى دينهم إذ تُقرُّون بالحق.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ تقرير على فساد دعواهم، إذ لا جواب لمفطور إلا: إن الله تعالى أعلم.

و﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ مَنْ أظْلَمُ لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم منهم، وإياهم أراد تعالى بكتمان الشهادة.

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٧)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧١).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٢٢و ١٢٣).

(٤) في نور العثمانية: «الجملة».

واختلف في الشهادة هنا ما هي؟:

فقال مجاهد، والحسن، والربيع: هي ما في كتبهم من أن الأنبياء على الحنيفية لا على ما ادعوا هم»، وقال قتادة، وابن زيد: «هي ما عندهم من الأمر بتصديق محمد ﷺ واتباعه»[(١)]، والأول أشبه بسياق معنى الآية.

واستودعهم الله تعالى هذه الشهادة، ولذلك قال: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ فـ﴿مِنَ﴾ على هذا متعلقة بـ﴿عِندَهُۥ﴾، كأن المعنى: شهادة تحصلت له من الله، ويحتمل أن تتعلق ﴿مِنَ﴾ بـ﴿كَتَمَ﴾، أي: كتمها من الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وعيد وإعلام أنه لا يترك أمرهم سدى، وأن أعمالهم تحصل[(٢)] ويجازون عليها، والغافل: الذي لا يَفطن للأمور إهمالاً منه، مأخوذٌ من الأرض الغُفل، وهي التي لا مَعْلَم[(٣)] بها.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ الآية، كررها عن قرب لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف، أي: إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى، فوجب التأكيد، فلذلك كررها، ولترداد[(٤)] ذكرهم أيضاً في معنًى غيرِ الأول.

[٩٨] / قوله عز وجل: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦).

(٢) في بعض النسخ: «تحصى»، أشار لها في هامش المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «لا علَم»، وأشار لها في هامش المطبوع.

(٤) في جار الله وأحمد٣: «ليزداد»، وفي نور العثمانية: «ولم يزداد».

أعلم الله تعالى في هذه الآية أنهم سيقولون في شأْن تحوُّل المؤمنين من الشام إلى الكعبة: ما وَلَّاهُمْ؟ والسُّفَهاءُ هم الخِفَاف الأحلام والعقول، والسَّفه الخفة والهلهلة، ثوبٌ سَفيه، أي: غير [متقن النَّسج][١]، ومنه قولُ ذي الرمة[٢]:

مَشَيْنَ[٣] كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أعاليَها مَرُّ الرِّياح النَّواسِم[٤] [الطويل]

أي: استخفَّتها، وخص بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، لأن السَّفَهَ يكون في جمادات وحيوانات، والمراد بـ«السُّفَهاءُ» هنا: جميع من قال: ما وَلَّاهُمْ، وقالها فِرَق.

واختُلف في تعيينهم، فقال ابن عباس: «قالها الأحبار منهم»، وذلك أنهم جاؤُوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلتنا؟ ارجع إليها ونؤمن بك، يريدون فتنته[٥]، وقال السدي: «قالها بعض اليهود والمنافقون استهزاء، وذلك أنهم قالوا: اشتاق الرجل إلى وطنه»[٦]، وقالت طائفة: «قالها كفار قريش، لأنهم قالوا: ما ولاه عن قبلته؟ ما رجع إلينا إلا لعلمه أنّا على الحق، وسيرجع إلى ديننا كله»[٧].

و﴿وَلَّىٰهُمْ﴾ معناه: صَرَفهم، والقبلة فِعْلَة[٨]: هيئة المقابل للشيء، فهي كالقِعدة والإِزْرَة.

---

(١) في الحمزوية: «منضم النسخ».

(٢) هو ذو الرمة غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث، كان أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته ميّة، وكان يشبّب أيضاً بخرقاء، من بني البكّاء، وفد على عبد الملك ومدحه، وتوفي سنة (١١٧هـ). الشعر والشعراء (١/ ٥١٥)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٣٥٧).

(٣) في الحمزوية: «نسير».

(٤) انظر عزوه له في المحكم (٢/ ٥)، والكامل (٢/ ١٠٥)، والأغاني (٥/ ٤٠٣). والكتاب لسيبويه (١ / ٥٢).

(٥) في إسناده جهالة، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣١)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٧٥)، وفي إسناده: محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لا يُعرف، وفي جار الله: «قبلته».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٣٠).

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٥٣).

(٨) سقطت من فيض الله.

وجعل المستقبل موضع الماضي في قوله: ﴿سَيَقُولُ﴾ دلالة على استدامة ذلك، وأنهم يستمرون على ذلك القول، ونص ابن عباس وغيره أن الآية نزلت بعد قولهم[١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ إقامة حُجَّة، أي له ملك المشارق والمغارب وما بينهما، و﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾، إشارة إلى هداية الله تعالى هذه الأمة إلى قبلة إبراهيم، والصراط: الطريق.

واختلف العلماء: هل كانت صلاة رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس بأمر من الله تعالى في القرآن، أو بوحي غير مَتْلُوٍّ[٢]؟:

فذكر ابن فُورك عن ابن عباس قال: «أول ما نسخ من القرآن القبلة»[٣]، وقال الجمهور: «بل كان أمر قبلة بيت المقدس بوحي غير مَتْلُوٍّ»، وقال الربيع: «خيّر رسول الله ﷺ في النواحي فاختار بيت المقدس، ليستألف بها أهل الكتاب»[٤]، ومن قال: كان بوحي غير متلو[٥]، قال: «كان ذلك ليختبر الله تعالى من آمن من العرب، لأنهم كانوا يأْلفون الكعبة وينافرون بيت المقدس وغيره»[٦].

واختلف كم صُلِّي إلى بيت المقدس، ففي البخاري: «ستة عشر شهراً أو سبعة

---

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٧)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٢) في جار الله: «متلق» وأشار في الهامش إلى النسخة الأخرى.

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣٨) وأبو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ رقم (١٧) من طريق: عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٤) مرسل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٣٨) عن الربيع عن أبي العالية مرسلًا.

(٥) في جار الله: «متلق».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٣٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٤٨٨ و٤٩٠)

عشر شهراً»[١] وروي عن أنس بن مالك: تسعة أو عشرة أشهر[٢]، روي عن غيره: ثلاثة عشر شهراً[٣].

وحكى مكي عن إبراهيم بن إسحاق[٤] أنه قال: «أول أمر الصلاة أنها فرضت بمكة ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره، ثم كان الإسراءُ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، ففرضت الخمس، وأمَّ فيها جبريل عليه السلام، وكانت أول صلاةٍ الظهر، وَتَوَجَّه بالنبي صلى الله عليهما وسلم إلى بيت المقدس، ثم هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة في ربيع الأول، وتمادى إلى بيت المقدس إلى رجب من سنة اثنتين، وقيل إلى جمادى، وقيل: إلى نصف شعبان»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: كما هديناكم إلى قبلة إبراهيم وشريعته كذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً، و﴿أُمَّةً﴾ مفعول ثان، و﴿وَسَطًا﴾ نعتٌ.

والأمَّةُ: القرن من الناس، و﴿وَسَطًا﴾ معناه: عدْلاً، رُويَ ذلك عن رسول الله ﷺ[٦]، وتظاهرت به عبارة المفسرين، والوسَط: الخيار والأعلى من الشيء، كما

---

(١) أخرجه البخاري (**٣٩٩**) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (**٣/ ١٣٥**) بإسناد فيه عثمان بن سعد الكاتب، وهو ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (**٣/ ١٣٢- ١٣٦**)

(٤) تكرر هذا الاسم في الرواة، واشتهر به جماعة متقاربون في الزمن منهم: أبو إسحاق القاري، حليف بني زهرة، قاضي مصر توفي سنة (**٢١٠هـ**). تاريخ الإسلام (**١٤/ ٣٥**)، والطالقاني أبو إسحاق، روى عنه أحمد بن حنبل، والصاغاني، والرمادي، ووثقة يحيى بن معين، توفي بمرو سنة (**٢١٥هـ**).تاريخ الإسلام (**١٥/ ٥١**)، والصيني الجعفي، مولاهم توفي سنة (**٢٣٢هـ**). تاريخ الإسلام (**١٦/ ٥٧**)، وابن أبي العنبس الزهري الكوفي قاضي الكوفة توفي سنة (**٢٧٧هـ**). تاريخ الإسلام (**٢٠/ ٢٩١**)، وآخرون في الطبقة التي بعدهم.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (**١/ ٤٩١ و٤٩٢**) قال: ثم حوّلت القبلة في رجب، وروى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن القبلة صرفت في جمادى، وقال الواقدي: «في النصف من شعبان».

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (**٧٣٤٩**)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تقول: وسط القوم[١]، وواسطة القلادة: أنفسُ حجر فيها، والأمير وسط الجيش، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]، والوَسْط بإسكان السين ظرف مبنيٌّ على الفتح، وقد جاء متمكناً في بعض الروايات في بيت الفرزدق:

فجَـاءَتْ بِـمَـجْلُـومٍ كَـأَنَّ جَـبِينَـهُ   صَلاءَةُ وَرْسٍ وَسْـطُهَا قَـدْ تَفَلَّقَا[٢]   [الطويل]

برفع الطاء والضمير عائد على «الصلاءة»، وروي بفتح الطاء والضمير عائد على الجائِيةِ، فإذا قلت: حفرت وسَط الدَّار، أو وَسْط الدار، فالمعنى مختلف.

قال بعض العلماء: «أمة محمد ﷺ لم تَغْلُ في الدين كما فعلت اليهود، ولا افترت كالنصارى، فهي متوسطة، فهي أعلاها وخيرها من هذه الجهة»، وقول النبي ﷺ: «خير الأُمور أوساطها[٣]»[٤]، أي: خيارها.

وقد يكون العلو والخير في الشيءِ إمَّا بأنه أنفَسُ جنسِه، وإمَّا أن يكون بين

---

(١) في نور العثمانية: «وسط البيت».

(٢) نسبه له في الخصائص (٢/ ٣٧١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٤٤٧)، وفي الأصل وأحمد٣: «بملجوم» وأشار لها في هامش السليمانية، والتصويب من المطبوع والمصادر الأخرى، والمجلوم: المحلوق، وفي رواية: رَمَتْهُ بمجْمُوشٍ، والمجموش: المحلوق بالنورة، والصلاءة: مدقُّ الطيب، والوَرْسُ: نَبْتٌ أصفر.

(٣) في أحمد٣ وجار الله: «أوسطها».

(٤) لا يصح مرفوعاً وقد روي بإسناد جيد من قول مطرف، هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في المعرفة (٦/ ٣١٧٠) من طريق: الحكم بن أبي خالد الفزاري عن زيد بن رفيع عن معبد الجهني عن بعض أصحاب النبي ﷺ، والحكم متفق على ضعفه. وأخرج البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٧٣)، والخطيب في الجامع رقم (٨٨٥) من طريق عمرو بن الحارث قال: بلغني أن النبي ﷺ قال... فذكره، وهذا إسناد معضل، والحديث ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة رقم (٤٥٥)، وقال: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول، عن علي مرفوعاً به.اهـ، وهذا الكلام قد أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٧٩) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٦١) وغيرهما بإسناد صحيح عن مطرف بن عبد الله بن الشخير من قوله.

الإفراط والتقصير فهو خيار من هذه الجهة. و﴿شُهَدَآءَ﴾ جمع شاهد في هذا الموضع.

واختلف المفسرون في المراد بالنَّاسِ في هذا الموضع، فقالت فرقة: «هم جميع الجنس، وأمة محمد ﷺ تشهد يوم القيامة للأنبياءِ على أُممهم بالتبليغ»، وذلك أن نوحا تناكره أمته في التبليغ، / فتقول له أمة محمد: نحن نشهد لك، فيشهدون، فيقول الله لهم: كيف شهدتم على ما لم تحضروا؟، فيقولون: أي ربنا، جاءَنا رسولُك، ونزَل إلينا كتابك فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به، فيقول الله تعالى: صدقتم، ورُوي في هذا المعنى حديثٌ صحيح عن النبي ﷺ[1]، وروي عنه أن أمته تشهد لكل نبي ناكره قومه[2]، وقال مجاهد: «معنى الآية: تشهدون لمحمد ﷺ أنه قد بلغ الناس في مدته من اليهود والنصارى والمجوس»[3]. [٩٩]

وقالت طائفة: «معنى الآية: يشهد بعضكم على بعض بعد الموت كما قال رسول الله ﷺ حين مرت به جنازة فأثني عليها بالخير، فقال: «وجبت»، ثم مر بأُخرى، فأُثني عليها شرّ[4]، فقال: «وجبت»، يعني الجنة والنار، فسُئل عن ذلك، فقال: «أنتم شهداء الله في الأرض»[5]»، [وروي في بعض الطرق أنه قرأ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾][6]،[7].

---

(١) صحيح، هذا الحديث أخرجه هكذا مطولاً الإمام أحمد (١١٥٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٧)، وابن ماجه (٤٢٨٤) كلهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٣٩) (٤٤٨٧) (٧٣٤٩) من طريق جرير الضبي، وأبي أسامة حماد بن أسامة، عن الأعمش بنحوه، بدون قوله: «كيف شهدتم....».

(٢) فيه جهالة، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٤/ ١٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي إسناده من لم يسم، وفي جار الله: «أمته» مع الإشارة في هامشه إلى النسخة.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥٠).

(٤) في المطبوع: «شرا» بالنصب، وفي أحمد٣: «بِشر».

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) في السليمانية وأحمد٣، وجار الله: «وفي بعض الطرق وتلا هذه الآية».

(٧) الأرجح أن هذه الزيادة من قول محمد بن كعب القرظي، هذه الرواية أخرجها الحاكم (٢/ ٢٦٩) من =

وَكون الرَّسُول شَهِيداً قيل: معناه: «بأعمالكم يوم القيامة»، وقيل: «﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمعنى لكم، أي: يشهد لكم بالإيمان»، وقيل: «أي: يشهد عليكم بالتبليغ إليكم».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ الآية، قال قتادة، والسدي، وعطاءٌ، وغيرهم: «القبلة هنا بيت المقدس»[١]، والمعنى: لم نجعلها حين أمرناك بها أولاً إلا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين إنما يألفون مسجد مكة، أو من اليهود على ما قال الضحاك من أن الأحبار قالوا للنبي ﷺ: «إن بيت المقدس هو قبلة الأنبياءِ، فإن صليت إليه اتبعناك»، فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم فلم يُؤمنوا، وقال بعض من ذكر: القبلة بيت المقدس، والمعنى: وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها وتحويلها، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقال ابن عباس: «القبلة في الآية الكعبة»[٢].

و﴿كُنتَ﴾ بمعنى: أنت، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] بمعنى: أنتم، أي: وما جعلناها وصرفناك إليها إلا فتنة، وروي في ذلك أن رسول الله ﷺ لما حول إلى الكعبة، أكثر في ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المؤمنين حتى نزلت الآية، وقال ابن جريج: بلغني أن ناساً ممن كان أسلم رجعوا عن الإسلام[٣].

= طريق: المعافى بن عمران الموصلي حدثنا مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ومصعب ضعيف، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما اتفقا على «وجبت» فقط، لكن أورده ابن كثير عن الحاكم وابن مردويه ـ وعزا اللفظ له ـ وفي سياقه: قال مصعب بن ثابت: فقال لنا عند ذلك محمد بن كَعْب: صدقَ رسُول الله ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فبان أن هذه الزيادة من قول محمد ابن كعب القرظي وليست بمرفوعة، وأورد الحديث بهذه الزيادة: ابن أبي حاتم في العلل (١٠٧٧)، من طريق عبد الله بن أبي الفضل المديني، قال: حدثني أبو هريرة...فذكره. قال ابن أبي حاتم: «قال أبي: عبد الله هذا مجهول». وأورد البخاري في «تاريخه» هذا الحديث في ترجمة عبد الله (٥/ ١٦٩).

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١٥٦)، وما بعدها.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٧٧) من طريق إسماعيل بن علية، عن عطاء بن السائب، وعطاء اختلط بأخرة، ورواية إسماعيل عنه بعد اختلاطه.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥٨).

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم رسولي والمؤمنون به، وجاءَ الإسناد بنون العظمة إذْ هُمْ حزبه [وخالصته][١]، وهذا شائع في كلام العرب كما تقول: فتح عمر العراق وجبى خراجها، وإنما فعل ذلك جنده وأتباعه[٢]، فهذا وجه التجوُّز إذا ورد [علم][٣] الله تعالى بلفظ استقبال؛ لأنه قديم لم يزل.

ووجه آخر: وهو أن الله تعالى قد علم في الأزل من يتبع الرسول، واستمر العلم حتى وقع حدوثهم، واستمر في [حين الاتباع][٤] والانقلاب، ويستمر بعد ذلك، والله تعالى [متصف][٥] في كل ذلك بأنه يعلم، فأراد بقوله لِنَعْلَمَ ذكر علمه وقت مواقعتهم الطاعة والمعصية، إذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب، فليس معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ لنبتدئ العلم، وإنما المعنى: لنعلم ذلك موجوداً.

وحكى ابن فورك أن معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ لنثيب[٦]، فالمعنى: لنعلم في حالٍ استحقوا فيها الثواب، وعلق العلم بأفعالهم لتقوم[٧] الحجة ويقع التثبت فيما علمه لا مدافعة لهم فيه، وحكى ابن فورك أيضاً أن معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنميز[٨]، وذكره الطبري عن ابن عباس، وحكى الطبري أيضاً أن معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنرى[٩]، وهذا كله متقارب، والقاعدة نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن.

---

(١) في المطبوع: «وخاصته»، وفي الحمزوية: «وخالصه».

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٥٨).

(٣) في الحمزوية: «فعل».

(٤) في الحمزوية: «حيز الامتناع».

(٥) في الحمزوية: «متصرف».

(٦) لم أجد من نقله عنه غير المصنف، وفي نور العثمانية: «لنثبت».

(٧) في الحمزوية: «لتقدم»، وفي الأصل والمطبوع: «لتقوى»، مع الإشارة في هامشهما للنسخة الأخرى.

(٨) الهداية لمكي (١/ ٤٨٣).

(٩) تفسير الطبري (٣/ ١٦٠).

وقرأ الزهري: (ليُعلَم) على ما لم يسم فاعله[١].

و﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارة عن المرتد الراجع عمَّا كان فيه مِنْ إيمان أو شغل أو غير ذلك، والرجوع على العقب أسوأ حالات الراجع في مشيه عن وجهته، فلذلك شبه المرتد [في][٢] الدين به، وظاهر التشبيه أنه بالمتقهقر، وهي مِشية الحيران الفازع من شيء قد قرب منه، ويحتمل أن يكون هذا التشبيه بالذي رد ظهره ومشى أدراجه فإنه عند انقلابه إنما ينقلب على عقبيه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ الآية، الضمير في ﴿كَانَتْ﴾ راجع إلى القبلة إلى بيت المقدس، أو إلى التحويلة إلى الكعبة حسب ما ذكرناه من الاختلاف في القبلة، وقال ابن زيد: «هو راجع إلى الصلاة التي صُلِّيت إلى بيت المقدس»[٣].

وشهد الله تعالى في هذه الآية للمتبعين بالهداية، و(كبيرة) هنا معناه: شاقة صعبة تكبر في الصدور، و(إنْ) هي المخففة من الثقيلة، ولذلك لزمتها اللام لتزيل اللبس الذي بينها وبين النافية، وإذا ظهر التثقيل في (إنْ) فربما لزمت اللام وربما لم تلزم، وقال الفراء: «(إنْ) بمعنى «ما» واللام بمنزلة إلا»[٤].

ولما حُوِّلَت القبلة كان من قول اليهود: «يا محمد، إن كانت الأولى حقّاً فأنت الآن على باطل، وإن كانت هذه حقّاً فكنت في الأولى على ضلال[٥]، فوجست[٦] نفوس بعض المؤْمنين، وأشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة، فنزلت:

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١١١).

(٢) في الحمزوية وفيض الله: «عن».

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٦٥).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٣).

(٥) في أحمد٣ وجار الله: «باطل» وأشار في هامشه إلى النسخة الأخرى.

(٦) في نور العثمانية: «فوحشت».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، وخاطب الحاضرين والمراد مَنْ حضر ومَنْ مات، لأن الحاضر يغلَّب، كما تقول العرب: ألم نقتلكم في موطن كذا؟، ومن خوطب لم يُقتل ولكنه غلِّب لحضوره.

وقرأ الضحاك: (لِيُضَيِّعَ) بفتح الضاد وشد الياء[١]، وقال ابن عباس[٢] [والبراءُ ابن عازب[٣]][٤] وقتادة، والسدي، والربيع، وغيرهم: «الإيمان هنا الصلاة»[٥].

[١٠٠] وسمى الصلاة إيماناً لمَّا كانت صادرة عن الإيمان / والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، ولما كان الإيمان قطباً عليه تدور الأعمال، وكان ثابتاً في حال التوجه هنا، وهنا ذَكَرَهُ، إذ هو الأصل الذي به يرجع في الصلاة وغيرها إلى الأمر والنهي، ولئلا تندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين إلى بيت المقدس، فذكر المعنى الذي هو ملاك الأمر، وأيضاً فسميت إيماناً إذ هي من شعب الإيمان، والرأفة أعلى منازل الرحمة.

وقرأ قوم: ﴿لَرَؤُفٌ﴾ على وزن فَعُلٌ[٦]، ومنه قول الوليد بن عقبة[٧]:

---

(١) الشواذ للكرماني (ص: ٧٨)، وزاد ابن أبي عبلة وابن قطيب.

(٢) ضعيف، أثر ابن عباس أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (٣٢٢٧) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواية سماك، عن عكرمة فيها اضطراب.

(٣) أثر البراء عند البخاري في صحيحه رقم (٤٠).

(٤) ساقط من فيض الله، وهو البراء بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ الأوسيّ، يكنى أبا عمارة. شهد أحداً وما بعدها، ومات في إمرة مصعب بن الزبير، وله ولأبيه صحبة. الإصابة (١/ ٤١١).

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١٦٨).

(٦) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة عن عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب، وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وحفص عن عاصم وخلف العاشر بالمد: السبعة لابن مجاهد (ص: ١٧١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٤) وكلاهما متواترة.

(٧) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، القرشي الأموي، أبو وهب، له صحبة يسيرة، وهو أخو عثمان لأمه، بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وولي الكوفة لعثمان، وكان سخيّاً جواداً شاعراً شريفاً، توفي في خلافة معاوية. تاريخ الإسلام (٣/ ٦٦٣).

وشَــرُّ الطَّـالِـبينَ وَلا تَـكُـنْـهُ   بقَاتِـلِ عَـمِّــهِ الـرَّؤُفُ الـرَّحِـيمُ[١]   [الوافر]

تقول العرب: رَؤُفٌ، ورؤُوفٌ، ورئِفٌ كحذِر، وَرَأْفٌ.

وقرأ أبو جعفر ابن القعقاع: (لرووف) بغير همز، وكذلك سهّل كلَّ همزة في كتاب الله تعالى ساكنةً كانت أو متحركة[٢].

قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

المقصد تقلُّب البصر، وذكر الوجه لأنه أعم وأشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب، تقول: بذلت وجهي في كذا، وفعلت لوجه فلان، ومنه قول الشاعر:

....   رَجَعْتُ بمَا أَبْغِـي ووَجْهِي بمَائِهِ[٣]   [الطويل]

وأيضاً فالوجه يتقلَّب بتقلُّب البصر، وقال قتادة والسدي وغيرهما: «كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى قبلة مكة»[٤]، وقيل: كان يقلب ليؤذن له في الدعاء، ومعنى التقلب نحو السماء: أن السماء جهة قد

(١) انظر عزوه له في الطبري (٣/ ١٧١)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٢/ ٢٣٠)، قاله يحرض معاوية على الأخذ بثأر عثمان، ويقول: إن شر الطالبين بثأره من يرأف ويرحم بقتلة عثمان، والرؤف خبر قوله وشر.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨)، وهي قراءة شاذة، والمتواتر عنه هنا التحقيق كما تقدم، ونقلها في المحتسب (١/ ١١٤) عن الزهري.

(٣) البيت لأبي العتاهية كما في الأغاني (٤ / ١٠١)، والحماسة البصرية (ص: ١٦٩)، وصدره: خليل إذا ما جئت أبغيه عُرفه.

(٤) انظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (٣/ ١٧٢)، وقول السدي في تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

تعود العالَم منها الرحمة كالمطر والأنوار والوحي، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، و﴿تَرْضَىٰهَا﴾ معناه: تحبها وتقرُّ بها عينك.

وكان رسول الله ﷺ يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت: فقال مجاهد: «لقول اليهود: ما علم محمد دينه حتى اتَّبعَنا»(١).

وقال ابن عباس: «وليصيب قبلة إبراهيم عليه السلام»(٢).

وقال الربيع والسدي: «وليستألف العربَ لمحبتها في الكعبة»(٣).

وقال عبد الله ابن عمر: «إنما وجه رسول الله ﷺ وأمته حيال ميزاب الكعبة»(٤)، وقال ابن عباس وغيره: «بل وُجِّه إلى البيت كله»(٥).

قال القاضي أبو محمد: والميزاب هو قبلة المدينة والشام، وهنالك قبلة أهل الأندلس بتاريب(٦)، ولا خلاف أن الكعبة قبلة من كل أفق.

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ الآية، أمْرٌ بالتحول ونسخ لقبلة الشام، وقيل: نزل ذلك على النبي ﷺ وهو في صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول في الصلاة، وذكر أبو الفرج: «أن عبَّاد بن نَهِيك(٧) كان مع رسول الله ﷺ في هذه

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٨) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٧٣).

(٤) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١٧٧) وابن أبي حاتم (١٣٥٣) والحاكم (٢/ ٢٩٥) ـ وصحح إسناده ـ من طريق يعلى بن عطاء، عن يحيى بن قمطة، عن ابن عمر به، ووقع في بعض المصادر: عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد لا بأس به، يحيى بن قمطة ذكروه بغير جرح أو تعديل، وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار (٦٣٣): «من متقني أهل مكة، وكان متيقظاً».

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ١٧٩) من طريق: ابن علية، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وابن علية ممن سمع من عطاء بعد الاختلاط.

(٦) في المطبوع: بتقريب. ولعلها الصواب.

(٧) يريد به الرجل الذي أخبر أهل قباء أثناء صلاتهم بتحويل القبلة، وقد جاء اسمه مبهماً في صحيح =

الصلاة»[١]، وقيل: «إنما نزلت الآية في غير صلاة وكانت أول صلاة إلى الكعبة العصر»[٢].

و﴿شَطْرَ﴾ نصب على الظرف، ويشبه المفعول به لوقوع الفعل عليه، ومعناه: نحو وتلقاء، قال ابن أحمر[٣]:

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ نجْدٍ وَهْيَ عَاقِدَةٌ ... قَدْ كارَبَ العَقْدُ مِنْ إيفَادِهَا الحقبَا[٤] [البسيط]

وقال غيره:

أَقُولُ لأُمِّ زِنْبَاعٍ أَقِيمِي ... صُدُورَ الْعِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمِ[٥] [الوافر]

وقال لقيط[٦]:

وَقَدْ أَظَلَّكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ ... هَوْلٌ لَهُ ظُلَمٌ تَغْشَاكُمُ قِطَعَا[٧] [البسيط]

= البخاري (٤٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ونص ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٢٢٤)، أنه عباد بن بشر، وقيل: إنه عباد بن نهيك، وهو صحابي خطمي أنصاري. الاستيعاب (٢/ ٨٠٦)، والإصابة (٣/ ٥٠٢).

(١) الأغاني (٢٤/ ١٦).

(٢) أخرج البخاري (٤٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنها صلاة العصر.

(٣) هو عمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي، يكنى أبا الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام وتوفي على عهد عثمان رضي الله عنه بعد أن بلغ سناً عالية، وهو صحيح الكلام كثير الغريب. معجم الشعراء (ص: ٢١٤).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٦٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٥٠)، وتفسير الطبري (٣/ ١٧٥)، والضمير في «تَعْدُو» للناقة، وهي عاقدة أي: بذنبها، للدلالة على حملها، وَكارَبَ معناه: قارب، والإيفاد بالفاء من أوفد: إذا أسرع، والحَقَبُ بفتحتين: حبلٌ يشد به رحل البعير إلى بطنه، أو الحزام الذي يلي حقو البعير، وفي المطبوع: «شطر جمع»، وكذا أكثر المصادر.

(٥) قائله أبو جندب الهذلي أخو أبي خراش، انظر عزوه له في معجم البلدان (٥/ ٢٠٤)، والأغاني (١٠/ ٢٢٩)، وجاء منسوباً لساعدة بن جؤية أبي زنباع الجذامي في تفسير الفخر الرازي (١/ ٦٤٢)، وأحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩)، ولسان العرب (٤/ ٤٠٧).

(٦) هو لقيط بن زرارة بن عدس، من تميم، ويكنى أبا دختنوس وأبا نهشل، أخو حاجب بن زرارة صاحب القوس، وكان لقيط أشرف بني زرارة، وكان على الناس يوم جبلة، وقتل يومئذ. الشعر والشعراء (٢/ ٦٩٩).

(٧) البيت منسوب له في أحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩)، والحماسة البصرية (١/ ٣٩)، والثغر: =

وقال غيره:

[الوافر] أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْراً رسُولا وَمَا تُغْني الرسالةُ شَطْرَ عَمْرِو[١]

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ﴾ أمر للأمة ناسخ.

وقال داود بن أبي هند[٢]: إن في حرف ابن مسعود: (فَوَلِّ وَجْهَكَ تِلْقَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام)، وقال محمد بن طلحة[٣]: إن فيه: (فولُّوا وجوهَكُمْ قِبَلَه)، وقرأ ابن أبي عبلة: (فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ تلقَاءَه)[٤].

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى، وقال السدي: «المراد اليهود»[٥]، والأول أظهر، والمعنى: أن اليهود والنصارى يعلمون أن الكعبة هي قبلة إبراهيم إمام الأُمم، وأن استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتِّباعاً لمحمد ﷺ الذي يجدونه في كتبهم.

= الموضع يخاف هجوم العدو، وجمعه: ثغور.

(١) البيت لخفاف بن ندبة كما في تفسير الفخر الرازي (١/ ٦٤٢)، أحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٩).

(٢) داود بن أبي هند، أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري، من الموالي، وكان من الأئمة الأعلام، روى عن سعيد بن جبير والشعبي وجماعة، وعنه شعبة وسفيان وحماد وغيرهم، كان صالحاً ثقة خياطاً، مفتي أهل البصرة، توفي سنة (١٣٩هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٣).

(٣) لعله محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي أحد العلماء الثقات، روى عن: أبيه، والحكم، وسلمة ابن كهيل، وعنه: عبد الرحمن بن مهدي، وأسد بن موسى، وآخرون، قال أبو زرعة: صدوق تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٩)، وقد تكرر هذا الاسم في الرواة.

(٤) ذكر المؤلف هنا ثلاث قراءات وكلها شاذة مخالفة لرسم المصحف، الأولى: «فول وجهك تلقاء المسجد الحرام»، وتابعه فيها في البحر المحيط (٢/ ٢٤)، والثانية: «فولوا وجوهكم قبله»، وهي في كتاب المصاحف (١/ ١٧١)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٨)، دون ذكر محمد بن طلحة، والثالثة «فولوا وجوهكم تلقاءه»، لابن أبي عبلة، تابعه فيه في البحر المحيط (٢/ ٢٥)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٧٨) عنه: «فول وجهك تلقاء المسجد»، بدل «شطر».

(٥) تفسير الطبري (٣/ ١٨٣).

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بتاءٍ على المخاطبة، فإما على إرادة أهل الكتاب، أو أمة محمد ﷺ، وعلى الوجهين فهو إعلام بأن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وضمَّنه الوعيد، وقرأ الباقون بالياءِ من تحت(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ الآية، أعلم الله تعالى نبيه ـ حين قالت له اليهود: راجِعْ بيت المقدس ونؤمن بك مخادعة منهم ـ أنهم لا يتبعون له قبلة، يعني: جملتهم؛ لأن البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وأنهم لا يدينون بدينه، أي: فلا تصغ إليهم.

والآية هنا: العلامة، وجاء جواب (لَئِنْ) كجواب (لو) ـ وهي ضدها في أن (لو) تطلب المضي والوقوع و(إن) تطلب الاستقبال ـ لأنهما / جميعاً يترتب قبلهما [١٠١] معنى القسم، فالجواب إنما هو للقسم، لأن(٢) أحد الحرفين يقع موقع الآخر، هذا قول سيبويه(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ لفظ خبر يتضمن الأمر، أي: فلا تركن إلى شيءٍ من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم﴾ الآية، قال السدي وابن زيد: «المعنى: ليست اليهود متَّبِعَةً قِبلة النصارى، ولا النصارى متبعة قبلة اليهود، فهذا إعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم»(٤)، وقال غيرهما(٥): «معنى الآية: وما مَن أسلم معك منهم بمتبع قبلة مَن لم يُسْلم، ولا مَنْ لم يُسلم بمتبع قبلة من أسلم»، والأول أظهر في الأبعاض، وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس.

---

(١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٧)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٦٠).
(٢) في الأصل: «لا إن» بالنفي، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٤).
(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٨٦).
(٥) في جار الله وفيض الله: «قوم».

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ [والمراد أمته][(١)]، وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي ﷺ ظلماً متوقعاً فهو محمول على إرادة أمته؛ لعصمة النبي ﷺ وقَطْعِنا أن ذلك لا يكون منه، فإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه، وخوطب النبي ﷺ تعظيماً للأمر.

والأهواء: جمع هوى، ولا يجمع على أهوية، على أنهم قد قالوا: ندًى وأندية، قال الشاعر:

[البسيط] فـي لَيْلَـةٍ مِـنْ جُمَـادىٰ ذات أَنْديَـةٍ لا يُبْصِرُ الكَلْبُ منْ ظَلْمَائها الطُّنُبَا[(٢)]

وهوى النفس إنما يستعمل[(٣)] في الأكثر فيما لا خير فيه، وقد يستعمل في الخير مُقَيَّداً به، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسرى بدر: «فهوِي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر»[(٤)].

و﴿إِذًا﴾ حرف معناه: إن تقرر ما ذُكر.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾.

---

(١) في الحمزوية: «ولأمته».
(٢) البيت لمرة بن محكان السعدي كما في الأغاني (٢٢/ ٣٢١)، والخصائص (٣/ ٥٢)، والمقتضب (٣ / ٨١)، وجمادى عند العرب الشتاءُ كله، سواء أكان فيها أو في غيرها من الشهور، والطُّنُب بضم النون وسكونها: حبْلٌ يشد به الخباء والسرادق ونحوهما.
(٣) في الحمزوية زيادة: «مقيداً».
(٤) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، ويصح أن يكون في موضع خفض نعتاً لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، و﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ في موضع الحال.

وخص الأبناء دون الأنفس وهي ألصق، لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه، والمراد هنا: معرفة الوجه ومَيْزُه لا معرفة حقيقة النسب، ولعبد الله بن سلام رضي الله عنه في هذا الموضع كلام معترِض يأتي موضعه إن شاء الله.

والضمير في ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ عائد على الحق في القبلة والتحول بأمر الله إلى الكعبة، قاله ابن عباس[١]، وقتادة، وابن جريج، والربيع[٢]، وقال قتادة أيضاً ومجاهد وغيرهما: «هو عائد على محمد ﷺ، أي: يعرفون صدقه ونُبُوَّته»[٣].

والفريق: الجماعة، وخص لأن منهم من أسلم ولم يكتم، والإشارة بـ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ إلى ما تقدم من الخلاف في ضمير ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، فعم الحق مبالغة في ذمهم، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ ظاهر في صحة الكفر عناداً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ رفع على إضمار الابتداءِ، والتقدير هو الحق، ويصح أن يكون ابتداءً والخبرُ مقدر بعده.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الْحَقَّ) بالنصب[٤]، على أن العامل فيه ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، ويصح نصبه على تقدير: الزمِ الحق.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، وامترى في الشيء:

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ١٨٨) من طريق ضعيف عن ابن عباس.

(٢) انظر عزو ذلك لهم في تفسير الطبري (٣/ ١٨٧و ١٨٨).

(٣) انظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧)، وقول مجاهد في تفسير القرطبي (٢/ ١٦٢)، ونقل هذا القول ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٥) عن خصيف بن عبد الرحمن، ونسبه الماوردي في تفسيره (٢/ ١٠٠) للحسن.

(٤) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٧).

إذا شك فيه، ومنه المِراءُ لأن هذا يشك في قول هذا، وأنشد الطبري شاهداً على أن الممترين الشاكُّون قول الأعشى:

[المتقارب] تَــدُرُّ عَـلىٰ أَسْؤُقِ الْـمُـمْتَريـــ ـــن ركْضاً إذا ما السَّرابُ ارْجَحَنْ[1]

ووهم في ذلك لأن أبا عبيدة وغيره قالوا: «الممترون في البيت هم الذين يَمْرُون الخيلَ بأرجلهم هَمْزاً لتجري، كأنهم يجتلبون الجري منها»[2]، فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ الآية، الوجهة: فعلة من المواجهة كالقبلة[3]، وقوله: ﴿هُوَ﴾ عائد على اللفظ المفرد في (كل)، والمراد به الجماعات، والمعنى: لكل صاحبِ ملة وجهةٌ هو موليها نفسه، قاله الربيع وعطاء[4] وابن عباس[5].

وقرأ ابن عباس[6] وابن عامر وحده من السبعة: ﴿هو مُوَلَّاها﴾[7].

وقالت طائفة: «الضمير في ﴿هُوَ﴾ عائد على الله تعالى»، والمعنى: الله مولِّيها إياهم، وقالت فرقة: «المعنى في الآية: أن للكل ديناً وشرعاً وهو دين الله وملة محمد، وهو مولِّيها إياهم اتبعها من اتبعها وتركها من تركها»، وقال قتادة: «المراد بالآية: أن الصلاة إلى الشام ثم الصلاة إلى الكعبة لكل واحدة منهما وجهة الله موليها إياهم»[8].

---

(١) البيت للأعشى كما في تفسير الطبري (٣/ ١٩١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٥٤)، وارْجَحَنَّ السراب: ارتفع وعلا، وجاء في الحمزوية: «الشراك»، وفي جار الله وأحمد٣: «ارجحنوا».
(٢) نقله تفسير القرطبي (٢/ ١٦٤)، ولم أجد كلام أبي عبيدة في كتبه المتوفرة.
(٣) في السليمانية: «كالقتلة».
(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٣/ ١٩٢).
(٥) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٢) من طريق ضعيف عن ابن عباس.
(٦) ساقط من نور العثمانية، وكأن عليه في أحمد٣ تضبيباً.
(٧) انظر قراءة ابن عامر في التيسير (ص: ٧٧). والسبعة في القراءات (ص: ١٧٢)، وقراءة ابن عباس في تفسير الطبري (٣/ ١٩٥).
(٨) انظر قوله في تفسير الطبري (٣/ ١٩٣).

وحكى الطبري أن قوماً قرؤوا: (لِكُلِّ وِجْهَةٍ) بإضافة (كل) إلى (وجهة)، وخطَّأها الطبري[١]، وهي متجهة، أي: فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولَّاكموها، ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه، أي: إنما عليكم الطاعة في الجميع، وقدم قوله: (ولكلِّ وجهةٍ) على الأمر في قوله: (اسْتَبِقُوا) للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعول، وذكر أبو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه[٢].

وسلمت الواو في ﴿وِجْهَةٌ﴾ ولم تُجر كعِدَةٍ وزنَةٍ، لأن ﴿وِجْهَةٌ﴾ ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق، وأيضاً فليكْمُلَ بناءُ الهيئة كالجلسة، قال أبو علي: «ذهب قوم إلى أنه مصدر شذ عن القياس فسلم، ومال قوم إلى أنه اسم ليس بمصدر»[٣]، وقال غير أبي علي: «وإذا أردت المصدر قلت: جهة». وقد تقال الجهة في الظرف.

وحكى الطبري/ عن منصور أنه قال: نحن نقرؤها: (ولكلٍّ جعلنا قبلةً يرضونها)[٤]. [١٠٢]

ثم أمر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار إلى سبيل النجاة، ثم وعظهم بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيداً وتحذيراً.

وقوله: ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني به البعث من القبور، ثم اتصف الله تعالى بالقدرة على كل شيء مقدورٍ عليه لتناسُبِ الصفة مع ما ذكر من الإتيان بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، معناه: حيث كنت وأنَّى توجهت من مشارق الأرض ومغاربها، ثم تكررت هذه الآية تأكيداً من الله تعالى، لأن موقع التحويل كان صعباً في نفوسهم جدّاً، فأكد الأمر ليرى الناسُ التَّهَمُّم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم إليه [والله أعلم][٥].

---

(١) قال الطبري (٣/ ١٩٥): «وذلك لحنٌ، ولا تجوز القراءةُ به».

(٢) نقلها عنه القرطبي في التفسير (٢/ ١٦٥)، وعزاها لابن عباس أيضاً ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٧).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٢).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٩٤)، وهي قراءة شاذة.

(٥) من جار الله.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ هو فرض استقبال القبلة على المصلين، وفرضُ المصلي ما دام يرى الكعبة أن يصادفها باستقباله، فإذا غابت عنه ففرضه الاجتهادُ في مصادفتها، فإن اجتهد [ثم كشف][1] الغيب أنه أخطأ[2] فلا شيء عليه عند كثير من العلماء، ورأى مالك رحمه الله أن يعيد في الوقت إحرازاً لفضيلة القبلة[3].

وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآية، قرأ نافع وحده بتسهيل الهمزة، وقرأ الباقون: ﴿لِئَلَّا﴾ بالهمز[4]، والمعنى: عرَّفتكم وجه الصواب في قبلتكم والحجة في ذلك لِئَلَّا.

وقوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ عموم في اليهود والعرب وغيرهم، وقيل: «المراد بالناس اليهود ثم استثنى كفار العرب»[5]، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ يرد هذا التأويل.

وقالت فرقة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناءٌ متصل، وهذا مع عموم لفظة (الناس)، والمعنى: أنه لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداحضة للذين ظلموا، يعني اليهود وغيرهم من كل من تكلم في النازلة في قولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ استهزاء، وفي قولهم: تحير محمد في دينه، وغير ذلك من الأقوال التي لم تنبعث إلا من عابد وثن أو من يهودي أو

---

(١) في جار الله: «ثم أخطأ وكشف»، وكذا في أحمد٣، إلا كلمة «أخطأ» فيه عليها تضبيب.

(٢) في هامش جار الله كلمة إشارة إلى أن في نسخة: «أن ذلك خطأ».

(٣) انظر: الاستذكار (٢/ ٤٥٥).

(٤) رواية ورش عن نافع إبدالها ياء والباقون بالتحقيق. السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٠٠).

من منافق، وسماها تعالى حجةً وحَكَم بفسادها حين كانت من ظلمة، وقالت طائفة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناء منقطع، وهذا مع كون (الناس) اليهود فقط، وقد ذكرنا ضعف هذا القول، والمعنى: لكن الذين ظلموا، يعني كفار قريش في قولهم: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا كله، ويدخل في ذلك كلُّ مَن تكلم في النازلة من غير اليهود.

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وابن زيد: (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام[1] على معنى استفتاح الكلام، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداء، أو على معنى الإغراء بهم فيكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصباً بفعلٍ مقدر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ الآية، تحقير لشأنهم وأمر باطِّراح أمرهم ومراعاة أمره، وقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا﴾، وقيل: هو مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر بعد ذاك، والتقدير: لأتم نعمتي عليكم عرَّفتكم قبلتي، ونحوه.

و(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ترجّ في حق البشر.

والكاف في قوله: ﴿كَمَآ﴾ رد على قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ أي: إتماماً كما، وهذا أحسن الأقوال، أي: لأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم عليه السلام كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ إجابة لدعوته في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية.

وقيل: الكاف من ﴿كَمَآ﴾ ردٌّ على ﴿تَهْتَدُونَ﴾، أي: اهتداءً كما، وقيل: هو في موضع نصب على الحال، وقيل: هو في معنى التأخير متعلق بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾.

وهذه الآية خطاب لأمة محمد ﷺ وهو المعنيُّ بقوله: ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، و﴿يَتْلُواْ﴾ في موضع نصب على الصفة، والآيات: القرآن، و(يزكيكم): يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعة، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، والْحِكْمَة: ما يتلقى عنه عليه السلام من سنَّة وفقه في دين، و﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ قصص من سلف وقصص ما يأتي من الغيوب.

---

(١) انظر عزوها لزيد في المحتسب لابن جني (١/ ١١٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٩)، وللباقين في تفسير القرطبي (٢/ ١٧٠)، وهي قراءة شاذة.

قوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾.

قال سعيد بن جبير: «معنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة»[١]، أي: اذكروني عند كل أموركم فيحملكم خوفي على الطاعة، فأذكركم حينئذ بالثواب.

وقال الربيع والسدي: «المعنى: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه»[٢].

وفي الحديث: إن الله تعالى يقول: «ابنَ آدم اذكُرْني في الرخاء أذكُرْكَ في الشدة»[٣]، وفي حديث آخر: إن الله تعالى يقول: «وإذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[٤]. وروي «أن الكافر إذا ذكر الله ذكره الله باللعنة والخلود في النار»، وكذلك العصاة يأخذون بحظ من هذا / المعنى، وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام «قل للعاصين لا يذكروني»[٥]. [١٠٣]

و(اشْكُرُوا لِي) واشكروني بمعنًى واحد، و(لي) أشهر وأفصح مع الشكر، ومعناه: نعمي وأياديّ، وكذلك إذا قلت: شكرتك، فالمعنى: شكرت صنيعك وذكرته،

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢١١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢١١ و٢١٢).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ حديثاً قدسيّاً، وإنما روي من قول الضحاك بن قيس، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠) وهو مشهور من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، والذي أوله: «احفظ الله يحفظك»، وقد سبق.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) ورد معناه عن أبي سليمان الداراني، رواه الدينوري في المجالسة (٣/ ٣٤٠).

فحذف المضاف، إذ معنى الشكر: ذكر اليد وذكر مُسْديها معاً، فما حذف من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقي على ما حذف.

و﴿تَكْفُرُونِ﴾ أي: نعمي وأيادِيَّ، وانحذفت نون الجماعة للجزم، وهذه نون المتكلم، وحذفت الياء التي بعدها تخفيفا لأنها رأس آية، ولو كان نهياً عن الكفر ضدِّ الإيمان لكان: ولا تكفروا، بغير النون.

و(يا) حرف نداء و(أيّ) منادى و(ها) تنبيه، وتُجلب «أيّ» فيما فيه الألفُ واللام لأن في حرف النداء تعريفاً مَا، فلو لم تجلب «أيّ» لاجتمع تعريفان.

وقال قوم: «الصبر: الصوم»، ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر، وتقدم معنى الاستعانة بالصبر والصلاة، واختصاره: أنهما رادعان عن المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ معناه: بمعونته وإنجاده، فهو على حذف مضاف، كما قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «اهجُهُمْ ورُوح القدس معك»[1]، وكما قال: «ارمُوا وأنا مع بني فلان»[2]، الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾ الآية، سببها: أن الناس قالوا فيمن قتل ببدر وأحد: مات فلان ومات فلان، فكره الله أن تحط منزلة الشهداء إلى منزلة غيرهم، فنزلت هذه الآية، وأيضاً: فإن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلِّية لهم، تعظِّم منزلة الشهداء، وتخبر عن حقيقة حالهم، فصاروا مغبوطين لا محزوناً لهم، ويَبين ذلك من حديث أم حارثة في السير[3].

---

(١) صحيح، هذا الحديث له إسناد صحيح من وجهين عن البراء رضي الله عنه بهذا اللفظ، وهو متفق عليه بلفظ: «وجبريل معك».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأم حارثة هذه هي الرُّبيِّع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس ابن مالك. انظر: الإصابة (٨/ ١٣٣).

والفرق بين الشهيد وغيره إنما هو الرزق، وذلك أن الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم.

وروي عن النبي ﷺ في ذلك أن أرواح الشهداء في حواصل[١] طيرٍ خضرٍ تَعْلُقُ من ثمر[٢] الجنة[٣]، [وروي أنهم في قبة خضراء][٤].

وروي أنهم في قناديل من ذهب، إلى كثير من هذا، ولا محالة أنها أحوال لطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة، وجمهور العلماء على أنهم في الجنة، ويؤيده قول النبي ﷺ لأم حارثة: «إنه في الفردوس»[٥]، وقال مجاهد: «هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها»[٦].

و﴿ أَمْوَٰتٌ ﴾: رفع بإضمار الابتداء والتقدير هم أموات، ولا يجوز إعمال القول فيه لأنه ليس بينه وبينه تناسب كما يصح في قولك: قلت كلاماً وحجة.

[وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ أي: قبل أن نشعركم][٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ الآية، أمر تعالى بالاستعانة بالصبر، وأخبر أنه مع الصابرين، ثم اقتضت الآية بعدها من فضل الشهداء ما يقوّي الصبر عليهم ويخفف المصيبة، ثم جاء بعد ذلك من هذه الأمور التي لا تتلقى إلا بالصبر أشياءُ تُعْلِم أن الدنيا دار بلاءٍ ومِحَنٍ، أي: فلا [تنكروا][٨] فراق الإخوان والقرابة، ثم وعد الصابرين أجراً[٩].

---

(١) سقطت من جار الله وفيض الله وأحمد٣، وفي الحمزوية: «جوف»، وفي هامش السليمانية: «أجواف».

(٢) في أحمد٣: «شجر»، وكتبت فوقها «ثمر».

(٣) أخرجه مسلم (٤٩٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع.

(٥) صحيح، وقد سبق قريباً.

(٦) انظر قريباً منه في تفسير الطبري (٣/ ٢١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٥١٥).

(٧) ساقط من السليمانية.

(٨) في الحمزوية: «تكرهوا».

(٩) في المطبوع: «آخراً».

وقال عطاءٌ والجمهور: «إن الخطاب في هذه الآية لأُمة محمد ﷺ»[١]، وقيل: «الخطاب لقريش»[٢] وحل ذلك بهم فهي آية للنبي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: والأول أظهر.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ ﴾ معناه: لنمتحننَّكم، وحركت الواو لالتقاء الساكنين، وقيل: الفعل مبنيٌّ، وهو مع النون الثقيلة بمنزلة خمسة عشر.

و﴿ ٱلْخَوْفِ ﴾ يعني من الأعداء في الحروب، و(الْجُوعِ): الجدب والسَّنَة، وأما الحاجة إلى الأكل [فإنما اسمها][٣]: الغرث، وقد استعمل فيه المحدثون الجوعَ اتساعاً.

ونقص الأموال: بالجوائح والمصائب، وَالْأَنْفُس: بالموت والقتل، وَالثَّمَراتِ: بالعاهات ونزع البركة، فالمراد: بشيء من هذا وشيء من هذا، فاكتفى بالأول إيجازاً ولذلك وحَّد.

وقرأ الضحاك: (بأشياءَ) على الجمع[٤]، والمعنى قريب بعضه من بعض.

وقال بعض العلماءِ: «إنما المراد في هذه الآية مُؤَنُ الجهاد وكُلَفه»، فالخوف من العدو، والجوع به وبالأسفار إليه، ونقص الأموال بالنفقات فيه، والأنفس بالقتل، والثمرات بإصابة العدو لها، أو بالغفلة عنها بسبب الجهاد.

ثم وصف تعالى الصابرين الذين بشرهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ ﴾ الآية، وجعل هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وَعُصْرَةً للممتحنين لمَا جمعت من المعاني المباركة، وذلك توحيد الله والإقرار له بالعبودية والبعث من القبور، [واليقين بأن رجوع الأمر كله إليه كما هو له][٥].

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٠).

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٢٠٩).

(٣) في فيض الله: «فأصلها».

(٤) وهي قراءة شاذة. الشواذ للكرماني (ص: ٧٩).

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

وقال سعيد بن جبير: «لم يعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]»(١)، وروي أن مصباح رسول الله ﷺ انطفأ ذات ليلة فقال: «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»، فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟، فقال: «نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة»(٢).

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ الآية، نِعَمٌ من الله على الصابرين المسترجعين، وصلوات الله على عبده: عفوهُ ورحمتهُ، وبركتهُ، وتشريفهُ إياه في الدنيا والآخرة، وكرر الرحمة لمَّا اختلف اللفظ تأكيداً، وهي من أعظم أجزاء الصلاة منه تعالى، / وشهد لهم بالاهتداء، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ هذه الآية: «نِعْم العِدْلان ونعم العِلَاوة»(٣)؛ أراد بالعِدْلَين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الاهتداء. [١٠٤]

قوله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٩) لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في العزاء، عن عكرمة به مرسلاً.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥٠) تعليقاً مجزوماً به، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦) من طريق عثمان بن أبي شيبة، عن جرير الضبي، عن منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه به، وعثمان له أوهام في روايته عن جرير الضبي، كما في ترجمته في تهذيب الكمال (١٩/ ٤٨٣)، ثم إنه خولف في حديثه، فرواه سعيد بن منصور (٢٣١)، قال: نا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: قال عمر. بدون ذكر سعيد بن المسيب، وهذه الطريق أصح، وهي منقطعة، فمجاهد لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

الصَّفا وَالْمَرْوَة جُبَيْلان[١] بمكة، والصَّفا جمع صَفَاةٍ، وقيل: هو اسم مفرد جمعه صُفِيٌّ وأصفاءُ، وهي الصخرة العظيمة، قال الراجز:

[الرجز] مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ[٢]

وقيل: من شروط الصفا البياض والصلابة.

والْمَرْوَة واحدة المرو، وهي الحجارة الصغار التي فيها لِينٌ، ومنه قول الذي أصاب شاته الموت من الصحابة: «فذكَّيتها بمروة»[٣]، ومنه قول الأمين: «أخرجني إلى أخي فإن قتلني فمروةٌ كسرت مروةً، وصمصامة قطعت صمصامة»[٤]، وقد قيل في المرو: إنها الصِّلاب، قال الشاعر:

[الرمل] وتولِّي الأرضَ خُفَّاً ذابلاً ... فإذا ما صادَفَ الْمَرْوَ رَضَحْ[٥]

والصحيح أن المرو الحجارة [صليبها][٦] ورِخْوُها الذي يتشظى[٧] وتَرِقُّ حاشيته، وفي هذا يقال المرو أكثر، وقد يقال في الصليب، وتأمَّلْ قول أبي ذؤيب:

---

(١) في جار الله: «جبلان».

(٢) البيت للأخيل الطائي أبي المقدام بن عبيد بن الأعثم بن قيس، عزاه له ابن دريد في الاشتقاق (١/ ١٢٨)، وابن السكيت في الكنز اللغوي (ص: ٣٦)، وعزاه في إيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٧٦٩) لأبي نخيلة السعدي، وفي تهذيب اللغة (٦/ ١٩٤)، للعجاج.

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٤١٢- بغية)، من حديث ابن عمر، وفي إسناده يحيى بن أبي أنيسة، وهو ضعيف الحديث، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٣٢١) من حديث جابر بن عبد الله، وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي، وهو واهي الحديث.

(٤) هذا من رسالة الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد لما أحس بغدر أخيه المأمون به، انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٢٦١).

(٥) عزاه الطبري (٣/ ٢٢٥)، والثعلبي (٢/ ٢٤)، للأعشى، وعزاه الماوردي (١/ ٢١١) للكميت، وفي الحمزوية: «وترى».

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية: «صلبه».

(٧) أي: يتطاير شظايا، والشظيَّة: الفِلقة من الشيء.

[الكامل] حَتَّىٰ كَأَني لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بصَفَا المُشَقَّر كُلَّ يَوْم تُقْرَع[١]

[وجبيل][٢] الصَّفا بمكة صليب، وجبيل الْمَرْوَة إلى اللين ما هو[٣]، فبذلك سُمِّيَا.

قال قوم: «ذُكِّر الصَّفا لأن آدم وقف عليه، ووقفت حواءُ على المروة فَأُنِّثَتْ لذلك»[٤].

وقال الشعبي: «كان على الصفا صنم يدعى إسافاً، وعلى المروة صنم يدعى نائلة»[٥]، فاطرد ذلك في التذكير والتأنيث وقدِّم المذكَّر.

و﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ معناه: من معالمه ومواضع عبادته، وهي جمع شعيرة أو شعارة، وقال مجاهد: ذلك راجع إلى القول، أي: مما أشعركم الله بفضله[٦]، مأخوذ من شعرت[٧]: إذا تحسست، وشعرت مأخوذ من الشِّعار وهو ما يلي الجسد من الثياب، والشعار مأخوذ من الشعر، ومن هذه اللفظة هو الشاعر، و﴿حَجَّ﴾ معناه قصد وتكرر، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كثيرةً يَحُجُّونَ بَيْت الزِّبْرقَانِ المُزَعْفَرَا[٨]

---

(١) انظر عزوه له في المفضليات (ص: ٤٢٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٣١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٦)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٦٦٨)، والعقد الفريد (٣/ ٢١٠)، والمُشَقَّر: موضع ببلاد العرب، أو حصن عظيم لعبد قيس، ويروى: بصفا المشرق، وهو سوق بالطائف أو مسجد الخيف بمنى.

(٢) في الحمزوية: «جبل» في الموضعين.

(٣) في المطبوع: «ماهق»، قال في الحاشية: «أي: أبيض اللون»، ويمكن أن تقرأ كذلك بعض النسخ المخطوطة.

(٤) وفي النكت والعيون للماوردي (١/ ٢١١) عن جعفر بن محمد قال: نزل آدم على الصفا، وحواء على المروة، فَسُمِّي الصفا باسم آدم المصطفى، وسميت المروة باسم المرأة.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٣١)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٢٢) النكت والعيون للماوردي (١/ ٢١١).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٧).

(٧) في الأصل: «تشعرت».

(٨) البيت للمخبل السعدي كما في المعاني الكبير (١/ ٤٧٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٢)، وتفسير =

ومنه قول الآخر:

.... يَحُـج مَأْمُومَـةً في قَعْرِهَـا لجَف[1] [البسيط]

و ﴿ٱعۡتَمَرَ﴾: زار وتكرر، مأخوذ من عَمَرْتُ الموضع.

والجُناح: الإثم والميل عن الحق والطاعة، ومن اللفظة: الجَناح لأنه في شق، ومنه قيل للخباء: جَناح؛ لتمايله وكونه كذي أجنحة، ومنه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتطوف، سكِّنت التاء وأدغمت في الطاء.

وقرأ أبو السمال: (أن يطَّاف)[2]، وأصله: يطْتَوِف تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً فجاءَ يَطْتَاف، أُدغمت التَّاءُ بعد الإسكان في الطاء على مذهب [من أجاز][3] إدغام الثاني في الأول، كما جاء في مدَّكر، ومن لم يُجز ذلك قال: قلبت التاءُ طاءً، ثم أُدغمت الطاءُ في الطاءِ، وفي هذا نظر؛ لأن الأصلي أُدغم في الزائد، وذلك ضعيف.

وروي عن ابن عباس وأنس بن مالك وشهر بن حوشب أنهم قرؤُوا: (أن لا يطوَّف)[4]، وكذلك في مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: (أن لا يطَّوف)، وقيل: (أن لا يطُوف) بضم الطاء وسكون الواو[5].

= الثعلبي (٢/ ٢٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٤٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٨٦)، والصحاح للجوهري (١/ ١٤٥)، وفي الحمزوية بدل «بيت»: «سِبَّ»، وهي رواية أكثر المصادر، والسِّبُّ بالكسر: العمامة، والمراد أنهم يترددون لسؤْدده، والحُلول: جمع حالٍّ بمعنى الجموع الكثيرة.

(١) البيت لعِذَار بن دُرة الطائي، وعجزه: فاسْتُ الطبيب قذاها كالمغاريد، انظر عزوه له في المعاني الكبير (٢/ ٩٧٦)، واتفاق المباني (ص: ٢٠٦)، وتاج العروس (٥/ ٤٥٩)، والمأمومة: الشجة التي تبلغ أُم الرأس، واللَّجَف: الخسف والحفر.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٦٧)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في الحمزوية: «سيبويه من إجازته».

(٤) في الأصل: «يتطوف».

(٥) انظر عزوها لابن عباس وابن مسعود وأنس في مختصر الشواذ (ص: ١٨)، ولأبي في الشواذ للكرماني =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ خبر يقتضي الأمر بما عهد من الطواف بهما.

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ليس المقصد منه إباحةَ الطواف لمن شاء، لأن ذلك بعد الأمر لا يستقيم، وإنما المقصد منه رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من أن الطواف بينهما فيه حرج، وإعلامُهم أن ما وقع في نفوسهم غير صواب، واختلف في كيفية ذلك فروي أن الجن كانت تعزف وتطوف بينهما في الجاهلية، فكانت طائفة من تهامة لا تطوف بينهما في الجاهلية لذلك، فلما جاء الإسلام تحرجوا من الطواف.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: «أن ذلك في الأنصار وذلك أنهم كانوا يُهِلُّون لمناة التي كانت بالمشلَّل حذْوَ قُدَيْد ويعظِّمونها، فكانوا لا يطوفون بين إساف ونائلة إجلالاً لتلك، فلما جاء الإسلام تحرجوا فنزلت هذه الآية»[(١)].

وروي عن الشعبي: «أن العرب التي كانت تطوف هنالك كانت تعتقد ذلك السعي إجلالاً لإساف ونائلة، وكان الساعي يتمسح بإسافٍ، فإذا بلغ المروة تمسح بنائلة وكذلك حتى تَتم أشواطه، فلما جاء الإسلام كرهوا السعي هنالك إذ [كان بسبب][(٢)] الصنمين»[(٣)].

واختلف العلماء في السعي بين الصفا والمروة، فمذهب مالك والشافعي أن ذلك [فرض][(٤)] ركن من أركان الحج لا يجزئ تاركَه أو ناسيه إلا العودةُ، ومذهب الثوري وأصحاب الرأي أن الدم يجزئ تاركه، وإن عاد فحسن، فهو عندهم نَدْبٌ.

= (ص٧٩) ولشهر في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٨)، وعند كلهم يطوف، دون تاء قبل الطاء، وهي قراءة شاذة.

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (٢٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في الحمزوية: «كانوا سبوا».

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٣١).

(٤) سقط من الحمزوية.

وروي عن أبي حنيفة: إن ترك أكثر من ثلاثة أشواط فعليه دم، وإن ترك ثلاثة فأقل فعليه لكل شوط إطعام مسكين، وقال عطاء: ليس على تاركه شيء لا دم[١] ولا غيره[٢] /. [١٠٥]

واحتج عطاء بما في مصحف ابن مسعود: (ألا يطَّوف بهما)[٣]، وهي قراءة خالفت مصاحف الإسلام، وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها؛ في قولها لعروة حين قال لها «أرأيتِ قول الله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؟ فما نرى على أحد شيئاً ألا يطَّوف بهما»؛ قالت: «يا عُرَيَّة كلا لو كان ذلك لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»[٤].

قال القاضي أبو محمد: وأيضاً فإن ما في مصحف ابن مسعود يرجع إلى معنى: أن يطوف، وتكون (لا) زائدة صلةً في الكلام، كقوله ﴿ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكقول الشاعر:

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ   والطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ ولا عُمَرُ[٥]   [البسيط]

أي: وعمر، وكقول الآخر:

وَمَا أَلُومُ الْبِيضَ ألا تَسْخَرا[٦]   [الرجز]

ومذهب مالك وأصحابه في العمرة أنها سنة إلا ابن حبيب فإنه قال بوجوبها[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «شيء لازم».

(٢) انظر مذهب أبي حنيفة في: حاشية ابن عابدين على الدر المختار (٢/ ٧٥٥)، وانظر مذهب البقية في: الاستذكار (٣/ ٢٢٠-٢٢٢)، والمجموع شرح المهذب (٨/ ٧٧).

(٣) انظر القراءة في تفسير الطبري (٣/ ٢٤١)، وانظر الاستدلال في المصادر السابقة.

(٤) هو تكملة للحديث السابق ذكره عند الشيخين، وعرية: تصغير عروة.

(٥) البيت لجرير يهجو الأخطل، كما في النقائض (ص١٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦١)، وأورده في الكامل (١/ ١١٩).

(٦) البيت لأبي النجم كما في مجاز القرآن (١/ ٢٦)، وتفسير الطبري (١/ ١٩٠)، والخصائص (٢/ ٢٨٣)، حجة القراءات لأبي زرعة (١/ ٥٢٧)، والصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٢٢)

(٧) انظر: البيان والتحصيل (٣/ ٤٦٧).

وقرأ قوم من السبعة وغيرهم: ﴿ومن يَطوعْ﴾ بالياء من تحت[١] على الاستقبال والشرط، والجواب في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم: ﴿تَطَوَّعَ﴾ على بابه في المضي، فـ(مَنْ) على هذه القراءة بمعنى «الذي»، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾ للإبهام الذي في (مَنْ)، حكاه مكي[٢].

وقال أبو علي: «يحتمل ﴿تَطَوَّعَ﴾ أن يكون في موضع جزم و(مَنْ) شرطية، ويحتمل أن تكون (مَنْ) بمعنى الذي والفعل صلة لا موضع له من الإعراب، والفاءُ مُؤْذِنَة أنَّ الثاني وجب لوجوب الأول»[٣].

ومن قال بوجوب السعي قال: معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾ أي: زاد برّاً بعد الواجب، فجعله عامّاً في الأعمال، وقال بعضهم: معناه: من تطوع بحج أو عمرة بعد حَجَّة الفريضة.

ومن لم يوجب السعي قال: المعنى: من تطوع بالسعي بينهما.

وفي قراءة ابن مسعود: (فمن تطوع بخير)[٤].

ومعنى ﴿شَاكِرٌ﴾ أي: يبذل الثواب والجزاء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيات والأعمال، لا يضيع معه لعاملِ برٍّ ولا غيرِه عَمَلٌ.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ الآية، المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا[٥] أمر محمد ﷺ، قال الطبري: «وقد روي أن معينين منهم سألهم قوم من [أصحاب النبي ﷺ][٦] عما في كتبهم من أمره فكتموا فنزلت»[٧]، وتتناول الآية

---

(١) وهم حمزة والكسائي، انظر قراءتهم وقراءة الباقين في السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٢).

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٧٠).

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٤٥).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٣)، والكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٩)، وهي قراءة شاذة.

(٥) أحمد٣: «يكتمون»، وأشار لها في هامش جار الله.

(٦) في أحمد٣ وجار الله بدلاً منه: «المسلمين».

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٢٥٠)، وفيه أن السائلين هم: معاذ بن جبل أخو بنى سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج.

بعدُ كلَّ مَن كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه، وذلك مفسر في قول النبي ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عن علم فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يوم القيامة بِلِجَام من نار»[(١)]، وهذا إذا كان لا يَخاف ولا ضرر عليه في بثه.

وهذه الآيةَ أراد أبو هريرة رضي الله عنه في قوله: «لو لا آية في كتاب الله ما حدثتكم حديثاً»[(٢)]، وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين: أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[(٣)]»[(٤)].

وهذه الآيةَ[(٥)] أراد عثمانُ رضي الله عنه في قوله: «لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه»[(٦)]، ومن روى في كلام عثمان: «لولا أنه في كتاب الله»[(٧)] فالمعنى غير هذا.

---

(١) الأصح موقوف على أبي هريرة، هذا الحديث روي عن عدد من الصحابة، والأسانيد إليهم جميعاً ضعيفة أو واهية، سوى ما أخرجه أحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) وحسنه، وابن ماجه (٢٦٦)، وابن حبان (٩٥) والحاكم (١/ ١٠١) وصححه،كلهم من طريق علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة به مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: (٦/ ٢٣٢) من طريق: أبي خالد الأحمر عن حجاج عن عطاء عن أبي هريرة من قوله، وكذا أخرجه البيهقي في «المدخل» ص (٣٤٦) من طريق: مروان بن محمد عن سعيد عن قتادة عن عطاء عن أبي هريرة من قوله، وقال العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤) بعد أن أورد الحديث من طريق أبي هريرة: «ليس للحديث أصل مسند، إنما هو موقوف»، وقال الخليلي في الإرشاد (١/ ٣٢١): «معلول،..والمحفوظ من حديث أبي هريرة موقوف» اهـ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٩٦-١٠٥) من طريق عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ»، ثم أخذ في تعليل طرقه كلها.

(٢) متفق عليه، هذا الأثر أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٣) في السليمانية: «الحلقوم».

(٤) أخرجه البخاري (١٢٠).

(٥) في المطبوع: «هي التي».

(٦) متفق عليه، هذا الأثر أخرجه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧)، وفيه أن الذي عيَّن الآية هو عروة ابن الزبير راوي الحديث.

(٧) يشير إلى رواية الإمام مالك في الموطأ (٨٣)، وهي من نفس طريق رواية الصحيحين المشار إليها آنفاً، إلا أن مالكاً قال: أُراه يريد هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ =

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾: أمر محمد ﷺ، ثم يعم بعدُ كلَّ ما يُكْتَم مِنْ خير.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ: (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّـنَهُ) على الإفراد[1].

و﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ يراد به التوراة والإنجيل بحكم سبب الآية، وأنها في أمر محمد ﷺ، ثم يدخل القرآن مع تعميم الآية، وقد تقدم معنى اللعنة.

واختلف في اللاعنين:

فقال قتادة والربيع: «الملائكة والمؤمنون»[2]، وهذا ظاهر واضح جارٍ على مقتضى الكلام.

وقال مجاهد وعكرمة: «هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم»[3]، وذُكِروا بالواو والنون كمَنْ يَعْقِل، لأنهم أُسند إليهم فعلُ مَن يعقل، كما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقال البراء بن عازب[4]: «اللَّاعِنُونَ كل المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والإنس»، وذلك أن النبي ﷺ قال: «إن الكافر إذا ضرب في قبره فصاح سمعه الكل إلا الثقلين فلعنه كل سامع»[5]، وقال ابن مسعود: المراد [بها][6] ما قال النبي ﷺ: «إن

= ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، بخلاف تعيين عروة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...﴾ الآية. قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٦١): «ذكره عروة راوي الحديث بالجزم أولى».

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٧٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٥٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٥٥).

(٤) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاريّ الأوسيّ، يكنى أبا عمارة، له ولأبيه صحبة، استصغر يوم بدر، وسافر مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً، وشهد غزوة تُسْتَر، وشهد مع علي الجمل وصِفِّين وقتال الخوارج، وتوفي سنة (٧٢هـ). الإصابة (١/ ٤١١).

(٥) صحيح بدون قوله: «فلعنه كل سامع»، أخرجه بهذا التمام بنحوه: الطبري في تفسيره (٣/ ٢٥٧) من طريق: أسباط عن السدي قال: قال البراء بن عازب، موقوف، والإسناد ضعيف، وأخرجه في حديث طويل بدون ذكر اللعن: البخاري (١٣٣٨) من حديث أنس.

(٦) في المطبوع: «بهم».

كل متلاعنين إن استحقا اللعنة، وإلا انصرفت على اليهود»[١].

وهذه الأقوال الثلاثة لا يقتضيها اللفظ، ولا تثبت إلا بسند يقطع العذر.

ثم استثنى الله تعالى التائبين وقد تقدم معنى التوبة.

و﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أي: في أعمالهم وأقوالهم.

و﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ قال مَن فسر الآية على العموم: معناه: بينوا توبتهم بمبرز العمل [والبروع][٢] فيه، ومن فسَّرها على أنها في كاتمي أمر محمد ﷺ قال: المعنى: بيَّنوا أمر محمّد ﷺ، فتجيءُ الآية فِيمن أسلم من اليهود والنصارى، وقد تقدم معنى توبة الله على عبده، وأنها رجوعه به عن المعصية إلى الطاعة، [والله أعلم][٣].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، محكمة في الذين وافَوا على كفرهم.

واختلف في معنى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ وهم لا يلعنون أنفسهم / : [١٠٦]

فقال قتادة والربيع: «المراد بالنَّاسِ: المؤمنون خاصة»، وقال أبو العالية: «معنى ذلك: في الآخرة، وذلك أن الكفرة يلعنون أنفسهم يوم القيامة»، وقالت فرقة: «معنى ذلك:

---

(١) واه، هذا الأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٣-٣٠٤) من قول ابن مسعود، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

(٢) في الحمزوية: «والشروع».

(٣) من جار الله.

أن الكفرة يقولون في الدنيا: لعن الله الكافرين، فيلعنون أنفسهم من حيث لا يشعرون»[١].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (والمَلائِكَةُ والنَّاسُ أجْمَعُون)[٢]، بالرفع على تقدير: أولئك يلعنهم الله.

واللعنة في هذه الآية تقتضي العذاب، فلذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، والضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن كان لم يجر لها ذكر، لثبوتها في المعنى.

ثم أعلم تعالى برفع وجوه الرفق عنهم؛ لأن العذاب إذا لم يخفَّف ولم يؤخر فهو النهاية.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يؤخَّرون عن العذاب، ويحتمل أن يكون من النظر، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، والأول أظهر، لأن النظر بالعين إنما يعدى بـ«إلى»، إلا شاذّاً في الشعر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، إعلام بالوحدانية، و﴿وَٰحِدٌ﴾ في صفة الله تعالى معناه نفيُ المثيل والنظير والند، وقال أبو المعالي: «هو نفي التبعيض والانقسام»[٤].

وقال عطاء: «لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة: ما الدليل على هذا؟ وما آيته وعلامته؟»[٥].

وقال سعيد بن المسيب: «قالوا: إن كان هذا حقّاً[٦] يا محمد فائتنا بآية من عنده

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٢٦٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٩٦)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٧).

(٣) الاستثناء هنا هو من مفهوم المخالفة، والتقدير فلا يتعدى بدونها إلا شاذّاً.

(٤) نقله ابن عرفة المالكي في تفسيره (٢/ ٤٨٢).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٦٨).

(٦) زيادة من أحمد٣ وجار الله، وجاءت فيهما «يا محمد» قبل «إن كان هذا».

تكون علامة الصدق، حتى قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فقيل لهم: ذلك لكم، ولكن إن كفرتم بعد ذلك عذبتم، فأشفق رسول الله ﷺ وقال: دعني أدعهم يوماً بيوم، فنزل عند ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، الآية»[1].

ومعنى ﴿فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في اختراعها وإنشائها، وقيل: المعنى: إن في خلْقةِ، أي: هيئة السماوات والأرض، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ معناه: أن هذا يخلُف هذا وهذا يخلف هذا فهما خلفة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]، وكما قال زهير:

بِهـا العِيـنُ والآرامُ يَمْشِـينَ خِلْفَـةً ... وأطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجثم[2] [الطويل]

وقال الآخر:

وَلَـهَـا بـالـمَـاطِـرونَ إذا ... أكَـلَ الـنَّـمْـلُ الـذي جَمَعَا [المديد]
خِـلْـفَـةً حـتـى إذا ارْتَـبَـعَـتْ ... سَـكَـنَـتْ مِـنْ جِـلَّـقٍ بِـيَـعَـا[3]

ويحتمل أيضاً الاختلافُ في هذه الآية أن يراد به اختلاف الأوصاف.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٧) طبعة دار هجر، وزاد بعد قوله: «الآية»: إن في ذَلك لآية لهم، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً، فخلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار أعظمُ من أن أجعل لهم الصفا ذهباً.

(٢) من معلقته، وعزاه له تفسير الطبري (٣/ ٢٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٥)، والاشتقاق (١/ ١٢٧)، وكتاب العين (٧/ ٤٥٢) وغيرهم من أئمة اللغة، العينُ: جمع عيناءَ، وهي واسعة العين، والآرام: جمع رئْم وهو الأبيض الخالص، وقوله: خلفةً، أي: قطيعاً بعد قطيع، والأطْلاءُ: جمع طَلا، وهم أولاد الظباءِ.

(٣) البيتان ليزيد بن معاوية كما في معجم البلدان (٥/ ٤٢)، وجمهرة اللغة (١/ ٦١٦)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٢٨٨)، ونسبهما الجاحظ في الحيوان (٤/ ٢٦٤) لأبي دهبل، وهما في ديوان الأحوص (١/ ١٠٧) قال في الكامل (١/ ٣٠١): والماطرون: بلدة بالشام، وكذلك جلق، وخلفة الشجر: ثمر يخرج بعد الثمر الكثير، وفي الحمزوية خلفها تبعاً.

واللَّيْل: جمع ليلة، وتجمع: ليالي، وزيدت فيها الياء كما زيدت في كراهية و[فراهية][١].

والنَّهار: يجمع على نُهُر وأنهِرَةٍ، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يقضي بذلك قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»[٢]، وهذا هو مقتضى الفقه في الأيمان ونحوها، فأما على ظاهر اللغة وأخذِه من السعة[٣]، فهو من وقت الإسفار إذا اتسع وقت النهار كما قال[٤]:

[الطويل] مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[٥]

وقال الزَّجَّاج في كتاب «الأنواء»: «أول النهار ذُرور الشمس، قال: وزعم النضر ابن شميل أن أول النهار ابتداءُ طلوع الشمس، ولا يعدُّ ما قبل ذلك من النهار»[٦].

قال القاضي أبو محمد: وقول النبي ﷺ هو الحكم.

و(الْفُلْك): السفن، وإفراده وجمعه بلفظ واحد، وليست الحركات تلك بأعيانها، بل كأنه بني الجمع بناء آخر، يدل على ذلك توسط التثنية في قولهم: فُلْكان، والفلك المفرد مذكر، قال الله تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩].

و(ما ينفع الناس): هي التجارات وسائر المآرب التي يركب لها البحر من غزو وحج، والنعمة بالفلك هي إذا انتُفِع بها، فلذلك خص ذكر الانتفاع إذ قد تجري بما يضر.

---

(١) في المطبوع: «رفاهية».

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، ولفظه: «إنما هو سواد الليل وبياض النهار».

(٣) في جار الله وأحمد٣: «الشعر».

(٤) في الحمزوية: «زهير»، وهو خطأ لأن البيت ليس له.

(٥) البيت لقيس بن الخطيم كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة.

(٦) كتاب الأنواء غير متوفر، وقد نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٩٣).

و﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ يعني به الأمطار التي بها إنعاش العالم وإخراج النبات والأرزاق.

و(بَثَّ) معناه: فَرَّقَ وَبَسَطَ.

و﴿دَآبَّةٍ﴾ تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير من الدواب، وهذا مردود.

وقال الأعشى:

.... دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ[١] [الطويل]

وقال علقمة بن عَبَدَة:

.... صَوَاعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[٢] [الوافر]

و(تَصْرِيف الرِّياحِ): إرسالها عقيماً، وملقحة، وصِرّاً[٣]، ونصْراً، وهلاكاً، ومنه إرسالها جَنوباً وشمالاً[٤]، وغير ذلك.

و﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ جمع ريح، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وهذا أغلب وقوعها في الكلام، وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا هبت الريح يقول: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٥].

---

(١) وصدره: نيافٌ كغصن البان ترتج إن مشت، وهو في الديوان (ص: ٤٦)، عزاه له في الموازنة (١/ ٨٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٢/ ٦٤)، والقطاة: طائر في حجم الحمام، والبطحاء: مسيل الماء من الوادي وقد تناثر فيه الحصى الدقيق.

(٢) الديوان (ص٤)، وصدره: كأَنَّهُم صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ، كما تقدم عند تفسير الآية (١٩)، ولا عبرة بمن أنكره، وفي الحمزوية: «صواعقهن الطايرات».

(٣) في جار الله: «صيراً»، وهي محتملة في أحمد٣.

(٤) سقطت من جار الله، وأحمد٣.

(٥) ضعيف جدًّا، هذا الحديث أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٢٢٤) عمن لا يتهم عن العلاء بن راشد =

قال القاضي أبو محمد: وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة ليِّنَةٌ متقطعة فلذلك هي رياح وهو معنى ﴿نشراً﴾[١] [الأعراف: ٥٧]، وأفردت مع الفلك[٢] لأن ريح إجراء السفن إنما هي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب.

وهي لفظة من ذوات الواو، يقال: ريح وأرواح، ولا يقال: أرياح، وإنما قيل: رياح، من جهة الكسرة وطلبِ تناسب الياء معها، وقد لحن في هذه اللفظة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير[٣]، فاستعمل الأرياح في شعره ولحن في ذلك، وقال له أبو حاتم[٤]: إن الأرياح لا تجوز، فقال: أما تسمع قولهم: رياح؟، فقال أبو حاتم: هذا خلاف ذلك، فقال: صدقت ورجع[٥].

[١٠٧] وأما القراء / السبعة فاختلفوا:

فقرأ نافع: «الرِّياح» في اثني عشر موضعا: هنا، وفي الأعراف ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾، وفي إبراهيم: ﴿اشتدت به الرياح﴾، وفي الحجر: ﴿ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، وفي الكهف: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾، وفي الفرقان: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ﴾، وفي النمل: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾، وفي الروم

= عن عكرمة عن ابن عباس به مرفوعاً، وقيل إن شيخ الشافعي هو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، وهو متروك الحديث، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٩/ ٤١٤) بإسناد فيه الحسين بن قيس الرحبي، وهو متروك الحديث أيضاً، وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٣٧٩): لا أصل له.

(١) بالنون، وهي قراءة سبعية.

(٢) أي في آية يونس.

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي اليربوعي، يكنى أبا عقيل، شاعر فصيح قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده، واتصل بإسحاق بن ابراهيم ومدحه، واجتمع الناس وكتبوا شعره، وبقي إلى أيام الواثق: معجم الشعراء (ص: ٢٤٧).

(٤) هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني اللغوي الأديب، المقرئ المشهور توفي سنة (٢٥٥هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ٥٨).

(٥) انظر: الخصائص (١/ ٣٥٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٥٠٧).

[في موضعين][1]، وفي فاطر، وفي الجاثية، وفي (حم عسق): ﴿يسكن الرياح﴾[2].

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر موضعين من هذه بالإفراد: في إبراهيم وفي (حم عسق)، وقرؤوا سائرها كقراءَة نافع.

وقرأ ابن كثير بالجمع في خمسة مواضع: هنا وفي الحجر وفي الكهف وفي الروم ـ الحرف الأول ـ وفي الجاثية: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، وباقي ما في القرآن بالإفراد.

وقرأ حمزة بالجمع في موضعين: في الفرقان وفي الروم الحرف الأول، وأفرد سائر ما في القرآن.

وقرأ الكسائي كحمزة، وزاد عليه في الحجر: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [٢٢]، ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف ولام[3].

والسَّحاب: جمع سحابة، سمي بذلك لأنه ينسحب، كما قالوا: حَبَا؛ لأنه يحبو، قاله أبو علي الفارسي[4]، وتسخيره: بعثه من مكان إلى آخر،، فهذه آيات أن الصانع موجود، والدليل العقلي يقوم أن الصانع للعالم لا يمكن أن يكون إلا واحداً؛ لجواز اختلاف الاثنين فصاعداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾.

---

(١) الآيتان: ٤٦، ٤٨، ولفظ «موضعين» ليس في الأصل.

(٢) أرقام الآيات في هذه المواضع هي على الترتيب: الأعراف (٥٧) إبراهيم (١٨) الحجر (٢٢) الكهف (٤٥) الفرقان (٤٨) النمل (٦٣) الروم (٤٦ و٤٨) فاطر (٩) الجاثية (٥) حمٓ عسق (٣٣).

(٣) التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٣).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٤٨) وما بعدها.

ذكر الله تعالى الوحدانية ثم الآيات الدالة على الصانع الذي لا يمكن أن يكون إلا واحداً، ثم ذكر في هذه الآية الجاحدين الضالين [معجِّباً][١] من سوء ضلالهم مع[٢] الآيات، لأن المعنى: إن في هذه الأمور لآيات بينة، ومن الناس مع ذلك البيان من يتخذ، وخرج ﴿يَتَّخِذُ﴾ موحداً على لفظ ﴿مَن﴾ والمعنى جمعه.

و﴿مِن دُونِ﴾ لفظ يعطي غيبة ما تضاف إليه «دُون»[٣] عن القضية التي فيها الكلام، وتفسير «دُون» بـ«سوى» أو بـ«غير» لا يطرد.

والند: النظير والمقاوم والموازي، كان ضدّاً، أو خلافاً، أو مثلاً، إذا قاوم من جهة فهو منها ند، وقال مجاهد وقتادة: «المراد بالأنداد الأوثان»[٤]، وجاء ضميرها في ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ ضميرَ من يعقل لما أُنزلت بالعبادة منزلةَ من يعقل، وقال ابن عباس والسدي: «المراد بالأنداد الرؤساء المتبعون يطيعونهم في معاصي الله تعالى»[٥].

و﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ في موضع نصب نعت للأنداد، أو على الحال من الضمير في ﴿يَتَّخِذُ﴾، أو يكون في موضع رفع نعت لـ﴿مَن﴾ وهذا على أن تكون ﴿مَن﴾ نكرة والكاف من ﴿كَحُبِّ﴾ في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، و(حب) مصدر مضاف إلى المفعول في اللفظ، وهو على التقدير مضاف إلى الفاعل المضمر، تقديره: كحبكم [الله، أو: كحبهم الله، حسبما قدَّر كلَّ وجه منها فرقةٌ، ومعنى كحبهم][٦]، أي: يسوون بين محبة الله ومحبة الأوثان.

ثم أخبر أن المؤمنين أَشَدُّ حُبّاً لله لإخلاصهم وتيقنهم الحق.

---

(١) في المطبوع: «تعجباً»، وفي أحمد٣: «متعجباً».

(٢) في الحمزوية: «مشاهدة هذه».

(٣) سقطت من أحمد٣.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩).

(٥) عزاه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٠)، للسدي فحسبُ، ولم أجده من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ساقط من الأصل والمطبوع.

وقوله تعالى: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ قرأ نافع وابن عامر بالتاء من فوق، و﴿أَنَّ﴾ بفتح الألف[1]، و﴿أَنَّ﴾ الأخرى كذلك عطف على الأولى، وتقدير ذلك: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لأقروا أن القوة لله، فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى، وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾.

وتقدير آخر: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعاً، وقد كان النبي ﷺ علم ذلك، ولكن خوطب والمراد أمته، فإن فيهم من يحتاج إلى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا.

وتقدير ثالث: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب لأن القوة لله، لعلمت مبلغهم من النكال، ولاستعظمت ما حل بهم، فاللام مضمرة قبل ﴿أَنَّ﴾، فهي مفعول من أجله، والجواب محذوف مقدر بعد ذلك، وفي حذف جواب (لَوْ) مبالغة، لأنك تدع السامع يسمو به تخيلُه، ولو شرحت له لوطنَّت نفسه إلى ما شرحت.

وقرأ الحسن وقتادة وشيبة وأبو جعفر: ﴿تَرَى﴾ بالتاء من فوق وكسر الهمزة من ﴿إِنَّ﴾[2]، وتأويل ذلك: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب [لاستعظمت ما حل بهم، ثم ابتدأ الخبر بقوله: إن القوة لله، وتأويل آخر: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب][3] يقولون: إن القوة لله جميعاً لاستعظمت حالهم.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وابن كثير: ﴿يَرَى﴾ بالياء من أسفل،

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤) والتيسير للداني (ص: ٧٨).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٢/ ٣٥)، فقد ذكرهم فيمن قرأ بالتاء أولًا، ثم فيمن قرأ بكسر «إن»، وقد تواترت هذه القراءة المركبة ليعقوب خاصة كما في النشر (٢/ ٢٢٤)، وذكر أنها رويت لأبي جعفر من طريق النهرواني عن ابن وردان، وليس ذلك من طرق الدرة.

(٣) ساقط من السليمانية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش وعليه علامة «صح».

وفتح الألف من ﴿ أَنَّ ﴾[١]، تأويله: ولو يَـرَى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة إذ يرون العذاب لعلموا أن القوة لله جميعاً، وتأويل آخر روي عن المبرد والأخفش: ﴿ وَلَوۡ يَرَى ﴾ ولو يرى بمعنى: يعلم الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً لاستعظموا ما حل بهم[٢]، فـ﴿يَرَى ﴾ عامل في ﴿ أَنَّ ﴾ وسدت مسد المفعولين.

وقال أبو علي: «الرؤية في هذه الآية رؤية البصر، والتقدير في قراءة الياء: ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعاً»[٣]، وحذف جواب لَوْ للمبالغة، ويعمل في ﴿ أَنَّ ﴾ الفعل الظاهر، وهو أرجح من أن يكون العامل فيها مقدَّراً.

[١٠٨] ودخلت ﴿ إِذۡ ﴾ ـ وهي لمَا مضى ـ في أثناء / هذه المستقبلات تقريباً للأمر وتصحيحاً لوقوعه، كما يقع الماضي موقع المستقبل في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٥٠]، و﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١].

ومنه قول الأشتر النخعي[٤]:

[الكامل] بَقَّيْـتُ نَفْسِـي وانْحَرَفْـتُ عَن العُلا ... ولَقِيـتُ أَضْيَافِـي بوجه عَبُـوسِ[٥]

وقرأت طائفة: ﴿ يَرَى ﴾ بالياء من أسفل وكسر الألف من ﴿إِنَّ ﴾[٦]، وذلك إما

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، والتيسير للداني (ص: ٧٨).

(٢) انظر قولي المبرد والأخفش في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٨٨).

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٥٩) وما بعدها.

(٤) هو الأشتر مالك بن الحارث، شريف كبير القدر في النخع، روى عن عمر، وخالد بن الوليد، وشهد اليرموك، وقلعت عينه، من أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه، توفي بعد صفين بقليل، تاريخ الإسلام (٣/ ٥٩٣).

(٥) انظر عزوه له في معجم الشعراء (ص: ٣٦٢)، والكشاف (١/ ٦٥٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٨)، والبخلاء للجاحظ (ص: ٣٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٨٥)، والحماسة لأبي تمام مع شرح التبريزي (١/ ٣٩)، وجاء في فيض الله وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «بقيتُ وفْري»، وفي جار الله: «وقيت..».

(٦) هذه القراءة بهذا التركيب هي قراءة أبي جعفر المتواترة عنه. انظر طرفيها في النشر (٢/ ٢٢٤).

على حذف الجواب وابتداء الخبر، وإما على تقدير: لقالوا: إن القوة لله جميعاً.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿يُرون﴾ بضم الياء والباقون بفتحها[١].

وثبتت بنص هذه الآية القوة لله بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة.

وقالت طائفة: «﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: كلُّ مَن عُبد من دون الله»، وقال قتادة: «هم الشياطين المُضِلُّونَ»، وقال الربيع وعطاءٌ: «هم رؤَساؤُهم»[٢]، ولفظ الآية يعم هذا كله.

و﴿إِذْ﴾ يحتمل أن تكون متعلقة بـ﴿شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾، ويحتمل أن يكون العامل فيها: اذكر.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ بفتح الباء هم العبدة لغير الله، والضالون المقلِّدون لرؤسائهم أو للشياطين، وتبريهم[٣] هو بأن قالوا: إنّا لم نضل هؤلاء بل كفروا بإرادتهم، وتَعَلَّقَ العقاب على المتبعين بكفرهم، ولم يتأت ما حاولوه من [تعليق][٤] ذنوبهم على المضِلين.

وقرأ مجاهد بتقديم الفعل المسند إلى المتبِعين للرؤساء وتأخير المسند إلى المتبَعين[٥].

والسبب في اللغة: الحبل الرابط الموصِل، فيقال في كل ما يُتَمَسَّك به فَيَصِل بين شيئين، وقال ابن عباس: «الْأَسْبابُ هنا الأرحام»[٦]، وقال مجاهد: «هي العهود»،

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، والتيسير للداني (ص: ٧٨).
(٢) ثلاثة أقوال انظرها في تفسير الطبري (٣/ ٢٨٧).
(٣) أي: تبرِّي الرؤساء والشياطين.
(٤) في المطبوع: «تعلق».
(٥) أي: «الذين اتبَعوا من الذين اتُّبِعوا»، نقلها عنه الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (١/ ١٩٧).
(٦) منقطع، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

وقيل: «المَوَدَّات»، وقيل: «المنازل التي كانت لهم في الدنيا»، وقال ابن زيد والسدي: «هي الأعمال»، إذ أعمال المؤمنين كالسبب في تنعيمهم فتقطعت بالظالمين أعمالهم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ الآية، المعنى: وقال الأتباع الذين تُبُرِّئ منهم: لو رُددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً ونتبرأ منهم، والكرة: العودة إلى حال قد كانت، ومنه قول جرير:

[الكامل] وَلَقَـدْ عَطَفْـنَ عَلَـىٰ فَـزَارَةَ عَطْفَـةً كَـرَّ المَنِيـحِ، وَجُلْـنَ ثَـمَّ مَجَالا[2]

والمنيح هنا: أحد الأغفال من سهام الميسر، وذلك أنه إذا خرج من الرِّبابة رد لفوره لأنه لا فرض فيه ولا حكم عنه.

والكاف من قوله: ﴿كَما﴾ في موضع نصب على النعت إما لمصدر أو لحال، تقديرها: متبرئين كما، والكاف من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ﴾ قيل: هي في موضع رفع على خبر ابتداء تقديره: الأمر كذلك، وقيل: «هي كاف تشبيه مجردة»، والإشارة بـ﴿ذلك﴾ إلى حالهم وقت تمنيهم الكَرَّة.

والرؤْية في الآية هي من رؤْية البصر، ويحتمل أن تكون من رؤْية القلب.

و﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: قال الربيع وابن زيد: «المعنى: الفاسدة التي ارتكبوها فوجبت لهم بها النار»[3].

---

(١) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٣/ ٢٩١).

(٢) البيت للأخطل كما في ديوانه (ص: ٢٠٣)، وفيه: «عَلى قُدارَة»، ونقائض جرير والأخطل (ص: ٧٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٩٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٥٦)، وهو من قصيدة له يهجو بها جريراً، ومطلعها: كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أو رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ، وقد تكرر من المؤلف نسبته لجرير، ولعله خطأ منه أو من النساخ، ولم يتابعه على ذلك أحد من المتأخرين.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٨).

وقال ابن مسعود[١] والسدي: «المعنى»: «[الصالحة] التي تركوها ففاتتهم الجنة»[٢]، ورويت في هذا القول أحاديث، وأضيفت هذه الأعمال إليهم من حيث هم مأمورون بها، وأما إضافة الفاسدة إليهم فمن حيث عملوها.

و ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: حال على أن تكون الرؤية بصرية، ومفعول على أن تكون قلبية، والحسرة أعلى درجات الندامة والهم بما فات، وهي مشتقة من الشيء الحسير الذي قد انقطع وذهبت قوته [كالبعير][٣] والبصر، وقيل: هي من حَسَرَ إذا كَشَفَ، ومنه قول النبي ﷺ: «يحسر الفرات عن جبل من ذهب»[٤].

قوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

الخطاب عام و(ما) بمعنى الذي، و﴿حَلَـٰلًا﴾ حال من الضمير العائد على (ما)، وقال مكي: «نعت لمفعول محذوف تقديره: شيئاً حلالاً»[٥]، وهذا يبعد.

وكذلك مقصد الكلام لا يعطي أن يكون حَلالاً مفعولا بـ﴿كُلُوا۟﴾ وتأمّلْ، و﴿طَيِّبًا﴾ نعت، ويصح أن يكون ﴿طَيِّبًا﴾ حالاً من الضمير في ﴿كُلُوا۟﴾ تقديره: مستطيبين، والطيب عند مالك: الحلال، فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ، وهو عند

---

(١) لم أجده من قول ابن مسعود، وإنما هو معروف عن السدي.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٦).

(٣) في الحمزوية: «كالعين».

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١١٧).

الشافعي: المستلذ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكلِّ ما هو خبيث[(١)].

و﴿ خُطُوَٰتِ ﴾ جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي، فالمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه، قال ابن عباس: «خطواته أعماله»[(٢)]، قال غيره: آثاره.

قال مجاهد: «خطاياه»، قال أبو مجلز[(٣)]: «هي النذور والمعاصي»[(٤)].

قال الحسن: «نزلت فيما سنُّوه من البحيرة والسائبة ونحوه»[(٥)]، قال النقاش: «نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب»[(٦)].

وقرأ ابن عامر والكسائي: ﴿خُطُوَٰتِ﴾ بضم الخاءِ والطاءِ، ورويت عن عاصم وابن كثير بخلاف، وقرأ الباقون بسكون الطاء[(٧)]، فإما أرادوا ضم الطاء وخففوها إذ هو الباب في جمع فُعْلة كَغُرْفَة وغُرُفَات، وإما أنهم تركوها في الجمع على سكونها في المفرد.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٣٦)، والمغني لابن قدامة (٢١/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣٠١) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) هو لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي نزيل خراسان، سمع الصحابة: ابن عمر وابن عباس وأنساً وغيرهم رضي الله عنهم، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي سنة (١٠٠هـ)، تقريباً. غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٣٠٢، ٣٠١).

(٥) ذكر هذا المعنى هنا تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٠)، دون عزوه للحسن، ونقله عن الحسن ابن أبي زمنين (٢/ ١١٩)، لكن في تفسير الآية (٣١) من سورة الأعراف، وتفسير البغوي (٢/ ٢٣٨)، في الآية (١٥٧) منها، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٥٥) في الآية (٦٤) من سورة الإسراء.

(٦) مثله في تفسير الثعلبي (٢/ ٣٧).

(٧) الضم قراءة ابن عامر والكسائي، ورواية قنبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، والسكون للباقين، كما في التيسير للداني (ص: ٧٨)، وذكر ابن مجاهد في السبعة: (ص: ١٧٤)، عن ابن فليح عن أصحابه عن ابن كثير (خطوات) خفيفة، أي: بالإسكان.

وقرأ أبو السمال: (خَطَوات) بفتح الخاء والطاء[1]. وروي عن علي بن أبي طالب وقتادة والأعمش وسلام: (خُطُؤَات) بضم الخاءِ والطاءِ وهمزة / على الواو[2]، [١٠٩] وذُهب بهذه القراءَة إلى أنها جمع خطأة من الخطأ لا من الخطْو.

وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يقع للمفرد والتثنية والجمع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الآية، إنَّما تصلح للحصر، وقد تجيء غيرَ حاصرةٍ بل للمبالغة كقولك: إنما الشجاع عنترة، كأنك تحاول الحصر أو تُوْهمه، فإنما يعرف معنى (إنَّما) بقرينة الكلام الذي هي فيه، فهي في هذه الآية حاصرة، وأمْرُ الشيطان إما بقوله في زمن الكهنة وحيث يُتَصَوَّرُ، وإما بوسوسته، فإذا أُطيع نفذ أمره.

و(السوء) مصدر من ساءَ يسوءُ فهي المعاصي وما تسوءُ عاقبته.

و(الْفَحْشاء) قال السدي: «هي الزنا»[3]، وقيل: «كل ما بلغ حدّاً من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ»[4]، وقيل: «هي ما تفاحش ذكره».

وأصل الفحش: قبح المنظر كما قال امرؤ القيس:

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْم لَيْسَ بفَاحِشٍ   إذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ[5]   [الطويل]

ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح من المعاني، والشرع هو الذي يُحَسِّن ويُقبِّح، فكلُّ ما نهت عنه الشريعةُ فهو من الفحشاءِ.

---

(١) المحتسب لابن جني (١/ ١١٧)، وهي قراءة شاذة.

(٢) قال ابن جني معقباً على هذه القراءة: «وهي مرفوضة وغلط». المحتسب لابن جني (١/ ١١٧).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣).

(٤) نسبه أبو حيان (١/ ٦٥٤) لابن عباس.

(٥) من معلقته المشهورة «قفا نبك»، الديوان (ص: ٤٣)، وانظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٤٧)، وإعجاز القرآن للباقلاني (١/ ١٧٨)، والريم: ولد الظبية، ونصَّته: مدَّته وأبرزته، والمعطّل: الخالي من الحلي.

و﴿ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾: قال الطبري: «يريد به ما حرَّموا من البَحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني كفار العرب، وقال ابن عباس: نزلت في اليهود[(٢)].

وقال الطبري: «الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ عائد على ﴿ٱلنَّاسِ﴾ من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ﴾»، وقيل: هو عائد على (مِن) في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ١٦٥][(٣)].

و﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾ معناه: بالعمل والقبول.

و﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾: هو القرآن والشرع.

و ﴿ أَلۡفَيۡنَا ﴾ معناه: وجدنا، قال الشاعر:

[المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غيرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا ذَاكِرِ اللهَ إلَّا قَلِيلا[(٤)]

والألف في قوله: ﴿أَوَلَوۡ﴾ للاستفهام، والواو لعطف جملة كلام على جملة، لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا: نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون، فقرِّروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم.

وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وأجمعت الأمة على إبطاله في العقائد.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٠٥) بإسناد فيه من لا يُعرف.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٤ و٣٠٥).

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في كتاب سيبويه (١/ ١٦٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٥٤)، والمقتضب (٢/ ٣١٣)، وهو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت له يوماً: هل لك أن أتزوجك؟ فإني امرأة صَنَاعُ الكف، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، فتزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية، المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفقه ما يقول، هكذا فسر ابن عباس[١] وعكرمة والسدي وسيبويه[٢]، فذكر بعض هذه الجملة [وبعض هذه][٣]، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز.

والنعيق زجر الغنم والصياح بها، قال الأخطل:

انعق بضَأْنِكَ يا جَريرُ فإنمَا مَنَّتْكَ نَفْسُك في الخَلاءِ ضَلالا[٤] [الكامل]

وقال قوم: «إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأْن لأنها من أبلد الحيوان»، فهي تُحمق راعيها، وفي المثل: «أحمق من راعي ضأن ثمانين»[٥]، وقد قال دريد لمالك ابن عوف[٦] في يوم هوازن: «راعي ضأن، والله»[٧]، وقال الشاعر:

أَصْبَحْتُ هُزْءاً لِرَاعِي الضَّانِ يَهْزأُ بي مَاذَا يَريبُك مِني رَاعِي الضَّانِ[٨] [البسيط]

---

(١) روي عن ابن عباس من طرق لكن ليس فيها أن الداعي واعظ الكافرين، تفسير الطبري (٣/ ٣٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٨ و٣٠٩)، والكتاب لسيبويه (١/ ٢١٢).

(٣) في بعض الطبعات: «وترك البعض».

(٤) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٦٤)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٢١٦)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٥٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٣١٥)، يريد: صح بغنمك يا جرير، واكتف بهذا عن المفاخر فلست لها أهلاً، وإنما أنت من رعاة الغنم.

(٥) الأمثال لابن سلام (١/ ٦٨)، والبيان والتبيين (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١١٥).

(٦) هو مالك بن عوف بن سعد بن النصري، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة، وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق. الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٥٠).

(٧) السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٠٦)، ومغازي الواقدي (١/ ٨٨٥)، والعقد الفريد (١/ ١٢١).

(٨) البيت لأمية بن الأسكر كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٩٢)، والأمالي (٣/ ١٠٩)، والأغاني (١٠/ ١٩) ومعجم البلدان (٢/ ١٥١)، ونقد الشعر (ص: ١٦).

فمعنى الآية: أن هؤُلاءِ الكفرة يمر الدعاءُ على آذانهم صفحاً يسمعونه ولا يفقهونه، إذ لا [ينتفعون][(١)] بفقهه.

وقال ابن زيد: «المعنى في الآية: ومثل الذين كفروا في اتباعهم آلهتهم وعبادتهم إياها كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيئاً إلا دويّاً غير مفيد»[(٢)]، يعني بذلك الصدى الذي يستجيب من الجبال.

ووجه الطبري في الآية معنى آخر، وهو: «أن المراد: ومثل الكافرين في عبادتهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد منه فهو لا يسمع من أجل البعد، فليس للناعق من ذلك إلا [النداء الذي يتعبه وينصبه][(٣)]، فإنما شبه في هذين التأويلين الكفار بالناعق والأصنام بالمنعوق به»[(٤)]، وشبهوا في الصمم والبَكَم والعمى بمن لا حاسة له لمَّا لم ينتفعوا بحواسهم ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أصـــمُّ عَـمَّـا ســاءَهُ سَـمِـيـعُ[(٥)] ....

ولما تقرر فقدهم لهذه الحواس قضى بأنهم لا يَعْقِلُونَ، إذ العقل كما قال أبو المعالي وغيره: علوم ضرورية تعطيها هذه الحواس، أو[(٦)] لا بد في كسبها من الحواس، وتأمل.

---

(١) في الحمزوية: «يتفقهون».
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣١٣).
(٣) في الحمزوية: «الدعاء الذي لا ينفعه».
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٩ و٣١٠).
(٥) أنشده شعراً: الماوردي في النكت (١/ ٢٢١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٢)، والحجة لابن خالويه (١/ ٢٧٤) ولم أقف على صدره ولا قائله، وأورده على أنه مثل: العسكري في جمهرة الأمثال (١/ ١٠)، والميداني في مجمع الأمثال (١/ ٤٠٢)، أي: أصمُّ عن القبيح الذي يغمه، سميع للأمر الذي يسره، وفي معناه: حلمي أصم وأُذني غير صمَّاء.
(٦) في نور العثمانية: «إذ»، بدل «أو».

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾.

الطيب هنا يجمع[١] الحلال المستلذ، والآية تشير بتبعيض ﴿مِن﴾ إلى أن الحرام رزق، وحض تعالى على الشكر، والمعنى: في كل حالة، و﴿إِن﴾ شرط، والمراد بهذا الشرط التثبيت وهزُّ النفوس[٢]، كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ﴾؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا حاصرة، و﴿ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ نصب بـ﴿حَرَّمَ﴾.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿الميِّتة﴾ بالتشديد[٣]، وقال الطبري وجماعة من اللغويين: التشديد والتخفيف من ميّت وميْت لغتان[٤]، وقال أبو حاتم وغيره: «ما قد مات فيقالان فيه، وما لم يمت / فلا يقال فيه ميْت بالتخفيف»[٥]. [١١٠]

قال القاضي أبو محمد: هكذا هو استعمال العرب، ويشهد بذلك قول الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بمَيْتٍ ... إنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاءِ[٦] [الخفيف]

---

(١) في أحمد ٣: «جميع»، وكذا في جار الله وفوقها «جمع» عليها إشارة «خ».
(٢) في المطبوع: «النفس»، وفي الحمزوية: «وهو التفرس».
(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٦).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣١٨).
(٥) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢١٦)، وانظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٦/ ٤٨١).
(٦) البيت لعَدِي بن الرَّعْلاء الغساني كما في مجاز القرآن (١/ ١٤٨)، وتاريخ دمشق (٤٠/ ١٠٣)، والحجة لأبي علي (٣/ ٣٩٨)، والاشتقاق (ص: ٥١)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٥٢)، والأصمعيات (ص: ١٥٢)، والصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٣١٥).

استراح: من الراحة، وقيل: من الرائحة.

ولم يقرأ أحد بالتخفيف فيما لم يمت إلا ما روى البزي عن ابن كثير: (وما هو بميت) [إبراهيم: ١٧]، والمشهور عنه التثقيل[١]، وأما قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ[٢] [الوافر]

فالأبلغ في الهجاء أن يريد الميت حقيقةً، وقد ذهب بعض الناس إلى أنه أراد من شارف الموتَ والأول أشعر[٣].

وقرأ قوم: (الميتةُ)، بالرفع[٤] على أن تكون (ما) بمعنى الذي و(إنَّ) عاملة.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (حُرِّم) على ما لم يسمَّ فاعله ورفع ما ذكر تحريمه[٥]، فإن كانت (ما) كافة فـ(الميتةُ) مفعول لم يسم فاعله، وإن كانت بمعنى الذي فـ(الميتة) [خبر.

---

(١) ورد التخفيف عنه في السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، وليس في شيء من طرق التيسير.

(٢) البيت منسوب لأبي المهوش الأسدي في سمط اللآلي (١/ ٢٤٧) والعباب الزاخر مادة: (لفف)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٧٤)، ولموهوب في شرح أدب الكاتب (ص: ٧٤)، وفي معجم الشعراء (ص: ٤٩٤)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٦٧) والمعاني الكبير (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ١٣٩)، إلى يزيد بن عمرو بن الصعق يهجو بني تميم بحب الطعام، قال في لسان العرب (١٢/ ٥٤٧): وهو الصحيح.

(٣) في جار الله: «أسعد»، وفي نور العثمانية والسليمانية: «أشهر».

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها ابن أبي عبلة كما في البحر المحيط (٢/ ١١٠)، وذكرها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) بلا نسبة.

(٥) الذي في تفسير الثعلبي (٢/ ٤٣) والبحر المحيط (٢/ ١١١)، وغيرهما: أن السلمي قرأ: «إنما حَرُم» خفيفة الراء مضمومة، أما القراءة بالبناء للمجهول فقد نسبها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) لابن أبي الزناد، وهي رواية محبوب عن أَبِي عَمْرٍو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٤٩٥)، وأغرب ابن عادل في اللباب (٣/ ١٧٠)، فنقلها عن أبي جعفر، وحمزة.

ولفظ الْمَيْتَةَ][١] عموم، والمعنى مخصِّص؛ لأن الحوت والجراد لم يدخل قط في هذا العموم.

والْمَيْتَة: ما مات دون ذكاة مما له نفس سائلة.

والطافي من الحوت جَوَّزَهُ مالك وغيره ومنعه العراقيون[٢].

وفي الميت دون تسبُّب من الجراد خلاف، منعه مالك وجمهور أصحابه[٣]، وجوزه ابن نافع وابن عبد الحكم[٤]، وقال ابن وهب: «إن ضُمَّ في غرائر فضمُّه ذكاته»[٥]، وقال ابن القاسم: «لا، حتى يصنع به شيء يموت منه، كقطع الرؤُوس والأجنحة والأرجل، أو الطرح في الماء»[٦]، وقال سحنون[٧]: «لا يطرح في ماء بارد»[٨]، وقال أشهب: «إن مات من قطع رجل أو جناح لم يؤكل لأنها حالة قد يعيش بها وينسل»[٩].

و(الدَّم) يراد به المسفوح؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع[١٠]، وفي

---

(١) ساقط من نور العثمانية.

(٢) انظر: المحلى لابن حزم (٧/ ٣٩٣)، والذخيرة للقرافي (٤/ ٩٨).

(٣) انظر: المدونة (١/ ٥٧٣)، والبيان والتحصيل (٣/ ٣٠٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢١٧).

(٥) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٦/ ٢٠٠).

(٦) انظر: المدونة (١/ ٥٧٣).

(٧) اسمه عبد السلام بن سعيد بن حبيب، شيخ المغرب، أبو سعيد التنوخي الحمصي ثم القيرواني الفقيه المالكي سحنون، قاضي القيروان، ومصنف المدونة وراويها عن ابن القاسم عن مالك، توفي سنة (٢٤٠هـ). تاريخ الإسلام ت تدمري (١٧/ ٢٤٨).

(٨) انظر: التاج والإكليل للمواق (٣/ ٢٢٨).

(٩) انظر: الذخيرة للقرافي (٤/ ١٣٢).

(١٠) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٩٥).

دم الحوت المزايل للحوت اختلاف، روي عن القابسي[١] أنه طاهر[٢]، ويلزم من طهارته أنه غير محرم، وخص ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذُكِّيَ أو لم يُذكَّ، وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف وغيرها، وأجمعت الأمة على تحريم شحمه[٣]، وفي خنزير الماء كراهية، أبى مالك أن يجيب فيه، وقال: أنتم تقولون خنزيراً[٤].

وذهب أكثر اللغويين إلى أن لفظة الخنزير رباعية، وحكى ابن سِيْدَه عن بعضهم أنه مشتق من خَزَر العين لأنه كذلك ينظر[٥]، فاللفظة على هذا ثلاثية.

و﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس وغيره: «المراد: ما ذبح للأنصاب والأوثان»[٦].

و ﴿أُهِلَّ﴾ معناه: صِيْحَ، ومنه استهلال المولود، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم، ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق، فقال: إنها مما أُهل به لغير الله فتركها الناس[٧].

---

(١) هو الفقيه المالكي؛ أبو الحسن علي بن محمد المعافري، المعروف بابن القابسي، المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، ومؤلف كتاب المهذب في الفقه، وكتاب أحكام الديانة، وغيرهما من الكتب، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٤٩٤).

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٤٣).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (٩/ ٥).

(٤) انظر قول مالك في: المدونة (١/ ٥٣٧).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٣٣٦).

(٦) روي من طرق عن ابن عباس، ينظر تفسير الطبري (٣/ ٣٢٠).

(٧) أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ٩٩٨)، بإسناد صحيح إلى الجارود بن أبي سبرة قال..فذكر الواقعة، ولم أجد من نص على رواية الجارود عن علي رضي الله عنه.

ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سُئِل عن امرأة مترَفة صنعت لِلُعَبِهَا عرساً فذبحت جزوراً، فقال الحسن: «لا يحل أكلها فإنها إنما ذبحت لصنم»[١]، وفي ذبيحة المجوسي اختلاف ومالك لا يجيزها البتة[٢]، وذبيحة النصراني واليهودي جائزة[٣].

واختلف فيما حرِّم عليهم [كالطريف][٤] والشحم وغيره بالإجازة والمنع[٥]، وقال ابن حبيب: «ما حرم عليهم بالكتاب فلا يحل لنا من ذبحهم، وما حرموه باجتهادهم فذاك لنا حلال»[٦]، وعند مالك كراهيةٌ فيما سمى عليه الكتابي المسيحَ أو ذبحه لكنيسته ولا يبلغ بذلك التحريم[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنُ اضطُـرَّ﴾ الآية، ضمت النون للالتقاء إتباعاً للضمة في الطاء حسب قراءة الجمهور[٨].

وقرأ أبو جعفر وأبو السَّمال: ﴿فَمَن اضْطِرَّ﴾ بكسر الطاء[٩]، وأصله: اضطُرِر،

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: البيان والتحصيل (٣/ ٢٩٠)، والمجموع شرح المهذب (٩/ ٧٩).

(٣) انظر: الاستذكار (٥/ ٢٥٠).

(٤) في المطبوع: «الطريفة»، قال ابن الحاج في المدخل (٢/ ٧٨): والطريفة: هي ما يوجد من الرئة ملصوقة بالشحم.

(٥) انظر: القوانين الفقهية (١/ ١٢٠).

(٦) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ١١٢).

(٧) انظر: المدونة (١/ ٥٤٤)، والمنتقى شرح الموطأ (٣/ ١١٢).

(٨) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي، ووافقهم أبو جعفر وخلف العاشر، وقرأها بالكسر عاصم وأبو عمرو وحمزة ووافقهم يعقوب، انظر: التيسير للداني (١/ ٦٣)، والسبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٧).

(٩) وهي قراءة صحيحة، انظر: النشر (٢/ ٢٥٧). وانظر نسبتها لأبي السمال في تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ١١٨).

فلما أدغم نقلت حركة الراء إلى الطاء، وقرأ ابن محيصن: (فَمَنِ اطُّـرَّ) بإدغام الضاد في الطاء، وكذلك حيث ما وقع في القرآن[١].

ومعنى ﴿ٱضۡطُرَّ﴾: ضَمَّه عُدْمٌ وَغَرْثٌ، هذا هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء والفقهاء، وقيل: معناه: أكره وغلب على أكل هذه المحرمات، و﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ في موضع نصب على الحال، والمعنى فيما قال قتادة والربيع وابن زيد وعكرمة وغيرهم: «غير قاصدِ فساد وتعدٍّ بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها»[٢]، وهؤلاء يجيزون الأكل منها في كل سفر مع الضرورة[٣].

وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما: «المعنى: غير باغ على المسلمين وعاد عليهم»[٤]، فيدخل في الباغي والعادي قطاع السُّبل، والخارج على السلطان، والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله، ولغير هؤلاء هي الرخصة.

وقال السدي: «﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ أي: غير متزيد على حد إمساك رمقه وإبقاء قوته، فيجيء أكله شهوة، ﴿وَلَا عَادٖ﴾ أي: متزود»[٥]، وقال مالك رحمه الله: «يأكل المضطر شبعَه»[٦]، وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء: «أنه يتزود إذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر»[٧].

وقيل في ﴿عَادٖ﴾: إن معناه: عايد، فهو من المقلوب، كشاكي السلاح، أصله: شائك، وكهارٍ أصله: هائر، وكلاث أصله: لائث.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٨)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٦٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٤).
(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٠٢).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٢ و٣٢٣).
(٥) المصدر السابق (٣/ ٣٢٥).
(٦) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٠٦).
(٧) انظر: الموطأ (١/ ٣٥٤)، والاستذكار (٥/ ٣٠٦)، والمغني لابن قدامة (٢١/ ٤٠٦).

[١١١] وباغ أصله باغي/، [ثقلت الضمة][١] على الياء فسكنت، والتنوين ساكن فحذفت الياء، والكسرة تدل عليها.

ورفع الله تعالى الإثم لمّا أحل الميتة للمضطر؛ لأن التحريم في الحقيقة متعلَّقه التصرف بالأكل لا عين المحرم، ويطلق التحريم على العين تجوُّزاً، ومنع قوم التزود من الميتة وقالوا: «لما استقلت قوة الآكل صار كمن لم تصبه ضرورة قبل»[٢].

ومن العلماء من يرى أن الميتة من ابن آدم والخنزير لا تكون فيها رخصةُ اضطرار، لأنهما لا تصح فيهما ذكاةٌ بوجه، وإنما الرخصة فيما تصح الذكاة في نوعه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ الآية، قال ابن عباس[٤] وقتادة، والربيع، والسدي: «المراد: أحبار اليهود الذين كتموا أمر محمد ﷺ»[٥].

و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ويحتمل أن يعود على ﴿مَا﴾ وهو جزء من الكتاب، فيه أمر محمد، وفيه وقع الكتم لا في جميع الكتاب، ويحتمل أن يعود على الكتمان، والثمن القليل: الدنيا والمكاسب، ووصف بالقلة لانقضائه ونفاده، وهذه الآية وإن كانت نزلت في الأحبار، فإنها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك لسببِ دنيا يصيبها.

وذكرت البطون في أكلهم المؤدي إلى النار[٦] دلالةً على حقيقة الأكل، إذ قد يستعمل مجازاً في مثل: أكل فلان أرضي ونحوه، وفي ذكر البطن أيضاً تنبيه على

---

(١) في المطبوع: استثقلت الكسرة.

(٢) انظر: الاستذكار (٥/ ٣٠٧).

(٣) لم أقف على شيء في الخنزير؛ وأما ميتة ابن آدم فالترخيص فيها مذهب المالكية والحنابلة والشافعية في وجه، انظر: المجموع (٩/ ٤٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٩)، والشرح الكبير لابن قدامة (١١/ ١٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٨) بإسناده فيه مقال.

(٥) انظر قولهم في تفسير الطبري (٣/ ٣٢٧).

(٦) في فيض الله زيادة: «لأنه».

مذمتهم بأنهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له، وعلى هُجْنتهم بطاعة بطونهم، وقال الربيع وغيره: «سمي مأكولهم ناراً لأنه يَؤُول بهم إلى النار»[١]، وقيل: «معنى الآية: أن الله تعالى يعاقبهم على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ قيل: هي عبارة عن الغضب عليهم وإزالة الرضى عنهم، إذ في غير موضع من القرآن ما ظاهرُه أن الله تعالى يكلم الكافرين، كقوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨][٢]، ونحوه، فتكون هذه الآية بمنزلة قولك: «فلان لا يكلمه السلطان [ولا يلتفته][٣]»، وأنت إنما تعبر عن انحطاط منزلته لديه، وقال الطبري وغيره: «المعنى: ولا يكلمهم بما يحبون»[٤]، وقيل: «المعنى: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية».

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ معناه: لا يطهرهم من موجبات العذاب، وقيل: المعنى لا يسميهم أزكياء[٥].

و﴿أَلِيمٌ﴾ اسم فاعل بمعنى: مؤلم.

قوله عز وجل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَـٰهَدُواْۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٩).

(٢) زاد في المطبوع: «ولا تكلمون».

(٣) في المطبوع: «ولا يلتفت إليه».

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٠).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٥٤).

لمَّا تركوا الهدى وأعرضوا عنه ولازَموا الضلالة وتكسَّبوها مع أن الهدى ممكن لهم ميسر، كان ذلك كبيع وشراء، وقد تقدم إيعاب هذا المعنى، ولما كان العذاب تابعاً للضلالة التي اشتروها، وكانت المغفرة تابعة للهدى الذي اطَّرحوه، أُدخلا في تجوُّز الشراء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ قال جمهور المفسرين: (ما) تعجب[١]، وهو في حيز المخاطبين، أي: هم أهلٌ أن تعجبوا منهم، ومما يطول مكثهم في النار، وفي التنزيل: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]، و﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [مريم: ٣٨]، وبهذا المعنى صدَّر أبو علي[٢].

وقال قتادة[٣] والحسن وابن جبير والربيع: أظهر التعجب من صبرهم على النار لما عملوا عمل مَن وطَّن نفسه عليها[٤]، وتقديره: ما أجرأهم على النار إذ يعملون عملاً يؤدي إليها.

وقيل: «ما» استفهام، معناه: أيُّ شيء صبرهم على النار، ذهب إلى ذلك معمر ابن المثنى[٥]، والأول أظهر.

ومعنى ﴿أَصۡبَرَهُمۡ﴾ في اللغة: أمرهم بالصبر، ومعناه أيضاً: جعلهم ذوي صبر، وكِلا المعنيين متجه في الآية على القول بالاستفهام، وذهب المبرد في باب التعجب من «المقتضب» إلى أن هذه الآية تقرير واستفهام لا تعجب، وأن لفظة (أصبر) بمعنى: اضطَر وحبَس، كما تقول: أصبرت زيداً على القتل، ومنه نهي النبي ﷺ أن يُصْبر الروح[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٢)ونسبه لمجاهد والحسن وقتادة.

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة (٦/ ٥٤).

(٣) في السليمانية: «أبو قتادة»، ولعله خطأ.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٦)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٤٨)، والهداية لمكي (١/ ٥٥٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٦٤)، وانظر القولين في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٥٥٥).

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٥١٩٤) ومسلم (١٩٥٦) من حديث أنس بلفظ: «نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»، وفي المطبوع: «تصبر البهائم»، وفي السليمانية: «يصبر الذبح».

قال: ومثله قول الشاعر:

[السريع] قُـلْـتُ لَـهَـا أُصْـبِـرُهَـا دَائِـبـاً ... أَمْثَالُ بِسْطَام بـن قَيْـسٍ قَلِيلْ[١]

قال [القاضي أبو محمد: الضبط عند المبرد بضم الهمزة وكسر الباء][٢]، ورُد عليه في ذلك كله بأنه لا يعرف في اللغة أصبرَ بمعنى صبر وإنما البيت أصبرها بفتح الهمزة وضم الباء ماضيه صبر، ومنه المصبورة، وإنما يخرج[٣] قول أبي العباس على معنى: أجعلها ذات[٤] صبر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، المعنى: ذلك الأمر ـ أو: الأمر ذلك ـ بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به، والإشارة على هذا إلى وجوب النار لهم، [ويحتمل أن يقدر: فعلنا ذلك][٥].

ويحتمل أن يقدر: وجب ذلك، ويكون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ جملة القرآن على هذه التقديرات وقيل: / [١١٢] إن الإشارة بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٦]، أي: وجبت لهم النار بما قد نزله الله في الكتاب من الخبر به، والإشارة بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ـ على هذا ـ إلى اشترائهم الضلالة بالهدى، أي: ذلك بما سبق لهم في علم الله وورود إخباره به، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بالواجب، ويحتمل أن يراد: بالأخبار الحق، أي: الصادقة.

---

(١) المقتضب للمبرد (٤/ ١٨٤)، وقد نسبه ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣١٢)، والزبيدي في تاج العروس (١٢/ ٢٧١) للحطيئة، وروايته:

قلت لها أصبرها جاهداً * ويحك أمثال طريف قليل

وهو كذلك في ديوانه (ص: ١٢٨).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «قال المبرد: الضبط بضم الهمزة وكسر الباء، قال القاضي....» إلخ.

(٣) في المطبوع والأصل: «وإنما يرد»، وفي نور العثمانية: «وإنما جاء».

(٤) في الأصل ونور العثمانية: «ذا» بصيغة المذكر، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٥) ساقط من الأصل والحمزوية.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قال السدي: هم اليهود والنصارى[1] لأن هؤلاء في شق وهؤلاء في شق، ويظهر أن الشقاق سميت به المشادة والمقاتلة ونحوه، لأن كل واحد يشق الوصل الذي بينه وبين مشاقّه، وقيل: إن المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ كفار العرب؛ لقول بعضهم: هو سحر، وبعضهم: هو أساطير الأولين[2]، وبعضهم: هو مفترى[3]، إلى غير ذلك، وشقاق هذه الطوائف إنما هو مع الإسلام وأهله.

و ﴿بَعِيدٍ﴾ هنا معناه: من الحق والاستقامة.

وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ الآية: قرأ أكثر السبعة برفع الراء، و﴿البرُّ﴾ اسم ﴿لَّيۡسَ﴾، قال أبو علي: ﴿لَّيۡسَ﴾: بمنزلة الفعل، فالوجه أن يليها الفاعل ثم المفعول[4].

قال القاضي أبو محمد: مذهب أبي علي أن «لَيْسَ» حرف، والصواب الذي عليه الجمهور أنها فعل.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ بنصب الراء[5]، جعل ﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ بمنزلة المضمر، إذ لا يوصف كما لا يوصف المضمر، والمضمر أولى أن يكون اسماً يخبر عنه.

وفي مصحف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: (لَيْسَ الْبِرّ بأنْ تُوَلُّوا)[6].

وقال الأعمش: إن في مصحف عبد الله: (تَحْسَبنَّ الْبِرَّ)[7].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٣٦).

(٢) «الأولين»: زيادة من نور العثمانية.

(٣) في الحمزوية: «شعر»، وفي فيض الله: «مقيداً».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٠).

(٥) التيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٦) المحتسب (١/ ١١٧).

(٧) تفسير البحر المحيط (٢/ ٢٣١)، ولم أجدها لمن قبل المؤلف.

وقال ابن عباس[1] ومجاهد وغيرهما: الخطاب بهذه الآية للمؤمنين، فالمعنى: ليس البِرّ الصلاة وحدها، وقال قتادة والربيع: الخطاب لليهود والنصارى[2]؛ لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي، فاليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم فيه ولكن البر من آمن بالله.

قرأ قوم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ بشد النون ونصب ﴿ٱلۡبِرَّ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿ولكنِ البرُّ﴾[3]، والتقدير: ولكن البرُّ برُّ مَنْ.

وقيل: التقدير: ولكنْ ذو البر مَن، وقيل: ﴿الْبِرّ﴾ بمنزلة اسم الفاعل، تقديره: ولكن البارُّ مَنْ، والمصدر إذا نُزِّل منزلة اسم الفاعل فهو ولا بد محمول على حذف مضاف، كقولك: رجلٌ عدلٌ ورضًى.

والإيمان: التصديق، أي: صدق بالله تعالى وبهذه الأمور كلها حسب مخبرات الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية، هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة، وبها كمال البر، وقيل: هي الزكاة، و(آتى) معناه: أعطى.

والضمير في ﴿حُبِّهِۦ﴾ عائد على ﴿ٱلۡمَالَ﴾ فالمصدر مضاف إلى المفعول، ويجيء قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اعتراضاً بليغاً أثناء القول، ويحتمل أن يعود الضمير على الإيتاء، أي: في وقت حاجة من الناس وفاقة، وإيتاء المال حبيب إليهم، ويحتمل أن

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٦) بإسناد ضعيف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٣٣٨).

(٣) هذه قراءة نافع وابن عامر فقط، أما الجمهور، وهم القراء العشرة ماعداهما، فقراءتهم هي الأولى، انظر: السبعة في القراءات (ص: ١٦٨)، والتيسير للداني (ص: ٧٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، وكلاهما قراءة متواترة.

يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي: مَن تصدق محبة في الله تعالى وطاعاته.

ويحتمل أن يعود على الضمير المستكنِّ في (آتى) أي: على حبه المال، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى المقصود: أن يتصدق المرء في هذه الوجوه، وهو شحيح صحيح يخشى الفقر ويَأْمُلُ الغنى؛ كما قال ﷺ[(١)].

والشح في هذا الحديث هو الغريزي الذي في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، وليس المعنى أن يكون المتصدق متصفاً بالشح الذي هو البخل.

و﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يراد به قرابة النَّسَب.

واليُتْم في الآدميين من قِبَل الأب قبل البلوغ.

وقال مجاهد وغيره: ابْن السَّبِيلِ: المسافر؛ لملازمته السبيل[(٢)]، وهذا كما يقال: ابن ماءٍ، للطائر الملازم للماء، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يدْخُل الجَنَّةَ ابنُ زِنًى»[(٣)]، أي: الملازم له، وقيل: لمَّا كانت السبيل تُبْرزه، شُبِّهَ ذلك بالولادة فنسب إليها.

وقال قتادة: (ابْن السَّبِيلِ): الضيف[(٤)]، والأول أعم.

و﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: يراد به العتق وفكُّ الأسرى وإعطاءُ أواخر الكتابات.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٥٩٧) ومسلم (١٧١٣) من حديث أبي هريرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ:أي الصدقة أعظم؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» الحديث.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٦).

(٣) واه، هذا الحديث قد روي من وجوه لا يصح منها شيء، حتى عدَّه بعضهم في الموضوعات، وقالوا: هذا الحديث يخالف الأصول لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يراجع موضوعات ابن الجوزي (٣/ ١١١).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٤٥).

و﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتمها بشروطها، وذكرُ الزكاة هنا دليل على أن ما تقدم ليس بالزكاة المفروضة.

و﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطف على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ويحتمل أن يُقَدَّر: وهُمُ الموفون، و﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصب على المدح، أو على إضمار فعل، وهذا مَهْيَع[1] في تكرار النعوت.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (والموفِين)[2] على المدح، أو على قطع النعوت.

وقرأ يعقوب والأعمش والحسن: (وَالْمُوفُونَ .. والصابرُون)[3].

وقرأ الجحدري: (بعهودهم)[4].

و﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر والفاقة، و(الضرَّاء): المرض ومصائب البدن، و(حين البأس): وقت شدة القتال، هذا قول المفسرين في الألفاظ الثلاثة، وتقول العرب: بَئِس الرجل: إذا افتقر، وبَؤُس إذا شجع[5].

ثم وصف تعالى أهل هذه الأفعال البَرَّة بالصدق في أُمورهم، أي: هُمْ عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول: صدقني المال وصدقني الرمح، ومنه عُودُ صدقٍ، وتحتمل اللفظة أيضاً صدق الأخبار، ووصفهم الله تعالى بالتُّقى، والمعنى: هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح.

---

(١) في الحمزوية: «ممتنع».

(٢) نقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) عنه، وهي قراءة شاذة.

(٣) تفسير البحر المحيط (٢/ ١٣١)، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٨) عن الجحدري.

(٤) تفسير البحر المحيط (٢/ ١٣١)، وهي قراءة شاذة، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩) عن السلمي.

(٥) في الحمزوية: «طمع».

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ / بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)﴾. [١١٣]

﴿كُتِبَ﴾: معناه: فرض وأثبت، والكَتْبُ مستعملٌ في الأُمور المخلدات الدائمة كثيراً، وقيل إن ﴿كُتِبَ﴾ في مثل هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاءُ.

وصورةُ فَرْضِ القصاص هو أن القاتل فُرض عليه إذا أراد الولي القتلَ الاستسلامُ لأمر الله، والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليِّه، وترْكُ التعدي على غيره كما كانت العرب تتعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله، وأن الحكام وأُولي الأمر فُرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وليس القصاص بلزام إنما اللزام أن لا يتجاوز القصاص إلى اعتداءٍ، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح، فالآية مُعْلِمَةٌ أن القصاص هو الغاية عند التشاح.

والْقِصاصُ: مأخوذ من قص الأثر، فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، و﴿الْقَتْلَى﴾ جمع قتيل، لفظ مؤنث تأْنيث الجماعة وهو مما يدخل على الناس كرهاً فلذلك جاء على هذا البناءِ، كَجَرْحَى وَزَمْنَى وحَمْقَى وَصَرْعَى وَغَرْقَى(١).

واختلف في سبب هذه الآية، فقال الشعبي: إن العرب كان أهل العزة منهم

(١) سقط من جار الله ذكر: «صرعى»، وفيه زيادة: «وقتلى».

والمنعة إذا قُتِلَ منهم عبدٌ قتلوا به حرّاً، وإذا قُتلت امرأة قتلوا بها ذكراً، فنزلت الآية في ذلك ليُعلِم الله تعالى بالسويَّة ويذهب أمر الجاهلية[١].

وحكي أن قوماً من العرب تقاتلوا قتال عُمِّية[٢]، ثم قال بعضهم: نقتل بعبيدنا أحراراً، فنزلت الآية[٣].

وقيل: نزلت بسبب قتال وقع بين قبيلتين من الأنصار[٤]، ـ وقيل: من غيرهم ـ، فقتل هؤلاء من هؤلاء رجالاً وعبيداً ونساء، فأمر رسول الله ﷺ أن يصلح بينهم ويقاصَّهم بعضهم ببعض بالديات على استواء الأحرار بالأحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد[٥].

وروي عن ابن عباس: أن الآية نزلت مقتضية أن لا يُقتل الرجلُ بالمرأة ولا المرأة بالرجل، ولا يدخل صنف على صنف، ثم نسخت بآية المائدة أن النفس بالنفس[٦].

قال القاضي أبو محمد: هكذا روي، وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل، فلا يترتب النسخ إلا بما تلقي عن رسول الله ﷺ من أن حكمنا في شرعنا مثل حكمهم[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٥٩).

(٢) العمية، بالكسر والضم مشددتي الميم والياء: الكبر، أو الضلال، وقُتل عِمِّيا، كرميا: لم يُدر من قتله. القاموس (ص: ١٣١٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).

(٤) رواه الطبري عن أبي مالك. تفسير الطبري (٣/ ٣٦١).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).

(٦) في إسناده انقطاع، هذا الأثر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فأنزل الله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فجعل الأحرار في القصاص سواء، وعلي لم يسمع التفسير من ابن عباس، وله طريق أخرى ذكره ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٤٦) يرويه جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما وجويبر ضعيف جدّاً.

(٧) انظر قول مالك في: الاستذكار (٨/ ١٨٧)، والشافعي في الأم (٦/ ٢٣)، وأبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٢٦/ ١٣١).

وروي عن ابن عباس فيما ذكر أبو عبيد[١] وعن غيره أن هذه الآية محكمة، وفيها إجمال فسرته آية المائدة، وأن قوله هنا: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ يعم[٢] الرجال والنساء، وقاله مجاهد[٣].

وقال مالك رحمه الله: أحسن ما سمعت في هذه الآية أنه يراد بها الجنس، الذكر والأنثى سواء[٤].

وأعيد ذِكْرُ الأُنثى تأْكيداً وتهمُّماً بإذهاب أمر الجاهلية، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن الحسن بن أبي الحسن أن الآية نزلت مبيِّنةً حكم المذكورين ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين أن يَقْتُل حرٌّ عبداً، أو عبدٌ حرّاً، أو ذَكَرٌ أُنثى، أو أُنثى ذكراً.

وقالا: إنه إذا قتل رجل امرأة، فإن أراد أولياؤها قتلوا صاحبهم ووفَّوْا أولياءَه نصف الدية منه، وإن أرادُوا اسْتَحْيَوْهُ وأخذوا منه دية المرأة، وإذا قتلت المرأة رجلاً فإن أراد أولياؤُه قَـتَلوا وأخذوا نصف الدية، وإلا أخذوا دية صاحبهم واستحْيَوْها.

وإذا قتل الحر العبد، [فإن أراد سيد العبد][٥] قَـتَل وأعطى دية الحر إلا قيمة العبد، وإن شاءَ استحيا وأخذ قيمة العبد، هذا مذكور عن علي رضي الله عنه[٦] وعن الحسن[٧]، وقد أُنكر ذلك عنهما أيضاً.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٥٢).

(٢) لفظة: «يعم» سقطت من نور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠).

(٤) انظر: الموطأ (٢/ ٨٧٢).

(٥) ساقط من السليمانية، وفي نور العثمانية: «قيل»، بدل «قتل».

(٦) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٦١) قال: حدثت عن عمار بن الحسن حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حدثنا عن علي قال: أيما حر قتل عبداً فهو قود به.. فذكره. وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ الطبري،وإعضال الربيع.

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٢).

وأجمعت الأُمة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، والجمهور لا يرون الرجوع بشيء، وفرقة ترى الإتباع بفضل الديات[١].

قال مالك والشافعي: وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس، وقال أبو حنيفة: لا قصاص بينهما فيما دون النفس، وإنما هو في النفس بالنفس[٢].

وقال النخعي، وقتادة، وسعيد بن المسيّب[٣]، والشعبي، والثوري، وأبو حنيفة، ومحمد بن الحسن [٤]، وأبو يوسف[٥]: يقتل الحر بالعبد، وقال مالك رحمه الله وجمهور من العلماء: لا يقتل الحر بالعبد، ودليلهم إجماع الأمة على أن العبد لا يقاوم الحر فيما دون النفس، فالنفس مقيسة على ذلك، وأيضاً فالإجماع فيمن قَتَلَ عبداً خطأً أنه ليس عليه إلا القيمة، فكما لم يشبه الحرَّ في الخطأ لم يشبهه في العمد، وأيضاً فإن العبد سلعة من السلع يباع ويشترى[٦].

وإذا قتل الرجل ابنه، فإن قصد إلى قتله مثل أن يضجعه ويذبحه أو يَصْبره مما لا عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطأ، فإنه يقتل به قولاً واحداً في مذهب مالك[٧].

---

(١) انظر: الاستذكار (٨/ ١٦٧).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٨/ ٣٦٥).

(٣) لفظة: «المسيب» والواو بعدها سقطا من نور العثمانية، فصار فيها: «سعيد بن الشعبي»، وهو خطأ.

(٤) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم الكوفي الفقيه العلامة، مفتي العراقين، أبو عبد الله، أحد الأعلام، صاحب أبي حنيفة، أخذ عنه وعن أبي يوسف ومالك بن أنس، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة (١٨٩هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٥٨).

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير الأنصاري، قاضي القضاة، تفقه بالإمام أبي حنيفة حتى صار المقدم في تلامذته، كان منصفاً في الحديث وكان يحفظ التفسير، والمغازي، وأيام العرب، توفي سنة (١٨٢هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٧).

(٦) انظر مذهب أئمة الحنفية الثلاثة في المبسوط للسرخسي (٢٦/ ١٢٩)، ومذهب مالك في الاستذكار (٨/ ١٣٠، ١٣٢)، ومذاهب البقية في: المغني (١٨/ ٣٢٢).

(٧) انظر: الاستذكار (٨/ ١٣٦).

وإن قتله على حد ما يرمي أو يضرب[١] فيقتله، ففيه في المذهب قولان: يقتل به، ولا يقتل وتغلظ الدية[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فيه أربع تأْويلات[٣]:

أحدها أن (مَنْ) يراد بها القاتل و﴿عُفِيَ﴾ يتضمن عافياً هو ولي الدم والأخ هو المقتول، ويصح أن يكون هو الوليَّ على هذا التأويل، وهي أُخُوَّة الإسلام، و﴿شَيْءٌ﴾ هو الدم الذي يُعفى عنه ويُرجَع إلى أخذ الدية، هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء، والعفو في هذا القول على بابه والضميران راجعان على (مَنْ) في كل تأويل.

والتأويل الثاني وهو قول مالك: أن (مَنْ) يراد بها الولي، و﴿عُفِيَ﴾ بمعنى: يُسِّرَ، لا على بابها في العفو، والأخ يراد به القاتل، و﴿شَيْءٌ﴾ هي الدية، والأخوة / [١١٤] على هذا أخوة الإسلام، ويحتمل أن يراد بالأخ على هذا التأويل المقتول أي يُسِّر له من قِبل أخيه المقتول وبسببه، فتكون الأخوة أخوة قرابة وإسلام.

وعلى هذا التأويل قال مالك رحمه الله: إن الولي إذا جنح إلى العفو على أخذ الدية فإن القاتل مُخَيَّر بين أن يعطيها أو يسلم نفسه فمرةً تيسَّر ومرةً لا تيسر، وغير مالك يقول: إذا رضي الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل تلزمه، وقد رُوي أيضاً هذا القول عن مالك ورجحه كثير من أصحابه[٤].

والتأويل الثالث: أن هذه الألفاظ في المعيَّنين الذين نزلت فيهم الآية كلها وتساقطوا الديات فيما بينهم مقاصة حسبما ذكرناه آنفاً، فمعنى الآية: فمن فضَل له من الطائفتين على الأخرى شيء من تلك الديات، ويكون ﴿عُفِيَ﴾ بمعنى فضل، من قولهم: عفا الشيء، إذا كثر، أي: أفضلت الحال له أو الحساب أو القدر.

---

(١) زاد في السليمانية: «أو يقتل».

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٥٠).

(٣) نقلها القرطبي وزاد عليها خامساً، انظره (٢/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٤٨).

والتأويل الرابع هو على قول علي رضي الله عنه والحسن بن أبي الحسن في الفضل بين دية المرأة والرجل والحر والعبد، أي: من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف.

و﴿عُفِيَ﴾ في هذا الموضع أيضاً بمعنى أفضل[1]، وكأن الآية من أولها بينت الحكم إذا لم تتداخل الأنواع، ثم الحكم إذا تداخلت.

و﴿شَيْءٌ﴾: في هذه الآية مفعول لم يُسَمَّ فاعله، وجاز ذلك ـ و﴿عُفِيَ﴾ لا يتعدى الماضي الذي بنيت منه ـ مِنْ حَيْثُ يُقَدر ﴿شَيْءٌ﴾ تقدير المصدر، كأن الكلام: عفي له من أخيه عفوٌ، و﴿شَيْءٌ﴾ اسم عام لهذا وغيره، أو من حيث تقدر ﴿عُفِيَ﴾ بمعنى ترك فتعمل عملها، والأول أجود، وله نظائر في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]، قال الأخفش: التقدير: لا تضرونه ضرّاً[2]، ومن ذلك قول أبي خراش:

فَعَاديتُ شَيْئاً والدَّريسُ كأنَّما يُزعْزعه وِرْدٌ مِنَ الْمُوم مُردمُ[3] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، وهذه الآية

(١) في المطبوع: «فضل».
(٢) لم أجد من نقله عنه غير المؤلف.
(٣) انظر عزوه له في المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٣٦٣)، والأغاني (١٠/ ٢١٣)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٦٦٤)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٩٠٢)، قال: «وعاديت: صرفت، والدريس هو الثوب الخلَق، يزعزعه: يحركه، وِرد أي: حمّى، والموم: البرسام، مردم: ملازم، وفي المطبوع: «فعاريت»، وفي جار الله: «فناديت»: وفيه أيضاً وفي أحمد٣: «كأنما ينازعه»، وفي هامشهما: «يزعزعه» عليها علامة «ح».

حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي.

وقرأ ابن أبي عبلة: (فاتباعاً) بالنصب[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ إشارة إلى ما شرعه لهذه الأمة من أخذ الدية، وكانت بنو إسرائيل لا دية عندهم إنما هو القصاص فقط.

والاعتداءُ المُتَوَعَّد عليه في هذه الآية هو أن يأخذ الرجل دية وليه ثم يَقتلَ القاتلَ بعد سقوط الدم، واختلف في العذاب الأليم الذي يلحقه:

فقال فريق من العلماء منهم مالك[٢]: هو كمن قَتَل ابتداء، إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه، وعذابه في الآخرة، وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم: عذابه أن يقتل البتة ولا يمكن الحاكمُ الولي من العفو[٣].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُقْسِم أن لا يعفى عن رجل عفا عن الدم وأخذ الدية ثم عدا فقتل»[٤].

وقال الحسن: عذابه أن يرد الدية فقط، ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يصنع فيه ما رأى[٦].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٥٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٢)، قال: وكذلك في: «أداء»، وقد ردها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٩) بقوله: ولكن الرفع أجود في العربية، وهو على ما في المصحف وإجماع القراء فلا سبيل إلى غيره.

(٢) كما في: الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ٥٩٠)، والشافعي في: الأم (٦/ ٢٥)، وعكرمة والثوري في: الأوسط (١٣/ ١٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٧٨).

(٤) معضل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٧٩) من طريق إسماعيل بن أمية عن الليث ـ غير أنه لم ينسبه وكان ثقة ـ أن النبي أوجب بقسم أو غيره،أن لا يعفى عن رجل عفا عن الدم، وأخذ الدية ثم عدا فقتل»، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٠).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٣٧٩).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ نحوه قول العرب [في مَثَل][(١)]: «القتل أوقى[(٢)] للقتل»[(٣)]، ويروى: أبقى، بباء وقاف، ويروى: [أنفى بنون وفاء][(٤)].

والمعنى: أن القصاص إذا أُقيم وتحقق الحكم به ازدجر من يريد قتل أحد مخافة أن يقتص منه فحَيِيَا بذلك معاً، وهذا الترتيب مما سبق لهما في الأزل، وأيضاً فكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما[(٥)] وتقاتلوا، وكان ذلك داعيةً إلى موت العدد الكثير، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به [ووقف][(٦)] عنده وتركوا الاقتتال، فلهم في ذلك حياة.

وخص أُولِي الْألْبابِ بالذكر تنبيهاً عليهم، لأنهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي، وغيرُهم تبع لهم، و﴿تَتَّقُونَ﴾ معناه: القتل فتسلَمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لأنواع التقوى في غير ذلك، فإن الله تعالى يثيب على الطاعة بالطاعة[(٧)].

وقرأ أبو الجوزاءِ أوس بن عبد الله الرَّبعي[(٨)]: (وَلَكُمْ في القَصَص)[(٩)] أي: في كتاب الله الذي شرع فيه القصاص وحكمه، ويحتمل أن يكون مصدراً كالقصاص، أي: إنه قص أثر القاتل قصصاً فقُتل كما قَتل.

---

(١) سقطت من السليمانية وفيض الله وكذا من جار الله لكن ألحقت في هامشه وعليها علامة «خ».

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «أنفى».

(٣) الرواية الأشهر للمثل هي: القتل أنفى للقتل، انظر مجمع الأمثال (١/ ١٠٥)، والمثل السائر (٢/ ٢٧٥).

(٤) في جار الله وأحمد٣ بدلا منه: «أوقى».

(٥) في أحمد٣: قتلاهما، وفي نور العثمانية: «قتيلاهما».

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «ووفقوا».

(٧) «بالطاعة»: سقطت من نور العثمانية.

(٨) هو أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري، روى عن: عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، روى عنه: أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وجماعة، وكان قوياً، يقال: قتل في وقعة الجماجم سنة (٨٢هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٢).

(٩) نقلها عنه ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٢٨٢) عنه وعن أبي.

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ الآية، كأن الآية متصلة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فلذلك سقطت واو العطف، و﴿ كُتِبَ ﴾ معناه: فرض وأثبت، وقال بعض أهل العلم: الوصية فرض(١)، وقال قوم: كانت فرضا ونسخت، وقال فريق: هي مندوب إليها(٢).

و﴿ كُتِبَ ﴾ عامل في رفع ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ على المفعول الذي لم يسم فاعله في بعض التقديرات، وسقطت علامة التأنيث من ﴿ كُتِبَ ﴾ لطول الكلام فحسن سقوطها، وقد حكى سيبويه: قام امرأةٌ(٣)، ولكن حُسْنُ ذلك إنما هو مع طول الحائل.

ولا يصح عند جمهور النحاة أن تعمل ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ في ﴿إِذَا﴾ لأنها في حكم الصلة للمصدر الذي هو ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾، وقد تقدمت فلا يجوز أن يعمل فيها متقدمة.

ويتَّجِهُ في إعراب هذه الآية أن يكون ﴿ كُتِبَ ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾ والمعنى: توجَّه إيجاب الله عليكم ومقتضى كتابه إذا حضر، فعبر عن توجه الإيجاب بـ﴿ كُتِبَ ﴾ لينتظم إلى هذا المعنى أنه مكتوب في الأزل.

/ و﴿ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ مفعول(٤) لم يسم فاعله بـ﴿ كُتِبَ ﴾ وجواب الشرطين ﴿ إِذَا ﴾ و﴿إِن ﴾ مُقَدَّرٌ، يدل عليه ما تقدم من قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾، كما تقول شكرت فعلك إن جئتني إذا كان كذا. [١١٥]

ويتجه في إعرابها أن يكون التقدير: كتب عليكم الإيصاء، ويكون هذا الإيصاء المقدر الذي يدل عليه ذكر الوصية بعد هو العامل في ﴿ إِذَا ﴾، وترتفع ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ بالابتداء [وفيه جواب الشرطين على نحو ما أنشد سيبويه:

مَنْ يَفْعَلِ الصَّالِحَاتِ الله يحفَظُهَا(٥) .... [البسيط]

---

(١) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٠).

(٢) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٣)، في أحمد٣: «قوم»، بدل «فريق».

(٣) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥٨).

(٤) في نور العثمانية: زيادة: ما، هنا.

(٥) وتمامه: والشرُّ بالشرِّ عِند الله مثلانِ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤)، وعزاه لحسان بن ثابت، =

أو يكون رفعها بالابتداء][(١)] بتقدير: فَعَلَيْهِ الوصيةُ، أو بتقدير الفاءِ فقط، كأنه قيل: فالوصية للوالدين.

ويتجه في إعرابها أن تكون ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مرتفعة بـ﴿كُتِبَ﴾ على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، وتكون ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ هي العامل في ﴿إِذَا﴾، وهذا على مذهب أبي الحسن الأخفش فإنه يجيز أن يتقدم ما في الصلة الموصول بشرطين هما في هذه الآية:

أحدهما: أن يكون الموصول ليس بموصول محض بل يشبه الموصول، وذلك كالألف واللام حيث توصَل، أو كالمصدر، وهذا في الآية مصدر وهو ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾.

والشرط الثاني: أن يكون المتقدم ظرفاً، فإن في الظرف يسهل الاتساع، و﴿إِذَا﴾ ظرف وهذا هو رأْي أبي الحسن في قول الشاعر:

[الطويل] تَقُولُ وَصَكَّتْ وجْهَهَا بيَمِينِها أَبَعْلِي هَذَا بالرَّحَا المُتَقَاعِسُ[(٢)]

= والرواية فيه وفي المصادر «يشكرها» بدل «يحفظها»، ونسبه المبرد في المقتضب (٢/ ٧٢) لابنه عبد الرحمن ابن حسان، وقال البغدادي في خزانة الأدب (٩/ ٥١) «نسبه سيبويه وخَدَمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضي الله عنه، ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصاري» فلعل نسخته من الكتاب مخالفة لما مر، قال في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: الحسنات»، وفي جار الله: «يشكرها»، وفي نور العثمانية وفيض الله وأحمد٣: «يحفظه».

(١) ساقط من السليمانية.

(٢) البيت لهُذْلول بن كعب العنبري كما في ديوان الحماسة (١/ ٢٨٩) من أبيات انظر بقيتها وسببها وشرحها في شرح الحماسة (١/ ٢١٣)، ونسب الأبيات المبرد في الكامل (١/ ٣٣) لأعرابي من بني سعد بن زيد مناة تميم، وكناه ابن عبد ربه في العقد الفريد (١/ ١٠٤) أبا محلِّم السعدي، وجاء في تاج العروس (٢١/ ٨٢) ولسان العرب (٨/ ١٢٢) أن ابن بري أنشد البيت الثالث منها (ألست أرد القرن يركب ردعه، وفيه سنان ذو غرارين نائس) لنعيم بن الحارث بن يزيد السعدي، وأورد القصة الخالديان في الأشباه والنظائر (١/ ١٣٢) للحارث بن بدر.

فإنه يرى أن «بالرحا» متعلق بقوله: «المتقاعس»[(١)]، كأنه قال: أبعلي هذا المتقاعسُ بالرحا، وجواب الشرطين في هذا القول كما ذكرناه في القول الأول.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ مجاز؛ لأن المعنى: إذا تُخُوِّف وحضرت علاماته، والخير في هذه الآية المال.

واختلف موجبو الوصية في القدر الذي تجب منه، فقال الزهري وغيره: تجب فيما قلَّ وفيما كثر، وقال النخعي: تجب في خمس مئة درهم فصاعداً، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة: في ألف فصاعداً[(٢)].

واختلف العلماء في هذه الآية، فقال فريق: هي محكمة ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين اللذَيْن لا يرثان كالكافرَيْن والعبدَيْن، وفي القرابة غير الوارثة[(٣)].

وقال ابن عباس[(٤)] والحسن وقتادة: الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة، ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض[(٥)]، وفي هذه العبارة يدخل قول ابن عباس والحسن وغيرهما: إنه نسخ منها الوالدان وثبت الأقربون الذين لا يرثون[(٦)]، وبيَّنَ أن آية الفرائض في سورة النساء ناسخة لهذا: الحديث المتواتر: «إن الله قد أعطى كلَّ ذي حق حقَّه فلا وصية لوارث»[(٧)].

---

(١) نقله عنه المبرد في الكامل في اللغة والأدب (١/ ٣٦).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (١٥/ ٣٩٨)، والاستذكار (٧/ ٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٧ و٣٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٦) بإسناد ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٨).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٣٨٩).

(٧) سبق تخريجه في الآية (١٠٥) من هذه السورة.

وقال ابن عمر وابن عباس أيضاً وابن زيد: «الآية كلها منسوخة، وبقيت الوصية ندباً»[١]، ونحو هذا قول مالك رحمه الله[٢]، وقال الربيع بن خثيم وغيره: «لا وصية لوارث[٣]».

وقال عَزْرةُ بن ثابت[٤] للربيع بن خُثيم: «أوص لي بمصحفك»، فنظر الربيع إلى ولده وقرأ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٥]، ونحو هذا صنع ابن عمر رضي الله عنه[٦].

وقال بعض أهل العلم: إن الناسخ لهذه الآية هي السنة المتواترة في الحديث المذكور قبل، وقد تقدم توجيه نسخ السنة للكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال قوم من العلماء: الوصية للقرابة أولى، فإن كانت لأجنبي فمعهم، ولا تجوز لغيرهم مع تركهم[٧]، وقال الناس حين مات أبو العالية: عجباً له، أعتقته امرأة

(١) النسخ صحيح عن ابن عباس، أثر ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٤٧) وفيه نسخ الوصية للوالدين دون قوله: وبقيت الوصية ندباً، وأثر ابن عمر أخرجه البيهقي في السنن (٦/ ٢٦٥) بإسناد لين.

(٢) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٣).

(٣) لوارث: سقطت من نور العثمانية.

(٤) في جار الله وفيض الله: «عروة»، وهو خطأ، وهو عزرة بن ثابت بن أبي يزيد الأنصاري البصري، من الطبقة ١٦، روى عن علباء بن أحمر وعمرو بن دينار وقتادة وعدة، وعنه عبد الوارث ووكيع وخلق، وثقه ابن معين وأبو داود. تاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٤).

(٥) الأحزاب: ٦، تفسير الطبري (٣/ ٣٩٢).

(٦) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٩٢) من طريق: ابن علية قال، حدثنا أيوب، عن نافع: أن ابن عمر لم يُوصِ، وقال: «أما مالي فالله أعلم ما كنت أصنع فيه في الحياة،وأما رباعي فما أحب أن يشرك ولدي أحد» وإسناده صحيح.

(٧) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٥).

من رياح، وأوصى بماله لبني هاشم، وقال الشعبي: لم يكن ذلك له ولا كرامة. وقال طاوس[١]: إذا أوصى لغير قرابته ردت الوصية إلى قرابته ونُقِضَ فعله، وقاله جابر بن زيد[٢].

وقال الحسن وجابر بن زيد أيضاً وعبد الملك بن يَعْلَى[٣]: يبقى ثلث الوصية حيث جعلها ويُرد ثلثاها إلى قرابته[٤].

وقال مالك رحمه الله وجماعة من العلماء: الوصية ماضية حيث جعلها الميت[٥].

والأقربون: جمع أقرب، و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ معناه: بالقصد الذي تعرفه النفوس دون إضرار بالورثة ولا تنزير[٦] للوصية.

و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكِّد، وخص المتقون بالذكر تشريفاً للرتبة ليتبارى الناس إليها.

---

(١) هو طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني الجندي أحد الأعلام، سمع: زيد بن ثابت، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وعنه: ابنه عبد الله، والزهري، وإبراهيم بن ميسرة، وطائفة، توفي سنة (١٠٦هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ١١٦).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٨)، وهو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري، كان من كبار أصحاب ابن عباس، وكان من المجتهدين في العبادة، عالم العراق ومفتيهم توفي سنة (٩٣هـ)، أو بعدها. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٤).

(٣) عبد الملك بن يعلى الليثي قاضي البصرة، روى عن أبيه، وعن رجل صحابي من قومه، وعن عمران ابن حصين، وعن محمد بن عمران بن حصين، وعنه: قتادة، وأيوب السختياني، وحميد الطويل، وجماعة توفي سنة (١٠٠هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٧).

(٥) انظر: الاستذكار (٧/ ٢٦٥)، والمحلى (٩/ ٣١٥).

(٦) في هامش فيض الله: «صوابه تبذير»، وفي نور العثمانية: «تنزر».

قوله عز وجل: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾.

الضمير في ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ عائد على الإيصاء وأمر الميت وكذلك في ﴿سَمِعَهُۥ﴾، ويحتمل أن يعود الذي في ﴿سَمِعَهُۥ﴾ على أمر الله تعالى في هذه الآية، والقول الأول أسبق للناظر، لكن في ضمنه أن يكون المبدل عالماً بالنهي عامداً لخلافه.

والضمير في ﴿إِثۡمُهُۥ﴾ عائد على التبديل، و﴿سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ صفتان لا يخفى معهما شيءٌ من جَنَف المُوصين وتبديل المتعدين.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿من مُوَصٍّ﴾ بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون بسكون الواو[1].

والجنف: الميل، وقال الأعشى:

[الطويل] تَجَانَفُ عن حَجْرِ اليَمَامَةِ ناقتِي ... ومَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائكا[2]

وقال عامر الرام الخضري[3] المحاربي:

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٢) عزاه له سيبويه في الكتاب (١/ ٤٠٨)، والمبرد في الكامل (٤/ ٨)، والزمخشري في أساس البلاغة (١/ ١٠٢) وابن سيده في المخصص (٤/ ٤٥٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٣/ ٨٧)، والجوهري في الصحاح (٦/ ٢٣٨٤)، وفي رواية «جو اليمامة»، وبلاد الجو تنسب إليها فيقال: «جو اليمامة» وفي رواية: «جل اليمامة»، أي: عن جل أهل اليمامة. والبيت في قصيدة طويلة يمدح هوذة ابن علي الحنفي.

(٣) في نور العثمانية وفيض الله: «الحضرمي»، وفي جار الله: «الراعي»، وعامر هذا صحابي له رواية، قال في الإصابة (٣/ ٦٠٦): هو من ولد مالك بن طريف بن خلف بن محارب، وكان يقال لولد =

هُمُ المَولىٰ وَقَـدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وإنَّـا مِـنْ عَـدَاوَتِـهِـمْ لَـزُورُ[١] [الوافر]

ومعنى الآية على ما قال مجاهد: من خشي أن يحيف الموصي / ، ويقطع [١١٦] ميراث طائفة، ويتعمد الإذاية، أو يأتيها دون تعمد وذلك هو الجنف دون إثم [وإذا تعمد فهو الجنف في إثم][٢]، فالمعنى: من وعظه في ذلك ورده عنه [فصلح][٣] بذلك ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة في ذاتهم فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن الموصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الإذاية ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

وقال ابن عباس رضي الله عنه[٤] وقتادة، والربيع: معنى الآية: (من خاف) ـ أي: علم ورأى وأتى علمه عليه ـ بعد موت الموصي أن الموصي حاف وجَنِف وتعمد إذاية بعض ورثته، فأصلح ما وقع بين الورثة من الاضطراب والشقاق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٥]، أي: لا يلحقه إثم المُبَدِّل المذكور قبلُ، وإن كان في فعله تبديل [ما ولا بد، لكنه تبديل][٦] لمصلحة، والتبديل الذي فيه الإثم إنما هو تبديل الهوى.

وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (فلَإِثم عليه) بحذف الألف[٧].

و﴿كُتِبَ﴾: معناه فُرِضَ، والصِّيَامُ في اللغة: الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال، ومنه قول النابغة:

= مالك: الخضر، لأنه كان شديد الأدمة، وكان عامر رامياً حسن الرمي، فلذلك قيل له: الرامي، وكان شاعراً، ويقال له: عامر الرام بحذف الياء تخفيفاً كما في مشكاة المصابيح مع شرحه (٨/ ٢٢٥).

(١) عزاه له في مجاز القرآن ١/ ٦٦)، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٨)، وسمياه عامر الخصفي، ومحارب هو ابن خصفة، وروايته: «من لقائهم».

(٢) ساقط من نور العثمانية، وانظر تفسير الطبري (٣/ ٤٠٠).

(٣) في المطبوع: «فأصلح».

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٤٠٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٠١)، بمعناه عنهما.

(٦) ساقط من جار الله.

(٧) عزاها له تفسير الثعلبي (٢/ ٦١)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٢٠).

[البسيط] خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غَيـر صائِمَـةٍ تَحْتَ العَجَاجِ، وخَيْلٌ تعلُكُ اللُّجُمَا[١]

أي: خيل ثابتة ممسكة، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أي إمساكا عن الكلام، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] كَأَنَّ الثُّرَيـا عُلِّقَـتْ فـي مَصَامِهَـا [٢] ....

أي: في موضع ثبوتها وامتساكها[٣]، ومنه قوله:

[الطويل] فَـدَعْ ذَا وَسَـلِّ الْهَـمَّ عَنْـكَ بِجَسْـرَةٍ ذَمُـول إذا صَـامَ النَّهَـارُ وهَجَّـرَا[٤]

أي: وقفت الشمس عن الانتقال وثبتت.

والصيام في الشرع: إمساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مراعاة أوقات وغير ذلك، فهو من مجمل القرآن في قول الحذاق.

والكاف من قوله: ﴿كَمَا﴾ في موضع نصب على النعت، تقديره: كتباً كما، أو صوماً كما، أو على الحال كأن الكلام: كتب عليكم الصيام مشبِها ما كتب على الذين من قبلكم.

وقال بعض النحاة: الكاف في موضع رفع على النعت لـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ إذ ليس تعريفه بمحض لمكان الإجمال الذي فيه مما فسرته الشريعة، فلذلك جاز نعته بـ﴿كَمَا﴾

---

(١) عزاه له الثعلبي (٢/ ٦١)، والطبري (٣/ ٤٠٩)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٦)، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٨٩٩).

(٢) وعجزه: بأمراس كتان إلى صُم جندلِ، وهو من معلقته المشهورة: قفا نبك، عزاه الكامل للمبرد (٣/ ٦٧)، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: ٢٨)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٧)، وغيرها، ومصامها: موضعها ومكانها، وفي رواية: «مصابها» والمعنى واحد، وأمراس كتان هي: حبال محكمة الفتل مصنوعة من الكتان.

(٣) في الحمزوية: «وإمساكها»، وهي محتملة في السليمانية وجار الله.

(٤) هو لامرئ القيس من قصيدة قالها عند ذهابه إلى قيصر ملك الروم يستجير به، انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٢/ ٦٢)، وأساس البلاغة (١/ ٩٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٧)، والجسرة: الناقة العظيمة، والذمول: التي تسير سيراً ليناً.

إذ لا تنعت بها إلا النكرات، فهو بمنزلة: كتب عليكم صيام [١]، وقد ضعف هذا القول.

واختلف المتأولون في موضع التشبيه، فقال الشعبي وغيره: المعنى: كتب عليكم رمضان كما كتب على النصارى، قال: فإنه كتب عليهم رمضان فبدلوه لأنهم احتاطوا له بزيادة يوم في أوله، ويوم في آخره، قرناً بعد قرن، حتى بلَّغوه خمسين يوماً، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الفصل الشمسي [٢].

قال النقاش: وفي ذلك حديث عن دَغْفَل بن حنظلة [٣] والحسن البصري والسدي [٤].

وقيل: بل مرض ملك من ملوكهم فنذر إن برئ أن يزيد فيه عشرة أيام، ثم آخر سبعة، ثم آخر ثلاثة، ورأوا أن الزيادة فيه حسنة بإزاءِ الخطأ في نقله.

وقال السدي والربيع: التشبيه هو أن من الإفطار إلى مثله لا يأْكل ولا يشرب ولا يطأُ، فإذا حان الإفطار فلا يفعل هذه الأشياءَ مَن نام [٥].

وكذلك كان في النصارى أولاً، وكان في أول الإسلام، ثم نسخه الله بسبب عمر وقيس بن صِرْمَةَ بما يأتي من الآيات في ذلك.

وقال عطاء: التشبيه: كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، قال القاضي أبو محمد: وفي بعض الطرق: ويوم عاشوراء، كما كتب على الذين من قبلكم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء، ثم نسخ هذا في هذه الأمة بشهر رمضان [٦].

---

(١) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤١٠)، وفي المطبوع: «الشتوي»، بدل «الشمسي».

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني الذهلي، النسابة، وقال أحمد بن حنبل: لا أرى له صحبة، توفي في دهر معاوية، وكان له علم ورواية للنسب، وقيل: إنه غرق في «يوم دولاب» في قتال الخوارج، وكان ذلك سنة (٧٠هـ). تاريخ الإسلام (٤/ ٢٠٣)، والإصابة (٢/ ٣٢٥).

(٤) نقله القرطبي (٢/ ٢٧٥).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤١١ و٤١٢).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٤١٤).

وقالت فرقة: التشبيه كتب عليكم كصيام بالإطلاق، أي: قد تقدم في شرع غيركم، فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عام في النصارى وغيرهم، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ في حقهم.

و﴿تَتَّقُونَ﴾ قال السدي: معناه: تتقون الأكل والشرب والوطء بعد النوم على قول من تأول ذلك[1]، وقيل: تتقون[2] على العموم، لأن الصيام كما قال عليه السلام: «جُنة»[3] و«وجاء»[4] وسبب تقوى، لأنه يميت الشهوات[5].

و﴿أَيَّامًا﴾ مفعول ثان بـ﴿كُتِبَ﴾، قاله الفراء[6]، وقيل: هي نصب على الظرف، وقيل: نصبها بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وهذا لا يحسن إلا على أن يعمل الصيام في الكاف من ﴿كَمَا﴾ على قول من قدر: صوماً كما، وإذا لم يعمل في الكاف [قبح][7] الفصل بين المصدر وبين ما عمل فيه بما عَمِل فيه غيره، وذلك إذا كان العامل في الكاف ﴿كُتِبَ﴾، وجوز بعضهم أن يكون ﴿أَيَّامًا﴾ ظرفاً يعمل فيه ﴿ٱلصِّيَامُ﴾.

و﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ قيل: رمضان، وقيل: الثلاثة الأيام.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، التقدير: فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، وهذا يسمونه فحوى الخطاب.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤١٣).

(٢) في الحمزوية: «معناه».

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٩٤،١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) وهو جزء من حديث أبي هريرة.

(٤) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩٠٥، ٥٠٦٥، ٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠) وهو جزء من حديث ابن مسعود.

(٥) تفسير السمعاني (١/ ١٧٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٨٧).

(٦) ولفظه في معاني القرآن (١/ ١٠٠): «كلّ ما لم تسمِّ فاعله إذا كان فيها اسمان أحدهما غير صاحبه رفعت واحداً ونصبت الآخر».

(٧) في الحمزوية: «صح».

واختلف العلماء في حد المرض الذي يقع به الفطر:

فقال قوم: متى حصل الإنسان في [حالٍ يستحق بها][١] اسم المريض صح الفطر، قياساً على المسافر أنه يفطر لعلة السفر وإن لم تَدْعُه إلى الفطر ضرورة، وقاله ابن سيرين[٢].

وقال جمهور من العلماء: إذا كان به مرض يؤذيه ويؤلمه، أو يخاف تماديه، أو يخاف من الصوم تزيُّده صح له الفطر، وهذا مذهب حذاق أصحاب مالك رحمه الله، وبه يناظرون[٣]، وأما لفظ مالك فهو: المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به[٤].

وقال الحسن: إذا لم يقدر من المرض على الصلاة قائماً أفطر.

وقالت فرقة: لا يفطر بالمرض إلا من دعته ضرورة المرض نفسه إلى الفطر، ومتى احتمل الضرورة معه لم[٥] يفطر، وهذا قول الشافعي رحمه الله[٦].

واختلف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر، فقال قوم والشافعي ومالك في بعض ما روي عنه: الصوم أفضل لِمَن قَويَ[٧] / ، وجُلُّ مذهب مالك [١١٧] التخيير[٨].

وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما: الفطر أفضل، وقال مجاهد وعمر بن عبد العزيز وغيرهما: أيسرهما أفضلهما، وكره ابن حنبل وغيره الصوم في السفر.

---

(١) في أحمد٣ وجار الله: «حد المرض الذي يقع به استحقاق».
(٢) انظر: القوانين الفقهية (ص: ٨٢).
(٣) انظر: مواهب الجليل للحطاب (٣/ ٣٨٢).
(٤) انظر: الموطأ (١/ ٣٠٢).
(٥) سقطت «لم» من نور العثمانية.
(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٥٨).
(٧) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٠٣).
(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٢٥).

وقال ابن عمر: «من صام في السفر قضى في الحضر»، وهو مذهب عمر رضي الله عنه[١]، ومذهبُ مالك في استحبابه الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسنٌ، لأن الذمة تبرأ في رخصة الصلاة وهي مشغولة في أمر الصيام، والصواب المبادرة بالأعمال.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «الفطر في السفر عَزْمَة»[٢].

وذهب أنس بن مالك إلى الصوم، وقال: «إنما نزلت الرخصة ونحن جياع نروح إلى جوع، [ونغدو إلى جوع][٣]».

والسفر: سفر الطاعة كالحج والجهاد بإجماع، ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري.

أما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز، والقول بالجواز أرجح[٤]، وأما سفر المعاصي فمختلف فيه بالجواز والمنع، والقول بالمنع أرجح[٥].

---

(١) انظر: المحلى (٦/ ٢٥٦).

(٢) إسناده صحيح إذا سلم من تدليس قتادة، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٣١) والطبري (٣/ ٤٦٠) من طريق جماعة ـ منهم: ابن علية ـ عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن جابر بن زيد أبي الشعثاء، عن ابن عباس، وهو إسناد صحيح لو سمعه قتادة من أبي الشعثاء.

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٣٢) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٦٧) وغيرهم من طرق عن عاصم الأحول قال: سئل أنس عن الصوم في السفر فقال: الصوم أفضل. وجاء عند الطحاوي: سألت أنس بن مالك، وأخرج النسائي في الكبرى (١١٠٢٠) بإسناد فيه خيثمة بن أبي خيثمة عن أنس بن مالك: في صوم رمضان في السفر قلت: فأين هذه الآية ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؟ قال: إنها نزلت يوم نزلت ـ يعني على النبي ﷺ ـ ونحن نرتحل جياعاً وننزل على غير شبع، واليوم نرتحل شباعاً وننزل على شبع. وخيثمة لينه ابن معين، وقوله: ونغدو إلى جوع زيادة من المطبوع.

(٤) نقل ابن المنذر في: الأوسط (٤/ ٣٩٦-٣٩٩) إجماع عوام أهل العلم عليه، ولم يذكر مخالفاً لهم إلا عطاء.

(٥) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٧)، والمجموع شرح المهذب (٤/ ٣٤٦).

ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة[١].

واختلف في قدر ذلك:

فقال مالك: يوم وليلة، ثم رجع فقال: ثمانية وأربعون ميلاً، وروي عنه: يومان[٢]، وروي عنه في «العُتْبية»: خمسة وأربعون ميلًا[٣]، وفي «المبسوط»: أربعون ميلاً، وفي المذهب: ستة وثلاثون ميلاً[٤]، وفيه: ثلاثون[٥].

وقال ابن عمر وابن عباس والثوري: الفطر في سفر ثلاثة أيام[٦].

وفي غير المذهب: يقصر في ثلاثة أميال فصاعداً[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مرفوع على خبر الابتداء، تقديره: فالحكم ـ أو فالواجب ـ عدة، ويصح أن يرتفع على ابتداء والخبر بعده، والتقدير: فعدة أمثلُ له، ويصح: فعليه عدة، واختلف في وجوب تتابعها على قولين[٨].

و«أُخَر» لا ينصرف عند سيبويه؛ لأنه معدول عن الألف واللام؛ لأن هذا البناء إنما يأتي بالألف واللام كما تقول: الفضل والكبر، فاجتمع فيه العدل والصفة[٩]،

---

(١) انظر: التاج والإكليل (٢/ ١٤٦)، وشرح السنة للبغوي (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر رواية اليومين في: جامع الأمهات لابن الحاجب (ص: ١١٦)، ومواهب الجليل (٢/ ٤٩٠).

(٣) انظر ما عزاه للعتبية في: النوادر (١/ ٤٢٣).

(٤) انظر عزو هذين القولين في المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٩).

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكر ابن رشد في البيان والتحصيل (١/ ٤٢٩) في الرجل يخرج إلى ضيعة له منه على ليلتين، أنه وقع في بعض الكتب مكان «على ليلتين»: «على ثلاثين»، وهو خطأ.

(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٢٥، و٦/ ٢٦٣)، وفي صحيح البخاري: باب في كم يقصر الصلاة:وسمى النبي ﷺ يوماً وليلة سفراً، وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخاً.

(٧) انظر: الاستذكار (٢/ ٢٣٨).

(٨) المصدر السابق (٣/ ٣٤٦).

(٩) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٢٤).

وجاء في الآية: ﴿أُخَرَ﴾، ولم يجئ: أخرى، لئلا تشكل بأنها صفة للعدة، والباب: أن جمع ما لا يعقل يجري في مثل هذا مجرى الواحدة المؤنثة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، إلى غير ذلك.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ بكسر الطاء وسكون الياء، والأصل: يُطْوِقونه نقلت حركة الواو إلى الطاء وقلبت ياء لانكسار ما قبلها.

وقرأ حميد: (يُطْوِقُونَهُ)[١]، وذلك على الأصل، والقياس الإعلال.

وقرأ ابن عباس: (يُطَوَّقُونَهُ) بمعنى يكلفونه.

وقرأت عائشة وطاوس وعمرو بن دينار[٢]: (يَطَّوَّقونه) بفتح الياء وشد الطاء مفتوحة.

وقرأت فرقة: (يُطَيَّقونه) بضم الياء وفتح الطاء وشد الياء المفتوحة.

وقرأ ابن عباس: (يَطَّيَّقونه) بفتح الياء وشد الطاء المفتوحة[٣]، وشد الياء المفتوحة[٤] بمعنى يتكلفونه، وحكاها النقاش [وأبو عمرو الداني][٥] عن عكرمة[٦]، وتشديد الياء في هذه اللفظة ضعيف.

وقرأ نافع وابن عامر من طريق ابن ذكوان[٧]: ﴿فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ﴾ بإضافة الفدية.

---

(١) أي: بسكون الطاء وكسر الواو، لأنها من أطْوَقَ، كقولهم: أطول في أطال، كما في البحر المحيط (٢/ ١٨٨).

(٢) في نور العثمانية: «عمرو بن ذبير»، وهو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، أحد أئمة الدين، سمع ابن عباس وابن عمرو جابراً وجماعة، وعنه ابن جريج وشعبة والحمادان والسفيانان وخلق، توفي سنة (١٢٦هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ١٨٦).

(٣) «المفتوحة» زيادة من نور العثمانية.

(٤) انظر القراءات الأربع في المحتسب لابن جني (١/ ١١٨)، وزاد في الأولى مجاهداً وعكرمة، وزاد معهما في الثانية أيوب السختياني، وعطاء، ونسب الثالثة لابن عباس أيضاً، وكلها شاذة.

(٥) زيادة من نور العثمانية وأشار لها في هامش المطبوع، وفي أحمد٣ والسليمانية، بلفظ: «وأبو عمرو»، فقط، وكتب الداني في القراءات الشاذة غير متوفرة، ولم نجد من نقل عنه ذلك غير المؤلف.

(٦) كما تقدم عن المحتسب، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٥٩٥).

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن بشر ابن ذكوان أبو محمد القرشي الفهري الدمشقي الإمام الأستاذ =

وقرأ هشام[1] عن ابن عامر: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بتنوين الفدية.

وقرأ الباقون: ﴿فِدْيَةٌ﴾ بالتنوين ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ بالإفراد[2]، وهي قراءة حسنة لأنها بيَّنت الحكم في اليوم، وجمع المساكين لا يُدْرَى كم منهم في اليوم إلا من غير الآية.

قال أبو علي: فإن قلت: كيف أفردوا المساكين والمعنى على الكثرة لأن ﴿ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ جمع وكل واحد منهم يلزمه مسكين، فكان الوجه أن يُجمعوا كما جمع المطيقون؟

فالجواب: أن الإفراد حسن لأنه يفهم بالمعنى أن لكل واحد مسكيناً، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، فليست الثمانون متفرقة في جميعهم بل لكل واحد ثمانون[3].

واختلف المتأولون في المراد بالآية:

فقال معاذ بن جبل[4]، وعلقمة، والنخعي، والحسن البصري، وابن عمر[5]،

= الشهير الراوي الثقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، توفي سنة (٢٤٢هـ)، وهو أحد راويي قراءة ابن عامر. غاية النهاية (١/ ٤٠٤).

(١) هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السلمي الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، وأحد راويي قراءة ابن عامر، توفي سنة (٢٤٥هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٥٤).

(٢) التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٩)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٣).

(٤) حديث معاذ أخرجه أبو داود (٥٠٧) والإمام أحمد في المسند (٣٦/ ٤٣٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٥) وغيرهم من طريق المسعودي: حدثني عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل به مطولاً، وأخرجه البيهقي (٤/ ٢٠٠) وأعله بالانقطاع، فقال: هذا مرسل عبد الرحمن لم يدرك معاذ بن جبل.اهـ والحديث وقع في إسناده اختلاف، لكن علق البخاري (١٩٤٨) منه هذا القدر المتعلق بالصوم، ويراجع صحيح أبي داود للألباني (٥٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٤٩) عن ابن عمر أن هذه الآية منسوخة، فقط.

والشعبي، وسلمة بن الأكوع[١] وابن شهاب: كان فرض الصيام هكذا على كل الناس، من أراد صام ومن أراد أطعم مسكيناً وأفطر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقالت فرقة: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الشيوخ والعجَّز الذين يطيقون لكن بتكلف شديد، فأباح الله لهم الفدية والفطر[٢]، وهي محكمة عند قائلي هذا القول، وعلى هذا التأويل تجيء قراءة (يُطَوَّقونه) و(يَطَّوَّقونه).

وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية رخصة للشيوخ والعجَّز خاصة إذا أفطروا وهم يطيقون الصوم، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾، فزالت الرخصة إلا لمن عجز منهم[٣].

وقال السدي: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الذين كانوا يطيقونه وهم بحالة الشباب ثم استحالوا بالشّيخ فلا يستطيعون الصوم، وهي عنده محكمة، ويلزم الشيوخ عنده الفدية إذا أفطروا، ونحوه عن ابن عباس[٤].

وقال مالك: لا أرى الفدية على الشيخ الضعيف واجبةً، وتستحب لمن قدر عليها[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠٧) عن سلمة بنحو اللفظ الوارد هنا.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٢٧ - ٤٢٩).

(٣) صحيح دون القول بالنسخ، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٧٥٣،٢٧٥٢) وابن الجارود في المنتقى (٣٨١) والبيهقي في السنن (٤/ ٢٣٠) من طرق عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عزرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفيه القول بالنسخ، لكن روى البخاري (٤٥٠٥) وغيره من طريق: عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس قال: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً. وهذا أصح إسناداً من الأول.

(٤) ينظر التعليق السابق.

(٥) انظر: الموطأ (٣/ ٤٤١)، وفي أحمد٣ والسليمانية: «قوي»، بدل «قدر»، وكذا في جار الله وفي هامشها «قدر» عليها إشارة «ح».

والآية عنده إنما هي فيمن يدركه رمضان وعليه صوم من المتقدم، فقد كان يطيق في تلك المدة الصوم فتركه فعليه الفدية[١].

وقال الشافعي وأبو حنيفة: على الشيخ العاجز الإطعام[٢].

وحكى الطبري عن عكرمة أنه كان يقرؤها: (وَعَلَى الَّذينَ يُطِيقُونَهَ فَأَفْطَرُوا)[٣].

ومذهب مالك رحمه الله وجماعة من العلماء أن قدر الفدية مد لكل مسكين[٤]، وقال قوم: قوت يوم، وقال قوم: عشاء وسحور[٥]، وقال سفيان الثوري: نصف صاع من قمح أو صاع من تمر أو زبيب[٦].

والضمير/ في ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وقيل: على الطعام وهو قول ضعيف. [١١٨]

واختلف في الحامل فقال ابن عمر وابن عباس: تفدي[٧] وتفطر ولا قضاء عليها[٨].

وقال الحسن وعطاء والضحاك والزهري وربيعة[٩] ومالك: تقضي الحامل

---

(١) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٦).

(٢) انظر: ما عزاه للشافعي في: الحاوي للماوردي (٣/ ٧٣٤)، وما عزاه لأبي حنيفة في: الهداية شرح البداية للمرغيناني (١/ ٤٢١).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤٣٣). وهي على التفسير لمخالفتها سواء المصحف.

(٤) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٦).

(٥) انظر: شرح السنة للإمام البغوي (٦/ ٣١٨).

(٦) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢/ ٢٣٨).

(٧) في جار الله وفيض الله ونور العثمانية: «تفتدي» في هذه المواضع كلها، والمعنى متقارب.

(٨) صحيح، أخرجه الدارقطني (١١) من طريق سعيد بن جبير عنهما، وصححه، وأخرجه عن ابن عمر: الشافعي في مسنده (٧٣٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٦١) من طريق نافع عنه، وإسناده صحيح، وأخرجه عن ابن عباس: الطبري (٢٧٥٨) وإسناده لا بأس به.

(٩) هو ربيعة الرأي ابن أبي عبد الرحمن، واسم أبي عبد الرحمن فروخ، مولى آل المنكدر التيميين، ويكنى أبا عثمان، وهو شيخ الإمام مالك رحمهما الله تعالى، توفي سنة (١٣٢هـ). الطبقات الكبرى (٥/ ٤١٥).

إذا أفطرت ولا فدية عليها، وقال الشافعي وأحمد بن حنبل ومجاهد: تقضي وتفدي إذا أفطرت.

وكذلك قال مالك في المرضع: إنها إذا أفطرت تقضي وتفدي، هذا هو المشهور عنه[١]، وقال في «مختصر» ابن عبد الحكم: لا إطعام على المرضع[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ الآية، قال ابن عباس[٣] وطاوس وعطاء والسدي: المراد: من أطعم مسكينين فصاعداً، وقال ابن شهاب: من زاد الإطعام على الصوم[٤]، وقال مجاهد: من زاد في الإطعام على المد[٥].

و﴿خَيْرٌ﴾ الثاني صفة تفضيل، وكذلك الثالث، و(خير) الأول قد نزِّل منزلة: مالاً أو نفعاً.

وقرأ أبيّ بن كعب: (والصوم خير لكم)[٦]، بدل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقتضي الحض على الصوم أي فاعلموا ذلك وصوموا.

قوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

---

(١) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) انظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ٥١٥).

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٤١) من طريق: عيسى ـ هو الجرشي ـ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، ومن طريق: شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس به، وهو صحيح.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٢).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٤٤٣).

(٦) البحر المحيط (٢/ ١٩٢). وفي الكشاف للزمخشري (١/ ٢٥٢): أن قراءته: «والصيام خير لكم»، ونقلها أبو حيان أيضاً.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

(الشهر) مشتق من الاشتهار لأنه مشتهِر لا يتعذر علمُه على أحد يريده.

﴿رَمَضَانَ﴾ علِقه الاسم من مدة كان فيها في الرَّمَض وشدة الحر، وكان اسمه قبل ذلك ناثراً[(١)]، كما سمي ربيع من مدة الربيع، وجمادى من مدة الجمود، وكره مجاهد أن يقال: رمضان، دون أن يقال: شَهْرُ رَمَضانَ، كما قال الله تعالى، وقال: «لعل[(٢)] رمضان اسم من أسماء الله عز وجل»[(٣)].

وقرأ جمهور الناس: ﴿شَهْرُ﴾ بالرفع، ووجهه خبر ابتداء، أي: ذلكم شهر، وقيل: بدل من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وقيل: على الابتداء وخبره: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وقيل: ابتداء وخبره ﴿فَمَن شَهِدَ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ نعت له، فمن قال: إن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] هي ثلاثة أيام وعاشوراء، قال هاهنا بالابتداء، ومن قال: إن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ هنالك هو رمضان وهو الأيام المعدودة، قال هنا بخبر الابتداء أو بالبدل من الصيام.

وقرأ مجاهد[(٤)] وشهر بن حوشب: (شهرَ) بالنصب، ورواها أبو عمارة[(٥)] عن

---

(١) في الحمزوية: «ياسراً» وفي المطبوع: «ناتقاً»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي جار الله: «ثائراً».

(٢) ليست في نور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٤ و٤٤٥)، وتفسير السمعاني (١/ ١٨١)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٢٤٠).

(٤) في السليمانية: «ابن مجاهد»، وهو خطأ.

(٥) هو حمزة بن القاسم أبو عمارة الأحول الأزدي الكوفي، أخذ القراءة عن حمزة وإسحاق المسيبي والزبير بن عامر عن نافع وحفص وأبي بكر عن عاصم، وعنه الدوري وأبو الحارث وغيرهم، وهو من الطبقة ٢١. غاية النهاية (١/ ٢٦٤)، وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٣٣).

حفص عن عاصم، ورواها هارون عن أبي عمرو[١]، وهي على الإغراء، وقيل: نصب بـ﴿تَصُومُواْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقيل: نصب على الظرف.

وقرأت فرقة بإدغام الراءِ في الراءِ، وذلك لا تقتضيه الأصول؛ لاجتماع الساكنين فيه[٢].

واختلف في إنزال القرآن فيه، فقال الضحاك: أُنزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه[٣]، وقيل: بدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ.

وقال ابن عباس فيما يؤثر: «أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة أربع وعشرين من رمضان، ثم كان جبريل ينزله رسلاً رسلاً في الأوامر والنواهي والأسباب»[٤].

وروى واثلة بن الأسقع[٥] عن النبي ﷺ أنه قال: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أولَ ليلة مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، والتوراة لستٍّ مَضَيْنَ مِنْهُ، والإنْجِيلُ لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعِشْرين»[٦].

---

(١) عزاها لمجاهد وشهر: تفسير الثعلبي (٢/ ٦٧)، والهداية لمكي (١/ ٦٠٢)، ولأبي عمارة عن حفص: جامع البيان (٢/ ٩٠٢).

(٢) من «شهر رمضان» والصواب جوازه، وهي رواية السوسي عن أبي عمرو بالإدغام الكبير. التيسير (ص: ١٦).

(٣) لم أجد هذا عنه، وفي تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١١) أنه فسره بأنه الَّذِي أَنْزَلَ صَوْمَهُ الْقُرْآنُ.

(٤) إسناده لا بأس به، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٤٥) بنحوه من طريق: أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن حسان بن أبي الأشرَس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وحسان وثقه النسائي وابن حبان.

(٥) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبد مناة، كان من أهل الصّفة، ثم نزل الشّام، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما، قال ابن سميع: مات في خلافة عبد الملك سنة ٨٣هـ، وهو آخر من مات بدمشق من الصّحابة. الإصابة (٦/ ٤٦٢).

(٦) لا يثبت، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧) والطبراني في الأوسط (٤/ ١١١) وغيرهم من طريق: عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح بن أسامة عن واثلة بن الأسقع به مرفوعاً، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمران القطان، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا =

وترك ابن كثير همزة ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ مع التعريف والتنكير حيث وقع[١]، وقد قيل: إن اشتقاقه على هذه القراءَة من قَرَنَ، وذلك ضعيف.

و ﴿هُدًى﴾ في موضع نصب على الحال من ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، فالمراد أن القرآن بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى، ثم شُرِّفَ بالذكر والتخصيص البينات منه، يعني الحلال والحرام والمواعظ والمحكم كله، فالألف واللام في ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ للعهد والمراد الأول.

و(الْفُرْقان): المفرق بين الحق والباطل.

و﴿شَهِدَ﴾ بمعنى حضر، و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ نصب على الظرف، والتقدير: من حضر المِصر في الشهر.

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي والزهري وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو حيوة: (فلِيصمه) بتحريك اللام، وكذلك قرؤوا لام الأمر في جميع القرآن على أصلها الذي هو الكسر[٢].

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس وعبيدة السلماني: (من شهد) أي: من حضر دخول الشهر وكان مقيماً في أوله فليكمل صيامه، سافر بعد ذلك أو أقام[٣]، وإنما يفطر في السفر من دخل عليه رمضان وهو في سفر.

= الإسناد. اهـ، وعمران قد تكلم فيه، وليس بحجة، لا سيما إذا انفرد. ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/ ١٣٥) حدثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح ثنا جابر ابن عبد الله فذكره موقوفاً على جابر نحوه. لكن عبيد الله هذا منكر الحديث، فالمحفوظ الأول، قال الحافظ فى «المطالب العالية» (١٤/ ٣٥٠): «هذا مقلوب وإنما هو عن واثلة». اهـ .

(١) وهي سبعية متواترة، انظر: التيسير فى القراءات السبع (ص: ٧٩).

(٢) انظر عزوها للحسن والأعرج تفسير الثعلبي (٢/ ٧٠)، ولعيسى في مختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وللباقين في البحر المحيط (٢/ ١٩٨).

(٣) لا يصح عن علي ولا ابن عباس، هذا الأثر أخرجه عن علي: ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٨) والطبري (٣/ ٤٥٠) من طريق قتادة عنه، ولم يسمع منه، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٣/ ٤٥٠) بإسناد فيه مبهم.

وقال جمهور الأمة: من شهد أول الشهر أو آخره فليصم ما دام مقيماً[١].

وقال أبو حنيفة وأصحابه: من شهد الشهر بشروط التكليف غيرَ مجنون ولا مغمًى عليه فليصمه، ومن دخل عليه رمضان وهو مجنون وتمادى به طول الشهر فلا قضاء عليه؛ لأنه لم يشهد الشهر بصفة يجب بها الصيام، ومن جُنَّ أول الشهر أو آخِرَه فإنه يقضي أيام جنونه[٢].

قال القاضي أبو محمد: ونصبُ ﴿ٱلشَّهْرَ﴾ على هذا التأويل هو على المفعول الصريح بـ﴿شَهِدَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ بمنزلة: أو مسافراً، فلذلك عطف على اسم.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويحيى بن وثَّاب وابن هرمز وعيسى بن عمر: ﴿اليسُر﴾ و﴿العسُر﴾ بضم السين[٣]، والجمهور: بسكونه.

وقال مجاهد والضحاك بن مزاحم: ﴿ٱلْيُسْرَ﴾: الفطر في السفر، و﴿ٱلْعُسْرَ﴾: الصوم في السفر[٤]، والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين، وقد فسر ذلك النبي ﷺ: «دين الله يسر»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ معناه: وليُكملَ من أفطر في سفره أو في مرضه عدة الأيام/ التي أفطر فيها. [١١٩]

وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو في بعض ما روي عنه: ﴿ولِتُكَمِّلُوا﴾ بتشديد الميم، وقد روي عنهما التخفيف كالجماعة[٦].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٦٣).

(٢) انظر المبسوط للسرخسي (٣/ ٨٧-٨٩).

(٣) انظر قراءة أبي جعفر في تحبير التيسير لابن الجزري (١/ ٣٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وبقية القراء في البحر المحيط (٢/ ٢٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٤٧٦).

(٥) صحيح بنحوه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الدين يسر..».

(٦) قرأ بالتشديد يعقوب وشعبة عن عاصم فقط بلا خلاف عنهما كما في جميع طرق التيسير =

وهذه اللام متعلقة إما بـ﴿يُرِيدُ﴾ فهي اللام الداخلة على المفعول، كالذي في قولك: ضربت لزيد، المعنى: ويريد إكمال العدة، وهي مع الفعل مقدرة بـ«أن»، كأن الكلام: ويريد لأن تكملوا، هذا قول البصريين، ونحوه قول [كثيِّر أبي صخر][(١)]:

أُرِيدُ لأَنْسَىٰ ذِكْرَهَا............ [(٢)] .... [الطويل]

وإما بفعل مضمر بعد، تقديره: ولأن تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة، وهذا قول بعض الكوفيين.

ويحتمل أن تكون هذه اللام لام الأمر، والواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام.

وقوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ حض على التكبير في آخر رمضان، واختلف الناس في حدِّه:

فقال ابن عباس: «يُكَبِّرُ المرْءُ مِنْ رُؤْيَةِ الْهِلالِ إلى انقضاءِ الخطبة، ويمسك وقت خروج الإمام وَيُكبِّرُ بتكبيره»[(٣)]، وقال قوم: يُكَبِّرُ من رؤْية الهلال إلى خروج

= (ص: ٧٩) والنشر (٢/ ٢٥٨)، ورواية التخفيف عن شعبة من طريق عبيد بن نعيم. جامع البيان (٢/ ٩٠٣)، وفي السبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٧): «قال أبو زيد عن أبي عمرو: «ولتكملوا» مشددة ومخففة، وقال اليزيدي وعبد الوارث: إنه كان يثقلها ثم رجع إلى التخفيف».

(١) كذا في جار الله وفيض الله وفي أحمد٣: «قيس كثير أبي صخر» وفي الأصل والسليمانية ونور العثمانية: «قيس»، وفي المطبوع: «أبي صخر»، وهو كثير بن أبي عبد الرحمن المعروف بكثير عزة، ويكنى أبا صخر، تقدمت ترجمته.

(٢) في المطبوع زيادة: «فكأنما»، وتتمته كما سيأتي للمصنف: فكأنما ** تمثل لي ليلى بكل سبيل، انظر نسبته لكثير في المحكم (٩/ ٤٢١)، وسر الفصاحة (١/ ٢٦٠)، والأغاني (٤/ ٢٦٢)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ٦٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٣) وغيرهم. فلعل ذكر قيس في اسم الشاعر خطأ، أو لعله بناء على بعض الروايات الأخرى في البيت، ومنها مثلاً:

أريد لأنسى ذكرها فيهيجُني * نسيمُ الصبا من حيثُ ما يطلعُ الفجْرُ

ومنها:

أريد لأنسى ذكرها فيشوقني * رفاق إلى أرض الحجاز رواجع

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٧٨).

الإمام إلى الصلاة[١]، وقال سفيان: هو التكبير يوم الفطر[٢]، وقال مالك: هو من حينِ [يخرج الرجل من منزله إلى أن][٣] يخرج الإمام[٤].

ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»، ثلاثاً[٥]، ومن العلماء من يكبر ثم يهلل ويسبح أثناء التكبير، ومنهم من يقول: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»، وقد قيل غير هذا[٦]، والجميع حسن واسع مع البدأة بالتكبير.

و﴿هَدَىٰكُمْ﴾: قيل: المراد: لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم، وتعميم الهدى جيد.

و﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تَـرَجٍّ في حقِّ الْبشـر، أي: على نعمة الله في الهدى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية، قال الحسن بن أبي الحسن: سببها أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: أقريبٌ ربُّنَا فنُنَاجيه أم بعيد فَنُنَاديه؟ فنزلت[٧]، وقال عطاء: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قال قوم: في أي ساعة ندعو؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾، وقال مجاهد: بل قالوا: إلى أين ندعو؟ فنزلت هذه الآية، وقال قتادة: بل قالوا: كيف ندعو؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى﴾[٨].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/ ٤١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٧٩).
(٣) ساقط من نور العثمانية.
(٤) انظر: المدونة (١/ ٢٤٥).
(٥) انظر قول مالك في: النوادر (١/ ٥٠٦)، وانظر قول غيره في: المغني لابن قدامة (٤/ ٢٦٦).
(٦) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١).
(٧) ضعيف، هذا مرسل وقد أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٢٧٧) والطبراني في الدعاء (١/ ٢٥) بإسنادين، وكلاهما منقطع. وقد أخرجه الطبري من وجه آخر مرفوعاً (٣/ ٤٨٠) وفيه مجاهيل.
(٨) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٣/ ٤٨١-٤٨٣).

روي أن المشركين قالوا لما نزل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: كيف يكون قريباً وبيننا وبينه على قولك سبع سماوات، في غلظ سُمْكِ كل واحدة خمس مئة عام، وفيما بين كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [١] أي: فإني قريب بالإجابة والقدرة.

وقال قوم: المعنى: أجيب إن شئت، وقال قوم: إن الله تعالى يجيب كل الدعاء: فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفَّر عنه، وإما أن يُدَّخر له أجر في الآخرة، وهذا بحسب حديث الموطأ: «ما مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إلا كان بين إحدى ثلاثٍ»، الحديث[٢].

وهذا إذا كان الدعاء على ما يجب دون اعتداء، فإن الاعتداء في الدعاء ممنوع، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال المفسرون: أي: في الدعاء[٣].

والوصف بمجاب الدعوة: وصف بحسن النظر والبعد عن الاعتداء، والتوفيق من الله تعالى إلى الدعاء في مقدور، وانظر أن أفضل البشر المصطفى محمداً ﷺ قد دعا أن لا يُجعل بأس أمته بينهم، الحديث، فمُنعها[٤]، إذ كان القدر قد سبق بغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾: قال أبو رجاء الخراساني: معناه: [فليدعوا لي][٥]،[٦].

قال القاضي أبو محمد: المعنى: فليطلبوا أن أُجيبهم، وهذا هو باب استفعل، أي: طلب الشيء، إلا ما شذ، مثل: استغنى الله.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧)عن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) في الحمزوية: «فليدعوني».

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٤). وأبو رجاء هو عبد الله بن واقد، روى له ابن ماجه، وكان ثقة.

وقال مجاهد وغيره: المعنى: [فليجيبوا لي][(١)] فيما دعوتهم إليه من الإيمان[(٢)]، أي: بالطاعة والعمل، ويقال: أجاب واستجاب بمعنى، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَدَاعٍ دَعَـا يَا مَنْ يُجِيـبُ إلىٰ النَّدىٰ فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذاك مُجِيـبُ[(٣)]

أي: لم يجبه.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾، قال أبو رجاءٍ[(٤)]: في أني أُجيب دعاءَهم، وقال غيره: بل ذلك دعاء إلى الإيمان بجملته[(٥)].

وقرأ الجمهور: ﴿يَرْشُدُونَ﴾ بفتح الياء وضم الشين، وقرأ قوم بضم الياء وفتح الشين، وروي عن ابن أبي عبلة وأبي حيوة فتح الياء وكسر الشين باختلاف عنهما قرأا هذه القراءة، والتي قبلها[(٦)].

قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾.

---

(١) في المطبوع: «فليستجيبوا لي»، وفي الحمزوية: «فليجيبوني».

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي كما في تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣) وغيره، وقد تقدم في تفسير الآية (١٨).

(٤) في جار الله: «أبو حاتم» وكتب في هامشه: «أبو رجاء» عليها علامتا «صح» و«ح».

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٤).

(٦) تابعه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٠٩)، وعزا كسر الشين لابن أبي عبلة ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وعزاها لأبي حيوة الكرماني في الشواذ (ص: ٨٤)، وعزا قراءة البناء للمجهول ليزيد ابن قطيب، وفي أحمد٣ هنا كلمة غير واضحة.

لفظة ﴿أُحِلَّ﴾ تقتضي أنه كان محرماً قبل ذلك، و﴿لَيۡلَةَ﴾ نصب على الظرف، وهي اسم جنس فلذلك أفردت، ونحوه قول عامر الرام الخضري[١] المحاربي:

هُمُ المَولىٰ وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا   وإنَّا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لَزُور[٢]   [الوافر]

والرَّفَثُ: كناية عن الجماع، لأن الله تعالى كريم يكني، قاله ابن عباس والسدي[٣].

وقرأ ابن مسعود: (الرُّفُوث)[٤].

والرَّفَثُ في غير هذا: ما فَحُش من القول، ومنه قول الشاعر:

عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ[٥]   [الرجز]

وقال أبو إسحاق: الرفث كل ما يأتيه الرجل مع المرأة من قُبل ولمس وجماع[٦].

قال القاضي أبو محمد: أو كلام في هذه المعاني، ومنه قول النبي ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفثْ ولَمْ يَفسقْ خَرَجَ مِنْ خَطَايَاه[٧] / كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّه»[٨]. [١٢٠]

وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره: أن جماعة من المسلمين اختانوا

---

(١) في فيض الله: «الحضرمي»، وقد تقدم الكلام فيه.

(٢) تقدم تخريجه قريباً في تفسير الآية (١٨٢) من هذه السورة.

(٣) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٤٨٧) من طريقين عن عاصم ـ هو الأحول ـ، عن بكر بن (جاء في التفسير: عن وهو خطأ) عبد الله المزني، عن ابن عباس، وهو إسناد صحيح، ويشهد له ـ على ضعفهما ـ ما أخرجه الطبري بعد ذلك من طريق: العوفي وعلي بن أبي طلحة مفرقين عنه. وقد روي هذا عن ابن عباس مرفوعاً ولا يصح.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٨٧)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٧٦)، وتفسير الكشاف (١/ ٢٥٦).

(٥) البيت للعجاج كما في تفسير الثعلبي (٢/ ٧٧)، وتفسير الطبري (٣/ ٤٨٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٩٩)، ومجاز القرآن (١/ ٧٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٩٤)، واللغا هو اللغو بالباطل.

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٧٠).

(٧) في السليمانية: ذنوبه، وكذا في أحمد٣ وجار الله مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشهما.

(٨) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٢٠) ومسلم (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة.

أنفسهم وأصابوا النساء بعد النوم، أو بعد صلاة العشاء، على الخلاف، منهم عمر بن الخطاب، جاء إلى امرأته فأرادها، فقالت له: قد نمت، فظن أنها تعتلُّ، فوقع بها ثم تحقق أنها قد كانت نامت(١)، وكان الوطء بعد نوم أحدهما ممنوعاً.

وقال السدي: جرى له هذا في جارية له، قالوا: فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله ﷺ، وجرى نحو هذا لكعب بن مالك الأنصاري(٢)، فنزل صدر الآية فيهم، فهي ناسخة للحكم المتقرِّر في منع الوطء بعد النوم(٣)، وحكى النحاس ومكي: أن عمر نام ثم وقع بامرأته(٤)، وهذا عندي بعيد على عمر رضي الله عنه(٥).

وروي أن صِرْمَةَ بن قيس، ويقال: صرمة بن مالك، ويقال: أبو أنس قيس بن صرمة، نام قبل الأكل، فبقي [كذلك](٦) دون أكل حتى غُشي(٧) عليه في نهاره المقبل، فنزل فيه من قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾(٨).

---

(١) في أسانيده مقال، هذا الأثر أخرجه بنحوه الطبري (٣/ ٤٩٦) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بالإسناد المشهور عن عطية العوفي عن ابن عباس. وكذا أخرجه أحمد (١٥٢٣٤) (١٥٧٩٥) (١٥٨٣٣) والطبري (٢٩٤١) من حديث كعب بن مالك، وفي إسناده: ابن لهيعة. وجميعها فيها مقال معروف، وروي هذا أيضاً من وجوه أخرى مرسلة.

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين، الأنصاري السّلمي، شهد العقبة وبايع بها وتخلّف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها، وتخلّف في تبوك، وهو أحد الشعراء المشهورين، وعاش إلى خلافة معاوية، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٥٧).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٦١٩) رواية عن ابن عباس.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦١٩)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٠١).

(٥) قال الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٤٣٦) بعد نقله: قلت: ذكره ابن كثير من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس، وهذا سند صحيح، ولفظه: فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعد ما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله... ولهذه القصة طرق عن ابن عباس في بعضها أن امرأة عمر هي التي نامت. وذكرها.

(٦) في المطبوع: «لذلك».

(٧) في جار الله: «غمي».

(٨) أخرجه البخاري (١٨١٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

واللباس أصله في الثياب، ثم شبه التباس الرجل بالمرأة وامتزاجُهما وتلازمهما[١] بذلك، كما قال النابغة الجعدي[٢]:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا   تَدَاعت فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسا[٣]   [المتقارب]

وقال النابغة أيضاً:

لَبِسْتُ أُنَاساً فَأَفْنَيْتُهم   وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسا[٤]   [المتقارب]

فشبه خِلْطته لهم باللباس، نحا هذا المنحى في تفسير اللباس الربيع وغيره، وقال مجاهد والسدي: لِباسٌ: سكن، أي: يسكن بعضهم إلى بعض[٥]، وإنما سميت هذه الأفعال اختياناً لعاقبة المعصية وجزائها، فراكبها يخون نفسه ويؤذيها.

وَ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ معناه: من المعصية التي [واقعتموها][٦].

و﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾: يحتمل أن يريد: عن المعصية بعينها، فيكون ذلك تأْكيداً وتأْنيساً بزيادة على التوبة، ويحتمل أن يريد: عفا عما كان ألزمكم من اجتناب النساءِ فيما يُؤتنف[٧]، بمعنى: تركه لكم، كما تقول: شيء معْفُوٌّ عنه، أي: متروك.

---

(١) سقطت من أحمد٣، وسقط: «بالمرأة» من فيض الله.

(٢) اسمه قيس بن عبد الله الجعدي وقيل غير ذلك، يكنى أبا ليلى، وكان شاعراً مفلقاً عمِّر في الجاهلية والإسلام، وحسن إسلامه، ودعا له النبي ﷺ، وكان ممن أنكر الخمر في الجاهلية، واجتنب الأوثان، وذكر دين إبراهيم. معجم الشعراء (ص: ٣٢١)، والإصابة (٦/ ٣١٠).

(٣) عزاه له الطبري (٣/ ٤٩٠)، والزمخشري في الكشاف (١/ ٢٣٠)، والجوهري في الصحاح (٣/ ٩٧٣)، وابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٨٠١)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٧)، ومعنى تداعت: أقبلت عليه برغبة، ويروى: تثنت.

(٤) عزاه له في الأغاني (٥/ ١١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤٣٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٥)، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٢٤٧).

(٥) ذكرهما تفسير الطبري (٣/ ٤٩٢).

(٦) في الحمزوية: «قارفتموها».

(٧) في نور العثمانية: «يتوقف».

قال ابن عباس وغيره: ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ كناية عن الجماع[١]، مأخوذ من البشرة.

وقد ذكرنا لفظة (الآن) في ماضي قصة البقرة.

و﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قال ابن عباس ومجاهد والحكم بن عُتيبة[٢] وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك: معناه: ابتغوا الولد، وروي أيضاً عن ابن عباس وغيره أن المعنى: وابتغوا ليلة القدر[٣].

وقيل: المعنى: ابتغوا الرخصة والتوسعة، قاله قتادة[٤]، وهو قول حسن.

وقرأ الحسن فيما روي عنه ومعاوية بن قرة[٥]: «واتَّبعوا»[٦] من الاتِّبَاع، وجوزها ابن عباس، ورجح: (ابْتَغُوا) من الابتغاء[٧].

وَ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ نزلت بسبب صِرْمة بن قيس[٨]، و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للتبيُّن،

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٩٥٨) من طريق: أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) في نور العثمانية: «عيينة»، وهو خطأ، فهو أبو محمد الحكم بن عتيبة الكندي مولاهم الكوفي، الفقيه أحد الأعلام، وكان صاحب سنة واتباع، روى عن شريح، وأبي وائل وخلق، وعنه الأوزاعي، وشعبة، وغيرهما، توفي سنة (١١٥هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٣٤٥).

(٣) لين، أخرجه الطبري (٢٩٩٧) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به، معاذ فيه لين، وقال ابن عدي في ترجمة أبي الجوزاء (١/ ٤١١): حدث عنه عمرو ابن مالك عن ابن عباس قدر عشرة أحاديث غير محفوظة.اهـ.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٥٠٨).

(٥) معاوية بن قرة ابن إياس، أبو إياس المزني البصري. عن أبيه، وأبي أيوب الأنصاري، وابن عباس، وعنه ابنه إياس القاضي، وثابت البناني، وثقه أبو حاتم وغيره، وكان من جلة علماء التابعين بالبصرة: توفي بها سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٢).

(٦) الشواذ للكرماني (ص: ٨٤)، وهي قراءة شاذة.

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٥٠٨).

(٨) قال في الإصابة (٣/ ٣٤٤): كذا ووقع عند أبي داود: صرمة بن قيس، وقد قيل فيه: صرمة بن قيس،=

ولا يصح أن يقع التبين لأحد ويحرمَ عليه الأكل إلا وقد مضى لطلوع الفجر قدْر.

و﴿ٱلْخَيْطُ﴾ استعارة وتشبيه لرقة البياض أولاً ورقة السواد الحافِّ به، ومن ذلك قول أبي دؤاد[(١)]:

فَلَمَّا بَصَرْنَ بِهِ غَدْوَةً وَلاحَ مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ أَنَارَا[(٢)] [المتقارب]

ويروى: فثارا[(٣)]، وقال بعض المفسرين: الْخَيْطُ: اللون[(٤)]، وهذا لا يطَّرد لغة، والمراد فيما قال جميع العلماء: بياض النهار وسواد الليل، وهو نص قول النبي ﷺ لعدي ابن حاتم في حديثه المشهور[(٥)].

و﴿مِنَ﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض.

و﴿ٱلْفَجْرِ﴾ مأخوذ من تفجر الماء، لأنه يتفجر شيئاً بعد شيءٍ.

وروي عن سهل بن سعد[(٦)] وغيره من الصحابة أن الآية نزلت إلا قوله: ﴿مِنَ

= وصرمة بن مالك، وصرمة بن أنس. وقيل فيه: قيس بن صرمة، وأبو قيس بن صرمة، وأبو قيس بن عمرو، ثم ذكر بعض أوجه الجمع بينها فانظره.

(١) واسمه جارية بن الحجاج الإيادي. الشعر والشعراء (١/ ٢٣١).

(٢) عزاه له تفسير الثعلبي (٢/ ٨٠)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٢٩)، والأصمعيات (١/ ١٩٠)، وتفسير الزمخشري (١/ ٢٣١)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٠٩)، والرواية في أكثر المصادر:

فلما أضاءت لنا سدفة ولاحَ مِنَ الصُّبْح خَيْطٌ أَنَارَا

والسُّدفة: اختلاط الضوء والظلمة.

(٣) في الحمزوية والمطبوع وفيض الله: «فنارا»، ولم أقف على هذه الرواية في شيء من المصادر المتوفرة.

(٤) قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى في مجاز القرآن (١/ ٦٨)، وانظر: تفسير السمعاني (١/ ١٨٨).

(٥) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٩١٦) (٤٥٠٩) (٤٥١٠) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث عدي، بلفظ: هو سواد الليل وبياض النهار.

(٦) سهل بن سعد بن مالك الأنصاريّ السّاعدي. من مشاهير الصّحابة، يقال: كان اسمه حزناً فغيَّره النبيّ ﷺ، روى عنه ابنه العبّاس، وأبو حازم، والزهري، وآخرون، وهو آخر من مات بالمدينة من الصّحابة، مات سنة إحدى وتسعين، الإصابة (٣/ ١٦٧).

﴿ٱلْفَجْرِ﴾، فصنع بعض الناس خيطين أبيض وأسود، فنزل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[١].

وروي أنه كان بين طرفي المدة عام، من رمضان إلى رمضان، تأخر البيان إلى وقت الحاجة، وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده وأخبر النبي ﷺ، فقال له: «إن وسادك لعريض»، وروي أنه قال له: «إنك لعريض القفا»[٢]، ولهذه الألفاظ تأويلات.

واختلف في الحد الذي بِتَبَيُّنِه[٣] يجب الإمساك:

فقال الجمهور وبه أخذ الناس ومضت عليه الأمصار والأعصار ووردت به الأحاديث الصحاح: ذلك الفجر المعترض الآخذ في الأفق يمنةً ويسرةً، فبطلوع أوله في الأفق يجب الإمساك[٤]، وهو مقتضى حديث ابن مسعود وسمرة بن جندب[٥]،[٦].

وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان[٧] وابن عباس[٨] وطلق بن علي[٩]، وعطاءِ بن أبي رباح، والأعمش وغيرهم أن الإمساك يجب بتبيُّن الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٥١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) هو في حديث عدي السابق تخريجه.

(٣) في الحمزوية: «بسببه».

(٤) انظر: الاستذكار (١/ ٤٠٦).

(٥) سمرة بن جندب بن هلال الفزاريّ، يكنّى أبا سليمان، كان من حلفاء الأنصار، ونزل سمرة البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها، وكان شديداً على الخوارج، فكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه توفي سنة (٥٩هـ). الإصابة (٣/ ١٥٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٩٥) عن ابن مسعود، و(٢٥٩٦فما بعده) عن سمرة.

(٧) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٩٩٩ - ٣٠٠٠) بإسناد صحيح، وقد صرح الأعمش بالسماع في بعض أسانيده.

(٨) صحيح، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٤) بإسناد صحيح، وصححه ابن كثير في التفسير (١/ ٥١٦).

(٩) هو طلق بن علي بن طلق الحنفي السّحيمي، يكنى أبا علي، مشهور، وله صحبة ووفادة ورواية. الإصابة (٣/ ٤٣٧).

وذُكِرَ عن حذيفة أنه قال: «تسحرتُ مع رسول الله ﷺ وهو النهار، إلا أنّ الشمس لم تطلع»[١]، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صلى الصبح بالناس ثم قال: «الآن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود»[٢].

قال الطبري: ومما قادهم إلى هذا القول أنهم يرون أن الصوم إنما هو في النهار، والنهار عندهم من طلوع الشمس؛ لأن آخره غروبها، فكذلك أوله طلوعها[٣].

وحكى النقاش عن الخليل بن أحمد أن النهار من طلوع الفجر[٤]، ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، والقول في نفسه صحيح، وقد ذكرت حجته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وفي الاستدلال بهذه الآية نظر.

ومن أكل وهو يشك: هل طلع الفجر أم لم يطلع؟ فعليه عند مالك القضاء[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أمر يقتضي الوجوب، و﴿إِلَى﴾ غاية، وإذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه، كقولك اشتريت الفدان إلى حاشيته، وإذا كان من غير جنسه كما تقول: اشتريت / الفدان إلى الدار، لم يدخل في المحدود ما بعد «إلى». [١٢١]

---

(١) إسناد فرد لا تقوم به الحجة، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٩) في غير موضع، والنسائي (٤/ ١٤٢) وابن ماجه (٤/ ١٤٢) وغيرهم من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن حذيفة به، وعاصم ضعيف وليس بحجة لا سيما إذا انفرد. قال النسائي ـ كما في تحفة الأشراف (٣/ ٢٣) ـ: لا نعلم أحداً رفعه غير عاصم، فإن كان رفعهُ صحيحاً فمعناه: أنَّه قرب النهار، كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ معناه: إذا قاربن البلوغ؛ وكقول القائل: «بلغنا المنزل» إذا قاربه.

(٢) إسناده لين، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥١٩) من طريق أبي إسحاق، هو السبيعي، عن هبيرة، عن علي بن أبي طالب. وهذا إسناد لين بسبب عنعنة أبي إسحاق وما في هبيرة من المقال.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٢٤).

(٤) نقله عن الخليل أيضاً مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٢٦٦).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٦٤).

ورأت عائشة رضي الله عنها أن قوله: ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ يقتضي النهي عن الوصال، وقد واصل النبي ﷺ ونهى الناس عن الوصال[(١)]، وقد واصل جماعة من العلماء[(٢)].

وقد تقدم أن هذه الآية نسخت الحكم الذي في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٦٤] على قولِ مَن رأى التشبيه في الامتناع من الوطء والأكل بعد النوم في قول بعضهم، وبعد صلاة العشاء في قول بعضهم.

والليل الذي يَتم به الصيام مغيب قرص الشمس، فمن أفطر وهو شاكّ هل غابت الشمس فالمشهور من المذهب أن عليه القضاء والكفارة[(٣)].

وفي «ثمانية أبي زيد»[(٤)]: عليه القضاء فقط قياساً على الشاك في الفجر، وهو قول جماعة من العلماء[(٥)]، وقال إسحاق والحسن: لا قضاء عليه كالناسي[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾، قالت فرقة: المعنى: لا تجامعوهن[(٧)]، وقال الجمهور: ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من النساء.

---

(١) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٢٢) ومسلم (٢٦١٨) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) ذكر منهم ابن أبي شيبة؛ من الصحابة عبد الله ابن الزبير، ومن التابعين ابن أبي نعم، انظر: المصنف لابن أبي شيبة؛ أثر رقم (٩٦٩١)، ورقم (٩٦٩٢)، (٣/ ٨٤).

(٣) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ١٩٤).

(٤) هو: الفقيه المالكي؛ عبد الرحمان بن إبراهيم بن عيسى؛ المكنى بأبي زيد القرطبي، المتوفى (٢٥٨هـ)، وله من سؤاله للمدنيين من أصحاب مالك ثمانية كتب هي المعروفة بثمانية أبي زيد، انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٩٧).

(٥) انظر قول أبي زيد في الفواكه (٢/ ٧٠٢)، وقول جماعة من العلماء من المذاهب الأربعة وغيرهم، في بدائع الصنائع (٢ /١٠٥)، وحاشية الدسوقي (١/ ٥٢٦)، ونهاية المحتاج (٣/ ١٧١)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (١/ ٣١٢، ٣١٥)، وحلية العلماء (٣/ ١٦١).

(٦) انظر: المغني لابن قدامة (٦/ ١٣٠).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٥٣٩).

و﴿عَـٰكِفُونَ﴾: ملازمون، يقال: عكف على الشيء، إذا لازمه مقبلاً عليه، قال الراجز:

عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الفَنْزَجَا[١] [الرجز]

وقال الشاعر:

وَظَـلَّ بَنَـاتُ اللَّيْـلِ حَوْلِـي عُكَّفـاً عُكُـوفَ البَوَاكِـي بَيْنَهُـنَّ صَرِيعُ[٢] [الطويل]

وقال أبو عمرو وأبو حاتم: قرأ قتادة وعكرمة[٣]: (عَكِفون) بغير ألف[٤].

والاعتكاف سنَّة.

وقرأ الأعمش: (في المسْجِد) بالإفراد[٥]، [وقال: وهو المسجد الحرام][٦].

قال مالك رحمه الله وجماعة معه: لا اعتكاف إلا في مساجد الجمعات، وروي عن مالك أيضاً: أن ذلك في كل مسجد[٧]، ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروريِّ أشغاله.

---

(١) البيت للعجاج عزاه له: ابن سيده في المحكم (١/ ٢٨٢)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٦٤)، والخليل في كتاب العين (١/ ٢٠٥)، وعكف: أقام حول الشيء، والنبيط: جمع نبطي وهم قوم من العجم، والفنزج والفنزجة هي رقصة هؤلاء العجم.

(٢) البيت للطرماح بن حكيم كما في ديوانه (ص: ١٥٣)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٣٩)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٠١) وَبَنَاتُ اللَّيلِ: الهموم. والصريع: المجنون.

(٣) «عكرمة»: زيادة من أحمد٣ وجار الله ونور العثمانية.

(٤) عزاها لقتادة الكرماني في الشواذ (ص: ٨٢)، والهذلي في الكامل (ص: ٥٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٢٢٠)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٩) لأبي السمال، ولم أجد من نقلها عن عكرمة، كما أن كتابي أبي عمرو وأبي حاتم غير متوفرين، وهي قراءة شاذة.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٠٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٢)، وهي قراءة شاذة.

(٦) البحر المحيط (٢/ ٢٢١)، ولم أجده لمن قبل المؤلف، وما بين المعكوفتين ساقط من فيض الله.

(٧) انظر: الاستذكار (٣/ ٣٨٥).

وقال قوم: لا اعتكاف إلا في أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ المطِيُّ إليها، [حسب الحديث في ذلك][(١)]، وقالت فرقة: لا اعتكاف إلا في مسجد نبي.

وقال مالك: لا يعتكف أقل من يوم وليلة، ومَن نذر أحدهما لزمه الآخر[(٢)].

وقال سحنون: من نذر اعتكاف ليلة لم يلزمه شيء[(٣)].

وقالت طائفة: أيهما نذر اعتكفه ولم يلزمه أكثر.

وقال مالك: لا اعتكاف إلا بصوم[(٤)]، وقال غيره: يعتكف بغير صوم[(٥)].

وروي عن عائشة أنه يعتكف في غير مسجد[(٦)].

و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى هذه الأوامر والنواهي، والحدود: الحواجز بين الإباحة والحظر، ومنه قيل للبواب: حداد، لأنه يمنع، ومنه: الحادّ لأنها تُمنع من الزينة.

والآيات: العلامات الهادية إلى الحق.

و﴿لَعَلَّهُمْ﴾ تَرَجٍّ في حقهم، وظاهر ذلك عموم، ومعناه خصوص فيمن يسَّره الله للهدى بدلالة الآيات التي تتضمن أن الله يُضل من يشاءُ.

---

(١) الأصح أنه موقوف، هو خبر حذيفة الذي أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣٤٧) عن الثوري عن واصل الأحدب عن إبراهيم قال: جاء حذيفة إلى عبد الله فذكره حذيفة قولاً ولم يرفعه.وأخرجه أيضاً (٤/ ٣٤٨) عن ابن عيينة عن جامع بن أبي راشد قال: سمعت أبا وائل يقول: قال: حذيفة لعبد الله..مثله، لكن رواه هشام بن عمار عن ابن عيينة عند الطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٢٠١) فرفعه إلى النبي ﷺ، والأصح الأكثر هو وقف هذا الكلام على حذيفة رضي الله عنه، يراجع كتاب: أحاديث ومرويات في الميزان للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله تعالى (٢/ ٩)، وما بين المعكوفتين ساقط من أحمد٣ وجار الله.

(٢) انظر: المدونة (١/ ٢٩٧).

(٣) انظر ما عزاه لسحنون في: تفسير القرطبي (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر قول مالك في: النوادر (٢/ ٨٩).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (٦/ ٢١٣).

(٦) لم أقف عليه عند غير ابن عطية، وقد نُقل الإجماع على أن من شروط الاعتكاف وقوعه داخل المسجد، انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ١٢٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: لا يأكل بعضُكم[١] مال بعض، فأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لمَّا كان كلُّ أحد منهيّاً ومنهياً عنه، وكما قال: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، ويدخل في هذه الآية القمار والخدع[٢] والغصوب وجحد الحقائق وغير ذلك، ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما يبيع؛ لأن الغبن كأنه وَهْبةٌ.

وقال قوم: المراد بالآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: في الملاهي والقِيَان والشرب والبطالة، فتجيءُ على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين.

وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ﴾ الآية، يقال: أدلى الرجل بالحجة أو بالأمر الذي يرجو النجاح به، تشبيهاً بالذي يرسل الدلو في البئْر يرجو بها الماءَ.

قال قوم: معنى الآية: تسارعون في الأموال إلى المخاصمة إذا علمتم أن الحجة تقوم لكم، إما بأن لا تكون على الجاحد بينة، أو يكون مال أمانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله، فالباء في ﴿بِهَآ﴾ باءُ السبب.

وقيل: معنى الآية: ترشوا بها على أكل أكثر منها، فالباءُ إلزاق[٣] مجرد،

---

(١) في فيض الله: «بعضهم».

(٢) في المطبوع: «والخداع».

(٣) في أحمد٣: «إلصاق» مع الإشارة في هامشه إلى النسخة الأخرى وعليها علامة... ؟.

وهذا القول يترجح؛ لأن الحكام مَظِنة الرشا إلا مَن عُصم وهو الأقل، وأيضاً فإن اللفظتين متناسبتان، (تُدْلُوا) من إرسال الدلو والرشوة من الرشا، كأنها يمد بها لتقضَى الحاجة.

و﴿وَتُدۡلُواْ﴾ في موضع جزم عطفاً على ﴿تَأۡكُلُوٓاْ﴾.

وفي مصحف أبيٍّ: (ولا تُدْلُوا)[1] بتكرار حرف النهي، وهذه القراءة تؤيد جزم (تُدْلُوا) في قراءة الجماعة.

وقيل: (تُدْلُوا) في موضع نصب على الصرف، وهذا مذهب كوفي: أن معنى الصرف[2] هو الناصب، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه: «أن» مضمرة[3].

والفريق: القطعة والجزء.

و﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾: معناه: بالظلم والتعدي، وسمي ذلك إثماً لمَّا كان الإثم معنًى يتعلق بفاعله.

و﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أنكم مبطلون آثمون، وهذه مبالغة في المعصية والجرأة.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ﴾ الآية، قال ابن عباس[4] وقتادة، والربيع، وغيرهم: نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبيَّ ﷺ عن الهلال وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس[5]؟

وجَمَع الْأهِلَّة ـ وهو واحد في الحقيقة ـ من حيث كونه هلالاً في شهر غير كونه

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٥٥٢). وهي قراءة شاذة.

(٢) كذا في فيض الله ونور العثمانية في الموضعين، وفي الأصل والمطبوع وبقية النسخ: الظرف، وهو تحريف، وقد تقدم ذكر النصب بالصرف.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٤) بنحوه من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٥) انظر قول قتادة والربيع في تفسير الطبري (٣/ ٥٥٣).

هلالاً في الآخر، فإنما جمع أحواله من الهلالية، والهلال ليلتان بلا خلاف ثم يقمر، وقيل: ثلاث.

وقال الأصمعي: هو هلال حتى يحجِّر ويستدير له كالخيط الرقيق[١]، وقيل: هو هلال حتى يَبهَر بضوئه السماء وذلك ليلة سبع.

وقوله: ﴿مَوَٰقِيتُ﴾ معناه: لمحل الديون وانقضاء العِدَد والأكرية وما أشبه هذا من مصالح العباد، ومواقيت الحج أيضاً يُعرف بها وقتُه وأشْهُرُه.

و﴿مَوَٰقِيتُ﴾ لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد، فهو جمع ونهايةُ جمعٍ إذ ليس يجمع.

وقرأ ابن أبي إسحاق / : (والحِجِّ) بكسر الحاء في جميع القرآن[٢]، وفي قوله: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ في آل عمران [٩٧]، قال سيبويه: الحَجُّ كالرَّد والشَّد، والحِجُّ كالذِّكْر، فهما مصدران بمعنى، وقيل: الفتح مصدر والكسر الاسم[٣]. [١٢٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية، قال البراء بن عازب، والزهري، وقتادة: سببها أن الأنصار كانوا إذا حجوا أو اعتمروا يلتزمون تشرُّعاً أن لا يَحول بينهم وبين السماء حائل، فكانوا يتسنَّمون ظهور بيوتهم على الجدرات[٤]، وقيل: كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فتوحاً يدخلون منها ولا يدخلون من الأبواب، وقيل غير هذا مما يشبهه فاختصرتُه، فجاء رجل منهم فدخل من باب بيته فعُـيِّر بذلك، فنزلت الآية فيه.

وقال إبراهيم: كان يفعل ما ذكر قوم من أهل الحجاز، وقال السدي: ناس من العرب، وهم الذين يسمون الحمس، قال: فدخل النبي ﷺ باباً ومعه رجل منهم، فوقف

---

(١) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤١)، وابن عرفة في تفسيره (٢/ ٥٥٦).

(٢) عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٨٥).

(٣) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٣) (٤٥١٢).

ذلك الرجل، وقال: إني أحمس، فقال له النبي ﷺ: «وأنا أحمس»، ونزلت الآية[١].

وروى الربيع أن النبيّ ﷺ دخل وخلفه رجل أنصاري، فدخل وخرق عادة قومه، فقال له النبي ﷺ: «لم دخلت وأنت قد أحرمت؟»، قال: دخلتَ أنت فدخلتُ بدخولك، فقال له النبيّ ﷺ: «إني أحمس»، أي: من قوم لا يدينون بذلك، فقال الرجل: وأنا ديني دينك، فنزلت الآية[٢].

وقال أبو عبيدة: الآية ضرب مثل؛ المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهّال، ولكن اتقوا واسألوا العلماء[٣]، فهذا كما يقال: أتيتُ هذا الأمر من بابه.

وقال غير أبي عبيدة: المعنى: ليس البر أن تشذوا في الأسئلة عن الأهلّة وغيرها فتأتون الأمور على غير ما يجب[٤]، وهذا يحتمل والأول أسدّ[٥].

وأما ما حكاه المَهْدوي ومكي عن ابن الأنباري[٦] من أن الآية مَثَل في جماع النساء[٧] فبعيد مغيِّر نمط الكلام.

---

(١) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٩) وهو معضل، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس من طريق عطية العوفي وهو ضعيف.

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٥٩) قال:حُدثت عن عمار بن الحسن بإسناده معضلاً.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٨) بمعناه.

(٤) مثله للزمخشري في الكشاف (١/ ٢٦٢)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٢٣٩).

(٥) في نور العثمانية: «أسند».

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري النحويّ. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له. وكان صدوقاً فاضلاً ديّناً خيّراً من أهل السّنّة، وصنّف كتباً كثيرة، وتوفي سنة (٣٢٨هـ). إنباه الرواة (٣/ ٢٠١).

(٧) ونص مكي في الهداية (١/ ٦٣٣): «وذكر ابن الأنباري أن بعض الناس فسر البيوت بإتيان النساء في الأدبار مُنعوا من ذلك، وقيل لهم: ائتوا البيوت من أبوابها، أي: ائتوا المرأة من الباب المُحَل لكم الذي منه يكون الولد... وهو قول شاذ».

وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي ونافع بخلاف عنه: ﴿البِيوت﴾ بكسر الباء[(١)].

وقرأ بعض القراء: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بتشديد نون (لكنَّ) ونصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾[(٢)].

وقد تقدم القول على ﴿مَنْ﴾ في قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

و﴿وَٱتَّقُواْ﴾ معناه: اجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية.

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ في حق البشر، والفلاح درك البغية.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال[(٣)].

قال ابن زيد والربيع: معناها: قاتلوا من قاتلكم وكفوا عمن كف عنكم، ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلوكم.

وهذه الموادعة منسوخة بآية براءة، وبقوله: ﴿قَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦][(٤)].

وقال ابن عباس[(٥)] وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد: معنى الآية: قاتلوا الذين هم بحالةِ مَن يقاتلكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم[(٦)]، فهي محكمة على هذا القول، وقال قوم: المعنى: لا تعتدوا في القتال لغير وجه الله كالحَمِية وكسْبِ الذِّكر.

---

(١) كسر باء «البيوت» قالون عن نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وكذا حمزة وشعبة عن عاصم وخلف العاشر وضمها الباقون بلا خلاف عن أحد منهم في شيء من طرق التيسير في القراءات السبع (ص: ٨٠)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، فالخلاف في قول ابن مجاهد (١/ ١٧٨): «واختلف عن نافع فروى المسيبي وقالون «البيوت» بكسر الباء...»، هو بين الرواة لا الطرق.

(٢) وهم: ابن كثير وأبو عمرو والكوفيون، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٩).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٦١).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٥٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٢٥).

قوله عز وجل: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

قال ابن إسحاق وغيره: نزلت هذه الآيات في شأن عمرو بن الحضرمي[١] وواقد[٢]، وهي سرية عبد الله بن جحش[٣].

و﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ معناه: أحكمتُم غلبهم ولقيتموهم قادرين عليهم، يقال: رجل ثَقفٌ لَقفٌ: إذا كان محكِماً لما يتناوله من الأمور.

وَ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾ قال الطبري: الخطاب للمهاجرين، والضمير لكفار قريش[٤].

قال القاضي أبو محمد: بل الخطاب لجميع المؤمنين.

ويقال: أَخْرَجُوكُمْ؛ إذا أخرجوا بعضهم الأجلّ قدْراً؛ وهم النبي ﷺ والمهاجرون.

---

(١) قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبد الله بن عباد، ويقال: مالك ابن عباد، أحد الصدف، واسم الصدف: عمرو بن مالك، أحد السكون بن أشرس بن كندة، وكان حليفاً لبني أمية، قتله واقد بن عبد الله في هذه السرية. انظر سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٢).

(٢) واقد بن عبد الله بن عبد مناف التميميّ الحنظلي اليربوعي، حليف بني عديّ بن كعب، شهد بدراً، وكان من أصحاب سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وفيها قَتَل عمرو بن الحضرمي، توفي في خلافة عمر. الإصابة (٦/ ٤٦٥).

(٣) هو عبد الله بن جحش بن رياب، الأسدي، حليف بني عبد شمس، ابن عمة النبي ﷺ وأحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، وأمّره النبي ﷺ على سرية نخلة، واستشهد في غزوة أحد. الإصابة (٤/ ٣١)، وانظر القصة في سيرة ابن هشام (١/ ٦٠١).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٥) بمعناه.

وَ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: الفتنة التي حمَلوكم عليها وراموكم بها على الرجوع إلى الكفر أشدُّ من القتل.

قال مجاهد: أي: أشد[١] من أن يُقتل المؤمن، فالقتل أخف عليه من الفتنة[٢].

وقال غيره: بل المعنى: الفتنة التي فعلوا أشد في هتك حرمات الحق من القتل الذي أبيح لكم أيها المؤمنون أن تُوْقعوه بهم. ويحتمل أن يكون المعنى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي: الكفر والضلال الذي هم فيه ﴿أَشَدُّ﴾ في الحرم وأعظم جرماً ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ الذي عيروكم به في شأن ابن الحضرمي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية، قال الجمهور: كان هذا ثم نسخ وأُمر بالقتال في كل موضع، قال الربيع: نسخه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

وقال قتادة: نسخه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال مجاهد: الآية محكمة، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل[٣].

وقرأ حمزة والكسائي والأعمش: ﴿ولا تقتُلوهم عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يَقتُلوكُم فيه فإن قَتَلوكُم فاقتُلوهُم﴾ بالقتل في الأربعة[٤]، ولا خلاف في الأخيرة أنها ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾.

والمعنى على قراءة حمزة والكسائي[٥]: فإن قتلوا منكم فاقتلوهم أيها الباقون،

---

(١) من أحمد٣ وجار الله.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٥٦٥).

(٣) الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ٥٦٧).

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٨٠). السبعة لابن مجاهد (١/ ١٧٩)، وانظر: قراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٠١).

(٥) في المطبوع زيادة: والأعمش، وعليها طمس في الأصل.

وذلك كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦][1] أي: فما وهن الباقون/ . [١٢٣]

والانتهاء في هذه الآية هو الدخول في الإسلام، لأن غفران الله ورحمته إنما تكون مع ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع على قول من رآها ناسخة، ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى: قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾، والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرطِ أن يبدأ الكفار، دليل ذلك قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

والفتنة هنا: الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين، قاله ابن عباس[2]، وقتادة، والربيع، والسدي[3].

و﴿ٱلدِّينُ﴾ هنا: الطاعة والشرع[4]، وقال الأعشى ميمون بن قيس:

[الخفيف] هـو دانَ الرِّبَـابَ إذْ كرِهـوا الديــ ـــن دِرَاكـا بـغَـزْوَةٍ وَصِـيـالِ[5]

والانتهاء في هذا الموضع يصح ـ مع عموم الآية في الكفار ـ أن يكون الدخول

---

(١) الاستشهاد لا يتم إلا على القراءة بالبناء للمجهول، وهي قراءة نافع.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧٠) من طريق: العوفي وعلي بن أبي طلحة ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٥٧١).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٧١).

(٥) من قصيدته المشهورة التي قالها يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي ومطلعها:
مـا بكـاء الكبيـر بالأطــلال
وعزاه له الطبري (٣/ ٥٧١)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١٣٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٧٩)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٢٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١١٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٢٤)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٤)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ٢٩٥)، والرباب قبيلة أو أحياء من ضبَّة، فمعنى دان الرباب: أذلها، ثم دانت بعد الرباب، أي ذلت له وأطاعته.

في الإسلام، ويصح أن يكون أداءَ الجزية، وسمى ما يصنع بالظالمين عدواناً من حيث هو جزاء عدوان، إذ الظلم يتضمن العدوان، والعقوبة تسمى باسم الذنب في غير ما موضع، والظالمون هم على أحد التأويلين: مَنْ بدأ بقتال، وعلى التأويل الآخر: مَن بقي على كفر وفِتنةٍ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية، قال ابن عباس[١] ومجاهد، وقتادة، ومِقْسَم، والسدي، والربيع، والضحاك، وغيرهم: نزلت في عمرة القضية[٢] وعام الحديبية[٣]، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً حتى بلغ الحديبية سنة ست، فصده كفار قريش عن البيت، فانصرف ووعده الله أنه سيدخله عليهم، فدخله سنة سبع، فنزلت الآية في ذلك، أي: الشهر الحرام الذي غلَّبكم الله فيه وأدخلكم الحرم عليهم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه.

ومعنى ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ على هذا التأويل: أي: حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة المُحْرِمين حين صُددتم بحرمة البلد والشهر والقُطان حين دخلتم.

وقال الحسن بن أبي الحسن: نزلت الآية في أن الكفار سألوا النبي ﷺ: هل يقاتل في الشهر الحرام؟ فأخبرهم أنه لا يقاتل فيه، فهموا بالهجوم عليه فيه وقتلِ مَن معه حين طمعوا أنه لا يدافع فيه، فنزلت: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، أي هو عليكم في الامتناع من القتال أو الاستباحة بالشهر الحرام عليهم في الوجهين، فأية سلكوا فاسلكوا، و(الْحُرُماتُ) على هذا جمع حرمة عموماً: النفس والمال والعرض وغير ذلك.

فأباح الله بالآية مدافعتهم، والقول الأول أكثر.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧٥) من طريق العوفي، ومن طريق: يوسف بن خالد السمتي قال، حدثنا نافع ابن مالك، عن عكرمة، كلاهما عن ابن عباس، والإسنادان تالفان.
(٢) في أحمد٣: «القضاء»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.
(٣) انظر قولهم في تفسير الطبري (٣/ ٥٧٦ - ٥٧٧).

وقالت فرقة: قوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ مقطوع مما قبله، وهو ابتداءُ أمرٍ كان في أول الإسلام: أن من انتهك حرمتك نِلْتَ منه مثل ما اعتدى عليك به، ثم نسخ ذلك بالقتال.

وقالت طائفة: ما تناول من الآية التعدي بين أمة محمد والجنايات ونحوها لم ينسخ، وجائز لمن تُعُدِّيَ عليه في مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تُعُدِّي عليه به إذا خفي ذلك له، وليس بينه وبين الله في ذلك شيء، قاله الشافعي وغيره، وهي رواية في مذهب مالك[١]، وقالت طائفة منهم مالك: ليس ذلك له[٢]، وأمور القصاص وقف على الحكام، والأموالُ يتناولها قول النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائْتَمَنَك، ولا تخُنْ مَنْ خَانَك»[٣].

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (وَالحُرْمَات) بسكون الراء[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، اختلف في نسخ هذه الآية حسبما تقدم، وسمي الجزاء على العدوان عدوانا كما قال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] إلى غير ذلك.

---

(١) انظر قول الشافعي في: روضة الطالبين للنووي (٩/ ٢٢٩)، وانظر قولي مالك في: الذخيرة للقرافي (٨/ ٢١٣).

(٢) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٩/ ٢٢٩)، والذخيرة للقرافي (٨/ ٢١٣).

(٣) روي من طرق لا تخلو من مقال أو علة، هذا الحديث أخرجه أحمد (٣٢/ ٣٨٧) بإسناده عن رجل عن النبي ﷺ، وأخرجه أبوداود (٩/ ٤١٥) والترمذي (١٣١١) (١٢٦٤) عن أبي هريرة، وفي إسناده طلق بن غنام. قال أبو حاتم: حديث منكر لم يرو هذا الحديث غير طلق، العلل (١/ ٣٧٥)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٤) والطبراني في الصغير (١/ ١٧١) عن أنس، وفي إسناده أيوب بن سويد وهو ضعيف، وأخرجه في الكبير (٨/ ١٥٠) عن أبي أمامة، وفي إسناده يحيي بن عثمان المصري، قال ابن أبي حاتم في الجرح (٩/ ١٧٥): كتب عنه أبي وتكلموا فيه، وأخرجه الطبري (٨/ ٤٩٣) من طريق قتادة عن الحسن مرسلاً، ولما ذكره ابن الجوزي في «علله» (٢/ ٥٩٣) قال: إن هذا الحديث من جميع طرقه لا يصح.اهـ، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٣٠١): نقل عن الإمام أحمد أنه قال: حديث باطل، لا أعرفه عن النبي ﷺ من وجه صحيح.اهـ.

(٤) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي (ص: ٢٠١)، وهي قراءة شاذة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: في أن لا تعتدوا، وقيل: في أن لا تزيدوا على المِثل.

وقال ابن عباس: «نزلت هذه الآية وما هو في معناها بمكة والإسلام لم يُعزّ، فلما هاجر رسول الله ﷺ وعز دينه أمر المسلمون برفع أمورهم إلى حكامهم، وأمروا بقتال الكفار»[١].

وقال مجاهد: بل نزلت هذه الآية بالمدينة بعد عمرة القضاء، وهي من التدريج في الأمر بالقتال[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ... ﴿١٩٦﴾﴾.

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا الجهاد، واللفظ يتناول بعدُ جميع سبله.

وقال أبو عبيدة وقومٌ: الباءُ في قوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ زائدة، التقدير: تلقوا أيديكم[٣]، وقال الجمهور: ذلك ضربُ مثلٍ، تقول: ألقى فلان بيده في أمر كذا، إذا استسلم، لأن المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيده، فكذلك فعل كلِّ عاجز في أي فعل كان، ومنه قول عبد المطلب: «والله إن إلقاءَنا بأيدينا إلى الموت لعجز»[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٣/ ٥٧٦).

(٣) القول بزيادة الباء ورد في تفسير الطبري (٣/ ٥٩٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١١٤)، والحجة لأبي علي (٥/ ٢٩١)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٧٤)، وعزاه لأبي عبيدة النحاس في إعراب القرآن (١/ ٩٩)، ولم أجده في مجاز القرآن لأبي عبيدة، لكن نقله عنه أيضاً القرطبي (١٢/ ١١٥)، وأبو حيان في التفسير (٢/ ٢٥٢)، وغيرهما.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩)، وأخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٧)، وأخبار مكة للأزرقي (٢/ ٤١).

وقال قوم: التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما تقول: لا تفسد حالك برأيك.

و﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ بضم اللام مصدر من هلك.

[وقرأ الخليل: (التَّهْلِكَة) بكسر اللام[١]، وهي تفعلة[٢] من هَلَّكَ][٣] بشد اللام.

وروي عن أبي أيوب الأنصاري[٤] أنه كان على القسطنطينية، فحمل رجلٌ على عسكر العدوِّ، فقال قوم: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: «لا، إن هذه الآية نزلت في الأنصار حين أرادوا لما ظهر الإسلام أن يتركوا الجهاد ويعمروا أموالهم، وأما هذا فهو الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾» [البقرة: ٢٠٧][٥].

وقال حذيفة بن اليمان[٦]، وابن عباس[٧]، والحسن، وعطاءٌ، وعكرمة، وجمهور الناس: المعنى / : لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله، وتخافوا العَيْلة، فيقول الرجل: ليس عندي ما أُنفق، وقال قوم: المعنى: لا تَقنطوا من التوبة[٨]. [١٢٤]

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٣١٢)، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/ ٤٠٠)، والشوارد للصاغاني (ص: ٩)، وهي قراءة شاذة.

(٢) في الأصل: «تهلكة»، وفي المطبوع والحمزوية: «مفعلة» ولعله خطأ، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاريّ، من السابقين، شهد العقبة وبدراً وما بعدها، ونزل عليه النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة، فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده، وشهد الفتوح، وداوم الغزو حتى توفي في القسطنطينية سنة (٥٠هـ). الإصابة (٢/ ١٩٩).

(٥) الحديث صحيح غريب، هذا الأثر أخرجه بنحوه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢) وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم (٢/ ٣٠٢)، وغيرهم من طريق حيوة بن شريح عن يزيد ابن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران التجيبي به.

(٦) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٣) من طرق عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة به.

(٧) لا بأس به، أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٤) من طريقين فيهما لين

(٨) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٣/ ٥٨٣ و٥٨٤).

وقال البراءُ بن عازب وعَبيدة السلماني: الآية في الرجل يقول: قد بالغت في المعاصي فلا فائدة في التوبة، فينهمك بعد ذلك[١].

وقال زيد بن أسلم: المعنى: لا تسافروا في الجهاد بغير زاد، وقد كان فعل ذلك قوم فأداهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق أو الكون عالة على الناس[٢].

وقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾؛ قيل: معناه: في أعمالكم بامتثال الطاعات، وروي ذلك عن بعض الصحابة، وقيل: المعنى: وأحسنوا في الإنفاق في سبيل الله وفي الصدقات، قاله زيد ابن أسلم، وقال عكرمة: المعنى: وأحسنوا الظن بالله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾؛ قال ابن زيد والشعبي وغيرهما: إتمامهما أن لا يُفسخا وأن تُتمهما إذا بَدَأْت بهما[٤]، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك»[٥]، وفعله عمران بن حصين[٦].

وقال سفيان الثوري: إتمامهما أن تخرج قاصداً لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك[٧]، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِلَّهِ﴾.

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٥٨٨ - ٥٨٩) من طرق صحيحة عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٦١)، وهو قول كثير من أهل العلم.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٣/ ٥٩٥).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٠).

(٥) في إسناده لين، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٣٤) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن سلمة هو المرادي الكوفي. قال شعبة عن عمرو بن مرة: كان عبد الله بن سلمة يحدثنا فنعرف وننكر، كان قد كبر.

(٦) في إسناده انقطاع، هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٤٢) من طريق الحسن البصري عن عمران، ولم يسمع منه، وعمران هو ابن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وتوفي بالبصرة (سنة ٥٢هـ). الاستيعاب (٣/ ١٢٠٨).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ١٠).

وقال قتادة والقاسم بن محمد[١]: إتمامهما أن تحرم بالعمرة وتقضيَها في غير أشهر الحج، وأن تُتم الحج دون نقص ولا جبر بدم[٢]، وهذا مبني على أن الدم في الحج والعمرة جبرُ نقص، وهو قول مالك وجماعة من العلماء[٣].

وأبو حنيفة وأصحابه يرون أن كثرة الدم كمالٌ وزيادة، وكلما كثر عندهم لزوم الدم فهو أفضل[٤]، واحتجوا بأنه قيل للنبي ﷺ: ما أفضلُ الحج؟ فقال: «العج والثج»[٥]، ومالكٌ ومَنْ قال بقوله يراه ثَجَّ[٦] التطوع[٧].

---

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي المدني الفقيه، أبو محمد، أحد الأعلام، نشأ في حجر عمته عائشة، فسمع منها، ومن ابن عباس، وابن عمر، وطائفة، وكان فقيهاً إماماً مجتهداً ورعاً عابداً ثقة حجة، توفي سنة (١٠٨هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢١٧).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٩).

(٣) انظر مذهب مالك في: البيان والتحصيل (٤/ ٧٦) وقول غيره في: المجموع شرح المهذب (٧/ ١٦٧).

(٤) انظر: مذهب الحنفية في: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٦)، وبدائع الصنائع (٢/ ١٧٤-١٧٥).

(٥) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤) وغيرهما من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان، ومحمد بن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن بن يربوع»، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦) وغيرهما من طريق إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد ابن جعفر المخزومي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً به، قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قِبل حفظه» وروي أيضاً من حديث جابر بن عبد الله: ذكره ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ١٥٩) وعزاه إلى أبي القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب، ثم ضعَّف إسناده بعلتين: ضعف إسحاق بن أبي فروة المدني، وأن إسماعيل بن عياش إذا روى عن الحجازيين لا يُحتج به، وهو يروي هنا عن إسحاق هذا.

(٦) في الحمزوية: «محض».

(٧) وذلك لأن الدماء في الحج لا تخرج عن أن تكون لازمة لجبر نقص في الحج، أو غير لازمة فتكون =

وقالت فرقة: إتمامهما أن تُفْرِد كلَّ واحدة من حجة وعمرة ولا تقرن[١]، وهذا على أن الإفراد أفضل[٢]، وقالت فرقة: القِرَانُ أفضل، وذلك هو الإتمام عندهم.

وقال ابن عباس[٣]، وعلقمة، وإبراهيم، وغيرهم: إتمامهما أن تقضي مناسكهما كاملة بما كان فيها من دماء[٤].

وفروض الحج: النِّـيَّةُ، والإحرام، والطواف المتصل بالسعي، والسعيُ بين الصفا والمروة عندنا خلافاً لأبي حنيفة[٥]، والوقوف بعرفة، والجمرةُ على قول ابن الماجشون[٦].

وأما أعمال العمرة: فَنِيَّةٌ وإحرامٌ وطوافٌ وسعيٌ.

واختلف في فرض العمرة؛ فقال مالك رحمه الله: هي سنة واجبة لا ينبغي أن تُتْرك كالوتر، وهي عنده مرة واحدة في العام[٧]،[٨]، وهذا قول جمهور أصحابه[٩]،

= من باب التطوع، ولم أقف على كلام لمالك ولا لأحد من أصحابه في حمل الحديث على نحو ما ذكره المؤلف.

(١) في الحمزوية: «تفرق».

(٢) ممن قال بذلك الشافعي، وهو المشهور في مذهبه، انظر: المجموع شرح المهذب (٧/ ١٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٧) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) انظر عزوه لهم في تفسير الثعلبي (٢/ ٩٥).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٧٥).

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١/ ٢٨٣)، وابن الماجشون هو صاحب الإمام مالك الفقيه؛ عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن الماجشون التميمي مولاهم، المدني، المتوفى سنة (٢١٢هـ). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠).

(٧) في الحمزوية: «العمر».

(٨) انظر: المدونة (٢/ ٤٣٨).

(٩) انظر: مواهب الجليل على مختصر خليل (٦/ ٤٩٥).

وحكى ابن المنذر[١] في «الإشراف» عن أصحاب الرأي أنها عندهم غير واجبة[٢]، وحكى بعض القرويين والبغداديين عن أبي حنيفة أنه يوجبها كالحج[٣].

وبأنها سنة قال ابن مسعود وجمهور من العلماء[٤]، وأسند الطبري النص على ذلك عن رسول الله ﷺ[٥].

وروي عن علي بن أبي طالب[٦] وابن عباس وابن عمر[٧] والشافعي وأحمد وإسحاق والشعبي وجماعة تابعين: أنها واجبة كالفرض[٨]، وقاله ابن الجهم[٩] من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، كان فقيهاً عالماً، صنَّف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف مثلها؛ منها كتاب «الإشراف في مذاهب الأشراف» وهو كتاب كبير يدل على كثرة اطلاعه على مذاهب الأئمة، وكانت وفاته سنة **٣١٦** هـ.

(٢) الإشراف لابن المنذر (**٣/ ٣٧٦**) طبعة مكتبة مكة الثقافية.

(٣) انظر مذهب الحنفية في ذلك في: بدائع الصنائع (**٢/ ٢٢٦**).

(٤) انظر: الاستذكار (**٤/ ١٠٩**).

(٥) الأصح فيه الوقف على ضعفه، أخرجه الطبري في تفسيره (**٣/ ١٩**) برقم (**٣٢٢٥**) وأخرجه الترمذي (**٩٣١**)، وأحمد (**٣/ ٣١٦**)، والبيهقي في الكبرى (**٤/ ٣٤٩**) من طريق الحجاج بن أرطاة عن محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: «لا، وأن تعتمروا خيرٌ لكم»، والحجاج ضعيف مدلس وقد عنعن، وقد رجح البيهقي أن المحفوظ روايته موقوفاً من كلام جابر، فقال: «المحفوظ عن جابر موقوف غير مرفوع، رُوي عن جابر مرفوعاً بخلاف ذلك، وكلاهما ضعيف» انتهى.

وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (**٣/ ١٩**) برقم (**٣٢٢٦**) من طريق شريك عن معاوية بن إسحاق عن أبي صالح الحنفي قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجُّ جهادٌ، والعمرة تطوع». وهو حديث ضعيف مرسل.

(٦) ضعيف جدًّا، هذا الأثر أخرجه الطبري (**٣/ ١٢**) من طريق: ثوير ـ وهو ابن أبي فاختة ـ وهو تالف.

(٧) إسنادهما صحيح، هذان الأثران أخرجهما ابن أبي شيبة في مصنفه (**١٣٨٣٩**) بإسناد صحيح.

(٨) انظر: الاستذكار (**٤/ ١٠٩**).

(٩) هو صاحب الإمام مالك الفقيه؛ سعيد بن الجهم بن قاسم أبو عثمان الجيزي، ت سنة (**٢٠٩**هـ). انظر: ترتيب المدارك (**١/ ١٦٨**).

المالكيين[١]، وقال مسروق: الحج والعمرة فرض، نزِّلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة[٢].

وقرأ الشعبي وأبو حيوة: (والعمرةُ لله) برفع العمرة على القطع والابتداء[٣].

وقرأ ابن أبي إسحاق: (الحِج) بكسر الحاء[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَأَتِمُّوا الحَجَّ والْعُمْرَة إلى الْبَيْتِ لله)[٥]، [وروي عنه: (وَأَقيمُوا الحَجَّ والعُمْرَةَ[٦] إلى البَيْت)[٧]][٨]، وروي غير هذا مما هو كالتفسير.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾، قال علقمة وعروة بن الزبير[٩] وغيرهما: الآية فيمن أُحصر بالمرض لا بالعدو[١٠].

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١١)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ١٥).

(٣) انظر عزوها للشعبي في مجاز القرآن (١/ ٦٨)، وتفسير الطبري (٣/ ١٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٨٥)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص١٩)، وزاد علياً وعبد الله، وكذا الزمخشري في الكشاف (١/ ٢٣٩)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٤٩) أنها رويت عنه ﷺ، ونقلها الهذلي في الكامل (ص: ٥٠١) من رواية الكسائي عن أبي جعفر، ومحبوب، والقزاز عن أَبِي عَمْرٍو، والأصمعي عن نافع، وتابع الشيخ في عزوها لأبي حيوة: البحر المحيط (٢/ ٢٥٥)، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٦٩).

(٤) عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٨٦)، وللحسن فقط ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وغيره.

(٥) انظرها في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٤٥).

(٦) ليست في النسخة الحمزوية.

(٧) انظرها في تفسير الطبري (٣/ ٧)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧١)، وكلاهما شاذة.

(٨) ساقط من نور العثمانية.

(٩) هو عروة بن الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد، الإمام الفقيه أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني، روى عن أبيه الزبير، وعلي، وعائشة، وطائفة، وكان ثبتاً حافظاً فقيهاً عالماً بالسيرة، وهو أول من صنف المغازي، توفي سنة (٩٤هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٤).

(١٠) تفسير الطبري (٣/ ٥٥)، والمحلى لابن حزم (٧/ ٢٠٤).

وقال ابن عباس وغيره بعكس ذلك[١].

والمشهور من اللغة[٢]: أُحصر بالمرض وحُصِر بالعدو، وفي «المجمل» لابن فارس: «حُصِرَ بالمرض وأُحْصِرَ بالعدو»[٣]، وقال الفراءُ: هما بمعنًى واحد في المرض والعدو[٤].

قال القاضي أبو محمد: والصحيح أن حَصَر إنما هي فيما أحاط[٥] وجاور فقد يَحصر العدو والماء ونحوه ولا يَحصر المرض، وأحصر معناه: جَعَل الشيء ذا حصر، كأقْبَرَ وأحْمى[٦] وغير ذلك.

فالمرض والعدو والماء وغير ذلك قد يكون مُحصِراً لا حاصراً، ألا ترى أن العدوَّ كان مُحصِراً في عام الحديبية، وفي ذلك نزلت هذه الآية عند جمهور أهل التأويل.

وأجمع جمهور الناس على أن المحْصَر بالعدو يحل حيث أُحْصِر ويَنحر هَديه إن كان ثَمّ هدي ويحلق رأسه[٧]، وقال قتادة وإبراهيم: يبعث بهديه إن أمكنه، فإذا بلغ محله صار حلالاً[٨]، ولا قضاء عليه عند الجميع إلا أن يكون صَرورة[٩] فعليه حَجَّة الإسلام[١٠].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٢٣) من طريق عيسى بن ميمون، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) في الحمزوية: «الفقه».

(٣) المجمل (١/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ١١٦-١١٧).

(٥) في المطبوع: «حاط».

(٦) يقال: أقبر فلاناً: جعل له قبراً، وأحمى المكان: جعله حِمًى.

(٧) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٢/ ١٥٣).

(٨) انظر: قول قتادة في تفسير الطبري (٤/ ٢٢)، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٥/ ٢٠٧).

(٩) وهو الذي لم يحج حجة الإسلام من قبل، ووقع في نور العثمانية والمطبوع: ضرورة بالمعجمة ولعله خطأ.

(١٠) كما نقله البغوي في شرح السنة (٧/ ٢٨٦) عن مالك والشافعي، وانظر الإجماع على وجوب القضاء في الإقناع (٢/ ٨٥٤).

وقال ابن الماجشون: ليست عليه حجة الإسلام وقد قضاها حين أحصر[١]، وهذا ضعيف لا وجه له.

وقال أشهب: يُهدي المحْصَر بعدوٍّ هدياً من أجل الحصر[٢]، وقال ابن القاسم: لا يهدي شيئاً إلا إن كان معه هدي فأراد نحره، ذكره ابن أبي زيد[٣].

وقال عطاءٌ وغيره: المحْصَر بالمرض كالمحْصر بالعدوِّ[٤].

وقال مالك رحمه الله وجمهور من العلماء: المحصر بالمرض لا يحله إلا البيت، ويقيم حتى يفيق، وإن أقام سنين، فإذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية في أوائل الحرم وحل بعمرة، ثم تكون عليه حجةُ قضاء وفيها يكون الهدي[٥]، وقيل: إن الهدي يجب في وقت الحصر أولاً.

ولم ير ابن عباس مَنْ أَحْصَره المرض داخلاً في هذه الآية، وقال: إن المريض إن لم يكن معه هدي حل حيث حُبس، وإن كان معه هدي لم يحل حتى يبلغ الهدي محله ثم لا قضاء عليه، قال: وإنما قال الله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ والأمن إنما هو من العدو، فليس المريض في الآية[٦].

و(ما) في موضع رفع، أي: فالواجب أو فعليكم ما استيسر، ويحتمل أن يكون في موضع نصب، أي: فانحروا أو فاهدوا.

و(مَا اسْتَيْسَرَ) عند جمهور أهل العلم: شاةٌ.

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٤٣).

(٢) انظر: الاستذكار (٤/ ١٧٥).

(٣) انظر: النوادر (٢/ ٤٣١)، وهو: الفقيه المالكي؛ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المتوفى سنة (٣٨٦هـ)، ومؤلف كتاب النوادر والزيادات على المدونة، وكتاب مختصر المدونة، وكتاب الرسالة، وغيرها، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٣٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٢).

(٥) انظر: الاستذكار (٤/ ١٧٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٤).

[١٢٥] وقال ابن عمر وعروة بن الزبير / : جَمَلٌ دون جَملٍ، وبقرةٌ دون بقرة[١].

وقال الحسن: أعلى الهدي بَدَنَةٌ، وأوسطه بقرة، وأخسه شاةٌ[٢].

و﴿ٱلْهَدْيِ﴾ جمع هَدْيَةٍ كجَدْيَةِ السرج وهي البداد[٣]، جمعها جَدْي، ويحتمل أن يكون ﴿ٱلْهَدْيِ﴾ مصدراً سُمِّي به كالرَّهْن ونحوه، فيقع للإفراد وللجمع، وقال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف لهذه اللفظة نظيراً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ الآية، الخطاب لجميع الأمة مُحْصَر ومُخْلى، ومن العلماءِ مَنْ يراها للمُحْصَرين خاصَّةً، ومحل الهدي حيث يحل نحره، وذلك لِمَنْ لم[٥] يُحْصَر بمِنى، ولمن أُحْصِرَ بعدوٍّ حيث أُحصر إذا لم يمكن إرساله، وأما المريض فإن كان له هدي فيرسله إلى محله.

والترتيب: أن يرمي الحاج الجمرة، ثم ينحر، ثم يحلق، ثم يطوف طواف الإفاضة، فإن نحر رجل قبل الرمي أو حلق قبل النحر فلا حرج حسب الحديث ولا دم. وقال [أصحاب الرأي][٦]: لا حرج في الحج ولكن يهرق دماً[٧].

وقال عبد الملك بن الماجشون من أصحابنا: إذا حلق قبل أن ينحر فلْيُهد[٨]، وإن حلق رجل قبل أن يرمي فعليه دم قولاً واحداً في المذهب[٩]، قال ابن المواز[١٠] عن مالك:

---

(١) صحيح، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٣٠-٣١) بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وعن عروة.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٢٢).

(٣) في المطبوع: «البراد».

(٤) مجاز القرآن (١/ ٦٩)، وتفسير الطبري (٣/ ٣٤).

(٥) «لم»: سقطت من المطبوع ونور العثمانية.

(٦) في نور العثمانية: «قوم»، وكذا في الأصل والمطبوع، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى في هامشهما.

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣١٧).

(٨) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٤٤٢).

(٩) انظر: المدونة (٣/ ٨٠).

(١٠) هو الفقيه المالكي؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني، المتوفى سنة (٢٦٩هـ)،=

ويمرُّ المُوسَى على رأْسه بعد الرمي[١]، ولا دم في ذلك عند أبي حنيفة وجماعة معه[٢].

وقرأ الزهري والأعرج وأبو حيوة: (الهدِيّ) بكسر الدال وشد الياء في الموضعين واحدته هدية، ورويت هذه القراءة عن عاصم[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية، المعنى: فحلق لإزالة الأذى فَفِدْيَةٌ، وهذا هو فحوى الخطاب عند أكثر الأصوليين.

ونزلت هذه الآية في كعب بن عجرة[٤] حين رآه رسول الله ﷺ ورأْسُهُ يتناثر قَمْلاً، فأمره بالحِلاق ونزلت الرخصة[٥].

و(فديةٌ) رفع على خبر الابتداء، والصيام عند مالك، وعطاءٍ، ومجاهد، وإبراهيم، وغيرهم، وجميع أصحاب مالك: ثلاثة أيام[٦]، والصدقة: ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، وذلك مُدَّان بِمُدِّ النبي ﷺ[٧].

= ومؤلف كتاب الموَّازية، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٢٦٩).

(١) انظر: التاج والإكليل شرح مختصر خليل (٣/ ٣٦٤).

(٢) هذا قول أبي يوسف ومحمد، وأما أبو حنيفة فالمنقول عنه اللزوم، انظر القولين في الهداية شرح البداية (١/ ١٦٨)، والعنايه شرح الهداية (٤/ ١٣٤)، والبحر الرائق لابن نجيم (٣/ ٢٦)، وقد قال بقول أبي يوسف ومحمد: الشافعي (الأم ٧/ ٢١٣)، وأحمد في رواية كما في الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٤٦١) وإسحاق وداود والطبري (الاستذكار ٤/ ٣٩٥).

(٣) عزاها للأعرج ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، والثعلبي (٢/ ١٠٠)، ومع الخلاف عن عاصم في تفسير الطبري (٣/ ٣٥)، وله وللباقين في البحر المحيط (٢/ ٢٥٨)، وهي قراءة شاذة.

(٤) كعب بن عجرة بن أمية البلوي، حليف الأنصار، ويكنى أبا محمد، روى عنه ابن عمر، وجابر، وابن عبّاس، وطارق بن شهاب، وزيد بن وهب، وأولاده: إسحاق، ومحمد، وآخرون، توفي بالمدينة سنة (٥٢هـ) تقريباً. الإصابة (٥/ ٤٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٧٢٠)، ومسلم (١٢٠١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٧٣).

(٧) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٥).

والنسك: شاة بإجماع، ومَن ذبح أفضل منها فهو أفضل[١].

وقال الحسن بن أبي الحسن وعكرمة: الصيام عشرة أيام، والإطعام عشرة مساكين[٢].

وقرأ الزهري: (أو نسْك) بسكون السين[٣].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: النسك: شاةٌ، فإن لم يجدها فقيمتها يُشترى بها طعامٌ فيُطْعمُ منه مُدَّان لكل مسكين، فإن لم يجد القيمة عرفها وعرف ما يشترى بها من الطعام وصام عن كل مُدَّيْن يوماً[٤].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذلك كله حيث شاء[٥]، وقاله إبراهيم[٦]، وهو مذهب مالك وأصحابه إلا ابن الجهم، فإنه قال: لا يكون النسك إلا بمكة[٧].

وقال عطاءٌ ـ في بعض ما روي عنه ـ وأصحاب الرأْي: النسك بمكة، والصيام والإطعام حيث شاء[٨].

وقال الحسن بن أبي الحسن وطاوسٌ وعطاءٌ أيضاً، ومجاهد[٩]، والشافعي: النسك والإطعام بمكة، والصيام حيث شاء، والمفتدي مخير في أيِّ هذه الثلاثة شاء[١٠]، وكذلك قال مالك وغيره في كل ما في القرآن «أو» فإنه على التخيير[١١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، قال علقمة وعروة: المعنى: إذا بَـرَأتم من مرضكم،

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٣/ ٤).
(٢) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٥).
(٣) عزاها له وللسلمي ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١٩)، وهي قراءة شاذة.
(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٧٤).
(٥) المصدر السابق (٤/ ٧٩).
(٦) المصدر السابق (٤/ ٨٢).
(٧) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٣١).
(٨) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٤١).
(٩) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٧٩).
(١٠) انظر: الاستذكار (٤/ ٣٨٩).
(١١) انظر: الموطأ (٣/ ٦١٧).

وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما: إذا أمنتم من خوفكم من العدو المحْصِر[(١)]، وهذا أشبه باللفظ، إلا أن يُتَخَيَّلَ الخوف من المرض فيكون الأمن منه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ الآية، قال عبد الله بن الزبير[(٢)] وعلقمة وإبراهيم: الآية في المحصَرين دون المخلى سبيلهم[(٣)].

وصورة المتمتع عند ابن الزبير: أن يُحصَرَ الرجلُ حتى يفوته الحج، ثم يصلَ إلى البيت فيحلَّ بعمرة ويقضي الحج مِنْ قابلٍ، فهذا قد تمتَّع بما بين العمرة إلى حج القضاء، وصورة المتمتع المحصَرِ عند غيرِه: أن يُحْصَرَ فيحلَّ دون عمرة ويؤخرها حتى يأْتِيَ مِنْ قابلٍ فيعتمر في أشهر الحج ويَحُجَّ من عامه[(٤)].

وقال ابن عباس وجماعة من العلماء: الآية في المُحْصَرِينَ وغيرِهم ممن خلي سبيله[(٥)].

وصورة المتمتع أن تجتمع فيه ستة شروط: أن يكون معتمراً في أشهر الحج وهو من غير حاضري المسجد الحرام، ويحلَّ وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع إلى وطنه أو ما ساواه بُعْداً، هذا قول مالك وأصحابه[(٦)].

واختُلف لم سُمِّيَ مُتَمَتِّعاً؟:

فقال ابن القاسم: لأنه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فِعْلُه من وقت حله في العمرة إلى وقت إنشائه الحج[(٧)].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٢٣).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٨٨).

(٣) انظر قولهما في تفسير القرطبي (٢/ ٣٨٦).

(٤) انظر الصورتين في تفسير الطبري (٤/ ٨٩).

(٥) لا بأس به، أخرجه الطبري (٣/ ٨٨) من طريق: عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: قال ابن عباس: هي لمن أحصر ومن خليت سبيله.

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١/ ٢٦٨)، وشرح مختصر خليل للخرشي (٧/ ٣٦٨).

(٧) سقطت من جار الله.

وقال غيره: سُمِّي متمتعاً لأنه تمتع بإسقاط أحد السفَرين، وذلك أن حق العمرة أن تقْصَدَ بسفر وحق الحج كذلك، فلما تمتع بإسقاط أحدهما ألزمه الله هدْياً، كالقارن الذي يجمع الحج والعمرة في سفر واحد(١).

قال القاضي أبو محمد: فهذه شِدَّةٌ على القادِمِ مكة من سائر الأقطار لمَّا أسقط سفراً، والمكي لا يقتضي حاله سفراً في عمرة ولا حج لأنه في بقعة الحج فلم يُلْزَمْ شيئاً لأنه لم يُسقط شيئاً.

ومن قال: إن اسم التمتع وحكمه إنما هو من جهة التمتع بالنساء والطيب وغير ذلك، فيَرِدُ عليه أنه يستغرق قولُه: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ المكيَّ وغيره على السواء في القياس، فكيف يشتد مع ذلك على الغريب الذي هو أعذر ويُلْزَمُ هدياً، ولا يُفْعَلُ ذلك بالمكي؟ فيترجح بهذا النظر أن التمتع إنما هو من أجل إسقاط أحد السفرين.

إلا أن أبا عبيد قال في كتاب «الناسخ والمنسوخ» له: «إن العمرة في أشهر الحج ممنوعة للمكي لا تجوز له، ورخص الله تعالى للقادم لطول بقائه محرماً، وقرن الرخصة بالهدي»(٢).

فهذه شدة على أهل مكة، وبهذا النظر يَحسُن أن يكون التمتع من جهة استباحةِ ما لا يجوز للمحرم، لكنه قول شاذ لا يعَوَّل عليه(٣) / . [١٢٦]

وجُلُّ الأُمة على جواز العمرة في أشهر الحج للمكي ولا دمَ عليه(٤)، وذكر أبو عبيد القولين عن ابن عمر واستند إليه في الذي وافقه(٥)، وقد حكاه الطبري عن

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٧٤)، والشرح الكبير للدردير (٢/ ٢٩).
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١/ ٢٩٤).
(٣) يعني بذلك القول الذي ورد قريباً عن أبي عبيد في تفسير التمتع.
(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٥٠).
(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١/ ٢٩٤،٢٨٨).

ابن عباس وقال: إنه قال: «يا أهل مكة، لا مُتْعَةَ لكم، إن الله قد أحلها لأهل الآفاق، وحرَّمها عليكم، إنما يَقْطَعُ أحدكم وادياً ثم يُحرم بعمرة»(١)، فمعنى هذا أنهم متى أحرموا داموا إلى الحج.

وقال السدي: المتمتع هو الذي يفسخ الحج في العمرة(٢)، وذلك لا يجوز عند مالك(٣)، وفي «صحيح مسلم» حديث سُراقة بنِ مالك(٤) قال: قلت: يا رسول الله: فَسْخُ الحج في العمرة؛ ألنا خاصة أم للأبد؟ فقال: «بل لأبد أبد، [بل لأبد أبد](٥)»(٦).

وإنما شرط في المتمتع أن يحل(٧) في أشهر الحج لأنها مدة يملكها الحج، فمن كان فيها محرماً فحقُّه أن يصل الإحرام إلى الحج، وفي كتاب مسلم إيعابُ الأحاديث في هذا المعنى(٨).

ومذهب عمر وقولُ أبي ذر: إن متعة النساء ومتعة الحج خاصتان لأصحاب النبيّ ﷺ(٩).

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ١١٠) من طريق: سعيد، عن قتادة: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: يا أهل مكة.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٩١).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٥٨).

(٤) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك المُدْلجي الكناني، يكنى أبا سفيان، كان ينزل قديداً، يعد في أهل المدينة. ويقال: إنه سكن مكة، ولما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه إياهما، وكان شاعراً مجوداً، توفي سنة (٢٤هـ). الاستيعاب (٢/ ٥٨١).

(٥) سقط المكرر من المطبوع، وفي جار الله بدل الأولى: «بل للأبد».

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٦٨٠٣)، ومسلم (١٢١٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٧) في جار الله: «يحرم».

(٨) انظر: صحيح مسلم (٢/ ٨٩٦)، كتاب: الحج، باب: جواز التمتع.

(٩) روى قول أبي ذر رضي الله عنه: مسلم في صحيحه (١٢٢٤).

وقال طاوس: من اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى حج من عامه فهو متمتع، وقال الحسن بن أبي الحسن: من اعتمر بعد يوم النحر في بقية العام فهو متمتع، وهذان قولان شاذان لم يوافقهما أحد من العلماء(١).

وتقدم القول فيما استيسر من الهدي.

قوله عز وجل: ﴿...فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾.

قوله: ﴿لَّمْ يَجِدْ﴾ معناه: إما بعدم المال وإما بعدم الحيوان.

و﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ قال عكرمة وعطاءٌ: له أن يصومها في أشهر الحج وإن كان لم يحرم بالحج(٢)، وقال ابن عباس(٣) ومالك بن أنس: له أن يصومها منذ يحرم بالحج(٤)، وقال عطاءٌ أيضاً، ومجاهد: لا يصومها إلا في عشر ذي الحجة(٥).

وقال ابن عمر والحسن والحَكَم: يصوم يوما قبل يوم التروية [ويوم التروية](٦) ويوم

---

(١) انظر القولين وشذوذهما في الاستذكار (٤/ ٩٨-٩٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٨/ ٣٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٠٣).

(٣) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ٩٥، ١٠٣) عن ابن عباس، بإسناد ضعيف.

(٤) انظر قول مالك في التمهيد لابن عبد البر (١٢/ ١٢٨).

(٥) انظر قول عطاء في تفسير الطبري (٤/ ١٠٢)، وقول مجاهد لم أقف عليه إلا في البحر المحيط (٢/ ٢٦٦).

(٦) ساقط من جار الله.

عرفة، وكلهم يقول: لا يجوز تأخيرها عن عشر ذي الحجة؛ لأن بانقضائه ينقضي الحج[١].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر، ومالك بن أنس وجماعة من أهل العلم: من فاته صيامها قبل يوم النحر فله صيامها في أيام التشريق، لأنها من أيام الحج، وقال قوم: له ابتداءُ تأْخيرها إلى أيام التشريق، لأنه لا يجب عليه الصيام، إلا بألا يجد يوم النحر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[٣] قال مجاهد، وعطاءٌ، وإبراهيم: المعنى: إذا رجعتم من منى، فمن بقي بمكة صامها، ومن نهض إلى بلده صامها في الطريق[٤].

وقال قتادة والربيع: هذه رخصة من الله تعالى، والمعنى: إذا رجعتم إلى أوطانكم، فلا يجب على أحد صومُ السبعة إلا إذا وصل وطنه، إلا أن يتشدد أحد كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان[٥].

وقرأ زيد بن علي: (وسبعةً) بالنصب[٦]، أي: وصوموا سبعة.

ولمَّا جاز أن يتوهمَ مُتَوَهِّمٌ التخيير بين ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع؛ أزيل ذلك بالجملة[٧] من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ قال الحسن بن أبي الحسن: المعنى: كاملةٌ في الثواب كمن أهدى[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٩٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٩٩)، وزاد في المطبوع: هدياً.
(٣) في هامش أحمد٣ كلمات ملحقة غير واضحة.
(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٢٩-٢٣٠)، وتفسير الطبري (٣/ ١٠٦-١٠٧).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٠٨).
(٦) تابعه في البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢٦٧)، وعزاها هو والهذلي في الكامل (ص: ٥٠٢) والكرماني في الشواذ (ص: ٨٦) والزمخشري في الكشاف (١/ ٢٦٩) لابن أبي عبلة. وهي قراءة شاذة.
(٧) في نور العثمانية وجار الله: «بالجلية»، وهي محتملة في الأصل.
(٨) في الأصل: «افتدى»، مع التنبيه على أن في نسخة «أهدى».

وقيل: كاملة في الثواب كمن لم يتمتع، وهذا على أن الحج الذي لم تكثر[١] فيه الدماءُ أخلص وأفضل، خلافاً لأبي حنيفة.

وقيل: ﴿كَامِلَةٌ﴾ توكيد كما تقول: كتبت بيدي[٢]، وكقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، وقيل: لفظها الإخبار ومعناها الأمر، أي: أكملوها فذلك فرضها.

وقال الأستاذ الأجلُّ أبو الحسن علي بن أحمد: المعنى: تلك كاملةٌ، وكرر الموصوف تأْكيداً، كما تقول: زيد رجلٌ عاقلٌ[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ﴾ الآية، الإشارة إلى التمتع وهديه وحكمه، وهذا على قول من يرى أن المكي لا تجوز له المتعةُ في أشهر الحج، فكأن[٤] الكلام ذلك الترخيص، ويتأيد هذا بقوله: ﴿لِمَن﴾، لأن اللام أبداً إنما تجيءُ مع الرُّخص، تقول: لك أن تفعل كذا، وأما مع الشدة فالوجه أن تقول: عليك، وأما من يرى أن المكيَّ يعتمر ولا دم عليه لأنه لم يسقط سفراً، فالإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ على قوله ـ هي إلى الهدي، أي: ذلك الاشتداد والإلزام[٥].

واختلف الناس في ﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها ـ وقال الطبري: «بعد الإجماع على أهل الحرم»[٦] وليس كما قال ـ:

فقال بعض العلماء: من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي، فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة.

---

(١) في جار الله: «لم يذكر»، وفي حاشية المطبوع: «وفي بعض النسخ: لم تكن».
(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٣/ ١٠٨-١٠٩)
(٣) لم أقف عليه، وهو شيخ المصنف، يعرف بابن الباذش، وقد سبق التعريف به.
(٤) في الأصل: «فإن»، والتصحيح من النسخ الأخرى، إلا أنها تحتمل أيضاً: «فكان».
(٥) في المطبوع: «الإلزام» دون واو قبلها.
(٦) تفسير الطبري (٣/ ١١٠).

وقال بعضهم: من كان بحيث لا تقصر الصلاة إلى مكانه فهو حاضر، أي: مشاهد[(١)]، ومن كان أبعد من ذلك فهو غائب.

وقال عطاء بن أبي رباح: مكة وضَجْنان[(٢)] وذو طوى وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام، وقال ابن عباس[(٣)] ومجاهد: أهل الحرم كُلِّهِ حاضرو المسجد الحرام[(٤)].

وقال مكحول[(٥)] وعطاءٌ: من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام.

وقال الزهري: من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام [(٦)].

ثم[(٧)] أمر تعالى بتقواه على العموم، وحذر من شديد عقابه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، في الكلام حذف تقديره: أشهر الحج أشهر / ، [أو: وقتُ الحج أشهر][(٨)]، أو: وقت عمل الحج أشهر. [١٢٧]

والغرض إنما هو أن يكون الخبر عن الابتداءِ هو الابتداءُ نفسه، والحج ليس بالأشهر فاحتيج إلى هذه التقديرات، ومن قدر الكلام: الحج في أشهر، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصبُ الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحد.

---

(١) في الحمزوية: «شاهد».

(٢) قال في القاموس المحيط (ص: ١٢١١): وضجنان، كسكران: جبل قرب مكة، وجبل آخر بالبادية.

(٣) معضل، هذا الأثر أخرجه الطبري (٣/ ١١٠) من طريق الثوري قال: بلغنا عن ابن عباس...، وهذا إسناد معضل.

(٤) تكررت هذه الجملة في المطبوع، ولعله خطأ.

(٥) مكحول بن أبي مسلم أبو عبد الله، فقيه الشام وشيخ أهل دمشق، أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن: أبي أمامة، وواثلة، وأنس، وخلق، وعنه: أيوب بن موسى، وآخرون،، ثقة صدوق كان قدريّاً ثم رجع عنه، توفي سنة (١١٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٨).

(٦) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٣/ ١١١ - ١١٢).

(٧) في الأصل: «كما»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٨) ساقط من نور العثمانية.

وقال ابن مسعود[١] وابن عمر[٢] وعطاءٌ والربيع ومجاهد والزهري: أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله، وقال ابن عباس والشعبي والسدي وإبراهيم: هي شوال وذو القعدة وعشر [ليال من][٣] ذي الحجة.

والقولان لمالك رحمه الله، حكى الأخير ابن حبيب[٤].

وجُمع على هذا القول الأخير الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا في جمع عشر فقالوا: عشرون، لعشرين ويومين من الثالث، وكما قال امرؤ القيس:

[الطويل] .... ثَلاثُون شـهراً فـي ثلاثـةِ أحْوال[٥]

فمن قال: إن ذا الحجة كلَّه من أشهر الحج، لم ير دَماً فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر لأنها في أشهر الحج، وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر ويلزم الدَّمُ فيما عمل بعد ذلك[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي: من ألزمه نفسه، وأصل الفرض: الحزُّ الذي يكون في السهام والقِسي وغيرها، ومنه فُرْضة النهر والجبل، فكأن من التزم شيئاً وأثبته على نفسه قد فرضه.

---

(١) لم أجده، هذا الأثر لم أقف عليه، وإنما نقل الطبري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود القول الثاني: «.. وعشر ذي الحجة»، وانظر: المحلى (٧/ ٦٩)، وشرح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣٦).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ١١٧) بإسناد فيه شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وإبراهيم ابن مهاجر، وهما ضعيفان.

(٣) زيادة من نور العثمانية.

(٤) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٢).

(٥) عجز بيت وصدره: وَهَل يَعِمَنْ مَن كان أحدثُ عَهدِه، وهو لامرئ القيس كما في جمهرة اللغة (٣/ ١٣١٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢)، وأدب الكاتب (ص: ٥١٨)، والخصائص (٢/ ١١٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٢)، وجاءت «ثلاثون» هكذا في الأصل بالرفع على أن خبر كان جملة اسمية، ووقع في المطبوع وأكثر المصادر: «ثلاثين» بالنصب على أن الخبر مفرد.

(٦) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣٠٢).

وفَرْضُ الحج هو بالنِّية، والدخول في الإحرام، والتلبية تبع لذلك، و(مَن) رفع بالابتداء، ومعناها الشرط، والخبر قوله: ﴿فَرَضَ﴾، لأن (مَن) ليست بموصولة، فكأنه قال: فرجلٌ فَـرَض.

وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: يحتمل أن يكون الخبر، وتكون ﴿فَرَضَ﴾ صفة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يجئ الكلام: فَـرَضَ فِيهَا، فقال قوم: هما سواءٌ في الاستعمال.

وقال أبو عثمان المازني[١]: الجمع الكثير لما لا يعقل يأتي كالواحدة المؤنثة، والقليل ليس كذلك، تقول: الأجذاع انكسرن، والجذوع انكسرت[٢]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة: ٣٦] ثم قال: ﴿مِنْهَآ﴾.

وقرأ نافع: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِـدَالَ﴾ بنصب الجميع، وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ﴾ [بالرفع في الاثنين ونصب][٣] «الجدال»[٤].

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع بالرفع في الثلاثة[٥]، ورويت عن عاصم في بعض الطرق[٦].

---

(١) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي البصري المشهور، كان إماماً في النحو والأدب، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي والأخفش، وهو أُستاذ المبرد، قيل عنه: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني، توفي سنة: (٢٤٩هـ). إنباه الرواة (١/ ٢٨١).

(٢) انظر المخصص (٥/ ٥٦).

(٣) في جار الله بدله: «بالرفع والتنوين».

(٤) والباقون بالنصب من غير تنوين، انظر: التيسير (ص: ٨٠).

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤١).

(٦) قال الداني في جامع البيان (٢/ ٩١٠): يروى عن المفضل عن عاصم أنه رفع الأسماء الثلاثة ونوّنها، ولم أقرأ بذلك من طريقه.

و(لا) بمعنى ليس في قراءة الرفع، وخبرها محذوف على قراءة أبي عمرو، و﴿ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ خبر (لا جِدالَ).

وحَذْفُ الخبر هنا هو مذهب أبي علي، وقد خولف في ذلك، بل ﴿ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ هو خبر الكل، إذ هو في موضع رفع في الوجهين، لأن «لا» إنما تعمل على بابها فيما يليها وخبرها مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء، وظن أبو علي أنها بمنزلة ليس في نصب الخبر[1].

وليس كذلك، بل هي والاسم في موضع الابتداء يطلبان الخبر، و﴿ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ هو الخبر في قراءةِ كلِّها بالرفع وفي قراءتها بالنصب.

والتحرير أن ﴿ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ في موضع نصب[2] بالخبر [المقدر][3]، كأنك قلت: موجود في الحج، ولا فرق بين الآية وبين قولك: زيد في الدار.

وقال ابن عباس[4]، وابن جبير، والسدي، وقتادة، ومالك، ومجاهد، وغيرهم: الرفث الجماع[5].

وقال عبد الله بن عمر[6] وطاوس وعطاء وغيرهم: الرفث الإعرابة والتعريب[7]،

---

(١) انظر مذهب أبي علي هذا في الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٩٠)، قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٥٦): هذا الظنّ صحيح، وهو كما ظن، ويدل عليه أن العرب حين صرحت بالخبر على أن:(لا)، بمعنى (ليس) أتت به منصوباً في شعرها،.. لكنه من الندور بحيث لا تبنى عليه القواعد كما ذكرنا، ومثل هذا في القرآن لا ينبغي.

(٢) في جار الله: «رفع». ولعله الصواب.

(٣) في الحمزوية: «المتقدم».

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٩-١٣٠) من طرق يقوي بعضها بعضا عن ابن عباس.

(٥) انظر قول مجاهد في تفسيره (ص: ٢٢٩)، ومع قول قتادة وسعيد في تفسير الطبري (٤/ ١٣١)، والسّدي في تفسير الثعلبي (٢/ ١٠٥).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٦) بإسناد صحيح.

(٧) قال في المخصص (٣/ ٣٨٥): والعرابة والإعراب والإعرابة: ما يكره من الكلام وكره الإعراب للمحرم، وقد أعربت.

وهو الإفحاش بأمر الجماع عند النساء خاصة[١].

وهذا قول ابن عباس أيضاً، وأنشد وهو محرم:

وَهــنَّ يَـمْـشِـيـنَ بِـنـا هَمِيساً إن تصْـدق الطَّـيْـرُ نَنِـكْ لَمِيسـا[٢] [الرجز]

فقيل له: ترفث وأنت محرم؟ فقال: «إنما الرفث ما كان عند النساء»[٣].

وقال قوم: الرفث: الإفحاش بذكر النساء، كان ذلك بحضرتهن أم لا، وقد قال ابن عمر للحادي: «لا تذكر النساء»[٤]، وهذا يحتمل أن تحضر امرأة فلذلك نهاه، وإنما يقوي القول من جهة ما يلزم من توقير الحج.

وقال أبو عبيدة: «الرفث: اللغا من الكلام»[٥]، وأنشد:

عن الـلَّـغَـا وَرَفَثِ التَّـكَـلُّمِ[٦] [الرجز]

قال القاضي أبو محمد: ولا حجة في البيت.

وقرأ ابن مسعود: (ولا رُفُوث)[٧].

وقال ابن عباس[٨] وعطاء والحسن وغيرهم: الفسوق: المعاصي كلها لا يختص بها شيءٌ دون شيء[٩].

---

(١) انظر قولهما في تفسير الطبري (٤/ ١٢٧).

(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٨٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٢٢)، وغيرها.

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٧٥٨)، وسنن البيهقي (٥/ ٦٧)، ومعرفة السنن والآثار (٨/ ١٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٩) بإسناد صحيح.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٧٠).

(٦) البيت للعجاج كما تقدم في تفسير الآية (١٨٧) من هذه السورة، واللغا: الباطل.

(٧) المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٤)، وعزاها تفسير الثعلبي (٢/ ١٠٥) للأعمش.

(٨) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٥) بإسناد فيه لين.

(٩) انظر تفسير الطبري (٤/ ١٣٥).

وقال ابن عمر وجماعة معه: الفسوق: المعاصي في معنى الحج كقتل الصيد وغيره[(١)].

وقال ابن زيد ومالك: الفسوق: الذبح للأصنام[(٢)]، ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال الضحاك: الفسوق: التنابز بالألقاب[(٣)]، ومنه قول الله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال ابن عمر أيضاً[(٤)]، ومجاهد، وعطاءٌ، وإبراهيم: الفسوق السباب[(٥)]، ومنه قول النبي ﷺ: «سِباب المسْلم[(٦)] فُسوقٌ وَقِتَالُه كُفْرٌ»[(٧)]، وعموم جميع المعاصي أولى الأقوال.

وقال قتادة وغيره: الجدال هنا السباب[(٨)]، وقال ابن مسعود، وابن عباس[(٩)]، وعطاءٌ، ومجاهد: الجدال هنا أن تماري مسلماً حتى تغضبه[(١٠)].

وقال مالك وابن زيد: الجدال هنا أن يختلف الناس أيهم صادف موقف إبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٧-١٣٨) بإسناد صحيح.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٣٨)، وانظر قول مالك في: الاستذكار (٤/ ٢٧٦).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٣٨).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٨) بإسناد لين.

(٥) في الحمزوية: «السيئة»، انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٤/ ١٣٥- ١٣٧).

(٦) في الحمزوية: «المؤمن».

(٧) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) تفسير الطبري (٤/ ١٤٥).

(٩) أخرجه الطبري (٤/ ١٤١) بإسناد جيد.

(١٠) تفسير الطبري (٤/ ١٤١ - ١٤٥).

عليه السلام، كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش تقف في غير موقف سائر العرب ثم يتجادلون بعد ذلك[١].

وقال محمد بن كعب القرظي: الجدال أن تقول طائفة: حجُّنا أبرُّ من حجكم، وتقول الأخرى مثل ذلك، وقالت فرقة: الجدال هنا أن تقول طائفة: الحج اليوم، وتقول طائفة: بل الحج غداً، وقيل: الجدال كان في الفخر بالآباء[٢].

وقال مجاهد وجماعة معه: الجدال أن تُنْسئَ العرب الشهور حسب ما كان النسيءُ عليه، فقرر الشرع وقت الحج وبيَّنه، وأخبر أنه حتم لا جدال فيه[٣].

وهذا أصح الأقوال وأظهرها.

والجدال مأخوذ من الجَدْل وهو الفتل، كأن كل مجادل يفاتل صاحبه في الكلام.

وأما ما كان النسيء عليه / فظاهر «سير ابن إسحاق» وغيرها من الدواوين][٤] أن [١٢٨] الناسئ كان يُحل المحرم [لئلا تتوالى على العرب ثلاثة أشهر لا إغارة فيها، ويُحرم صفر، وربما سمَّوه المحرم][٥]، وتبقى سائر الأشهر بأسمائها حتى يأْتي حجُّهم في ذي الحجة [على الحقيقة][٦][٧].

وأسند الطبري عن مجاهد أنه قال: كانوا يُسقطون المحرم ثم يقولون: صفران،

---

(١) انظر: الموطأ؛ الأثر رقم: (١٤٥٠)، (٣/ ٥٧١)، وتفسير الطبري (٤/ ١٤٦).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٤٦- ١٤٨).

(٤) من قوله (ص: ٧٢٠): «والقولان» إلى هنا بقيت صفحة من نسخة أحمد٣ لم تصور.

(٥) ساقط من السليمانية.

(٦) ساقط من فيض الله.

(٧) السيرة النبوية (١/ ١٦١)، والهداية لمكي (٤/ ٢٩٩١).

لصفر وشهر ربيع الأول، ثم كذلك ينقلون أسماء الشهور، ويتبدل وقت الحج في الحقيقة، لكنه يبقى في ذي الحجة بالتسمية لا في حقيقة الشهر، قال[١]: فكان حج أبي بكر سَنَةَ تِسْعٍ في ذي القعدة على الحقيقة، ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر في ذي الحجة على الحقيقة[٢]، وحينئذ قال: «إن الزمان قد استدار»[٣] الحديث، ونزلت: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أي: قد تَبيَّن أمره فلا ينتقل شهر البتة[٤] أبدا[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [المعنى: فيثيب عليه، وفي هذا تحضيض على فعل الخير.

وقوله تعالى:][٦] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ الآية، قال ابن عمر[٧] وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء إلى الحج بلا زاد ويقول بعضهم: نحن المتوكلون، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا؟

---

(١) سقطت من جار الله.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٤٧)، دون لفظ «على الحقيقة»، وهذا القول مشهور عن مجاهد نقله غير واحد، وقد أشار المؤلف إلى أنه مخالف لظاهر سير ابن إسحاق وغيره من الدواوين، وذكر القسطلاني في المواهب (١/ ٤٢٩): «أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا»، ومما يعترض به هذا القول أن العرب إنما كانت تنسئ بأمر الناسئين من أهل الجاهلية، وأبو بكر رضي الله عنه لا يأتمر بأمرهم، كما أنه يؤدي إلى التشكيك في شهر رمضان، وفي الكثير من التواريخ المتواترة، والله أعلم.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (٤٤٧٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) «البتة» : سقطت من جار الله وفيض الله.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ١٤٨)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٠٠)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٨٥).

(٦) ساقط من نور العثمانية.

(٧) ضعيف جدًّا، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ١٥٦) بإسناد فيه عمرو بن عبد الغفار، وهو الفقيمي، وهو متروك الحديث.

فكانوا يبقون عالة على الناس، فَنُهوا عن ذلك، وأُمروا بالتزود[١].

وقال بعض الناس: المعنى: تزودوا الرفيق الصالح[٢]، وهذا تخصيص ضعيف، والأولى في معنى الآية: وتزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حض على التقوى.

وخُصَّ أُولو الألباب بالخطاب وإن كان الأمر يعم الكل؛ لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابِلو أوامره والناهضون بها، وهذا على أن اللب لبُّ التجارب وجودة النظر، وإن جعلناه لبَّ التكليف فالنداءُ بـ﴿أُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عام لجميع المكلفين.

واللب: العقل، تقول العرب: لَبُبْتُ ـ بضم الباءِ الأُولى ـ ألُبُّ بضم اللام، حكاه سيبويه[٣]، وليس في الكلام فعُل يفعُل بضم العين فيهما غير هذه الكلمة[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية؛ الجُنَاح أعم من الإثم؛ لأنه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي العتاب والزجر، و﴿تَبْتَغُواْ﴾ معناه: تطلبون بمحاولتكم.

وقال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء: إن الآية نزلت لأن العرب تحرجت لما جاءَ الإسلام أن يحضروا أسواق الجاهلية كعكاظ وذي المَجَاز ومَجَنَّة، فأباح الله تعالى ذلك، أي: لا درك في أن تتجروا وتطلبوا الربح[٥].

وقال مجاهد: كان بعض العرب لا يتجرون [مذ يحرمون][٦]، فنزلت الآية في

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مكحول (١/ ٣٤٩).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٦٣) بلا نسبة.

(٤) أي: مضاعفاً، وانظر أدب الكاتب (١/ ٣٦٣).

(٥) صحيح، هذا الأثر أخرجه البخاري (٢٠٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم نجده عن الباقين.

(٦) في الحمزوية: «بعد أن يحرموا».

إباحة ذلك[١]، وقال ابن عمر فيمن أكرى ليحج: [«حجه تام، ولا حرج][٢] عليه في ابتغاء الكراء»[٣].

وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابن الزبير: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾: أجمع أهل العلم على تمام حجِّ من وقف بعرفة بعد الزوال وأفاض نهاراً قبل الليل، إلا مالك بن أنس، فإنه قال: لا بد أن يأْخذ من الليل شيئاً، وأما من وقف بعرفة بالليل فلا خلاف بين الأمة في تمام حجه[٥].

وأفاض القوم أو الجيش: إذا اندفعوا جملة، ومنه: أفاض الرجل في الكلام، ومنه فاض الإناء، وأفضْتُه، ومنه المفيض في القداح، والتنوين في ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ على حده في مسلمات، الكسرة مقابلة للياء في مسلمين والتنوين مقابل للنون، فإذا سميتَ به شخصاً تُرك[٦]، وهو معرَّف على حده قبل أن تسمي به، فإن كان ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ اسماً لتلك البقعة كلها فهو كما ذكرناه، وإن كان جمع عرفة فهو كمسلمات دون أن يسمى به.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٦٤).

(٢) في الحمزوية ونور العثمانية: «حجة الإسلام لا حرج».

(٣) روي مرفوعاً بإسناد لا بأس به، روى مسدد عن يحيى عن عبد الله بن شبيب ثنا أبو السليل قلت لابن عمر... موقوف، ذكره الحافظ في المطالب العالية (٦/ ٣٠٨). اهـ وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٤٠٤): رواه مسدد بسند ضعيف، لضعف عبد الله بن شبيب اهـ، وقال ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٨٦٣): حدثنا ابن فضيل، عن العلاء بن المسيب، عن رجل من بكر بن وائل، قال: سألت ابن عمر، قلت: إنا نكري في هذا الوجه للحج...وذكره مرفوعاً، وأخرجه أبو داود (١٧٣٥) عن مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا العلاء بن المسيب حدثنا أبو أمامة التيمي قال: كنت رجلاً أكري في هذا الوجه وكان ناس يقولون لي: إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر...فذكره مرفوعاً.

(٤) الكشاف (١/ ٢٧٣)، وتفسير الطبري (٤/ ١٦٥). وهي قراءة شاذة.

(٥) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٨١).

(٦) في الحمزوية: «نزل».

وحكى سيبويه كسر التاء من «عرفات» دون تنوين في حال النصب والخفض مع التعريف[١]، وحكى الكوفيون فتحها في حال النصب والخفض تشبيهاً بتاء فاطمة وطلحة.

وسميت تلك البقعة عَرَفاتٍ لأن إبراهيم عَرَفها حين رآها على ما وصفت له، قاله السدي[٢].

وقال ابن عباس: «سميت بذلك لأن جبريل عليه السلام كان يقول لإبراهيم عليه السلام: هذا موضع كذا، فيقول: قد عرفتُ»[٣].

وقيل: سميت بذلك لأن آدم عرف بها حواء حين لقيها هناك.

والظاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع، وعَرفة هي نَعْمان الأراك[٤]، وفيها يقول الشاعر:

[الطويل]

تَـزَوَّدْت مِـنْ نَعْمَـانَ عُـودَ أَرَاكَـةٍ ... لِهِنْـدٍ ولكـن مَـنْ يُبَلِّغـهُ هِنْـدا[٥]

و﴿ٱلْمَشْـعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جمع كله، وهو ما بين جبلي المزدلفة من حدِّ مُفْضَى مَأْزِمَي عرفة[٦]، إلى بطن محسِّرٍ، [قال ذلك ابن عباس[٧] وابن جبير، والربيع، وابن

(١) الكتاب (٣/ ٢٣٣).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٧٢ و١٧٣)، وفي المطبوع: «قال السدي»، على أن مقوله ما سيأتي، وهذا غير بين.

(٣) فيه من لا يعتد به، هذا الأثر أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٦٩٧) مطولاً بنحوه، من طريق أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به. وأبو عاصم تفرد عنه حماد بن سلمة، ولا يكاد يعرف، وإن نقل عن ابن معين توثيقه.

(٤) في أحمد٣ بدلها بياض.

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه (١/ ١٤٧)، وفي معجم ما استعجم (٤/ ١٣١٦)، ونسبه لورد الجعدي في شرح الحماسة (٢/ ١٢٣)، وكذلك في الحماسة البصرية (٢/ ١٨٤)، وتاج العروس (٢٧/ ٣٦)، ونسب في الأغاني (١١/ ٣٥٢)، ورسالة الغفران (ص: ١٠٦) للمرقش الأكبر، وفي رواية «تخيرت».

(٦) المَأزم بوزن مَسْجِد: الطريق الضيق بين الجبلين، ويقال للموضع الذي بين عرفة والمشعر.

(٧) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٤/ ١٧٦) من طريق: إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن ابن عباس قال: ما بين الجبلين اللذين بجمع مشعر. وحكيم ضعيف.

عمر[١] ومجاهد[٢]، فهي كلها مشعر إلا بطن محسِّر]،[٣] كما أن عرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة[٤]، بفتح الراء وضمها.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عرفة كلُّها موقف إلا بطن عُرنة، والمزدلفة كلها مشعر[٥]، وارتَفِعُوا عن بطن محسِّر»[٦].

وذكر هذا عبد الله بن الزبير في خطبته[٧].

وفي المزدلفة قرن قُزَحَ الذي كانت قريش تقف عليه.

وذِكْرُ الله تعالى عند المشعر الحرام نَدْبٌ عند أهل العلم[٨].

وقال مالك: من مرَّ به ولم ينزل فعليه دم، وقال الشافعي: من خرج من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم، وإن كان بعد نصف الليل فلا شيء عليه، وقال الشعبي والنخعي: من فاته الوقوف بمزدلفة فاته الحج[٩].

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ١٧٦-١٧٧) من طرق عن ابن عمر.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٧٦).
(٣) ساقط من الأصل وأثبتناه من النسخ الأخرى.
(٤) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٧٥).
(٥) في نور العثمانية هنا زيادة: «إلا»، ولعلها خطأ.
(٦) في إسناد الحديث بهذا التمام مقال وقد روي موقوفاً، أخرجه بهذا التمام: الحاكم (١/ ٤٦٢)، وعنه البيهقي في الكبرى (٥/ ١١٥)، من طريق أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به. وأبو الزبير مدلس ولم يصرح بالسماع، وقد روي عن ابن عباس من قوله، أخرجه البيهقي أيضاً (٥/ ١١٥)، وأخرجه ابن ماجه (٣٠١٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وإسناده واه جداً، وروي من طرق أخرى كلها واهية لا يصلح شيء منها، أما قوله: «عرفة كلها موقف» ففي صحيح مسلم رقم (١٢١٨).
(٧) صحيح، هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (٨٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤٠٦٦) بإسناد صحيح.
(٨) انظر: الاستذكار (٤/ ٢٨٥).
(٩) انظر قول مالك وقول الشعبي والنخعي في: الاستذكار (٤/ ٢٨٤)، وقول الشافعي في: الأم (٢/ ٢٣٣).

وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ تعديدٌ للنعمة وأمر بشكرها، ثم ذكَّرهم بحال ضلالهم ليظهر قدر الإنعام، والكاف في ﴿كَمَا﴾ نعت لمصدر محذوف [و(ما) مصدرية أو كافة][(١)].

و(إنْ) مخففة من الثقيلة، ويدل على ذلك دخول اللام في الخبر، هذا قول سيبويه، وقال الفراء: هي النافية بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلّا»[(٢)].

والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ عائد على الهُدى.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم / مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾. [١٢٩]

قال ابن عباس وعائشة وعطاءٌ ومجاهد، وغيرهم: المخاطب بهذه الآية قريش ومَنْ ولدت، وهُمُ الحمس[(٣)]، وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن قطين الله فينبغي لنا أن نعظِّم الحرم ولا نعظم شيئاً من الحل، فسنُّوا شق الثياب في الطواف إلى غير ذلك، وكانوا مع معرفتهم وإقرارهم أن عرفة هي موقف إبراهيم لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه، ويقف الناس بعرفة، فقيل لهم أن يفيضوا مع الجملة.

---

(١) زيادة من المطبوع، وعلق عليه في الحاشية بقوله: أي كفّت الكاف عن العمل، وكونها مصدرية أولى، أيْ: كهدايته، والفرق بين المصدرية والكافة أن (ما) المصدرية تكون هي وما بعدها في موضع جر، إذ يَنْسَبِكُ منها مع الفعل مصدر، والكافة لا يكون فيها ذلك.

(٢) نقله القرطبي في تفسيره (٢/ ٤٢٧).

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٥٨٢،٤٢٤٨)، ومسلم (١٢١٩).

و﴿ ثُمَّ ﴾ ليست في هذه الآية للترتيب، إنما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة.

وكان رسول الله ﷺ من الحمس، ولكنه كان يقف مذ كان بعرفة، هداية له[1] من الله.

وقال الضحاك: المخاطب بالآية جملة الأمة[2]، والمراد بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ إبراهيم عليه السلام، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وهو يريد واحداً، ويحتمل على هذا أن يؤْمروا بالإفاضة من عرفة، ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى، وهي التي من المزدلفة، فتجيء ﴿ ثُمَّ ﴾ على هذا الاحتمال على بابها، وعلى هذا الاحتمال عوَّل الطبري[3].

وقرأ سعيد بن جبير: (الناسِي)[4] وتأوله آدم عليه السلام.

ويجوز عند بعضهم تخفيف الياء فيقول: (الناسِ)، كالقاض والهاد.

قال القاضي أبو محمد: أما جوازه في العربية فذكره سيبويه[5]، وأما جوازه مقروءاً به فلا أحفظه[6].

وأمر تعالى بالاستغفار لأنها مَواطنه ومظانُّ القبول ومساقط الرحمة، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خطب عشية عرفة فقال: «أيها الناس، إن الله تطاول عليكم في مقامكم هذا، فقَبِل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنكم إلا التبعات

---

(١) «له»: زيادة من نور العثمانية

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر كلامه في التفسير (٤/ ١٩٠ وما بعدها).

(٤) المحتسب لابن جني (١/ ١١٩) وهي قراءة شاذة، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

(٥) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٦٧).

(٦) يمكن أن يقصد هذه القراءة لأنها شاذة، وإن استبعد ذلك أبو حيان، ويمكن أن يقصد إنكار قياسه، وهو الأظهر لمقارنته باللغة.

فيما بينكم، أفيضوا على اسم الله»، فلما كان غداة جمع، خطب فقال: «أيها الناس، إن الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده»[١].

وقالت فرقة: المعنى: واستغفروا الله من فعلكم الذي كان مخالفا لسنة إبراهيم[٢] في وقوفكم بقُزحَ من المزدلفة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ الآية قال مجاهد: المناسك: الذبائح وهراقة الدماء[٤]، والمناسك عندي: العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه، والمعنى: إذا فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده وأثنوا عليه بآلائه عندكم، وخص هذا الوقت بالقضاء لمَا يقضي الناس فيه مناسكهم في حين واحد، وما قبل وما بعد فهو على الافتراق: هذا في طواف، وهذا في رمي، وهذا في حلاق وغير ذلك، وكانت عادة العرب إذا قضت حجَّها تقف عند الجمرة فتتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك، فنزلت الآية ليُلْزِمُوا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من التزامهم ذكر آبائهم بأيام الجاهلية، هذا قول جمهور المفسرين.

وقال ابن عباس[٥] وعطاءٌ: معنى الآية: اذكروا الله كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم[٦]، أي فاستغيثوا به[٧] والجؤوا إليه كما كنتم تفعلون في حال صغركم بآبائكم.

وقالت طائفة: معنى الآية: اذكروا الله وعظِّموه وذبُّوا عن حُرمه، وادفعوا من

---

(١) ضعيف، هذا الحديث روي من حديث ابن عمر والعباس بن مرداس السلمي وعبادة بن الصامت، وفي كل منها مقال لايحتمل، راجع الفوائد المجموعة للشوكاني (ص: ١٠٤).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «للسنة الإبراهيمية».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٩٢)، وقزح: جبل بالمزدلفة كانت تقف عليه قريش.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ١٩٥).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ١٩٩) بإسناد ضعيف.

(٦) انظر قول عطاء في تفسير الطبري (٤/ ١٩٨).

(٧) في هامش المطبوع: «وفي بعض النسخ: فاستعينوا به».

أراد الشرك والنقص في دينه ومشاعره، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غُض[١] أحدٌ منهم وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم.

وقرأ محمد بن كعب القرظي: (كذكركم آباؤُكم)[٢]، أي: اهتبِلوا بذكره كما يهتبل المرء بذكر ابنه، فالمصدر على هذه القراءة مضاف إلى المفعول، و﴿أَشَدَّ﴾ في موضع خفض عطفاً على (ذكركم) ويجوز أن يكون في موضع نصب، التقدير: أو اذكروه أشدَّ ذكراً.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ الآية، قال أبو وائل[٣]، والسدي، وابن زيد: كانت عادتهم في الجاهلية أن يدعوا في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا، وجاء النهي في صيغة الخبر عنهم[٤].

والخلاق: النصيب والحظ، و﴿مِنْ﴾ زائدة لأنها بعد النفي، فهي مستغرِقة لجنس الحظوظ.

وقال قتادة: حسنة الدنيا العافية في الصحة وكفاف المال، وقال الحسن بن أبي الحسن: حسنة الدنيا العلم والعبادة، وقال السدي: حسنة الدنيا المال[٥]، وقيل: حسنة الدنيا المرأة الحسناء[٦].

---

(١) في الحمزوية زيادة: «من».
(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، والشواذ للكرماني (٨٧)، وهي شاذة.
(٣) هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي شيخ إمام معمَّر، أسلم في حياة النبي ﷺ، وكان من الأذكياء الحفاظ، والأولياء العباد، وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٨٥هـ)، وقيل: (٨٢). وقيل بعد ذلك. تاريخ الإسلام (٦/ ٨٢)
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٠١و ٢٠٢).
(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٤/ ٢٠٥).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٥٨).

واللفظة تقتضي هذا كله وجميعَ محابّ الدنيا، وحسنة الآخرة الجنة بإجماع.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ دعاءٌ في ألا يكون المرءُ ممن يدخلها بمعاصيه وتخرجه الشفاعة.

ويحتمل أن يكون دعاءً مؤكِّداً لطلب دخول الجنة، لتكون الرغبة في معنى النجاة والفوز من الطرفين، كما قال أحد الصحابة للنبي ﷺ: «أنا إنما أقول في دعائي اللهم أدخلني الجنة وعافني من النار، ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة[1] معاذ»، فقال له رسول الله ﷺ: «حولها ندندن»[2].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ الآية، وَعْدٌ على كسب الأعمال الصالحة في صيغة الإخبار المجرد.

والربُّ تعالى سريع الحساب؛ لأنه لا يحتاج إلى عقد ولا إلى إعمال فكر.

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلائق في يوم؟ فقال: «كما يرزقهم في يوم»[3].

وقيل: الحساب / هنا المجازاة، كأن المُجازي يعُد أجزاءَ العمل ثم يجازي [١٣٠] بمثلها، وقيل: معنى الآية: سريع مجيءِ يوم الحساب، فالمقصد بالآية الإنذار بيوم القيامة.

---

(١) الدَّنْدَنَةُ: كلام غير مفهوم.

(٢) اختلف في إسناده وفي وصله وإرساله، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٧٩٢) من رواية الأعمش عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وأخرجه ابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧) وسماه أبا هريرة رضي الله عنه، قال الدارقطني في العلل (١٠/١٥٣) بعد ذكر الخلاف على الأعمش وصلاً وإرسالاً: والصحيح عن الأعمش قول من رواه عن الأعمش عن أبي صالح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وروي عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن النبي ﷺ مرسلاً. انتهى.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وقد نسب لابن عباس أيضاً بلا إسناد.

وأمر الله تعالى عباده بذكره في الأيام المعدودات، وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر، وهي أيام التشريق، وليس يوم النحر من المعدودات، ودل على ذلك إجماع الناس على أنه لا ينفر أحد يوم القَر[١] وهو ثاني يوم النحر[٢]، [فإن يوم النحر من المعلومات][٣].

ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفِر من شاءَ متعجلاً يوم القر[٤]؛ لأنه قد أخذ يومين من المعدودات.

وحكى مكي والمهدوي عن ابن عباس أنه قال: «المعدودات هي أيام العشر»، وهذا إما أن يكون من تصحيف النَّسَخة[٥]، وإما أن يريد العشر الذي بعد يوم النحر، وفي ذلك بُعدٌ.

والأيام المعلومات هي يوم النحر ويومان بعده، لإجماعهم على أنه لا ينحر أحد في اليوم الثالث[٦]، والذكر في المعلومات إنما هو على ما رَزَقَ الله[٧] من بهيمة الأنعام.

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٤٩).

(٢) أي: أن الحادي عشر يسمى يوم القر بفتح القاف وتشديد الراء؛ لأنهم قارُّون فيه بمنى. انظر: كشاف القناع (٢/ ٤٩٠).

(٣) زيادة من المطبوع، ولم يعلق عليها في الهامش.

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ٢٢٩): «يوم القر: الغد من يوم النحر، سمي يوم القر؛ لأن أهل الموسم يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر، في تعب من الحج فإذا كان الغد من يوم النحر، قروا بمنى».

(٥) وهذا هو الصواب قال مكي في الهداية (١/ ٦٧٢): وعن مجاهد وابن عباس: «المعلومات: العشر، والمعدودات: أيام التشريق» ورواه عن ابن عباس البخاري معلقاً (١/ ٣٢٩)، ووصله البيهقي في الكبرى (٥/ ٢٢٨) وغيره.

(٦) في هذا الإجماع نظر؛ فمذهب الشافعي كما في (الأم ٢/ ٢٢٦) والمجموع شرح المهذب (٨/ ٣٩٠)، وكذلك علي والحسن وعطاء كما في الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ٥٥٥): أن اليوم الثالث من أيام التشريق يوم نحر.

(٧) لفظ الجلالة، زيادة من المطبوع وفيض الله.

وقال ابن زيد: المعلومات عشر ذي الحجة وأيام التشريق[١]، وفي هذا القول بعدٌ.

وجعل الله الأيام المعدودات أيام ذكر الله، وقد قال النبي ﷺ: «هِيَ أَيَّامُ أكل وشُرب وذِكر لله»[٢].

ومن جملة الذكر: التكبير في إثر الصلوات، واختُلف في طرفي مدة التكبير: فقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس: يكبر من صلاة الصبح من يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق[٣].

وقال ابن مسعود وأبو حنيفة: يُكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر[٤].

وقال يحيى بن سعيد: يُكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

وقال مالك: يُكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وبه قال الشافعي.

وقال ابن شهاب: يكبر من الظهر يوم النحر إلى العصر من آخر أيام التشريق.

وقال سعيد بن جبير: يُكبر من الظهر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢١١).

(٢) صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٣) من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه، وفي المطبوع وجار الله: «وذكر الله»، بالإضافة.

(٣) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٨١ وما بعدها)، إلا أن فيه عن عمر: إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٧٩، ٥٦٨٠) عن ابن مسعود، وانظر مذهب أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٢/ ٤٣).

وقال الحسن بن أبي الحسن: يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر يوم النَّفْر الأول، وقال أبو وائل: يكبر من صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة الظهر يوم النحر[(١)].

ومشهور مذهب مالك أنه يُكبِّر إثر كل صلاة ثلاث تكبيرات، وفي المذهب رواية أنه يقال بعد التكبيرات الثلاث: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ الآية، قال ابن عباس[(٣)] والحسن وعكرمة ومجاهد: المعنى: مَن نفر في اليوم الثاني من الأيام المعدودات فلا حرج عليه، ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج عليه[(٤)]، فمعنى الآية: كل ذلك مُباح، وعبَّر عنه بهذا التقسيم اهتماماً وتأْكيداً، إذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس، فنزلت الآية رافعة للجناح في كل ذلك، ومن العلماء من رأى أن التعجل إنما أُبيح لمن بعُدَ قُطْره لا للمكي والقريب، إلا أن يكون له عذر، قاله مالك وغيره[(٥)]، ومنهم من رأى أن الناس كلهم مباح لهم ذلك، قاله عطاءٌ وغيره[(٦)].

وقال علي بن أبي طالب[(٧)] وابن مسعود[(٨)] وإبراهيم: معنى الآية: من تعجل

---

(١) انظر:المحلى لابن حزم (٥/ ٩١)، وقول مالك في المدونة (١/ ٢٤٩)، وقول الشافعي في: الأم (١/ ٢٧٥).

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٤٦٤).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٤/ ٢١٧) من طريقين لا بأس بهما عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري (٤/ ٢١٥).

(٥) ففي النوادر (٢/ ٤١٦-٤١٧) عن ابن القاسم في العتبية استثقال مالك التعجل لأهل مكة إذا لم يكن لهم عذر، وفي: حاشية كفاية الطالب الرباني (١/ ٦٨٧) أن هذا القول غير مشهور، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحمد، كما في: المغني (٣/ ٢٣٤).

(٦) انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (٣/ ٣٨٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٢١٥).

(٧) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٢١٩) من طريق ابن جريج قال: سمعت رجلًا يحدث عن عطاء بن أبي رباح، عن علي... فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه.

(٨) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٤/ ٢١٨) من طريق حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم بن يزيد النخعي، عن ابن مسعود به، وحماد ضعيف، والنخعي لم يثبت سماعه أحد من من الصحابة.

فقد غفر له ومن تأخر فقد غفر له[١]، واحتجوا بقوله عليه السلام: «مَنْ حَجَّ هذا البيت فَلَم يرفُث ولم يفسق خَرج من خَطَايَاه كَيوم ولدته أُمه»[٢]، فقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ نفي عام وتبرئة مطلقة. وقال مجاهد أيضاً: معنى الآية: من تعجل أو تأخر فلا إثم عليه إلى العام القابل[٣]، وأسنِد في هذا القول أثرٌ.

وقال أبو العالية: المعنى في الآية: لا إثم عليه لمن اتقى بقية عمره، والحاجُّ مغفور له البتة، وقال أبو صالح وغيره: معنى الآية: لا إثم عليه لمن اتقى قتل الصيد وما يجب عليه تجنبه في الحج، وقال أيضاً: لمن اتقى في حجه فأتى به تامّاً حتى كان مبروراً[٤].

واللام في قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ متعلقة إما بالغفران على بعض التأويلات، أو بارتفاع الإثم في الحج على بعضها، وقيل: بالذكر الذي [في قوله][٥]: ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾، أي: الذكر لمن اتقى، ويسقط رمي الجمرة الثالثة عمن تعجل[٦].

وقال ابن أبي زمنين[٧]: يرميها في يوم النفر الأول حين يريد التعجل[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢١٨).

(٢) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (١٤٤٩)، ومسلم (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٢٠).

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٤/ ٢٢٠).

(٥) في الأصل والمطبوع: «دل عليه قوله».

(٦) مثله في القرطبي (٣/ ٨). وعبارة أبي حيان أوفى بالمقصود حيث قال في البحر المحيط (٢/ ٣٢٢): «وظاهر قوله: «ومن تعجل» سقوط الرمي عنه في اليوم الثالث، فلا يرمي جمرات اليوم الثالث في يوم نفره، وقال ابن أبي زمنين: يرميها في يوم النفر الأول..إلخ».

(٧) عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، الأندلسي المالكي ، المتوفى سنة (٣٥٩هـ). انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ٤٧٣).

(٨) لم أجده في تفسيره، وقد نقله عنه في البحر المحيط (٢/ ٣٢٢).

قال ابن الموَّاز: يرمي المتعجل في يومين بإحدى وعشرين حصاة، كل جمرة بسبع حصيات، فيصير جميع رميه بتسع وأربعين حصاة[١].

قال القاضي أبو محمد: لأنه قد رمى جمرة العقبة بسبع يوم النحر.

قال ابن الموَّاز: ويسقط رمي اليوم الثالث[٢].

وقرأ سالم بن عبد الله: (فَلا اثْمَ عَلَيْهِ) بوصل الألف[٣].

ثم أمر تعالى بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾.

قال السدي: نزلت في الأخنس بن شَرِيقٍ[٤]، واسمه أبيٌّ، والأخنس لقب، وذلك أنه جاءَ إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام، وقال: الله يعلم أني صادق، ثم هرب بعد ذلك، فمر بقوم من المسلمين / ، فأحرق لهم زرعاً، وقتل لهم حُمُراً، فنزلت فيه هذه الآيات. [١٣١]

(١) البيان والتحصيل (٣/ ٤٦٩).

(٢) انظره بمعناه في: النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٢/ ٤١٧).

(٣) قال في المحتسب (١/ ١٢٠): «روى ابن مجاهد عن الزمل بن جرول قال: سألت سالم بن عبد الله بن عمر عن النفر فقرأ: «فمن تعجل في يومين فلثم عليه، ومن تأخر فلثم عليه»، وهي قراءة شاذة.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٢٩).

قال القاضي أبو محمد: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم[١].

وقال ابن عباس: «نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قُتلوا في غزوة الرجيع: عاصم بن ثابت[٢] وخُبيب[٣] وابن الدَّثِنَّة[٤] وغيرهم، قالوا: ويح هؤلاء القوم لا هم قعدوا في بيوتهم ولا أدوا رسالة صاحبهم، فنزلت هذه الآيات في صفات المنافقين»، ثم ذكر المستشهدين في غزوة الرجيع في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية[٥].

وقال قتادة، ومجاهد، وجماعة من العلماء: نزلت هذه الآيات في كل مبطِنِ كُفْرٍ أو نفاق أو كذب أو إضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك[٦]، فهي عامة.

وهي تشبه ما ورد في الترمذي أن في بعض كتب الله تعالى: «إن من عباد الله

(١) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة. اسمه أبيٌّ، وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بدر، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر، وقد أثبته في الصحابة أبو موسى عن ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري، كما في الإصابة (١/ ١٩٢)، قال ابن حجر: ولا مانع أن يسلم ثم يرتد ثم يرجع إلى الإسلام، والله أعلم.

(٢) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ، من السّابقين الأولين من الأنصار، شهد بدراً، واستشهد في بعث الرجيع، وكان قد عاهد الله ألّا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فلما أرادت قريش أخذ جسده حماه الله منهم بمثل الظّلة من الدّبر. الإصابة (٣/ ٤٦٠).

(٣) خبيب بن عدي بن مالك الأنصاريّ الأوسيّ، شهد بدراً وأسر في بعث الرجيع، فاشتراه بنو الحارث بن عامر ابن نوفل، فقتلوه بمكة، وصلبوه، فبلعته الأرض، وقصته مشهورة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢٥).

(٤) هو زيد بن الدّثنة، بفتح الدّال وكسر المثلثة بعدها نون، ابن معاوية الأنصاريّ البياضي، شهد بدراً وأحداً، وكان في غزوة بئر معونة (كذا في الإصابة، والصواب: بعث الرجيع)، فأسره المشركون وقتلته قريش بالتّنعيم. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٠٠).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٠) بإسناد ضعيف.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٢و٢٣٣).

قوماً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر، يلبسون للناس جلود الضأْن من اللين، يجترون الدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أَبِي يغترُّون؟ وعليَّ يجترئون؟ حلفت لأَسَلِّطن عليهم فتنة تَدَعُ الحليم[١] منهم حيران»[٢].

ومعنى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾: أي: يقول: الله يعلم أني أقول حقّاً.

وقرأ أبو حيوة وابن مُحيصن: (ويَشهَد اللهُ)[٣] بإسناد الفعل إلى المكتوبة[٤]، المعنى: يعجبك قوله والله يعلم منه خلاف ما قال، والقراءة التي للجماعة أبلغ في ذمه، لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ثم ظهر من باطنه خلافه، و﴿ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ [مختلف بحسب القراءتين، فعلى قراءة الجمهور هو الخير الذي يظهر، أي: هو في قلبه][٥] بزعمه، وعلى قراءة ابن محيصن هو الشر[٦] الباطن.

وقرأ ابن عباس: (والله يشْهَد على مَا في قَلْبه)[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «الحكيم».

(٢) ضعيف جداً، هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٤٠٤) من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به. وإسناده ضعيفٌ جداً من أجل يحيى بن عبيد الله. وأخرجه الترمذي أيضا (٢٤٠٥) من طريق حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف واهٍ من أجل حمزة هذا. وأخرجه ابن عبد البر في الجامع «(١/ ٣٣٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٤٢) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن عائذ الله بن عبد الله عن أبي الدرداء مرفوعاً، وهذا إسناد واهٍ جدّاً من أجل عثمان بن عبد الرحمن، وهو الوقاصي.

(٣) انظر عزوها لابن محيصن في تفسير الطبري (٤/ ٢٣٤)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٢)، والكامل للهذلي (ص: ٥٠٢)، وزاد: مجاهداً وَحُمَيْداً وابن أبي عبلة، ولم أجد من نقلها عن أبي حيوة ممن قبل المصنف، وهي قراءة شاذة.

(٤) في المطبوعة: «الله»، وهو المقصود بلفظة «المكتوبة» في اصطلاح المؤلف.

(٥) سقط من الحمزوية.

(٦) في نور العثمانية: «الشيء».

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٥)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ أبي وابن مسعود: (وَيَسْتَشْهِدُ الله على ما في قَلْبِه)[١].

والألد: الشديد الخصومة الصعب الشكيمة الذي يلوي الحجج في كل جانب، فيشْبِه انحرافُه المشيَ في لديدي الوادي[٢]، ومنه: لديد الفم، واللدود.

ويقال منه: لَدِدْتُ بكسر العين أَلَدُّ، وهو ذم، ومنه قول النبي ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم»[٣].

ويقال: لدَدته بفتح العين أَلُده بضمها: إذا غلبته في الخصام، ومن اللفظة قول الشاعر:

إنَّ تحْـت الأحجـار حَزْمـاً وعقـلاً وخَصِيماً أَلَـدَّ ذَا مِـغْـلاق[٤] [الخفيف]

والْخِصام في الآية[٥] مصدر خاصَمَ، وقيل: جمع خصْم ككلب وكلاب، فكان الكلام: وهو أشد الخصماءِ وأَلَدُّهُمْ.

و﴿تَوَلَّىٰ﴾، و﴿سَعَىٰ﴾ تحتمل جميعاً معنيين: أحدهما: أن تكون فعْلَ قلب

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لمصحف أبي في تفسير الثعلبي (٢/ ١٢٢)، تفسير الكشاف (١/ ٢٧٨)، ولابن مسعود في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠).

(٢) قال في جمهرة اللغة (١/ ١١٤): ولديد الْوَادي: أحد جانبيه، وهما لديدان.

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٦٩٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) البيت للمهلهِل واسمه عدي بن ربيعة، يرثي كليباً، انظر: مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٠٢)، ومجاز القرآن (٢/ ١٣)، والاشتقاق (١/ ٢٥٩)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٣/ ٣٤٩)، قال المرزباني في معجم الشعراء (ص: ٢٤٨): وقيل: إن عدياً (صاحب الأبيات) هو أخو مهلهل، ورجل مِغلاق: إذا كان الرهن يغلق على يديه، والمغلاق أيضاً سهم في الميسر، أو السهم السابع بمضعف الميسر، والجمع مغاليق. وفي نور العثمانية: «معلاق»، بالعين المهملة ويروى بها البيت، ومنه رجل مِعْلق: خصيم، وفي جار الله وأحمد٣: «عدلاً» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي المطبوع والأصل ونور العثمانية: «عزماً».

(٥) في أحمد٣ وجار الله: «اللغة».

فيجيء ﴿تَوَلَّىٰ﴾ بمعنى: ضَلَّ وغضب وأنف في نفسه فسعى بحيله وإدارته[١] الدوائر على الإسلام، ومن هذا السعي قول الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، ومنه: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ [الإسراء: ١٩].

ومنه قول الشاعر:

[السريع] أَسْعَىٰ عَلَىٰ حيٍّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرِئٍ في شَأْنِهِ سَاعِ[٢]

ونحا هذا المنْحَى في معنى الآية ابنُ جريج وغيره[٣].

والمعنى الثاني: أن يكونا فعل شخص، فيجيء ﴿تَوَلَّىٰ﴾ بمعنى: أدبر ونهض عنك يا محمد، و﴿ وَسَعَىٰ ﴾ يجيء معناها: بقدميه فقطع الطريق وأفسدها، نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره[٤]، [وكلا السعيين فساد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾][٥] قال الطبري: المراد الأخنس في إحراقه الزرع وقتله الحمُر[٦]، وقال مجاهد: المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل[٧]، وقيل: المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمَّار الزرع والمُنسِلون.

وقال الزجّاج: يحتمل أن يراد بالحرث: النساءُ، وبالنسل: نسلهن[٨].

---

(١) في الأصل: «إرادته»، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٢) البيت لقيس بن الأسلت كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٦)، والمفضليات (ص: ٢٨٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٢٢)، والأمثال لابن سلام (ص: ٢٨١)، والأغاني (١٧/ ١٢٠)، وفي المطبوع: «جل» ، بدل «حي».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٧) بإسناد ضعيف.

(٥) ليس في الحمزوية.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٨).

(٧) المصدر السابق (٤/ ٢٤٠).

(٨) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٧٧).

والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد، إذ كل فساد في أمور الدنيا فعلى هذين الفصلين يدور.

وأكثر القراء على ﴿يُهْلِكَ﴾ بضم الياء وكسر اللام وفتح الكاف عطفاً على ﴿لِيُفْسِدَ﴾.

وفي مصحف أبي بن كعب: (وليُهْلِك)[1]، وقرأ قوم: (ويُهْلِكُ) بضم الكاف[2]، إما عطفاً على ﴿يُعْجِبُكَ﴾ وإما على ﴿سَعَىٰ﴾، لأنها بمعنى الاستقبال، وإما على القطع والاستئناف.

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن محيصن: (ويَهلِكُ) بفتح الياء وكسر اللام وضم الكاف ورفع: (الحرثُ والنسلُ)[3].

وكذلك رواه ابن سلمة عن ابن كثير، وعبد الوارث عن أبي عمرو[4].

وحكى المهدوي أن الذي روى حماد بن سلمة[5] عن ابن كثير إنما هو: (ويُهْلِكُ) بضم الياء والكاف (الْحَرْثَ) بالنصب[6].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٣).

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠).

(٣) عزاها لهم ابن جني في المحتسب (١/ ١٢١)، إلا أبا حيوة فقد عزاها له في تفسير البحر المحيط (٢/ ٣٣٠)، وفي مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، عن أبي حيوة: «ويهلك» بفتح اللام والكاف، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٨٨)، وزاد: ورفع الثاء واللام.

(٤) نقلها الهذلي في الكامل (ص: ٥٠٢) عن حميد وجرمي عن حماد، وابن عيينة، والبزي عن ابن كثير، وصدقة عن أبيه، وابن محيصن والشيزري عن أبي جعفر، وابن مقسم في اختياره، والحسن، وأبي حنيفة، إلا أنه فتح اللام من (يُهْلِكَ)، وروى الْعُمَرِيّ (يُهْلِكُ) بضم الياء ورفع الكاف كما روى عباد عن الحسن، وهي رواية مغيث في عباس عن خارجة عن نافع، وعباس عن مطرف عن ابْن كَثِيرٍ.

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري الإمام الكبير، روى القراءة عرْضاً عن عاصم وابن كثير، وعنه حرمي بن عمارة وحجاج بن المنهال وشيبة بن عمرو المصيصي، توفي في ذي الحجة سنة (١٦٧هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٥٨).

(٦) نقله أبو حيان (٢/ ٣٣٠).

وقرأ قوم: (ويَهلَك) بفتح الياء واللام ورفع (الْحَرْثُ)[1]، وهي لغة هلَك يهلَك، تلحق بالشواذ كَركَن يرْكَن.

و«الْحَرْث» في اللغة: شق الأرض للزراعة، ويسمى الزرع حرثاً للمجاورة والتناسب، ويدخل سائر الشجر والغراسات في ذلك حملاً على الزرع، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وهو كرْمٌ على ما ورد في التفاسير، وسمي النساءُ حرثاً على التشبيه.

والنَّسْل مأخوذ من نَسَل ينسل: إذا خرج متتابعاً، ومنه نِسال الطائر: ما تتابع سقوطه مِنْ ريشه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] .... فسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنسُلِ[2]

و﴿لَا يُحِبُّ﴾ معناه: لا يحبه مِن أهل الصلاح، أو: لا يحبه ديناً، وإلا فلا يقع إلا ما يحب الله تعالى وقوعه، والفساد واقع، وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون من أن الحب بمعنى / الإرادة، والحبُّ له على الإرادة مزية إيثار، فلو قال أحد: إن الفساد المراد تنقصه مزية الإيثار، لصح ذلك، إذ الحب من الله تعالى إنما هو لِمَا حسن من جميع جهاته. [١٣٢]

وقوله تعالى: ﴿وَإذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله﴾ الآية، هذه صفة الكافر أو المنافق الذاهب بنفسه زهواً، ويُكره للمؤمن أن يوقعه في الحرج في نحو هذا.

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٢٧٩) وعزاها للحسن البصري.

(٢) صدره: وَإِنْ كُنْت قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ، وهو من معلقته المشهورة: قفا نبك، انظر عزوه له في العين (٧/ ٢٥٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٢)، والمعاني الكبير (١/ ٤٨٢)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٣٧) قال: والخليقة: الخلق، والثياب: كناية عن القلب، نسل ريشه ينسله: إذا رماه، أي: أخرجي قلبك من حبي تنسل، أي: تبين.

وقال بعض العلماء: كفى بالمرءِ إثماً أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول له: عليك نفسك، مثلُك يوصيني؟[١].

والعزة هنا: المنَعَة وشدة النفس، أي: اعتز في نفسه وانتخى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته به وألزمته إياه، ويحتمِل لفظ الآية أن يكون: أخذته العزة مع الإثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلين.

و(حسبه) أي: كافيه معاقبة وجزاءً، كما تقول للرجل: كفاك ما حل بك، وأنت تستعظم وتعظم عليه ما حل به.

و﴿ٱلْمِهَادُ﴾ ما مَهَّدَ الرجل لنفسه كأنه الفراش، ومن هذا الباب قول الشاعر:

.... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَربٌ وَجِيعُ[٢] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية تتناول كل مجاهد في سبيل الله، أو مستشهَد في ذاته، أو مغير منكر.

والظاهر من هذا التقسيم أن تكون الآيات قبل هذا على العموم في الكافر بدليل الوعيد بالنار، ويأْخذ العصاةُ الذين فيهم شيء من هذا الخلق بحظهم من وعيد الآية.

ومن قال: إن الآيات المتقدمة هي في منافقين تكلموا في غزوة الرجيع، قال: هذه الآية في شهداء غزوة الرجيع، وَمَن قال: تلك في الأخنس، قال: هذه في الأنصار والمهاجرين المبادرين إلى الإيمان.

وقال عكرمة وغيره: هذه في طائفة من المهاجرين[٣]، وذكروا حديث صهيب:

---

(١) نقله الثعالبي (١/ ١٦١) عن أحمد بن نصر الداودي عن ابن مسعود.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل، انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٣)، ونوادر أبي زيد (ص: ١٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٧).

أنه خرج من مكة إلى النبي ﷺ فاتبعته قريش لترده، فنثر كنانته، وقال لهم: تعلمون والله إني لمن أرماكم رجلاً، والله لأرمينّكم ما بقي لي سهم، ثم لأضربن بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، فقالوا له: لا نتركك تذهب عنا غنيّاً وقد جئتنا صعلوكاً، ولكن دلنا على مالك ونتركك، فدلهم على ماله وتركوه، فهاجر إلى النبي ﷺ فلما رآه قال له: «ربح البيع أبا يحيى»[(١)]، فنزلت فيه هذه الآية.

ومن قال: قُصد بالأول العموم، قال في هذه كذلك بالعموم.

و﴿ يَشْرِى ﴾ معناه: يبيع، ومنه: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

ومنه قول يزيد بن مفرِّغٍ الحميري:

[الكامل] وشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَني ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَه[(٢)]

وقال الآخر:

[الكامل] يعْطىٰ بِهَا ثمَناً فيَمْنعهَا ... ويقولُ صَاحِبُهُ ألا تشْرِي[(٣)]

ومن هذا تَسَمّى الشُّراة كأنهم الذين باعوا أنفسهم من الله تعالى[(٤)].

وحكى قوم أنه يقال: شرى بمعنى اشترى، ويَحتاج إلى هذا من تأول الآية في

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٥١)، وغيرهم من طريق حماد بن زيد، قال: أخبرني علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب...فذكره. وعلي بن زيد هو ابن جدعان، ضعيف الحديث، وسعيد لم يدرك القصة. وأخرجه الحاكم أيضاً (٣/ ٤٥٠) من طريق: حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما خرج صهيب.. وهو مرسل أيضاً. وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٦) من حديث صهيب، رضي الله عنه، وفي إسناده: محمد بن الحسن بن زبالة، وهو كذاب.

(٢) وعزي له في تفسير الثعلبي (٥/ ٢٠٤)، وتفسير الطبري (٢/ ٣٤١)، ومجاز القرآن (١/ ٤٨)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٣)، وبُرْد: اسم غلام له.

(٣) البيت للمسيب بن علس يصف غواصاً فقيراً ظفر بدرة لا مثيل لها فضن بها على البيع، عزاه له الطبري (٢/ ٣٤١).

(٤) الشُرَاة هم الخوارج الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه، وكفروا بعضَ الصحابة.

صهيب، لأنه اشترى نفسه بماله ولم يبعها، اللهم إلا أن يقال: إن عزمَ صهيب على قتالهم بيعٌ لنفسه من الله تعالى، فتستقيم اللفظة على معنى باع.

وتأول [هذه الآية][(١)] عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم في مُغَيِّري المنكر، ولذلك قال علي وابن عباس: «اقتتل الرجلان»، أي: قال المغيِّر للمفسد: اتق الله، فأبى المفسد وأخذته العزة، فشرى المغير نفسه من الله تعالى وقاتله فاقتتلا[(٢)].

وروي أن عمر بن الخطاب كان يجمع في يوم من الجمعة[(٣)] شباباً من القرأة فيهم ابن عباس والحر[(٤)] بن قيس وغيرهما، فيقرؤُون بين يديه ومعه، فسمع عمَرُ ابنَ عباس رضي الله عنهم يقول: «اقتتل الرجلان»، حين قرأ هذه الآية، فسأله عما قال، ففسر له هذا التفسير، فقال له عمر: «لله تلادك[(٥)] يا ابن عباس»[(٦)].

وقال أبو هريرة[(٧)] وأبو أيوب[(٨)] حين حَملَ هشام [بن عامر][(٩)] على الصف في

---

(١) ليس في الحمزوية.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٤/ ٢٤٥) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾» [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: «﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾» [البقرة: ٢٠٧].. قال ابن عباس..وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف ولم يدرك ابن عباس.

(٣) «من الجمعة» سقطت من أحمد٣، «ومن» ليست في المطبوع.

(٤) في جار الله وفيض الله وأحمد٣: «الجد».

(٥) «التلاد»: قديم الملك وهو بخلاف الطارف.

(٦) ينظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٢٤٥).

(٧) لا بأس بإسناده، هذا الأثر أخرجه البيهقي في الشعب (٢٩٤١) بإسناد لا بأس به في قصة طويلة.

(٨) إسناده صحيح، هذا الأثر أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٦١).

(٩) ساقط من نور العثمانية، وفي أحمد٣ وجار الله: «بن عمار».

القُسطنطينية فقال قوم: ألقى بيده إلى التهلكة: ليس كما قالوا، بل هذا قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ الآية.

و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مفعول من أجله.

ووقف حمزة على ﴿مَرْضَاتِ﴾ بالتاء والباقون بالهاء[١].

قال أبو علي: وجه وقف حمزة بالتاءِ إما أنه على لغة مَنْ يقول: طلحَتْ وعلقمتْ، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] بَلْ جَوزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ[٢]

وإما أنه لما كان المضاف إليه في ضمن اللفظة ولا بد أثبت التاءَ كما تثبت في الوصل؛ ليُعلم أن المضاف إليه مراد[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ترجيَةٌ تقتضي الحضَّ على امتثال ما وقع به المدح في الآية كما في قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم [في الآية][٤].

ثم أمر تعالى المؤمنين بالدخول في السلم.

وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي: ﴿السَّلم﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها في هذا الموضع[٥]، فقيل: هما بمعنًى واحد، يقعان للإسلام وللمسالمة، وقال

(١) انظر عزوه له في السبعة في القراءات (١/ ١٨٠)، وزاد الكسائي، والذي في التيسير (ص: ٦٠)، أن الكسائي خاصة يقف بالهاء وغيره بالتاء، وهو المتواتر عنه، وانظر النشر (٢/ ١٤٩).

(٢) هذا الرجز لسؤر الذئب عزاه له الصاغاني في العباب الزاخر (١/ ٣٨٣)، والجوهري في الصحاح (٤/ ٢٧) والزبيدي في تاج العروس (٢٣/ ١١٩)، والحجفت: بتقديم الحاء على الجيم هي التُّرس إذا كان من الجلد، والجوز: الوسط، والتيهاء: الفلاة الواسعة، وفي الحمزوية: «بل ظهر».

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٠).

(٤) ساقط من أحمد٣ والسليمانية وفيض الله وجار الله.

(٥) السبعة في القراءات (ص١٨٠) وما بعدها، والتيسير فى القراءات السبع (ص: ٨٠).

أبو عمرو بن العلاءِ: «السِّلم بكسر السين: الإسلام، وبالفتح: المسالمة»، وأنكر المبرد هذه التفرقة[(١)].

ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الإسلام، لأن المؤْمنين لم يؤْمروا قط [بالانتداب إلى الدخول][(٢)] في المسالمة، وإنما قيل للنبي ﷺ أن يجنح للسلم إذا جنحوا لها، وأما أن يبتدئ بها فلا[(٣)].

واختلف بعد حمل اللفظ على الإسلام من المخاطب؟:

فقالت فرقة: جميع المؤمنين بمحمد ﷺ، والمعنى: أمرهم بالثبوت فيه والزيادة من التزام حدوده / ، ويستغرق ﴿كَآفَّةً﴾ حينئذ المؤمنين وجميع أجزاء [١٣٣] الشرع، فتكون الحال من شيئين، وذلك جائز، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: ٢٧]، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وقال عكرمة: بل المخاطب من آمن بالنبي من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره[(٤)].

وذلك أنهم ذهبوا إلى تعظيم يوم السبت، وكرهوا لحم الجمل، وأرادوا استعمال شيء من أحكام التوراة وخَلْطَ ذلك بالإسلام فنزلت هذه الآية فيهم، فـ﴿كَآفَّةً﴾ على هذا لأجزاءِ الشرع فقط.

وقال ابن عباس: نزلت الآية في أهل الكتاب[(٥)]، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا

---

(١) انظر رأيهما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٤).

(٢) في أحمد٣ وجار الله: «بالدخول» وكلمة: «بالانتداب» في السليمانية ملحقة في الهامش، وعليها علامة «صح».

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٥٦).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٢٥٥).

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٦) من طريق: حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس.

بموسى وعيسى ادخلوا في الإسلام بمحمد كافة، فـ﴿كَآفَّةً﴾على هذا لأجزاء الشرع وللمخاطبين، على من يرى السلم الإسلام.

ومن يراها المسالمة يقول: أمرهم بالدخول في أن يعطوا الجزية. و﴿كَآفَّةً﴾ معناه: جميعاً، والمراد بالكافة: الجماعة التي تكفُّ مخالفيها، وقيل: إن ﴿كَآفَّةً﴾نعتٌ لمصدر محذوف، كأن الكلام: دَخْلةً كافةً، فلما حذف [المنعوت بقي النعت][1] حالًا.

وتقدم القول في ﴿خُطُوَاتِ﴾، والألف واللام في ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ للجنس.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يقع على الواحد والاثنين والجميع.

و﴿مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى: أبان عداوته، وأن يكون بمعنى: بان في نفسه أنه عدوٌّ، لأن العرب تقول: بان الأمر وأبان بمعنى واحد.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

قرأ جمهور الناس: ﴿زَلَلْتُم﴾ بفتح اللام، وقرأ أبو السمال: (زلِلتم) بكسرها[2].

وأصل الزَّلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراءِ وغير ذلك، والمعنى: ضلِلتم وعُجْتُم[3] عن الحق.

---

(١) في الحمزوية: «النعت بقي المنعوت».

(٢) مختصر الشواذ لابن خالويه (ص٢٠).

(٣) في نور العثمانية: «عجبتم».

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: محمد وآياته ومعجزاته إذا كان الخطاب أولاً لجماعة المؤمنين، وإذا كان الخطاب لأهل الكتابين، فـ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ ما ورد في شرائعهم من الإعلام بمحمد ﷺ والتعريف به.

و﴿عَزِيزٌ﴾ صفةٌ مقتضية أنه قادر عليكم لا تعجزونه، ولا تمتنعون منه.

و﴿حَكِيمٌ﴾ أي: مُحْكِم فيما يعاقبكم به لزللكم.

وحكى النقاش أن كعب الأحبار لما أسلم [كان يتعلم القرآن][1]، فأقرأه الذي كان يعلمه: فاعلموا أن الله غفور رحيم، فقال كعب: [إني لأستنكر أن يكون هكذا، ومر بهما رجل، فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟، فقرأ الرجل: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال كعب:][2] هكذا ينبغي[3].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآية، الخطاب للنبي ﷺ، و«هَلْ» من حروف الابتداء كـ«أما»، و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون. والمراد بها[4] هؤلاء الذين يَزِلُّون.

و«الظُّلَلُ»: جمع ظُلَّة، وهي ما أظل من فوق.

وقرأ قتادة والضحاك: (في ظِلالٍ)[5]، وكذلك روى هارون بن حاتم عن أبي بكر عن عاصم هنا، وفي الحرفين في الزمر[6].

---

(١) ساقط من الحمزوية

(٢) ساقط من الحمزوية.

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤).

(٤) زيادة من نور العثمانية.

(٥) انظر عزوها لقتادة في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٢٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٢١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٨)، والشواذ للكرماني (ص٨٨)، وزاد سعيد بن جبير، وهي شاذة، وعزاها للضحاك أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٣٤٥)، ولأبي، وعبد الله.

(٦) جامع البيان للداني (٢/ ٩١١)، وليست من طرق التيسير، وحرفا الزمر هما في قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ الآية: ١٦.

وقال عكرمة: ﴿ظُلَلٍ﴾ طاقات[١].

وقرأ الحسن ويزيد بن القعقاع وأبو حيوة: ﴿والملائكةِ﴾ بالخفض[٢] عطفاً على ﴿ٱلْغَمَامِ﴾.

وقرأ جمهور الناس بالرفع عطفاً على اسم الله، والمعنى: يأتيهم حكمُ الله وأمره ونهيه وعقابه إياهم.

وذهب ابن جريج وغيره إلى أن هذا التوعُّد هو بما يقع في الدنيا[٣].

وقال قوم: بل هو توعد بيوم القيامة، [وقال قوم: قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وعيدٌ بيوم القيامة][٤]، وأما الملائكة فالوعيد هو بإتيانهم عند الموت[٥].

و﴿ٱلْغَمَامِ﴾: أرقُّ السحاب وأصفاه وأحسنه، وهو الذي ظلِّل به بنو إسرائيل، وقال النقاش: هو ضباب أبيض[٦].

وفي قراءة ابن مسعود: (إلا أنْ يَأْتِيَهُمُ الله والمَلائِكَةُ[٧] في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَام)[٨].

و﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ معناه: وقع الجزاءُ وعُذِّب أهلُ العصيان.

وقرأ معاذ بن جبل: (وَقَضَاءُ الأمر)[٩]، وقرأ يحيى بن يعمر: (وقُضِي الأمور) بالجمع[١٠].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٢) قراءة أبي جعفر متواترة انظرها في النشر (٢/ ٢٥٩). وانظر عزوها للحسن في رواية بكار بن شقيق، وابْن مِقْسَمٍ في اختياره في الكامل للهذلي (ص: ٥٠٣)، وعزوها لأبي حيوة في البحر المحيط (٢/ ٣٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٤) سقطت من جار الله وألحقت في هامشه وعليها علامة «خ»، وعليها في أحمد٣ تضبيب.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٣).

(٦) نقله عنه الثعالبي (١/ ١٦٢)، ونقله البغوي (١/ ٢٤١) عن مقاتل.

(٧) ساقط من الحمزوية.

(٨) وهي قراءة شاذة، انظر: كتاب المصاحف (١/ ١٧٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٢٩).

(٩) عزاها له ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٠)، وهي قراءة شاذة.

(١٠) عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٨٨)، وهي قراءة شاذة.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَرجِع﴾ على بناء الفعل للفاعل، وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ﴾ على بنائه للمفعول[١]، وهي راجعة إليه تعالى قبلُ وبعدُ، وإنما نبَّه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان منها إلى الملوك في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ، وفيه إباحة السُّؤال لمن شاءَ من أُمته، ومعنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينة.

وقرأ أبو عمرو في رواية عباس[٢] عنه: (اسْأل) على الأصل[٣].

وقرأ قوم: (اِسَل) على نقل الحركة إلى السين وترك الاعتداد بذلك في إبقاء ألف الوصل[٤]، على لغة من قال: الَحْمر، ومن قرأ ﴿سَلْ﴾ فإنه [أزال ألف الوصل][٥] حين نقل واستغنى عنها.

و﴿كَمْ﴾: في موضع نصب إما بفعل مضمر بعدها لأن لها صدر الكلام، تقديره: كم آتينا آتيناهم، وإما بـ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾.

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨١). والتيسير في القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).

(٢) في الحمزوية وأحمد٣ وفيض الله: «ابن عباس» وكذا كان في جار الله إلا أنها مضبب عليها، وفي السليمانية: «عياش»، أما عباس، وهو الأظهر، فهو العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل ابن حنظلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري قاضي الموصل أستاذ حاذق ثقة، كان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة وله اختيار في القراءة في الكامل، كان عظيم القدر جليل المنزلة في العلم والدين والورع مقدما توفي (١٨٦هـ). غاية النهاية (١/ ٣٥٣)، وأما عياش فهو ابن محمد أبو الفضل الجوهري البغدادي مشهور روى القراءة سماعا عن أبي عمر الدوري عن أبي عمرو، مات سنة ٢٩٩هـ، غاية النهاية (١/ ٦٠٧)، وأما «ابن عباس» فخطأ محض.

(٣) تفسير البحر المحيط (٤/ ٥٤) طبعة الرسالة، وفيه: «عباس» على الصواب، وليست هذه القراءة لأبي عمرو في شيء من طرق التيسير ولا جامع البيان لأنه قال فيه: (٣/ ١٠١٠): وأجمعوا على الهمز في قوله ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ﴾[الممتحنة: ١٠] لأنه أمر لغائب، وعلى ترك الهمز في قوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١] و﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم﴾ [القلم: ٤٠] لأنه لا واو ولا فاء قبل السين فيهما.

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٤٧)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٧).

(٥) في أحمد٣ بدلا منه: «أراد الوصل»، وكلمة «ألف» في جار الله ملحقة وعليها علامة «صح».

وقوله: ﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ﴾ هو على التقدير الأول مفعول ثان لـ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾، وعلى الثاني في موضع التمييز.

ويصح أن تكون ﴿كَمۡ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبرُ في ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾، ويصير فيه عائد على ﴿كَمۡ﴾ تقديره: كم آتيناهموه.

والمراد بالآية: كم جاءهم في أمر محمد ﷺ من آية معرِّفة به دالة عليه.

[١٣٤] و﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ / لفظٌ عام لجميع إنعامه، ولكن يقوي من حال النبي معهم أن المشار إليه هنا محمد ﷺ، فالمعنى: ومن يبدل من بني إسرائيل صفة نعمة الله، ثم جاءَ اللفظ منسحباً على كل مُبَدِّلٍ نعمةً لله تعالى.

وقال الطبري: النعمة هنا الإسلام[١]، وهذا قريب من الأول.

ويدخل في اللفظ أيضاً كفار قريش الذين بُعِثَ محمدٌ منهم[٢] نعمة عليهم، فبدلوا قبولها والشكر عليها كفراً، والتوراة أيضاً نعمة على بني إسرائيل أرشدتهم وهدتهم، فبدلوها بالتحريف لها وجَحْدِ أمر محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ خَبَـرٌ يقتضي ويتضمن الوعيد، و﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ مأْخوذ من العَقِب، كأن المعاقب يمشي بالمجازاة[٣] له في آثار[٤] عَقِبِه، ومنه عُقْبَةُ الراكب، وعُقْبَة القِدْر.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الـمُزَيِّنُ هو خالقُها ومُخْترعها وخالق الكفر، ويُزَيِّنها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٢).

(٢) في فيض الله: «إليهم».

(٣) في نور العثمانية: «بالمحاذاة»، وهي محتملة في بعض النسخ الأخرى.

(٤) ليس في الحمزوية.

وقرأ مجاهد وحميد بن قيس وأبو حيوة: (زَيَّن) على بناء الفعل للفاعل ونصب (الحياةَ)[١].

وقرأ ابن أبي عبلة: (زُينتْ) بإظهار العلامة[٢]، والقراءةُ[٣] دون علامة هي للحائل، ولكون التأنيث غير حقيقي.

وخُصَّ الذين كفروا بالذكر لقبولهم التَّزيين جملةً، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها، والتَّزيين من الله تعالى واقع للكل، وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليَبْلُوَ الخَلق أيُّهم أحسن عملاً، فالمؤمنون الذين هم على سَنن الشرع لم تفتنهم الزينة، والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها.

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قُدِمَ عليه بالمال: «اللهم إنّا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيَّنت لنا»[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ إشارة إلى كفار قريش لأنهم كانوا يعظمون [حالهم][٥] من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من أتباع النبي ﷺ كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم، فذَكر اللهُ قبيحَ فعلهم ونبَّه على خفض منزلتهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ومعنى الفوق هنا: في الدرجة والقَدْر، فهي تقتضي التفضيل وإن لم يكن للكافرين من القدر نصيب، كما قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

---

(١) انظر عزوها لهم في الكامل للهذلي (ص: ٥٠٣)، وانظر أيضاً: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٧).

(٢) الشواذ للكرماني (ص: ٨٩).

(٣) سقطت من فيض الله.

(٤) لم أجده لأبي بكر، وإنما روي من كلام عمر بن الخطاب: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٤٤٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٠٧) برقم (٣٢٥١) عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عبد الله بن الأرقم صاحب بيت مال المسلمين يقول لعمر.....، بمعناه.

(٥) في الحمزوية: «رجالهم».

وتحتمل الآية أن المتقين هم في الآخرة في التنعم والفوز بالرحمة فوق ما هم هؤلاء فيه في دنياهم، وكذلك خير مستقراً من هؤلاء في نعمة الدنيا، فعلى هذا الاحتمال وقع التفضيل في أمر فيه اشتراك، وتحتمل هذه الآية أن يراد بالفوق المكان، من حيث الجنة في السماء والنار في أسفل السافلين، فيُعلم من ترتيب الأمكنة أن هؤلاءِ في الجنة وهؤلاء في النار.

وتحتمل الآيتان أن يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار، فإنهم كانوا يقولون: وإن كان مَعَادٌ(١) فلنا فيه الحظُّ أكثرَ مما لكم، ومنه حديث خباب(٢) مع العاص بن وائل(٣)،(٤).

وهذا كله من التحميلات حفظ لمذهب سيبويه والخليل في أن التفضيل إنما يجيءُ فيما فيه شركة، والكوفيون يجيزونه حيث لا اشتراك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: والله يرزق هؤلاء الكفرة في الدنيا، فلا تستعظموا ذلك ولا تقيسوا عليه الآخرة، فإن

---

(١) في المطبوع والسليمانية: «معاذ».

(٢) خبّاب بن الأرتّ ـ بتشديد المثناة ـ بن جندلة التميمي، ويقال: الخزاعي، أبو عبد الله، سبي في الجاهليّة فبيع بمكّة، ثم حالف بني زهرة، وكان من السّابقين الأوّلين، وشهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة، ومات بها سنة (٣٧هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢١).

(٣) هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، والد هشام وعمرو رضي الله عنهما، وكان من أشراف قريش؛ وهو الذي منع عمر بن الخطاب بمكة من قريش، حين أظهر عمر الإسلام، مات كافراً بين مكة والمدينة بالأبواء. نسب قريش (١ / ١٣٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٩١) (٢٤٢٥) (٤٧٣٤) ومسلم (٢٧٩٥) وهو قول خباب: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعثْ، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

الرزق ليس على قدر الكفر والإيمان بأن يحسب لهذا عمله ولهذا عمله فيرزقان بحساب ذلك، بل الرزق بغير حساب الأعمال، والأعمال ومجازاتها محاسبة ومعادة إذ أجزاءُ الجزاءِ تُقابل أجزاءَ الفعل المجازى عليه، فالمعنى: أن المؤمن وإن لم يرزق في الدنيا فهو فوقُ يوم القيامة.

وتحتمل الآية أن يكون المعنى: أن الله يرزق هؤلاء المستضعفين عُلُوَّ المنزلة بكونهم فوق، وما في ضمن ذلك من النعيم بغير حساب، فالآية تنبيه على عظم النعمة عليهم، وجعل رزقهم بغير حساب حيث هو دائم لا يتناهى، فهو لا ينفد.

ويحتمل أن يكون بِغَيْرِ حِسابٍ صفةً لرزق الله تعالى كيف تصرف، إذ هُوَ جلَّت قُدْرَتُهُ لا يُنْفِقُ بِعَدٍّ، فَفَضْله كله بغير حساب.

ويحتمل أن يكون المعنى في الآية: من حيث لا يحتسب هذا الذي يشاؤُه الله، كأنه قال: بغير احتساب من المرزوقين، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

وإن اعترض معترض على هذه الآية بقوله تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، فالمعنى في ذلك محسباً، وأيضاً فلو كان عدّاً لكان الحساب في الجزاء والمثوبة لأنها معادة وغير الحساب في التفضل والإنعام.

قوله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

قال أبي بن كعب[١] وابن زيد: المراد بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بنو آدم حين أخرجهم الله نسماً من ظهر آدم[٢]، أي: كانوا على الفطرة.

[١٣٥] وقال مجاهد: / ﴿ٱلنَّاسُ﴾ آدم وحده، [وقال قوم][٣]: آدم وحواء، وقال ابن عباس[٤] وقتادة: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ القرون التي كانت بين آدم ونوح[٥]، وهي عشرة، كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحاً فمن بعده.

وقال قوم: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ نوح ومن في سفينته، كانوا مسلمين ثم بعد ذلك اختلفوا[٦].

وقال ابن عباس أيضاً: كان الناس أُمة واحدة كفاراً، يريد في مدة نوح حين بعثه الله[٧]، و﴿كَانَ﴾ على هذه الأقوال هي على بابها من المضي المنقضي[٨].

وتحتمل الآية معنى سابعاً[٩] وهو أن يخبر عن الناس الذين هم الجنس كلُّه أنهم أُمة واحدة في خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق، لولا مَنُّ الله عليهم وتفضله بالرسل [إليهم][١٠]، فـ﴿ كَانَ﴾ على هذا الثبوت لا تختص بالمضي فقط، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

---

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨) من طريق: أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب به.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٨).

(٣) في الحمزوية: «وقيل».

(٤) لا بأس بإسناده، أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٥) من طريق: همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٤/ ٢٧٦).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١/ ٦٩٧).

(٧) أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨) بإسناد ضعيف.

(٨) سقطت من أحمد٣، وفي نور العثمانية: «المقتضي».

(٩) في الحمزوية: «مستأنفا»، وفي فيض الله: «شائعا».

(١٠) ليس في المطبوعة.

و«الأمة»: الجماعة على المقصد الواحد، ويسمى الواحد أُمة إذا كان منفرداً بمقصد، ومنه قول النبي ﷺ في قسِّ بن ساعدة: «يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمةً وحْدَه»[١].

وقرأ أبي بن كعب: (كَانَ البَشَر أُمَّةً وَاحِدَةً)[٢] [٣].

وقرأ ابن مسعود: (كان الناس أُمة واحدةً فاخْتَلَفُوا [فَبَعَثَ)[٤].

وكلُّ مَن قَدَّرَ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في الآية: مؤمنين، قدَّر في الكلام: فاختلفوا][٥]، وكل من قدرهم كفاراً كانت بعثة النَّبِيِّينَ إليهم.

وأول الرسل على ما ورد في الصحيح في حديث الشفاعة نوحٌ، لأن الناس يقولون له: أنت أول الرسل[٦]، والمعنى: إلى تقويمِ كفار، وإلا فآدم مُرسلٌ إلى بنيه يعلمهم الدين والإيمان.

و ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ معناه: بالثواب على الطاعة، و﴿وَمُنذِرِينَ﴾ معناه: من العقاب على المعاصي، ونصْبُ اللفظتين على الحال.

و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسم الجنس، والمعنى: جميع الكتب.

---

(١) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٥٥)، وأبو سعيد القرَّاب في فنون العجائب (٣٠) عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ، متفق على ضعفه، وللحديث طرق أخرى كلها لا تثبت. قال ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٤): «وهذا الحديث من جميع جهاته باطل». قال أبو الفتح الأزدي الحافظ: «هو حديث موضوع لا أصل له». وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٥/ ٥٥٢): «قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة، وهو في الطوالات للطبراني وغيرها، وطرقه كلها ضعيفة».

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٢٧١)، وهي قراءة شاذة.

(٣) في الحمزوية هنا زيادة: «في خلوهم من الشرائع»، ولم نجد ما يدل عليها في شيء من المصادر.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥)، والكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٣)، وهي قراءة شاذة.

(٥) ساقط من الحمزوية.

(٦) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (٣٢٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وقال الطبري: الألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعَهْد، والمراد التوراة[١].

و﴿لِيَحْكُمَ﴾ مسند إلى الكتاب في قول الجمهور، وقال قوم: المعنى: ليحكم الله.

وقرأ الجحدري: (ليُحكَم) على بناء الفعل للمفعول[٢]، وحكى عنه مكي: (لنَحكم)[٣]، وأظنه تصحيفاً[٤] لأنه لم يحْكِ عنه البناءَ[٥] للمفعول كما حكى الناس[٦].

والضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على (مَا) من قوله: ﴿فِيمَا﴾، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ الثانية يحتمل العود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ويحتمل على الضمير الذي قبله.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أرباب العلم به والدراسة له، وخصهم بالذكر تنبيهاً منه تعالى على الشنعة في فعلهم والقبح الذي واقعوه.

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الدلالات والحجج، و﴿بَغْيًا﴾ منصوب على المفعول له، والبغي: التعدي بالباطل.

و(هَدَى) معناه: أرشد، وذلك خلق الإيمان في قلوبهم، وقد تقدم ذكر وجوه الهدى في سورة الحمد.

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من آمن بمحمد ﷺ:

فقالت طائفة: معنى الآية: أن الأمم كذب بعضهم كتاب بعض، فهدى الله أمة

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٠).

(٢) انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٢/ ١٣٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٧)، واسمه عاصم، ولكنه ليس الكوفي صاحب السبعة الذي يروي عنه حفص، بل قراءته شاذة، لكن هذه القراءة متواترة عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني كما في النشر (٢/ ٢٥٩).

(٣) قال في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٩٩): بالنون، وهي قراءة شاذة.

(٤) قال السمين في الدر المصون (١/ ٤٨٣): لا ينبغي أن يغلطه لاحتمال أن يكون عنه قراءتان.

(٥) أي أن مكياً لم يُحْكَ عن الجحدري البناء، وضبطت في المطبوع: «يُحْكَ عنه البناءُ»، ولعله خطأ.

(٦) منهم السمعاني (١/ ٢١٤)، والثعلبي والنحاس كما تقدم فوق.

محمد التصديق بجميعها، وقالت طائفة: إن الله هدى المؤمنين للحق فيما اختلف فيه أهل الكتابين من قولهم: إن إبراهيم كان يهوديّاً أو نصرانيّاً.

وقال ابن زيد: من قبلتهم، فإن[١] اليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق، ومن يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ قال: «هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له[٢]، فلليهود غد، وللنصارى بعد غد»[٣]، ومن صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه[٤].

وقال الفراء: في الكلام قلْبٌ[٥]، واختاره الطبري، قال: وتقديره: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه[٦].

[ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يَحْتَمِلَ اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه][٧]، وعساه غيرُ الحق في نفسه، نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراءِ.

قال أبو محمد: وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوءُ نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه، لأن قوله[٨]: ﴿فَهَدَى﴾ يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتمَّ المعنى في قوله ﴿فِيهِ﴾، وتبين بقوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ جنس ما وقع الخلاف فيه.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «قبلة».

(٢) في الحمزوية: «إليه».

(٣) متفق عليه، هذا الحديث أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٢٠١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣١).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٦).

(٧) ساقط من الحمزوية.

(٨) في السليمانية: «قراءة»، وفي جار الله وأحمد٣: «لأن الله تعالى قال فهدى فيقتضي...» إلخ مع الإشارة في هامشه للمثبت.

قال المهدوي: وقدم لفظ الخلاف على لفظ الحق اهتماماً، إذ العناية إنما هي بذكر الاختلاف[١].

قال القاضي أبو محمد: وليس هذا عندي بقويٍّ.

وفي قراءة عبدالله بن مسعود (لِمَا اخْتَلَفُوا عَنْهُ مِنَ الحَقِّ)[٢] أي: عن الإسلام.

و ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قال الزجّاج: معناه: بعلمه[٣]، وقيل: بأمره.

و«الإذن» هو العلم والتمكين، فإن اقترن بذلك أمر صار أقوى من الإذن بمزية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ردٌّ على المعتزلة في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية، «أمْ» قد تجيءُ لابتداءِ كلام بعد كلام وإن لم يكن تقسيم ولا معادلةُ ألفِ استفهام، وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيءُ بمثابة ألف الاستفهام يُبتدأُ بها، و﴿حَسِبْتُمْ﴾ تطلب مفعولين، فقال النحاة: ﴿أَن تَدْخُلُوا۟﴾تسد مسد المفعولين لأن الجملة التي بعد ﴿أَن﴾ مستوفاة المعنى.

ويصح أن يكون المفعول الثاني محذوفاً، تقديره: أحسبتم دخولكم الجنة واقعاً ولَمَّا، ولا يظهر أن يتقدر المفعول الثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾بتقدير: أحسبتم دخولكم الجنة خِلْواً من أن يصيبكم ما أصاب من قبلكم، لأن «خِلْواً» حال، والحال هنا إنما تأتي بعد توفية المفعولين، والمفعولان هما الابتداء والخبر قبل دخول «حسب».

و﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾: في المال، و(الضَّرَّاءُ): في البدن، و﴿خَلَوْا۟﴾: معناه: انقرضوا، أي: صاروا في خلاءٍ / من الأرض، وهذه الآية نزلت في قصة الأحزاب حين حَصَروا [١٣٦]

(١) التحصيل للمهدوي (١/ ٣٩١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٣٣).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٥)، وهي قراءة شاذة.
(٣) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٨٥).

رسول الله ﷺ [وأصحابه][١] في المدينة، هذا قول قتادة والسدي وأكثر المفسرين[٢].

وقالت فرقة: نزلت الآية تسلية للمهاجرين الذين أُصيبت أموالهم بعدهم في بلادهم وفُتنوا هُمْ قبل ذلك[٣].

و﴿مَّثَلُ﴾ معناه: شَبَه، فالتقدير: [شَبَهُ آي][٤] الذين خَلَوْا، والزلزلة: شدة التحريك، تكون في الأشخاص وفي الأحوال، ومذهب سيبويه أنَّ زَلْزَل رباعي كدَحْرَج، وقال الزجّاج: هو تضعيف في زلَّ[٥]، فيجيءُ التضعيف على هذا في الفاء.

وقرأ الأعمش: (وَزُلْزِلُوا ويقول الرسول) بالواو بدل ﴿حَتَّىٰ﴾[٦].

وفي مصحف ابن مسعود: (وزُلْزلوا ثم زُلْزلوا ويقول الرسول)[٧].

وقرأ نافع: ﴿يقولُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون: ﴿يَقُولَ﴾ بالنصب[٨]، فـ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير: إلى أن، وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل[٩].

وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شكٍّ ولا ارتياب.

---

(١) ساقط من الحمزوية.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص: ١٨٠)، وتفسير الطبري (٤/ ٢٨٩).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٣١).

(٤) كذا في سائر المخطوطات، ويمكن أن تقرأ في بعضها: شبه أتي، وفي المطبوع: أي شبه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٥)، وانظر قول سيبويه في الشافية في علم التصريف (١/ ٧٥).

(٦) تفسير القرطبي (٣/ ٣٥)، ولم أجدها لمن قبل المؤلف، وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف.

(٧) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣٣) وهي قراءة شاذة.

(٨) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٨١)، والتيسير فى القراءات السبع للداني (ص: ٨٠).

(٩) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٦).

و﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾اسم الجنس، وذكره الله تعظيماً للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول، وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا: متى نصر الله؟ فيقول الرسول: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾، فقُدِّمَ الرسول في الرتبة لمكانته، ثم قُدِّمَ قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تحَكمٌ، وحمل الكلام على وجهه غير متعذِّر، ويحتمل أن يكون ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ إخباراً من الله تعالى مؤتنفاً بعد تمام ذكر القول.